

تفسير القرآن العظيم

الإمام المفسر الحافظ عماد الدين
أبي القاسم إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى ٧٧٤ هـ

مؤلف هذه المجلدات هو شيخنا العلامة العلامة
وأما هذه المجلدات فهي من الأعمال

أجزاء الثاني

طبعة المكة



اهداءات ١٩٩٨

السيدة/ نادية خورشيد

الإسكندرية

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير البرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

المجلد الثاني

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]

وصححها نخبة من العلماء

المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية

دار الكتب

رقم التسجيل

(تفسیر سورة المائدة)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية شيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت إني لأخذه بتمام الضياء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تنطق عضد الناقة . وروى ابن مردويه من حديث صالح بن سهل عن عاصم الأحول قال حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وقال أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لجة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلي عن عبد الله بن عمرو قال أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها فنرد به أحمد . وقد روى الترمذي عن قتيبة عن عبد الله بن وهب عن حي بن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح ثم قال الترمذي هذا حديث غريب حسن وقد روى عن ابن عباس أنه قال آخر سورة أنزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) وقد روى الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحاكم أيضا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن نصر قال قرأ على عبد الله بن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حجبت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ قلت نعم فقالت أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه وما وجدت فيها من حرام فحرموه ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهيدي عن معاوية بن صالح وزاد وسألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت القرآن . ورواه النسائي من حديث ابن مهيدي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْفُسِ أَلَّا تَخْلَى عَلَيْكُمْ فَخَرَّجْتُ الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْرُ اللَّهِ وَلَا أَشْهُرَ الْحُرَامِ وَلَا الْبَدْنَ وَلَا الْقَنْيَةَ وَلَا أَهْلِيهَا الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَاكُمْ قَوْمٌ أَنْ صَدَّكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَكُونُوا عَلَى الْإِيَةِ وَالنَّقُوصِ وَلَا تَكُونُوا عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْمَدُونِ وَأَمَّا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

قال ابن أبي حاتم حدثنا حدثنا نعم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مسعر حدثني معن وعوف أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال اعهد لي فقال إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأرعاها سمعك فانه خبر بأمر به أو شر ينهي عنه . وقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري قال إذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا) افعلوا فالتى ﷺ منهم وحدثنا أحمد بن سنان حدثنا محمد بن عبيد

حدثنا الأعمش عن خيشة قال كل شيء في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فهو في التوراة أيضا لها كين . فأما ما رواه عن زيد بن إسحاق السامع البغدادي حدثنا معاوية بن أبي سفيان عن عيسى بن راشد عن علي بن بذينة عن عكرمة عن ابن عباس قال ما لي بالقرآن آية (يا أيها الذين آمنوا) إلا أن عليا سيدها وشرiffها وأمرها وما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا على بن أبي طالب فإنه لم يعاتب في شيء منه . فهو أثر غريب ولنظفه فيه نكارة وفي إسناده نظر . وقال البخاري عيسى بن راشد هذا مجهول وخبره منكرف قلت وعلي بن بذينة وإن كان ثقة إلا أنه شيعي قال وخبره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل . وقوله فلم يبق أحد من الصحابة إلا عوتب في القرآن إلا عليا إنما يشير به إلى الآية الأمرة بالصدقة بين يدي النجوى فانه قد ذكر غير واحد أنه لم يصل بها أحد إلا على ونزل قوله (أشققتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم صدقات فإذ لم تصلوا وتاب الله عليكم) الآية وفي كون هذا عتابا نظر فانه قد قيل إن الأمر كان ندبا لا إيجابا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل فلم يصدر من أحد منهم خلافة . وقوله عن علي أنه لم يعاتب في شيء من القرآن فيه نظر أيضا فإن الآية التي في الأفعال التي فيها العاتبة على أخذ القداء عمت جميع من أشار بأخذه ولمسلم منها إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم بهذا وما تقدم ضف هذا الأثر والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس قال : قال محمد بن مسلم قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه « هذا بيان من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكتب الآيات منها حتى بلغ (إن الله سريع الحساب) » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن بقية أهلها ويملهم السنة ، ويأخذ صدقاتهم فكتب له كتابا وعهدا وأمره فيه بأمره فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) عهد من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » قوله تعالى (أوفوا بالعقود) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود اليهود وحكي ابن جرير الإجماع على ذلك قال والمهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني اليهود يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله ولا تهدروا ولا تنكثوا ثم شدد في ذلك فقال تعالى (والذين يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) إلى قوله (سوء الدار) وقال الضحاك (أوفوا بالعقود) قال ما أحل الله وحرم وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام . وقال زيد بن أسلم (أوفوا بالعقود) قال : هي ستة ، عهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشكر ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد اليمن ، وقال محمد بن كعب هي خمسة منها حلف الجاهلية وشركة للفاصة . وقد استدل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية (أوفوا بالعقود) قال فهذا يدل على لزوم العقد وثبوته وتقييد نفي خيار المجلس وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والجمهور : والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي لفظ آخر للبخاري « إذا تباعع الرجلان فشكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا » وهذا صريح في إثبات خيار المجلس للتعب بغيره وليس هذا منافيا للزوم العقد بل هو من مقتضياته شرعا فاللزومه من تمام الوفاء بالعقود

وقوله تعالى (أحللت لكم بهيمة الأنعام) هي الإبل والبقر والغنم قاله أبو الحسن وقتادة وغير واحد قال ابن جرير وكذلك هو عند العرب وقد استدل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين إذا وجد ميتا في بطن أمه إذا ذبحت وقدر في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجاهد عن أبي الدرداء جبير بن نوفل عن أبي سعيد قال قلنا يارسول الله صلى الله عليه وسلم نذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين أنقيها ثم نأكله فقال « كلوه إن شئتم

فإن ذكاته ذكاة أمه » وقال الترمذي حديث حسن - قال أبو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا عتاب بن بشير حدثنا عبيد الله بن أبي زياد القداح السكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ذكاة الجنين ذكاة أمه » خرجه أبو داود وقوله (إلامايتي عليكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بذلك الليثة والسم ولحم الخنزير وقال قتادة يعني بذلك الليثة وما لم يذكر اسم الله عليه والظاهر والله أعلم أن المراد بذلك قوله (حرمت عليكم الليثة والسم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وللخنفة والوقودة وللزبدية والطحيجة وما أكل السبع) فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه المواضع ولهذا قال (إلاماذا كنتم وما ذبح على النصب) يعني منها فانه حرام لا يمكن استدراكه وتلاخقه ولهذا قال تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلامايتي عليكم) أي إلامايتي عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال وقوله تعالى (غير على الصيد وأنتم حرم) قال بعضهم هذا منصوب على الحال والرد بالأنعام مايم الإنسي من الإبل والبقرة والغنم ومايم الوحشي كالظباء والبقرة والحمر فاستثنى من الإنسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام وقيل للرد أكلنا لكم الأنعام إلاما استثنى منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله (فمن اضطر غير بلغ ولأعد فإن الله غفور رحيم) أي أبعنا تناول الليثة للمضطر بشرط أن يكون غير بالغ ولأتمتع وهكذا هنا أي كأكلنا الأنعام في جميع الأحوال فحرموا الصيد في حال الإحرام فإن الله قد حكم بهذا وهو الحكم في جميع ما يأمربه وينهى عنه ولهذا قال الله تعالى (إن الله يحكم ما يريد) ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم عنكم أنفسكم يعني بذلك مناسك الحج وقال مجاهد الصفا واللوة ، والهدى والبدين من شعائره الله وقيل شعائره يحارمه أي لا تأكلوا عمار الله التي حرمها تعالى ولهذا قال تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما منهى الله عن تعاطيه فيه من ابتداء القتال وتأكيد اجتناب الحرام كما قال تعالى (يستولونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وقال تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية وفي صحيح البخاري عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » وهذا يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت كما هو مذهب طائفة من السلف . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني لا تستحلوا القتال فيه ، وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري واختاره ابن جرير أيضا . وذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم واحتجوا بقوله تعالى (فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) والرد أشهر التيسير الأربعة قالوا فلم يستثن شهرا حراما من غيره ، وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة قال وكذلك أجموعا على أن الشرك لو قلد عقده أو ذراعيه بلعاه جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك أمانا من القتل إذ لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان ولهذا السبلة بحث آخر له موضع أبسط من هذا وقوله تعالى (ولا الهدي ولا القلائد) يعني لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام فإن فيه تعظيم شعائره الله ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عمارها من الأنعام وليعلم أنها هدى إلى الكمية فيجتنبها من يريد بها بسوء وتبعث من رباها على الإتيان بمثلها فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن يقسم من أجورهم شيء . ولهذا لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي الحليفة وهو وادي العتيق فلما أصبح طاف على نسائه وكن تسمات ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين ثم أشعره دية وقلده وأهل للحج والعمرة وكان هديه إبلا كثيرة تقيف على السنين من أحسن الأشكال والألوان كما قال تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وقال بعض السلف إعظامها استحسانها واستحسانها ، قال علي بن أبي طالب أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن رواه أهل السنن وقال مقاتل بن حيان قوله (ولا القلائد) فلا تستحلوها وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم قلدوا أنفسهم بالشعر وبالإبر وتقلدوا مشركو الحرم من لحاء شجرة فيأمنون به رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عبد بن العوام عن سفيان بن حسين عن

الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نسخ من هذه السورة آيتان آية القتل وقوله (فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) وحدثنا الثوري عن عاذان حدثنا زكريا بن عدي حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف قال قلت للحسن : نسخ من السائدة شيء ؟ قال لا ، وقال عطاء كانوا يقتلون من شجر الحرم فيأمنون فهي أشنع قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله

وقوله تعالى (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أي ولا تستحلوا قتلكم القاصدين إلى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا وكذا من قصد طالبا فضل الله وراغباً في رضوانه فلا تصدوه ولا تمنوه ولا تهيجوه قال مجاهد وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمير والريش بن أنس ومقاتل بن حيان وقادة وغير واحد في قوله (يبتغون فضلا من ربهم) يعني بذلك التجارة وهذا كما تقدم في قوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وقوله (ورضواناً) قال ابن عباس يترضون الله بحجهم وقد ذكر عكرمة والسدي وابن جرير أن هذه الآية نزلت في الحطيم بن هند البكري كان قد أغار على سرح المدينة فما كان من العام للبليل اعتمر إلى البيت فأراد بعض الصبية أن يترضوا في طريقه إلى البيت فأزل الله عروجل (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضواناً)

وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن للشرك يجوز قتله إذا لم يكن له أمان وإن أم البيت الحرام أو بيت القدس وأن هذا الحكم منسوخ في حقه والله أعلم . فأما من قصد بالإلحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا منع قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما للشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ولهذا يث رسول الله صلى الله عليه وسلم عام يبرأه وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ولا آمين البيت الحرام) يعني من توجه قبل البيت الحرام فكان للؤمنون وللشركون يحجون فهي الله المؤمنين أن يمتنوا أحدا من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعدها (إنما للشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) الآية وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) وقال (إنما يعمروا مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فنفي للمشركين من المسجد الحرام وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) قال منسوخ كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج فهدى من الشجر فلم يرض له أحد فإذا رجع فهدى قلادة من شعر فلم يرض له أحد وكان للشرك يومئذ لا يسد عن البيت فأمروا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله (فأتوا للمشركين حيث وجدتموهم) وقد اختار ابن جرير أن الراد بقوله (ولا القلائد) يعني إن تهللوا قلادة من الحرم فأمنوهم قال ولم تزل العرب تغير من أخضر ذلك قال الشاعر

ألم تهلل الحرجين إذ أعورا لكم * يمران بالأبدى للساء المنفرا (١)

وقوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا) أي إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه فقد أجازنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السير أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل التهي فإن كان واجباً ورده واجباً وإن كان مستحباً فمستحب أو مباح فباح ومن قال إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة ومن قال إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم . وقوله (ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) من القراء من قرأ أن صدوكم بفتح الالف من أن ومعناها ظاهر أي لا يحملنكم بعض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام وذلك عام الحديثية على أن تعتدوا حكم الله فيهم فقتلوا منهم ظلماً وعدواناً بل أحكوا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد وهذه الآية كما سيأتي من قوله (ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدوا اعداؤهم وأقرب التقوى) أي لا يحملنكم بعض قوم على ترك العدل فإن العدل فإن العدل الواجب على كل أحد في كل حال وقال بعض السلف

(١) في الأميرة أعورا وهروغلط . فهو بالراء ومعناه مكنا كما من عورتها

ما علمت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . والعدل به قامت السموات والأرض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل الشريق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآية والشان هو البض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شانه أشنه شنانا بالتحريك مثل قولهم جمان ودرجان ورفلان من جمرودج ورفل وقال ابن جرير : من العرب من يسقط التحريك في شأن فيقول شأن ولم أعلم أحدا قرأ بها . ومنه قول الشاعر

وما الميش إلا ما تحب وتشتهى * وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، ونهاهم عن التعاون على الباطل والتعاون على الإثم والمأثم قال ابن جرير الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما حذر الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن جده أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » قيل يا رسول الله هذا نصرت مظلوما فكيف أنصره إذا كان ظالما قال « تحجزه وتمنع من الظلم فذلك نصرة » أنفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه ، وأخرجاه من طريق ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » قيل يا رسول الله هذا نصرت مظلوما فكيف أنصره ظالما قال « تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه » وقال أحمد . حدثنا يزيد حدثنا سفيان بن سعيد عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » وقدره واحد أيضا في مسند عبد الله بن عمر حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ أنه قال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم » وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة وابن ماجه من طريق إسحق بن يوسف كلاهما عن الأعمش به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شيعة الكوفي حدثنا بكر بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن الحنتر عن ابن أبي ليلى عن فضيل ابن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العدل على الخير كفاعله » ثم قال لا تعلمه يروى إلا بهذا الإسناد قلت وله شاهد في الصحيح « من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عمرو بن إسحق بن إبراهيم بن زريق الحمصي حدثنا أبي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم عن الزيدى قال عباس بن يونس إن أبا الحسن (١) فمران (١) بن صخر حدثه أن رسول الله ﷺ قال « من معي مع ظالم ليعنه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام »

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الرِّبَا وَأَلَاءُكُمْ وَلَمْ يُعْزِرْ وَمَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْطَّيِّبَةُ وَمَا أَكَلَ السُّعْيُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُجِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ يَنْقُتُ أَلْيَوْمَ يُنَسِّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَشْهَدُوهُمْ وَأَخْذُوا يَوْمَ أَكَلْتُمْ دِينَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا مِمَّنْ اضْطُرَّ فِي تَخَمُّصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

غير تعالى عباده خيرا متضمنا للنهي عن تطايع هذه الحرمات من اللينة وهي مامات من الجواران حنف أنفهم غير ذكاة ولا اصطيد وما ذاك إلا لما فيها من الضرر لما فيها من الدم المحتقن فهي ضارة للدين وللبدن فلهذا حرما الله

عز وجل ، ويستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها لما رواه مالك في موطنه والشافعي وأحمد في مسندهما وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وهكذا الجراد ما سبأ من الحديث وقوله (والله) يعني به المسفوح كقوله (أو دمًا مسفوحًا) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب المذحجي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن دينار عن قيس بن سبابة عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال كواه فقالوا إنه دم فقال إنما حرم عليكم الدم المسفوح . وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة قالت نهى عن الدم المسفوح وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال » وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف قال الحافظ البيهقي ورواه إسماعيل بن أبي إدريس عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا قلت وثلاثهم كلهم ضعفاء ولكن بعضهم أصح من بعض ، وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأثبات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه بسننهم عليه قال الحافظ أبو زرعة الرازي وهو أصح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا بشير بن شريح عن أبي غالب عن أبي أسامة وهو صدق بن مهران قال يئس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أدعوم إلى الله ورسوله وأعرض عليهم شرائع الإسلام فأبتنهم فيتنا نحن كذلك إذ جاءوا بقصة من دم فاجتمعوا عليها يا كلونها فقالوا لهم يادى فكل قال قلت وعكم إنما أبتنكم من عند من يحرم هذا عليكم فأقبلوا عليه قالوا وما ذاك فتولت عليهم هذه الآية (حرمت عليكم الميتة والدم) الآية ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناده مثله وزاد بعده هذا السياق قال فبطلت أدعومهم إلى الإسلام وبأبون على قتل وعكم اسقوني شرية من ماء فإن شديد العطش قال وعلني عبادي فقالوا لا ولكن ندمك حتى تموت عطشا قال فاضمت وضربت برأسي في الباء وعت على الرضا في حر شديد قال فأناي أت في مناهي فجدح من زجاج لمر الناس أحسن منه وفيه شراب لم ير الناس أنه منه فامكنني منه ففريته فلما فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشرية ، ورواه الحاكم في مستدركه عن علي بن حماد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عبد الله بن سلمة بن عياض العامري حدثنا صدقة بن هرم عن أبي طالب عن أبي أسامة تذكروا نحوه وزاد بعد قوله بعد تيك الشرية فسمعهم يقولون أنما كرجل من سراة قومك فلم نجوه بندقه ، فأتوني بندقه قتلنا حاجة لي فيها إن الله أطعمني وسفاني وأرثهم بطني فأسلموا عن آخرهم وما أحسن ما أنشد الأعشى في قصيدته التي ذكرها ابن إسحق .

وإليك والليت لا تخربها • ولا تأخذن عظما حديثا فتصدنا

أي لا تضل أهل الجاهلية وذلك أن أحدهم كان إذا جاع يأخذ شيئا معدا من عظم نخوة ليفصد به بيرة أو حيوانا من أي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة ثم قال الأعشى وهذا الصب للتصوب لا تأتيتنه • ولا تميد الأوثان والله فاعبدنا

قوله (ولحم الخنزير) يعني أنسبه ووحشه والجمع بهم جميع أجزاء من اللحم ولا يحتاج إلى تحديق الظاهر في جودهم ههنا وتضمنهم في الاحتجاج بقوله (فإنه رجس أوفسقا) ينون قوله تعالى (إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس) أعادوا التضمير فيها فهموه على الخنزير حتى يجمع جميع أجزاء ما هو المفهوم من لغة العرب ومن الضمير إلا إلى الضاف دون المضاف إليه والأظهر أن اللحم يجمع جميع الأجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المألوف وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لعب بالتردش رفكًا ما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » فلذا كان هذا التنفير لهدم الناس فكيف يكون التهديد بالوعيد

الأكيد على أكله والتضي به وفيه دلالة على ثبوت اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله حرم بيع الخمر ولبنة والأمنام » قيل يارسول الله أرأيت شحوم لبنة فإنها تطلق بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال « لا هو حرام » وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان أنه قال لمرقل ملك الروم نهانا عن لبنة واللحم . وقوله (وما أهل لبنة الله به) أي ما ذبح فذكر عليه اسم غيره الله فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تدبح عروقاته على اسمه العظيم ففي عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر الخفوقات فإنها حرام بالإجماع . وإنما اختلف العلماء في متروك التسمية إما معداً أو نسياناً كما سيأتي تخريجه في سورة الأنعام وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن السنجاني حدثنا نعم بن حماد حدثنا ابن فضال عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال نزل آدم بتحريم أربع اللبنة واللحم الخنزير وما أهل لبنة الله به وإن هذه الأربعة الأشياء لم تمل قط ولم تنزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بدنوهم فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم وأحل لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه وهذا أثر غريب وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زكري عن عبد الله قال سمعت الجارود بن أبي سبرة قال هو جدي قال كان رجل من بني رباح يقال له ابن وائل وكان عاصراً غافراً طالبا أبا الفزاري بماء يظهر الكوفة على أن يقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت للماء فلما وردت للماء قاما إليها بينهما فجعلا يكشفتان حراقيبا قال فخرج الناس إلى الحرات والبنات يريدون اللحم ، قال وعلى بالكوفة قال فخرج على علي بن ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادي : يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لبنة الله هذا أثر غريب وشبهه بالصحة ما رواه أبو داود حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا ابن حماد ابن مسعدة عن عوف عن أبي ربيعة عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب ، ثم قال أبو داود محمد بن جعفر هو غندر أوقفه على ابن عباس تفرد به أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا هرون بن يزيد ابن أبي الزرقاء حدثنا أبي حدثنا جرير بن حازم عن الزبير بن حرث قال سمعت عكرمة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن طمان اللبنة ابن أبي يونس ، ثم قال أبو داود أكثر من رواه غير ابن جرير لا يذكر فيه ابن عباس تفرد به أيضاً . قوله (والنخقة) وهي التي تموت بالحق إما قصداً وإما اتفاقاً بأن تتخيل في وقتها تموت به فهي حرام وأما اللقوفة فهي التي تضرب بغير قتل غير محمد حتى تموت كما قال ابن عباس وغير واحد هي التي تضرب بالحربة حتى يوقلها تموت قال قتادة كان أهل الجاهلية يضربونها بالصبي حتى إذا ماتت أكلوها . وفي الصحيحين أن عدي بن حاتم قال قلت يارسول الله إن أرمي بالمراس الصيد فأصيب قال « إذا رميت بالمراس فغزق فكله وإن أصاب برسه فإنما هو وقيد فلا تأكله » ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالزرق ونحوه بمده فأكله وما أصاب برسه فنبهه وقيداً لم يله وهذا مجمع عليه عند الفقهاء واختلفوا فيما إذا صدم الجارحة الصيد فقتله بقتله ولم يجرحه على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله (أحدهما) لا يملك كما في السهم والجامع أن كلا منهما ميت بغير جرح فهو وقيد (والثاني) أنه يملك لأنه حكم بإباحة ماله الكلب ولم يستفصل فدل على إباحة ما ذكرناه لأنه قد دخل في العموم وقد قررت لهذه المسئلة فصلاً فليكتب ههنا .

(نقل) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا أرسل كلباً على حيد فقتله بقتله ولم يجرحه أو صدمه هل يملك أم لا ؟ على قولين (أحدهما) أن ذلك حلال لمعوم قوله تعالى (فكلوا مما أمكنكم عليكم) وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم وهذا قول حكاة الأصحاب عن الشافعي رحمه الله وصححه بعض المتأخرين منهم كالنووي والرافعي (قلت) وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمتنصراته قال في كلال الموضين عتملمعنين ثم وجه كلاهما فحمل ذلك الأصحاب منه فأطلقوا في المسئلة قولين عنه اللهم لأنه في جملة اللقود بالحل رشحه قليلاً ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به والقول بذلك أغنى الحل فله ابن الصباغ عن أبي حنيفة من رواية الحسن بن زياد عنه ولم يذكر فيه ذلك . وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره

عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وهذا غريب جداً وليس يوجد ذلك مصرحاً به عنهم إلا أنه من تصرفه رحمه الله ورضي عنه (والقول الثاني) أن ذلك لا يحل وهو أحد القولين عن الشافعي رحمه الله واختاره المزني ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجيحه أيضاً والله أعلم ورواه أبو يوسف ومحمد عن أبي حنيفة وهو المشهور عن الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه وهذا القول أشبه بالصواب والله أعلم لأنه أجرى عن القواعد الأصولية، وأسس بالأصول الشرعية واحتج ابن الصباغ له بحديث واقع بن خديج قلت يا رسول الله إنا لا نقول المدعى غداً وليس معنى مدعى أفنديج بالقبض؟ قال «ما أهر السهم وذكر اسم الله عليه فكلوه» الحديث بتمامه وهو في الصحيحين. وهذا وإن كان وارداً على سبب خاص فالعبرة بمصوم اللفظ عند جمهور من العلماء في الأصول والقروص كما سئل عليه السلام عن البتغ وهو نبيذ العسل فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام» أيقول قتيبة إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل وهكذا هذا كما سألوه عن شيء من هذه الكافة فقال لهم كلاماً عاماً يشغل ذاك المسؤول عنه وغيره لأنه عليه السلام كان قد أوتي جوامع الحكم، إذا تقرر هذا فما صدمه الكلب أو غمه بقله ليس مما أهر حمة فلا يحل لمصوم هذا الحديث فإن قيل هذا الحديث ليس من هذا القبيل شيء لأنهم إنما سألوه عن الآلة التي يذكي بها ولم يسألوه عن الشيء الذي يذكي ولهذا استقمت في ذلك السن والظفر حيث قال «ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمذى الحبيشة» والسن يتبدل على جنس المستقمتين ولا لم يكن متصلاً فلا بد على أن المسؤول عنه هو الآلة فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم بالجواب عن هذا بأن في الكلام ما يشكك عليكم أيضاً حيث يقول «ما أهر السهم وذكر اسم الله عليه فكلوه» ولم يقل فاذبحوا به فهذا يؤخذ منه الحكم بما يؤخذ حكم الآلة التي يذكي بها وحكم المذكي وأنه لا بد من إنهار دمه بآلة ليست سناً ولا ظفراً هذا مسلكت

والمسلك الثاني طريقة المزني وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل برضه فلا تأكل وإن خرق فكل والكلب جاء مطلقاً فيجعل على ما قيد هناك من الحزق لأنهما اشتراك في الموجب وهو الصيد فيجب الحمل هنا وإن اختلف النيب كما وجب حمل مطلق الاعتاق في الظهار على تقييده بالإيمان في القتل بل هذا أولى وهذا توجهه على من يسلم له أصل هذه القاعدة من حيث هي وليس فيها خلاف بين الأصحاب قاطبة فلا بد لهم من جواب عن هذا وله أن يقول هذا قتله الكلب بقله فلم يحل قياساً على ما قتله السهم برضه والجامع أن كلا منهما آلة للصيد وقد مات بقله فيهما ولا يمرض ذلك بمصوم الآية لأن القياس مقدم على المصوم كما هو منذهب الأئمة الأربعة والجمهور وهذا مسلكت حسن أيضاً (مسلك آخر) وهو أن قوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) عام فيما قتلن بجرح أو غيره لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يغلو إما أن يكون نطيحاً أو في حكمه أو منخفاً أو في حكمه وأياً ما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك لوجوه (أحدها) أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم: وإن أصابه برضه فإفكاه هو وقيد فلا تأكله، ولم نعلم أحداً من العلماء فصل بين حكم حكم من هذه الآية فقال إن الوقيد معتبر حالة الصيد والنطيح ليس معتبراً فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقاً للأجماع لا قائل به وهو محظور عند كثير من العلماء (الثاني) أن تلك الآية (فكلوا مما أمسكن عليكم) ليست على عمومها بالإجماع بل مخصوصة بما صدق من الحيوان المأكول وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق والمصوم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ (المسلك الآخر) أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء لأنه قد احتقن فيه السماء وما يقيمه من الرطوبات فلا تعل قياساً على الميتة (المسلك الآخر) أن آية التحريم أعني قوله حرمت عليكم الميتة إلى آخرها محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة أعني قوله تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) الآية فينبغي أن لا يكون بينهما تعارض أصلاً وتكون السنة جاءت لبيان ذلك وشاهد ذلك قصة السهم فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية وهو ما إذا خرقه المراض فيكون حلالاً لأنه من الطيبات وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم وهو ما إذا أصابه برضه فلا يؤكل لأنه وقيد فيكون أحد أفراد آية التحريم، وهكذا يجب أن يكون حكم هذا سواء إن كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بقله فهو نطيح أو في حكمه

فلا يكون حلالا . (فان قيل) فلم لا فصل في حكم الكلب فقال ما ذكرتم إن جرحه فهو حلال وإن لم يجرحه فهو حرام (فالجواب) أن ذلك نادر لأن من شأن الكلب أن يقتل بظفره أو نابيه أو بهما معا وأما اصطدامه هو والصيد فنادر وكذا قتله إياه بشفة فلم يخرج إلى الاحتراز من ذلك لندوره أو لظهور حكمه عند من علم بتحريم الميتة والمنخنقة والموقوفة والتردية والطليعة . وأما السم والمراس فتارة يخطئ لسوء رعي رايه أو لقله أو لنحو ذلك بل خطؤه أكثر من إصابته فلماذا ذكر كلا من حكميه مفصلا والله أعلم . وهذا لما كان الكلب من شأنه أنه قديأكل من الصيد ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد فقال : « إن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وهذا صحيح ثابت في الصحيحين رهو أيضا مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين فقالوا لا يخل ما أكل منه الكلب حكم ذلك عن أبي هريرة وابن عباس وبه قال الحسن والشعبي والنخعي وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحبه وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه وروى ابن جرير في تفسيره عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم يؤكل ولو لم يبق منه إلا بشفة وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله التقديم وأما في الجديد إلى قولين قال ذلك الإمام أبو نصر بن الصباغ وغيره من الأصحاب عنه وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوى عن أبي ثعلبة الحنفي عن رسول الله ﷺ أنه قال في صيد الكلب « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك » ورواه أيضا النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال يا رسول الله فذكر نحوه وقال محمد بن جرير في تفسيره حدثنا عمران بن بكر الكلبي حدثنا عبد العزيز بن موسى هو اللاحوني حدثنا محمد بن دينار هو الطاسي عن أبي إياس وهو معاوية ابن قرعة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال « إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقى » ثم إن ابن جرير رحمه الله بأنه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقولا . وأما الجمهور فقد رواه حديث عدى على ذلك ورواهوا تضييف حديث أبي ثعلبة وغيره وقد حمل بعض العلماء على أنه إن أكل بعد ما انتظر صاحبه فطال عليه الفصل ولم يجزء فأكل منه لجوعه ونحوه فإنه لا بأس بذلك لأنه والحالة هذه لا يخشى أنه إنما أمسك على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة فإنه يظهر منه أنه أمسك على نفسه والله أعلم . فأما الجوارح من الطيور فنص الشافعي على أنها كالكلب فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ولا يحرم عند الآخرين واختار المزني من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد قالوا لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه وأيضا فلا تأكل إلا بأكلها من الصيد فيبقى عن ذلك وأيضا فالنص إنما ورد في الكلب لا في الطير وقال الشيخ أبو علي في الانصاف إذا قلنا يحرم ما أكل منه الكلب ففي تحريمها أكل منه الطير وجهان وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفريع والترتيب لنص الشافعي رحمه الله على التسوية بينهما والله سبحانه وتعالى أعلم . وأما المتردية فهي التي تقع من شاطئ أو موضع عال فتموت بذلك فلتأكل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : المتردية التي تسقط من جبل وقال قتادة هي التي تردى في بحر وقال السدي هي التي تقع من جبل أو تردى في بحر . وأما النطيحة فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها فهي حرام وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحتها والنطيحة فصيلة بمعنى مفعولة أي منطوحة وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التانيث فيقولون عين كحيل وكف خضيب ولا يقولون كف خضية ولا عين كحيلة وأما هذه فقال بعض النحاة إنما تستعمل فيها تاء التانيث لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في قولهم طريقة طويلة وقال بعضهم إنما تأتي تاء التانيث فيها لتدل على التانيث من أول وهلة بخلاف عين كحيل وكف خضيب لأن التانيث مستفاد من أول الكلام . وقوله تعالى (وما أكل السبع) أي ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحتها فلا تأكل بالإجماع وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين وقوله (إلا ما ذكيت) عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة وذلك إنما يعود على قوله (والمنخنقة والموقوفة والمتردية

والنطيحة وما أكل السبع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (الإلاذ كيت) يقول إلا ما بعت من هؤلاء وفيه روح فسكوه فهو ذكي وكذا روى عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علي في الآية قال إن مصمت بذنها أو ركعت برجلها أو طرفت بينهما فكل . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم وعبد الله قال حدثنا ججاج عن حسين عن الشعبي عن الحارث عن علي قال إذا أدركت ذكة اللقوذة والنردية والنطيحة وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها وهكذا روى عن طاووس والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد أن الذكاة متى تحركت بحركة تدل على حياة الحياء فيها بدائع فهي حلال وهذا مذهب جمهور الفقهاء وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل قال ابن وهب سئل مالك عن الشاة التي غرق جوفها السبع حتى خرج أمعاقها فقال مالك لا أرى أن تذكي أي شيء يذكي منها ؟ وقال أشهب سئل مالك عن الضبع يمدو على الكبيش فيدق ظهره أترى أن يذكي قبل أن يموت فيؤكل فقال إن كان قد بلغ السحر فلا يرى أن يؤكل وإن كان أصاب أطرافه فلا يرى بذلك بأساً قيل له وبك عليه فدق ظهره فقال لا يصحني هذا لا يبش منه قيل له فالدب يمدو على الشاة فيقتب بطنها ولا يقتب الأمعاء فقال لا يذكي بطنها فلا يرى أن تؤكل هذا مذهب مالك رحمه الله وظاهر الآية عام فيما استثناء مالك رحمه الله من الصور التي بلغ الحيوان فيها إلى حالة لا يبش بعدها فيحتاج إلى دليل يخص للآية والله أعلم . وفي الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال قلت يا رسول الله إنا لاقوا الصدو غداً وليس معنا مدى أفنجد بالقتل ؟ فقال « ما أهرأهم وذكرا سم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فنظم وأما الظفر فبني الحبيشة » وفي الحديث الذي رواه البارقي مرفوعاً وفيه نظر ، وروى عن عمر موقوفاً وهو أصح « ألا إن الزكاة في الخلق والبلية ولا تميلوا الأنفس أن تزهد » وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من رواية حماد بن سلمة عن أبي الشراء الدارمي عن أبيه قال قلت يا رسول الله أما تكون الذكاة الآمن للبق والعلق فقال « لو طئت في فخذه لأجزأ عنك » وهو حديث صحيح ولكنه محمول على ما لا يشرع على ذبحه في العلق والبلية وقوله (وما ذبح على النصب) قال مجاهد وابن جريج كانت النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريج وهي ثلثمائة وستون نصباً كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدما تلك الدبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب ، وكذا ذكره غير واحد فهي الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم أكل هذه الدبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الدبائح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله وينبغي أن يحمل هذا على هذا لأنه قد تضمن تحريم ما أهل به لغير الله . وقوله تعالى (وأن تستقسموا بالأزلام) أي حرم عليكم أفعال المؤمنين الاستقسام بالأزلام واحدها زلم وقد تفتح الزاي فيقال زلم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبادة عن قدام ثلاثة على أحدها مكتوب أفضل وعلى الآخر لاضعل والثالث غفل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربّي وعلى الآخر نهاني ربّي والثالث غفل ليس عليه شيء فإذا أجلبها فطلع سهم الأمر فله أو التي تركه وإن طلع الفارغ أعاد والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام هكذا قرر ذلك أبو جعفر ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا ججاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وأن تستقسموا بالأزلام) قال والأزلام كانوا يستقسمون بها في الأمور وكذا روى عن مجاهد وإبراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وقال ابن عباس هي قدام كانوا يستقسمون بها الأمور وذكر محمد بن إسحق وغيره أن أعظم أسمان قریش صنم كان يقال له هبل منصوب على بردا داخل الكعبة فيأبوا وضع الهدايا وأموال الكعبة فيه وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما ينشأ كونه في ما أشكل عليهم فخرج لهم منها رجوا إليه ولم يبدلوا عنه وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها وفي أيديهما الأزلام فقال « فاقبلوا الله لقد عملوا اتهمًا لم يستقسموا بها » وفي الصحيحين أن سراقاً بن مالك بن جشم لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبى بكر وها ذهابان إلى المدينة مهاجرين قال فاستقسمت بالأزلام هل أضرهم أم لا ؟ فخرج النبي ﷺ كره لا تضرهم قال فصيت

الأزلام واتبعهم ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره لأتقصرهم ، وكان كذلك وكان سرقة لم يسلم إذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك : وروى ابن مردويه عن طريق إبراهيم بن يزيد عن رقية عن عبد الملك بن حمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يبلغ الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائرا » وقال مجاهد في قوله (وأن تستقسموا بالأزلام) قال صلى الله عليه وسلم العرب وكباب فارس والروم كانوا يتشامرون . وهذا الذي ذكره عن مجاهد في الأزلام أنها موضوعة للقمار فيه نظر اللهم إلا أن يقال إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى والله أعلم فإن الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة : (يا أيها آمنوا إنما الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجنّبوه لعلكم تفلحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداواة والبغضاء - إلى قوله - متنون) وهكذا قال ههنا (وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق) أي تعاطيه فسق وغى وضلالة وجهالة وشرك وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعيدوه ثم يسألوه الحيرة في الأمر الذي يريدونه كما روى الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن من طرق عبد الرحمن بن أبي اللؤلؤ عن محمد بن النضر عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - وسيسه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » لفظ أحمد وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي اللؤلؤ . وقوله (اليوم يس الذين كفروا من دينكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني يسوا أن يراجعوا دينهم وكذا روى عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان وعلي هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان قد يس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن بالتحرش بينهم » ويحتمل أن يكون المراد أنهم يسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات الخالفة للشرك وأهله ولهذا قال تعالى أمرا لعباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا أحدا إلا الله فقال (فلا تخشوم واخشون) أي لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم واخشو أن تصركم عليهم وأبدمهم وأظفركم بهم وأشف صدوركم منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة وقوله (اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكل كل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصديق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي فلما أكل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى (اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) أي فارضوه أتمم لأنفسكم فانه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتب . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (اليوم أكلت لكم دينكم) وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا ، وقد آتم الله فلا ينقص أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا . وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فبات قالت أساءة بنت حميس : حجبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فينا نحن نسير إذ تجلي له جبريل فقال رسول الله ﷺ على الراحلة فلم تعلق الراحلة من همل ما عليها من القرآن فبركت فأتمته فسجيت عليه بردا كان على . وقال ابن جرير وغير واحد مات رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً رواها ابن جرير ثم قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت (اليوم أكملت لكم دينكم) وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبي ﷺ « ما يبكيك » قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكل فانه لم يكمل شيء إلا همى فقال « صدقت » ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء » وقال الإمام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العيص عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أبا عبد الله إنكم تهرمون آية في كتابكم لو علينا مشعر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال وأى آية ؟ قال قوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فقال عمر والله إنى لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ : عشية عرفة في يوم جمعة ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً عن طريق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال : قالت اليهود لعمر إنكم تهرمون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر إنى لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة قال سفيان وأنت كان يوم الجمعة أم لا (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية ، وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورع حيث شك له أخبره شيخه بذلك أم لا وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فإن هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المخازي والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم . وقد روى هذا من غير وجه عن عمر . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه أخبرنا رجاء بن أبي سلمة أخبرنا عباد بن نسي أخبرنا أميراً إسحق قال أبو جعفر بن جرير هو إسحق بن حرسة عن قيسة بنت ابن أبي ذؤيب قال : قال كعب لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظر واليوم الذي أنزلت فيه عليهم فأخذوه عيداً يجتمعون فيه فقال عمر أى آية يا كعب ، فقال (اليوم أكملت لكم دينكم) فقال عمر قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا قيسة حدثنا حماد بن سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم أن ابن عباس قرأ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فقال يهودى لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يوماً عيداً فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين اثنين يوم عيد ويوم جمعة . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى ابن هارون حدثنا يحيى بن الحجاج حدثنا قيس بن الربيع عن إسماعيل بن سليمان عن أبي عمر البزار عن ابن الحنفية عن علي قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة (اليوم أكملت لكم دينكم) وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عباس حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ ينزع بهذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) حتى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة . وروى ابن مردويه عن طريق محمد بن إسحاق عن عمرو بن موسى بن دحية عن قتادة عن الحسن عن مرة قال نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) يوم عرفة ورواه رسول الله ﷺ واقف على الوقف ، فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لمية عن خاله بن أبي عمران عن حنن بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح بدياً يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين — اليوم أكملت لكم دينكم . ورفع الذكر يوم الاثنين فانه أثر غريب وإسناده ضعيف وقد رواه الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لمية عن خاله بن أبي عمران عن حنن الصنعاني عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين ، هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين فانه أعلم ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين

اثنتين كما تقدم فاشتبه على الراوي والله أعلم وقال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك يوم معلوم عند الناس ثم روى من طريق الموفى عن ابن عباس في قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) يقول ليس ذلك يوم معلوم عند الناس قال : وقد قيل : إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، قلت وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون الهذلي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعل « من كنت مولاه فعلي مولاه » ثم رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا خلك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وطلح بن طالب وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وممرة بن جندب رضى الله عنه وأمره الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء : واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله وقوله (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإيمان فإن الله يوفى أجره) أي فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه الحرمات التي ذكرها الله تعالى لفروضة ألجأته إلى ذلك فله تناوله والله غفور رحيم له لأنه تعالى يعلم حاجة عبده للضطر واقتضاه إلى ذلك فيتجاوز عنه ويغفر له وفي السند وصحيح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته » لفظ ابن حبان ، وفي لفظ لأحمد « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الأثم مثل جبال عرفة » ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الأحيان وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوباً ، وقد يكون مباحاً بحسب الأحوال ، واشتقوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرق ، أوله أن يشبع أو يشبع ويتزود ؟ على أقوال كما هو مقرر في كتاب الأحكام ، وفيها إذا وجد ميتة وطعام الفير أو صيداً وهو حرم هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء أو ذلك الطعام ويضمن بدله ، على قولين ها قولان للشافعي رحمه الله . وليس من شرط جواز تناول الميتة أن ينفى عليه ثلاثة أيام لا يجيد طعاماً كما قد توهمه كثير من العوام وغيرهم ، بل متى اضطر إلى ذلك جاز له ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا إسماعيل بن عطيّة عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا لرسول الله ﷺ : إنا بأرض تصيبنا بها الحمصة فتقى نحل لنا بها ميتة ؟ فقال « إذا لم تصطبخوا ، ولم تحتشوا ، ولم تلبسوا بها قلنا نأكلها » فخر به أحمد من هذا الوجه وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين ، وكذا رواه ابن جرير عن عبد الأعلى بن واصل عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي به ، لكن رواه بعضهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ومنهم من رواه عن الأوزاعي عن حسان عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به ورواه ابن جرير عن هناد بن السرى عن عيسى بن يونس عن حسان عن رجل قد سمى له فذكره ، ورواه أيضاً عن هناد عن ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان مرسلاً وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عتبة عن ابن عون قال : وجدت عند الحسن كتاب ممة فقرأته عليه فكان فيه : ويجزى من الاضرار غنوق أو صوبح . حدثنا أبو كريب حدثنا هشام عن الحبيب بن زيد التميمي حدثنا الحسن أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : قال : متى يحل الحرام ؟ قال : فقال « إلى متى يروى أهلكم اللين أو نجى مبرتهم » حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحق حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن جده عروة بن الزبير عن جدته أخت رجلاً من الأعراب أتى النبي ﷺ فاستفتى في الذي حرم الله عليه والذي أحله ، فقال النبي ﷺ « يحل لك الطيبات ويحرم عليك الخبائث إلا أن تفتقر إلى طعام لك فتأكل منه حتى تستغنى عنه » فقال الرجل . وما قرى الذي يحل لي وما غناني الذي يغني عن ذلك ، فقال النبي ﷺ « إذا كنت ترجو غناء تطلبه فتبلغ من ذلك شيئاً فأطعم أهلك ما بدالك حتى تستغنى عنه » فقال الأعرابي ما غناني الذي أدعته إذا وجدته فقال النبي ﷺ « إذا أرويت أهلك غنوقاً من الليل فاجنب ما حرم الله عليك من طعام مالك فاته ميسور كله فليس فيه حرام » ومعنى قوله « ما لم تصطبخوا » يعني به الغذاء « وما لم تحتشوا » يعني به المشاء « أو تحتشوا بخلأ فئسأ نكم بها » فكلوا منها . وقال ابن جرير : يروى هذا الخبر يعني قوله « أو تحتشوا »

على أربعة أوجه : تحقوا بالهزيمة ، وتحققوا : بتخفيف الياء والحاء وتحقوا بتشديد وتحقوا بالحاء ، وبالتخفيف وتحصل
 المزمز كذا رواه في التفسير (حديث آخر) قال أبو داود : حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا الفضل بن دكين حدثنا وهب بن
 عقبة العامري سمعت أبي يحدث عن النخعي العامري أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ما يجعل لنا من اللثة قال
 « ما ملأكم ؟ » قلنا نصطبج ونشبق . قال أبو نعيم : فسر في عقبة ، قدح غدوة وقدح عشية قال : ذلك وأنى الجوع ،
 وأحل لهم اللثة على هذا الحال . ضربه أبو داود وكانوا يصطبجون ويشبقون شيئاً لا يكفهم فأحل لهم اللثة فأنعم كفائهم
 وقد يحتاج به من يرى جواز الأكل منها حتى يبلغ حد الشبع ، ولا يتقيد ذلك بسد الرمق والله أعلم (حديث آخر) قال
 أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا سالك عن جابر عن سمرة أن رجلاً نزل الحرة ومعه أهله وولده
 فقال له رجل إن نأق ضلت فإن وجدتها فأمسكها فوجدناها ولم يجد صاحبها ففرضت فقالت له امرأته ، أخرها فأبى فنفتت
 فقالت له امرأته : اسلمها حتى تقدم شحمها ولحمها فأنأ قل لا حتى أسأل رسول الله ﷺ فأنأ فسأله فقال « هل
 عندك غنى فنيك ؟ » قال لا ، قال « فكلوها » قال فجاء صاحباً فأخبره الخبر فقال : هلا كنت نحرتها ؟ قال استحييت منك
 تغربه وقد يضيح به من يجوز الأكل والشبع والزود منها يد يغلب على ظنه الاحتياج إليها والله أعلم . وقوله (غير متجاف
 للإيم) أي متماطل لمعصية الله فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر كما قال في سورة البقرة (فمن اضطر غير بالغ ولا عاد فلا
 إثم عليه إن الله غفور رحيم) وقد استدلل بهذه الآية من يقول بأن العاصي بسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر لأن
 الرخص لا تتأثر بالعاصي والله أعلم

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُ مِنَ الْخَبْرِ مَكَلِّينَ يَفْهَمُونَ يَمَا عَلَّمْتُكُمْ
 اللَّهُ فَعَلُوا يَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْهِمْ وَأَذْكُرُوا أَنَّهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

ثم ذكر تعالى ما حرمه في الآية للتقدمة من الحائث الضارة لمتناولها إما في بدنه أو في دينه أو فيهما واستثنى ما استثناه
 في حالة الضرورة كما قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) قال بعد ذلك (يسألونك عما أحل
 لهم قل أحل لكم الطيبات) كما في سورة الأعراف في صفة محمد ﷺ أنه جعل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الحائث قال
 ابن أبي حاتم . حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي بكر حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار
 عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائمين سألا رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله قد
 حرم الله اللثة فماذا يعمل لنزمتها ، فنزلت (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) قال سعيد . يعني التبايع
 الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل : الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق ، وقد سئل
 الزهري عن شرب البول للتدوي فقال : ليس هو من الطيبات رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن وهب سئل مالك عن بيع
 الطير الذي يأكله فقال ليس هو من الطيبات ، وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلين) أي أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم
 الله عليها والطيبات من الرزق وأحل لكم ما صدقتموه بالجوارح وهي الكلاب والقطود والفقور وأشباهها كما هو مذهب
 الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة وعن ذلك على من أي طلبة عن ابن عباس في قوله (وما علمتم من الجوارح مكلين)
 وهن الكلاب والذئب وكل طير يعلم للصيد والجوارح يعني الكلاب والضواري والقطود والفقور وأشباهها . رواه
 ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن خشية وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك وروى عن الحسن أنه
 قال : الباز والسنقر من الجوارح وروى عن علي بن الحسين مثله ثم روى عن مجاهد أنه ذكره صيد الطير كله وقرأ قوله (وما
 علمتم من الجوارح مكلين) قال وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك وفيه ابن جرير عن الضحاك والسدي ثم قال حدثنا هناد
 حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال أما ما ساء من الطير البازات وغيرها من الطير فما أدركت
 فهو لك وإلا فلا تملكه ، قلت والمكحول من الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لأنها تكلب الصيد بمنالها كأنه يكلبه

الكلاب فلا فرق وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم واختاره ابن جرير . واحتج في ذلك بما رواه عن هناد : حدثنا عيسى بن يونس عن مجاهد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن سيد البازي فقال : « ما أمسك عليك فكل » واستثنى الإمام أحمد سيد الكلب الأسود لأنه عنده بما يجب قتله ولا يخل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال « يقطع الصلاة الجار والراء والكلب الأسود » قتلت ما بال الكلب الأسود من الأشجر ، فقال الكلب الأسود شيطان ، وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم قال « ما بالهم وبال الكلاب اقتلوا منها كل أسودهم » وميت هذه الحيوانات التي يصطاد بها جوارح من الجرح وهو الكسب كأنه قول العرب فلان جرح أهله خيرا أي كسبهم خيرا ويقولون فلان لا جرح له أي لا كسبه له وقال الله تعالى (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي ما كسبتم من خير وشئ وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا زيد بن حباب حدثني يونس بن عبيدة حدثني أبان بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سفيان أبي رافع عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب قتلت فجاء الناس فقالوا يا رسول الله ما يميل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فسكت فأقول الله (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين) الآية فقال النبي ﷺ إذا أرسل الرجل كلبه وصي فأمسك عليه فليأكل ما لم يأكل » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب بإسناده عن أبي رافع قال جاء جرير إلى النبي ﷺ ليستأذن عليه فأذن له فقال قد أدنا لك يا رسول الله قال أجل « ولكننا لا ندخل بيتا فيه كلب » قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالديانة حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب يبيع عليها فتركت رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاءوا فقالوا يا رسول الله ما يميل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله ﷺ قال فأقول الله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم من الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين) ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن إسحق عن أبان بن صالح بن قال صحيح ولم يخرجاه وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أن رسول الله ﷺ بثأ بآرافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي فجاءه عاصم بن عدي وسعد بن خزيمة وعويم بن ساعدة فقالوا ماذا أحل لنا يا رسول الله فنزلت الآية ورواه الحاكم من طريقه جاك عن عكرمة وكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية أنه في قتل الكلاب وقوله تعالى (مكلبين) يحتمل أن يكون حالهم الضمير في علمت فيكونون حالا من الفاعل ويحتمل أن يكون حالا من المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهم مكلبات للصيد وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أطفالها فيستدل بذلك والحالة هذه أن الجارح إذا قتل الصيد يصدمة ومخالبه وظفره أنه لا يميل له كما هو أحد قولي الشافعي وطائفة من العلماء ولهذا قال (تصلمونهم ماعلمكم الله) وهو أنه إذا أرسله استرسل وإذا أشلاه استعشى وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يريه إليه ولا يمسكه لنفسه ولهذا قال تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) ففي كان الجارح معلما وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله حل الصيد وإن قتله بالإجماع . وقد وردت السنة بمثل ما دلل عليه هذه الآية الكريمة كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إني أرسل الكلب المعلمة وأذكر اسم الله فقال « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك » قلت وإن قتلن ؟ قال « وإن قتلن ما لم يهرسها كلب ليس منها فإنك إنعاميت على كلبك ولم تسم على غيره » قلت له فإني أرمي بالمراس الصيد فأصيب ؟ قال : « إذا رميت بالمراس فخرق فكله ، وإن أصابه بمرض فإنه وقيد فلا تأكله » وفي لفظ لها « إذا أرسلت كلبك فأذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدر كته حيا فذبحه وإن أدر كته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته » وفي رواية لها « فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على غصه » فهذا دليل للجمهور وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا ولم يستفصلا كما ورد بذلك الحديث ، وحكى عن طائفة من السلف أنهم قالوا لا يحرم مطلقا

(ذكر الآثار بذلك)

قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن السيب قال : قال سلمان الفارسي : كل وإن أكل ثلثه يعني الصيد إذا أكل منه الكلب وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر عن قتادة وكذا رواه محمد بن زيد عن سعيد بن السيب عن سلمان ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى عن زيد بن حميد عن بكر بن عبد الله المزني والقاسم أن سلمان قال : إذا أكل الكلب فكل وإن أكل ثلثه ، وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حمزة بن بكير عن أبيه عن حميد بن مالك بن خيثم القوي أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب فقال : كل وإن لم يبق منه إلا حذية يعني بضعة ورواه شعبه عن عبد بن سعيد عن بكر بن الأشج عن سعيد بن السيب عن سعد بن أبي وقاص قال : كل وإن أكل ثلثه . وقال ابن جرير حدثنا ابن لثمي حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عامر عن أبي هريرة : قال إذا أرسلت كلبك فأكل منه فإن أكل ثلثه وبقى ثلثه فكله . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا الضمر قال سمعت عبدا لله : وحدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال إذا أرسلت كلبك للملم وذكر اسم الله فكل ما أمسك عليك أكل أولها كل وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد عن نافع فلهذا الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر وهو عسكى عن علي وابن عباس واختلافه عن عطاء والحسن البصري وهو قول الزهري وروية ومالك وإليه ذهب الشافعي في القديم وأوما إليه في الجديد

وقد روى عن طريق سلمان الفارسي مرفوعا قال ابن جرير حدثنا عمران بن بكر السكاكي حدثنا عبد العزيز بن موسى الاحموي حدثنا محمد بن دينار وهو الطاجي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن سعيد بن السيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال « إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه قليلا كل ما بقي » ثم قال ابن جرير وفي إسناد هذا الحديث نظر ، وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان والفتاح يروونه من كلام سلمان غير مرفوع وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح لكن قد روى هذا الذي مرفوعا من وجوه أخر فقال أبو داود حدثنا محمد بن منهل الضمير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده أن أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال قال رسول الله ﷺ إن لي كلابا مكلفا فتش في صيدها فقال النبي ﷺ « إن كان لك كلاب مكلف فكل مما أمسك عليك » فقال ذكيا وغير ذكيا وإن أكل منه ؟ قال « نعم وإن أكل منه » فقال يا رسول الله أقتني في قوسي قال « كل ما ردت عليك قوسك » قال ذكيا وغير ذكيا ؟ قال « وإن تقيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه أثر غير سهمك » قال أقتني في آنية الهوس إذا اضطررنا إليها قال « اغسلها وكل فيها » هكذا رواه أبو داود وقد أخرجه النسائي وكذا رواه أبو داود عن طريق يونس بن سيف عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليه يدك » وهذان إسنادان جيدان ، وقد روى الثوري عن سمك بن حرب عن عدي قال قال رسول الله ﷺ « ما كان من كلب شار أمسك عليك فكل » قلت وإن أكل قال « نعم » وروى عبد الملك بن حبيب حدثنا أسد بن موسى عن ابن أبي زائدة عن الشعبي عن عدي بن خلف أنه قال إذا دعا علي أنه يتنفر وإن أكل منه الكلب وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهها كما تقدم عن حكيمته عنهم وقد توسط آخرون فقالوا إن أكل عقب ما أمسكه فانه يحرم لحديث عدي بن حاتم ، والله اني أشاء إليها التي ﷺ « فان أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه وجاع فأكل منه لجوعه فإنه لا يؤثر في التحريم وحلوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخنفي . وهذا خريق حسن ، وجمع بين الحديثين صحيح . وقد تولى الأستاذ أبو المالى الجويني في كتابه النهاية أن لو فصل مفصل هذا التفصيل وقد حقق الله أمنيته وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب منهم . وقال آخرون قولا رابعا في المسئلة وهو التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي ، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم لأنه لا يقبل التمليل إلا بالأكل : وقال

ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو إسحق الشيباني عن حماد عن إبراهيم عن ابن عباس أنه قال في الطير إذا أرسلته تقتل فكل فإن الكلب إذا ضربه لم يعد وإن تعلم الطير أن يرجع إلى صاحبه وليس يضرب فلذا أرسل من الصيدونيف الرشي فكل، وكذا قال إبراهيم النخعي والشيبي وحماد بن أبي سليمان . وقد يجتنب هؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا الحارثي حدثنا عمار بن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : قلت يا رسول الله إن قوم نصيد بالكلاب البراءة فما يعمل لنا منها؟ قال : « يعمل لكم ما علمتم من الجوارح مكلين تعلمونهم ما علمكم الله فكلوا ما أمسكن عليكم وإذا كروا اسم الله عليه » ثم قال : « ما أرسلت من كلب وذكرت اسم الله عليه فكل بما أمسك عليك » قلت : وإن قتل قال : « وإن قتل ما لم يأكل » قلت يا رسول الله وإن خالطت كلابنا كلابا غيرها قال : « فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك » قال قلت إنا قوم نرى فما يعمل لنا قال : « ما ذكرت اسم الله عليه وخزقت فكل » فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ولم يشترط ذلك في البراءة فدل على التفرقة بينهما في الحكم والله أعلم . وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم وإذا كروا اسم الله عليه) أي عند إرساله كما قال النبي ﷺ لسدي بن حاتم « إذا أرسلت كلبك اللحم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك » وفي حديث أبي ثعلبة الخرجي في الصحيحين أيضاً « إذا أرسلت كلبك فإذا كراسم الله وإذا رميت بسهمك فاذا كراسم الله » ولهذا اشترط من الأئمة كالإمام أحمد رحمه الله في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث وهذا القول هو المشهور عن الجمهور أن الراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال كما قال السدي وغيره وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وإذا كروا اسم الله عليه) يقول إذا أرسلت جارك قتل باسم الله وإن نسيت فلا حرج وقال بعض الناس المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ علم ربييه عمر بن أبي سلمة فقال « سم الله وكل يمينك وكل مما يليك » وفي صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا يا رسول الله إن قوما يأتوننا حديث عهد بمكر بلحان لا ندرى أذكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال « سموا الله أنتم واكلوا » . (حديث آخر) وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بقمطين فقال النبي ﷺ « أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكانكم فلذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره » هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن عمير وعائشة فإنه لم يسمع منها هذا الحديث ببديل ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد الله المستوفى عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن امرأة منهم يقال لها أم كلثوم حدثته عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعاما في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي جائع فأكله بقمطين فقال « أما إنه لو ذكر اسم الله لكانكم فلذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره » رواه أحمد أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من غير وجه عن هشام المستوفى به وقال الترمذي حسن صحيح . (حديث آخر) وقال أحمد : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى ابن سعيد حدثنا جابر بن صبح حدثني للثنى بن عبد الرحمن الخزازي وصحبته إلى واسط فكان يسمى في أول طعامه وفي آخر قمعة يقول باسم الله أوله وآخره فقلت له إنك تسمى في أول ما تأكل وأريت قولك في آخر ما تأكل باسم الله أوله وآخره فقال أخبرك أن جدی أمية بن غنم وكان من أصحاب النبي ﷺ سمته يقول إن رجلا كان يأكل والنبي ينظر فلم يسم حتى كان في آخر طعامه قمعة قال باسم الله أوله وآخره فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى يفرق شيء في بطنه حتى قام » وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسي أبي جبر البصري ووثقه ابن معين والنسائي وقال أبو القاسم الأزدي لا تقوم به حجة . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن خيثمة عن أبي حذيفة قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد وأحمد واسمه سلمة بن المهيمن بن صبيب - من أصحاب ابن مسعود عن حذيفة قال كنا إذا حضرتا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم نضع أيدينا حتى

يذكرون اسم الله على ذنوبهم وقرابينهم وهم متعبدون بذلك ولهذا لم يسح ذنابهم من عذاب من أهل الشرك ، ومن شابههم لأنهم لم يذكروا اسم الله على ذنوبهم بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابين (١) ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن تمسك بدين إبراهيم وشيث وغيرها من الأنبياء على أحد قولي العلماء ونصارى العرب كبنى قلب وتوتوخ وبهرا وجزدام ولحم وعاملة ومن أشبههم لا تؤكل ذنابهم عند الجمهور وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عيسى عن أيوب عن محمد بن عبيدة قال : قال علي لأما كلوا ذنابهم بنى قلب لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بضرب الحجر ، وكذا قال غير واحد من الحلف والسلف . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن أنهما كانا لا يريان بأما بذبيحة نصارى بنى قلب . وأما الجيوس فإنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعا وإلحافا لأهل الكتاب فإنه لا تؤكل ذنابهم ولا تنسك نساؤهم خلافا لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل . ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال عنه الإمام أحمد أبو ثور كاسمه يعني في هذه المسألة وكأنه تمسك بعموم حديث روى مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » ولكن ثبت بهذا اللفظ وإنما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية (وطعام الدين أوتوا الكتاب حل لكم) فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عذاب من أهل الأديان لا يحل وقوله تعالى (وطعامكم حل لكم) أى وحل لكم أن تطعموهم من ذنابكم وليس هذا إخبارا عن الحكم عندهم اللهم إلا أن يكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها والأول أظهر في النسخ أى ولكم أن تطعموهم من ذنابكم كما أكلتم من ذنابهم وهذا من باب المكافأة والقلابة والمجازاة كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لبيدائه بن أبي ابن سؤل حين مات ودفع فيه قالوا لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه فجازاه النبي ﷺ ذلك بذلك فأما الحديث الذي فيه « لا تصلب » (٢) إلا مؤثما ولا يأكل طعامك إلا نقي » فيحمول على الندب والاستحباب والله أعلم

وقوله (والمحصنات من المؤمنات) أى وأحل لكم نكاح الحرائر الحائضات من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى (والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم) فقليل أراد بالمحصنات الحرائر دون الإمامة حكاه ابن جرير عن مجاهد وإنما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه ويحتمل أن يكون أراد بالحررة النقية كما قال في الرواية الأخرى عنه وهو قول الجمهور وهنا وهو الأشبه للاجتماع فيها أن تكون ذمية وهى مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية ويتصل زوجها على ما قيل في المثل « حشفا وسوء كيلة » والظاهر من الآية أن المراد من المحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الأخرى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله تعالى (والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم) هل يسم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمه حكاه ابن جرير عن طائفة من السلف بمن فسر المحصنة بالعفيفة وقيل المراد بأهل الكتاب ههنا الإسرائيليات وهو مذهب الشافعي وقيل المراد بذلك النسيات دون الحريات لقوله (فأتوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شركا أعظم من أن تقول إن ربها عيسى وقد قال الله تعالى (ولا تكفوا المشركين حتى يؤمنوا) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب حدثنا القاسم بن مالك يسمي الزنى حدثنا إسحاق بن صبيح عن أبي مالك النخعي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (ولا تكفوا المشركين حتى يؤمنوا) قال فحضر الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها (والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم) فنكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأما أخذوا بهذه الآية الكريمة (والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم) ففصلوا هذه خصصة لتي في سورة البقرة (ولا تكفوا المشركين حتى يؤمنوا) إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها وإلا فلا

(١) بخلاف أهل الكتابين ألح كذا بالنسخ إلى أبيدينا ولعل الظاهر بخلاف غير أهل الخ فأما (٢) في الجامع الصغير لا تصلب .

معارضة بينها وبينها لأن أهل الكتاب قد اقتصوا في ذكرهم عن الشركين في غير موضع كقوله تعالى (لم يكن الدين كغفروا من أهل الكتاب وللشركين متفككين حتى تأتيتهم البينة) وكقوله (وقل للذين آمنوا أوتوا الكتب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا) الآية وقوله (إذا اتيتهم من أجورهم) أي مهورهم أي كما هن عسكات عفاقت فابذلوا لهم للهور عن طيب نفس وقد أتى جابر بن عبد الله وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصري بأن الرجل إذا نكح امرأة فزنت قبل دخوله بها أنه يفرق بينهما ، وترد عليه ما بذل لها من المهر رواه ابن جرير عنهم وقوله (حصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان) فكذا شرط الاحسان في النساء وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضا حصنا عفيفا ولهذا قال غير مسافحين وهم الزناة الذين لا يردعون عن مصيبة ولا يردون أنفسهم عن جادهم ولا متخذين أخدان أي ذوى المشقات الذين لا يخلصون إلا معهن كما تقدم في سورة النساء سواء ، ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقطع عما هو فيه من الزنا لهذه الآية وللحديث (لا ينكح الزاني المأثوم إلا مثله) وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لقد هممت أن لا أبيع أحدا أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج عصمة فقال له أبي بن كعب يا أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد قيل منه إذا تاب وسبأ الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا إزارا أو مشركة وحرم ذلك على المؤمنين) ولهذا قال تعالى ههنا (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَى الْمَاءِ فَغَسَّغُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعًا وَلِيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

قال كثيرون من السلف في قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) يعني وأنتم محدثون وقال آخرون إذا قمتم من النوم إلى الصلاة وكلاهما قريب . وقال آخرون بل الذي أهم من ذلك الآية أمره بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب وقد قيل إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الإسلام ثم نسخ وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم القنص توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر يا رسول الله إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال « إلى حمدا فقلت يا عمر » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد ووقع في سنن ابن ماجه عن سفيان عن محارب بن دثار بدل علقمة بن مرثد كلاما عن سليمان بن بريدة . وقال الترمذي حسن صحيح .

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى أخبرنا زياد بن عبد الله بن القليل البكائي حدثنا الفضل بن البشر قال رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد فإذا بال أو أحدث توضأ ومسح بفضل طهوره أختين فقلت أبا عبد الله أشيء تصنع برأيك ؟ قال بل رأيت النبي ﷺ يصنع فانا آمنه كما رأيت رسول الله يصنع وكذا رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن توبة عن زياد البكائي . وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحق

حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال رأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهر كان أو غير طاهر هي هو ؟ قال حدثت أمياً يشهد زيد بن الخطاب أن عبد الله بن خطبة بن النسيب حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهر كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث فكان عبد الله يرى أن به قوة في ذلك كان يضعه حتى مات وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الجعفي . محمد بن خالد التميمي عن محمد بن إسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن قال أبو داود ورواه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق فقال عبيد الله بن عمر يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد وأياما كان فهو إسناده صحيح وقد صرح ابن إسحق فيه بالتحديث والسامع من محمد بن يحيى ابن حبان فزال محدور التدليس لكن قال الحافظ ابن عساكر رواه سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد عن ابن إسحق عن محمد بن طلحة بن زيد بن ركانة عن محمد بن يحيى بن حبان به والله أعلم وفي قول ابن عمر هذا ومداومته على إسباغ الوضوء لكل صلاة دلالة على استحباب ذلك كما هو مذهب الجمهور

وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اللثمي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت مسعود بن علي الشيباني سمعت عكرمة يقول كان على رضى الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية وحدثنا ابن اللثمي حدثني وهب ابن جرير أخبرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن الزغال بن سيرة قال رأيت علياً صلى الله عليه وسلم قد قفنا في الرجة ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه ثم مسح برأسه ورجليه وقال هذا وضوء من لم يحدث وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم أن علياً أكتل من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز فقال هذا وضوء من لم يحدث ، وهذه طرق جيدة عن علي بن يقطين بضها بضاً .

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال توضأ عمر بن الخطاب وضوءاً فيه تجوز خفيماً قال هذا وضوء من لم يحدث وهذا إسناده صحيح . وقال محمد بن سيرين كان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة وأما ما رواه أبو داود الطيالسي عن أبي هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء فهو غريب عن سعيد بن المسيب ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد وأما مشروعيته استحباباً فقد دلت السنة على ذلك . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عمرو بن عامر الأنصاري سمعت أنس ابن مالك يقول كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة قال : قلت فأتيت كيف كنتم تصنعون ؟ قال كنا نصلّي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم نحدث ، وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو بن عامر به . وقال ابن جرير : حدثنا أبو سعيد البغدادي حدثنا إسحق بن منصور عن هريم عن عبد الرحمن بن زياد هو الأفرقي عن أبي عطف عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات » ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس عن الأفرقي عن أبي عطف عن ابن عمر فذكره وفيه قصة وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الأفرقي به نحوه وقال الترمذي وهو إسناده ضعيف .

وقال ابن جرير وقد قال قوم إن هذه الآية نزلت لإعلامنا من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال وذلك لأنه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ . حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن جابر عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى نزلت آية الرخصة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم عن أبي كريب به نحوه وهو حديث غريب جداً وجابر هذا هو ابن زيد الجعفي ضعفوه . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء فقدم إليه

طعام فقالوا ألا تأتلك بوضوء فقال « إنما أمرت بالوضوء إذا قُتِلَ إلى الصلاة » وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب عن إسماعيل وهو ابن علية . وقال الترمذي : هذا حديث حسن وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث عن ابن عباس قال كنا عند النبي ﷺ فأتى الخلاء ثم أتته رج فأتى بطعام قليل يارسول الله ألا توشأ فقال « لم أسأ فأتوشأ » . وقوله (فاعسلوا وجوهكم) قد استدل طائفة من العلماء بقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم) على وجوب النية في الوضوء لأن تقدير الكلام (إذا قمتم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم) لما قال قول العرب إذا رأيت الأمير قم أي له وقد ثبت في الصحيحين حديث (الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ويستحب أن يسفل كفيه قبل إدخالهما في الإناء . ويتأكد ذلك عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده إلى الإناء قبل أن يسلمها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أي يأت يده » . وحده الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ولا اعتبار بالصلح ولا بالنعم إلى منتهى الحيين والحقن طولاً ، ومن الأدنى إلى الأعلى عرضاً وفي الزرعيتين والتعديف خلاف هل هما من الرأس أو الوجه ، وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض قولان (أحدهما) أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع به للواجهة . وروى في حديث أن النبي ﷺ رأى رجلاً يغتسل لحيته فقال « اكشفها فإن اللحية من الوجه » وقال مجاهد هي من الوجه ألا تسمع إلى قول العرب في القلام إذا نبئت لحيتي طلع وجهي ، ويستحب للمعتوض أن يخلل لحيته إذا كانت كثيفة . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن حمر بن حمزة عن شقيق قال رأيت عثمان توشأ فذكر الحديث قال وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل النبي رأيتوني فعلت رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي : حسن صحيح وحسنه البخاري

وقال أبو داود حدثنا أبو ثوبة الريح بن نافع حدثنا أبو الليث حدثنا الوليد بن زوران عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توشأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكه يخلل به لحيته وقال « هكذا أمرني به ربي عز وجل » . فخر به أبو داود وقد روى هذا الوجه من غير وجه عن أنس قال البيهقي وروينا في تحليل اللحية عن حماد ومالك وأما سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن علي وغيره وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي ثم عن النخعي وجماعة من التابعين وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه في الصحاح وغيرها أنه كان إذا توشأ تيمض وتستنشق فاختلف الأئمة في ذلك هل لها واجب في الوضوء والفعل كما هو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله أو مستحبان فيها كما هو مذهب الشافعي ومالك لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة عن رفاع بن رافع الزرق أن النبي ﷺ قال للمسيء سلامته « توشأ كما أمرك الله » أو يجان في الفعل دون الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة أوجب الاستنشاق دون التيمض كما هو رواية عن الإمام أحمد لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من توشأ فليستنشق » وفي رواية « إذا توشأ أحدكم فليجعل في منخره من الماء ثم ليستر » والاعتبار هو البالغة في الاستنشاق

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه توشأ ففصل وجهه أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنشق ثم أخذ غرفة فبسل بها هكذا يعني أضافها إلى يده الأخرى فصل بها وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فصل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فصل بها يده اليسرى ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء ثم رشي على رجليه اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة من ماء فصل بها رجليه اليسرى ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يتوشأ . ورواه البخاري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي سلمة منصور بن

سلة الخراعى به وقوله (وأيديكم للرافق) أى مع الرافق كما قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً) وقد روى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي من طريق القاسم بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جده عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ إذا توشأ أدار لواء على مرقبيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث وجده ضعيف والله أعلم

ويستحب للمتوشأ أن يشرع في العصد فيفسله مع ذراعيه لما روى البخارى ومسلم من حديث نعم المجرم عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن أمي يدعوون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » وفي صحيح مسلم عن قتادة عن خلف بن خليفة عن أنى مالك الأشجعي عن أنى حازم عن أنى هريرة قال سمعت خليلي ﷺ يقول « تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » . وقوله تعالى (وأمسحوا برءوسكم) اختلفوا في هذه الباء هل هي للاستاق وهو الأطهر أو للتبعض وفيه نظر على قولين ومن الأصوليين من قال هذا محمل فليرجع في بيانه إلى السنة وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن حاصم وهو جد عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي ﷺ هل تستطيع أن تربي كيف كان رسول الله ﷺ يتوشأ ؟ فقال عبد الله بن زيد نعم فدا وضوءه فأفرغ على يديه فغسل يديه مرتين مرتين ثم تمضمض واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين إلى الرقبتين ثم مسح رأسه يديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجليه . وفي حديث عبد خير عن علي في صفة وضوء رسول الله ﷺ نحو هذا وروى أبو داود عن معاوية والقناد بن معد يركب في صفة وضوء رسول الله ﷺ مثله في هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح الرأس كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل لاسياً على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لا لأجل في القرآن . وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ربيع الرأس وهو مقدار الناصية وذهب أصحابنا إلى أنها يجب ما يطلق عليه اسم مسح ولا يتقدر ذلك بعد بلو مسح بعض شعره من رأسه أجزاء واحتج القرطبيان بحديث الثوري بن شعبة قال خلف النبي صلى الله عليه وسلم فتخلقت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأنيته بقطرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحصر عن ذراعيه فضاق كم الحبة فأخرج يديه من تحت الحبة وألقى الحبة على منكبيه فغسل ذراعيه ومسح بناصرته ، وعلى العامة وعلى خفيه . وقد ذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره فقال لهم أصحاب الإمام أحمد إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كل مسح بقية الرأس على العامة ونحن نقول بذلك وأنه يقع عن الوقوع كأوردت بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان مسح على العامة وعلى الخفين فهذا أولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو مسح الرأس من غير تكميل على العامة والله أعلم . ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثاً كما هو المشهور من مذهب الشافعي وإنما يستحب مسح واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين فقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عطاء بن زيد البجلي عن حمران بن أبان قال رأيت عثمان بن عفان توشأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه اليمنى إلى اللفق ثلاثاً ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم مسح برأسه ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً مثل ذلك ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توشأ نحو وضوئي هذا ثم قال « من توشأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما شيء غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه البخارى ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري بنحو هذا وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة عن عثمان في صفة الوضوء ومسح برأسه مرة واحدة وكذا من رواية عبد خير عن علي مثله . واحتج من استحب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توشأ ثلاثاً ثلاثاً وقال أبو داود حدثنا محمد بن الثني حدثنا الشجاع بن مخلد حدثنا عبد الرحمن بن وردان حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني حمران قال رأيت عثمان بن عفان توشأ فذكر نحوه ولم يذكر التضمض والاستنشاق قال فيه ثم مسح رأسه ثلاثاً ثم غسل رجليه ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توشأ هكذا وقال « من توشأ هكذا كذا » تفرد به أبو داود

ثم قال وأحاديث عثمان في الصحاح تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة . قوله (وأرجلكم إلى الكمين) قرئ
وأرجلكم بالنصب مطلقا في فاعلوا وجوهكم وأيديكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرة حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب
عن خلف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها وأرجلكم قول رجعت إلى التسليم وروى عن عبد الله بن مسعود وعروة
وعطاء وعكرمة والحسن وعجايد وإبراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وإبراهيم التيمي نحو
ذلك وهذه قراءة ظاهرة في وجوب التسليم كما قاله السلف ومن هنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما
هو مذهب الجمهور خلافاً لأن حنيفة حيث لم يشترط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه
أجزأه ذلك لأن الآية أمرت بفصل هذه الأعضاء والواو لا تدل على الترتيب وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا
البحث طرقاً فمنهم من قال الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة لأنه مأمور به بقاء التعقيب
وهي مقتضية للترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً ثم لا يجب الترتيب بعده بل القائل إثنان أحدهما
يوجب الترتيب كما هو واقع في الآية ، والآخر يقول لا يجب الترتيب مطلقاً والآية دلت على وجوب غسل الوجه
ابتداء فوجب الترتيب فيها بعد الإجماع حيث لا فارق ، ومنهم من قال لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب بل هي دالة كما
هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء ، ثم قول بتقدير تسليم كونها لا تدل على الترتيب اللغوي هي
دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب ، والدليل على ذلك أنه عليه السلام لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو
يتلو قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال « أبداً بما بدأ الله به » لفظ مسلم ، ولفظ النسائي « ابداً وبما
بدأ الله به » وهذا لفظ أمر وإسناده صحيح فدل على وجوب البداية بما بدأ الله به وهو معنى كونها تدل على الترتيب
شرعاً والله أعلم . ومنهم من قال لا ذكر الله تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا الترتيب فقطع النظر عن النظر
وأدخل المسح بين التسويين دل ذلك على إرادة الترتيب ومنهم من قال لا شك أنه قد روى أبو داود وغيره من
طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرة ثم قال « هذا وضوء لا يقبل الله
الصلاة إلا به » قالوا فلا يغفلوا إنما أنت يكون توضأ مرتباً فيجب الترتيب ، أو يكون توضأ غير مرتب فيجب عدم
الترتيب ولا قائل به فوجب ما ذكرناه : وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالتحسين : فقد احتج بها
الشعبة في قولهم بوجوب مسح الرجلين لأنها مضمومة على مسح الرأس . وقد روى عن طائفة من السلف ما يوم القول
بالمسح فقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه حدثنا حميد قال : قال موسى بن أنس لأنس ونحن عند
يا أبا حمزة إن الحاجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم وإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خيشه من قدميه فاعسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيهما فقال أنس
صدق الله وكذب الحاجاج قال الله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) قال وكان أنس إذا مسح قدميه بهما إسناده صحيح إليه
وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا عاصم الأحول عن أنس قال نزل القرآن بالمسح والسنة
بالتسليم . وهذا أيضاً إسناده صحيح . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن قيس الخبراني عن ابن جريج عن
عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال الوضوء غسلاً ومسحاً وكذا روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال
ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر اللقي حدثنا عبد الوهاب حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
(وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكمين) قال هو المسح ثم قال وروى عن ابن عمر وعقمة وأبي جعفر محمد بن
علي والحسن في إحدى الروايات وجابر بن زيد وعجايد في إحدى الروايات نحوه وقال ابن جرير حدثنا يعقوب
حدثنا ابن عليه حدثنا أيوب قال رأيت عكرمة يمسح على رجليه قال وكان يقوله . وقال ابن جرير حدثني أبو السائب
حدثنا ابن إدريس عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل جبريل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم إنما يمسح ما كان
غسلاً وبلغني ما كان مسحاً وحدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد أخبرنا إسماعيل قلت لأمير أن ثلثاً يقولون إن جبريل نزل
بمسح الرجلين فقال نزل جبريل بالمسح فهذه آثار غريبة جداً وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو التسليم الخفيف للسند كره

من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين ، وإما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب جعر ضب خرب وكقوله تعالى (عليهم ثياب سندس خضر واستبرق) وهذا ذائع شائع في لغة العرب سائح ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ، ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين ولكن المراد بذلك التسلي الخفيف كما وردت به السنة وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لا بد منه للأية والآحاديث التي سنوردها ، ومن أحسن ما يستدل على أن المسح يطلق على التسلي الخفيف مارواه الحافظ البيهقي حيث قال أخبرنا أبو علي الروزبادي حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حموية العسكري حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت التزالي بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ثم أتى بكوز من ماء فأخذ منه خفة واحدة لمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ثم قام فشرّب فضله وهو قائم ثم قال إن ناساً يكرهون الشرب قائماً وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت وقال « هذا وضوء من لم يحدث » رواه البخاري في الصحيح عن آدم يعرض معناه . ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يمسح الحنف قد ضل وأضل وكذا من جوز مسحهما وجوز غسلهما قد أخطأ أيضاً ومن قل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث وأوجب مسحهما للأية فلم يحقق مذهبه في ذلك فإن كلامه في نفسه إنما يدل على أنه أراد أنه يجب ذلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء لأنهما بليان الأرض والطين وغير ذلك فأوجب ذلكهما لينذهب ما عليهما ولكنه عبر عن ذلك بالمسح فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما فحكاه من حكاه كذلك ولهذا يستدل كثير من الفقهاء وهو مذكور فانه لا معنى لجمع بين المسح والتسلي سواء تقدم أو تأخر عليه لاندرجيه فيه وإما أراد الرجل ما ذكرته والله أعلم : ثم تأملت كلامه أيضاً فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله (وأرجلكم) خفضاً على المسح وهو الدلك ونصباً على التسلي فأوجبهما أخذاً بالجمع بين هذه وهذه

(ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه)

قد تقدم في حديث أمير المؤمنين عان وعلى وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والقناد بن مديكرب أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه إما مرة وإما مرتين أو ثلاثاً على اختلاف رواياتهم وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ فغسل قدميه ثم قال « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي هريرة عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفره سافرناها فأدركتنا وقد أزهقت الصلاة صلاة العصر ونحن توضأ فجلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته « أسبنوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : « أسبنوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » وروى الليث بن سعد عن حبة بن شريح عن عتبة بن مسلم عن عبد الله بن الحارث بن حرز أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للأعقاب ويطون الأقدام من النار » رواه البيهقي والحاكم وهذا إسناد صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق أنه سمع سعيد بن أبي كروب أو شعيب بن أبي كروب قال سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للمراقب من النار » وحدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن سعيد بن أبي كروب عن جابر بن عبد الله قال رأى النبي ﷺ في رجل رجل مثل الدرهم لم يفسله فقال « ويل للأعقاب من النار » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن أبي إسحق عن سعيد بن عوف وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي إسحق السبيعي عن سعيد بن أبي كروب عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ثم قال حدثنا علي بن مسلم حدثنا عبد الصمد

ابن عبد الوراث حدثنا حفص عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى قوما يتوضئون لمصب أعقابهم للماء فقال « ويل للأعقاب من النار » وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أيوب بن عقبة عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن عبيد بن عبيد الله ﷺ قال رسول الله ﷺ « ويل للأعقاب من النار » ثم ربه به أحمد وقال ابن جرير حدثني علي بن عبد الأعلى حدثنا الحارثي عن مطر عن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « ويل للأعقاب من النار » قال فما بقي في المسجد شريف ولا ضيق إلا نظرت إليه قلب عروفيه ينظر إليهما . وحدثنا أبو كريب حدثنا حسين عن زائدة عن ليث حدثني عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة أو عن أخى أبي أمامة أن رسول الله ﷺ أبصر قوما يصلون وفي عقب أحدهم أو كعب أحدهم مثل موضع الحرم أو موضع الظفر لمسه للماء فقال « ويل للأعقاب من النار » قال فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً لم يصب للماء أعاد وضوءه . ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما أو أنه يجوز ذلك فهما لما تواعد على تركه لأن السج لا يتوجب جميع الرجل بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف وهكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى وقد روى مسلم في صحيحه من طريق أبي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب أن رجلاً توساً فترك موضع ظفر على قدمه فبصره النبي ﷺ وقال « ارجع فأحسن وضوءك » وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الصنعاني حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة بن دعامة قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ قد توساً وترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجع فأحسن وضوءك » وهكذا رواه أبو داود عن هرون بن معروف وابن ماجه عن حرمة ويحيى كلاهما عن ابن وهب به وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات لكن قال أبو داود ليس هذا الحديث بمعروف لم يروه إلا ابن وهب وحدثنا موسى بن إسحاق حدثنا حماد أخبرنا يونس وحميد عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حديث قتادة

وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية حدثني يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي ﷺ رأى رجلاً يسلي وفي ظهر قدمه لمة قدر الحرم لمصبها للماء فأمره رسول الله ﷺ أن يمسح الوضوء . ورواه أبو داود من حديث بقية وزاد والصلاة وهذا إسناد خيد قوي صحيح والله أعلم .

وفي حديث حمران عن عثمان في سفة وضوء النبي ﷺ أنه دخل بين أصابعه . وروى أهل السنن من حديث إسحاق بن كثير عن عامر بن قتيب بن صبرة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء فقال « أمسح الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن للقرى حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شدداد بن عبد الله السمشي قال : قال أبو أمامة حدثنا عمرو بن عيسى قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال « ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يمسح بوضوءه ويستنشق ويستر إلا خرت خطايه من فقه وخياشيعه مع الماء حين يستر ، ثم يسفل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايه وجهه من أطراف لحيتيه مع الماء ، ثم يسفل يديه إلى اللرققين إلا خرت خطايه يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايه رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يسفل قدميه إلى الكسكين كما أمره الله إلا خرت خطايه قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » قال أبو أمامة يأمروا انظر ما تقول سمعت هذا من رسول الله ﷺ أعطى هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن عيسى يا أبا أمامة لقد كبرت سنن ورق عظمي وأقرب أجلى وما بي حاجة أن أكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة

أو مرتين أو ثلاثاً . قد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك وهذا إسناد صحيح وهو في صحيح مسلم من وجه آخر وفيه ثم فصل قديمه كما أمره الله فدل على أن القرآن يأمر بالفصل ، وهكذا روى أبو إسحق السبيعي عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : غسلوا القدمين إلى الكعبين كما أمرتم ، ومن هنا يتضح لك المراد من حديث عبد خير عن علي أن رسول الله ﷺ رضى على قديمه ثلاثاً ، وهذا في التلطين فدل كنهها إنما أراد غسلها خفيفاً وهذا في التلطين ولا مانع من إبعاد الفسل والرجل في نعلها ولكن في هذا رد على التعميق والتلطين من اللوسوسين . وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه وهو من روايته عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال : أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه ، وهو حديث صحيح . وقد أجاب ابن جرير عنه بأن التلقات الحفاظ روي عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال فبال قائماً ثم توضأ ومسح على خفيه قلت ومحمل الجمع بينهما بأن يكون في رجله خفان وعليهما نعلان وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل حديثاً يجهي عن شعبة حديثي يعل عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على نعليه ثم قام إلى الصلاة . وقد رواه أبو داود عن مسدد وعبد بن موسى كلاهما عن هشيم عن يعل بن عطاء عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن طريق هشيم ثم قال وهذا محمول على أنه توضأ كذلك وهو غير محدث إذ كان غير جائز أن تكون فراش الله وسن رسول الله متنافية متعارضة وقد صرحه صلى الله عليه وسلم الأمر بمسح على القدمين في الوضوء بالماء بالنقل للفتن في القاطع عن من انتهى إليه وبلغه ، ولما كان القرآن أمراً بفصل الرجلين كما في قراءة النصب وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليها ثم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين وقد روى ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن لم يصح إسناده ثم الثالث عنه خلافة وليس كما زعموه فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة وقال الإمام أحمد . حدثنا حاتم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن علقمة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي قال أنا أنسأت بعد نزول المائدة وأنا رأيت رسول الله ﷺ مسح بعدما أنسأت فزدد به أحمد وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم عن همام قال قال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه قليل فقل هذا ؟ فقال نعم رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه قال الأعمش قال إبراهيم فكان يسحبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة : فقط مسلم وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلًا كما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير مع ما يحتاج إلى ذكره هناك من تأقيت المسح أو عدمه أو التفصيل فيه كما هو مبسوط في موضعه وقد خالفت الروايف في ذلك بلا مستند بل بهمل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي ﷺ انتهى عن نكاح المتعة وهم يستيحبونها ، وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فصل رسول الله ﷺ على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة ، وهم مخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر وفيه الحمد ، وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين فتقدمهم أنهما في ظهر القدم فتقدم في كل رجل كعب وعند الجمهور أن الكعبين هما العظمان الثنتان عند مفصل الساق والقدم . قال الربيع قال الشافعي لم أعم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الثنتان وهما مع مفصل الساق والقدم هذا لفظه فتد الأئمة رحمهم الله في كل قسم كعبان كما هو المعروف عند الناس وكادلت عليه السنة في الصحيحين من طريق حمران عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله لئلا يلبس الكعبين واليسرى مثل ذلك

وزوى البخاري نعتياً مجزوماً به وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسين بن الحارث الجذلي عن النعمان بن بشير قال أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال « أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم » قال فرأيت الرجل يلقى كعبه بكعب صاحبه وركبته بركبة صاحبه ومنكبه بمنكبه

لفظ ابن خزيمة فليس يمكن ان يرق كعب بكعب صاحبه إلا والرد به العظم الثاني في الساق حتى يحاذي كعب الآخر
فدل ذلك على ما ذكرناه من أنهما العظمان الثانتان عند مفصل الساق والقدم كما هو مذهب أهل السنة . وقد قال ابن
أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن موسى أخبرنا شريك عن يحيى بن الحارث التيمي بنى الحارث قال نظرت في قفلي
أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم تنكيلاً بهم في عقابهم الحق
وإصرارهم عليه . وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) كل ذلك قد تقدم للكلام عليه في تفسير آية النساء فلا حاجة
بنا إلى إعادته ثلاثاً بطول الكلام . وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك لكن البخاري روى هنا حديثاً خاصاً بهذه
الآية الكريمة فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن
أبيه عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبداء ونحن داخلون المدينة فأتنا رسول الله ﷺ ونزل قتي رأسه
في حجرى راقداً فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة فتصنيت للوث لمكان رسول الله
الله ﷺ منى وقد أوجنى ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتس للماء فلم يوجد
فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) إلى آخر الآية فقال أسيد بن الحضير لقد بارك الله
لناس فيكم يا آل أبي بكر ما أتم إلا بركة لهم . وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم حرج) أى فلما ساهل عليكم
وسر ولم يصعب بل أباح التيمم عند اللزوم وعند قد لاء توسعة عليكم ورحمة بكم وجهه في حق من شرع له يقوم
مقام لاء إلا من يرضى الوجوه كما تقدم بيانه وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير . وقوله تعالى (ولكن يريد
ليظهركم وليت نعمت عليكم لعلكم تشكرون) أى لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والراحة
والرحمة والتسهيل والسباحة وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بأن يجعل فاعله من التطهرين المأخذين
في امثال هذه الآية الكريمة كما رواه الامام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عتبة بن مامر قال كانت علينا راية الإبل فجاءت
نوبتي فروحتها بشئ فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله « مامن مسلم يتوضأ
فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما يلقيه وجهه ولا وجبت له الجنة » قال : قلت ما أجود هذه فإذا
قال يمين يدي يقول التي قبلها أجود منها فنظرت فإذا عمر رضى الله عنه فقال إني قد رأيتك جئت أنا قال « ما منكم
من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب
الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » فقط مسلم . وقال مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول
الله ﷺ قال « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع
الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها بياه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا
غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها برجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » رواه مسلم
عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن مالك به : وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان
عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ « مامن رجل يتوضأ فيغسل يديه
أو ذراعيه إلا خرجت خطاياه ، منها فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه فإذا مسح رأسه خرجت خطاياه من
رأسه فإذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله » هذا لفظه وقد رواه الإمام أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبان
منصور عن سالم عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي عن النبي ﷺ قال « وإذا توضأ العبد فصل يديه خرجت خطاياه
من يمين يديه وإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه وإذا غسل رجله
خرجت خطاياه من رجله » قال شعبة ولم يذكر مسح الرأس وهذا إسناد صحيح
وروى ابن جرير من طريق ثمر بن عطيعة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « من
توضأ فاحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من ممهه وبصره وبديه ورجليه » وروى مسلم في صحيحه من حديث

يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده مطحور عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « الطهور شطر الإيمان وأجلده ثمة تملأ للزنان وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض والصوم جنة والصبر ضياء والصدقة برهان والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فإثنى تسه فتمتها أو موبقها » وفي صحيح مسلم من رواية ممالك بن حرب عن مصعب بن سعد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة بغير طهور » وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبي الليث الهذلي يحدث عن أبيه قال كنت مع رسول الله ﷺ في بيت فسمعت يقول « إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول » وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَدْلُوا أَعْدَاءَكُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ أَنْ يَسْطُلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم ، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد واليثاق في مبايعة على متابته ومناصرتة ومؤازرته . وإقيام بدينه وإبلاغه عنه وقوله منه فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند إسلامهم كما قالوا بايعة رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ، وقال الله تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسبكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين) وقيل هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من الرائيق والمعهود في متابعة محمد ﷺ والالتقاد لشرعه رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشدهم على أنفسهم (ألتست برسبكم قالوا بلى شهدنا) قاله مجاهد ومقاتل بن حيان والقول الأول أظهر وهو المحكى عن ابن عباس والسدى واختاره ابن جرير ثم قال تعالى (واتقوا الله) تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال ثم أعلمهم أنه يعلم ما يختلج في الضمائر من الأسرار والحواطر فقال (إن الله علم بذات الصدور) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) أي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة وكونوا (شهداء بالقسط) أي بالعدل لا بالجور وقد ثبت في الصحيحين عن الثمان بن بشير أنه قال تخلى أي تخلوا فقلت أي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاوبه ليشهد على صدقي فقال « أكل ولدك نخلت مثله » قال لا تقال « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » وقال « إنى لا أشهد على جور » قال فرجع أي فرد تلك الصدقة . وقوله تعالى (ولا يجرمكم شتان قوم على أن لا تمدلوا) أي لا يعملنكم بفن قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صدقاً كان أو عدواً ولهذا قال (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه ودل القمل على اللص الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) وقوله : هو أقرب للتقوى من باب استعمال أفضل التفضيل

في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)
وكتول بعض السمايات لعمر أنت أظف وأغلظ من رسول الله ﷺ ثم قال تعالى (واثقوا إن الله خير بما
تعملون) أي وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال بعده
(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي لتوبهم (وأجر عظيم) وهو الجنة التي هي من رحمته على
عباده لا يتناولها بأعمالهم بل برحمته منه وفضل وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم وهو تعالى الذي جعلها أسبابا
إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل منه وله فله الحمد والمنة ثم قال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
أصحاب الجحيم) وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجوز فيه بل هو الحكم العدل الحكيم القدير وقوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قوم أن يسطوا عليكم أيديهم فكف بأيديهم عنكم) قال
عبد الرزاق أخرنا معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وغرق
الناس في المضاء يستظلون تحتها وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخذته فسلم فأخذته فسلم ثم أقبل على النبي ﷺ فقال من يملك من يملك مني قال « الله عز وجل » قال الأعرابي مرتين أو ثلاثا من
يملك مني ؟ والنبي ﷺ يقول « الله » قال فقام الأعرابي السيف فطأ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر
الأعرابي وهو جالس إلى جنبه ولم يعبه . وقال معمر كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قوما من العرب أرادوا
أن يقتلوا رسول الله ﷺ فأرسلوا هذه الأعرابي وتأول (اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قوم أن يسطوا عليكم
أيديهم) الآية وقصة هذا الأعرابي وهو غوث بن الحارث ثابتة في الصحيح وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية
(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قوم أن يسطوا عليكم أيديهم فكف بأيديهم عنكم) وذلك أن قوما
من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولأصحابه طعاما ليقنطروهم فأوحى الله إليهم بأنهم فلبات الطعام وأمر أصحابه فأقوه
رواه ابن أبي حاتم وقال أبو مالك نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه حين أرادوا أن يفتدوا بجمدة وأصحابه في
دار كعب بن الأشرف رواه ابن أبي حاتم وذكر محمد بن إسحق بن يسار وعجاده وعكرمة وغير واحد أنها نزلت
في شأن بني النضير حين أرادوا أن يقتلوا على رأس رسول الله ﷺ الرحي لما جاءهم يستعينهم في دية النضيرين ووكلوا
عمرو بن جحاش بن كعب بذلك وأمره إن جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقى تلك
الرحي من فوقه فأطلع الله النبي ﷺ على ما تمالأوا عليه فرجع إلى المدينة وبيعه أصحابه فأزول الله في ذلك هذه الآية
وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني من توكل على الله كفاه الله ما أهمه وحفظه من شر الناس وعصمه
ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقدو إليهم فخاصهم حتى آتاهم فأجلاهم

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْسَمْتُ
أَلَّا تَكُونُوا أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كُفْرًا وَأَقْرَبُهُمْ نَقْرًا فَخَافُوا اللَّهَ فَرَضُوا لَكُمْ سِتْرًا لَكُمْ وَمِنْهُمَا
وَلَا تَخْلِكُكُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ • فِيمَا
نَقُصِبُ بِهِ نَفْسُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا
تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ • وَمَنْ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا تَصْرِى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَقَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْبَغْوَ وَالْبَغْوَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيأخذهم له من الحق والهدى شرع يبين لهم كيف أخذ اليهود والملائكة على من كان قبلهم من أهل الكتابين اليهود والنصارى فلما قضوا عهوده وميثاقه أمّتهم ذلك لنا منه لهم ، وطردا عن يابه وجنابه ، وحجبا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح قال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبشأنهم اثني عشر شعبا) يعني عرفاء على قبائلهم بالمباينة والسمع والطاعة لله ولرسوله وكتابه وقد ذكر ابن عباس عن ابن إسحق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبارية فأمر بأن يقيم شعباً من كل سبط فقبيل قال محمد بن إسحق فكان من سبط روبيل شامون بن ركون ومن سبط شمعون شافاط بن حري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط أدن من ميخائيل بن يوسف ومن سبط يوسف وهو سبط إفرايم يوشع بن نون ومن سبط بنيامين قلطم بن دفون ومن سبط زبولون جدى بن شوري ومن سبط منشا بن يوسف جدى بن موسى ومن سبط دان خلائيل بن حملي ومن سبط أشار ساطور بن ملكيل ومن سبط نفتالي جحر بن قسي ومن سبط يساخر لايال بن مكيد وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء عشائره لما ذكره ابن إسحق والله أعلم قال فيها قتل بني روبيل اليسور بن سادون وعلى بن شمعون شعوال بن مورشي وعلى بن يهوذا الحشون بن عيذاب وعلى بني يساخر شال بن صامون وعلى بني زبولون الياي بن حالوب وعلى بني إفرايم منشا بن عتهور وعلى بني منشا حليائيل بن يرسون وعلى بني بنيامين أيدين بن جدعون وعلى بني دان جيندر بن عيشدي وعلى بني أشار نحاييل بن همران وعلى بني كان السيف بن دعوايل وعلى بني نفتالي أجزع بن عيمان . وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر شعباً ثلاثة من الأوس وهم أسيد بن الحضير وسعد بن خزيمة ورفاعة بن عبد المنذر ويقال بله أبو الهيثم ابن إسماعيل رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع ابن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن الصامت وسعد بن عباد وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمرو بن حنشل (١) رضي الله عنهم وقد ذكرهم كتب ابن مالك في شعر له كما أوردته ابن إسحق رحمه الله وللقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتذعن أمر النبي ﷺ لهم بذلك وهم الذين ولوا المقاتلة والمباينة عن قومهم لئلا صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن مجاهد عن الشعي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألت رسول الله ﷺ كم ملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ولقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اثنا عشر كعدة قهباة بني إسرائيل » هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا يزال أمر الناس ما مضى ماويلهم اثنا عشر رجلا » ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت على فئات أي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « كلهم من قريش » وهذا لفظ مسلم . ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا توألهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لاهلها والظاهر أن منهم للهدى للبشر به في الأحاديث الواردة بذلك فذكر أنه يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه فيعلا الأرض عدلا وقسطا كما ملكت جورا وظلما وليس هذا بالمنتظر الذي توهمه الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة ، وتوهم الخيالات الضعيفة وليس للراد هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الذين يتقدم فيهم الاثنا عشرة من الروافض لجهلهم وقلة عقولهم وفي التوراة البشارة بإسمائيل عليه (١) قوله عمر بن حنشل كنا يأسلم وحرو .

السلام وأن الله يقبض من صلبه اثني عشر عظيماً وهو لا داء الحلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبسبب الجبهة عن أسلم من اليهود إذا اقرن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر فيقتبص كثير منهم جلا وسفها قلعة عليهم وعلم من قنهم ذلك بالسنة الثانية عن النبي ﷺ وقوله تعالى (وقال الله إلى مكي) أي يحفظني وكلاهما ونصري (لئن أقم الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي) أي صدقتموما فيما يجئكم به من الوحي (وعزوتهم) أي نصرتهم ووازيهم على الحق (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) وهو الاتفاق في سبيله وابتناء مرضاته (لأكفرن عنكم سيئاتكم) أي ذنوبكم أعوها وأسترها ولا تأخذكم بها (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي أدفع عنكم المحذور وأحصل لكم المقصود وقوله (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) أي فمن خالف هذا لليثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجعله عاملاً معاملة من لا يعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح وعمل عن الهدى إلى الضلال ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه وحضهم عهده فقال (فما حضهم بميثاقهم لعنهم) أي فيسبب تحضهم لليثاق الذي أخذ عليهم لعنهم أي أبعدناهم عن الحق وطردهم عن الهدى (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي فلا يتعظون بموعظة لفظها وقساوتها (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي فسدت فهمهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل عياناً بالله من ذلك (ونسوا حظاً مما ذكروا به) أي وتركوا العمل به رغبة عنه وقال الحسن تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها وقال غيره تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) يعني مكرمهم وغدرهم لك ولأصحابك وقال مجاهد وغيره يعني بذلك تعالؤهم على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم (فأغف عنهم واصفح) وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بثل أن تطيع الله فيه وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله أن يهديهم ولهذا قال تعالى (إن الله يحب المحسنين) يعني بالصفحة عن أساء إليك وقال قتادة هذه الآية فأغف عنهم واصفح منسوخة بقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية . وقوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) أي ومن الذين ادعوا لأشهرهم أنهم نصارى متابعون المسيح بن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم اليهود واللواتيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته وموازرته واقضاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا اللواتيق وحضوا اليهود ولهذا قال تعالى (فسنوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين بكفر بعضهم بعضاً ويعلن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها طليج مبيها فالملكية تكفر اليهودية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والآروسية كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد ثم قال تعالى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وهذا تهديد وعيد أكد للنصارى على ما أبركوه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه إلى الرب عز وجل وتعالى وشهد عن قولهم علواً كبيراً من جعلهم له ساجدة وولداً تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتٰبِ وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتٰبِ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا ۖ قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتٰبٌ مُّبِينٌ ۚ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَفُجِّرْهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

يقول تعالى خبراً عن هذه الكريمة أنه قد أرسل رسولاً محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض عربهم ويهمهم أمهم وكتابهم وأنه يته بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما

كنتم تحضون من الكتاب ويضو عن كثير) أى بين ما بدلوه وحرفوه وأولوه واقتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال من كفر بالرجم قد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب قوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تحضون من الكتاب) فكان الراجح مما أخفوه ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذى أنزله على نبيه الكريم فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) أى طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) أى ينجيهم من اللهاك ، ويوضح لهم أئين المسالك فيصرف عنهم المهدور ، ويحصل لهم أحب الأمور ، وينقذهم من الضلالة ويرشدكم إلى أقوم حالة

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكُمُ السَّيْحَ أَيْنَ مَرْيَمُ أَأَمَةٌ وَتَنْ فِي الْأَرْضِ حَيْمًا وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

يقول تعالى مخبرا وحاكيا بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح بن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم قال مخبرا عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه (قل لمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) أى لو أراد ذلك فذى الله الذى كان ينمونه وأومن ذا الذى يند على صرفه عن ذلك ثم قال (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء) أى جميع الموجودات ملكه وخلقها وهو القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعده وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله للتأية إلى يوم القيامة : ثم قال تعالى إذا دعا على اليهود والنصارى في كذبهم واقتراهم) وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أى نحن منتسبون إلى أبنائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا وتعالى عن كتابهم أن الله تعالى قال لبيد إسرائيل أنت ابني بكرى فحبوا هذا على غير تأويله وحرفوه وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلاهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التتريف والاكرام كما فعل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم يعنى ربي وربكم ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوا في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوظهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه . قال الله تعالى إذا دعا عليهم (قل فلهم يندبكم بذنوبكم) أى لو كنتم كما تدعون آياده وأحباؤه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم واقتراكم ؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يندب حبيبه فلم يرد عليه تتلا عليه الصوفى هذه الآية (قل فلم يندبكم بذنوبكم) وهذا الذى قاله حسن وله شاهد في السند للإمام أحمد حيث قال حدثنا ابن أبي عدى عن حميد عن أنس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ولدها في النار قال فتنظروهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال (لا والله ما يقبل حبيبه في النار) ثم رد به أحمد (بل أنتم جبر من خلق) أى لكم أسوة أمثالكم من بني آدم وهو سبحانه الحاكم في جميع عباد (ينظر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى هو فعال لما يريد لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أى لجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه (وإليه المصير) أى الرجوع والسالك إليه فيحكم في عبادته بما يشاء وهو العادل الذى لا يجوز وروى محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد

عن عكرمة أوسعيد بن جبير عن ابن عباس قال وآى رسول الله ﷺ نعمان بن أمية وعمر بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلهم رسول الله ﷺ ودام إلى الله وحذرهم فتمته فقالوا ماخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحبوه كقول النصارى فانزل الله فيهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبوه) إلى آخر الآية رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وروى أيضا من طريق أسباط عن السدى في قول الله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبوه) أما قولهم نحن أبناء الله فأنهم قالوا إن الله وحى إلى إسرائيل أن ولدك بكرى من الولد فدخلهم النار فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وقاتل خطاياهم ثم نادى مناد أن أخرجوا كل غثون من ولد إسرائيل فأخرجهم فذلك قولهم لن نخسنا النار إلا ليلا معدودات ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذى لا نبي بعده ولا رسول بل هو الملقب بلجمعهم ولهذا قال على فترة من الرسل أى بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هى فقال أبو عثمان البدى وقادة في رواية عنه كانت ستائة سنة ورواه البخارى عن سلمان الفارسى وعن قتادة خبائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه خبائة وأربعون سنة وقال الفاضل أربعة وأربعون سنة وثلاثون سنة وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي أنه قال ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعائة وثلاث وثلاثون سنة والمشهور هو القول الأول وهو أنها ستائة سنة ومنهم من يقول ستائة وعشرون سنة ولا منافاة بينهما فإن القائل الأول أراد ستائة سنة شمسية والآخر أراد قرية وبين كل مائة سنة شمسية وبين القرية نحو من ثلاث سنين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) أى قرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التى كانت معلومة لأهل الكتاب^(١) وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بنى إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين كما ثبت على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أنا أولى الناس بـبن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبي» وهذا فيه رد على من زعم أنه بث بعد عيسى نبي يقال له خالف بن سنان كما حكاه القضاة وغيره وللقصود أن الله بث محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وطعوس من السبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والثران والصلبان فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أرحمهم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجبل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلا من التمسكين يقيمون دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أجيال اليهود وعباد النصارى والصابئين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد الجاشمي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته «وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جعلتم على فروعى هذا كل مال خلعت عبادى حلال وإن خلقت عبادى حنفا كلهم، وإن الشياطين أنهم فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا في مالم أنزل به سلطانا ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض ففقههم فجهلهم وعجمهم إلا قبائلا من بنى إسرائيل وقال إنما يفتشك لأتليك وأبلى بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء فقرأ ناعسا وقطانا، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت يارب إذن ثقلوا رأسي فيدعوه خيرة فقال استخرجهم كما استخرجوك واغرمم نزلوك وأحق عليهم فسنفق عليك وإبش جيشا نبث خمسة أمثاله وقتل بن أطاعك من عساك وأهل الجنة ثلاثة دولطان مقسط موقف متصدق ورجل رقيم رقيق القلب بكل ذى قرنى ومسلم ورجل غفيف تقير ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا دين له والدين هم فيكم تبع أوتيا - شك يحيى - لا يبتون أهلا ولا مالا، والحانث الذى لا يخفى له طمع وإن دق لإخانه، ورجل لا يصحب ولا يصح إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذو كر البخل والكتب والشظير

(١) الضيق الواقع للحساب الفلكى أن الهجرة النبوية كانت سنة ٦٢٢ ميلاد المسيح والبنة كانت قبل الهجرة بمئتين وبعشرون وبعشرا وأربعين فهنا قريب مما اعتمد المؤلف .

القاضي ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح ببيع قتادة هذا الحديث من مطرف وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف وإجماعهم من أربعة عنه ثم رواه هوعن روح عن عوف عن حكيم الأثرم عن الحسن قال حدثني مطرف عن عباس بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الأعرابي وللقصود من إيراد هذا الحديث قوله «وإن الله نظر إلى أهل الأرض ففتحهم جميعهم وعبرهم بالإيمان من بني إسرائيل» وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب وكان الذين قد التمس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمدا ﷺ فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحبة البيضاء والشرعة الفراء ولهذا قال تعالى (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) أي لا تلتجأوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيره ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمدا ﷺ (والله على كل شيء بقدير) قال ابن جرير معناه إنه قادر على عقاب من عصاى ونواب من أطاعى

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَالًا يَوْمَ أَتَاكُمْ مِنَ الْمَلِكِ • يَقُومُوا أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْقُدْسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ • وَلَا تَزْنُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنُفَرُوا خَيْرِينَ • قَالُوا يُوسَى إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَارْكَبُوا عَلَيْهِمْ وَحَتَّى اللَّهُ فَتَحَهُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • قَالُوا يُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَتَحِيلَا إِنَّا هَهُنَا قَائِدُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ • قَالَ فَإِنِهَا حَرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَذِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ •)

يقول تعالى خبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام فيما ذكر به قومه من نعم الله عليهم وآلائه عليهم في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم للفتنة فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ) أي كما هلك بني قاي فيكم بني من لدن أنبياءكم إبراهيم إلى من بعده وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون قمته حتى ختموا ببسبي بن مريم عليه السلام ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله للنسب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم وقوله (وجعلكم ملوكا) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم وأخبره عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال الخادم والمرأة والبيت وروى الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضا عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عباس قال للمرأة والخادم (وَأَتَاكُمْ مَالٌ يَوْمَ أَتَاكُمْ مِنَ الْمَلِكِ) قال الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار مملوكا وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحنبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنتم قراء المهاجرين فقال عبد الله ألك امرأة تأوى إليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم ، قال فأنت من الأغنياء . فقال إن لي خادما قال فأنت من الملوك وقال الحسن البصري : هل الملك إلا مركب وخادم ودار رواه ابن جرير ، ثم روى عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحو من هذا وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران وقال ابن شوذب

كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم واستؤذن عليه فهو ملك . وقال قتادة كانوا أول من اتخذ الخدم وقال السدي في قوله (وجعلكم ملوكا) قال علك الرجل منكم شبه ملوك وأهل رواء ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدكم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنا الأثير ابن بكار حدثنا أبو حمزة أنس بن عياض سمعت زيد بن أسلم يقول وجعلكم ملوكا فلا أعلم إلا أنه قال : قال رسول الله ﷺ من كان له بيت وخادم فهو ملك وهذا مرسل غريب . وقال مالك : بيت وخادم وزوجة (١) وقد ورد في الحديث « من أصبح منكم معافى في جسده أمنا في سره عنه قوت يومه فكمنا حيزت له الدنيا بحذاقها » وقوله (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني على زمانكم فانهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم كما قال (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) وقال تعالى إخبارا عن موسى لما قالوا (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » إن هؤلاء متبرماهم فيه واطل ما كانوا يعملون » قال غير الله أنبيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) وللقصود أنهم كانوا أفضل زمانهم وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله وأكمل شريعة وأقوم منهاجا وأكرم نبيا وأعظم ملوكا وأغزر أرزاقا وأكثر أمولا وأولادا وأوسع ملكة وأدوم عزا قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ذكرنا بالأحاديث للتواتر في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها عند الله عند قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) من سورة آل عمران وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله (وآتاكم ما لم يؤت أحدا) مع هذه الأمة والجمهور أن الله خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما تقدمنا . وقيل للراد وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يعني بذلك ما كان تعالى نزه عليهم من اللئ والسوء وبطلهم به من النعام وغير ذلك مما كان تعالى يفضيهم به من خوارق العادات فانه أعلم . ثم قال تعالى خبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والنحول إلى بيت القدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنيه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجدوا فيها قوما من العمالة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالنحول إليها ويقتال أعدائهم ويشرهم بالنصرة والظفر عليهم فنكروا وعصوا وخالقوا أمره فسبقوا بالتهاب في التيه والتمادي في سيرهم حافرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد مدقأرين سنة عقوبة لهم على تحريضهم في أمر الله تعالى . فقال تعالى خبرا عن موسى أنه قال يا قومي ادخلوا الأرض للقدس أي للطهرة وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ادخلوا الأرض للقدس قال هي الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغير واحد وروى سفيان الثوري عن أبي سعيد البجلي عن كثرمة عن ابن عباس قال هي أرضهم وكذا ذكر عن غير واحد من للقرين وفي هذا نظر لأن أرضهم ليست هي للقصود بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت القدس وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوم فرعون إلا أن يكون للراد بأرضهم أرض بيت القدس كما قاله السدي فيارواه ابن جرير عنه لأن للراد بها هذه البلدة للعرفة في طرفه بالطور شرقي بيت القدس وقوله تعالى (التي كتب الله لكم) أي التي وعدكوها الله على لسان أبيكم إسرائيل أنه وراثته من آمن منكم (ولا تردوا على أدياركم) أي ولا تتكلموا عن الجهاد وتقتلوا أخا سريين . قالوا يا موسى إن فينا قوما جبارين وإننا لندخلها حتى نخرجوا منها فإن يخرجوا منها فانا داخلون (أي اعتدروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقال أهلها قوما جبارين ذوي خلق هائل وقوى شديدة ، وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصالحتهم ولا يمكننا الدخول إليها ماداموا فيها فان يخرجوا منها ندخلها وإلا فلا طائفة لنا بهم . وقد قال ابن جرير حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن يشار حدثنا سفيان قال : قال أبو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس قال أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين قال فسار موسى بمن

معه حتى نزل قريبا من المدينة وهي أريحا فبعث إليهم اثني عشر عيا من كل سبط منهم عيا ليا توه بخير القوم قال فدخلوا
 المدينة فقرأوا أمرا عظيما من هيئتهم وجسمهم وعظمتهم فدخلوا حائطا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليحتمي الثمار من
 حائطه فجعل يحتمي الثمار وينظر إلى آثارهم فتنبههم فكلما أصاب واحدا منهم أخذته فحصله في كفه مع الفاكهة حتى انقطع الاتي
 عشر كلهم فجعلهم في كفه مع الفاكهة وذهب بهم إلى ملكهم فترهم بن يديه ، فقال لهم الملك قد رأيتم شأنا وأمرنا
 فأذهبوا فأخبروا صاحبكم قال فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم : وفي هذا الإسناد نظر (١) وقال على
 ابن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه بثمنهم اثني عشر رجلا وهم النقاء الذين ذكرهم الله فيعظم ليا توه
 بخيرهم فساروا فلقبهم رجل من الجبارين فجعلهم في كسائه فجعلهم حتى آتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا إليه فقالوا
 من أنت ؟ قالوا نحن قوم موسى بثنا نأتيه بخيركم فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم اذهبوا إلى موسى وقومه
 فقولوا لهم هذا قدر فاكهتهم ، فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتلهم
 قالوا يا موسى اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا
 يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهادي حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال رأيت أنس بن مالك أخذ عصا فذرع فيها شيء لا أدري
 كم ذرع ثم قام بها في الأرض خمسين أو خمسا وخمسين ثم قال هكذا طول العالقي : وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا
 أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمتهم خلق هؤلاء الجبارين وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام وأنه كان
 طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلاث ذراع تحرير الحساب وهذا شيء يستحي من ذكره ،
 ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم لم
 يزل الخلق ينقص حتى الآن » ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا وأنه كان وله زينة وأنه امتنع من ركوب سفينة
 نوح وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته : وهذا ككذب واقتراء . فان الله تعالى ذكر أن نوحا دعا على أهل الأرض من
 الكافرين فقال (رب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا) وقال تعالى (فأجيبناه ومن معه في الفلك المشحون) ثم
 أغرقنا بعد الباقين) وقال تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبق
 عوج بن عنق وهو كافر وله زينة ؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع . ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر
 والله أعلم . وقوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أتم الله عليهم) أي فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله وتأييده
 رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما عن يخاف أمر الله ويخشى عقابه . وقرأ
 بعضهم (قال رجلان من الذين يخافون) أي عن لهم مهابة وموضع من الناس ويقال لهما يوشع بن نون وكاب بن
 يونا (٢) . قاله ابن عباس وعجده وعكرمة وعطية والسدي والريعي بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله
 فقالوا (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم ظالون » وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنون) أي إن توكلتم على الله
 واتبتم أمره وواظمتهم رسول نضركم الله على أعدائكم وأيدكم وطفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها لكم فلم ينفع ذلك
 فيهم شيئا (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون) وهذا تكول منهم
 عن الجهاد ومخالفة لرسولهم : وتخلف عن مقاتلة الأعداء . ويقال لهما لما نكلوا على الجهاد وعزموا على الانصراف
 والرجوع إلى مصر سجد موسى وهرون عليهما السلام قدام ملا من بنو إسرائيل إعظاما لما هوأ به وفق يوشع بن
 نون وكاب بن يونا ليا تهما ولا محارمهما على ذلك فيقال لهما رجوعهما ، وجرى أمر عظيم وخطر جليل وما أحسن
 ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النضير الذين جاءوا لمنع العير
 الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النضير وهم في جمع مابين التيمانة إلى الألف في العدة
 والبيش واليبل فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، ثم تكلم من تكلم من الأنصار لأنهم كانوا جمهور الناس
 يومئذ فقال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بيثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فضضته
 (١) ولتن خرافة إسرائيلية . (٢) في نسخة الأثر . يونا بالفاء وضبط في سفر العدد بفتح الياء وهم القاء وتشديد النون .

لخضائه معك ما تخلف من رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبرك في الحرب صدق^(١) في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ونشطه ذلك . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا محمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقالت الأنصار . يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا إذا لاهول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) والى بينك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغراد لأبيناك ورواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن أنس به ورواه النسائي عن محمد بن ثلق عن خالد بن الحارث عن حميد به ورواه ابن حبان عن أبي بصير عن عبد الأعلى بن حماد عن معمر بن سليمان عن حميد به وقال ابن مردويه أنا عبد الله بن جعفر أنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا محمد بن شعيب عن الحكم بن أيوب عن عبد الله بن نسيخ عن عتبة بن عبيد السلي قال : قال النبي ﷺ لأصحابه « ألا هاتلون ؟ » قالوا نعم ولنا قول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . وكان من أجب يومئذ للقداد بن عمرو الكندي رضى الله عنه كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عمار بن عبد الله الأحسى عن طارق هو ابن شهاب أن للقداد قال رسول الله ﷺ يوم بدر يارسول الله إنا لاهول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، هكذا رواه أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه من طريق أخرى فقال حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن عمار بن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قدشهدت من اللقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به آبي رسول الله ﷺ وهو يدعو على للشركين فقال والله يارسول الله لاهول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا هاتل عن بينك وغن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ أشرق لذلك وسره ذلك . وهكذا رواه البخاري في المغازي وفي التفسير من طرق عن عمار بن طارق به ولقطه في كتاب التفسير عن عبد الله قال : قال للقداد يوم بدر يارسول الله لاهول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن امض ونحن معك . فسكاه سمرى عن رسول الله ﷺ ثم قال البخاري رواه وكيع عن سفيان عن عمار عن طارق أن القداد قال لنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد الشركون الهدى وحيل بينهم وبين مناسكهم « إني ذاهب بالهدى فناحره عندالبيت » فقال القداد بن الأسود : أما والله لا نكون كلالا من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تابعوا على ذلك ، وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر . وقوله (قال رب إني لأملك الإلضى وأخي طارق بيننا وبين القوم الفاسقين) يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام . وقال داعيهم عليهم (رب إني لأملك الإلضى وأخي) أي ليس أحد يبطئني منهم فيقتل أمراؤه ويحبب إلى مادعوت إليه إلا أنا وأخي هرون (طارق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال الموفى عن ابن عباس يعني أقضى بيني وبينهم . وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا قال الضحاک أقضى بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم وقال غيره افرق فصل بيننا وبينهم كاتال الشاعر :

يا رب طارق بينه وبينى * أشد ما فرقت بين اثنين

وقوله تعالى (فلما حرمة عليهم أربعين سنة يتبهون في الأرض) الآية لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نسكوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوضوا في التيه يسزون دائما لا يتبدلون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالظلم وإنزال للن والسوى عليهم ، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة

صبا يحمل معهم على دابة ، فإذا ضربها موسى بصله اشجرت من ذلك الحجر اثنا عشرة عينا تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من اللجج التي يذللها موسى بن عمران . وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام ، وعملت قبة العهد وقال لهماقبة الزمان قال يزيد بن هرون عن أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله (فلما حرمة عليهم أربعين سنة يتوبون في الأرض) الآية . قال فتأهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسرون ليس لهم قرار ، ثم ظلك عليهم التوب في التيه وأنزل عليهم اللن والسوى وهذا قطعة من حديث الفتون ، ثم كانت وفاة هرون عليه السلام ، ثم بعده عدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام نبيا خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك اللدة ، وقال إنه لم يبق منه أحسنوى يوشع وكالب ومن هنا قال بعض للفسرين في قوله (قال فلما حرمة عليهم) هذا وقف تام وقوله (أربعين سنة) منصوب بقوله (يتوبون في الأرض) فلما انقضت اللدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو من بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني فقدمهم بيت للقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما قضيت الشمس للغروب وخشى دخول السبت عليهم قال : إنك مأمورة وأنامأموالاهم اجسبا على . فحسبنا الله تعالى حتى فتحها وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت للقدس أن يدخلوا بها سجدا وهم يقولون حطة أى حط عناذنونا فقبلوا ما أمر به ودخلوا يزخون على استاهم وهم يقولون حبة في شجرة ، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة

وقال بن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر العبدي حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قوله (فلما حرمة عليهم أربعين سنة يتوبون في الأرض) قال فتأهوا أربعين سنة قال فهلك موسى وهرون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة ، فلما مضت الأربعون سنة تاهضهم يوشع بن نون وهو الذى قام بالأمر بعد موسى وهو الذى انتحها وهو الذى قبله اليوم يوم الجمعة ففتحها ودنت الشمس للغروب فخشى أن تدخلت ليلة السبت أن يستبوا فنادى الشمس إلى مأمور وإنك مأمورة فوفقت حتى انتحها فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط فقبهوه إلى النار فلم تأته فقال فيكم الفلول فدا رءوس الأبطال وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال : الفلول عندك فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب لهما عينا من ياقوت وأسنان من لؤلؤ فوضه مع القران فأنت النار فأكلته وهذا السياق له شاهد في الصحيح ، وقد اختار ابن جرير أن قوله (فلما حرمة عليهم) هو العامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة وهم تائبون في البرية لا يمتدون لقصد قال : ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ففتح بهم بيت القدس ثم احتج على ذلك من قال بإجماع علماء أخبار الأولين أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال : فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من المالبق فدل على أنه كان بعد التيه قال : وأجمعوا على أن بلعام بن باعورا أمان الجبارين بالدماء على موسى قال وما ذاك إلا بعد التيه لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه ، هذا استدلاله ، ثم قال : حدثنا أبو كروب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال كانت عصا موسى عشرة أذرع ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع فوثب فأصاب كعب عرج قتله فكان جسرا لأهل النيل سنة وروى أيضا عن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن نوف وهو البكالى قال كان موير عوج ثمانمائة ذراع وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصا عشرة أذرع ، ووثب في السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجا فأصاب كعبه فسقط ميتا وكان جسرا للناس يبرون عليه .

وقوله تعالى (فلأتأسى على القوم الفاسقين) تسلية لموسى عليه السلام عنهم أى لا تأسفهم ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فانهم مستحقون ذلك . وهذه القصة تضمنت تفرع اليهود ويان فسادهم وعماقتهم فله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجاورةهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه ووصيه من خلقه في ذلك الزمان وهو يمددهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بسدوم فرعون من المغطية والنكال والترق له ولجنوده في أليم

وهم ينظرون لتقربه أعيتهن وما بالعهد من قدم ، ثم يتكلمون عن مقاتلة أهل بلده بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المشرق في عدة أهلها وعندهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للناس والماء ، واقتضوا نفيها لا يظفها الليل ، ولا يسترها الليل ، هذا وهم في جهلهم يسمون ، وفي غيهم يترددون ، وهم البضاء إلى الله وأعداؤه ، ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه ، قبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقروود والأرهم لئلا تصحبهم إلى النار ذات القروود ، ونقض لهم فيها بتأييد الخلود ، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجوه

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْنَهُمْ نَبَأَ ابْنِهِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِلٍ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُنِيَ وَإِلَيْكَ فَنَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَاتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُخْبِرَ كَيْفَ يُوْرِي سَوْمَةَ آخِيهِ قَالَ يَوْنُسُ لَيْتَنِي أَهْمَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الثَّرَابِ فَأَوْرِي سَوْمَةَ آخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾

يقول تعالى مينا وخم عاقبة النبي والحسد والظلم في خبر ابن آدم لعله في قول الجمهور وهما قاييل وهمايل كيف عدا أحدهما على الآخر قتله نيا عليه وحسدا له نيا وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه عز وجل ففاض المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفة الحاسرة في الدارين فقال تعالى (وأتل عليهم نبا ابن آدم بالحق) أي القصص على هؤلاء البناة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابن آدم وهما هائل وقاييل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف وقوله (بالحق) أي على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالى (إن هذا هو القصص الحق) وقوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) وقال (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق) وكان من خبرها فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوجه بنته من بني لقروود الحال ، ولكن قالوا كان يولده في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوجه أنثى هذا البطن لئلا يكر البطن الآخر وكانت أخت هائل دمية وأخت قاييل وضيفة ، فأراد أن يستأجر بها على أخيه فأتى آدم ذلك إلا أن قربا قربانا فنقبل منه فهي له فقبل من هائل ولم يقبل من قاييل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه

﴿ ذكر أقوال القسرين ههنا ﴾

قال السدي فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرقع عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية فكان يزوجه غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوجه جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما هائل وقاييل وكان قاييل صاحب زرع وكان هائل صاحب ضرع وكان قاييل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هائل وأن هائل طلب أن ينكح أخت قاييل فأتى عليه وقال هي أختي وليست معي وهي أحسن من أختك وأنا أحن أن أتزوج بها فأمره أبوه أن يزوجه هائل فأتى وأنهما قربا قربانا إلى الله عز وجل أيهما أحن بالجارية وكان آدم عليه السلام قد غلب عنهما ، أتى مكة ينظر إليها قال الله عز وجل هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال اللهم لا قال لي بيتا في مكة فأتته فقال آدم للسما احفظي

ولدى بالأمانة فأيت ، وقال للأرض فأيت وقال للجبال فأيت ، فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع ونجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم قريبا قربانا وكان قابيل يضر عليه فقال أنا أحق بها منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والهي فلما قربا قرب هابيل جذعة سنية وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها وأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأنتك حتى لا تتكح أختي فقال هابيل إنما يتقبل الله من المتقين رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خثيم قال أكلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال نهى أن تتكح للراة أخاها وتوأما وأمر أن يكحها غيره من إخوانها ، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فبينما هم كذلك إذ ولد له امرأة وضيفة وولد له أخرى فبيحة دمية فقال أخو الدمية أنكحني أختك وأنكحك أختي فقال لا أنا أحق بأختي قريبا قربانا فتقبل من صاحب الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله إسماعيل وعيد وحديثا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قوله (إذ قربا قرباناً) قريبا قربانها فبهاء صاحب الغنم بكبش أعين أقمرن أبيض ، وصاحب الحرت بصيرة من طامه فقبل الله الكبش فغزته في الجنة أربعين خريفاً وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام إسماعيل وعيد . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي الثوري عن عبد الله بن عمرو قال إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم وإنيما أمر أن قربا قربانا وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأمنها وأحسنها طيبة بها نفسه وإن صاحب الحرث قرب أشتر حرثه الكوزن والزوان غير طيبة بها نفسه ، وإن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ولم يتقبل قربان صاحب الحرث وكان من قسمتهما ما بقى الله في كتابه قال واهب الله إن كان للقتول لأشد الجلين ولكن منه التخرج أن يسقط يده إلى أخيه ، وقال إسماعيل بن رافع للذي القاص يلتقي أن ابني آدم لما أمرا بالقربان كان أحدهما صاحب غنم وكان أتج له حمل في غنمه فأجبه حتى كان يؤثره بالليل وكان يحمله على ظهره من حبه حتى لم يكن له مال أحب إليه منه فلما أمرا بالقربان قرب به لله عز وجل فقبله الله منه فلما زال يرتع في الجنة حتى فدى به ابن إبراهيم عليه السلام رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الأنصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال : قال آدم عليه السلام لما قيل إن رب عهدي إلى أنه كائن من ذريق من يقرب القربان قريبا قربانا حتى تقر عني إذا تقبل قربانك قريبا وكان هابيل صاحب غنم تقرب أكولة غنم خير ما له وكان قابيل صاحب زرع تقرب مشاققة من زرعه فانطلق آدم منهما ، ومهما قربانها فقصدا الجبل فوضعا قربانها ثم جلسوا ثلاثتهم آدم ومهما ينظران إلى القربان فبعت الله ناراً حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق فاحتل قربان هابيل وترك قربان قابيل فالنصر فووا وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه فقال ويلك يا قابيل رد عليك قربانك فقال قابيل أحبته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه ورد على قرباني فقال قابيل لما قيل لأنتك وأسترجع منك دعا لك أبوك فصلي على قربانك فتقبل منك وكان يتوعده بالقتل إلى أن احتسب هابيل ذات عشية في غنمه فقال آدم يا قابيل أين أخوك قال وبشتى له راعيا لا أدري فقال آدم ويلك يا قابيل انطلق فاطلب أخاك فقال قابيل في نفسه اللية أقتله وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو متقلب فقال يا هابيل تقبل قربانك ورد على قرباني لأنتك فقال هابيل قربت أطيب مالي ، وقربت أنت أختي مالك وإن الله لا يقبل إلا الطيب إنما يتقبل الله من المتقين فلما قالما غضب قابيل فرفع الحديدة وضربه بها فقال ويلك يا قابيل أين أنت من الله كيف يجزيك بمالك فقتله فطرحه في حوة من الأرض ، وحنى عليه شيئا من التراب

وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أن آدم أمر ابنه قابيل أن يتكح أخته توأمة هابيل وأمر هابيل أن يتكح أخته توأمة قابيل فلم لذلك هابيل ورضي وأبي ذلك قابيل وكره تكهما عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة ومهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختي ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول كانت أخت قابيل من أحسن الناس ففضن بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم أي ذلك كان فقال له أبوه يا بني

إنها لأخجل لك فأبيل أن يقبل ذلك من قول أبيه قال له أبوه يأتي قرب قربانا ويقرب أخوك هائل قربانا فأبكا
تقبل قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على يذر الأرض وكان هائل على رعاية للماشية فقبل قابيل قنقا وقرب هائل أبكارا
من أبكار غنمه وبضهم يقول قرب قربة فأرسل الله نارا يضاء فأكلت قربان هائل وترك قربان قابيل وبذلك كان
يقبل القربان إذا قبله رواه ابن جرير

وروى الموفى عن ابن عباس قال من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فيينا
ابنا آدم قاعدان إذ قالا لوقربنا قربانا وكان الرجل إذا قرب قربانا فرضيه الله أرسل الله نارا فتأكله وإن لم يكن
رضيه الله خبت النار ، وقربا قربانا وكان أحدهما راعيا وكان الآخر حرثا وإن صاحب التمر قرب خير غنمه وأمنها وقرب
الآخر بعض زروعه فجاءت النار فزلت بينهما فأكلت الشاة وتبركت الزرع وإن ابن آدم قتل أخيه آدمى في الناس
وقد علموا أنك قربت قربانا فتقبل منك ورد على فلا والله لا ينظر الناس إلى وأنت خير مني قتال لأقتلك فقال له أخوه
ما ذنبني إنما يقبل الله من اللتين . رواه ابن جرير فهذا الأثر يقتضي أن تقرب القربان كان لآعن سبب ولا عن تدارؤ
في امرأة كما تخدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم وهو ظاهر القرآن (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لأقتلك قال إنما يتقبل الله من اللتين) فالسابق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونهم للشهور عند الجمهور
أن الذي قرب الشاة هو هائل وأن الذي قرب الطمام هو قابيل وأنه تقبل من هائل شاة حتى قال ابن عباس وغيره إنها
الكبشي الذي يقدي به الديبج وهو مناسب والله أعلم وليرتقب من قابيل . كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف
وهو المشهور عن مجاهد أيضاً ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال الذي قرب الزرع قابيل وهو للتقبل منه وهذا خلاف
المشهور ولله الحفظ عن مجيدنا والله أعلم

ومعنى قوله (إنما يتقبل الله من اللتين) أي ممن اتقى الله في نفسه ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حنبلنا إبراهيم بن
العلماء بن زيد حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني صفوان بن عمرو عن عيم بنسني ابن مالك القرقي قال سمعت أبا البرداء
يقول لأن أسقيني أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول (إنما يتقبل الله من اللتين)
وحدثنا أبي حنبلنا عبد الله بن عمر بن حدثنا إسحق بن سليمان بنسني الرازي عن القيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال كنت
جالساً عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا نأخذنا
عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس في قبج واحد فينادي مناد أين اللقون ؟ فيقومون في كنف من
الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت من اللقون ؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة فيمرون
إلى الجنة . وقوله (لئن بسطت إلى يدك لقتلني ما أنا بإسبط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) يقول
له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه لتقواه حين نودعه أخوه بالقتل عن غير ما ذنب منه إليه (لئن بسطت إلى
يدك لقتلني ما أنا بإسبط يدى إليك لأقتلك) أي لا أنا بأكمل على صنيعك القاصد بقتله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة
(إني أخاف الله رب العالمين) أي من أن أصنع كما تريد أن تصنع بل أصبر وأحسب قال عبد الله بن عمرو : تروا الله
إن كان لأحد الرجلين ولكن منه التخرج يعني الورع ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « إذا
تواجه المسلمان ببغضهما فاقتلوا وللقول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال اللقون ؟ قال إنه كان حريصا
على قتل صاحبه . وقال الإمام أحمد حدثنا قتية بن سعيد حدثنا ليث بن سعد عن عياش بن عباس عن بكير بن عبد الله
عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عتبان أشهد أن رسول الله ﷺ قال « إنها ستكون فتنة
لنأخذ فيها خير من القائم والقائم خير من اللأسي وللأسي خير من الساعي » قال أفرأيت إن دخل على يبق فبسط يده إلى
ليقتلني فقال « كن كابن آدم » وكذا رواه الترمذي عن قتية بن سعيد وقال هذا حديث حسن وفي الباب عن أبي هريرة وخباب
ابن الارت وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى وخرقة ورواه بعضهم عن الليث بن سعد وزاد في الإسناد رجلا
قالا لحافظ بن عسكار : الرجل هو حين الأعرجي قلت وقد رواه أبو داود من طريقه فقال حدثنا يزيد بن خالد الرازي حدثنا

الفضل عن عياش بن عباس عن بكير عن بشر بن سعيد عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعي أنه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال قتل رسول الله ﷺ إن دخل يقي وبسط يده ليتلقى قال قتل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم «كن كابن آدم» وتلا (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسبط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربه المالين) قال أيوب السخيتي إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسبط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله المالين) لئان بن عفان رضى الله عنه رواه ابن أبي حاتم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن حزم حدثني أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال عرك النبي ﷺ حارا وأردفني خلفه وقال «يا أبا ذر أرايت إن أصاب الناس جوع شديد لاستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟» قال : قال الله ورسوله أعلم قال «تصف» قال «يا أبا ذر أرايت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالبعد يعني القبر كيف تصنع؟» قلت الله ورسوله أعلم قال «أصبر» قال «يا أبا ذر أرايت إن قتل الناس بعضهم بعضا يعني حتى تفرق جوارعنا من السماء كيف تصنع؟» قال الله ورسوله أعلم قال «أصدق بينك وأغلق عليك بابك» قال فلان لم أنزل (١) قال «فأت من أنت منهم فكن منهم» قال فأنخسنا على قال «فلذا نشاركهم فيهم فيه ولكن إذا خشيت أن يرد عليك شعاع السيف فألق طرفك ذلك على وجهك كي يوه بأمه وإمك» وراه مسلم وأهل السنن سوى النسائي من طرق عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت به ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران عن الشعث بن طريف عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر بنحوه قال أبو داود ولم يذكر للشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دهم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا قيس بن عتبة حدثنا سفيان عن منصور عن ربي قال كنا في جنازة حذيفة فسمعت رجلا يقول سمعت هذا يقول في ناس ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن أقتلتكم لأظفرن إلى أعصى بيت في داري فلا لجنه فكن دخل على فلان لأقولن هاؤي يا بني وإمك فأكون كثير ابن آدم» وقوله (إني أريد أن تبوء يا بني وإمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة والسدي قوله (إني أريد أن تبوء يا بني وإمك) أي بأم تقي وإمك الذي عليك قبل ذلك قاله ابن جرير . وقال آخرون يعني بذلك إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتحمّل وزرها وإمك في قتلك إياي وهذا قول وجده عن مجاهد وأخفى أن يكون خطأ لأن الصحيح من الرواية عنه خلاه يعني مارواه سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد (إني أريد أن تبوء يا بني) قال بقتل إياي (وإمك) قال بما كان منك قبل ذلك وكذا رواه عيسى بن أبي نجيع عن مجاهد بمثله وزوي شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد (إني أريد أن تبوء يا بني وإمك) يقول إني أريد أن يكون عليك خطيئتي ودمي بتبوءهما جميعا (قلت) وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ويذكرون في ذلك حديثا لأصله «مارك القاتل على القاتل من ذنب» وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه هذا ولكن ليس به فقال حدثنا عمرو بن علي حدثنا عامر بن إبراهيم الأسبهاني حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا عتبة بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ «قل الصبر لا يمر بذنب إلا جاءه» وهذا بهذا الاصح ولو صح فنهان الله أن يكره عن القاتل بالقاتل ذنوبه فأما أن يحمل على القاتل فلا ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب فإن القاتل يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فإن نفذت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات القاتل فطرح على القاتل فرجا لا يقي على القاتل خطيئة إلا وضعت على القاتل وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللظالم كلها والقتل من أعظمها وأشدّها والله أعلم وأما ابن جرير فقال والصواب من القول في ذلك أن يقال إن تأويله إني أريد أن تتصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله (إني أريد تبوء يا بني) وأما معنى (وإمك) فهو إني قتلته وذلك كمصية الله عز وجل في أعمال سواء وإمنا قلنا ذلك هو الصواب لإجماع أهل التأويل عليه وأن الله عز وجل أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه وإذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز أن تكون آثام القاتل مأخوذا بها القاتل وإمنا يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ماركه قتله هذا لفظه ثم أورد على هذا سؤالا حاصلة كيف أراد هائل أن يكون على أخيه قاتيل إثم قتله

ولم نفسه مع أن قتله له عزم وأجاب بما حاصله أن هابل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه إن قتله بل يكف عنه يده طالبا أن وقع قتل أن يكون من أخيه لا منه قلت وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اعتظ وزجرا له لو انزجر ولهذا قال (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي تتحمل إثمي وإثمك (تكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) وقال ابن عباس خوفه بالر فم يتهموا بنزجر وقوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فأنصحه من الجاسرين) أي فصحت وسولت له نفسه وشجسته على قتل أخيه فقتله أي بعد هذه الوعظة وهذا الزجر وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين أنه قتله بحديدة في يده وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رموس الجبال فأتاه يوما من الأيام وهو يرى غنا له وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه الغراء رواه ابن جرير وعن بعض أهل الكتاب أنه قتله خنقا وعضا كما تقتل السباع وقال ابن جرير لما أراد أن يقتله جعل ياولى عنقه فأخذ إلياس دابة ووضع رأسها على حجر ثم أخذ حجرا آخر ففرب بها رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر ففعل بأخيه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال أخبرني أنه ليقتله فاضطجع له وجعل يمسز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله فجاهه إلياس فقال أريد أن تقتله قال نعم قال فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه قال فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه ثم جاء إلياس إلى حواء مسرعا فقال يا حواء إن قابيل قتل هابل قتالت له وبمك وأى شيء يكون القتل قال لا بأكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فبصبت تصبص حتى دخل عليها آدم وهي تصبص فقال مالك فلم تكلمه فرجع إليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة ولى بئنا لك وأنا وبنى منها برآء رواه ابن أبي حاتم وقوله (فأنصحه من الجاسرين) أي في الدنيا والآخرة وأى خسارة أعظم من هذه وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية وكيع قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقتل نفس طلبا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها » كان أول من سن القتل وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود من طرق عن الأعمش وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج قال : قال ابن جريج قال مجاهد علق إحدى رجل القاتل بإتباعها إلى غنما من يومئذ ووجهه في الشمش حيث دارت دارة عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من طلع قال وقال عبد الله بن عمرو إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة. المذاب عليه شطر عناهم. وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحق عن حكيم بن حكيم أنه حدث عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول إن أحق الناس رجلا لابن آدم البهي قتل أخاه ما سفل دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شر وذلك أنه أهل من سن القتل وقال إبراهيم النخعي ما من مقتول يقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول والشیطان كفل منه رواه ابن جرير أيضا وقوله تعالى (فبعت الله غرابا يبعث في الأرض ليريه كيف يورارى سواة أخيه قال يا ويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورارى سواة أخى فأنصحه من النادمين) قال السدي يلست ألدللتقدم إلى الصعابة رضى الله عنهم لما مات الغلام تركه بالراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أحدهما صاحب فصر له ثم حتى تحلبه فلما رآه قال (يا ويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورارى سواة أخى) وقال طلبة عن ابن عباس قال جاء غراب إلى غراب ميت فبعث عليه من التراب حتى واره فقال الذي قتل أخاه (يا ويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورارى سواة أخى) وقال الضحاك عن ابن عباس مكب يحمل أخاه في جراب على طاقه سنة حتى يموت الله الترابين فترهما يبعثان فقال (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدفن أخاه وقال ليث بن أبي سلم عن مجاهد كان عمله على عاقبه مائة سنة ميتا لا يدري ما يصنع به يحمله ويضعه إلى الأرض حتى رأى التراب يدفن الغراب فقال (يا ويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورارى سواة أخى فأنصحه من النادمين) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال عطية العوفي لما قتله ندم فضمه إليه حتى أروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرى به فتأكبله رواه ابن جرير وروى

عمر بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول لما قتله سقط في يده أي ولم يدرك كيف يواريه وذلك أنه كان ، فبا يرمون ، أول قبيل في بني آدم وأول ميت (فبعت الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواء أخيه قال يا وليي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءة أخى فأصبح من النادمين) قال وزعم أهل التوراة أن قاييل لما قتل أخاه هابيل قال له الله عز وجل يا قاييل أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيقا فقال الله إن صوت دم أخيك لينادي من الأرض الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهها فقلت دم أخيك من يدك فإن أنت حملت في الأرض فاتها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعاتها في الأرض وقوله (فأصبح من النادمين) قال الحسن البصري علاه الله بدماء بعد خسران فهذه أقوال للفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما يطلق به الحديث في قوله « إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » وهذا ظاهر جلي ، ولكن قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن الحسن هو البصري قال كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) من بني إسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه وإنما كان القربان من بني إسرائيل وكان آدم أول من مات وهذا غريب جدا وفي إسناده نظر وقد قال عبد الرزاق عن معمر بن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « إن ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلاً فخذوا بالحذر منها » ورواه ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً فخذوا من خيرهم ودعوا لغيرهم » وكذا أرسل هذا الحديث بكير بن عبد الله المزني روى ذلك كله ابن جرير وقال سالم بن أبي الجعد لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ثم أتى قاييل له حيالك الله ويالك أي أضحكك رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحق الحمداي قال : قال علي ابن طالب لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال .

تفريت البلاد ومن عليها • فلون الأرض مغبر قبيح • تغير كل ذي لون وطعم • وقل بشاشة الوجه للملح .
فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام

أبا هابيل قد تلا جيمًا • وصار الحى بالميت الديق • وجاء بشره قد كان منه • على خوف نجاها بها يصيح والظاهر أن قاييل هو جبل بالقوة كما ذكره مجاهد وابن جبير أنه علقته ساقه بفخذه يوم قتله وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتشكيلا به وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البنى وقطعة الرحم » وقد اجتمع في فعل قاييل هذا وهذا فإننا لله وإننا إليه راجعون .

(من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون • إننا جزؤ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو يُنفقوا من الأرض ذلك لهم جزئ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم • إلا الذين تابوا من قبل أن تُقَدَّرَ عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

يقول تعالى من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانا (كتبنا على بنى إسرائيل) أي شرعنا لهم وأعلمناهم (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أي من قتل

نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن أحيائها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ولهذا قال (فكأنما أحيانا الناس جميعاً) وقال الأعمش وغيره عن أبي صالح عن أبي هريرة قال دخلت على عثمان يوم الدار فقلت جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين فقال يا أباهريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم قتل قال فقلت إن قتل رجل واحد فكأنما قتل الناس جميعاً فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور قال فانصرفت ولم أقاتل وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو كما قال الله تعالى (من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً) وإحيائها ألا يقتل نفساً حرماً الله ذلك الذي أحيانا الناس جميعاً يعني أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه وهكذا قال مجاهد ومن أحيائها أي كف عن قتلها وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فكأنما قتل الناس جميعاً يقول من قتل نفساً واحدة حرماً الله فهو مثل من قتل الناس جميعاً وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً هذا قول وهو الأظهر وقال عكرمة والعوفي عن ابن عباس من قتل نبياً أو إماماً عدل فكأنما قتل الناس جميعاً ومن عدل على عهده نبي أو إمام عدل فكأنما أحيانا الناس جميعاً رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية أخرى عنه من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً وذلك لأن من قتل النفس فله أن يقتل فهو كما لو قتل الناس كلهم قال ابن جريج عن الأعرج عن مجاهد في قوله فكأنما قتل الناس جميعاً من قتل النفس المؤمنة متممداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً يقول لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك العذاب قال ابن جريج قال مجاهد ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً قال من لم يقتل أحداً فقد حيي الناس منه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من قتل نفساً فكأنما قتل الناس يعني فقد وجب عليه القصاص لافرق بين الواحد والجماعة ومن أحيائها أي عفا عن قتل وليه فكأنما أحيانا الناس جميعاً وحكي ذلك عن أبيه رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية ومن أحيائها أي أئبها من غرق أو حرق أو هلك وقال الحسن وقادة في قوله لا تمن قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً هذا تعظيم لما طمى القتل قتادة عظيم والله وزرها وعظيم والله أجراها وقال ابن المبارك عن سلام بن مسكين عن سلمان بن علي الرضبي قال قلت للحسن هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل فقال أي والذي لا إله غيره كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقال الحسن البصري فكأنما قتل الناس جميعاً قال وزراً ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً قال أجراً وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن أبي حمزة حدثنا جابر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اجعلني عن شيء أعيش به فقال رسول الله ﷺ « يا حمزة نفس تحبها أحب إليك أم نفس تحبها » قال بل نفس أحبها قال « عليك بنفسك » .

قوله تعالى (ولقد جاءتهم ربنا بالبينات) أي بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) وهذا خربهم لهم وتوسخ على ارتكابهم المحارم بمدعهم بها كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقت بينهم الحروب في الجاهلية ثم إذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروهم ودوا من قتلوه وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول (وإذا أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أتيت هؤلاء فتناولون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالآثم والدعان وإن يأتوك أماري فتادوم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) قوله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) الآية المحاربة هي للضادة والمخالفة وهي صديقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكلذا الاضداد في الأرض

يطلق على أنواع من الشر حتى قال كثير من السلف منهم سعيد بن السبب إن قبض الفراءم والذنانير من الانساد في الأرض وقد قال الله تعالى (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) ثم قال بعضهم زلت هذه الآية الكريمة في الشركين كما قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين ابن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - الى - إن الله غفور رحيم) زلت هذه الآية في الشركين فمن تاب منهم من قبل أن تغدروا عليه لم يكن عليه سيل وليست تحزروا هذه الآية الرجل السلم من الحد إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله لم يلق بالكفار قبل أن يقدر عليه لم يمنه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا زلت في الشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصابه وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) الآية قال كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق ففقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف رواه ابن جرير .

وروى شعبه عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد عن أبيه قال نزلت في الحزورية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) رواه ابن مردويه ، والصحيح أن هذه الآية عامة في للشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قتابة واسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك أن قرأ من عكل ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام فاستوخوا المدينة ، وسقطت أجسامهم فشكلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال « ألا تخرجون مع راعيتنا في إبله فتضيئونها من أبوالمها وألبانها » فقالوا بلى فخرجوا فضربوا من أبوالمها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطردهوا الإبل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبست في آثارهم فأدركوا فجاءهم فأمرهم بقطع أيديهم وأرجلهم وممرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا لفظ مسلم ، وفي لفظ لها : من عكل أو عرينة وفي لفظ : وألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون فلا يسقون وفي لفظ مسلم : ولم يحسمهم وعند البخاري قال أبو قتابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب وحديث عن أنس فذكر نحوه وعنده فارتدوا : وقد أخرجه من رواية قتادة عن أنس بنحوه وقال سعيد عن قتادة من عكل وعرينة ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي عن أنس قال إنما حمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين أولئك لأنهم حملوا أعين الرعاة . ورواه مسلم من حديث معاوية بن قرعة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عرينة فأسلوا وبايعوه وقد وقع بالمدينة الموم وهو الراسم ثم ذكر نحوه حديثهم وزاد . عنده شباب من الأنصار قريب من عشرين فأرسلهم وبعث معهم قائما يقفو آثارهم وهذه كلها ألقاظ مسلم رحمه الله .

وقال حماد بن سلمة حدثنا قتادة وثابت البناني وحديث الطويل عن أنس بن مالك أن ناسا من عرينة قدموا المدينة فاجتووها فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبل الصدقة وأمرهم أن يشربوا من أبوالمها وألبانها فقتلوا فصحوا فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي وساقوا الإبل فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فجاءهم فبعثهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وممرت أعينهم وأضاهم في الحرة قال أنس فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشا حتى ماتوا ونزلت (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وهذه لفظه وقال الترمذي حسن صحيح وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة عن أنس بن مالك منها ما رواه من طريقين عن سلام بن أبي الصفاء عن ثابت عن أنس بن مالك قال ما ندمت على حديث ما ندمت على حديث سألني عنه الحجاج قال أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قلت قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة ممن

البحرين فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما قاتوا من بطونهم ، وقد اسفرت ألوانهم ، وضمرت بطونهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وألبانها حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الإبل فأرسل رسول الله ﷺ في أكارم قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم أقام في الرمضاء حتى ماتوا ، فكان الحجاج إذا صد للبر يقول إن رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم أقام في الرمضاء حتى ماتوا بحال ذود من الإبل فكان الحجاج يخرج بهذا الحديث على الناس وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن أبي مسلم حدثني سعيد بن قتادة عن أنس قال كانوا أربعة نفر من عربة وثلاثة نفر من عكل فلما أتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم وصل أعينهم ولم يحسمهم وتركهم يلتقمون الحجارة بالحرة فأنزل الله في ذلك (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب اللؤلؤي حدثنا أبو مسعود يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج حدثنا أبو سعيد يعني الباق عن أنس بن مالك قال كان رهط من عربة أتوا رسول الله ﷺ وبهم جهد مصفرة ألوانهم ، عظيمة (١) بطونهم فأمرهم أن يلحقوا بالابل فيشربوا من ألبانها وألبانها فصفقت ألوانهم وخضعت بطونهم وسمنوا فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل فبث النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم قتل بعضهم وسمر أعين بعضهم وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ونزلت (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى آخر الآية ، وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن أبي حاتم عن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية فكذب إليه أنس يخبره إن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرينين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل وأخافوا السيل وأصابوا الفرج الحرام . وقال حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر أو عمرو شك يونس عن رسول الله ﷺ بذلك يعني بقصة العرينين ونزلت فهم آية المحاربة ورواه أبو داود والنسائي في طريق أبي الزناد وفيه عن ابن عمر من غير شك

وقال ابن جرير . حدثنا محمد بن خلف حدثنا الحسن بن حماد عن عمرو بن هاشم عن موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن جرير قال قسم على رسول الله ﷺ قوم من عربة خفاه مضرورين فأمر بهم رسول الله ﷺ فلما صبحوا واشتدوا قتلوا رعاء القحاح ثم خرجوا بالقحاح حامدين بها إلى أرض قومهم قال جرير فيبثي رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى أدركناهم بعد ما أشرفوا على بلاد قومهم فقدمنا بهم على رسول الله ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلف وصل أعينهم فصبوا يقولون لساء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل حمل الأعين فأنزل الله هذه الآية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى آخر الآية هذا حديث غريب ، وفي إسناده الزبدي وهو ضعيف وفي إسناده فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية وهو جرير ابن عبد الله الجبلي وتقدم في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارسا من الأنصار . وأما قوله: ففكره الله حمل الأعين فأنزل الله هذه الآية فانه منكسر وقد تقدم في صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله أعلم وقال عبد الرزاق عن إبراهيم بن محمد الأسدي عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قسم على رسول الله ﷺ رجال من بني فزارة قد ماتوا هزلا فأمرهم النبي ﷺ إلى لقاحه فصرخوا منها حتى صبحوا ثم عمدوا إلى لقاحه فسرقوها فطلبوا فأتى بهم النبي ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . قال أبو هريرة ففهم نزلت هذه الآية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) فترك النبي ﷺ سمر الأعين بعد . وروى من وجه آخر عن أبي هريرة وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا أبو القاسم محمد بن الوليد عن عمرو بن محمد للذي حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمة بن الأكوع قال كان للنبي ﷺ غلام يقال له يسار فنظر إليه يحسن

(١) في نسخة : فطيلة بطونهم .

الصلاة فأعقته ، وبشه في قنص له بالحره فكان بها قال فأظهر قوم الإسلام من عرنة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم قال فبعث بهم النبي ﷺ إلى يسار فكانوا يهربون من ألبان الابل حتى انطوت بطونهم ثم عدوا على يسار فذبهم وجعلوا الشوك في عينيه ثم أطردهوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آكارهم خيلا من المسلمين كيدهم كرز بن جابر التهمري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وحمل أعينهم . غريب جداً وقد روى قصة الرنين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وغير واحد وقد اعنى الحافظ الجليل أبو بكر ابن مردويه بطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً فرحم الله وأتابه . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن ابن شقيق سمعت أبي يقول سمعت أبا حمزة عن عبد الكريم وسئل عن أبي الابل فقال حدثني سعيد بن جبيرة عن الحارث بن قيس قال قال أناس أنوا رسول الله ﷺ فقالوا نياك على الإسلام فيأبوه وهم كذبة وليس الإسلام يريدون . ثم قالوا إنا نجتري المدينة فقال النبي ﷺ هذه القنص قدنا عليكم وتروحوا فاشربوا من أبوالها وألبانها قال فبيناهم كذلك إذ جاءهم الصريخ فصرخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتالوا الراعي واستاقوا النعم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فنودي في الناس « أن يا خيل الله اركبي » قال فركبوا لا ينتظر فارس فارساً قال وركب رسول الله ﷺ على أثرهم فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنهم فرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسروا منهم فأتوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم فأزول الله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية قال فكان تنبيه أن قنصهم حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم وقنصهم من أرض المسلمين وقتل نبي الله ﷺ منهم وصلب وقطع ويصر الأعين قال فما مثل رسول الله ﷺ قبل ولا بعد قال ونهى عن الثلاثة وقال « ولا تمثلوا بهي » قال وكان أنس يقول ذلك غير أنه قال أحرقتهم بالنار بعد ما قتلهم قال : وبضمهم يقولهم ناس من بني سليم ومنهم من عرنة وناس من بجيلة . وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء الرنين هل هو منسوخ أو حكم فقال بعضهم هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتاباً للنبي ﷺ كما في قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ومنهم من قال هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن الثلاثة وهذا القول فيه نظر ثم قاله مطالب ببيان تأخر النسخ الذي ادعاه عن المنسوخ وقال بعضهم : كان هذا قبل أن تنزل الحدود قاله محمد بن سيرين وفيه نظر فإن قصته متأخرة . وفي رواية جرير بن عبد الله فقصتهم ما يدل على تأخرها فإنه أسلم بعد نزول المائدة ، ومنهم من قال لم يحمل النبي ﷺ أعينهم وإنما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فيمن حكم الحارثين وهذا القول أيضاً فيه نظر فإنه قد تقدم في الحديث للشفق عليه أنه حمل ، وفي رواية ممر أعينهم . وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال ذاكرت الليث بن سعد ما كان من حمل النبي ﷺ أعينهم وتركه جسمهم حتى ماتوا فقال سمعت محمد بن عجلان يقول أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ معاتباً في ذلك وعلمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي ولم يسلم بعدهم غيرهم قال وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو يعني الأوزاعي فأنكر أن يكون نزلت معاتباً ، وقال بل كانت عقوبة أولئك النفر بأعينهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم . ورفع عنهم السمل ثم قد احتج بسوم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وفي البلدان على السواء قوله (ويسمون في الأرض فسداً) وهذا منتهى مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل حتى قال مالك في الذي يقتل الرجل فيخذه حتى يدخله بيتاً فيقتله وأخذ ما معه من هذه محاربة ودمه إلى السلطان لا إلى ولي القتل ولا اعتبار بصفوه عنه في إسقاط القتل . وقال أبو حنيفة وأصحابه لا تكون المحاربة إلا في الطرقات فأما في الأمصار فلا لأنه يلحقه التوث إذا استخف ، بخلاف الطريق لبعده ممن يشبهه ويمنه ، وقوله تعالى (أن يقتلوا أو يسلبوا أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية من شهر السلاح في فئة الإسلام ، وأخاف السبل ثم ظفر به وقدر عليه فقام المسلمين فيه بالحجارة إن شاء قتلوا وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده ورجله وكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاک وروى ذلك كله

جازيتهم به في الدنيا والعقوبة التي طاقتهم بها في الدنيا عذاب عظيم يعني عذاب جهنم وقوله تعالى (إلا الذين تابوا من قبل أن تهذروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أما على قول من قال إنها في أهل الشرك فظاهر وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم أعتام القتل والصلب وقطع الرجل وهل يسقط قطع اليد أم لا فيه قولان للعلاء وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن الشعبي قال كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة وكان قد أفسد في الأرض وحارب فكمكم رجلا من قريش منهم الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن جعفر فكلموا عليا فيه فلم يؤمنه فأتى سعيد بن قيس الحمداني فخلقه في داره ثم أتى عليا فقال يا أمير المؤمنين أ رأيت من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا قرأ حتى بلغ (إلا الذين تابوا من قبل أن تهذروا عليهم) قال فكتب له أمانا قال سعيد بن قيس فانه حارثة بن بدر وكذا رواه بن جرير من غير وجه عن مجاهد عن الشعبي به وزاد فقال حارثة بن بدر

ألا بلغت ممدان اما لقيتها * على التأني لا يسلم عدو يسبها

لعمري أيها ابن ممدان تنقي * الله وقضى بالكتاب خطيبها

وروى ابن جرير من طريق سفيان الثوري عن السدي ومن طريق أشعث كلاهما عن عامر الشعبي قال جاء رجل من مراد إلى أبي موسى وهو على الكوفة في إمارة عثمان رضي الله عنه بدمعاصلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان الراذي وإن كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض فسادا ، وإنى تبث من قبل أن تهذروا على فقال أبو موسى فقال إن هذا فلان بن فلان وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا ، وإنه تاب من قبل أن تهذروا عليه فمن فيه فلا يرش له إلا غير فإن يك صادقا فسيحل من صدق ، وإن يك كاذبا تدركه ذنوبه فأقام الرجل ما شاء الله ثم إنه أخرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله . ثم قال ابن جرير حدثني علي حدثنا الوليد بن مسلم قال : قال الليث وكذلك حدثني موسى بن إسحق المدني وهو الأمير عندنا أن عليا الأسدي حارب وأخاف السيل وأصاب السمل والمثل فطلبه الأئمة والعامّة فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائبيا وذلك أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إنه هو النذور الرحيم فوقف عليه فقال يا عبد الله أعذر أيتها فأعدها عليه فمعدسفه ثم جاء تائبيا حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلي الصبح ثم قدم إلى أبي هريرة في أعمار أصحابه فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا إليه فقال لاسيل لكم على جئت تائبيا من قبل أن تهذروا على فقال أبو هريرة صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال هذا علي جاء تائبيا ولا سبيل لكم عليه ولا قبل فترك من ذلك كله قال وخرج علي تائبيا مجاهدا في سبيل الله في البحر فلحقوا الروم فقبروا سفينة إلى سفينة من سفنهم فاتحهم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فالت به وبهم ففرقوا جميعا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَعَهُ لَنَفَثَنَ فِيهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا يَقُولُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخَرِّجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرئت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك التهايات وقد قال بعدها (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي القرية . وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة أي تقربوا إليه بطاعته والسمل بما يرشيه ، وقرأ ابن زيد (أولئك الذين تدعون بينهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين اللقرين فيه . وأندس عليه ابن جرير قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عدنا لو صلنا • وعاد التصافي بيننا والوسائل
والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله
ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن النكدر
عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة
التامة ، أت محمدا الوسيلة الفضيلة وابته مقاما محمدا الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة »

(حديث آخر) في صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا إلى الوسيلة فانه منزلة في الجنة لا تنفى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فبن سأل إلى
الوسيلة حلت عليه الشفاعة »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب بن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم على فسلوا إلى الوسيلة » قيل يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال « أعلى درجة في الجنة
لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو » ورواه الترمذي عن بندار عن أبي حاتم عن سفيان الثوري عن
ليث بن أبي سليم عن كعب قال حدثني أبو هريرة به ثم قال غريب وكعب ليس بمشرف لا يعرف أحدا روى عنه
غير ليث بن أبي سليم : (حديث آخر) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن قانع حدثنا
محمد بن نصر الترمذي حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا ابن شهاب عن ليث عن النضر عن محمد بن كعب عن أبي هريرة
رفعه قال « صلوا على صلاتكم . وسلوا الله إلى الوسيلة » فسأله وأخبرهم أن الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها
إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا . (حديث آخر) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني أخبرنا أحمد بن علي الأبلار حدثنا
الوليدين عبد الملك الحراني حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله إلى الوسيلة فانه لم يسألوا إلى عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم
القيامة » ثم قال الطبراني لم يروه عن ابن أبي ذب إلا موسى بن أعين كذا قال : وقد رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن
علي بن دحيه حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن عمرو بن عطاء فذكر
يلسناده نحوه . (حديث آخر) روى ابن مردويه يلسناده عن حمارة بن غزيرة عن موسى بن وردان أنه سمع أبا سعيد
الخدري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتني
الوسيلة على خلقه . » (حديث آخر) روى ابن مردويه أيضا من طريقين عن عبد الحميد بن بحر حدثنا شريك عن أبي

إسحق عن الحارث عن علي بن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة : يا أيها الناس إن في
الجنة لؤلؤتين أحدهما بيضاء والأخرى صفراء أما الصفراء فانه إلى بطنان العرش وللقام المحمود من اللؤلؤة
البيضاء سبعون ألف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها أبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة
هي لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، والصفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته . وهذا أثر
غريب أيضا . وقوله (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحوا) لما أمرهم بترك المحارم وقتل الطغاة أمرهم بقتال الأعداء من
الكفار والشركيين الخارجين عن الطريق المستقيم ، والتاركين للدين القويم ، ورغبهم في ذلك بالذي أعد للجهاديين
في سبيله يوم القيامة من القلاع والسموات الخالصة للتمتع التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الترف العالية
الرفيعة ، الأمنة الحسنات مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها يتم لا يأس ويحني لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى

شبابه . ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال (إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثلهم معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبا وعمله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ، ويتقن وصوله إليهما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص ولهذا قال (ولهم عذاب أليم) أي موجع (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) كما قال تعالى (كما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم منه ولا سبيل لهم إلى ذلك ، كما رفضهم الله فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها (ولهم عذاب مقيم) أي دائم مستمر لا خروج لهم منها ، ولا عجد لهم عنها ، وقد قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعا ؟ فيقول شر مضجع ، فيقال هل تقبدي قبراب الأرض ذهبا ؟ قال فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تقبلي فيؤمر به إلى النار » رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن أنس به وكذا أخرجه من طريق أبي عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك به . ورواه مطر الوراق عن أنس بن مالك ، ورواه ابن مردويه عن طريقه عنه ، ثم روى ابن مردويه من طريق المسعودي عن يزيد بن سبب القنبر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » قال قلت لجابر بن عبد الله يقول الله (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) قال اتل أول الآية (إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثلهم معه ليفتدوا به) الآية لأنهم الذين كفروا وقد روي الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر عن يزيد القنبر عن جابر وهذا أبسط سياقا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شعبة الواسطي حدثنا يزيد ابن هارون أخرنا عن مبارك بن فضالة حدثني يزيد القنبر قال جلست إلى جابر بن عبد الله وهو يحدث فحدثنا أن ناسا يخرجون من النار قال وأنا يومئذ أنكر ذلك فضربت وقلت ما أعجب من الناس ولكن أعجب منك يا أصحاب محمد ثم روي أن الله يخرج ناسا من النار والله يقول (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) الآية فأنه ترى أصحابه وكان أحلمهم فقال دعوا الرجل إنما ذلك لكفار قرر إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثلهم معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) حتى بلغ (ولهم عذاب مقيم) ما هنأ ألقرا ؟ قلت بلى قد سمعته قال أنيس الله يقول (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فهو ذلك المقام فإن الله تعالى يجتنب أقواما بخطيئهم في النار ماشاء لا يكلمهم فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم ، قال فلم أعد بذلك إلى أن أكذب به ثم قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا عمرو ابن حفص السدوسي حدثنا حاتم بن أبي أخبرنا العباس بن الفضل حدثنا سعيد بن الربيع حدثني طلق بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكديبا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها بذكر الله فيها خلود أهل النار قال : يا طلق إنما أقرأ كتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني ؟ إن الذين قرأتهم أهلها هم للشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فشدوا ثم أخرجوا منها ثم أهوى بيدي إلى أذنيه فقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرجون من النار بعد ما دخلوا » ونحن خيرا كما قرأت

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • فَمَن تَلَبَّ مِن بَعْدِ عَذَابِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْلَمُ مَن يَشَاقُ وَيُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

يقول تعالى حاكما وأمرأ قطع يد السارق والسارقة وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن عامر بن شراحيل الشعبي

أذابن مسعود كان يقرؤها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما) وهذه قراءة شاذة وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لما لا يها بل هو مستفاد من دليل آخر . وقد كان القطع معمولا به في الجاهلية فقرر في الإسلام وزيدت شروط آخر كما سذكركه إن شاء الله تعالى ، كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه وزادات من تمام الصالح . وقال إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلا يقال له دويك مولى لبني ملسح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة ، وقال سرقة قوم فوضعو عنه . وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده به سواء كان قليلا أو كثيرا لمعوم هذه الآية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) فلم يعتبروا ضابا ولا حرزا بل أخذوا بمجرد السرقة . وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن عن نجيعة الحنفى قال سألت ابن عباس عن قوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) أخاص أمعام ؟ فقال بل عام وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء ويحتمل غير ذلك والله أعلم . وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لمن الله السارق يسرق البيضة تقطع يده ويسرق الحبل تقطع يده » وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره فنهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول علي حدة فعند الإمام مالك بن أنس رحمه الله النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة حتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع في جبن ثمنه ثلاثة دراهم . أخرجه في الصحيحين قال مالك رحمه الله : وقطع عثمان رضي الله عنه في أربعة قومت ثلاثة دراهم وهو أحب ما سمعت في ذلك وهذا الأثر عن عثمان رضي الله عنه قد رواه مالك عن عبد الله ابن أبي بكر عن أبيه عن حمزة بنت عبد الرحمن أن سارقا سرق في زمن عثمان أخرجه فأمر بها عثمان أن تقوم تقوم ثلاثة دراهم من صرف اتني عشر درهما تقطع عثمان يده قال أصحاب مالك ومثل هذا الصنيع يشتهر ولم يسكر لمن مثله يحكي الاجماع السكوني وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافا للحنفية وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لهم في أنه لا بد من عشرة دراهم وللشافعية في اعتبار ربع دينار والله أعلم ونهب الناقص رحمه الله إلى أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار أو ما يساويه من الأثمان أو المروض فصاعدا ، أو الحبة في ذلك ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من طريق الزهري عن حمزة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا » ولمسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حمزة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا » قال أصحابنا فهذا الحديث فاصل في المسئلة ونص في اعتبار ربع دينار لا ما ساواه قالوا وحديث ثمن الجن ، وأنه كان ثلاثة دراهم لا ينافي هذا لأنه إذ ذاك كان الدينار باثني عشر درهما فبى ثمن ربع دينار فأمكن الجمع بهذا الطريق ويروى هذا للذهب عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم وبه يقول عمر بن عبد العزيز واليث بن حدد والأوزاعي والثاقبي وأصحابه ، وإسحق بن راهويه في رواية عنه وأبو ثور ودادود بن علي الظاهري رحمهم الله

وفذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه في رواية عنه إلى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي فمن سرق واحدا منها أو ما يساويه قطع عملا بحديث ابن عمر وبحديث عائشة رضي الله عنها ووقع في لفظ عند الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك » وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما وفي لفظ للشافعية « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن الجن » قيل لثلاثة ما عن الجن قالت ربع دينار فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم والله أعلم وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف وعمر بن محمد وزفر وكنداسيان الثوري رحمهم الله فأنهم ذهبوا إلى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غريم مشوشة واحتجوا بأن ثمن الجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثمنه عشرة دراهم وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن غير وعبد الأمل حدثنا محمد بن إسحق عن

أيوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال كان عن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم ثم قال حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقطع يد السارق في دون من المجن » وكان عن المجن عشرة دراهم قالوا فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفا ابن عمر في عن المجن فلاحتياط الأخذ بالأكثر لأن الحدود تدبر بالشبهات . وذهب بعض السلف إلى أنه خطف يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو ما يبلغ قيمته واحدا منهما يحكى هذا عن علي وابن مسعود وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى وقال بعض السلف لا تقطع المحس إلا في خمس أي في خمسة دنانير أو خمسين درهما ، وينقل هذا عن سعيد بن جبير رحمه الله . وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة « يسرق البيضة تقطع يده ويسرق الحبل تقطع يده » بأجوبة (أحدها) أنه منسوخ بحديث عائشة وفي هذا نظر لأنه لا بد من بيان التاريخ (والثاني) أنه مؤول بيضة الحديد وحبل السفن قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه (والثالث) أنه منه وسيلة إلى التدرج في السرقة من القليل إلى الكثير الذي تقطع فيه يده ويحتمل أن يكون هذا خرج عرج الاخبار مما كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير فلن السارق الذي ينزل يده العينة في الأعياء المينة وقد ذكرنا أن أبا العلاء المرى لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالا على الفقهاء في جلهم تصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك شعرا مدح على جهه ، وقلة عقده فقال :

يد بخمس مثنى عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت * وأنت تهود بمولانا من النار

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أن قال لما كانت أمانة كلفت عينة ولما خانت هانت ، ومنهم من قال هذا من تمام الحكمة والصلحة وأسرار السرمة العظيمة فإن في باب الجنائيات ناسب أن تعظم قيمة اليد خمسمائة دينار لكلا يميني عليها ، وفي باب السرقة ناسب أن يكون التسليم الذي تقطع فيه ربع دينار لكلا يسارح الناس في سرقة الأموال فهذا هو عين الحكمة عند ذوى الألباب . ولهذا قال (جزء بما كتبنا نكالا من الله والله عزيز حكيم) أي مجازاة على صنيعها السيء في أخذها أموال الناس بأيديهم فناسب أن يقطع ما استأننا به في ذلك نكالا من الله أي تتكبرا من الله بهما على ارتكاب ذلك (والله عزيز) أي في انتقامه (حكيم) أي في أمره ونبيه وشرعه وقدره . ثم قال تعالى (فمن تاب من بعد ظنله وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) أي من تاب بعد سرقة وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيها بينه وبينه فأما أموال الناس فلا بد من ردّها إليهم أو بدلها عند الجمهور وقال أبو حنيفة متى قطع وقد تلفت في يده فإنه لا يرد بدلها ، وقد روى الحافظ أبو الحسن الدارقطني من حديث (١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى بسارق قد سرق ثوبا فقال ما إنخاله سرق فقال السارق بلى يا رسول الله قال « انهبوا به فاقطعوه ثم احموه ثم اتنؤوا به » فقطع قاتل به فقال « عباد الله » فقال تمت إلى الله فقال « تاب الله عليك » وقد روى من وجه آخر مرسلا ورجح إرساله على بن اللذين وابن خزيمة رحمهما الله . وروى ابن ماجه من حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري عن أبيه أن عمر بن مرة بن حبيب بن عبد نمس جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني سرت رجلا لبنى فلان فطهرني فأرسل إليهم النبي ﷺ فقالوا إنا اعتقدنا رجلا لنا فأمر به فقطعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخل جسدي النار . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن حمي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال سرت امرأة حليا فبهاه الدين سرتهم فقالوا يا رسول الله سرتنا هذه لمرأة قال رسول الله ﷺ « اقطعوأيدها اليمن » فقالت المرأة هل من توبة قال رسول الله ﷺ « أنت اليوم من خطيتك كيوم ولدتك أمك » قال فأنزل الله عز وجل (فمن تاب من بعد ظنله وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا (١) متا يفيض بالأمل .

نزلت هذه الآيات الكريمات في السراطين في الكفر الحارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم في شرايع الله عز وجل (من الذين قالوا آتنا بآلهامهم ثم تؤمن قولهم) أي أظهروا الإيمان بألسنتهم وقولهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم الناصتون (ومن الذين هادوا) أعداء الإسلام وأهل وهؤلاء كلهم (صاحون للكذب) أي مستحيون له متغفلون عنه (صاحون قوم آخرين لم يأتوك) أي يستجيرون لأقوام آخرين لا يأتون بمجسك يا محمد وقيل المراد أنهم يشعرون الكلام ويذهبونه إلى قوم آخرين ممن لا يخشع عندك من أعدائك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله ويدخلونه من بعد ما علقوه وهم يملكون (يقولون إن أوأتيتم هذا فخذوه وإن لم تأتوكم فلا تحلوا) قيل نزلت في قوم من اليهود قتالوا قتلا وقالوا تعالى حتى نتحاكم إلى محمد فإن حكم بالبدية قايبلوه وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه والصحيح أنها نزلت في اليهوديين الذين زينا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم فصروه واسطلموا فيها بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والاركاب على حمار مقولين فلما وقعت تلك الكافة بعد الهجرة قالوا فيها بينهم تناولوا حتى نتحاكم إليه فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نوعين أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وإن حكم بالرجم فلا تبصوه في ذلك وقد توردت الأحاديث بذلك فقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ وما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا انقضضهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبت إن فيها الرجم فأوتوا بالتوراة، فأوتوا بالإنجيل فأنشروها ووضع أحدهم يده في آية الرجم قرأها قبلها وما يصداها فقال لعبد الله بن سلام رافع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجا فرأيت الرجل يجيء على المرأة يقبها المجاورة أخرجاه وهذا لفظ البخاري وفي لفظ له فقال لليهود؟ ما تصنعون بها؟ قالوا نسحق وجوههما ونخزهما قال (فأوتوا بالتوراة فتأولوها إن كنتم صادقين) فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرشون أعور: اقرأ، قرأ حتى انتهى إلى موضعها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم تلوح قال يا محمد إن فيها آية الرجم ولكننا ننكاهه بيئنا فأمر بهما فرجا وعند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى يهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهودي فقال (ما تجدون في التوراة على من زنى؟) قالوا نمود وجوهها ونخمها ونحملها ونخالف بين وجوهها ويلطاف بهما قال (فأوتوا بالتوراة فتأولوها إن كنتم صادقين) قال فجاءوا بها فقررها حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتي الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال لعبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ مره فليرفع يده فليرفع يده فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسكه بيديه. وقال أبو داود حدثنا أحمد بن سعيد الحمداوي حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد أثبت زيد بن أسلم حديثه عن ابن عمر قال أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ﷺ إلى القف فاتاهم في بيت للدراس فقالوا أبا القاسم إن رجلا منا زنى بامرأة حاكم قال ووضعا لرسول الله ﷺ وسادة فجلس عليها ثم قال (التوني بالتوراة فأتني هاترعة الوسادقة تحتها ووضع التوراة عليها وقال أنت بك وعين أنزلك) ثم قال (التوني بأعلمكم) فأتى بقى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع وقال الزهري سمعت رجلا من مزينة من بني يعلى بن مسعود وعن ابن المسيب عن أبي هريرة قال زنى رجل من اليهودي امرأة فقال بعضهم لبعض ادعوا إلى هذا التي فاته بث بالخيف فانأتا فبنيا دون الرجم قبلناه واحتجبنا بها عند الله فانأتا بي من أنبيائكم قال فتأوتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة منهم زنى فما فعلكمهم هل تنفذ حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال (أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحسن) قالوا نعم وبجه ويجلد والتجبه أن يحمل الزانيان على حمار وتقبل أقفيتهما ويلطفا بهما قال وسكت شاب منهم فلما رأى رسول الله ﷺ سكت أظنه بـ رسول الله صلى الله عليه وسلم النشرة فقال اللهم إذ نضدتا فانا نجحد في التوراة الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لما أول ما ارتخص أمر الله» قال زنى ذوقرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم

رَفِيٍّ رَجُلٍ فِي آثَرِهِ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ رَجْمَهُ فَحَالَ قَوْمُهُ دُونَهُ وَقَالُوا لَا يَرْجَمُ صَاحِبُنَا حَتَّى تَجِيءَ بِصَاحِبِكَ فَرَجَمَهُ فَطَافُوا حَوْلَهُ عَلَى هَذِهِ الْعُقُوبَةِ يَنْتَهَبُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَاتِي أَحْمَكُ بَا فِي التَّوْرَةِ » فَأَمَرُ بِهِمَا فَرَجَا قَالُ الرَّهْزِيُّ نَبْلَقْنَا أَنْ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِيهِمْ (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَهَذَا لَفْظُهُ وَابْنُ جُرَيْرٍ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا أَبُو مَالٍوَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ عَجْمٌ يَجْلُوهُ فَقَدِمَ فَقَالَ « أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ ؟ » فَقَالُوا نَعَمْ فَقَدِمَا رَجُلًا مِنْ عِلْمَانِهِمْ فَقَالَ « أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ ؟ » فَقَالَ لَا وَاللَّهِ وَلَوْلَا أَنْتَ نَفِدتُنِي بِهَذَا لَمْ أَخْبِرْكَ ، تَجِدُ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِنَا الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقْنَعْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قَتَلْنَا نَعْمَالُوا حَتَّى يَجْعَلَ عَيْشًا شَيْعَةً عَلَى الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَى التَّحْمِيمِ وَالْجُلْدِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَّا تَوَهُ » قَالَ فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنٌ لَكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) إِلَى قَوْلِهِ (يَقُولُونَ) إِنْ أَوْتَيْنَاهُ هَذَا فَخُذْهُ أَوْ قُولُوا لَنْ أَتَيْنَاكُمْ بِالْحَمِيمِ وَالْجُلْدِ فَخُذْهُ وَإِنْ أَنْتُمْ كَالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا إِلَى قَوْلِهِ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قَالَ فِي الْيَهُودِ إِلَى قَوْلِهِ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) قَالَ فِي الْيَهُودِ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) قَالَ فِي الْكُفَرَاءِ كُلِّهَا ، ائْتَدِ بِأَخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ دُونَ الْبَخَارِيِّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحِمْدِيُّ فِي مُسْنَدِهِ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَدَنِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ زَيْدُ بْنُ رَجَلٍ مِنْ أَهْلِ فَدَكٍ كَتَبَ أَهْلَ فَدَكٍ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْيَهُودِ بِالْبَدِينَةِ أَنْ سَلُوا عَجْمًا عَنْ ذَلِكَ فَإِنْ أَمَرَكُمُ بِالْجُلْدِ فَخُذْهُ عَنْهُ وَإِنْ أَمَرَكُمُ بِالرَّجْمِ فَلَا تَأْخُذْهُ عَنْهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ « أَرَسَلُوا إِلَى أَعْلَمَ رَجُلَيْنِ فِيكُمْ » فَجَاءُوا بِرَجُلٍ أَعْمُرٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ صُورِيٍّ وَآخَرُ فَقَالَ لِمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَتَيْنَا أَعْلَمَ مِنْ قَبْلِكُمْ » فَقَالَا قَدْ دَخَلْنَا قَوْمَنَا فَكُنَّا نَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا « أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ » قَالَا بَلَى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَأَنْشُدْكَ بِالَّذِي لَقِيَ الْبَحْرَ لَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَظَلَّ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ وَاجْتَمَعَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَنْزَلَ لَلْنِ وَالسَّوْدَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَجِدُونَ فِيهَا حَدَّ الزَّانِي الرَّجْمَ » فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا نَشَدْتَ بِمَثَلِهِ قَدْ تَمَّ قَالَا تَجِدُ تَرْدَادَ النَّظَرِ زَيْنَةَ وَالْإِعْتِنَاءَ زَيْنَةَ وَالنَّظِيلَ زَيْنَةَ فَلِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةَ أَهْمُ رَأَوْهُ يَيْدِيٍّ وَبَعِيدٌ كَأَيْدِيٍّ خِلَالِ اللَّيْلِ فِي السَّكَّةِ قَدْ وَجِبَ الرَّجْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « هُوَ ذَاكَ » فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ فَتَزَلَّتْ (فَإِنْ جَاءَ دُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَعَرَّضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حُكِمَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَاسِطِينَ) وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ عَجْفَانَ بِهَيْئَتِهِ وَلَفْظِهِ أَيْدَاوُدَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ جَاءَتِ الْيَهُودُ بِرَجُلٍ وَأَمَرُوا أَنْ يَنْقَالَ « أَتَيْنُوا بِأَعْلَمَ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ » فَأَتَوْهُ بَابِنِ صُورِيٍّ فَخُذْهَا « كَيْفَ تَجِدَانِ أَمْرَ هَذَيْنِ فِي التَّوْرَةِ ؟ » قَالَا تَجِدُ إِذَا شَهِدَا أَرْبَعَةَ أَهْمُ رَأَوْهُ أَذْكَرَهُ فِي فَرْجِهِمَا مِثْلَ اللَّيْلِ فِي السَّكَّةِ رَجَا ، قَالَ « فَمَا يَنْتَظِرُ أَنْ تَرْجُمُوهُمَا » قَالَا ذَهَبَ سُلْطَانُنَا فَكَّرْنَا أَنْ نَقْتُلَ فَنَدِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَهُودِ فَجَاءَ أَرْبَعَةَ فَشَهِدُوا أَهْمُ رَأَوْهُ أَذْكَرَهُ مِثْلَ اللَّيْلِ فِي السَّكَّةِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِهِمَا ثُمَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ مَرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ فَقَدِمَا بِالْيَهُودِ فَشَهِدُوا فَهَذِهِ الْأَحْيَاءُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمَ بِمُؤَافَقَةِ حُكْمِ التَّوْرَةِ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْأَكْرَامِ لَهُمْ بَلَى يَتَقَدَّرُونَ صَحَّةَ أَهْمُ رَأَوْهُ بِأَمْرٍ مَوْجُودٍ خَاصٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِذَلِكَ وَسْوَئُهُ إِذَا هُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيَقْرَهُمْ عَلَى مَا بِيَدِهِمْ مِمَّا تَوَاطَعُوا عَلَى كِتَابَتِهِ وَجَعَلَهُ وَعَدِمَ الْعَمَلُ بِهِ تِلْكَ الشُّهُورَ الطَّوِيلَةَ فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِهِ مَعَ عَمَلِهِمْ عَلَى خِلَافِهِ بَانَ زَيْفُهُمْ وَعَنَادُهُمْ وَتَكْذِيبُهُمْ لِمَا يَتَقَدَّرُونَ صَحَّةَ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ وَعَدُوهُمْ إِلَى تَحْكِيمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ عَنْ هَوَى مِنْهُمْ وَشَهْوَةِ مُؤَافَقَةِ آرَائِهِمْ لَا لِعَقْدَانِهِمْ صَحَّةَ مَا يَحْكُمُ بِهِ وَلِهَذَا قَالُوا (إِنْ أَوْتَيْنَاهُ هَذَا) أَيْ الْجُلْدَ وَالتَّحْمِيمَ فَخُذْهُ أَوْ أَقْبَلْهُ (وَإِنْ لَمْ تَوْتُوهُ فَاحْذَرُوا) أَيْ مِنْ قَبُولِهِ وَاتِّبَاعِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ يَرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لِهَذَا الدُّنْيَا

خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم ساعون الكذب) أى الباطل (أ كآلون للسحت) أى الحرام وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد أى ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له ثم قال ليه (فإن جاءوك) أى يتبعك كون اليك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا (أى فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بشئكم إياك اتباع الحق بل ما يوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وزيد ابن أسلم وعطاء الخراساني والحسن وغير واحد منسوخة بقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالحق والعدل وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل (إن الله يحب القسطين) ثم قال تعالى منكر اعلمهم فى آرائهم الفاسدة ومقاصدهم الزائفة فى تركهم ما يستقنون صحة من الكتاب الذى بأيديهم الذى يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبدا ثم خرجوا عن حكمة وعدلوا إلى غيره مما يستقنون فى نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم فقال (وكيف يحكمونك) وعندكم النوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم مدح التوراة التى أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران فقال (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا) أى لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها (والرايون والأخبار) أى وكذلك الرايون منهم وهم العلماء العباد والأخبار وهم العلماء (عما استخفوا من كتاب الله) أى بما استودعوا من كتاب الله الذى أمروا أن يظهره ويصلوا به (وكانوا عليه شهداء) فلا تخشوا الناس واخشون) أى لا تخافوا منهم وخافوا مني (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فيه قولان سيأتى بيانهما

(نصيب آخر فى نزول هذه الآيات الكريمات)

قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن العباس حدثنا عبد الرحمن بن أنس الزناد عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال إن الله أنزل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون قال: قال ابن عباس أنزلها الله فى الطائفتين من اليهود وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى فى الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتل قتلته المزرة من الدلية فديته خمسون وسقا وكل قتل قتلته الدلية من المزرة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم فقتلت الدلية من المزرة قتلا فأرسلت المزرة إلى الدلية أن ابشرا لنا بمائة وسق قتالت الدلية وهل كان فى حين دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد وديتهم نصف نصف دية بعض إنما أعطيناكم هذا ضما منكم لنا وفرقا منكم فأما إذ قدم محمد فلا تعطيك الحرب نهج بينهم ثم ارتضوا على أن يعملوا رسول الله ﷺ بينهم ثم ذكرت المزرة قتالت والله ما عهد بمعطيك منهم نصف ما يعطيه منكم ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضما منا فغفروا لهم ففسدوا إلى محمد من غير لكم رأي إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه وإن لم يعطكم حلدنتم فلم يحكموه ففسدوا إلى رسول الله ﷺ ناسا من المنافقين ليخبروا لهم رأى رسول الله ﷺ فلما جاءوا رسول الله ﷺ أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) إلى قوله (الفاسقون) ففهم والله أنزل وإليهم عسى الله عز وجل ورواه أبو داود من حديث ابن أنس الزناد عن أبيه بنحوه. وقال أبو جبر بن جرير حدثنا هناد ابن السرى وأبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن الآيات التى فى المائدة قوله (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم - إلى القسطين) إنما أنزلت فى الدية فى بنى النضير وبنى قريظة وذلك أن قتلى بنى النضير كان لهم شرف تؤدى الدية كاملة وأن قريظة كانوا يؤدى لهم نصف الدية فتمنا كفوا فى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ذلك ففهم فصلهم رسول الله ﷺ على الحق فى ذلك فجعل الدية فى ذلك سواء والله أعلم أى ذلك كان، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن إسحق بنحوه ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل القرظي رجلا من النضير قتل به وإذا قتل النضيري رجلا من قريظة ودى مائة وسق من تمر قلما يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إليه فقالوا يبتنا وينسكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث عبيد الله بن موسى بنحوه . وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد وغير واحد وقد روى الوقيطي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين الذين زنيا كما تقدمت الأحاديث بذلك وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم ، ولهذا قال بعد ذلك (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) إلى آخرها وهذا يقوى أن سبب النزول قضية القصاص والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال البراء بن عازب وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء المطاردى وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصرى وغيرهم نزلت في أهل الكتاب زاد الحسن البصرى وحى علينا وأجابه عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضى الله لهذه الأمة بها رواء ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبر عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن علقمة وسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرعدة فقال من سمعت قال قتالا وفي الحكم قال ذلك الكفر تلام (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال السدى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يقول ومن لم يحكم بما أنزل الله فتركه عمدا أو جارا وهو يعلم فهو من الكافرين وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن آثر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق رواء ابن جرير ثم اختار أن الآية للراد بها أهل الكتاب أو من جحدكم الله لنزول في الكتاب بوقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله قال السلسين

وقال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا عبد الصمد حدثنا شعبة عن ابن أبي السفر عن الشعبي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذابي السلسين) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قال هذا في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال هذا في النصارى وكذا رواء هشيم والثوري عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر بن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم بالآية قال هي به كفر قال ابن طاوس وليس كن بكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ، رواء ابن جرير وقال وكيع عن سعيد السكي عن طاوس (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بكفر ينقل عن الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن جبير عن طاوس عن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بالكفر الذي تنهبون إليه ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَأَجْرَحْنَاهُمْ فَصَصَّ فَقَدْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

وهذا أيضا مما بحث به اليهود وقرعوا عليه فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك همدا وعنادا ويقيدون النضري من القرطى ولا يقيدون الهزلى من النضري بل يسلون إلى البدية كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحسن وعدلوا إلى ما أسطلموا عليه من الجلد والتجميم والأشعار ولهذا قال هناك (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وهمدا وقال ههنا (فأولئك هم الظالمون) لأنهم لم ينفصوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالقوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضا ^(١) وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن عيسى بن يزيد أخى يونس بن يزيد عن الزهري

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) نصب النفس ورفع العين وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن المبارك وقال الترمذي حسن غريب وقال البخاري فخر ابن المبارك بهذا الحديث وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكمي مقرا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور وكما حكاه الشيخ أبو إسحق الاسفراييني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنائيات عند جميع الأئمة وقال الحسن البصري هي عليهم وعلى الناس عامة رواه ابن أبي حاتم وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسئلة ثلاثة أوجه ثالثها أن شرع إبراهيم حجة دون غيره وصح منها عدم الحجة ونقلها الشيخ أبو إسحق الاسفراييني أقوالا عن الشافعي وأكثر الأصحاب ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا فإنه أعلم وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بمصوم هذه الآية الكريمة وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كتب في مكناب عمرو بن حزم « أن الرجل يقتل بالمرأة » وفي الحديث الآخر « المسلمون تكافأ دماؤهم » وهذا قول جمهور العلماء وعن أمير المؤمنين على بن أبي طالب أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها إلا أن يدفع ولها إلى أولياءه نصف الدية لأن ديتها على النصف من دية الرجل وإليه ذهب أحمد في رواية وحكى عن الحسن وعطاء وعثمان السبق ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها بل تجب ديتها وهكذا احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بمصوم هذه الآية على أنه يقتل للمسلم بالكافر الذي على قتل الحر بالبعد وقد خالفه الجمهور فيما فني الصحيحين عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقتل مسلم بكافر » وأما العبد ففيه عن السلف آثار متعددة أنهم لم يكونوا يشيدون العبد من الحر ولا يقتلون حرا بعبده وجاء في ذلك أحاديث لا تصح وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الخفيف في ذلك ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل غصص للآية الكريمة .

ويزيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن الربيع عمه أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا إلى القوم المغو فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « القصاص » فقال أخوها أنس بن النضر يا رسول الله تكسر ثنية فلانة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أنس كتاب الله القصاص » قال: فقال لا والذي يمشك بالحلق لا تكسر ثنية فلانة : قال فرضوا القوم فمغوا وتركوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » أخرجه في الصحيحين وقد رواه محمد بن عبد الله بن لثمي الأنصاري في الجزء المشهور من حديثه عن حميد عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر سمته طلعت جارية فكسرت ثنيتهما فمضوا عليهم الأرض فأبوا فطلبوا الأرض والمغو فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع والذي يمشك بالحلق لا تكسر ثنيتهما فقال النبي ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص » ففأ القوم فقال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » رواه البخاري عن الأنصاري بنحوه وروى أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن أبي نضر عن عمران بن حصين أن غلاما أناس فقراء قطع أذن غلام لأناس أغنياء فأتى أهله النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله إن أناس فقراء فمحمل عليه شيئا وكذا رواه النسائي عن إسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة به وهذا إسناد قوى رجاله كلهم ثقات وهو حديث مشكل اللهم إلا أن يقال إن الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ولعله لمحمّل أرض ما قصص من غلام الأغنياء عن الفقراء أو استغفاه عنه . وقوله تعالى (والجروح قصاص) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تقتل النفس بالنفس وتضاق العين بالعين ويقطع الأنف بالأنف وتززع السن بالسن وتقتل الجراح بالجراح فهذا يستوى فيه أحرار المسلمين فيما بينهم رجالهم ونساءهم إذا كان عمدا في النفس وما دون النفس ويستوى فيه العبيد لرجالهم ونساءهم فيما بينهم إذا كان عمدا في النفس وما دون النفس رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

(قاعدة مهمة)

الجراح تارة تكون في مفصل فيجب فيه التقصص بالإجراع كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم قتال ماله رحمه الله فيه التقصص إلا في القخذ وشبهه لأنه يخوف خطر وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يجب التقصص في شيء من العظام إلا في السن وقال الشافعي لا يجب التقصص في شيء من العظام مطلقا وهو مروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس وبه يقول عطاء والشعي والحسن البصري والأزهري وإبراهيم النخعي وعمر بن عبدالعزيز واليهذهب سفيان الثوري والليث بن سعد وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على منعه أنه لا تقصص في عظم إلا في السن وحديث الربيع لاجبة فيه لأنه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية وجائز أن تكون سقطت من غير كسر فيجب التقصص والحالة هذه الاجماع وعموا الدلالة بما رواه ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن دهشم بن قران عن عمران بن جارية عن أبيه جارية بن ظفر الحنفى أن رجلا ضرب رجلا على ساعده بالسيف من غير التفصل قطعها فاستدى النبي ﷺ فأمره بالدية فقال يا رسول الله أريد التقصص فقال خذ الدية بركة اللهك فيها ولم يرض به بالتقصص ، وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ليس لهذا الحديث غير هذا الاسناد ودهشم بن قران السكلى ضعيف أعرابي ليس حديثه مما يحتج به وعمران بن جارية ضعيف أعرابي أيضاً وأبوه جارية بن ظفر مذکور في الصحابة ثم قالوا لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تتدخل جراحة الجنبى عليه فإن اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه فلا شيء والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء إلى النبي ﷺ فقال أقدنى فقال « حتى تبرأ » ثم جاء إليه فقال أقدنى فأقاده فقال يا رسول الله عرجت فقال « قد نهيتك فصيتنى فأبديك الله وبطل عرجك » ثم نهى رسول الله ﷺ أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه فخره به أحمد (مسألة) فلو اقتص الجنبى عليه من الجانبين لمات من التقصص فلا شيء عليه عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم وقال أبو حنيفة يجب الدية في مال للتقصص وقال عامر والشعي وعطاء وطاوس وعمر بن دينار والحارث السكلى وابن أبى ليلى وسامد ابن أبى سليمان والأزهري والثوري يجب الدية على عاقلة للتقصص له ، وقال ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وعثمان البسى يسقط عن التقصص له قدر تلك الجراحة ويجب الباقي في ماله وقوله تعالى (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (فمن تصدق به) يقول فمن عفائه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر لطلال وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمن تصدق به فهو كفارة للجراح وأجر المرحوم على الله عز وجل رواه ابن أبى حاتم ثم قال وروى عن خزيمة بن عبد الرحمن ومجاهد وإبراهيم في أحد قوله وعمار الشعي وجابر بن زيد نحو ذلك (الوجه الثانى) ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا حماد بن زاذان حدثنا حري بنى بن حمارة حدثنا شعبة عن حمارة بنى ابن أبى خصة عن رجل عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال المعرجي وروى عن الحسن البصري وإبراهيم النخعي في أحد قوله وأبى إسحق المصداق نحو ذلك وروى ابن جرير عن عامر الشعبي وقادقته وقال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن جبيب حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا خضعة عن عيسى بنى ابن مسلم قال سمعت طارق بن شهاب يحدث عن الهيثم بن العريان النخعي قال رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمرا شبيها بالوالى فسألت عن قول الله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وهكذا رواه سفيان الثوري عن عيسى بنى ابن مسلم وكذا رواه ابن جرير من طرق سفيان وشعبة ، وقال ابن مردويه حدثني محمد بن على حدثنا عبد الرحمن بن محمد الجاشعى حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الهررى حدثنا يحيى بن سلمان الجلفى حدثنا على بنى ابن هلال أنه سمع أن ابن ثعلب عن العريان بن الهيثم بن الأسود عن عبد الله بن عمرو عن ابن ثعلب عن الشعبي عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ في قوله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال « هو الذى تكسر سنه أو تضطرب به أو قطع الشىء منه أو يجرح في بدنه فيفوق ذلك » - قال فيحط عنه قدر خطايه فإن كان ربع الدية فربع خطايه وإن كان

الثالث قلت خطايه وإن كانت الهية حطت عنه خطاياه كذلك » ثم قال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحق عن أبي السفر قال دفع رجل من قرشي رجلا من الأنصار فاندقت ثنيته فرفضه الأنصاري إلى معاوية فلما ألح عليه الرجل قال سأئك وصاحبك قال وأبو الهرداء عند معاوية فقال أبو الهرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم بشيء من جسده فيه إلا رضى الله به درجة وحط عنه به خطيئة » فقال الأنصاري أنت سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعته أذنائي ووعاء قلبي . فخطى سيل القرشي . فقال معاوية صروا له بماله ، هكذا رواه ابن جرير ورواه الإمام أحمد فقال حدثنا وكيع حدثنا يونس بن أبي إسحق عن أبي السفر قال كسر رجل من قرشي من رجل من الأنصار فاستدى عليه معاوية فقال معاوية إنا سترضيه فألح الأنصاري فقال معاوية سأئك بصاحبك وأبو الهرداء جالس فقال أبو الهرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم بصاب شيء من جسده فيصدق به إلا رضى الله به درجة وحط به عنه خطيئة » فقال الأنصاري فاني قد عفوت وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن يونس بن أبي إسحق به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه ولا أعرف لأبي السفر سبطا من أبي الهرداء ، وقال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا محمد ابن علي بن زيد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سفيان بن عمار بن عتيق بن عدي بن ثابت أن رجلا أهدى له رجل من أهل عهد معاوية رضى الله عنه فأعطى دية فأبى إلا أن يقتص فأعطى ديتين فأبى فأعطى ثلاثا فأبى فحدث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من تصدق بعم فادونه فهو كفارة لمن يوم ولد إلى يوم يموت » وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم عن الثوري عن الشعبي أن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن رجل يرحم من جسده جراحة فيصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به » ورواه النسائي عن علي ابن حجر عن جرير بن عبد الحميد ورواه ابن جرير عن محمود بن خداف عن هشيم كلاهما عن الثوري به وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن عماد بن عامر عن الحرير بن أبي هريرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال ، « من أصيب شيء من جسده فتركه كان كفارة له » .

وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا كفر دون كفر وظلم دون ظلم ونفس دون نفس .

﴿ وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَبْسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

يقول تعالى (وقفينا على آثارهم يعني أنبياء بني إسرائيل) (ييسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) أي مؤمنا بها حاكما بها فيها (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) أي هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الغلطات وحل للشكوك (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي متبعا لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل بما بين يدي بني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى (وهدى وموعظة للمتقين) أي وجهلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أي إزجارا عن ارتكاب المحارم والآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه . وقوله تعالى (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) قرئ (وليحكم أهل الإنجيل بالنصب على أن اللام لام كي أي وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم وقرئ (وليحكم بالجرم على أن اللام لام الأمر أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه وكما فيه البشارة بيعة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب

لستم على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الآية وقال تعالى (الذين يسمعون الرسول انبي الأذى الذي يمدونه مكتوباً عندهم في التوراة) إلى قوله (الفلجئون) ولهذا قال ههنا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة ربهم للماثلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُعَيِّنًا عَلَيْهِ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا فَاَنْتَكُم مَّا تَشْتَقُونَ فَاَسْتَقْبُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَخَذْتُمْ أَنْ يُفْتَنُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا نُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَنْصَحُكُمْ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْقُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام وأمر باتباعها حيث كانت سائقة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بآلاته واتباع ما فيه كما تقدم بيانه شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) أي من الكتب القديمة للتشتملة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبرت به بما زادها صدقاً عند حاملها من ذوي البصائر الذين اتخادوا الأمر الله واتباعوا شرايع الله وصدقوا به الله كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آتَوْا الْحَمْلَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لَلْأَفْئَاتِ سَجْداً وَمَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) أي إن كان ما وعدنا الله على السنة رسوله للتقدمة من مجيء محمد عليه السلام لمفعول أي لسكان لا عمالة ولا بد. وقوله تعالى (ومهيئنا عليه) قال سفيان الثوري وغيره عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس أي مؤتمناً عليه. وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس للهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريج القرآن أمين على الكتب للتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالي عن ابن عباس (ومهيئنا) أي شهيدا وكذا قال مجاهد وقادة والسدي وقال الوالي عن ابن عباس (ومهيئنا) أي حاكماً على ما قبله من الكتب وهذه الأقوال كلها متقاربة للمعنى فإن اسم الهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتماً لأهلها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه حسان من قبله وزاد من الكتابات ما ليس في غيره فلذلك جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمية فقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيع عن مجاهد أنهم قالوا في قوله (ومهيئنا عليه) يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن فإنه صحيح في المعنى ولكن في ضمير هذا بهذا نظر وفي تنزيهه عليه من حيث العربية أيضاً نظر وبالجملة فالصحيح الأول وقال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد وهذا التأويل بيد من القهوم في كلام العرب بل هو خطأ وذلك أن الهيمن عطف على الصدق فلا يكون إلا صفة لما كان الصدق صفة له قال: ولو كان الأمر كما قال مجاهد قال: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ مهيئنا عليه ، يعني من غير عطف وقوله

تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أى فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أمهم وكناهم بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شركه هكذا وجهه ابن جرير بمعناه قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سلمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم بن مجاهد عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم غييراً إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فقدم إلى أحكامهم فزلت (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا ، وقوله (ولا تتبع أهواءهم) أى آراءهم التي اصططلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله ولهذا قال تعالى (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أى لا تصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خاله الأحمر عن يوسف بن أبي إسحق عن أبيه عن التميمي عن ابن عباس (لكل جعلنا منكم شرعة) قال سيلا وحدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس (ومنهاجاً) قال وسنة وكذا روى العوفي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجاً) سيلا وسنة وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقادة والضحاك والسدي وأبي إسحق السبيعي أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجاً) أى سيلا وسنة وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أى عطاء الخراساني عكسه (شرعة ومنهاجاً) أى سنة وسيلا والأول أنسب فإن الشرعة وهى الشريعة أما منهاج فهو ما يتبناه فيه إلى الشيء ومنه يقال شرع في كذا أى ابتداء فيه وكذا الشريعة وهى ما شرع فيها إلى السواء أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق . فتفسير قوله (شرعة ومنهاجاً) بالسيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم . ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد » يعنى بذلك التوحيد الذى بث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بئنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية ، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفاً في إحدى الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) يقول سيلا وسنة والسنن مختلفة وهى في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة وفي الفرقان شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يعطيه ممن يصيبه ، والذين لا يقبل الله غيرهم التوحيد والإخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل مخاطب بهذه الآية هذه الأمة ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم آيتها الأمة شرعة ومنهاجاً أى هو لكم كلكم تقتدون به وحذف التضمير للنصب في قوله (لكل جعلنا منكم) أى جعلناه يعنى القرآن شرعة ومنهاجاً أى سيلا إلى القاصد الصحيحة وسنة أى طريقاً ومسلماً واضحاً بيننا هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله ، والصحيح القول الأول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذى بعده حتى نسخ الجميع بما بث به عبده ورسوله محمداً ﷺ الذى ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ولهذا قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) أى أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليجتري عباده فيما شرع لهم ويشبههم أو يعاقبهم على طاعته ومصلحته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير (فيما آتاكم) يعنى من الكتاب ثم إنه تعالى نذبهم إلى السارعة إلى الخير والابتدأة إليها فقال (فاستبقوا الخيرات)

وهي طاعة الله وإتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى (إلى الله مرجعكم) أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة (فنبشكم بما كنتم في تخفون) أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويذيب الكافرين الجاحدين الكذابين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم مماندون للبرهان القاطمة ، والحجج البالغة والأدلة الدامغة ، وقال الضحاك (فاستبقوا الخيرات) يعني أمة محمد ﷺ والأول أظهر وقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) تأكيذا لما تقدم من الأمر بذلك والنهي عن خلافه ثم قال (واحدروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أي واحذروا أعداءكم اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه اليك من الأمور فلا تقربهم فإنهم كذبة كفر خونة (فإن تولوا) أي عما يحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فبهم أن يصرفهم عن الهدى لما هم من الذنوب السالفة التي اقتضت إهلاكهم ونكالمهم (وإن كثيرا من الناس لغافلون) أي إن أكثر الناس لغارجون عن طاعة ربهم غافلون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) الآية وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني محمد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعنا فتنه عن دينه فألوه قتلوا يا محمد إنك قد عرفت أنا أحيار يهود وأشرا فريه وساداتهم وإنا إن اتيناك اتينا يهود ولم يخافونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل فيهم (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) إلى قوله (قوم يوتقون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يشكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم للشمع على كل خير انتهى عن كل شر وعسل إلى مساوه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعا الرجال بلا مست من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التار من السياسات الملكية للأخوة عن ملكهم جشكرخان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنية شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنن رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواهم في قليل ولا كثير قال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) أي يتشؤون ويريدون وعن حكم الله يدلون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقهم من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال بن يافض حدثنا أبو عبيدة الناجي قال سمعت الحسن يقول من حكم بشير حكم الله فحكم الجاهلية وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال قال طلوس إذا سأله رجل : أفضل بين ولدي في النحل ؟ قرأ (أفحكم الجاهلية يبغون) الآية وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أبغض الناس إلى الله عز وجل من يتبنى في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه » وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه زيادة (يأبى الذين آمنوا ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض يترء لهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) فلو يهدى القوم من يترءون فيهم يقولون نخشى أن

لعبد الله بن أبي « يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » قال قد قبلت فأرسل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيتين ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد حدثنا يونس ابن بكير حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال للسلوس لأوليائهم من اليهود أسلو قبل أن يصيبكم الله يوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصفياء عركم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أسرنا الزينة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقتالونا فقال عبادة بن الصامت يا رسول الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أغصهم كثيراً سلاحهم شديدة شوكتهم ، وإني أرى إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود ولا مولى إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكتي لأبرأ من ولاية يهود إنى رجل لا بد لي منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا الحباب أرايت الذى هست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » فقال إنا أقبل ، قال فأرسل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء — إلى قوله تعالى — والله يصمئكم من الناس) وقال محمد بن إسحق فكانت أول قرية من اليهود هضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصره رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمة فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سؤل حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالى وكانوا حلفاء الخزرج قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالى قال فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب ودع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « وأرسلني » غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راوا لوجه ظلالاً قال « ويحك أرسلني » قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى أربماة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدني في غداة واحدة امرؤ أخشى الدوائر قال : فقال رسول الله ﷺ « هم لك » قال محمد ابن إسحق فحدثني أبي إسحق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومضى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذى لعبد الله بن أبي فجعلهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله وللمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ، فقبه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في الثالثة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) إلى قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن إسحق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نموده فقال له النبي ﷺ « قد كنت أنهارك عن حب يهود » فقال عبد الله قد أنقضهم أسعد بن زراراة فأت وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحق

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُحِبُّونَ الصَّوَابَ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

يقول تعالى خبر عن قدرته العظيمة أئمن تولى عن نصرته دينه وإقامته ثم قال ان يستبدل بمن هو خير لاهنه وأشد منعة وأقوم سبيلاً كما قال تعالى (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم) والناس ويأت بآخرين) وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) أى بمتع ولا صعب . وقال تعالى ههنا

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أى يرجع عن الحق إلى الباطل . قال محمد بن كعب نزلت في الولاء من قريش . وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) قال الحسن هو أنا أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم وقال أبو بكر بن أبي شيبة سمعت أبا بكر بن عباس يقول في قوله (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) هم أهل القادسية . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله ابن الأحمس عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن الصفي حدثنا معاوية بن ابن حصن عن أبي زياد الخفائي عن محمد بن الكلبر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) قال « هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من نجيب » وهذا حديث غريب جداً وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد السمدي عن ابن عبد الوارث حدثنا شعبة عن مالك سمعت عياضاً يحدث عن أبي موسى الأشعري قال لما نزلت (فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ « هم قوم هذا » ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه . وقوله تعالى (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه صفات للمؤمنين السكل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليّه متميزاً على خصمه وعدوه كما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه . وقوله عز وجل (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أى لا يردم مما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردم عن ذلك راد ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ، ولا عذل عاذل : قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو النضر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع ، أمرني بحب المساكين والله نوهمي وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوقني ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لأسأل أحداً شيئاً وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . فأنهم من كنز تحت العرش . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو الثميرة حدثنا صفوان عن أبي الثمينة أن أبا ذر رضى الله عنه قال بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا ووافقني سبعا ، وأشهد الله على سبعا - أني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبو ذر فدماني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هل لك إلى يمة ولك الجنة » قلت نعم وبسطت يدي فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط على « أن لأسأل الناس شيئاً » قلت نعم قال « ولا سوطك وإن سقط منك » يعني تنزل إليه فتأخذه وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن للمل الفردوسي عن الحسن عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا يا منحن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فانه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بظيم » فترد به أحمد . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن زيد بن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحقر أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال فلا يقول فيه . فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس ، فيقول إياي أحق أن تخاف » ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به . وروى أحمد وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة عن نهار بن عبد الله البدي الذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « إن الله ليسأل النبي يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له أي عبدي أرايت منكراً فلم تنكره ؟ فلما لقن الله عبداً حجة قال أي رب وثقت بك وخفت الناس » وبنت في الصحيح « ما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه » قالوا وكيف يذل نفسه يا رسول الله قال « يتحمل من البلاء ما لا يطيق » (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أي من اتصف بهذه الصفات فإنا هم من فضل الله عليه وتوفيقه له (والله واسع علم) أي واسع الفضل علم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه وقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله

والذين آمنوا) أي ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله وللمؤمنين وقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أي للمؤمنون للتصنفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام وهي له وحده لاشريك له وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والساكنين . وأما قوله (وم را كعون) فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله (ويؤتون الزكاة) أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نزل من أئمة الفتوى ، وحق أن بعضهم ذكر في هذا أمرا على بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان اللراذي حدثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبي حكيم في قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون وعلى بن أبي طالب وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحمول حدثنا موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل قال تصدق على غنائه وهو راكع فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع وقال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب : عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتاج به . وروى ابن مردويه عن طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائما يصلي فر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله) الآية : الضحاك لم يلق ابن عباس وروى ابن مردويه أيضا عن طريق محمد بن السائب الكلبي وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكبن يسأل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أعطاك أحد شيئا ؟ » قال نعم قال « لمن ؟ » قال ذلك الرجل أقيم قال « على أي حال أعطاك ؟ » قال وهو راكع ، قال « وذلك على بن أبي طالب » قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وهذا إسناد لا يخرجه به غيره وابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وعمار بن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منها بالكلية لنصف أسانيدها وجها لرجالها ثم يروى بإسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله (إنما وليكم الله ورسوله) نزلت في المؤمنين وعلى بن أبي طالب أولهم ، قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا عبيدة عن عبد الملك عن أبي جعفر قال سألت عن هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) قلنا من الذين آمنوا ؟ قال الذين آمنوا قلنا بلنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب قال علي من الذين آمنوا ، وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه ، وقال علي بن أبي طلحة الوراق عن ابن عباس من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا رواه ابن جرير ، وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تراءى من خلف اليهود ورضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) قال كمال تامل (كتب الله لأحلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز . لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وبدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية السكرية (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعْنًا مِّنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا السَّكْبَةَ مِن قَبْلِكُمْ

وَالْكَفَّارَ أُولِيَاءَ وَأَتَوْا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَبَّاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

هذا تنفير من مولاة أعداء الإسلام وأهله من الكثابين وللشركيين الذين يتخذون أفضل ما يبعثه العاملون وهي شرائع الإسلام المنيرة المحكمة للتمسك على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوا يستهزئون بها ، ولما يتخذون أنها نوع من اللعب في نظرم الفاسد ، وفكرهم البارد ، كما قال القائل :

وَلَمْ يَنْعَلِ قَوْمًا قَوْلًا صَحِيحًا * وَأَقْبَسَهُ مِنَ الْقَهْمِ السَّقِيمِ

وقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) من ههنا ليان الجنس كقوله (فاجنبوا الزنا من الأولاد) وقرا بضمهم والكفار بالخفض عطفًا وقرا آخرون بالنصب على أنه معمول (لاتخذوا الدين اتخذوا دينكم هزوا ولما من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) تقديره (ولا الكفار أولياء) أي لاتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والراد بالكفار ههنا للشركون وكذلك وقع في قرامة ابن مسعود فياروام ابن جرير (لاتخذوا الدين اتخذوا دينكم هزوا ولما من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا) وقوله (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم وليدنيكم أولياء إن كنتم مؤمنين جرح الله الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولما كان قال تعالى (لاتخذوا للمؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله شيء) لأن اتقوا منهم شاة وعذرهم الله نفسه وإلى الله الصبر) وقوله (وإذ ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولما) أي وكذلك إذا أذنت داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يسئل ويسلم من ذوي الألباب (اتخذوها) أيضا (هزوا ولما ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) معاني عبادة الله وشراعه وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدير وله حصاص أي ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل فاذا توب للصلاة أدير فإذا قضى التوريب أقبل حتى يخطئ بين الرء وقلبه يقول اذكر كذا اذكر كذا لا يمكن يذكر حتى يخطئ الرجل لا يدري كم صلى فإذا وجد أحدهم ذلك فليسجد سجدتين قبل السلام ، متفق عليه ، وقال الهري قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال (وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولما ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) رواه ابن أبي حاتم ، وقال أسباط عن السدي في قوله (وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولما) قال كان رجل من النصارى بالمدينة إذ سماع للنادي ينادى أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكذاب ، فدخلت خادمه ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فنقطت شرارة فأحرق البيت فاحترق هو وأهله ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكر محمد بن إسحق بن يسار في السيرة أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبوسفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون مع هذا فيسمع منه ما يفيظه ، وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم أنه حق لاتبته ، قال أبوسفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عن هذا الحمى فخرج عليه النبي ﷺ فقال « قد علمت الذي قلت » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نهضوا أنكر رسولنا ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك ، وقال الإمام أحمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنا أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي عذرة أن عبد الله بن عبيد بن جريج أخبرني قال قلت لأبي عذرة يا عم إني خارج إلى الشام وأخشي أن أسئل عن تأذيتك فأخبرني أن أبا عذرة قال له نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حين مقل رسول الله ﷺ من حين تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمنا صوت للؤذن ونحن متكبرون فصرخنا تحكيه ونستهزي به فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله ﷺ « أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع » ؟ فأشار القوم كلهم إلى وصعدوا فأرسل كلهم وجسوا وقال « تم فاذن » فقامت ولا شيء أكره إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما يأمرني به فقامت بين

من نسل اليهود فقال « لا إن الله لم يلعن قوما قط فيسبهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان فلما غضب الله على اليهود فسبهم جلهم مثلهم » ورواه أحمد من حديث داود بن أبي القرات به وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن إسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير » هذا حديث غريب جدا وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) قرئ « وعبد الطاغوت على أنه فعل ماضٍ والطاغوت منصوب به أى وجعل منهم من عبد الطاغوت وقرئ « وعبد الطاغوت بالاضافة على أن اللحن وجعل منهم خدام الطاغوت أى خدامه وعبيده وقرئ « وعبد الطاغوت على أنه جمع لجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاها ابن جرير عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمى أنه كان يقرؤها وعابد الطاغوت وعن أبي وابن مسعود وعبدوا وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القارى أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت على أنه مفعول مالم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا يبدى في ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أى وقد عبدت الطاغوت فيسبكم وأنتم الذين فطمتوه وكل هذه القراءات ترجع معناها إلى أنك يا أهل الكتاب الطاغوتين في ديننا الذى هو توحيد الله وإفراد البإدات دون مساواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجدتم منكم جميع ما ذكر ولهذا قال (أولئك شرمكانا) أى مما تظنون بنا (وأضل عن سواد السيل) وهذا من باب استعمال أفضل التفضيل فباليس في الطرف الآخر مشاركة كقول عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقوله تعالى (وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يسمون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر ولهذا قال (وقد دخلوا) أى عندك يا محمد (بالكفر) أى مستحجج الكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينفقوا بما قد سمعوا منك من العلم ولا نجت فيهم للواظ ولا الرواجر ولهذا قال (وهم قد خرجوا به) نفعهم به دون غيرهم وقوله تعالى (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى عالم بسرهم وهم يتطوى عليه ضاهرم وإن أظهر والحقه خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم وسيجزيهم على ذلك أنهم الجزء وقوله (وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت) أى يبادرون إلى ذلك من تمامي الإثم والمحارم والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل لبس ما كانوا يملكون أى لبس الصل كان ملهمهم وبس الاعتداء اعتداؤهم وقوله تعالى (لولا ينهم الرابيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبس ما كانوا يصنعون) يعنى من تركهم ذلك قاله على بن أبى طلحة عن ابن عباس وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال لهؤلاء حين لم ينهوا ولهؤلاء حين عملوا قال وذلك الأمر كان قال ويصلون ويصنعون واحد رواء ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن العلاء بن السبي عن خاله بن دينار عن ابن عباس قال مافى القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية (لولا ينهم الرابيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبس ما كانوا يصنعون) قال كذا قرأ ، وكذا قال الضحاك مافى القرآن آية أخوف عندي منها إنا لا نهى رواء ابن جرير وقال ابن أبى حاتم وذكره يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن مسلم بن أبى الرضاح حدثنا ثابت ابن سعيد الهمداني قال لقته بالرى فحدثت عن يحيى بن يعمر قال خطب على بن أبى طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم للماصى ولم ينهم الرابيون والأخبار فلما تتأدوا فى الماصى أخذتهم العقوبات ففروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذى نزل بهم وأعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن أبى إسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من قوم يكونين أظهرهم من يعمل بالمعاصى هم أعز منه وأمنع ولم يشيروا إلا أصابهم الله منه بقذاب » فخر به أحمد من هذا الوجه ، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبى الأوصح عن أبى إسحق عن المنذر بن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيه بالماضي بقدر أن يفروا عليه فلا يشيرون إلا أسأبه الله بقتاب قبل أن يموتوا » وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيد الله بن جبر عن أبيه به ، قال الحافظ الزري وهكنا رواه شعبة عن أبي إسحق به

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِنُوْلُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أُتِرَ لَكَ مِنَ رَبِّكَ طَعْنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدَوْا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ سَمِعُوا وَأَصْلَحُوا أَكْثَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَاتِهِمْ وَلَادْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَتَوْا أَمْرًا مُّشْكُورًا وَالْإِحْسَانَ وَمَا أُتِرَ لَأَنِيمٍ مِّنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَلْنَا مِنْ قَوْمِهِمْ مِّنْ نَّحْنُ أَرْجَاهُمْ لَهُمْ أَمَةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

خير تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله للتسابة إلى يوم القيامة بأنهم وسفوه تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخيل بأن يقولوا (يداه مغلوله) قال ابن أبي شيحة حدثنا أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر المدني حدثنا الحكم بن أبيان نحن عكرمة قال : قال ابن عباس (مغلوله) أي غيلة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (وقالت اليهود يداه مغلوله) قال لا يمتنون بذلك أن يداها موهة ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ما عنده أخفا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وقادة والسدي والضحاك وقرأ (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) يعني أنه ينهي عن البخيل وعن التبذير وهو زيادة الاتفاق في غير محله وعبر عن البخيل بقوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله وقد قال عكرمة إنها زلت في فئاح اليهودي عليه لعنة الله وقد تقدم الله الذي قال (إن الله فقير ونحن أغنياء) فصر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال محمد بن إسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أوعكرمة عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود يقال له عباس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزله الله (وقالت اليهود يداه مغلوله غلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِنُوْلُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) وقد رد الله عز وجل عليهم تخالفاؤه وقابلهم فيها اختلقوه واقتروه واتفقوه فقال (غلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِنُوْلُوا بِمَا قَالُوا) وهكذا وقع لهم فإن عندهم من البخيل والحسد والجن والهة أمر عظيم كما قال تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس شيئا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) الآية ، وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) الآية . ثم قال تعالى (بل يداها مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) أي بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي مامن شيء إلا عنده خزائنه وهو الذي ملأه من نعمته فنه وحده لا شريك له الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا ، كما قال (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تبدوا نعمة الله لأتخصوها إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ) والآيات في هذا كثيرة وقد قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (إن يمين الله ملائكة لا يشيعونها ثقة سحاء الليل والنهار أرايتهم ما أُنْفِقَ من مخلوق السموات والأرض فانه لم ينس ما في يمينه قال - وعرضه على الماء وفي يده الأخرى القيس - والقيس - رقيق ونضض - وقال : يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك » أخرجه في الصحيحين البخاري في التوحيد عن علي بن أبي حمزة ومسلم فيه عن محمد بن زاذان كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقوله تعالى (ولينادي بغير اسمهم ما أنزل إليك من ربك طعنا وكفرا) أي يكون ما آتاك الله بأحمد من النعمة

شمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكما زداد به المؤمنون تصديقاً وعملاً صالحاً وعلماً نافعا يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولأمثك طغياناً وهو للآبائة والمجاورة للحدثى الأشياء وكفراً أى تكديلاً كما قال تعالى (قل هؤلاء الذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آفاتهم قر وهو عليهم عسى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) وقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعنى أنه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائماً لأنهم لا يجتمعون على حق وقد خالفوك وكذبوك وقال إبراهيم النخعي وألقينا بينهم العداوة والبغضاء قال الحصومات والجدال في الدين رواه ابن أبي حاتم وقوله (كما أودعوا ناراً للحرب أطفاها الله) أى كما عقدوا أسنانياً يكيدونك بها وكلاً أبرمو أمورا يحاربونك بها أبطلها الله ورد كيدهم عليهم وحق مكرهم السيئ بهم (ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب الفساد) أى من سجنهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض والله لا يحب من هذه صفته ، ثم قال جل وعلا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واهتوا) أى لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واهتوا ما كانوا يضلونه من المآثم والمهارم (لكفرتنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) أى لا زلنا عنهم الحذور وأنلناهم للقصود (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) قال ابن عباس وغيره هو القرآن (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بث الله به محمداً ﷺ فإن كتبهم ناطقة تصديقه والأمر باتباعه حتى لا يعالوا بقوله تعالى (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعنى بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والثابت لهم من الأرض وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (لا كلوا من فوقهم) يعنى لأرسل السماء عليهم مدراراً (ومن تحت أرجلهم) يعنى يخرج من الأرض بركتها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي كما قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واهتوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الآية وقال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) الآية وقال بعضهم معناه (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعنى من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء وقال ابن جرير قال بعضهم معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل هو في الخير من فرقة إلى قدمه ثم بهذا القول مخالفة أقوال السلف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أثر فقال حدثنا علقمة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نعيم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يرفع العلم » فقال زيد بن لبيد يارسول الله وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعليناه أبناءنا فقال « ثكلتك أمك يا ابن لبيد إن كنت لأراك من أئمة أهل المدينة أوليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله » ثم قرأ « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل » هكذا أورده ابن أبي حاتم مطلقاً من أول إسناده مرسل في آخره وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلاً موصولاً فقال حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زيد بن لبيد أنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال « وذلك عند ذهاب العلم » قال قلنا يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن وهرثه أبنائنا وأبنائنا يقرؤنه أبناءهم إلى يوم القيامة فقال « ثكلتك أمك يا ابن لبيد إن كنت لأراك من أئمة أهل المدينة أول ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا يتنصرون مما فيها بشيء » هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به نحوه وهذا إسناد صحيح . وقوله تعالى (منهم أمة مقتتة وكثير منهم ساء ما يعملون) كقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكقوله عن اتباع عيسى (فأتينا الذين آمنوا منهم أجمع) الآية فضل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو أوسط مقامات هذه الأمة وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات لأن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها) الآية والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس النخعي حدثنا عاصم بن على حدثنا

وقاب بعض « وقد روى البخارى عن طى بن اللدين عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان به نحوه، وقوله تعالى (وإن لم تفعل لما بلغت رسالتك) يعنى وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلت بك به لما بلغت رسالتك أى وقد علم ما يترتب على ذلك لوقوع وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإن لم تفعل لما بلغت رسالتك) يعنى إن كنت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتك قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا قيس بن عتبة حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما نزلت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) قال يا رب كيف أصنع وأنا وحدى يجمعون على فزلت (وإن لم تفعل لما بلغت رسالتك) ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثورى به، وقوله تعالى (والله يصمكم من الناس) أى بلغ أنت رسالتى وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفر لك بهم فلا تخف ولا تحزن قلن يصل أحد منهم إليك يسوم يوزيك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضى الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهى إلى جنبه قالت : قلت ما شأنك يا رسول الله قال « ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسى الآية » قالت فيينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال « من هذا » فقالوا سعد بن مالك فقال « ما جاء بك » قال جئت لأحرسك يا رسول الله قالت فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة يعنى على من طريق يحيى بن سعيد الأنصارى به، وفى لفظ سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة يعنى على أمر هجرته بعد دخوله بمكة رضى الله عنها وكان ذلك فى سنة ثنتين منها وقال ابن أبى حاتم حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري يزيل مضر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد يعنى أبى قدامة عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يصمكم من الناس) قالت فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمتنا الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذى عن عبد بن حميد وعن نصر بن عيسى الجبضى كلاهما عن مسلم بن إبراهيم به ثم قال وهذا حديث غريب، وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن إبراهيم به ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكذا رواه سعيد ابن منصور عن الحارث بن عبيد أبى قدامة الإلبى عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به ثم قال الترمذى وقد روى يقيتهم هذا عن الجريري عن ابن شقيق قال كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ولم يذكر عائشة قلت هكذا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن علية وابن مردويه من طريق وهيب كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق مرسل وقد روى هذا مرسل عن سعد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي رواهما ابن جرير والريبع بن أنس رواهما ابن مردويه ثم قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشد بن المصرى حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي حدثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي قال كنا كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت (والله يصمكم من الناس) فتركنا الحرس : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد أبو نصر الكاتب البغدادي حدثنا كردوس بن محمد الواسطي حدثنا يلى بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد الخدري قال كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه فلما نزلت هذه الآية (والله يصمكم من الناس) ترك رسول الله ﷺ الحرس حدثنا طى بن أبى حامد اللدين حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن يحيى بن محمد بن إبراهيم الأشمري حدثنا أبى حدثنا محمد بن معاوية بن عمار حدثنا أبى قال سمعت أبى الزبير الكشي يحدث عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ إذا خرج بيت مع أبو طالب من يكلؤه حتى نزلت (والله يصمكم من الناس) فذهب ليبيت معه فقال « يا عم إن الله قد عصمى فلا حاجة لي إلى من يبيت » وهذا حديث غريب وفيه نكارة فإن هذه الآية مدنية وهذا الحديث يقتضى أنها مكية ثم قال حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كرب حدثنا عبد الحميد الحمانى عن الضر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يحرس فكان أبو طالب يرسل إليه كل يوم رجلا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وإن لم تفعل لما بلغت

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ وَالنَّاصِرِيُّ مِنْ أُمَّةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى قل يا محمد (يا أهل الكتاب لستم على شيء) آمنن الذين حتى ضيعوا التوراة والإنجيل إلى حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء وتعلموا بما فيها وما فيها الإيمان بمحمد والأمر باتباعه عليه السلام والإيمان ببشئته والافتداء بشريته ولهذا قال ليث بن أبي سلم عن مجاهد في قوله (وما أنزل إليكم من ربكم) يعني القرآن العظيم وقوله (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليكم من ربكم طائفا وكثرا) تخدم تفسيره (فلا تأس على القوم الكافرين) أي فلا تحزن عليهم ولا يهينك ذلك منهم ثم قال (إن الذين آمنوا) وهم مسلمان (والذين هادوا) وهم حملة التوراة (والصابئون) لما طالع الفصل حسن المطبق والرفع والصابئون طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين قاله مجاهد وعنه من اليهود والمجوس وقال سميد بن جبير من اليهود والنصارى وعن الحسن والحكم إمامهم كاليوس وقال قتادة هم قوم يبدلون للألحكة ويصلون إلى غير القبلة ويقرءون الزبور وقال وهب بن منبه هم قوم يعرفون الله وحده وليس لهم شرعية يعملون بها ولم يجدوا كسفا وقال ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون هم قوم مما إلى العراق وهم بكوفي وهم يؤمنون بالثنتين كلهم وصومون كل سنة ثلاثين يوما ويصلون إلى المين كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك وأما النصارى فيعرفون وهم حملة الإنجيل وللقصود أن كل فرقة آمنت بالله وبالوالم الآخر وهو العباد والجزاء يوم الدين وعملت عملا صالحا ولا يكون ذلك كنفاك حتى يكون موافقا للشرعية المحمدية بعد إرسال صاحبها البعوث إلى جميع الثقيل فمن آتسف بذلك فلاخوف عليهم فبما يتقبلونه ولا حتى ماتركوا وراء ظهورهم ولاهم يحزنون ولقد تقدم الكلام على نظيرتها في سورة البقرة بما أغنى عن إعادتها هاهنا

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا بَيِّنَاتٍ لَا يَتَّبِعُوا إِلَّا مَا تَهْدَىٰ أَيْمَانُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ فَتْنَةً فَمَسُوا وَصَلُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَلُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَكْمُلُونَ﴾

يذكر أنه تعالى أنه أخذ اليهود وللوائق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك الوثائق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه ولهذا قال تعالى (كأنا جاعلهم رسولاً عاظموا أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يتلون وحسبوا أن لا تلحقهم فتنة) أي وحسبوا أن لا يقرَّب لهم شر على ما صنعوا فترتب وهو أنهم هموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهدون إليه ثم تاب الله عليهم أي بما كانوا فيه (ثم هموا وصموا) أي بعد ذلك (كثير منهم والله بصير بما يعملون) أي مطلع عليهم وعليهم علم بمن يستحق الهداية بمن يستحق التوبة منهم

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَاللَّاطِمِينَ ٥٨ أُنْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَتَايِنَ إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَحِيدٌ وَإِنْ لَمْ يَفْقَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥٩ أَلَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرْهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦٠ هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ الْأَسْوَلُ فَذَلَّلْتُ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ وَأُمَمُهُ صِدْقَةٌ كَمَا بَاكَ لَكُلَّانِ الْمَلَأَمُ أَنْظُرْ كَيْفَ يُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَفَى يُؤْفِكُونَ

يقول تعالى حاكما بكتير فرق النصارى من للكية واليعقوبية والنسطورية عن قال منهم بأن السليح هو الله تعالى الله عن قولهم وتزعم وتقدس علوا كبيرا هذا وقد تقدم لهم أن السليح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صفي في العهد أن قال إني عبد الله ولم يقل إنا أنا هؤلاء ابن الله بل قال (إني عبد الله أتاني الكتاب وجئتني نبيا) إلى أن قال (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) وكذلك قال لهم في حال كهوفه ونبوته أمرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى (وقال للسليح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله) أي فيعبد معه غيره (فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى (إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفوضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) وفي الصحيح أن النبي ﷺ بعث مناديا ينادي في الناس إن الجنة لا يدخلها إلا من أسلم وفي لفظ مؤمنة وتقدم في أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يفر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: البدواوين ثلاثة فذكر منهم ديوانا لا يضره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) والحديث في مسند أحمد ولهذا قال تعالى إخبارا عن السليح أنه قال لبني إسرائيل (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) أي وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه وقوله (فقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن المسيناني حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى (قد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) قال هو قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى السليح ابن الله فجملاوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب في تفسير الآية أن الراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الأم وأقنوم الكلمة للنبوة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من للكية واليعقوبية والنسطورية يقول بهذه الأقانيم وهم يختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم فكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة وقال السدي وغيره نزلت في جملهم للسليح وأما يلين مع الله فجملاوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقولها تعالى في آخر السورة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي يلين من دون الله قال سبحانك الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم قال الله تعالى (ومامن إله إلا الله واحد) أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسائر الوجودات ثم قال تعالى متوعدا لم ومتهددا (وان لم يأتوا بما يقولون) أي من هذا الافتراء والكذب (لنحسب الذين كفروا منهم غلابا) أي في الآخرة من الأغلال والهلاك ثم قال (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وهذا من كرمه تعالى وجوده ولفظه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدمرهم إلى التوبة والطفرة فكل من تاب إليه تاب عليه وقوله تعالى (ما للسليح ابن مريم إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل) أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال (إن هو إلا عبد أئمننا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) وقوله (وأمة صديقة) أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أهل مقاماتها فدل على أنها ليست ببنية كما زعمه ابن حزم وغيره من ذهب إلى نبوة سارة أم إسحق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالا منهم بخطاب للآلثة لسارة ومريم وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال قال الله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهدا عبدان كسائر الناس وليسا يلين كما

زعمت فرق النصارى الجهة عليهم لعائن الله للتسابة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى (انظر كيف نبين لهم الآيات) أى نوضحها ونظهرها (ثم انظر أى يؤفكون) أى ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأى قول يتسكون وإلى أى مذهب من الضلال يذهبون

﴿ قُلْ أَنْعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ومينا له أنها لا تستحق شيئا من الإلهية فقال تعالى (قل) أى يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بنى آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم (أنعبدون من دون الله ما لا يملك لكم شرا ولا نفعا) أى لا يقدر على دفع ضرر عنكم ولا إيصال نفع إليكم (والله هو السميع العليم) أى السميع لأقوال عباد العليم بكل شيء فلم عدلتم عنه إلى عبادة حماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك شرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه ثم قال (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) أى لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالقوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو بنى من الأنبياء فعبثتموه لما من دون الله وما ذاك إلا لاتخاذكم بشيوخكم شيوع الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما (وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) أى وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق النوبة والضلال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زمانا فأماه الشيطان فقال إنما تركت أثرا أو أمرا قد عمل قبلك فلا تحمد عليه ولكن ابتدع أمرا من قبل نفسك وادع إليه وأجبر الناس عليه ففعل ثم اذكر بعد فعله زمانا فأراد أن يتوب منه فضع سلطانه وملكه وأراد أن يصعد فلبث في عبادة أياما فأتى قبيل له لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك ولكن ضل فلان وفلان في سبيلك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة فكيف لك بهدام فلا توبة لك أبدا ففهم سمعا وفى أعيناه هذه الآية (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

﴿ لِمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُسْكَرٍ فَعْلَاهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَفْهُمْمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خِلْدُونَ * وَقَدْ كَانُوا يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ آتٍ وَتَأْتِيهِمْ آتِيتُهُمْ وَأُولَئِكَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

غير تعالى أنه لعن الكافرين من بنى إسرائيل من دهر طويل فبما أنزله على داود نبى عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال المولى عن ابن عباس لعنوا في التوراة والإنجيل وفى الزبور وفى القرآن ثم بين حالهم فيها كانوا يعتدون فى زمانهم فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن مسكر فعله لبئس ما كانوا يفعلون) أى كان لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المآثم والحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذى ارتكبه فقال لبئس ما كانوا يفعلون وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن بنى بن بديعة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لما وقت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم عساؤهم فلم يتوبوا فبالسوم فى مجالسهم » قال يزيد وأحسبه قال « فى أسواقهم وداكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم

على لسان داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) « وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس فقال « لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا » وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن محمد التميمي حدثنا يونس ابن راشد عن علي بن بزيع عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من النقد فلا يمتعه ذلك أن يكون أكله وشربه وقصيدهما ففعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال - (لمن الذين كفروا من إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) إلى قوله (فاستقون) - ثم قال - كلا والله تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو تحصرنه على الحق قصرا » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي بن بزيع به وقال الترمذي حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن يندار عن ابن مهيدي عن سفيان عن علي بن بزيع عن أبي عبيدة مرسل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وهرون بن إسحق المحدثاني قالا حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي عن الملا عن السيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الأفلس عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « وإن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على القنب نهأ عنه تقديرا فلماذا كان من النقد لئمتهم ما رأى منه أن يكون أكله وخليطه وشربه » وفي حديث هرون « وشربه » ثم اتخفا في اللعن « فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولهم على لسان نبهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ثم قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السوء ولتأطرنه على الحق أطرا أو يضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليكنن كما لنهم » والسياق لأبي سعيد كذا قال في رواية هذا الحديث وقد رواه أبو داود أيضا عن خلف بن هشام عن أبي شهاب الخياط عن الملا عن السيب عن عمرو بن مرة عن سالم وهو ابن هجلان الأفلس عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال أبو داود كذا رواه خالد عن الملا عن عمرو بن مرة به ورواه الحارثي عن الملا عن السيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الأفلس عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود المزني وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن الملا عن السيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولندكر منها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث جابر عند قوله (لولا ينههم الربانيون والأحبار) وسيأتي عند قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أخسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشفي فقال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهافمي أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن حذيفة بن أليان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من بعده ثم تندعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر به وقال هذا حديث حسن وقال أبو بوعبد الله محمد ابن يزيد بن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان بن عامر بن عمر بن عثمان عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » فخر به وعاصم هذا مجهول وفي الصحيح من طريق الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فليأمنه فان لم يستطع فلينبهه ذلك أضف الإيمان » رواه مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا سيف هو ابن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي الكندي يحدث عن مجاهد قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يحيى عن عدي بن حميرة رضى الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله لا يحب العائمة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فلماذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » ثم رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج عن عبد الله بن المبارك عن سيف بن أبي سليمان

عن عيسى بن عدى السكندى حدثنى موسى لنا أنه مع جدى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره هكذا رواه الإمام أحمد من هذين الوجهين قال أبو داود حدثنا أبو العلاء سعدنا أبو بكر حدثنا الثوري بن زياد الواسطي عن عدى ابن عدى عن العرس بنى ابن عميرة عن النبي ﷺ قال « إذا حملت الحطيطة في الأرض كان من شهداء كرهها - وقال مرة فأنكرها - كان كفن غاب عنها ومن غاب عنها فرضها كان كفن شهداء » فخر به أبو داود ثم رواه عن أحمد بن يونس عن أبي شهاب عن مغيرة بن زياد عن عدى بن عدى مرسلا وقال أبو داود حدثنا سليمان بن حرب وحض بن عمر قال حدثنا شعبة وهذا لفظه عن عمرو بن مرة عن أبي البصري قال أخبرني من مع النبي ﷺ وقال سليمان حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لن يهلك الناس حق يملروا أو يملروا من أنفسهم » وقال ابن ماجه حدثنا عمران بن موسى حدثنا حماد بن زيد حدثنا علي بن زيد بن جعدان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيبا فكان فيا قال « ألا لا يتعن رجلا هية الناس أن يقول الحق إذا علمه » قال فيكي أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فهبنا وفي حديث إسرائيل عن طيبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه . وقال ابن ماجه حدثنا راشد بن سعيد الرمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة قال عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجرة الأولى فقال يارسول الله أي الجهاد أفضل فسكت عنه فلما رمى الجرة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمى جرة الثالثة ووضع رجله في الثرى ليركب قال « أين السائل » قال أنا يارسول الله قال « كلمة حق تمال عند ذي سلطان جائر » فخر به وقال ابن ماجه حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البصري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « لا يعقر أحدكم نفسه » قالوا يارسول الله كيف يعقر أحدنا نفسه قال « يرى أمر الله فيه مقل ثم لا يقول فيه يقول الله يوم القيامة مامنكم أن تقول في كذا كذا وكذا فيقول خيبة الناس فيقول فلما كنت أحق أن أغشى » فخر به وقال أيضا حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة حدثنا نهار البدي أنه مع أبي سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يسأل العبد يوم القيامة حق يقول مامنكم إذ رأيت للشكر أن تسكره فإذا لقن الله عبدًا حجة قال يارب رجوتك وفرت الناس » فخر به أيضا ابن ماجه وإسناده لا بأس به وقال الإمام أحمد حدثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب عن حذيفة عن النبي ﷺ قال « لا يبنى لمسلم أن يذل نفسه » قيل وكيف يذل نفسه قال « يتعرض من البلاء لما لا يطيق » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن عمرو بن عاصم به وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن الوليد الشافعي حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزازي حدثنا الهيثم بن حميد حدثنا أبو عبيد خص بن غيلان الرعي عن مكحول عن أنس بن مالك قال: قيل يارسول الله متى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال « إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم » قلنا يارسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا قال « الملك في صنارك والفاحشة في كبرك والمعصية في ذالك » قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ والمعصية في ذالك إذا كان العلم في الفسق فخر به ابن ماجه وسأقي في حديث أبي تلبية عند قوله (لا يرضى من ضل إذا اعتدى) شاهد لهذا إنشاء الله تعالى وبه الثقة وقوله تعالى (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) قال مجاهد يعني بذلك المنافقين وقوله (لبس ما قدمت لهم أنفسهم) يعني بذلك مواليتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نقا في قلوبهم وأسخط الله عليهم سخطا مستمرا إلى يوم محادم ولهذا قال (أن سخط الله عليهم) وقسر بذلك ما ذمهم به ثم أخبر عنهم أنهم (في العذاب خالدون) يعني يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا مسلم ابن علي عن الأعمش بإسناد ذكره قال « يا معشر المسلمين لا يك والثنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فأما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الرب

وسوء الحساب والخلود في النار » ثم تلا رسول الله ﷺ (ليس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) هكذا ذكره ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عمار عن مسلم عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي ﷺ فذكره وسأله أيضاً من طريق سعيد بن عفير عن مسلم عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي ﷺ فذكر مثله وهذا حديث ضعيف على كل حال والله أعلم وقوله تعالى: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوا أولياء) أي لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن ومعاونة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه (ولكن كثيراً منهم فاسقون) أي يخرجون عن طاعة الله ورسوله مخالفين لأوامر وحبه وتزيهه

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ قَسِيحٌ وَرُفِينَا وَأَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ • وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ عَيْنًا عَرَفُوا مِنِ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاثِمًا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ • وَمَا لَنَا لَا نُوَئِينَ يَدِيَهُ وَنَخْلَعُ وَنَحْمِلُ أَنَّ الْحَقَّ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ • فَأَقْبَهُمُ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا فَجَنَّتُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حينئذ لم يسمعوا من أبي طالب بالحبيشة القرآن فكأنوا حتى أخذوا لحام وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مكية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما نزلت في وفد بشم النجاشي إلى النبي ﷺ ليمسحوا كاهله ويروا صفاته فلما رآوه قرأ عليهم القرآن أسلوا ويكفوا وخشعوا ثم رجوا إلى النجاشي فأخبروه قال السدي فهاجر النجاشي فمات بالطريق وهذا من أفراد السدي فإن النجاشي مات وهو ملك الحبيشة وصلى عليه النبي ﷺ يوم مات وأخبر به أصحابه وأخبر أنه مات بأرض الحبيشة • ثم اختلف في عدة هذا الوفد فقيل اثنا عشر سبعة قساقمة وخمسة رهايين وقيل بالمكس وقيل خمسون وقيل بضع وستون وقيل سيمون رجلاً فله أعلم وقال عطاء بن أبي رباح م قوم من أهل الحبيشة أسلوا حين قدم عليهم بمهارة الحبيشة من المسلمين وقال قتادة م قوم كانوا على دين عيسى بن مريم فلما رأوا للمسلمين وصحوا القرآن أسلوا ولم يتلصصوا واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في سفة أقوام بهذه الثابتة سواء كانوا من الحبيشة أو غيرها

فقوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباعدة للحق ومطغ قناس وتنقص بمحنة العلم ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هوى بقتل رسول الله ﷺ غير مرة ومموه وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند ضيق هذه الآية حديثاً أحمد بن محمد بن السري حدثنا محمد بن طي بن حبيب الرقي حدثنا طي بن سعيد الملاف حدثنا أبو النضر عن الأعمش عن سفيان عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما خلا يهودي بمسلم قط إلا م بقتله » ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحق العسكري حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأهوازي حدثنا فرج بن عبيد حدثنا عباد بن النعمان عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما خلا يهودي بمسلم إلا حدثه نفسه بقتله » وهذا

حديث غريب جدا ، وقوله تعالى (ولتجدن أقرهم مودة الذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) أى الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى مناج إيميله فيهم مودة للإسلام وأمله في الجنة وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرافقة كما قال تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهانية) وفي كتابهم : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . وليس القتال مشروعا في ملتهم ولهذا قال تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) أى يوجد فيهم القسيسون وهم خطاؤهم وعلماؤهم واحدم قسيس وقس أيضاً وقد يجمع على قسوس والرهبان جمع راهب وهو العابد مشتق من الرهبة وهى الخوف كراكب وركبان وفارس وفرسان قال ابن جرير وقد يكون الرهبان واحدا وجملة رهابين مثل قربان وقرايين وجردان وجراذين وقد يجمع على رهبانة ومن الأدليل على أنه يكون عند العرب واحدا قول الشاعر :

لو مايت رهبان دير في القلل لا تحدر الرهبان يمشى ونزل

وقال الحافظ أبو بكر البرز حدثنا بشر بن آدم حدثنا نصير بن أبي الأعمش حدثني الصلت الدهان عن جماعة بن رثاب قال سألت سلمان عن قول الله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) فقال مع القسيسين في البيع والحرب أترأى رسول الله ﷺ (ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا) وكذا رواه ابن مردويه عن طريق يحيى بن عبد الحميد الخاني عن نصير بن زياد الطائي عن صلت الدهان عن جماعة بن رثاب عن سلمان به . وقال ابن أبي حاتم ذكره أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخاني حدثنا نصير بن زياد الطائي حدثنا صلت الدهان عن جماعة بن رثاب قال سمعت سلمان وسئل عن قوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) فقال هم الرهبان الذين هم في الصوامع والحرب فدعهم فيها قال سلمان وقرأت على النبي ﷺ (ذلك بأن منهم قسيسين) فأقرأني (ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا) قوله : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) تضمن وصفهم بأن فهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالشهاد للحق واتباعه والإنصاف فقال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) أى مما عندهم من البشارة بيعة محمد صلى الله عليه وسلم (يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) أى مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به وقد روى النسائي عن حمروين عن الفلاس عن حمير بن طي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه عن طريق سالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) أى مع محمد ﷺ وأمه هم الشاهدون يشهدون لنبيه ﷺ أنه قد بلغ والرسول أنهم قد بلغوا ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الطبراني حدثنا أبو شيبيل عبد الله بن عبد الرحمن بن واقد حدثنا أبي حدثنا العباس بن الفضل عن عبد الجبار بن نافع الضبي عن قتادة وجعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله الله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) قال إنهم كانوا كرايين يعني فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لعلكم إذا رجعت إلى أرضكم انتقمتم إلى دينكم) فقالوا لن ننقل عن ديننا فأوزل الله ذلك من قلوبهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ولطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) وهذا الصنف من النصارى هم اللذكوريون في قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خلصمين لله) الآية وهم الذين قال الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) إلى قوله (لا نبئى الجاهلين) ولهذا قال تعالى ههنا (فأنابهم الله بقالوا اجنات تجرى من تحت الأنهار) أى فجأزاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كئيب فيها أبدا لا يحولون ولا يزولون (وذلك جزاء الحسنين) أى في اتباعهم الحق واثباتهم له حيث كان وأين كان ومع من كان ، ثم

أخبر عن حال الأتقياء قال : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى جحدوا بها وخالفوها (أولئك أصحاب الجحيم) أى هم أهلها والله أعلمون فيها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ • وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قطع لهذا كبرنا وترك شهوات الدنيا ونسج في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لكني أصوم وأفطر وأنام وأنكح النساء فمن أجد من ابني بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني » رواه ابن أبي حاتم ، وروى ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه ذلك ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم لا تأكل اللحم ، وقال بعضهم لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا نأكل من فرائش ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ما بال أقوالهم يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأنام وأكلم وأكلم اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأنصاري حدثنا أبو عاصم السخاكي بن محمد عن عثمان بن عيسى عن ابن مسعود أخبرني عن عبد الله بن عباس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء وإني حرمت علي اللحم فزنت (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعاً عن عمرو بن طي الفلاس عن أبي حاتم السخاكي به وقال حسن غريب وقد روى من وجه آخر مرسلًا وروى موقوفًا على ابن عباس فإنه أعلم ، وقال سفيان الثوري ووكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عبد الله بن مسعود قال كنا نتزوج مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء قلنا ألا نستخصي فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورضخ لنا أن نسكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبيد الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية أخرجه من حديث إسماعيل وهذا كان قبل تحريم نسكح اللثة والله أعلم . وقال الأعمش عن إبراهيم بن همام بن الجارث عن عمرو بن شرحبيل قال جاء مقل بن مقرن إلى عبد الله بن مسعود فقال إني حرمت فرائشي ففلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود فجيء بضرع فتتبع رجل فقال له عبد الله إني حرمت أن أأكله فقال عبد الله إني فأطعم وكفر عن يمينك وتلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية رواه ابن أبي حاتم وروى الحاكم هذا الأمر الأخير في مستدركه من طريق إسحق بن راهوية عن جرير عن منصور ثم قل على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ فمرجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظروا له فقال لامرأته حبست ضيفي من أجلي هو على حرام فقالت امرأته هو على حرام وقال الضيف هو على حرام فما رأى ذلك وضع يده وقال كلوا باسم الله ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم ثم أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وهذا أثر منقطع

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أميائه شيء بهذا وفيه وفي هذه القصة دلالة أن نذهب من العلماء كالشافعي وغيره إلى أن من حرم ما كلاً أو ملبساً أو شيئاً ماعداً النساء أنه لا يحرم عليه ولا كفارة عليه أيضاً وأقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ولأن الذي حرم اللحم على نفسه كما في الحديث للقدم لم يأمره النبي ﷺ بكفارة وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن من حرم ما كلاً أو مشرباً أو ملبساً

أَوْفِيْنَا مِنَ الْأَشْيَاءِ فَاتَّعِبَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كَفَارَةً يَمِينٍ كَمَا إِذَا التَّيْمَنَ تَرَكَهُ بِالْيَمِينِ فَكَذَلِكَ يُوَافِقُ تَعْرِفُهُ عَلَى نَفْسِهِ
إِذَا مَا لَهَا التَّيْمَنَ جَاءَ أَتَى بِذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ثُمَّ قَالَ (قَدْ فُرِضَ اللَّهُ لَكُمْ نَحْلٌ أَيْمَانُكُمْ) الْآيَةُ وَكَذَلِكَ هَاهُنَا لَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ اللَّيْنَةِ
لِتَكْفِيرِ الْيَمِينِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا مَنْزِلَ مَنْزِلَةِ الْيَمِينِ فِي اقْتِضَاءِ التَّكْفِيرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ حَدَّثَنَا
الْحُسَيْنُ حَدَّثَنَا حُجَابٌ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ جَاهِدٍ قَالَ أَرَادَ رِجَالٌ مِنْهُمْ عَثَانَ بْنَ مَطْعُونٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنْ يَتَّبِعُوا
وَيُخْصُوا أَتَشْمَهُ وَيَلْبَسُوا السُّوْحَ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ
عِكْرَمَةَ أَنَّ عَثَانَ بْنَ مَطْعُونٍ وَطَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ وَالثَّقَدَانِ ابْنِ الْأَسْوَدِ وَسَالَا مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ فِي أَصْحَابِهِ
تَبَتَّلُوا فَيَلْبَسُوا فِي الْبُيُوتِ. وَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ وَلَبَسُوا السُّوْحَ وَحَرَمُوا طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ إِلَّا مَا يُؤْكَلُ وَيَلْبَسُ أَهْلُ السِّيَاحَةِ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَمَّوْا بِالْإِخْتِصَاءِ وَأَجْمَعُوا قِيَامَ اللَّيْلِ وَصِيَامَ النَّهَارِ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا
طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَتَدَوَّا إِلَى اللَّهِ لِأَجِبِ لِلْمُتَدِينِ) يَقُولُ لَا تَسِيرُوا بِغَيْرِ سَنَةِ الْمُسْلِمِينَ يَرِيدُ مَا حَرَّمَ مِنَ النِّسَاءِ
وَالطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَمَا أَجْمَعُوا لَمْ يَنْقُصُوا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ وَمَا هَمَّوْا بِهِ مِنَ الْإِخْتِصَاءِ فَلَمَّا نَزَلَتْ فِيهِمْ بِسْمِ اللَّهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِنْ لَأَنْصَحُكُمْ شَيْئًا وَلَا أَعِشُكُمْ شَيْئًا صَوْمُوا وَأَطُورُوا وَصَلُّوا وَآمُوا فَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تَرَكَ سِتْنَاءً » فَقَالُوا
اللَّهُمَّ سَلِّمْهُنَا وَابْتِنَا مَا أَنْزَلْتَ ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ مَرَّةً وَلَهَا شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
رِوَايَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَقْدِمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَلِلَّهِ وَالْقَالَ أَبَاسُ عَنْ السَّدِيِّ فِي قَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا
طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَتَدَوَّا إِلَى اللَّهِ لِأَجِبِ لِلْمُتَدِينِ) وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ يَوْمًا فَذَكَرَ النَّاسُ
ثُمَّ قَالَ وَلَمْ يَزِدْهُمْ عَلَى التَّخْوِيفِ فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا عَشْرَةَ مِنْهُمْ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَثَانَ
ابْنِ مَطْعُونٍ مَا خَشِنَا إِنْ لَمْ نَحْدِثْ عَمَلًا فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ حَرَمُوا عَلَى أَتَشْمَهُ فَتَحْنُ نَحْرَمُ ، فَحَرَّمَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُؤْكَلَ
الْحَلْلُ وَالْوَدَعُ وَأَنْ يَأْكَلَ بِالنَّهَارِ وَحَرَّمَ بَعْضُهُمُ النَّوْمَ وَحَرَّمَ بَعْضُهُمُ النِّسَاءَ فَكَانَ عَثَانُ بْنُ مَطْعُونٍ مِنْ مَطْعُونٍ مِنْ حَرَمِ النِّسَاءِ
فَكَانَ لَا يَدْنُو مِنْ أَهْلِهِ وَلَا يَدْنُو مِنْهُ فَأَمَّتْ امْرَأَتُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ يَقَالُ لَهَا الْخَوْلَاءُ فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ وَمَنْ
عِنْدَهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَا بَالُكَ يَأْخُلُ الْخَوْلَاءَ مُتَشَبِّهَةً لَلْوَلَدِ لَا تَمْتَشِطِينَ وَلَا تَتَطَيَّبِينَ فَقَالَتْ وَكَيْفَ أَمْتَشِطُ وَأَتَطَيَّبُ
وَمَا وَقَعَ عَلَى زَوْجِي وَمَا رَفَعَ عَنِّي ثَوْبًا مِنْكُمْ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَيُحْضِنُكُمْ مِنْ كَلَامِهَا فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَمِنْ يَضْحَكُنَّ فَقَالَ « مَا يَضْحَكُنَّ » قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْخَوْلَاءَ سَأَلْنَاهُنَّ عَنْ أَمْرِهَا فَقَالَتْ مَا رَفَعَ عَنِّي زَوْجِي
ثَوْبًا مِنْكُمْ كَذَا وَكَذَا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَنَدَاهُ فَقَالَ « مَا لَكَ يَا عَثَانُ ؟ » قَالَ إِنِّي تَرَكْتُهُ لَمْ يَكُنْ أَتَمْلِكُ لِلْعِبَادَةِ وَنُصِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ
وَكَانَ عَثَانُ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَجِبَ قِسْمَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا رَجَعْتَ فَوَاقِصَ أَهْلِكَ »
فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالَ « أَطُورُ » فَأَطُورَ وَأَتَى أَهْلَهُ فَجَرَسَتْ الْخَوْلَاءُ إِلَى عَائِشَةَ وَقَدْ أَمْتَشِطَتْ وَكَتَبَتْ
وَتَطَيَّبَتْ فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ وَقَالَتْ مَا لَكَ يَأْخُلُ الْخَوْلَاءَ فَقَالَتْ إِنَّهُ أَتَاهَا أَمْسُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ
حَرَمُوا النِّسَاءَ وَالطَّعَامَ وَالنَّوْمَ أَلَا إِلَى أَثَامٍ وَأَقْوَمُ وَأَطُورُ وَأَصُومُ وَأَنْصَحُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي » فَزَلَّتْ
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَتَدَوَّا) يَقُولُ لِمَنْ لَانَ لِأَجِبِ نَحْسُكَ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِعْتِدَادُ
وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا عَنْ أَيْمَانِهِمْ فَقَالَ (لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِالْفَقْرِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) رَوَاهُ ابْنُ
جَرِيرٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا تَتَدَوَّا) يَعْنِي أَنْ يَكُونَ لِلرَّادِ مِنْهُ وَلَا يَتَّخِلُوا فِي التَّضْيِيقِ عَلَى أَنْصَحِ بِتَحْرِيمِ الْبَاحَاتِ عَلَيْهِمْ
كَأَنَّ قَالَهُ مِنْ قَالَهُ مِنَ السَّلَفِ وَيَعْنِي أَنْ يَكُونَ لِلرَّادِ كَمَا لَا تَحْرَمُوا الْحَلَالَ فَلَا تَتَدَوَّا فِي تَاوُلِ الْحَلَالِ بِلُحْظِهِ مِنْهُ بِقَدْرِ
كَفَائَتِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ وَلَا تَجَاوِزُوا الْحَدَّ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) الْآيَةُ وَقَالَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقُوا
لَمْ يَسْرِفُوا) وَلَمْ يَتَقَرُّوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْمَانِ (خَرَجَ اللَّهُ عَنِ بَيْنِ النَّاسِ فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ لَا يُفْرَطُ وَلَا يُتْرَكُ) وَلِهَذَا قَالَ
(لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَتَدَوَّا) إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ لِلْمُتَدِينِ (ثُمَّ قَالَ (وَكُلُوا مَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) أَيْ فِي حَالِ
كَوْنِهِ حَلَالًا طَيِّبًا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أَيْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ وَاتَّبِعُوا طَاعَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَاتَّقُوا عِصْيَانَهُ (الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)

عكرمة عن ابن عباس أنه قال من بر بى لكل مسكين ومعه إدامه ثم قال وروى عن ابن عمر بن ثابت وسعيد
ابن السبي ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء والقاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار والحسن
ومحمد بن سيرين والزهري نحو ذلك

وقال الشافعي الواجب في كفارة الجمين مد بعد النبي ﷺ لكل مسكين ولم يتعرض للأثم
واحتج بأمر النبي ﷺ الذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكيناً من مكيل يبع خمسة عشر صاعاً
لكل واحد منهم مد وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن حنبل بن الحسن القري حدثنا
محمد بن إسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا النضر بن زرارَةَ الكوفي عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر
أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة الجمين مداً من خضلة بلد الأول إنسانه ضيف لحال النضر بن زرارَةَ
ابن عبد الأكرم الدهل الكوفي نزيل بلخ قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول مع أنه قد روى عنه غيره واحد وذكره ابن
حبان في الثقات وقال روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة فأنه أعلم ثم إن شيخه العمري ضيف أيضاً وقال أحمد بن
حنبل الواجب مدم من بر أو مدنان من غيره والله أعلم

وقوله تعالى (أو كسوتمهم) قال الشافعي رحمه الله لدفع إلى كل واحد من المشرك ما يصدق عليه اسم الكسوة من قيص
أو سراويل أو إزار أو حمامة أو مقنعة أجزاء ذلك واختلف أصحابه في القنسوة هل تجزئ أم لا طي وجهين ففهم من
ذهب إلى الجواز احتجاجاً بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمار بن خالد الواسطي قالا : حدثنا القاسم
ابن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال سألت عمران بن الحصين عن قوله (أو كسوتمهم) قال لو أن وفداً قدما طي
أميركم فكسكم قنسوة قلنسوة قلتم قد كسوا ولكن هذا إنسان ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله أعلم وهكذا حكى
الشيخ أبو حامد الأسفرائيني في الحف وجهين أيضاً والصحيح عدم الأجزاء وقال مالك وأحمد بن حنبل لا بد أن يدفع إلى
كل واحد منهم من الكسوة ما يسع أن يسل في إن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس
عبادة لكل مسكين أو فحمة وقال مجاهد أدناه ثوب وأعله ما شئت وقال ليث عن مجاهد يجزئ في كفارة الجمين كل
شئ إلا الثياب وقال الحسن وأبو جعفر الباقر وعطاء وطاوس وإبراهيم النخعي ومحمد بن أبي سليمان وأبو مالك ثوب
ثوب وعن إبراهيم النخعي أيضاً ثوب جامع كاللحفة والرداء ولا يرى البرع والقميص والحمار ونحوه جامعا وقال
الأصاري عن أشعث عن ابن سيرين والحسن ثوبان ثوبان وقال الثوري عن داود بن أبي هند عن سعيد بن السبي حمامة
يلف بها رأسه وعبادة يلصق بها . وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن حاتم الأحول عن ابن سيرين عن
أبي موسى أنه حلف طي يمين فكسا ثوبين من مقنعة البحرين ، وقال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد
ابن الحنبل حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش عن مقاتل بن سليمان عن أبي عثمان عن أبي عياش عن عائشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (أو كسوتمهم) قال « عبادة لكل مسكين » حديث غريب وقوله (أو كسروهم)
رقية (أخذ أبو حنيفة باطلاها فقال تجزئ الكفارة كما تجزئ للؤمننة ، وقال الشافعي وآخرون لا بد أن تكون مؤمنة
وأخذ تميمها بالإيمان من كفارة القتل لاتحاد اللوجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي
هو في موطن مالك ومسنود الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقية وجاءه معه مجارية سوداء فقال لرسول الله
ﷺ « أين الله » قالت في السماء قال « من أنا » قالت رسول الله قال « أعتماها فأنها مؤمنة » الحديث بطوله
فهذه خصال ثلاث في كفارة الجمين أيها فضل الحائث أجزأ عنه بالإجماع وقد بدأ بالأسهل فالأسهل فالأطعم أسهل
وأيسر من الكسوة كما أن الكسوة أيسر من العتق فترق فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر الكلف على واحد من
هذه الحاصل الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما قال تعالى (فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) وروى ابن جرير عن سعيد
ابن جبير والحسن البصري أنهما قالا : من وجد ثلاثة دراهم زمة الاطعام وإلا صام ، وقال ابن جرير حاكياً عن
بعض متأخري متفقاً زمانه أنه جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف فيه لما شه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر

به عن يمينه ، ثم اختار ابن جرير أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة الجين
واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع أو يستحب ولا يجب ويجزئ التفريق ؟ قولان أحدهما لا يجب وهذا منصوص
الشافعي في كتاب الأيمان وهو قول مالك لإطلاق قوله (فصيام ثلاثة أيام) وهو صادق على المجموعة والفرقة كما في
قضاء رمضان لقوله (فعدة من أيام أخر) ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية
والحنابلة لأنه قد روى عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرءونها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) قال أبو جعفر الرازي
عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وحكاها مجاهد والشمي وأبو إسحق
عن عبد الله بن مسعود وقال إبراهيم في قراءة عبد الله بن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وقال الأعمش كان
أصحاب ابن مسعود يقرءونها كذلك وهذه إذا لم يثبت كونها قرأنا متواترا فلا أقل أن يكون خبر واحد أو تفسيراً من
الصحابة وهو في حكم الرفع وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن جعفر الأشعري حدثنا الهيثم
ابن خالد القرشي حدثنا يزيد بن قيس عن إسحاق بن يحيى عن ابن جريج عن ابن عباس قال ما نزلت آية الكفارات
قال حذيفة يا رسول الله نحن بالخيار قال « أنت بالخيار إن شئت أعتقت وإن شئت كسوت وإن شئت أطعمت فنزل بعد
فصيام ثلاثة أيام متتابعات » وهذا حديث غريب جداً ، وقوله (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقتن) أي هنك كفارة الجين
الشرعية (واحتفظوا أيمانكم) قال ابن جرير معناه لا تركوها بغير تكفير (كذلك بين الله لكم آياته) أي يوضحها
وفسرها (لعلكم تشكرون)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الْخَيْرُ وَالْبَئِيسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ حَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ • إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْبَئِيسِ وَيَصَدِّكُمْ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ قُلْ إِنَّمَا مَثَرُون • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْرِضُوا
أَنَّا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْبَئِيسُ • لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى ناهي عباده المؤمنين عن طعنى الخير واليسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه قال الشطرنج من اليسر رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عيسى بن مرحوم عن حاتم عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن علي بن به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسحاق الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء
ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا : كل شيء من القمار فهو من اليسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى
عن راشد بن سعد وضمره بن حبيب مثله وقالوا حتى الكعاب والجوز والبس إلى تلعب بها الصبيان وقال موسى بن
عقبة عن نافع عن ابن عمر قال اليسر هو القمار وقال الشافعي عن ابن عباس قال اليسر هو القمار كانوا يتقارون
في الجاهلية إلى جى الإسلام فتهاجم الله عن هذه الأخلاق القبيحة وقال مالك عن داود بن الحصين أنه سمع سعيد بن
السبيط يقول كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالثاء والشافعي

وقال الزهري عن الأعرج قال اليسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار وقال القاسم بن محمد كل ما ألقى عن
ذكر الله وعن الصلاة فهو من اليسر رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزيايدي حدثنا
هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي التائكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي موسى
الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا هذه الكعاب اللوسومة التي يزجر بها زجرنا فانها من اليسر »

حديث غريب وكان المراد بهذا هو الرد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الأسدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لب بالردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » وفي موطأ مالك ومسنند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « من لب بالرد قد عصى الله ورسوله » وروى موقوفاً عن أبي موسى من قوله فاقه أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا الجعيد عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي أنه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخبرني ما سمعت أباك يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل الذي يلبس بالرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي » . وأما الشطر فحدثنا قال عبد الله بن عمر إنه سمر من الرد وتقدم عن علي أنه قال هو من اللبس ونس على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى ، وأما الأنصاب فقال ابن عباس وعجاء وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قربانهم عندها ، وأما الأزلام فقالوا أضراسهم فداخ كانوا يستقسمون بها رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (رجس من عمل الشيطان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي سخط من عمل الشيطان وقال سعيد بن جبير إنهم وقال زيد بن أسلم أي شر من عمل الشيطان (فاجتنبوه) الضمير عائد على الرجس أي أتركوه (لمسلم تملكون) وهذا ترغيب ثم قال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر والبليس ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متنون) وهذا تهديد وترهيب

(ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الحمر)

قال الإمام أحمد حدثنا شرح حدثنا أبو مشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال حرمت الحمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للدينة وهم يشربون الحمر ويأكلون اللبس فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأذن الله (يسألونك عن الحمر واللبس قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) إلى آخر الآية فقال الناس ما حرم علينا إنما قال (فيهما إثم كبير ومنافع للناس) وكانوا يشربون الحمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أمحابة في الثرب فسلط في قراءته فأذن الله آية أغلظ منها (يا أيها الذين آمنوا لا تخربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو متبقي ثم أنزلت آية أغلظ منها (يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر واللبس والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قالوا اتينا ربنا وقال الناس يا رسول الله فاسئلوا في سبيل الله ومانوا على سرفهم كانوا يشربون الحمر ويأكلون اللبس وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان فأذن الله تعالى (ليس على الذين آمنوا واصلوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو حرم عليهم لتروكوه كما تركتم » انقروا به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه قال لما نزل تحريم الحمر قال اللهم بين لنا في الحمر بيناً شافياً فنزلت الآية التي في البقرة (يسألونك عن الحمر واللبس قل فيهما إثم كبير) فعسى عمر قرأته عليه فقال اللهم بين لنا في الحمر بيناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تخربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادى رسول الله ﷺ إذا قال حتى على الصلاة نادى : لا يقرين الصلاة سكران . فعسى عمر قرأته عليه : فقال اللهم بين لنا في الحمر بيناً شافياً : فنزلت الآية التي في المائدة فعسى عمر قرأته عليه فلما بلغ قول الله تعالى (فهل أنتم متنون) قال عمر اتينا ربنا وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمر بن عبد الله السبيعي وعن أبي ميسرة واهم عمرو بن شرحبيل المعدي عن عمرو بن وهب وليس له عنه سواء قال أبو زرعة ولم يسمع منه وصح هذا الحديث على بن الدين والترمذي ، وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ أيها الناس إنه نزل تحريم الحمر وهي من خمسة العنب والتمر والصل والمخطة والشعير ، والحمر ما خمر العنق . وقال البخاري حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا محمد

ابن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشهر ما فيها شراب العنب . (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبي حميد عن السري عن أبي الطعمة قاري مصر قال سمعت ابن عمر يقول نزلت في الخمر ثلاث آيات فأول شيء نزل (بأنوك عن الخمر واليسر) الآية قليلة، حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله دعنا نتنعع بها كما قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية (لا تضرعوا الله وأتم سكرارى) قليل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله إنا لا نضرعها قرب الصلاة فسكت عنهم ثم نزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرمت الخمر » . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يعل حدثنا محمد بن إسحق عن القنقاع بن حكيم أن عبد الرحمن بن وعلة قال سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال كان رسول الله ﷺ صديق من تقيف أو من دوس فلقبه يوم الفتح براءة سخر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ « يا فلان أما علمت أن الله حرما » فأقبل الرجل على غلامه فقال اذهب فبعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فلان بماذا أمرته » فقال أمرته أن يبعها قال « إن الله حرم شربها حرم يبعها » فأمر بها فأفرغت في البطحاء رواء مسلم بن طريق ابن وهب عن مالك عن زيد ابن أسلم ومن طريق ابن وهب أيضا عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن وعلة عن ابن عباس به . ورواه النسائي عن تقيية عن مالك به

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى الوصلى حدثنا محمد بن أبي بكر اللددي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الجيد ابن جعفر عن شهر بن حوشب عن تميم الداري أنه كان يهدي لرسول الله ﷺ كل عام رواقين خمرًا فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها فلما رآها رسول الله ﷺ ضحك وقال « إنها قد حرمت بحدك » قال يا رسول الله فأبعها وأنتعع بشئنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمن الله اليهود حرمت عليهم شحوم البقر والتمن فأذوه وابعوه والله حرم الخمر وثمنها » وقد رواه أيضا الإمام أحمد فقال حدثنا روح حدثنا عبد الجيد بن بهرام قال سمعت شهر ابن حوشب قال حدثني عبد الرحمن بن غنم أن الداري كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام رواقين من خمر فلما كان عام حرمت جاء براءة فلما نظر إليه ضحك فقال « أشمرت أنها قد حرمت بحدك » فقال يا رسول الله ألا أبيعها وأنتعع بشئنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمن الله اليهود انطلقوا إلى ما حرم عليهم من شحم البقر والتمن فأذوه فابعوه إنه ما يأكلون وإن الخمر حرام وثمنها حرام وإن الخمر حرام وإن الخمر حرام وإن الخمر حرام وثمنها حرام » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا تقيية بن سعيد حدثنا ابن أبي ليحة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع ابن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يبيع في الخمر في زمن رسول الله ﷺ وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني جئت بك شراب طيب فقال رسول الله ﷺ « يا كيسان إنها قد حرمت بحدك » قال فأبعها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنها قد حرمت وحرم ثمنها » فانطلق كيسان إلى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح وأبي كعب وسويل بن يضاء وشرا من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال أما شعرت أن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا حتى ننظر ونسأل فقالوا يا أنس اسكب ما بقي في إنائك فوالله ما عادوا فيها وما هي إلا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ : أخرجه في الصحيحين من غير وجه عن أنس وفي رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شربهم إلا القضيض البسر والتمر فلذا منادى بنادى قال أخرجها فأنظر فإذا مناد ينادى ألا إن الخمر قد حرمت فجرت في سلك الدبة قال : فقال لي أبو طلحة أخرج فأهرقتها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم تكل فلان وفلان وهي في بطونهم قال فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد حدثنا عباد بن

(١) في هذا أن تميا أسلم سنة تسع من الهجرة وقد حرمت الخمر سنة ثمان كما استظهره الحافظ في التبع .

راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال سينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجاجة ومعاذ ابن جبل وسويل بن يضاء حتى مالت رؤوسهم من خليب يسر وغير فسمعت مناديا ينادي ألا إن آخر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرتنا القلال ونوشنا بضنا واغتسل بضنا وأصبنا من طيب أم سلم ثم خرجنا إلى المسجد فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر واليسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) إلى قوله (فهل آثم منتهون) فقال رجل يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزله الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية فقال رجل قتادة أنت سمعته من أنس بن مالك؟ قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال نعم. أو حدثني من لم يكذب، ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب. (حديث آخر)

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سواده عن قيس بن سعد بن عبادة أن رسول الله ﷺ قال «إن ربي تبارك وتعالى حرم الحمر والكوبة والقنين وليناكم والصبراء فلئن ثالث خمر العالم». (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا فرج بن فضالة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله حرم على أمتي الحمر واليسر والزور والكوبة والقنين وزادى صلاة الوتر» قال يزيد القنين البرابط فخر به أحمد، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عامر وهو الثيل أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «من قال على ما أكل فليتبوأ مقعده من جهنم» قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله حرم الحمر واليسر والكوبة والشراب وكل مسكر حرام» فخر به أحمد أيضا. (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة مولاهم وعن عبد الرحمن بن عبد الله النافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ «لنت الحمر على عشرة أوجه لنت الحمر بينها وشاربها وساقبها وبالمها ومبتاعها وعاصرها ومتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها» ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به، وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربد فخرجت معه فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه فكان عن يمينه وكنت عن يساره ثم أقبل عمر فتحت له فكان عن يساره فأبى رسول الله ﷺ الربد فإذا بزقاق على الربد فيها خمر قال ابن عمر فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قال ابن عمر وما عرفت للدية إلا يومئذ فأمر بالزقاق فشققت ثم قال «لنت الحمر وشاربها وساقبها وبالمها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومتصرها وأكل ثمنها». وقال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن خزيمة بن حبيب قال: قال عبد الله بن عمر أمرني رسول الله ﷺ أن آتية بمدينة وهي الشرفة فأتيتها بها فأرسل بها فأرسلها وقال «اغد على بها» ففعلت فخرجت بأسبابها إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الحمر قد جلبت من الشام فأخذ الدية مني فشقي ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يحضروا معي وأن يماونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا اشتقته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا اشتقته. (حديث آخر) قال عبيد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة واليث بن سعد عن خالد بن زيد عن ثابت أن يزيد الحولاني أخبره أنه كان له عم يسبع الحمر وكان يصدق قال فأتته عنها فلم يفته قدمت المدينة فقلت ابن عباس فسألت عن الحمر وثمنها فقال هي حرام وثمنها حرام ثم قال ابن عباس رضي الله عنه يا مسمع أمة محمد إنه لو كان كتاب بيد كتابك ونبي بيد نبيك لأزول فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ولكن أخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولمعري هو أشد عليكم. قال ثابت فقلت عبيد الله بن عمر فسألت عن ثمن الحمر فقال سأخبرك عن الحمر إن كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد فثنا هو محب على حبه ثم قال «من كان عنده من هذه الحمر شيء فليأتها» فجمعوا يأتونه فيقول أحدهم عندي وراوية ويقول الآخر عندي زق أو ماشاء الله أن يكون

عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجمعوه يبيع كذا وكذا ثم آذوني » ففعلوا ثم آذوه فقام وقت معه ومشي عن يمينه وهو منكى على خلفه أبو بكر رضى الله عنه فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلني عن يمينه وجعل أبو بكر في مكان ثم خلفنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبرني وجهه عن يساره ففسي بينهما حتى إذا وقف على الحجر قال قتاس « أئمنون هذه » قالوا: نعم يا رسول الله هذه الحجر قال « صدقتم » ثم قال « فان الله لمن الحجر واصرها ومعتصرها وغارها وساقها وحاملها والحوالة إليه وبالسها ومشتريها وأكل منها » ثم دعا بسكين فقال « اشحنوها » ففعلوا ثم أخذها رسول الله ﷺ فخرق بها الزقاق قال: فقال الناس في هذه الزقاق منقطة فقال « أجل ولكني إنما أقفل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطة » فقال عمر أنا أكفيك يا رسول الله ، قال « لا » قال ابن وهب وبشهم يزيد على بعض في قصة الحديث رواه البيهقي

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسين بن بشر أنبأنا إسماعيل بن محمد الصغار حدثنا محمد بن عبيد الله اللادي حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن ممالك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزلت في الحجر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الأنصار طعاما فدعانا فضربنا الحجر قبل أن نخرج حتى اتسبنا فضاخرنا فقالت الأنصار نحن أفضل وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الأنصار حصى جزور فضرب به أنف سعد فزوره وكانت أنف سعد مفزورة فنزلت (إنما الحجر والليسر) إلى قوله تعالى (فهل أتم منتهون) أخرجه مسلم من حديث شعبة (حديث آخر) قال البيهقي وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو بوطى الرضا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا ربيعة بن كئثم حدثنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنما نزل تحريم الحجر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا فلما أن نزل القوم عيث بعضهم بعض فلما أن صعدوا جعل الرجل يرى الأمر بوجهه ورواه عن أبيه فقلت صنع في هذا أخى فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم شقاق فيقول والله لو كان في رءوف رحما ما صنع في هذا ، حتى وقت الضعاف في قلوبهم فأقول الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إنما الحجر والليسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) إلى قوله تعالى (فهل أتم منتهون) فقال أناس من للكافرين هي رجس وهي في بطن فلان وقد قل يوم أحد فأقول الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحمن ساعقة عن حجاج بن منهال .

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثني محمد بن خلف حدثنا سعيد بن محمد الحر عن أبي نعيم عن سلام بن موسى عن أبي القاسم عن أبي هريرة عن أبيه قال بينما نحن قوم على شراب لنا ونحن على رمة ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطية لنا ونحن نضرب الحجر حلا إذ قلت حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه إذ نزل تحريم الحجر (يا أيها الذين آمنوا إنما الحجر والليسر) إلى آخر الآية (فهل أتم منتهون) فبحث إلى أصحابي فقرأها عليهم إلى قوله (فهل أتم منتهون) قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضها ويقي بعض في الإناء فقال بالاناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجاج ثم سبوا ما في بطيهم فقالوا اتينارينا

(حديث آخر) قال البخاري حدثنا سعد بن الفضل أخبرنا ابن عينة عن عمرو عن جابر قال سبيع (١) أناس غدا فأحد الحجر فقتلوا من يومهم جميعا شهداء وذلك قبل أن تحرمها هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه وقد رواه الحافظ أبو بكر البرزاني في مسنده حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار مع جابر بن عبد الله يقول اصطحب ناس الحجر من أصحاب النبي ﷺ ثم قتلوا شهداء يوم أحد فقالت اليهود قد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأقول الله (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) ثم قال وهذا إسناد صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غراب

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الحجر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم ؟ فنزلت (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ورواه الترمذي عن نيار عن غندر عن شعبة به نحوه وقال حسن صحيح (حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى الواسطي حدثنا

(١) صحح بالتشديد ولفظه في كتاب اللغز اصطحب الحجر يوم أحد ثم قتلوا شهداء والتصحيب الدرب في الصباح .

جفر بن حيد الكوفي حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال قال رجل يعمل الخمر من خير إلى المدينة فيبيها من المسلمين فعمل منها بما قدم بها للدينة فقيه رجل من المسلمين فقال يا فلان إن الخمر قد حرمت فوضها حيث انتهى على تل وسجى عليها بالكسبة ثم أتى النبي ﷺ قال يا رسول الله بلغني أن الخمر قد حرمت قال « أجل » قال لي أن أردّها على من ابتاعها منه قال « لا يصلح ردّها » قال لي أن أهديها إلى من يكتفي منها ؟ قال « لا » قال فإن فيها مالا لئلا في حجرى قال « إذا أتانا مال البعيرين فأتنا نوض أيتامك من ماله » ثم نادى بالمدينة فقال رجل يا رسول الله الأوعية تنتفع بها قال « فعلوا أو كبتها » فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي فهذا حديث غريب . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هذيفة وهو يحيى بن عباد الأنصاري عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأله رسول الله ﷺ عن أيتام في حجره ورتوا خمرًا فقال « أهرقها » قال أنلا يجمعها حلا ؟ قال « لا » ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا عبد العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطام بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال إن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قال هي في التوراة إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويصل به القلب والزماير والزغف والكبائر يعني البرابط والزملرات يعني به الدف والطناير والشعر والخمر مرة لمن طعمها ، أقسم الله يمينه وعزته من شربها بعدما حرمتها لأعطشته يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس وهذا إسناد صحيح

(حديث آخر) قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن شعيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها ، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الجبال » قيل وما طينة الجبال ؟ قال « عصارة أهل جهنم » ورواه أحمد من طريق حمرو بن شعيب (حديث آخر) قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا إبراهيم بن عمر الصنائي قال سمعت الثمان هو ابن أبي شعبة الجندی يقول عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرًا نجست صلاته أربعين صباحًا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الجبال » قيل وما طينة الجبال يا رسول الله ؟ قال « صديد أهل النار . ومن سقاه صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الجبال » تفرد به أبو داود

(حديث آخر) قال الشافعي رحمه الله أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرما في الآخرة » أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به وروى مسلم عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فأتوه ويدينها لم يتب منها لم يهربها في الآخرة » (حديث آخر) قال ابن وهب أخبرني عمر ابن محمد عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول : قال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمذموم والخمر واللذان بما أعطى » ورواه النسائي عن حمرو بن علي عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري به وروى أحمد عن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر »

ورواه أحمد أيضًا عن عبد الصمد عن عبد العزيز بن أسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد به وعن مروان بن شجاع عن خفيف عن مجاهد به ورواه النسائي عن القاسم بن زكريا عن حسين الجعفي عن زائدة عن يزيد بن أبي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن منصور عن سالم ابن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا

منان ولا ولد زنية وكذا رواه عن زيد عن هام عن منصور عن سالم عن جابان عن عبدالله بن عمرو بن وهب وقد رواه أيضا عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبدالله بن عمرو بن العتيق قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق والده ولا مدمن خمر » ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك ثم قال ولا نمل أحدا تابع شعبة عن نبيط بن شريط وقال البخاري لا يعرف لجابان سلع من عبدالله ولا سالم من جابان ولا نبيط وقد روى هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس ومن طريقه أيضا عن أبي هريرة قال أعلم

وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه قال سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا الخمر فانها أم الجباة إنه كان رجل فيمن خلا بكم يشبه ويترى الناس فطعته امرأة غوية فأرسلت إليه جارية أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطعته كما دخل بها أغلقت دونه حتى أفضى إلى امرأة وضعت عندها غلام وباطية خمر قالت إني والله ماعدونك لشهادة ولكن دعوتك لقطع لي أوتحتل هذا التلام أو تضرب هذا الخمر فسقت كأسا فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانها لا تجتمع هي والإيمان أبدا إلا أوشك أحدها أن يخرج صاحبه رواه البيهقي وهذا إسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم السكر عن محمد بن عبدالله بن يزيد عن الفضيل بن سليمان الغنوي عن عمر بن سعيد عن الزهري مرفوعا وللوقوف أصبح والله أعلم وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله

ﷺ أنه قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وقال أحمد بن حنبل حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حرمت الخمر قال ناس يا رسول الله أمحنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية ولا حول القبة قال ناس يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا وهم يسلون إلى بيت المقدس فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال الإمام أحمد حدثنا داود بن مهران الديلمي حدثنا داود بن أبي الطرار عن أبي شيبة عن شهر بن حوشب عن أساءة بنت زيد أنها سمعت النبي ﷺ يقول « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة إلى مات كافرا وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان خطا على الله أن يقبضه من طينة الجبال » قالت قلت يا رسول الله وما طينة الجبال ؟ قال « صديد أهل النار » وقال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال لما نزلت (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) فقال النبي ﷺ « قليلي أنت منهم » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه . وقال عبد الله بن الإمام أحمد قرأت على أبي حدثنا علي بن عاصم حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم وهاتان الكبتان (١) اللوسمتان التان تزجران زجرًا فلهما ميسر الصبح »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ نَكَلُ اللَّهِ بَيْنَهُ مِنَ الصِّدِّ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاكُمْ ﴾ ﴿ تَنَالَهُ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّ لِلَّهِ عَذَابَ آلِيمٍ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّقَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَتَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِمَّا قَتَلْتُمْ مِنَ النَّفْسِ بِحَسْمِكُمْ بِهِ دَوًّا عَلَى نَفْسِكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَفَّةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلَ ذَلِكَ حَبِيبًا لِيَذُوقُوا بِأَلِّ أَمْرِهِ عَذَابَ اللَّهِ عَمَّا سَلَفَ وَتَنْ كَادَ قَيْنَتُهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ غَزِيرٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

قال الوالي عن ابن عباس قوله (لبيونكم الله بغيره من الصيد تناله أيديكم ورماسكم) قال هو الضعيف من الصيد وصغيره ينال الله به عباده في إخراجهم حتى لو شاءوا لتناولوه بأيديهم فقام الله أن يجره . وقال مجاهد (تناله أيديكم) يعني صغار الصيد وفراخه (ورماسكم) يعني كبارهم وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تتشام في رحالهم لم يروا مثله قط فخلا فقام الله عن قتله وهم محرمون (ليعلم الله من يخافه

(١) الكبتان والكبان القنان اللذان يلصقهما بالرد والمراد بوجهيهما من التعلل التي يربها الرأع والحاسر في الليل .

بالنبيب) يعني أنه تعالى ينبتهم بالسيد يشامهم في رحالمهم يتمكنون من أخذه بالأيدى والرماح سراً وجهرراً لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره كما قال تعالى (إن الذين يخشون ربهم بالليل لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله هاهنا (فمن اعتدى بعد ذلك) قال السدي وغيره يعني بعد هذا الاعلام والانذار والقتل (فله عذاب أليم) أي لحاقته أمر الله وشعره ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرمة) وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ونهيهم عن تماطيه فيه وهذا إنما يتناول من حيث للمف لا كقول ولوماتوله منه ومن غيره فأما غير المأكول من حيوانات البر فقتل الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور على تحريم قتلها أيضاً ولا يستثنى من ذلك الإلمايت في الصحيحين من طريق الزهري عن عروقه عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : التراب والحدأة والقرب والفأرة والكلب العقور » وقال مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح : التراب والحدأة والقرب والفأرة والكلب العقور » أخرجه ورواه أبو يوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال أبو يوب قتلنا نافع فالحجة قال الحية لا تملك فيها ولا يختلف في قتلها ومن العلماء كالك وأحمد من ألق بالكلب العقور الذئب والسمع والنمر والهدد لأنها أشد ضرراً منه فأنه أعلم وقال زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة الكلب العقور يشمل هذه السباع المادية كلها واستأنس من قال بهذا بما روى أن رسول الله ﷺ لما دعا بني أبي حبة بن أبي لهب قال « اللهم سلط عليه كلبك بالشام » فأكله السبع بالرقاء ، قالوا فإن قتل ماعداهن فداء كالضبع والتملح والوبر^(١) ونحو ذلك قال مالك وكذا يستثنى من ذلك سفار هذه الخمس للصوص عليها وسفار للحق بها من السباع الموادي وقال الشافعي يجوز للمحرم قتل كل ما لا يؤكل لحمه ولا فرق بين سفاره وذكابه وجعل العلة الجامعة كونها لا تؤكل وقال أبو حنيفة يقتل المحرم الكلب العقور والذئب لأنه كلب يرى فإن قتل غيرها فداء إلا أن يقول عليه سبع غيرها فيقتله فلا فداء عليه وهذا تحول الأوزاعي والحبش بن صالح بن يحيى وقال زفر ابن الهذيل يفتي ماسو ذلك وإن صال عليه وقال بعض الناس للراد بالتراب هاهنا الأبقع وهو الذي في بطنه وظهوره يابس دون الأدرع وهو الأسود والأعصم وهو الأبيض لما رواه النسائي عن عمرو بن حفص القناس عن يحيى القطان عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن السبيع عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خمس يقتلن المحرم : الحية والفأرة والحدأة والفراب الأبقع والكلب العقور » والجمهور على أن الراد به أعم من ذلك لما ثبت في الصحيحين من إطلاق لفظه وقال مالك رحمه الله لا يقتل المحرم التراب إلا إذا صال عليه وآذاه وقال مجاهد بن جبر وطائفة لا يقتله بل يرميه وروى مثله عن علي وقد روى هشام حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه سئل عما يقتل المحرم فقال « الحية والقرب والقويسقة وبرى التراب ولا يقتله والكلب العقور والحدأة والسبع العادي » رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشام وابن ماجه عن أبي كريب وعن محمد بن فضيل كلاهما عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف به وقال الترمذي هذا حديث حسن وقوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن حلية عن أبي يوب قال نبث عن طاوس أنه قال لا يحكم على من أصاب صيداً خطأ إنما يحكم على من أصابه متعمدا وهذا مذهب غرب عن طاوس وهو متمسك بظاهر الآية وقال مجاهد بن جبر للراد بالتمتع هنا المقاصد إلى قتل الصيد الناسي لإحرامه فأما التمتع لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه فذاك أمره أعظم من أن يكفر وقد بطل إحرامه روله ابن جرير عنه من طريق ابن أبي نعيم ولبث بن أبي سليم وغيرهما عنه وهو قول غريب أيضاً والذي عليه الجمهور أن العائد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه وقال الزهري دل الكتاب على العائد وجرت السنة على الناسي ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على التمتع وعلى تأميمه بقوله (لينذرك وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) وجاءت السنة من أحكام النبي ﷺ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في السمد وأيضاً فإن قتل الصيد إتلاف وإلتلاف مضمون في العمد وفي النسيان لكن التمتع مأثوم والمخطئ غير مأثوم وقوله تعالى

(١) كذا في نسخة الأزهر : وهر البر .

(فجزاء مثل ما قتل من النعم) قرأ بعضهم بالإضافة وقرأ آخرون بقطبها (فجزاء مثل ما قتل من النعم) وحكى ابن جرير أن ابن مسعود قرأ (فجزاء مثل ما قتل من النعم) وفي قوله (فجزاء مثل ما قتل من النعم) على كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور من وجوب الجزاء من مثل ما قتل المحرم إذا كان له مثل من الحيوان الأنسي خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد للقتول مثلاً أو غير مثل قال وهو غير إيهام تصديق بضمنه وإن شاء اشترى به هدياً والذي حكم بالصحابة في مثل أولي بالاتباع فاتهم حكوا في النعمة يبدن وفي بركة الوحش يقره وفي الغزال ينز وذكّر قضايأ الصحابة وأسانيدها مقرر في كتاب الأحكام وأما إذا لم يكن الصيد مثلياً فتدفعكم ابن عباس فيه بضمنه يحمل إلى مكة رواه البيهقي

وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني أنه يحكم بالجزاء في مثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من السليين واختلف العلماء في القائل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين على قولين (أحدهما) لا ، لأنه قد ينهم في حكمه على نفسه وهذا مذهب مالك (والثاني) نعم لعموم الآية وهو مذهب الشافعي وأحمد واحتج الأولون بأن الحاكم لا يكون محكوماً عليه في صورة واحدة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان عن يميون ابن مهران أن أعرابياً أتى أبا بكر فقال قلت سيدي وأنا محرم لما ترى من طي من الجزاء فقال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده ما ترى فيها قال: قال الأعرابي أيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فلذا أنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما تذكر ؟ يقول الله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) فشاورت صاحبني حتى إذا اتفقتا على أمر أمرناك به ، وهذا إسناد جيد لكنه مقطوع بين يميون وبين الصديق ومثله يشتمل هنا قبيل له الصديق الحكم برفق وثؤدة لما رآه أعرابياً جاهلاً وإنما دواء الجهل التعليم فأما إذا كان للمرض منسوباً إلى العلم فقد قال ابن جرير حدثنا هناد وأبو هشام الرضاعي قال حدثنا وكيع بن الجراح عن المسعودي عن عبد الملك بن حمير عن قبيصة بن جابر قال خرجنا حباجاً فكتنا إذا صلينا القعدة اقتدنا رواحنا فنفتني تحدث قال فيينا نحن ذات غداة إذ سنح (١) لنا ظبي أو برح فرماه رجل كان معنا بمجر لما أخطأ حشاه فركب وودعه ميتاً قال فلعننا عليه فلما قمنا كئنا خرجت معه حتى أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنقص عليه القصة فقال وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة في يد الرحمن بن عوف فالتفت عمر إلى صاحبه فكله قال ثم أقبل على الرجل فقال أعمداً قتلت أم خطأ ؟ فقال الرجل لقد تصدعت رمية وما أردت قتله فقال عمر ما أراك إلا قد أشركت بين السمد والخطأ أحمد إلى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها واستبق لها بها قال قمنا من عنده فقلت لصاحبي أيها الرجل عظم شمائر الله لما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه أحمد إلى نائلك فأخبرها فلعل ذلك يعني أن يجزي عنك قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة (يحكم به ذوا عدل منكم) فبلغ عمر مقالتي فلم يغبأنا منه إلا ومعه البقرة قال فلا صاحبي ضرباً بالهرة أكتلت في الحرم وسنعت في الحكم قال ثم أقبل على قلت يا أمير المؤمنين لا أمل لك اليوم شيئاً يحرم عليك مني ، فقال يا قبيصة بن جابر إني أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب. وروى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن حمير عن قبيصة بنحوه ورواها أيضاً عن حسين عن النبي عن قبيصة بنحوه وذكرها مرسلة عن عمر بن بكر بن عبد الله الزبيدي وعبد بن مريد بن بنحوه وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن منصور عن أي وأهل أخيراً ابن جرير البجلي قال أصبت ظلياً وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر قال أنت رجلين من إخوانك فليحكك عليك فأجبتني: الرحمن وسعداً فحككاً على بيتي أسفر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن عينة عن عمار عن طارق قال أوطأ أريد (٢) ظلياً فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر أحكم معي فحكك فيه جدياً قد جمع لكاء والشجر ثم قال عمر (يحكم به ذوا عدل منكم) وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله واختلفوا هل تستألف الحكومة في كل ما يصيب المحرم فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم في مثله الصحابة

الصيد وجب الجزاء ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة وإن تكرر ما تكرر سواء الخطأ في ذلك والصمد وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فكما قتله فإن قتله عمداً يحكم عليه فيمرة واحدة فإن عاد يقال به ينقم ألفه منك كما قال الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي جميعاً عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً يحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم عليه ينقم الله منه وهكذا قال شرح وعاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي ورواه ابن جرير ثم اختار القول الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد السبيعي حدثنا الحسن بن سليمان عن زيد أبي اللؤلؤ عن الحسن البصري أن رجلاً أصاب صيداً فتجوز عنه ثم عاد فأصاب صيداً آخر فزلت نار من السماء فأحرقتة فهو قوله (ومن عاد فينقم الله منه) وقال ابن جرير في قوله (والله عزذوا انتقام) يقول عزذكره والله منيع فيسلطانه لا يشززه قاهر ولا يمنع من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع لأن الخلق خلقه والأمر أمركه العزة والعزة وقوله (ذوات انتقام) يعني أنه ذو عقوبة لمن عصاه على معصيته إياه

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَى لَكُمْ وَالسَّيَارَةُ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دَسَّمْتُمْ حُرْمًا وَأَقْوَا اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ • جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيمَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَتْلَ ذَلِكَ لِيَتْلُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءًا عَلِيمٌ • أَفَلَا تَأْنَسُونَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ فَخُورٌ رَحِيمٌ • مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا تَدْبُرُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن السبيعي وسعيد بن جبير وغيرهم في قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر) يعني ما يسطاد منه طرياً (وطعامه) ما يزود منه مليحاً بإيساء، وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه صيده ما أخذ منه حياً (وطعامه) ما لفظه ميتاً، وهكذا روى عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي والحسن البصري، قال سليمان بن حبيبة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي بكر الصديق أنه قال (طعامه) كل ما فيه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن سفيان قال: حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) وطعامه ما قذف. قال وحدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه عن سليمان التيمي عن أبي جابر عن ابن عباس في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال (طعامه) ما قذف، وقال عكرمة عن ابن عباس قال طعامه ما لفظ من ميتة ورواه ابن جرير أيضاً وقال سعيد بن السبيعي طعامه ما لفظه حياً أوحسره فبات رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن يشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن نافع عن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر قال: إن البحر قد قذف حيتاً كثيرة ميتة أفأكلها؟ فقال لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ الصحف فقرأ سورة للآية فأتى هذه الآية (وطعامه متاعاً لكم والسَّيَارَةُ) فقال لا تأكلوها فقلها فليأكلها فانه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه ما مات فيه. قال وقد روى في ذلك خبر وإن بعضهم يرويه موقوفاً حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) قال «طعامه ما لفظه ميتاً» ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة. حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال طعامه ما لفظه ميتاً. وقوله (متاعاً لكم والسَّيَارَةُ) أي منفعة وقوتاً لكم أيها المخاطبون (والسَّيَارَةُ) وم جمع سيار قال عكرمة لمن كان بحضرة البحر والسفر وقال غيره الطرى منه لمن يسطاده من حضرة البحر وطعامه ما مات فيه

أو اسطيد منه وبلغ وقد يكون زادا للمسافرين والثائق عن البحر وقد روى نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم . وقد استدل الجمهور على حل ميتته بهذه الآية الكرعة وما رواه الإمام مالك بن أنس عن ابن وهب وابن بكسان عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله ﷺ بشا قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وم ثلثة وأنا فيهم قال فخرجنا حتى إذا كنا بمض الطريق فني الراد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي عمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن بصينا إلا نعمة تمره فقال قد وجدنا قعدنا حين فنيتم قال ثم اتينا إلى البحر فاذا حوت مثل الطرب فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فصبنا ثم أمر برحلة فرحلت ومرت تحتها فلم تصبها وهذا الحديث يخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فاذا على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم فأتيناها فاذا بدابة يقال لها الضبر قال : قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا نحن رسل رسول الله ﷺ وقد اضطررت فكلوا قال فأقنا عليه شهرا ونحن ثلثة حتى سمنا ولقد رأيتنا نقترب من وقب عينيه بالقتال المهن وقتل من القدر كالنور قال ولقد أخذ منا أبو أبو عبيدة لثلاثة عشر رجلا فأقدم في وقب عينيه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بئر معنا فر من تحتها وتزودنا من لحمه وشاقي فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له قال « هو رزقي أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فقتلونا ؟ » قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فله وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين وجدوا هذه السمكة فقال بعضهم هي واقصة أخرى وقال بعضهم بل هي قضية واحدة ولكن كانوا أولا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم بشهم سريتمع أبي عبيدة فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع أبي عبيدة والله أعلم ، وقال مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن آل ابن الأزرق أن الثيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الله أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توشأنا به عطشنا أفنتوضأ بهاء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وقد روى هذا الحديث الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربع وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم وقد روى عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ بنحوه . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة حدثنا أبو الهزم هو يزيد بن سفيان سمعت أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فبصنا ففرض بهن بصينا وسباطنا فقتلن ففسق في أيدينا قتلنا ما نصنع ونحن محرمون فمأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا بأس بصيد البحر » أبو الهزم ضيف والله أعلم وقال ابن ماجه حدثنا هرون بن عبد الله الجاهل حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا يزيد بن عبد الله عن عاتلة عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم أهلك كباره واقتل صفاره وأفسد بيشه واقطع دأيره ، وخسد بأفواهه عن ما يشا وأرزاقنا إنك مهيح الدعاء » فقال خالد بن رسول الله ﷺ كيف تدعو على جند من أجناد الله قطع دأيره : قال « إن الجراد شره الحوت في البحر » قال هاشم قال يزيد حدثني من رأى الحوت يشرد به ابن ماجه وقد روى الشافعي عن سعيد بن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم ، وقد احتج بهذه الآية الكرعة من ذهب من الفقهاء إلى أنه يؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئا فقدمت على الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه . وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ماسواها لما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع والنسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال تقيها تسبح وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فيها سواها قليل يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر وملا يؤكل شبه لا يؤكل وهذه كلها وجوه في منذهب

الشافعي رحمه الله تعالى، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل ما مات في البحر كما لا يؤكل ما مات في البر لمعوم قوله تعالى (حرمت عليكم اللينة) وقد ورد حديث ينحو ذلك فقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن إسحق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قال حدثنا الحسين بن يزيد الطحان حدثنا حصن بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما صدقوه وهو حي فمات فكلوه وما ألقى البحر ميتا فلما فلا تأكلوه » ثم رواه من طريق إسماعيل بن أمية وريحى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر وهو منكره، وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث الصبر التميمي ذكره ومحدث « هو الطهور ماءه الحل ميتته » وقد تقدم أيضا وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن يزيد ابن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « أحلت لنا ميتتان وثمان فأما للبتان فأحلوت والجراد وأما السمك فالكبد والطحال » ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شواهد وروى موقوفا والله أعلم. وقوله (وحرم عليكم سيد البر ما دمتم حرما) أى في حال إحرامكم بحرم عليكم الاسطياد فبه دلالة على تحريم ذلك فإذا استطاع الحرم الصيد متمعا أثم وغرم أو غنظنا غرم وحرم عليه أكله لأنه في حقه كلبية وكذا في حق غيره من الحرمين والحلين عند مالك والشافعي في أحد قوليه وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وأبو سيف ومحمد بن الحسن وغيرهم فإن أكله أو شربا منه فهل يلزمه جزاء ثان؟ فيه قولان للعلماء (أحدهما) نعم قال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال إن ذبحتم ثم أكله ففكارتان وإليه ذهب طائفة (والثاني) لا جزاء عليه في أكله نص عليه مالك بن أنس قال أبو عمر بن عبد البر وطى هذا مذاهب فقهاء الأمصار وجمهور العلماء ثم وجهه أبو عمر بما لو طوى ثم وطى ثم وطى قبل أن يحد فأثم عليه حد واحد، وقال أبو حنيفة عليه قيمة ما أكل، وقال أبو ثور إذا قتل الحرم الصيد فضله جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد إلا أنى أكرهه لذى قتله للخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيد البر لكم حلال وأتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم » وهذا الحديث سيأتى بيانه وقوله بإباحته للقتال غريب وأما تقريره ففيه خلاف قد ذكرنا للتح من تقدم وقال آخرون بإباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون لهذا الحديث والله أعلم.

وأما إذا صاد حلال صيدا فأهداه إلى حرم فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقا ولم يستقصوا إلى أن يكون قد صاده من أجله أم لا حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الأحبار ومجاهد وعطاء في رواية وسيد بن جبير وبه قال الكوفيون قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا بشر ابن الفضل حدثنا سعيد عن قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده خلال أيا كاله الحرم قال فأفاهم بأكله ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره فقال لو أنتمهم بشر هذا لأوجعت لك رأسك، وقال آخرون لا يجوز أكل الصيد للحرم بالكلبية ومنعوا من ذلك مطلقا لمعوم هذه الآية الكريمة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس وعبد الكريم عن ابن أبي آسية عن طاوس عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للحرم وقال هي مبهمة بنى قوله (وحرم عليكم سيد البر ما دمتم حرما) قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال قال معمر وأخبرني أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال ابن عمر عبد البر وبه قال طاوس وجابر بن زيد وإليه ذهب الثوري وإسحق بن راهويه في رواية وقد روى نحوه عن طى بن أبي طالب رواه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره أكل لحم الصيد للمحرم على كل حال، وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه في رواية والجمهور إن كان الحلال قد قصد الحرم بذلك الصيد لم يجوز للمحرم أكله لحديث الصبر بن جثالة أنه أهدى لثني ﷺ حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بدران فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال « إن لم ترد عليك إلا أنا حرم » وهذا الحديث خرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي ﷺ ظن أن هذا إنما صاده من أجله

فرد به ذلك فأما إذا لم يقصد به الاستيلاء فإنه يجوز له الأكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحشي وكان حلالا لم يحرم وكان أصحابه عزمين فتوقفوا في أكله ثم سألو رسول الله ﷺ فقال « هل كان منكم أحد أشار إليها أو أعان في قتلها ؟ » قالوا : لا ، قال « فاكلوها » وأكل منها رسول الله ﷺ وهذه القصة ثابتة بأشياء الصحيحين بالفاظ كثيرة. وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور وثيبة بن سعيد قالا حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ وقال ثيبه في حديثه صمت رسول الله ﷺ يقول « صيد البر لكم حلال » قال سعيد - وأنتم حرم - ما لم تصيدوه أو يصد لكم « وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن ثيبه وقال الترمذي لا نعرف للمطلب معاصا من جابر ورواه الإمام أحمد ابن إدريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن مولاة للمطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روى في هذا الباب وأقيس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال رأيت عثمان بن عفان بالرج وهو محرم في يوم صائف قد غطى وجهه بقطيعة أرجوان ثم أتى بلعم صيدقال لأصحابه كلاً فقالوا أو لا تأكل أنت فقال إني لست كهيئتكم إنما صيد من أجل ^(١)

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَنُوكُمْ وَإِنْ تَسَاءَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ هَآءَ اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُم ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿

يقول تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد (لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك) أي يا أيها الإنسان (كثرة الخبيث) يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار كما جاء في الحديث « ما قل وكفى خير مما كثر وألغى » وقال أبو القاسم البهوتي في معجمه حدثنا أحمد بن زهير حدثنا الحوطي حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معاذ بن رفاع عن أبي عبد الله عليه السلام عن يزيد بن عيسى عن القاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال يا رسول الله ادمع الله أن يزدني مالا فقال النبي ﷺ « قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه » (فاهوا الله يا أُولِي الْأَلْبَابِ) أي يا ذوى العقول الصحيحة المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوه واتقوا بالحلال واكتفوا به لعلكم تفلحون أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا على أنفسكم) أي إن تبدلكم تنوكم (هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتفتيح عنها لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم معاصيها كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يلبث أحد عن أحد شيئا إلى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » وقال البخاري حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما صمت مثلها قط وقال فيها « لو تعلموا ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قال فطوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حينئذ فقال رجل من أبي قال « فلان » فتركت هذه الآية (لتسألوا عن أشياء) رواه النضر وروح بن عبادة عن شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تنوكم) الآية قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثنا أن رسول الله ﷺ سأله حتى أجابه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر فقبلت لا أثنت بيننا ولا شملا إلا وجدت كلاما راسا في ثوبه يكن فأنشأ رجلا كان يلاحى

(١) سقط من هذا الموضع تحريم الثلاث الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، وترك لها بياض في النسخة للمسكية .

فدعى إلى غير أبيه فقال يابى الله من أبى ؟ قال « أبوك حذافة » قال ثم قام عمر أو قال فأشأ عمر فقال رضي الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فأنشأ بالله أو قال أعوذ بالله من شر الفتن قال : وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « لم أر في الخير والشر كالذيوم قط ، صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط » أخرجه من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بن مالك قال أقرت به قال الزهري فقلت أم عبدالله بن حذافة ما رأيت ولداً أعوم منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك قد دارفت مكارف أهل الجاهلية فتضجها على دروس الناس فقال والله لو ألحقني بعبء أسود لاحتته وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حسين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان عمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال أين أبى قال فى النار » فقام آخر فقال من أبى قال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال رضي الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً إنا برسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آبائنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) الآية استأنده جيد وقد ذكر هذه القصة مرعبة غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدى أنه قال فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) قال غضب رسول الله ﷺ يوماً من الأيام فقام خطيباً فقال « سلوني فانكم لا تسألوني عن شيء إلا أنا تكلم به » فقام إليه رجل من قريش من بنى سهم فقال له عبد الله بن حذافة وكان يلعن فيه فقال يا رسول الله من أبى فقال أبوك فلان فعده لأبيه فقام إليه عمر بن الخطاب قبله بجره وقال يا رسول الله رضي الله ربا وبك نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً فامنعنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضى فيومئذ قال « الولد ففراش ولعاه الجبر » ثم قال البخارى حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خزيمة حدثنا أبو الجوزية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل نفس فأنشأ ابن نافع فأنزل الله فيهم هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) حتى فرغ من الآية كلها ففرد به البخارى وقال الإمام أحمد حدثنا منصور بن وردان الأسدي حدثنا على بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبي البختري وهو سعيد بن فيروز عن على بن قال لما نزلت هذه الآية (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) قالوا يا رسول الله أى كل عام فسكت فقالوا أى كل عام فسكت قال ثم قالوا أى كل عام فقال « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) الآية وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من طريق منصور ابن وردان به وقال الترمذى غريب من هذا الوجه وصحت البخارى يقول أبو البختري لم يدرى علياً وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن سبلان عن إبراهيم بن مسلم المجرى عن ابن عباس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله كتب عليكم الحج » فقال رجل أى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً فقال « من السائل ؟ » فقال فلان فقال « واللهى نفس بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أقمتموه ولو تركتموه لكفرتم » فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) حتى ختم الآية ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام عصم الأسدي وفى رواية من هذه الطريق عكاشة بن حصن وهو أشبه إبراهيم بن مسلم المجرى شفيق وقال ابن جرير أيضاً حدثني زكريا بن يحيى بن أبان الصرى حدثنا أبو يزيد عبدالعزیز بن أبي النضر حدثنا ابن مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سلم بن عاصم قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول قام رسول الله ﷺ فى الناس فقال « كتب عليكم الحج » فقام رجل من الأعراب فقال أى كل عام ؟ قال فلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب ومكث طويلاً ثم تكلم فقال « من السائل » فقال الأعرابي أناذا فقال « وعلمك ماذا يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم إلا إنه إنما أمهلك الذين من قبلكم أئمة المخرج والله لو أنى أحملت لكم جميع ما فى الأرض وحرمت عليكم منها موضع خف لو قمتم فيه » قال فأنزل الله عند ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا

عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم) إلى آخر الآية في إتيانه ضف وظاهر الآية التي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا حجاج قال سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم ومولى الحمداً عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لا يفتني أحد عن أحد شيئاً فإني أخب أن أخرج اليك وأنا سليم الصدر » الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي فإن تسألوا عن هذه الأشياء التي تهيم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبد لكم (وذلك على الله يسير) ثم قال (عفا الله عنها) أي عما كان منكم قبل ذلك (والله غفور رحيم) وقيل للراد بقوله (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي لتسألوا عن أشياء تستأفون السؤال عنها فلمه قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تنقيح وقد ورد في الحديث « أعظم المسلمين جرماً من ينادي عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأته » ولكن إذا نزل القرآن بها جملة فسألتهم يانها تبنت لكم حينئذ اجتنبوا بها (عفا الله عنها) أي ما لم يذكره في كتابه فهو عفا عنه فاستكفوا أنفسكم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « ذروني ما تركتكم فإنما أهلكت من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » وفي الحديث الصحيح أيضاً « أن الله تعالى فرض فرائض فلا تفصيها وحد محدوداً فلا تعدوها وحرم أشياء فلا تنكروها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » ثم قال تعالى (قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصحبوا بها كافرين) أي قد سألهم هذه المسائل التي فيها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فأصحبوا بها كافرين أي بسببها أي تبنت لهم فلم ينعفوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستمراء والتمناد وقد قال الموفى عن ابن عباس في الآية أن رسول الله ﷺ أذن في الناس فقال « يا قوم كتب عليكم الحج » فقام رجل من بني أسد فقال يارسول الله أفى بكل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فقال « والذي نفسي بيده لو كنت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم وإذا لكفرتم فأتركوني ما تركتكم وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا وإذا نهيتكم عن شيء فاتنوا عنه » فأنزل هذه الآية عليهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت عنه النصارى من الثلاثة فأصحبوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك وقال لتسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتخليط ساءكم ذلك ولكن انتظروا فإذا نزل بالقرآن فإنكم لتسألون عن شيء لا وجبت يانه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤمكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) قال لما نزلت آية الحج نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فقال « يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فاجبوا » فقالوا يارسول الله أما واحد أم كل عام ؟ فقال « لا بل عام واحد وأول قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم » ثم قاله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) إلى قوله (ثم أصحبوا بها كافرين) رواه ابن جرير وقال خفيف عن مجاهد عن ابن عباس (لا تسألوا عن أشياء) قاله في البحيرة والوصيلة والهاجية والحام الأتري أنه قال بعد ما (ما أجل الله من عبدة) ولا كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فقالوا منهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهاه عن ذلك ثم قال (قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصحبوا بها كافرين) رواه ابن جرير ، يعني عكرمة رحمه الله أن الراد بهذا التي عن سؤال وقوع الآيات كما تأكل قريش أن يجري لهم أنهار وأن يعمل لهم الصفا ذهباً وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وقد قال الله تعالى (وما نمنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأتينا نوحاً بالناقة مبصرة فظنوا بها وما نرسل بالآيات إلا تخوفاً) وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نبيه آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) وهلب أفسدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم باللوح وحسبنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله

ولكن أكثرهم يجهلون

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرَةٍ وَلَا سَابِقَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْقَهُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَاسْتَكْبَرُوا لَا يَتَّقُونَ ۖ وَإِذْ أَقْبَلَ لَهُمْ قَوْمًا قَالُوا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا قَالُوا كُنَّا آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾

قال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال البعيرة التي يتبع درها للطواغيت فلا يغلبها أحد من الناس والسابقة كانوا يسيبونها لأنهم لا يعمل عليها شيء قال وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن طمر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوابب » والوصية الناقة البكر تيكز في أول تلج الإبل ثم تأتي بعد باقي كانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر ، والحام فعل الإبل يضرب الضراب للعدو فإذا قضى ضرابه وودعه للطواغيت وأعفوه عن الحمل فز يجعل عليه شيء ومعه الحامي وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث إبراهيم بن سعد به ثم قال البخاري وقال لي أبو الجان أخبرنا شعب عن الزهري قال سمعت سعيدا بن جبير بهذا قال وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الحاد عن ابن شهاب عن سعيد بن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الحاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج للزي في الأطراف وسكت ولم ينه عليه وفيما قاله الحاكم نظر فإن الإمام أحمد وأبا جعفر بن جرير رواه من حديث الثالث بن سعد عن ابن الحاد عن الزهري نفسه والله أعلم ثم قال البخاري حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يمر قصبه وهو أول من سيب السوابب ، تخرد به البخاري وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحق حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثر من الجون « يا أكثر رأيت عمرو بن لحي بن قحمة بن خندف يمر قصبه في النار فأرأيت رجلا أشبه رجلك منكم ولا به منك » قال أكثر تخشى أن يضربني شبه يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « لا ، إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم ومحر البعيرة وسبب السابية وحى الحامي » ثم رواه عن هناد عن عتبة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله ، ليس هذان الطريقان في الكتب وقال الإمام أحمد حدثنا عمرو بن جمع حدثنا إبراهيم المجبري عن أبي الأحوس عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن أول من سيب السوابب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن طمر وإن رأيت يمر أمعاءه في النار » تخرد به أحمد من هذا الوجه وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف أول من سيب السوابب وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام » قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عمرو بن لحي أخو بني كعب » فقد رأيت يمر قصبه في النار تؤذي راحته أهل النار وإني لأعرف أول من يمر البحائر » قالوا ومن هو يا رسول الله قال « رجل من بني مدلب كانت له ناقة فنجد أذنهما وحرم ألبانها ثم شربا ألبانها بعد ذلك فقد رأيت في النار وهما يضانه بأفواههما ويطأانه بأضفاهما » فنعرو هذا هو ابن لحي بن قحمة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرم وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام إلى الجواز ودعا الرعام من الناس إلى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيره كما ذكر الله تعالى في سورة الأنعام عند قوله تعالى (وجعلوا لها ذرا من الحرت والأنعام نصيبا) إلى آخر الآيات في ذلك فأما البعيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما هي الناقة إذا تبت خمسة أبطن

نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرًا دجوه فأكله الرجال دون النساء وإن كان أنثى جعدوا أكافها فقالوا هذه بحيرة وذكر السدي وغيره قريمان هذا، وأما السابعة فقال مجاهد هي من النعم نحو ما نسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبين ستة أولاد كانت على هيئتها فإذا ولدت السابح ذكرًا أو ذكرين دجوه فأكله رجالهم دون نسائهم وقال محمد بن إسحق: السابعة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهم ذكر سينت فلم ترك ولم يحز ويرها ولم يحلب لبنها إلا لينيف وقال أبو روق السابعة كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فحصلها للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها وقال السدي كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوف من مرض أو أكثر ما لسيب شيئًا من ماله للأوثان فمن عرض له من الناس عوب بقوبة في الدنيا

وأما الوصية فقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الشاة إذا شجت سبعة أبطن نظروا إلى السابح فإن كان ذكرًا وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها وإن كان أنثى في بطن واحد استحيوها وقالوا وصلة أخته فصرعته عليان رواه ابن أبي حاتم وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب (ولا وصية) قال فالوصية من الإبل كانت الناقة تبتكر بالأشئ ثم تلت بأشئ فسموها الوصية ويقولون وصلت اثنين ليس بينهما ذكر فكانوا يحدونها لطواغيتهم وكذا روى عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن إسحق الوصية من النعم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن ميت الوصية فتركت فما ولدت بذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث وإن كانت ميتة اشتركوا فيها، وأما الحاشي فقال الموفى عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قنع فله عشر أفلح حاتم فتركوه وكذا قال أبو روق وقتادة وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأما الحام فالقحل من الإبل إذا ولد لونه قالوا هي هذا نظره فلا يحلون عليه شيئا ولا يحزون له ويرأى بها بمنونه من حمى رعى ومن حوض يشرب منه وإن كان الحوض تير صاحبه وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول أما الحام فمن الإبل كان يضرب في الإبل فإذا اغشى ضرابه جأوا عليه ريش الطواويس وسيوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي إسحق السبيعي عن أبي الأحوص الجهمي عن أبيه مالك بن فضة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في خلتان من الثياب فقال لي «هل لك من مال؟» قلت نعم قال «من أي المال؟» قال قلت من كل المال من الإبل والنعم والحبل والرقيق قال «فإذا أتاك الله مالا فكثر عليك» ثم قال «تنتج إبلك وأغية أكافها؟» قال قلت نعم وهل تنتج الإبل إلا كذلك؟ قال «فلك تأخذ موسى فتقطع أكاف طائفة منها وتقول هذه حير وتفق أكاف طائفة منها وتقول هذه حرم» قلت نعم قال «فلا تفعل إن كل ما أتاك الله لك حل» ثم قال «ما جعل الله من بحيرة ولا سائلة ولا وصيلة ولا حام» أما البحيرة فهي التي يجمعون أكافها فلا تمتنع أمراؤه ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصرفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبنائها فإذا ماتت اشتركوا فيها.

وأما السابعة فهي التي يسيون لألتهم وينهبون إلى ألتهم فيسيونها، وأما الوصية فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابح جدمت وقطع قرنهما فيقولون قد وصلت فلا يدجونها ولا تقرب ولا تمتع معها وردت على حوض هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجا في الحديث وقد روى من وجه آخر عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عوف بن مالك من قوله وهو أشبه وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعرار عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه به وليس فيه تفسير هذه والله أعلم.

وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) أي ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قرينة ولكن للشركان افتروا ذلك وجعلوه شرعا لهم وقرينة يقتربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم (وإذا قيل لهم تمالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجب وترك ما حرمه قالوا يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والسالك قال الله تعالى

(أولوا كان آثامهم لا يملكون شيئاً) أى لا يضمنون حقاً ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير يجهذهم وطاقتهم وغيرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريبا منه أو بعيدا . قال الصوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى إذا ما العبد أطاعني فبأمرته به من الحلال ونهيته عنه من الحرام فلا يضره من ضل بسببه إذا عمل بما أمرته به وكذا روى الوالى عنه وهكذا قال مقاتل بن حيان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) نصب على الأغراء (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيجازى كل عامل بسببه إن خيرا فخير وإن شرا فشر وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنا . وقد قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير بنى ابن معاوية حدثنا إسماعيل بن أبي خالد حدثنا قيس قال سمعنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تهرعون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإنكم تضمنونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الناس إذا راوا للنكر ولا يعرفونه يوشك الله عز وجل أن يسهم بقابه» قال وصحت أبا بكر يقول يا أيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب يجانب الإيمان . وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن جبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة من إسماعيل بن أبي خالد به متصلا مرفوعا ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق وقد رجح رفضه المنار قسنى وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في مسند الصديق رضي الله عنه . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا سعيد بن يقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن أبي حكيم حدثنا عمرو ابن جارية الحمصي عن أبي أمية الضعائي قال أثبت أبا ثعلبة الحنفي قتلته كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أية آية قلت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «بل اتشمتوا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شعثا مطاوعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بغضه شسك ودع العوام فان من وراءكم أياها الصابرين مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم» قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال «بل أجر خمسين منكم» ثم قال الترمذى هذا حديث حسن شرب صحيح وكذا رواه أبو داود ومن طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم وقال عبد الرزاق أنا ثناء بن معمر عن الحسن أن ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال إن هذا ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة ولكنه قديوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أوقال فلا قبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل . ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) الآية قال كانوا عند عبد الله ابن مسعود جالوسا فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال الرجل من جلسا عبد الله ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه عليك بنفسك فإذا الله يقول (عليكم أنفسكم) الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال له لمجيء تأويل هذه بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل ومنه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله

عليه وسلم يسير ومنه أي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه أي تأويلهن عند الساعة ما ذكر من الساعة ومنه أي يقع تأويلهن يوم الحساب ما ذكر من الحساب والجنة والنار لما دامت قلوبهن واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يلق بضمكم بأس بضم فأمرأوا وانها وإذا اختلفت القلوب والأهواء واللبس شيئا وفاق بضمكم بأس بضم فأمرؤ ونفسه وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية رواه ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال (عليكم أتعلمكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال ابن عمر إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله ﷺ قال «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» فكانت نحن الشهود وأنتم الغائب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا حدثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر إذا أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن قهر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألو وكلهم يفيض إليه أن يأتي دناءة إلا الخير وم في ذلك يشهد بضمهم على بضم بالشرك قال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بضمهم على بضم بالشرك ؟ قال الرجل إني لست إياك أسأل إنما أسأل الشيخ فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله لعلك ترى لا أهلك إني سأمرك أن تلعب فتعلم عظم واتهم وإن صوصك فليكن بنفسك فإن الله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أتعلمكم) الآية . وقال أيضا حدثني أحمد بن القدام حدثنا الحسن بن سليمان سمعت أبا حدثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فلما قوم من المسلمين جلوس قرأ أحدهم هذه الآية (عليكم أتعلمكم لا يضركم من ضل) فقالوا كثروا لم يجرء تأويل هذه الآية اليوم وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جابر بن عبد الله قال كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ وإلى لأصغر القوم فنادوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أتعلمكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ؟ فأقبلوا على بلسان واحد وقالوا نزع آية من القرآن لآمرها ولا نندري ما تأويلها فخصمت أني لم أكن تكلمت وأقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا إناك غلام حديث السن وإنك نزع آية ولا نندري ما هي وعسى أن تذكر ذلك الزمان إذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بنفسك لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أتعلمكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن قيا مضى ولا مؤمن قيا بقي إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن السيب إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضركم من ضل إذا اهتديتم رواه ابن جرير وكذا روى من طريق سفيان الثوري عن أبي العباس عن أبي البختري عن حذيفة مثله وكذا قال غير واحد من السلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن شعبة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب في قوله (عليكم أتعلمكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال إذا هدمت كنيسة دمشق فجعلت مسجدا وظهر لبس الصب فحينئذ تأويل هذه الآية

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَهْدُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مَعَكُمْ أَوْ إِحْدَانُ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تُحْبِسُونَهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُشْتَرِيَ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكُفُّ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُوذَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَغَارَ إِثْمُ يَقُومَانِ مَقَامَهَا مِنَ الْوَفَىٰ اسْتَعَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتَا

أَحَدٌ مِنْ شَهِدَتِيهَا وَمَا أَفْتَدِينَا إِنْ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ هَمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَحْفَافُوا أَنْ تَرُدَّ آمِينَ بَعْدَ آمَنِهِمْ وَأَتَوْكُمُ اللَّهُ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

اختلفت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قبل إنه منسوخ رواه الوقي عن ابن عباس وقال حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم إنها منسوخة وقال آخرون وهم الأكثرون قبا قال ابن جرير بل هو حكم ومن ادعى نسخه فعليه البيان فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) هذا هو الخبر (١) قوله شهادة بينكم قليل تحديده شهادة اثنين حذف المضاف وأقدم المضاف إليه مقامه وقيل دل الكلام على تحديده أن يشهد اثنان وقوله تعالى (ذوا عدل) وصف الاثنين بأن يكونا عدلين وقوله (منكم) أي من المسلمين قاله الجمهور قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله (ذوا عدل منكم) قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن عبيدة وسعيد بن السيب والحسن ومجاهد وعيسى بن يصر والسدي وقائدة ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون عن ذلك (ذوا عدل منكم) أي من أهل اللومى وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما، وقوله (أو آخران من غيركم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عوف حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا حبيب بن أبي حمزة عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس في قوله (أو آخران من غيركم) قال من غير المسلمين يعني أهل الكتاب ثم قال وروى عن عبيدة وشرع وسعيد بن السيب ومحمد بن عتيق وعيسى ابن يصر وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والشعي وإبراهيم النخعي وقائدة وأبي مجاز والسدي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحو ذلك وعلى ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله منكم أن المراد من قبيلة اللومى يكون المراد ههنا (أو آخران من غيركم) أي من غير قبيلة اللومى وروى ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري ورحمهما الله، وقوله تعالى (إن أتم ضريركم في الأرض) أي سافرتم (فأصابكم مصيبة الموت) وهذا شأن شرطان لجواز اشتهاد الشيعين عند فقد المؤمنين أن يكون ذلك في سفر وأن يكون في وصية كما صرح بذلك شرع القاضي، قال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو معاوية ووكيع قال حدثنا الأشعث عن إبراهيم عن شريح قاله لا يجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر ولا يجوز في سفر إلا في الوصية ثم رواه عن أبي كرب عن أبي بكر ابن عباس عن أبي إسحق السبيعي قال قال شريح فذكر مثله وروى نحوه عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهذه المسألة من أفراده وخالفه الثلاثة فقالوا لا يجوز شهادة أهل السنة على المسلمين وأجازها أبو حنيفة فما بين بينهما بشيء، وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو داود حدثنا عمار بن أبي الأشعث عن الزهري قال وضعت السنة أن لا يجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر وإنما هي في المسلمين وقال ابن زيد نزلت هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام وذلك في أول الإسلام والأرض حرب والناس كفار وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت القرائن وعمل الناس بها رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ وَفِي هَذَا يَنْقُلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وقال ابن جرير اختلف في قوله (شهادة بينكم) إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) هل المراد به أن يوصي إليهما أو يشهدهما على قولين (أحدهما) أن يوصي إليهما كما قال محمد بن إسحاق عن زيد بن عبد الله بن قسيط قال سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية قال هذا رجل سافر ومعه مال فأذركه فقدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته وأشهد عليهما عدلين من المسلمين رواه ابن أبي حاتم وقيل إقطاع (والقول الثاني) أنهما يكونان شاهدين وهو ظاهر سياق الآية الكريمة فإن لم يكن وصي ثالث منهما اجتمع فيهما الوضمان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدى بن بدء كما سيأتي ذكرها آنفاً إن شاء الله وبه التوفيق، وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لأننا لا نعلم حكماً يخلف فيه الشاهد وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام على أن هذا حكم

(١) قوله هذا هو الخبر: كذا بالنسخ التي بأيدينا غير أنه.

خاص بشهادة خاصة في محل خاص وقد اغترى فيه من الأمور ما لم ينشر في غيره فلذا قامت قرينة الريبة حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة وقوله تعالى (تحبسونهما من بعد الصلاة) قال العوفي عن ابن عباس يعني صلاة العصر وكذا قال سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وقائدة وعكرمة ومحمد بن سيرين وقال الزهري يعني صلاة المسلمين وقال السدي عن ابن عباس يعني صلاة أهل دينهما وروى عن عبد الرزاق عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة وكذا قال إبراهيم وقائدة وغير واحد ، وللقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتماع الناس فيها حضرتهم (فيسبان بالله) أي فيحلفان بالله (إن ارتبتم) أي إن ظهرت لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا فيحلفان حينئذ بالله (لا نشترى به) أي بأيماننا قالة مقاتل بن حيان (إنما) أي لا نتقاض عنه بموضع قليل من الدنيا القانية الزائلة (ولو كان ذا قربى) أي ولو كان المشهود عليه قريباً لنا لا نحايه (ولا نسكنكم شهادة الله) أضافها إلى الله كتمريضاً لما وتعلماً لأمرها وقرأ بعضهم (ولا نسكنكم شهادة الله) جروراً على القسم رواها ابن جرير عن عامر الشعبي وحكى عن بعضهم أنه قرأها (ولا نسكن شهادة الله) والقرأة الأولى هي المشهورة (إنا إذا لمن الآمين) أي إن فعلنا شيئاً من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمانها بالسكينة ، ثم قال تعالى (فان عثر على أنها استحلنا) أي فان اشتبه وظهر وتحقق من الشاهدين (الوصيين) أنهما خانا أو غلا شيئاً من المال الموصى به إليهما وظهر عليهما بذلك (فآخراهن يقيمون مقامهما من الدين استحق عليهم الأوليان) هذه قراءة الجمهور (استحق عليهم الأوليان) وروى عن علي وأبي الحسن البصري أنهم قرءوها (استحق عليهم الأوليان) وروى الحاكم في المستدرک من طريق إسحق بن محمد القروي عن سلمان بن بلال عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قرأ (من الدين استحق عليهم الأوليان) ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقرأ بعضهم ومنهم ابن عباس (من الدين استحق عليهم الأوليان) وقرأ الحسن (من الدين استحق عليهم الأوليان) حكاه ابن جرير فلي قراءة الجمهور يكون للنبي بذلك أي متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على حياتهما فليقيم اثنتان من الورثة للمستحقين للتركة وليكونا من أولى من يرث ذلك المال (فيسبان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي لقولنا إنهما خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما التقدم (وما اعتدنا) أي فإيا قننا فيما من الحيانة (إنا إذا لمن الظالمين) أي إن كنا قد كذبنا عليهما وهذا التحليف للورثة والرجوع إلى قولهما وإلحاح هذه كما يحلف أولياء القتول إذا ظهر لوث في جانب القاتل فيقسم للمستحقين على القاتل فيدفع برمته إليهم كما هو مقرر في باب القسامة من الأحكام ، وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحق عن أبي النضر عن إمامنا يعني إمامنا محمد بن أبي حاتم هاتفي بنت أبي طالب عن ابن عباس عن عبد الحميد الدارقي في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) قال برقي الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام فأثريا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبي سهم يقاله بديل بن أبي مريم بتجارة معه جام من فضة يريد به لللك وهو أعظم تجارتهم فرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يلقيا ما ترك أهله قال نعم فلما مات أخذنا ذلك الجاه فبعناه بألف درهم واقتسمناه أنا وعدي فلما قمنا إلى أهله دفننا إليهم ما كان معنا وقصدوا الجاه فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره قال تبم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ للدينة تأملت من ذلك فأثبت أهله فأخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا عليه فأمرهم النبي أن يستحقوه بما يظلم به على أهل دينه فحلف فنزلت (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) إلى قوله (فيسبان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهما فخلعا فترعت الحسبة من عدي بن بداء وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي وابن جرير كلاهما عن الحسن ابن أحمد بن أبي شعيب الحراني عن محمد بن سلمة عن محمد بن عيسى بن إسحق بن فضالة عن عدي بن بداء عن رسول الله ﷺ فسألم البينة فلم يجدوا فأمروا أن يستحقوه بما يظلم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله هذه الآية إلى قوله (أو يخافون أن ترد أيمان بعد أيمانهم) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فخلعا فترعت الحسبة من عدي بن بداء ، ثم قال هذا حديث غريب

وليس إسناده صحيح وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلابي
يكنى أبا النضر وقد تركه أهل العلم بالحديث وهو صاحب التفسير سمعت محمد بن إسماعيل يقول محمد بن السائب الكلابي
يكنى أبا النضر ثم قال ولا تعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ ، وقد روى عن ابن عباس سمع من
هذا على الاختصار من غير هذا الوجه حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن ابن أبي الزائدة عن محمد بن أبي القاسم
عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع ثوب الناري وعدي بن بدء
فأتى السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته قدما قدما فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجدوا الجاهل بمكة قليل اشتريناه من ثوب وعدي قام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق
من شهادتهما وإن الجاهل لصاحبهم وفهم نزلت (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية وكذا رواه أبو داود عن الحسن
ابن علي عن يحيى بن آدم به ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهو حديث ابن أبي زائدة ومحمد بن أبي القاسم
الكوفي قيل انما صالح الحديث وقد ذكر هذه القصة مرسله غيز واحد من التابعين منهم عكرمة ومحمد بن سيرين وقادة
وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر رواه ابن جرير وكذا ذكرها مرسله مجاهد والحسن والضحاك وهذا
يدل على اشتراكها في السلف وصحتها ، ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضا ما رواه أبو جعفر بن جرير حديث يعقوب
حدثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوا هذه قال فحضرت الوفاة ولم يجد
أحدًا من المسلمين يشهد على وصيته فأشبه رجلين من أهل الكتاب قال قدما الكوفة فأتيا الأشمري بن أبي موسى
الأشمري رضي الله عنه فأخبراه وقدما الكوفة بتركته ووصيته فقال الأشمري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كذا ولا غيرا وأنها
لوصية الرجل وتركته قال فأبى شهادتهما ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي داود الطيالسي عن شعبة عن
مغيرة الأزرق عن الشعبي أن أبا موسى قضى به وهذا إسنادان صحيحان إلى الشعبي عن أبي موسى الأشمري ، قوله
هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ الظاهر والله أعلم أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن
بدء وقد ذكرنا أن إسلام تميم بن أوس اللخاري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة فلي هذا يكون هذا الحكم
متأخرا يحتاج مدعي نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم وقال أسباط عن السدي في الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) قال هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من
المسلمين على ماله وماله قال هذا في الحضر (أو آخران من غيركم) في السفر (إن أتم ضربتم في الأرض فأصابكم
مصيبة الموت) هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى
والمجوس فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه فيقبلان به فإن رضي أهل البيت الوصية وعرفوا ما لصاحبهم تركوها وإن
ارتابوا رفعوها إلى السلطان فذلك قوله تعالى (فحيسونهما من بعد الصلاة فيقبلان بالله إن ارتبتم) قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنه كئيب أنظر إلى العلجين حين اتى بهما إلى أبي موسى الأشمري فيداره فتفتح الصحيفة فأنكر أهل البيت
وخوفوها فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلت لهما لا يالين صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاتهما
في دينهما فيوقت الرجلان بعد صلاتهما في دينهما فحلفان بالله لا نشترى به ثمنًا قليلا ولو كان ذاقرى ولا نسكن شهادة الله
إننا إذا لمنا الآمين ان صاحبهم لهذا أوصى وإن هبته تركته فيقول لما الإمام قبل أن يحلفا إنكما إن كنتم أو خنتا
فنتحكما في قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فإذا قال لها ذلك فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) رواه
ابن جرير ، وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما
قالا في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية قال إذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين
فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فإذا قدما بتركته فإن صدقهما الورثة قبل قولهما وإن اتهموها
حلفا بعد صلاة العصر بالله ما كنتم ولا خنا ولا غيرنا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه

الآية فإن اريب في شهادتهما استحلنا بعد العصر بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما فامر جلال من الأولياء فصلقا بالله أن شهادة الكافرين باطلة وإننا نعتد ذلك قوله تعالى (فإن عثر على أنهم استحقا إنما) يقول إن اطلع على أن الكافرين كذبا (فأخراهم بقومان مقامهما) يقول من الأولياء فصلقا بالله أن شهادة الكافرين باطلة وإننا نعتد فقد شهادة الكافرين ويجوز شهادة الأولياء وهكذا روى العوفي عن ابن عباس رواها ابن جرير وهكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف رضى الله عنهم وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، وقوله (ذلك أدنى أن يأثروا بالشهادة على وجهها) أى شرعية هذا الحكم على هذا الوجه للرعى من تخليف الشاهدين المدين واستريب بهما أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه للرعى وقوله (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يكون الحامل لهم على الايمان بها على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه واجلاله والخوف من فضيحة بين الناس إن ردت اليمين على الورقة فيطفون ويستحقون ما يبيعون ولهذا قال (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) ثم قال (واضوا الله) أى في جميع أموركم (واسموا) أى وأطيما (واهلأ بهدى القوم القاسقين) أى الخرجين عن طاعته ومتابعة شريعته

(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا بِئِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)

هذا إخبار عما يخاطب الله به الرسلين يوم القيامة عما أجبوا به من أمهم الذين أرسلهم اليهم كما قال تعالى (فلنأسن الذين أرسل اليهم ولنأسن للرسلين) وقال تعالى (فورك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يملكون) وقول الرسل (لا علم لنا) قال مجاهد والحسن البصري والسدى إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم قال عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمشى عن مجاهد (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) فيفزعون فيقولون (لا علم لنا) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكم حدثنا عنبسة قال سمعت شيخا يقول سمعت الحسن يقول في قوله (يوم يجمع الله الرسل) الآية قال من هول ذلك اليوم

وقال أسباط عن السدى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا) ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فلبسوا قالوا (لا علم لنا) ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم رواه ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الحجاج عن ابن جريج في قوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) أى ماذا عملوا بعدكم وما أعددوا بعدكم قالوا (لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) يقولون للرب عز وجل لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا رواه ابن جرير ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأديب مع الرب جل جلاله . أى لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن كنا أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء للطلع على كل شيء فقلنا بالنسبة إلى علمك كلا علم فإناك (أنت علام الغيوب)

(إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَكَوَيْلَ الْيَتِيمَ إِذْ يَدْعُكَ بِرُوحٍ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَدَنِ وَكَهَلَا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ إِذْ يَفْقَهُ فَمَا تَفْسُكُونَ طَيْرًا يَازْنِي وَتَبْرِىءُ لَهُمْ أَلْسِنَهُمْ وَأَلْبَرْتُمْ يَازْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَازْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَافِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُبِينٌ هُوَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي

قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾

يذكر تعالى ما من به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من السجرات الباهرات
وخوارق المعاديات فقال (أذكر نعمتي عليك) أي في خلقي إليك من أم بلا ذكر وصل إليك آية ودلالة قاطعة على
كمال قدرتي على الأشياء (وعل والدتك) حيث جعلتك لها يربها في براءتها مما نسب الظالمون والجاهلون إليها
من الفاحشة (إذ أبدتك روح القدس) وهو جبريل عليه السلام وجعلتك نبيا داعيا إلى الله في شركه وكبركه
فأنقذتك في العهد ضميرا فشهدت براءة أمك من كل عيب واعترفت باليهودية وأخبرت عن رسالتي إليك ودعوت
إلى عبادتي ولهذا قال (تكلم الناس في العهد وكهلا) أي تدعو إلى الله الناس في شركه وكبركه وضمن تكلم تدعو
لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب وقوله (وإذ علمتك الكتاب والحكمة) أي ألهمك الوهم (والتوراة)
وهي المنزلة على موسى بن عمران السلام وقد يرد فقط التوراة في الحديث ويراد به ما هو أهم من ذلك وقوله (وإذ
تخلق من الطين كهيئة الطير) أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر إذني لك في ذلك فتفهم فيها فتكون طيرا إذني
أي تفهم في تلك الصورة التي شكلتها إذني لك في ذلك فتكون طيرا ذا روح تطير بإذن الله وخلقته

وقوله تعالى (وتبرئ الأكة والأبرس ياذن) قد تقدم السلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته وقوله (واذ خُرج للوقي ياذن) أي تدموم يقيمون من قبورهم ياذن الله وقدرته وإرادته ومشيتة وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا محمد بن طلحة بن عبيد الله بن مكرم بن أبي حاتم قال كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى (تبارك الذي بيده الملك) وفي الثانية (الم تنزيل) السجدة فإذا فرغ منها مدح الله وأثني عليه ثم دعا بسبعة أسماء ياقدم يا خفي يادائم يا فرد ياوتر ياأحد يا صمد وكان إذا أصابته شدة دعا بسبعة أخرى يا حي يا قيوم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والإكرام يا نور السموات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب وهذا أثر عظيم^(١) جداً. وقوله تعالى (واذكفت بنى إسرائيل عنك إذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) أي واذكر تفريقك عليك في كفى إمام عنك حين جثتهم بالبراهين والحجج القاطعة في نبوتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك إلى وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على أن هذا الامتحان كان من الله إليه بعد رصفه إلى السماء أو يكون هذا الامتحان واقفا يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لأحالة وهذا من أسرار الصيوب التي أعلم الله عليها نبيه محمداً ﷺ

وقوله (وإذ أوحيت إلى الخوايرين أن آمنواي وبرسولي) وهذا أيضا من الامتنان عليه، عليه السلام بأن جعل لأصحابنا وأئسارنا ثم قيل إن الراد بهذا الوحي وحى إلهام كما قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية وهو وحى إلهام بلا خلاف وكما قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يرشون ثم كل من كل الثمرات فاصلكي سبل ربك ذللا) الآية وهكذا قال بسنن السلف في هذه الآية (وإذ أوحيت إلى الخوايرين أن آمنواي وبرسولي قالوا آتينا واشهد بأننا مسلمون) أى ألهموا ذلك فاستلثوا ما ألهموا قال الحسن البصري ألهمهم الله عز وجل ذلك وقال السدى قذف في قلوبهم ذلك وخمئل أن يكون الراد وإذ أوحيت إليهم بواسطتك فدمعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا لك واتقادوا وتابوا لك قالوا (آتينا بالله واشهد بأنا مسلمون)

[illegible]

وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ • قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَعْتُكَ الْكَفْرَ بَعْدَ إِيمَانِكَ فَأَيُّ عَذَابِي أَكْبَرُ
أَحَدًا مِنَ الْمَلَكِينَ ﴿١﴾

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما آمن الله به على عبده ورسوله عيسى لما
أجلب عطاه بنزوله فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل
ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل
ابن مريم هل يستطيع ربك (هل يستطيع ربك) أي هل تستطيع أن تسأل ربك
(أن ينزل علينا مائدة من السماء) والمائدة هي الخوان عليه طعام وذكر بعضهم أنهم إنما سألوها ذلك لحاجتهم وقهرهم
فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقون بها على العبادة (قال اخذوا الله إن كنتم مؤمنين) أي
فأجابهم المسيح عليه السلام قائلا لهم اخذوا الله ولا تسألوا هذا فضاء أن يكون فتنة لكم وتكولو على الله في طلب
الرزق إن كنتم مؤمنين (قالوا نريد أن نأكل منها) أي نحن محتاجون إلى الأكل منها (وطمأن قلوبنا) إذا عاهدنا
نزلها رزقا لنا من السماء (ونعلم أن قد صدقتنا) أي ونزداد إيماننا بك وعلما برسالتك (ونكون عليها من الشاهدين)
أي ولشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به (قال عيسى ابن مريم ربنا أنزل علينا
مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قال السدي أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن
ومن بعدنا وقال سفيان الثوري يعني يوما نصل فيه وقال قتادة أرادوا أن يكون لقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي
عظما لنا ولبن بعدنا وقيل كافة لأولنا وآخرنا (وآية منك) أي دليلا تصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك
لسعوى فيصدقوني فيما أبلغه عنك (وارزقنا) أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب (وأنت خير الرازقين قال
الله إِنِّي مَنَعْتُكَ الْكَفْرَ بَعْدَ إِيمَانِكَ) أي فمن كذب بها من أمثك يا عيسى وعاندها (فإني أعذبها عذابا لا أعذب
أحدا من العالمين) أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى (ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وكقوله
(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصيرة القواس
عن عبد الله بن عمرو قال إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون

﴿ ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الخواريين ﴾

قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني ججاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث
عن عيسى أنه قال لبي إسرائيل هل لكم أن تصوموا الله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيك ما سألتهم فإن أجر العامل على
من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا إن أجر العامل على من عمله وأمرت أن تصوم ثلاثين يوما ففعلنا
ولم تكن نصل لأحد ثلاثين يوما إلا أطمعنا حين تفرغ طعامنا فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟
قال عيسى (اخذوا الله إن كنتم مؤمنين) قالوا نريد أن نأكل منها وطمأن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من
الشاهدين • قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا
وأنت خير الرازقين • قال الله إِنِّي مَنَعْتُكَ الْكَفْرَ بَعْدَ إِيمَانِكَ فإني أعذبها عذابا لا أعذب أحدا من العالمين (قال
فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس
كما أكل منها أولهم كلدا رواء ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل
عن ابن شهاب قال كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا سعيد بن عبد الله بن الحكم حدثنا
أبو زرعة وهبة الله بن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قال الهادع الله
أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فزلت للملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها
بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قرة الباهلي حدثنا

سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال نزلت للمائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يبخثوا ولا يرفثوا لتسد فخاها وادخروا ورفثوا فسحقوا قردة وخنازير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قرة ثم رواه ابن جرير عن ابن يشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال نزلت للمائدة وعليها تمر من ثمار الجنة فأمروا أن لا يبخثوا ولا يرفثوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبأوا وادخروا فسخطهم الله قردة وخنازير ، وقال ابن جرير حدثنا ابن لثمي حدثنا عبد الله بن داود عن سفيان بن حرب عن رجل من بني عجل قال صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدرى كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قالت قلت لا قال ليهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال قبل لهم فلما مضى يومهم حتى خبأوا ورفثوا وسأوا تخونوا أو رثفوا فان فعلتم فاني معذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً من الملائكة قال فمضى يومهم حتى خبأوا ورفثوا وسأوا فعدبوا عذاباً لم يذبه أحد من الملائكة وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاة فبعث الله فيكم رسولاً من أشقم تمر فوفون حسبه ونسبه وأخبركم أنكم ستظهرون على الجمع ونهاكم أن تكثرزوا الذهب والفضة وإياهم الله بالذهب الليل والنهار حتى تكثرزوها وصدبكم الله عذاباً أليماً . وقال حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن ابن ميعمر عن إسحق بن عبد الله أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ماشاءوا قال فسرق بعضهم منها وقال لعلنا لا تنزل غدا فرقت ، وقال الوقي عن ابن عباس نزل على عيسى بن مريم والحواريين نخوان عليه خبز وممك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا . وقال خفيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت للمائدة ممكة وأرغفة ، وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال أبو عبد الرحمن السلمي نزلت للمائدة خبزاً وممكاً وقال عطية العوفي للمائدة ممك فيه طعام كل شيء وقال وهب بن منبه أنزلها من السماء إلى بني إسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ماشاءوا من ضروب حتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك ثلثهم فلبثوا على ذلك ماشاء الله عز وجل وقال وهب بن منبه نزل عليهم قرصة من شعر وأحوات وحشا الله بين أشفانين البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يبعث آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضوا . وقال الأعشى عن مسلم عن سعيد بن جبير أنزل عليها كل شيء إلا اللحم . وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجرير عن عطاء عن ميسرة قال كانت للمائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي بكل طعام إلا اللحم وعن عكرمة كان خبز المائدة من الأرض رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن علي فبا كتب إلى حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدي مولى بني عبد الدار عن إبراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الحيري أنه قال لما سألت الحواريون عيسى بن مريم للمائدة كره ذلك جداً فقال اقتنوا بما رزقكم الله في الأرض ولا تسألوا للمائدة من السماء فلما إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم وإنما هلكتم ثمود حين سألوها منهم آية فاتوا بها حتى كان بوارهم فيها ، فأبوا إلا أن يأتميم بها فذلك (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) الآية فلما رأى عيسى أن قبه أبوا إلا أن يدموهم بها قام فألقى عنه الصوف ولبس الشعر الأسود وجبة من شعر وعباءة من شعر ثم توشأ واغتسل ودخل مصلاه فصلى ماشاء الله فلما قضى صلاته قام قائماً مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استوى فألقى الكعب بالكعب وحاذى الأسابيع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعاً ثم أرسل عينيه بالكعب لما زالت جموعة تسيل على خديه وخطر من أطراف لحيته حتى اجثت الأرض حيال وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا الله تعالى (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها في الهواء منقصة من السماء من ذلك السماء تهوى إليهم وعيسى يبيك خوفاً من أجل الشروط التي أخلصها الله عليهم فيها أنه يذب من يكثر بها منهم بعد نزولها عذاباً ، لم يذبه أحداً من الملائكة ، وهو يدعو الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تجعلها

عذاباً ، إلى كم من عجية سأترك فأعطيتي ، إلى اجعلنا لك شاكرين ، اللهم إلى أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضباً وجزراً إلى اجعلها سلامة وناحية ولا تجعلها فتنة ومثقة . فلما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يحدون راحة طيبة لم يجدوا فيها مضى راحة مثلاً قط وخر عيسى والحواريون لله سجداً شكراً له لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا ، وأرام فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة ، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمراً عجباً أوتهم كذا وغما ، ثم انصرفوا بنيت شديد ، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة فلذا عليها منديل مفتوح فقال عيسى من أجرونا على كشف للتدليل عن هذه السفرة وأوتقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر باسمه ونأكل كل من رزقه الذي رزقنا فقال الحواريون ياروح الله ولكنه أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عنها . فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءاً جديداً ثم دخل مصلاه فصل كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلاً ودعا الله أن يأذن له في الكشف عنها ويجعل له وقومه فيها بركة ورزقا ثم انصرف وجلس إلى السفرة وتناول للتدليل وقال باسم الله خير الرازيين وكشف عن السفرة فإذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية ليس عليها يواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً قد تحمق بها قول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها خيل وعند ذنبها ملح وحول القول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات . فقال همعون رأس الحواريين ليس ياروح الله ولكنه أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال عيسى أما أن لكم أن تفتنوا بما ترون من الآيات وتفتنوا عن تفتير السائل ؟ ما أخوفني عليكم أن تفتنوا في سبب نزول هذه الآية . فقال له همعون لا والله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصدقة فقال عيسى عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة ، قال له كن فكان أسرع من طرفه عين ، فكلوا عما سألتهم باسم الله واحمدوا عليه ربكم عذكم منه ويزدكم فاته بديع قادر عاكر ، فقالوا ياروح الله ولكنه نأخى أن يربنا الله آية في هذه الآية فقال عيسى سبحانه الله أما اكتفيت بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى ؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام على السمكة فقال يا سمكة عودي بإذن الله حية كما كنت فأحيها الله بتدبيره فاضطربت وعادت بإذن الله حية طرية تلغظ كما تلغظ الأسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها يواسيرها ففرع القوم منها وانحاسوا^(١) فلما رأى عيسى منهم ذلك قال مالكم تسألون الآية فلذا أراكموها ربكم كرهتموها ؟ ما أخوفني عليكم أن تفتنوا بما تصنعون ، يا سمكة عودي بإذن الله كما كنت فاضدت بإذن الله مشوية كما كانت في خلقها الأول ، فقالوا يا عيسى كن أنت ياروح الذي تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد ، فقال عيسى ماذا الله من ذلك . يبدأ بالأكل من طلبها . فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخطه وفي أكلها مثله فتحاموها فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمن وقال كلوا من رزقي ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلهم باسم الله واختموه بحمد الله ففعلوا فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة يصدرون منها كل واحد منهم شبعان يتجشأ ، ونظر عيسى والحواريون فإذا ملعها كهيئة إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء ثم إنهم رفت إلى السماء وهم ينظرون فاستنق كل تقيراً كل من كل يبرى كل زمن أكل منها فخرزوا أغنياء أصحاب حق خرجوا من الدنيا ، ونعم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا ندماً سألتنها أسفارهم وبقيت حمرتها في قلوبهم إلى يوم اللات قالوا كانت للامنة إذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل الها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضاً الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والأسماء والرضى يركب بعضهم بعضاً فلما رأى ذلك جعلها نوباً بينهم نزل يوماً ولا تنزل يوماً فليشوا على ذلك أربعين يوماً تنزل عليهم غيا عند ارتفاع النهار فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا قالوا ارتفعت عنهم إلى جو السماء بإذن الله وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى تواري عنهم قال فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه السلام أن اجعل رزقي في للامنة للفقراء واليتامى والزمن دون الأغنياء من الناس ، فلما فصل ذلك ارتبنا بها

(١) في النسخة الأميرية : وانحازوا .

الأغنياء من الناس ومغفلوا ذلك حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في أمرها القبح والتمسك وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسوله في قلوب الربانيين حتى قالوا ليسى أخبرنا عن اللائمة ونزولها من السماء أحق فانه قد ارتاب بها منا بحر كثير ؟ فقال عيسى عليه السلام هل كنتم وإله للسمع طلبتم اللائمة إلى نبيكم أن يطلبها لكم إلى ربكم فلما أن فصل وأنزلها عليكم رحمكم ورزقاً وأرأاكم فيها الآيات والبر كذبتم بها وشككنتم فيها بشروا بالعذاب فانه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله ، فأوحى الله إلى عيسى أن يأخذ للكذابين بشرطى فإنهم معذب منهم من كفر بالمائمة بعد نزولها عذاباً لا أعذبه أحداً من المالين . قال فلما أمسى للربانيون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسحهم الله خنازير فأصبحوا يتبعون الأقدار في الكناسات ، هذا أثر غريب جداً قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد سمعته أنا ليكون سبباً أنم وأكل والله سبحانه وتعالى أعلم وكل هذه الآثار دالة على أن اللائمة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم إجابة من الله لدعوته كاد على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم (قال الله إني منزلها عليكم) الآية ،

وقال قائلون إنهم لم ينزلوا فروي ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضرب به الله ولم ينزل شيء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أوجها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن ينزلوا عليهم ، وقال أيضاً حدثنا ابن المني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة إنهم لم ينزلوا . وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فإن أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدنا من العالمين) قالوا لا حاجة لنا فيها فلم ينزل ، وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن وقد يتوهم ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تزعم الدوايمي على شفه وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ولا أقل من الأحاد والله أعلم ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى (إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإن أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدنا من العالمين) قال ووعده الله ووعدهم حق وصدق وهذا القول هو - والله أعلم - الصواب كما دللت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب وجد المائدة هناك مرصعة بالآلء وأنواع الجواهر فبحث بها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق فبات وهي في الطريق فعملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فرأها الناس فتعجبوا منها كثيراً لما فيها من البواقيت النفيسة والجواهر القيمة وقال إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهما السلام والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال : قالت قريش لئن لم يبعث الله نبياً يدع لنا ربك أن يحمل لنا الصفا ذهباً لوؤمن بك قال « وضلون ؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحدنا من المالين ، وإن شئت فحمت لهم باب التوبة والرحمة . قال « بل باب التوبة والرحمة » ثم رواه أحمد وابن مروه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به .

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ هَآءِ نَتْلُو لَكَ آيَاتِنَا ۖ فَتَخَذِ الْنَاسَ أَنْخَذُونِ ۖ وَأَمَّا إِلَهُ الْمُنَافِقِينَ ۖ دُونُ اللَّهِ ۚ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ ۖ إِنْ كُنْتُ فَلَهُ ۖ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۖ تَلْمِزُ مَنَّا فِي قِيْسٍ وَلَا أَعْلَمُ مَا تَنفِي قِيْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۚ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ لَبُئِيمٌ فَلْيَنْهَ عَنْ عِبَادَتِكَ وَإِنْ تَفَرَّقَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٠﴾

هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قتالا له يوم القيامة بحضرة من أخذه وأمه المؤمنين من دون الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وخرع على رؤوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقال السدي هذا الخطاب والجواب في الدنيا وصوبه ابن جرير قال وكان ذلك حين رفعه إلى السماء واحتج ابن جرير على ذلك بمسنيين (أحدهما) أن الكلام بلفظ اللقي (والثاني) قوله : (إن تعذبهم) (وإن تفر لم) وهذان الدليلان فهما نظر لأن كثيرا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ اللقي ليدل على الوقوع والثبوت ومعنى قوله (إن تعذبهم فلأنهم عبادك) الآية التبري منهم ورد للشبهة فهم إلى الله وتعلق ذلك على الشرط لا يقتضى وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر وأما إعلان ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وخرعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة وقد روى بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز وكان قتلة سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة دعى بالأنبياء وأممهم ثم يدعى ببيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الآية ثم يقول (أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فيكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيستولون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيقول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشرة من شعر رأسه وجسده فيجانبهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى النار » وهذا حديث غريب عزيز

وقوله (سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة قال يلقى عيسى حجه ولقاء الله تعالى في قوله (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلقاء الله (سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) إلى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن طاوس بنحوه وقوله (إن كنت قتله فقد علمته) أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب فانه لا يخفى عليك شيء فاقته ولا أردته في نفسي ولا أضرته ولهذا قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به (يا بلاغه) أن اعبدوا الله ربي وربكم (أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه) أن اعبدوا الله ربي وربكم (أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) قال أبو داود والطحاوي حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى الثيرة بن النعمان فأملئ على سفيان وأنا معه فلما قام اتسخت من سفيان فحدثنا قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال قال فينارسول الله ﷺ بموعظة فقال « يا أيها الناس إنكم عسحورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غللا (كما بدأنا أول خلق نعيده) وإن أول الخلق لا يركى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه نجاه برجال من أمم فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) إن تعذبهم فلأنهم عبادك وإن تفرغهم فلأنك أنت العزيز الحكيم) فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد عن شعبة وعن محمد بن كثر عن سفيان الثوري كلاما عن الثيرة بن النعمان به

وقوله (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) هذا الكلام يتضمن رد الشيعة إلى الله عز وجل فإنه تعالى لما يشاء الله يسأل عما يفعل وهم يسألون وتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبه وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددناها
قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت المأمري عن جرة العامري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ ذات ليلة قرأ بآية حتى أصبح يركع بها وسجد بها (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فلما أصبح قلت يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال « إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطينيها وهي نافلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً »

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن عبد الله حدثني جسر بن بخت دجاجة أنها انطلقت معمرة فانتهت إلى الربة فسمعت أبا ذر يقول قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة المشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يسألون فلما رأى قيامهم وتخلّفهم انصرف إلى رحله فلما رأى القوم قد أخذوا المكان رجع إلى مكانه صلى فحيث قممت خلفه فأومأ إلى يمينه فقممت عن يمينه ثم جاء ابن مسعود قام خلط وخلقه فأومأ إليه بهالة فقام عن بهالة فقمنا ثلاثاً يصلي كل واحد منا بنفسه وتلو من القرآن ما شاء الله أن تلاو وقام بآية من القرآن يرددنا حتى صلى الغداة فلما أصبحت أومأت إلى عبادته فمسموعاً أنه ما أراد إلى ما صنع البارحة فقال ابن مسعود بيده لأسماءه عن شيء حتى يحدث إلى « قلت بآي وأمي قلت بآية من القرآن ومعك القرآن لو فعل هذا بسنا لو جدنا عليه قال « دعوت لأمتي » قلت فإذا أجبت أوماذا رد عليك ؟ قال « أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة » قلت أفلا أشر الناس ؟ قال « بلى » فانطلقت معقاً قريباً من قذفة حجر فقال عمر يا رسول الله إنك إن تبيت إلى الناس بهذا نكسوا عن العبادات فناداهم أن « ارجع » فرجع وتلك الآية (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سواد حدثنا عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن الماس أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول عيسى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرجع يديه فقال « اللهم أمتي » وبكى فقال الله بإجبريل أذهب إلى همد وريك أعلم - فأسأله ما يكيه ، فأنامه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله بإجبريل أذهب إلى محمد فقل إنا سرضيك في أمتك ولا نسوءك . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين قال حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هيرة أنه سمع أبا عبيد الجيثاني يقول حدثني سعيد بن السيب سمعت حذيفة بن اليمان يقول طلب منا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نغصه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال « إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أقول بهم ؟ فقلت ما شئت أي ربهم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فقال لي لا أخذك في أمتك يا محمد ويهزئ بأن أول من يدخل الجنة من أمتي معي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب . ثم أرسل إلى فقال ادع نجيب وسل قطع . فقلت لرسوله أومعطي ربي سؤلي ؟ فقال ما أرساني إليك إلا ليطلبك ، ولقد أعطاني ربي ولا فخر وغفرتي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً وأعطيني أن لا تجوع أمتي ولا تلب ، وأعطيني السكوت وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وأعطيني المزم والتمس والربع يسمى بين يدي أمتي شهراً ، وأعطيني آي أول الأنبياء يدخل الجنة وطيبى ولأمتي النسيعة وأحل لنا كثيراً ما عهد على من قبلنا ولم يحصل علينا في الدين من حرج » (١)

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِفِينَ فيها أَبَدًا رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَزَقُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْأَنْهَارَ الْعَظِيمُ * فِيْ مِثْلِ الْأَسْمَواتِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا فِيْهِنَّ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(١) الحديث ضيف السند وفي الحديث الشفاعة والسبج ألفاً في الصباح غنى عنه .

يقول تعالى حياً لبسده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما أنباه اليه من التبري من النصارى للحدادين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد الشيعة فيهم إلى ربه عز وجل فند ذلك يقول تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع للوحدين توحيدهم (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أي ما كذب فيها لا يعملون ولا يزولون رضى الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وعيسى ما ينطق بذلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً عن أنس قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الحارث عن ليث عن عثمان بن عمار عن ابن عمر أخبرنا القبطان عن أنس مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ فيه « ثم تبلى لهم الرب جل جلاله فيقول ملوئى بلوئى أعطكم قال فيسألونه الرضا فيقول رضى أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى فسلوئى أعطكم فيسألونه الرضا قال فيشهدهم أنه قد رضى عنهم سبحانه وتعالى » وقوله (ذلك الفوز العظيم) أي هذا الفوز الكبير الذى لأعظم منه كما قال تعالى (مثل هذا فيعمل العالمان) وكما قال (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وقوله (فه) ملك السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء قدير) أي هو الخالق للأشياء لا اله الا هو القادر عليها بالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفى مشيئته فلا نظير له ولا وزير ولا عدل ولا واه ولا ولد ولا صاحبة ولا غيره ولا رب سواه. قال ابن وهب سمعت حنيفة بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة أنزلت سورة اللائدة

(تفسير سورة الأنعام وهى مكية)

قال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة . وقال الطبرانى حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يحارون حولها بالتسبيح . وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا أختنه بزمام ناقه التى صلى الله عليه وسلم إن كادت من ثقلها تكسر عظام الناقة . وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو فى مسير فى زجل من اللاتكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض . وقال السدى عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من اللاتكة وروى نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود . وقال الحاكم فى مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا حدثنا محمد بن عبد الوهاب المدي أخبرنا جعفر بن عون حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن السدى حدثنا محمد بن الحسن الكندي عن جابر قال لما نزلت سورة الأنعام سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « لقد شيع هذه السورة من اللاتكة ماسد الأفق » ثم قال صبيح على شرط مسلم . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن درستويه القارى حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثنى عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبى سهيل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « نزلت سورة الأنعام معها موكب من اللاتكة سد ما بين الحاقطين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترجع » وروى الله يقول « سبحانه الله العظيم سبحانه الله العظيم » ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن إبراهيم بن نافع عن إسحاق بن عمر بن يوسف ابن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من اللاتكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ «مَوْ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ » وَمَوْ اللَّهُ

فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَيُخَرِّجُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول الله تعالى مادامه شمس الكرمية وحامدا لها على خلقه السموات والأرض قرارا لمبادءه . وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في لييلهم ونهارهم جمع لفظ الظلمات ووجد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى (عن النبي والناس) وكما قال في آخر هذه السورة (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ثم قال تعالى (ثم الذين كفروا ببرهم يمدلون) أي ومع هذا كله كفروا به بش عباده وجعلوا له شريكا وعلا وانخلوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا . وقوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) يعني بأدم الذي هو أسلمهم ومنه خرجوا فاتتبعوا في المشرق والمغرب وقوله (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثم قضى أجلا) يعني الموت (وأجل مسمى عنده) يعني الآخرة وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه (ثم قضى أجلا) وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت (وأجل مسمى عنده) وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخامس وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بأكملها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والسير إلى النار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد (ثم قضى أجلا) يعني مدة الدنيا وأجل مسمى عنده) يعني عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا (وهو الذي يوفوكم كبراليل ويعلم ما جرحتم النار) الآية وقال عطية عن ابن عباس (ثم قضى أجلا) يعني النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة (وأجل مسمى عنده) يعني أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعنى قوله (عنده) أي لا يعلمه إلا هو كقوله (إنما علمها عند ربى لا يعلمها لوقتها إلا هو) وكقوله (بسألتك عن الساعة أيان مرصاها فم أنت من ذكرها إلى ربك منتهاها) وقوله تعالى (ثم أتىهم نورا) قال السدي وغيره يعني تشكون في أمر الساعة وقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرركم وجهكم ويعلم ما تكسبون) اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك لا بأس من الأقوال أنه للدعوة الله في السموات وفي الأرض أي بيده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض وعلى هذا فيكون قوله (يعلم سرركم وجهكم) خبرا أو حالا (والقول الثاني) أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهكم فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله (في السموات وفي الأرض) تقديره وهو الله يعلم سرركم وجهكم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله (وهو الله في السموات) وقف تام ثم استأنف الخبر قال (وفي الأرض يعلم سرركم وجهكم) وهذا اختيار ابن جرير وقوله (ويعلم ما تكسبون) أي جميع أعمالكم خيرا وشرا

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۖ قَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَسْتَعْصِمُونَ ۖ أَلَمْ يُرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَكُنْ لَكُمْ ءَارِسِلْنَا أَسْمَاءَ عَلَيْهِمْ مَذْرَإًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۖ ﴾

يقول تعالى عبرا عن الشر كين للكدنين الماندين أنهم كالأهمل من آية أي دالة ومسرزة وحجب من اللات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فأنهم يبرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها قال الله تعالى (قد كذبوا بالحق لما جاءهم

فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزئون) وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجذبهم وليذوقوا به ثم قال تعالى واعظا لهم وعذرا لهم أن يصيهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباحهم ونظرهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الأرض وعمارة لها فقال (ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكانهم في الأرض ما لم يمكن لكم) أي من الأموال والأولاد والأشجار والبناء والريش والسمك والجنود ولهذا قال (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) أي شيئا بعد شيء (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) أي أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض أي استدراجا وإملاء لهم (فأهلكناهم بذنوبهم) أي بآثامهم وسيأتهم التي اجتمعوها (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أي فذهب الأولون كأسس الدواب وجعلناهم أحاديث (وأنشأنا من بعدهم قوما آخرين) أي جلا آخر لنخبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم فاحلروا أيها المخاطبون أن يصيكم مثل ما أصابهم فما آثم بآخر على الله منهم والرسول الذي كذبتموهما كرم على الله من رسولهم فآثم أولى بالعذاب ومواجهة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه

(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا عَالِيكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ تِلْكَ وَتَوَارَتْ لَنَا عَلَيهِ تِلْكَ لَنَخْلُوكَ الْأُمُورُ * لَا يُنْظَرُونَ *) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَقَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيسًا مِّن قَبْلِكَ فَصَاحَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)

يقول تعالى خبرا عن المشركين وعنادهم ومكارتهم للحق ومباهتهم ومنازعتهم فيه (ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم) أي عابوه ورأوا نزوله وبشروا ذلك فقال (الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) وهذا كما قال تعالى خبرا عن مكارتهم للمحسوسات (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يجرون قائلوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وكقوله تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم) (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أي ليكون منه نذير قال الله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) أي لو نزلت للملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب كما قال الله تعالى (ما نزل للملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقوله (يوم يرون للملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) الآية وقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بشيا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليكنهم مخاطبة والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لاتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى (قل لو كانت في الأرض ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فمن رحمته تعالى خلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلق رسلا منهم يدعو بعضهم بضأا ولئيمكن بعضهم أن يتفهم بعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى (تقدمن الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية قال النحاسك عن ابن عباس في الآية يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي خلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالي عنه ولشبهنا عليهم وقوله (ولقد استهزئ به برسول من قبلك فصاح بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذه تسمية للنبي ﷺ في تكذيبه من كذبه من قومه ووعد له والمؤمنين به بالنصرة والمقابلة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (قل سيرا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله

بالقرون الماضية الذين كتبوا رسله وعاندهم من المناب والنكال والقوبة في الدنيا مع ما اذخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نهي رسله وعياده المؤمنين

﴿ قُلْ لَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَّهُ كُتُبٌ عَلَى هَدًى الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْبَلَدِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • قُلْ أَخْبَرُكُمْ أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُعَلِّمُ • وَلَا يُعْلَمُ قُلْ إِنْ أُرِيدْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أُنْتَهَى • وَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • قُلْ إِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • مَنْ يُضَرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَّرَ رَحْمَةً وَذَلِكَ الْقَوْلُ الْمُبِينُ ﴾

خبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيها : وأنه قد كتب على نفسه للقيامة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الأحمس عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رضى قلب نضى » وقوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لأرب فيه) هذه الامة هي الولطة للقسام فأقسم بنفسه الكبرية ليجمعن عباده (إلى مقفات يوم ماموم) وهو يوم القيامة الذى لا ريب فيه أى لا خلاك عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون للكدبون فهم فى رهبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حديثا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عتبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محسن بن عتبة الجمالى عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاصر عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ما قال « والذى نفسى بيده إن فيه ماء » إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويشت الله تعالى سبعين ألف ملك فى أيامهم عسى من نار يوددون الكفار عن حياض الأنبياء « هذا حديث غريب وفى الترمذى » إن لكل نبي حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم واردة » وقوله (الذين خسروا أنفسهم) أى يوم القيامة (فهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى (وله ما سكن فى الليل والنهار) أى كل دابة فى السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتديره لا إله إلا هو (وهو المسيح المليم) أى المسيح لأقوال عباده. العلم بحركاتهم وضائرم وسرايرهم ثم قال تعالى لبيد وسروله محمد صلى الله عليه وسلم الذى به التوحيد العظيم والشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم « قل أعز الله وأخذ وليا فى السموات والأرض » كقوله « قل أنصبر الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » وللمنى لا تأخذ وليا إلا الله وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (وهو بطم ولا بطم) أى وهو الزناق خلقه من غير احتياج اليهم كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الآية وقرأ بعضهم هاهنا (وهو بطم ولا بطم) أى لا يأكل وفى حديث سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قاعدنا رجل من الأنصار من أهل قبادة صلى الله عليه وسلم على طعام فانطلقنا به فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال الحمد لله الذى يطعمنا ولا يطعم ومن علينا فهدانا وأطعنا وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وكل بلاد حسن أبلانا . الحمد لله غير موعر ربى ولا مكنتى ولا تكفور ولا مستخى عنه الحمد لله الذى أطعنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهادنا من الضلال وبصرنا من العنى وفضلنا على كثير من خلق فضيلا الحمد لله رب العالمين « قل إنى أمرت أنا كون أولعن أسلم » أى من هذه الامة (ولا تكونن من اللشركين قل إنى أخاف إن عصيت رى عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة (من يصر عنه) أى العذاب (يومئذ قلدر حده) أى فقد رحمته (وذلك هو القوز للدين) كقوله (فمن زحزحه عن النار وأدخل الجنة قد فذاز) والقوز حصول الرغى والنزج الحسارة

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَاكَ شَيْفَ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ يَخْرِقْ فَقُوْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْغَايُ فَرَّقَ عِبَادَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَلِيْبُ * قُلْ أَيْ قَوْلُهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَيْدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يُنْذِرُكُمْ بِهِ وَبَلَّغَ أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلِ لَا أَشْهَدُ قُلِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

يقول تعالى خبراً أنه مالك الضر والنفع وأنه لا تصرف في خلقه بما يشاء لامسك لحكمه ولا راد لقضائه (وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بغير فهو كل شيء قدير) كقوله تعالى (ما يمنع الله للناس من رحمة فلا يمسك لها وما يمسك فلا يرسل لمن يهدى) الآية وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند » ولهذا قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) أى هو الذى خضعت له الرقاب ودلت له الجبابرة (١) وعنته الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لمظنة جلالة وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء واستكانت بين يديه وتحت قهره وحكمه (وهو الحكيم) أى فى جميع أموره (الحبير) بمواضع الأشياء ومعالها فلا يسلط إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق ثم قال (قل أى شيء أكبر شهادة) أى من أعظم الأشياء شهادة (قل أشهد بيني وبينكم) أى هو العالم بما جئكم به وما أنتم قائلون (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أى وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى (ومن ينكر به من الأحزاب فالنار موعده ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خازم عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله (ومن بلغ) من بلغه القرآن فكانما رأى النبى ﷺ زاد أبو خازم وكاه . ورواه ابن جرير من طريق أبى مشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد أبلفه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بلغوا عن الله فى بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » وقال الربيع بن أنس حى من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالأى دعا رسول الله ﷺ وأن يبذل به أى أنذر وقوله (أنشك لتشهدون) أى للذين آمنوا (أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد) كقوله (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) (قل إنما هو الله واحد وإنى برىء مما تشركون) ثم قال تعالى خبراً عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذى جئهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأبناء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء فإن الرسل كلهم بشرى بوجود محمد ﷺ ونعته (٢) وصفته وبلده ومهاجرة وصفة أمته ولهذا قال بعدهم الذين خسروا أنفسهم) أى خسروا كل الإشارة (أنهم لا يؤمنون) بهذا الأمر الجلى الظاهر الذى بشرت به الأنبياء ونوهت به فى قديم الزمان وحديثه ثم قال (ومن أظلم من اقترى على الله كذباً أو كذب بآياته) أى لا أظلم ممن يقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلائله (إنه لا يفلح الظالمون) أى لا يفلح هذا ولا هذا لا للفتنى ولا للكتب

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَعًا ثُمَّ قَوْلَ لَئِنْ أَشْرَكُوا لَأَبْنِ شِرْكَكُمْ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ تَرْتَمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَحْبَبُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا نُشْرِكُكُمْ * أَنْظَرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَهُمْ مِنْ دَسْتِمْ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوْهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا ﴾

يَهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَدُّ لَوْ نَكَحَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَنْ يَشْعُرْ

يقول تعالى مخبرا عن المشركين (يوم نحسرهم جميعا) يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلًا لهم (أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون) كقوله تعالى في سورة القصص (ويوم يتناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجبهم إلا أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) قال الضحاك عن ابن عباس (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجبهم. وقال عطاء الخراساني عنه أي معذبهم وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس: أي قلوبهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراساني (ثم لم تكن فتنتهم) بليتهم حين ابتلوا (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قلوبهم عند فتنتنا أيام اعتدالنا عما سلف منهم من الشرك بالله (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن للنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين) قال أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فأنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا فما لو فجدد فيجدون فيتم الله على أنفوسهم وشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكونون الله حديثا فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه. وقال الضحاك عن ابن عباس هذه في المنافقين وفيه نظر فإن هذه الآية مكية وللمناقضون إنما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة (يوم يمشي الله جميعا فيحلفون له) الآية وهكذا قال في حق هؤلاء (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) كقوله (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنها) الآية. وقوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي يمشون ليستمعوا قراءتك ولا يعجز عنهم شيئا لأن الله (جعل على قلوبهم أكنة) أي أغشية ثلاثا ففهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) الآية. وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي مهابا وأروا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا إصاف كقوله تعالى (ولو علم الله فهم خيرا لأصمهم) الآية وقوله تعالى (حق إذا جاءوك يناديوك) أي يحاجوك ويناطرونك في الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم وقوله (وم يهون عنه ويأتون عنه) في معنى يهون عنه قولان (أحدهما) أن المراد أنهم يهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والالقاء للقرآن (ويأتون عنه) أي ويمدونهم عنه فيجمعون بين الصفتين القبيحتين لا يتصورون ولا يدعون أحدا ينتفع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وم يهون عنه) يردون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به. وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأخون النبي ﷺ ويهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير (والقول الثاني) رواه سفیان الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت عن معمر ابن عباس يقول في قوله (وم يهون عنه) قال نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار وغيرهم أنها نزلت في أبي طالب وقال سعيد بن أبي هلال نزلت في محمودة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس منه في العلانية وأشد الناس عليه في السر رواه ابن أبي حاتم، وقال محمد بن كعب القرظي (وم يهون عنه) أي يهون الناس عن قتله وقوله (ويأتون عنه) أي يتباعدون منه (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يهودونه إلا عليهم وم لا يشعرون

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ دُقُّوا عَلَى النَّارِ سَأَلُوا يَلِينَنَّا فَرَدُّوا وَلَا يُكْذِبُ بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ •
بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ • وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ • وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ دُقُّوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِأَلْطَفِ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ورأوا بأعينهم تلك
الأمور العظام والأحوال عند ذلك قالوا (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) يمتنون أن يردوا إلى
الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال الله تعالى (بل بداهم ما كانوا
يخفون من قبل) أي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والعنادة وإن أنكروه وفي الدنيا
أو في الآخرة كما قال قبله ييسير (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم)
ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يظفون من أنفسهم من صلف ما جاءتهم به الرسل في الدنيا وإن كانوا يظهرون لأبياعهم
خلافه كقوله مخبرا عن موسى أنه قال لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) الآية
وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه (وجعدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ويحتمل أن يكون المراد هؤلاء
النافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان للناس ويظنون الكفر ويكون هذا إخبارا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة
من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية والنفائق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر
الله وقوع النفائق في سورة مكية وفي التكبوت فقال (وليلمن الله الذين آمنوا وليلمن المنافقين) وعلى هذا فيكون
إخبارا عن قول المنافقين في الدار الآخرة حين يمايئون العذاب فظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يظنون من الكفر والنفائق
والشقاق والله أعلم وأما معنى الإضراب في قوله (بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل) فانهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة
وحبة في الإيمان بل خوفهم من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما
شاهدوا من النار ولهذا قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) أي في طلبهم الرجعة رغبة وحبة في الإيمان
ثم قال مخبرا عنهم أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والخلافة (وإنهم لكاذبون) أي في قولهم
ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وسكون من المؤمنين وقالوا إنهم إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين أي لعادوا
لما نهوا عنه وقالوا إنهم إلا حياتنا الدنيا أي ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ثم لا مباد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين ،
ثم قال (ولو ترى إذ دُقُّوا على ربهم) أي أوقوا بين يديه قال (أليس هذا بلحق ؟) أي أليس هذا العذاب بحق وليس
باطل كما كنتم تظنون (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم
مسه (أنسر هذا أم لا تبصرون)

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَهَيِّئْ لَنَا فِرْعَوْنًا فِيهَا
وَمَنْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ هَوْنًا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أَلَيْسَ وَلَهُمْ قَلْدَارٌ إِلَّا خِرَّةٌ خَيْرٌ
لِّذِينَ يَتَّقُونَ أَنَالَا تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خسار من كذب بقاءه وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل
وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) وهذا الضمير يحتمل

فتلاوموا ثم تهاودوا أن لا يهودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً فلما أصبحوا تهاودوا أن لا يهودوا مثلها ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أباحنظلة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها وما يراد بها ، قال الأخنس وأنا والذي خلقت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبيد مناف الشرف أطعموا أهلنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجانبا على الركب وكنا ككفرسى رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فحق ندرلك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا تصدقه ، قال فقام عنه الأخنس وتركه .

وروي ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله (قد علم أنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يعمدون) لا كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبي زهرة يا بني زهرة إن محمداً ابن أختك فأنتم أحق من ذنب من ابن أخته فأنه إن كان نبياً لم تقاتلوه اليوم وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته ، فوافقني ألقى أبا الحكم فإن غلب محمد رجعت سالمين ، وإن غلب محمد فأن قومي لم يصنعوا بك شيئاً - فيوثمد صمى الأخنس وكان اسمه أئى - فالتقى الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبي جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هاهنا من قريش غيبي وغيرك يستمع كلامنا ؟ فقال أبو جهل ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي بالواء والسقاية والحجابة والنبوة فلماذا يكون لسائر قريش ؟ فذهب قوله (فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يعمدون) فآيات الله محمد ﷺ

وقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) هذه لسليمة لابي ﷺ وتقرية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر كما نصرنا ، وبالنظر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البالغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ولهذا قال (ولا مبدل لكلمات الله) أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال (ولقد سبقت كتماننا لعبادنا للرسلين) * إنهم لهم للتصورون * (وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقوله (ولقد جاءك من نبأ الرسلين) أي من خبرهم كيف نصرنا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلما فهم أسوة بهم قدوة . ثم قال تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم) أي إن كان شق عليك إعراضهم عنك (فإن استطعت أن تبنتي حقاً في الأرض أو سلفاً في السماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : التفق السرب فتذهب فيه فتأثمهم بآية أو تجعل لك سلفاً في السماء فتصعد فيه فتأثمهم بآية أفضل مما تأثمهم به فافعل ، وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما وقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال إن رسول الله ﷺ كان يحرم أن يؤمن جميع الناس ويتأبوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) أي إنما يستجيب لعبادك يا محمد من يسمع الكلام ويصيه ويفهمه كقوله (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) وقوله (واللو أني منهم أهدم إليهم يرجعون) يعني بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب فميتهم الله بموت الأجساد فقال (واللو أني منهم أهدم إليهم يرجعون) وهذا من باب التكميم بهم والازراء عليهم

(وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَتَمِنَ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِئَتْ أَنْفُسُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي السِّكِّينِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا هُمْ وَبَيْنَهُمْ فِي الْفُطُوحِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَهْدِهِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى مخبرا عن الشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضيهما كانوا يريدون وعامتتونه كفولهم (لن يؤمن لك حتى تصبر لنا من الأرض يبنوا) الآيات (قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكته تعالى تقتضي تأخير ذلك لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لما جلبهم بالقوبة كما فعل بالأمة السالفة كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأكثنا نوحا المدة النافذة بمصره فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) وقال تعالى (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظننت أعناقهم لها خاضعين) وقوله (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) قال مجاهد: أي أمثال مصنفه تعرف بأسمائها. وقال قتادة: الطير أمة والإنس أمة والجن أمة وقال السدي (إلا أمم أمثالكم) أي خلق أمثالكم وقوله (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي الجليل عليهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعهم رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحرياً كقوله (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين) أي منصف بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى (وكأن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها ويأذيكم هو السميع العليم) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن لثبي حدثنا عبيد بن وقاد القيسي أبو عبيد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن السكندر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد في سنين من سنة عمر رضى الله عنه التي ولي فيها فأسأل عنه فلم يجز بشيء فأنعمت لذلك فأرسل راعي إلى كذا وأخر إلى الشام وأخر إلى العراق يسأل هل رأى من الجراد شيء أم لا؟ قال فأتاه الراعي الذي من قبل اليمن فقبضه من جراد فألقاه بين يديه ففارقها كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (خلق الله عز وجل أمة منها سبقة في البحر وأربعة في البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تابعت مثل النظم إذا قطع سلكه) وقوله (ثم إلى ربه هم يحشرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم إلى ربه هم يحشرون) قال حشروا الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال سمعت النبي ﷺ حشروا وكذا رواه المولى عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والضحاك مثله (والقول الثاني) إن حشروا هو يوم القيامة لقوله (وإذا الوحوش حشرت) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال «يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟» قال لا قال «لكن الله يدري ويسقي بينهما» ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعشى عن ذكره عن أبي ذر قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطحنت عزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أندرون فيم انتطحنت؟» قالوا لا ندري قال «لكن الله يدري ويسقي بينهما» رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثوري عن أبي ذر فذكره وزاد قال أبو ذر وقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى الزبارة حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مازح عن بن قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الجلاء تقتضى من القرناء يوم القيامة» وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في قوله (إلا أمم أمثالكم) ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربه هم يحشرون) قال مجاهد الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجاء من القرناء ثم يقول كوني تراجاً فذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت تراجاً) وقد روى هذا مرفوعاً في حديث الصوري

وقوله (والذين كذبوا بآياتنا هم وبكم في الظلمات) أي مثلهم في جهنم وقلة عليهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو

الذى لا يسمع أبكم وهو الذى لا يتكلم وهو مع هذا فى ظلمات لا يصير فكيف يهتدى مثل هذا إلى الطريق أو يخرج بما هو فيه كقوله (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يسمرون * صم بك عمى فهم لا يرجعون) وكما قال تعالى (أو كظلمات فى بحر لجج يشاء موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور) ولهذا قال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أى هو المتصرف فى خلقه بما يشاء

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُدْرِكِينَ * بَلْ لِيَاءَ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَدْسُونَ مَا تُنْشِرُونَ * وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتَهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * قُلْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَمَكُونُ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بِنِفَتَةٍ فَمَنَاسِكُوتٍ يُقِطِعُ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

غير تعالى أنه الفعل لا يريد المتصرف فى خلقه بما يشاء وأنه لا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذى إذا سئل يجب أن يشاء ولهذا قال (قل أرايكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أى أتاكم هذا أو هذا) أغير الله تدعون إن كنتم صادقين أى لا تدعون غيره لعلكم أنه لا يقدر أحد على رفع ذلك سواء ولهذا قال (إن كنتم صادقين) أى فى اتخاذكم آلهة معه (بل إليه تدعون فكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما كنتم ترون) أى فى وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأننادكم كقوله (وإذا مسك الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إله) الآية وقوله (ولقد أرسلنا إلى أمة من قبلك فآخذناهم بالأساء) بنى الفقر والضيقة فى العيش (والضرراء) وهى الأمراض والأقسام والآلام (لعلهم يتضرعون) أى يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون ، قال الله تعالى (قلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهلا إذا ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا ولكن قست قلوبهم) أى مارقت ولا خشعت (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أى من الشر لئلا يملأهم الحسنى والمعاصى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) أى فتحننا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاهم ، عاينا بالله من مكروه ، ولهذا قال (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) أى من الأموال والأولاد والأرزاق (أخذناهم بنفثة) أى على غفلة (فلما هم ملبسون) أى آيسون من كل خير قال الوالى عن ابن عباس اللبس : الآيس ، وقال الحسن البصرى من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ومن قدر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بنفثة فلما هم ملبسون) قال مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا ، رواه ابن أبي حاتم ، وقال قتادة بشت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند مكرتهم وغرهم ونعمتهم فلا تفتروا بالله فإنه لا يفتقر إلا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا

وقال مالك عن الزهري (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) قال رضاء الدنيا وسرها ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشد بن - بنى ابن شد أبى الحجاج المهرى عن حرمة بن عمران الجبى عن عقبة بن مسلم عن عقبة ابن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا

أخذناهم بئنة فإذا هم مبسلون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حملة وابن لبيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم بن أبي عتبة عن عباد بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول : إذا أراد الله قوم بقاء أو نكاه ورفقهم القصد والعفاف وإذا أراد الله قوم اقطاعاً فتح لهم سأو فتح عليهم باب خيانة حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بئنة فإذا هم مبسلون) كقول (قتل دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ورواه أحمد وغيره

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا أَنَا عَذَابُ اللَّهِ بِنَفْثَةِ أَوْ جَهْرَةٍ هَلْ يُمْسِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ وَتَا نُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَتَنْ أَمِنُوا وَأَصْلَحُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُجَسِّمُونَ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿

يقول الله تعالى رسوله ﷺ قل لمؤلفي للكافرين للعائدين (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ) أي سلبكم إياها كما أعطاكموها . كما قال تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار) الآية ومغتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال (وختم على قلوبكم) كما قال (آمن بملك السمع والأبصار) وقال (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقوله (من إله غير الله يأتيكم به) أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحسناء ولهذا قال (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينا ونوضحها وقهرها دالة على أنه لا إله إلا الله وأن ما يبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون) أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يمرضون عن الحق ويصدفون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يبدلون وقال مجاهد وكثادة يمرضون وقال السدي يصدفون وقوله تعالى (قل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا أَنَا عَذَابُ اللَّهِ بِنَفْثَةِ) أي وأنت لا تشعرون به حتى يفتنكم وفتنكم (أو جهرة) أي ظاهراً عياناً (هل يهلك إلا القوم الظالمون) أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، وقوله (وما نرسل للرسولين إلا مبشرين ومنذرين) أي مبشرين بعباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله القهات والقنويات ، ولهذا قال (فمن آمن وأصلح) أي فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح همه باتباعه إياهم (فلا خوف عليهم) أي بالنسبة لما يستقبلونه (ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وسعيها ، الله وليهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه ، ثم قال (والذين كذبوا بآياتنا يسهم العذاب بما كانوا يفسدون) أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامره واطاعته وارتكبوا من مناهيه وحارمه وانتهاك حرمانه

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ تِلْكَ إِلَّا نَبِيٌّ إِلَى مَا يَوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَمُنُونَ أَنْ عَشُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَكُلِّهِمْ يَتَّقُونَ ﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا يَنْحَسِبُونَ حِسَابَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ ﴾ وَإِذَا جَاءَكَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِتَائِبِنَا فَقُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

يقول الله تعالى رسوله ﷺ (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أى لست أملكها ولا أنصرف فيها (ولا أعلم الغيب) أى ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا على ما أطلعت عليه (ولا أقول لكم إنى ملك) أى ولا ادعى أنى ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلى من الله عز وجل شرفنى بذلك وأنتم على به ولهذا قال (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) أى لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه (قل هل يستوى الأعمى والبصير) أى هل يستوى من أتبع الحق وهدى إليه ومن ضل عنه فلم يتدله (أفلا تتفكرون) وهذه كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب) وقوله (وأنذر به الدين يخافون أن يشعروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) أى وأنذر بهذا القرآن يا محمد (الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (الذين يخشون ربهم وخافون سوء الحساب) (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) أى يوم القيامة (ليس لهم) أى يومئذ (من دونه ولى ولا شفيع) أى لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم (لهمم يتقون) أى أنذر هذا اليمين على لسانى لى لا حاكم فيه إلا الله عز وجل (لهمم يتقون) فيعملون في هذه الدار عملا ينجمهم الله به يوم القيامة من عذابه ، وضاعف لهم به الجزيل من ثوابه . وقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والذى يريدون وجهه) أى لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجلسهم جلساءك وأخضاك كقوله (واسبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالقعدة والذى يريدون وجهه) ولا تصد عنك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) وقوله (يدعون ربهم) أى يمدونه ويسألونه (بالقعدة والذى) قال سعيد بن السبب ومجاهد والحسن وقتادة للراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله (وقال ربك ادعوني استجب لكم) أى أقبل منكم وقوله (يريدون وجهه) أى يريدون بذلك العمل وجهه الكريم وهم مخلصون فيهم فيه من العبادات والطاعات وقوله ما عليكم من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) كقول نوح عليه السلام في جواب الذين قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما على بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون . أى إنما حسابهم على الله عز وجل وليس على من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابى من شيء ، وقوله (فتطردهم فتكون من الظالمين) أى إن فعلت هذا والحالة هذه قال الإمام أحمد حدثنا أسباط هوان بن محمد حدثني أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر اللأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أَرْضَيْتَ بِهِؤْلَاءَ ؟ فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - إلى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين) ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال . مر اللأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أَرْضَيْتَ بِهِؤْلَاءَ من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم بمن يتينا ؟ أم نحن نصير بما لهؤْلَاءَ ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم تتبعل ، فنزلت هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والذى يريدون وجهه) (وكذلك فتباضهم يمش) إلى آخر الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى حدثنا سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد - قُتِبَ - حدثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبي سعيد الأزدى - وكان قارئاً - الأزد - عن أبي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والذى) قال جاء الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حُصَيْنِ القُرَازِى فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين فما رأوه حول النبي صلى الله عليه وسلم يحرقونهم في نفر في أسباطه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن نرانا العرب

مع هذه الأعداء فلما نحن جئناهم فأنهم عنا فلما نحن فرغنا فاقصد معهم إن شئت قال « نعم » قالوا فاكبتنا لك عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن نفوذ في ناحية جبريل فقال (ولا تطرد الدين يدعون ربهم) الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأقبلناه ، ورواه ابن جرير من حديث أسباط به ، وهذا حديث غريب فان هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر وقال سفيان الثوري عن المقدام بن شرحبيل عن أبيه قال : قال سعد نزلت هذه الآية في سنة من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود قال كنا نستيق إلى رسول الله ﷺ وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فنزلت (ولا تطرد الدين يدعون ربهم بالفتنة والشقاق) رواه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدام بن شرحبيل

وقوله (وكذلك فتنا بعضهم بعض) أي ابتلينا واختبرنا وامتنعنا بعضهم بعض (ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من أتبه في أول بخت ضفء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل كما قال قوم نوح لوط (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراد لنا بادي الرأي) الآية وكأسأله رملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك السائل فقال له فأشراف الناس يتبعونه أم ضغافهم فقال بل ضغافهم فقال هم أتباع الرسل والترض أن مشركي قريش كانوا يسخرون من آمن من ضغافهم ويمدبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أي ما كان الله يهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ماساروا إليه خيرا ويدعنا كقولهم (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) وكقوله تعالى (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) قال الله تعالى في جواب ذلك (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثاً) وقال في جوابهم حين قالوا (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضالهم فيوقتهم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع الحسين) وفي الحديث الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن ججاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله (وأندبه الدين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الآية قال ججاج عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعلم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أي طالب فقالوا يا أي طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنا هم حيدنا وعسفائنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتمسديننا له قال فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو فعلت ذلك حق تنظر ما الذي يريدون وإلى ما يسبرون من قولهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وأندبه الدين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) إلى قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وسيب مولى أبي سعيد ومن الحلفاء ابن مسعود والفضل بن عمرو ومسعود بن القاري وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ومرد بن أبي مرثد وأبو مرثد الضوي حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت في أمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء (وكذلك فتنا بعضهم بعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) الآية فلما نزلت أقبل عمر رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ فاعتذر من مقاتله فأنزل الله عز وجل (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) الآية وقوله (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم) أي فأكرمهم برد السلام عليهم وجرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا (أنه من عمل منكم سواء بمهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ، وقال معتز بن سلبيان عن الحكم بن أبان بن عكرمة في قوله (من عمل منكم سواء بمهالة) قال الدنيا كلها جاهل والرواد بن أبي حاتم (ثم تاب من بعده وأصلح) أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأتبع

وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل (فأبته غفور رحيم) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » أخرجه في الصحيحين وهكذا رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى بن عقبة عن الأعمش عن أبي هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بذلك وقد روى ابن مردويه عن طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عقاب الله » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان الهدي عن سلمان في قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال أنا نجد في التوراة عطفين أن الله خلق السموات والأرض وخلق ما فرحة أوجبل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فيها يتراحمون وبها يتصافون وبها يتبادلون وبها يتزاورون وبها تمن الناقة وبها تبغ البقرة وبها تنجو الشاة وبها تتتابع الحيتان في البحر فلما كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع ، وقد روى هذا مرفوعا من وجه آخر وسيأتي كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) وما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضا قوله ﷺ لحاذ بن جبل « أتدري ما حق الله على العباد ؟ أن يسجدوا له شيئا » ثم قال « أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يهديهم » وقد رواه الإمام أحمد عن طريق كليل بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُجْرِمِينَ • قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّتْ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ • قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ • إِنِّي أَنَا الْحَكَمُ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِي الْخُلُقَ وَهُوَ خَيْرُ الْقَاضِينَ • قُلْ لَّوْ أَن عِندِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُفِّي الْأُتْرُقُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ • وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُتُ مِنْ رِّزْقٍ إِلَّا يَمْلِكُهَا وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رُحْبٌ وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى وكما هيئت ما تقدم به انتم من الحجج والله لائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعداء (كذلك نقصلكم) أي التي تحتاج مخاطبون إلى بيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرئ (ولتستبين سبيل المجرمين) أي ولتستبين يا محمد أوصيا مخاطب سبيل المجرمين وقوله (قد لى على بينة من ربي) أي على بصيرة من شريعة التي أوحاها الله إلي (وكذبتم به) أي بالحق الذي جاءني من الله (ما عندي ما تستعجلون به) أي من العذاب (إن الحكم إلا الله) أي إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال (يقض الحق وهو خير الفاصلين) أي وهو خير من فصل القضايا وخير الفاصلين في الحكم بين عباده ، وقوله (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم) أي لو كان هوجج ذلك إلى لأوقت لكم ما تستعجلونه من ذلك والله أعلم بالظالمين ، فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم القبية إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبي إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرمضت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد

سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بشي ربك اليك لتأمرني بأمرك فما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يبعث الله لاهرك به شيئاً » وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم فاستأني بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لاهرك به شيئاً فما أجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة (قلوا أن عندي ما تستجولون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين) فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دللت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين وهما جبال مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً فلماذا استأني بهم وسأل الرقي لهم . وقوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب إيها) قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله » (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله علم خير) وفي حديث عمر أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي فسأل عن الإيمان والإسلام والاحسان فقال له النبي ﷺ فيما قاله « خمس لا يعلمهن إلا الله » ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية . وقوله (يعلم ما في البر والبحر) أي يحيط علمه الكرم بجميع الوجودات برها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا انتقال ذرة في الأرض ولا في السماء وما أحسن مقال المرصري :

فلا يخفى عليه السر إما * تراءى لتواظر أو توارى

وقوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) أي يعلم الحركات حتى من الجادات فما تلك بالحيوانات ولا سائر الكلفون منهم من جهن وإنهم كما قال تعالى (يعلم خاتمة الأعمى وما تخفي الصدور) . وقال ابن أبي عمير حدثنا ابن حنبل حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان التمرى عن ابن عباس في قوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) قال ما من شجرة في ير ولا بحر ولا ملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله (ولا تحية في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن السور الزهرى حدثنا مالك بن سحر حدثنا الأعمش عن يزيد بن أبي رزاه عن عبد الله بن الحارث قال ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إلا وعليها ملك موكل بأفئ الله يعلمها رطبها إذا رطبت ويوسنها إذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحناني عن مالك بن سحر به . ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهي المودة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضوا ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) إلى آخر الآية قال محمد بن إسحق عن عبي بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول إن تحت الأرض ثلاثة وفوق الرابعة من الجن مالوا أنهم ظهروا يعني لكم ثم واصلهم نورا على كذا زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يثبت الله عز وجل إليه في كل يوم ملكا من عنده أن يحفظ ما عنده .

(وَمَوْلاذِي يَتَوَفَّيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَرْتَحِمُ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى إِلَيْهِ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْخَلْقُ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَانِ)

يقول تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفى الأصغر كما قال تعالى (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافضك إني) وقال تعالى (الله يتوفى الأئمة حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين الصغرى ثم الكبرى فقال (وهو الذي يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي ويعلم ما كتبتم من الأعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقته في ليالهم ونهارهم في حال سكوتهم وحال حركتهم كما قال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) وكما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار كما قال (وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً) ولهذا قال تعالى هاهنا (وهو الذي يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي ما كتبتم من الأعمال فيه (ثم يبعثكم فيه) أي في النهار فانه مجاهد وقائد والسدى ، وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير أي في المنام والأول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرد إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلارده إليه» فذلك قوله (وهو الذي يتوفىكم بالليل)

وقوله (ليقضى أجل مسمى) يعني به أجل كل واحد من الناس (ثم إليه مرجعكم) أي يوم القيامة (ثم يبعثكم) أي فيخرجكم (بما كنتم تعملون) أي ويخرجكم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله (وهو القاهر فوق عباده) أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء (ويرسل عليكم حفظة) أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقولهم (له مقببات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وحفظة يحفظون عمله ويحسونه كقولهم (وإن عليكم لحافظين) الآية وكقولهم (عن العيين وعن الشياطين ما يلفظ من قول إلا يدري ما يقرب عني) وقوله (يذللون للتيقن) الآية وقوله (حتى إذا جاء أحدكم الموت) أي احتضر وحين أجله (توفته رسلنا) أي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد : الملائكة أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم ، ويسأل عند قوله تعالى (يثبت الله الدين آميناً بالقول الثابت) الأحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا الروي عن ابن عباس وغيره بالصحة ، وقوله (وهم لا يفرطون) أي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها ويتركونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففي عليين وإن كان من الفجار ففي سبعين عياداً بالله من ذلك وقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) قال ابن جرير (ثم ردوا) يعني الملائكة (إلى الله مولاهم الحق) ونذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «إن لبيت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأجسري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يرجع بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأجسري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى يتهيأ بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأجسري بجميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يرجع بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الثاني «هذا حديث غريب ويحتمل أن يكون المراد بقوله (ثم ردوا) يعني الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعده كما قال (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) وقال (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) إلى قوله (ولا يظلم ربك أحداً) ولهذا قال (مولاهم الحق) ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

(طريق آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مقدم بن داود حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن لميعة عن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال لما نزلت (قل هو القادر على أن يمسح عليك عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بالله من ذلك» (أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بالله من ذلك» (أو يلبسكم شيئا) قال «هذا أيسر» ولواستأذنه لأعاده . ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة (أحدها) قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو الحيثم حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي مريم عن راشد هو ابن سعد القرافي عن سعد بن أبي وقاص قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (قل هو القادر على أن يمسح عليك عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فقال «أما إنها كاتمة ولم يأت تأويلها بعده» وأخرج الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم به ثم قال هذا حديث غريب .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ألقينا مع رسول الله ﷺ حتى مورنا على مسجد بني معاوية فدخل فصل ركنتين فصلينا معه فنادى به عز وجل طويلا ثم قال «سألت ربي ثلاثا أنه أن يهلك أمي بالترق فأعطاني وسأله أن لا يهلك أمي بالسنة فأعطاني وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعني» أشرده بإخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن عمر كلاهما عن عبد الله بن عمر وعنه محمد بن يحيى بن أبي عمرو عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به (حديث آخر) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله ابن جابر بن عتيق عن جابر بن عتيق أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية - قرية من قرى الأنصار - فقال لي هل تدري أين جلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا ؟ فقلت نعم فأشرت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما التلات التي دعاهن فيه ؟ فقلت نعم فقال أخبرني بهن فقلت دما أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما . ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فتعني ، قال صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة . ليس هو في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوى وله الحمد ولله

(حديث آخر) قال محمد بن إسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن خفيف عن عبيدة بن جابر عن علي بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة بن الحيثم قال خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية قال صلى ثمان ركعات فأطال فبين ثم انفتحت إلى فقال «حبستك يا حذيفة» قلت الله ورسوله أعلم قال «إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سأله أن لا يسلط على أمي عدوا من غيرهم فأعطاني وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعني» (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبيدة بن حميد حدثني سليمان بن الأعمش عن رجاء الأنصاري عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت لي خرج قبيل ، قال فجعلت لا أمر بأحد إلا قال مر قبيل ، حتى مررت فوجدته قائما يصل قال فبحثت حتى قُتقت خلفه قال: فأطال الصلاة فلما قضى صلاته قلت يا رسول الله قد صليت صلاة طويلا فقال رسول الله ﷺ «إني صليت صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سأله أن لا يهلك أمي غرقا فأعطاني وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطاني وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعني» رواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن عمر وعلى بن محمد كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش به ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة عن عبد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج أن الفضل بن عبد الله القرشي حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سبعة الفضة ثمان ركعات فلما انصرف قال «إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني

اثنين ومنع واحدة سأله أن لا يبذل أمي بالسيف فعمل وسأله أن لا يسلط عليهما وسأله أن لا يسلط عليهما
فأبى علي . ورواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو
اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن
أبيه خباب بن الارت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أنه قال وأقيمت رسول الله ﷺ في ليلة
صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته فقلت يارسول الله لقد صليت الليلة صلاة مباركة صليت
مثلها فقال رسول الله ﷺ « أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنين
ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا ينظر
علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيئاً فنحنها » ورواه النسائي من حديث شعيب
ابن أبي حمزة . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه يساندهما عن صالح بن كيسان والترمذي في الفقه من حديث
أنتهان بن راشد كلاهما عن الزهري به وقال حسن صحيح . (حديث آخر) قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره
حدثني زياد بن عبد الله المزني حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خلكم الخزاعي عن أبيه
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال « قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز
وجل فيها ثلاثاً أعطاني اثنين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بذاب آياها به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت
الله أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح يضكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيئاً ويذيق يضكم بأس يض
فمنعنيها » قال أبو مالك قتلت له أبوك مع هنا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم
أنه سمعها من أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال : قال معمر
أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن الأشعث السعدي عن أبي أساه الرعي عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « إن الله زوى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمي سيبلغ مازوى لي منها وإن
أعطيت الكثرين الأبيض والأسحر وإن سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمي بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا
فيلكم بمامة وأن لا يلبسهم شيئاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد
وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكم بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً ممن سواهم فليلكم بمامة حتى يكون بعضهم
يهلك بضاً وبعضهم يقتل بضاً وبعضهم يسي بضاً » قال وقال النبي ﷺ « إنى لا أخاف على أمي إلا الأئمة الضالين فإذا
وضع السيف في أمي لم يرجع عنهم إلى يوم القيامة » ليس في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوي وقدرناه ابن
مردويه من حديث حماد بن زيد وعبد بن منصور وثقة ثلاثهم عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أساه عن ثوبان عن رسول
الله ﷺ بنحوه والله أعلم

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الملقبي وميمون بن إسحاق بن
الحسن الحنفي قالا حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأنصاري عن نافع بن خلكم الخزاعي
عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس يوماً فأطال الجلوس حتى أوما
بعضنا إلى بعض أن اسكوا إنه ينزل عليه فلما فرغ قاله بعض القوم يارسول الله لقد أطالت الجلوس حتى أوما
بعضنا إلى بعض أنه ينزل عليك قال « لا ولا لكها » فقلت فقلت ورهبة سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة سألت
الله أن لا يذنبكم بذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمي عدواً يستبيحها فأعطانيها
وسأله أن لا يلبسكم شيئاً وأن لا يذيق يضكم بأس بعض فمنعنيها » قال قتله أبوك معها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عند أسابي هذه عشر أسابع
(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن عيسى هو ابن محمد اللؤب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبي وهب الحولاني

عن رجل قد ساء عن أبي بصرة الثفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي عز وجل أربعا فأعطاني ثلاثا ومعنى واحدة سألت الله أن لا يجمع أمي على ضلالة فأعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ففطنها » لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة .

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الأشعثي عن زبائن علاقة عن جابر بن ممر السوائي عن علي بن أبي حمزة قال « سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومعنى واحدة فقلت يارب لا يهلك أمي جوعا فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم يعني أهل الشرك فينجحهم قال فذلك لك قلت يارب لا يجعل بأسهم بينهم قتال ففطنني هذه » . (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا أبو البراء اللوزي حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمي أربعا فرفع الله عنهم ثنتين وأبي علي أن يرفع عنهم ثنتين ، دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض ، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والمهرج » . (طريق أخرى) عن ابن عباس أيضا قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني الوليد بن أبيان حدثنا جعفر بن منير حدثنا أبو بدر شعاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) قال: قام النبي ﷺ فوضأ ثم قال « اللهم لا ترسل على أمي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيئا ولا تذق بعضهم بأس بعض » قال فأتاه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أجاز أمك أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم . (حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الزوار حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد المقرئ حدثنا أسباط عن السدي عن أبي النبال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « سألت ربي لأمتي أربع خصال فأعطاني ثلاثا ومعنى واحدة سألت أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها وسألت أن لا يذهب علمهم به الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم ففطنها » ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد المقرئ بنحوه .

(طريق أخرى) وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد اللبكي الذي حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب مع أبي هريرة يقول قال النبي ﷺ « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومعنى واحدة سألت أن لا تسلط على أمي عدوا من غيرهم فأعطاني وسألت أن لا يهلكهم بالنين فأعطاني وسألت أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ففطنها » ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد اللبكي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ورواه الزوار عن طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

(آخر) قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربع في هذه الأمة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال الرجم (أو من تحت أرجلكم) قال الحنف (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) قال سفيان يعني الرجم والحنف ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) قال فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لا بد منهما واقتان الرجم والحنف ، ورواه أحمد

عن وكيع عن أبي جعفر . ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا النضر بن شاذان حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو
 الأنهب عن الحسن بن قنبر (قل هو القادر على أن يبعث) الآية قال حسب عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت
 عقوبتها وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله (عذابا من فوقكم) يعني
 الرجم (أو من تحت أرجلكم) يعني الحسف وهذا هو اختيار ابن جرير ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال كان عبد
 الله بن مسعود يمسح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم ، إن الله يقول (قل هو القادر على
 أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا (أو من تحت أرجلكم) لو خسف بكم
 الأرض أهللكم ولم يبق منكم أحدا (أو يلبسكم شيئا ويديق بفسكم بأسا) ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث
 (قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب سمعت خالد بن سلمان يقول سمعت
 عامر بن عبد الرحمن يقول إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم)
 فأثمة السوء (أو من تحت أرجلكم) فخدم السوء وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (عذابا من فوقكم) يعني أمراءكم
 (أو من تحت أرجلكم) يعني عبيدكم وسفلكم ، وحكي ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن حفص نحو ذلك . قال ابن
 جرير وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى ، وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له
 بالصحة قوله تعالى (أأنتم من في السماء أن تخسف بكم الأرض فإذا هي تور أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا
 فتستلمون كذب تدبر) وفي الحديث (ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف وسيف) وذلك مذكور مع نظائره في أمارات
 الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وسأني في موضعها إن شاء الله تعالى وقوله (أو يلبسكم شيئا) يعني
 يلبسكم ملتبيين شيئا فرقا متخالفين . قال الوالي عن ابن عباس يعني الأهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد
 في الحديث للروى من طرق عنه عليه السلام أنه قال « وستغرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
 إلا واحدة » وقوله تعالى (ويديق بفسكم بأسا) قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بفسكم على بعض
 بالمداب والقتل وقوله تعالى (انظر كيف نصرنا آياتنا) أي نبينا ونوضعا مرة وقصرها (لهم يفقهون) أي يفهمون
 ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه . قال زيد بن أسلم لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من
 من فوقكم) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف » قالوا
 ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله قال « نعم » فقال بعضهم لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن
 مسلمون فنزلت (انظر كيف نصرنا آياتنا لهم يفقهون) وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا
 مستقر وسوف تعلمون) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

(وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لَّكُلِّ نَبَأٍ مَّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وَإِذَا رَأَيْتَ
 الَّذِينَ يَتَخَوَّضُونَ فِي الْمَاءِ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ قَبِيرٍ وَإِنَّمَا يُفْسِدُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
 بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَكُمْ بُعْدَ اللَّهِ

يقول تعالى (وكذب به) أي بالقرآن الذي جئهم به والهدى والبيان (قومك) يعني قريشا (وهو الحق) أي الذي
 ليس وراءه حق (قل لست عليكم بوكيل) أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله (وقل الحق من ربكم فمن
 شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي إنما على البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن
 خالفني فقد شقى في الدنيا والآخرة ولهذا قال (لكل نأبأ مستقر) قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نأبأ حقيقة أي
 لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال (ولتعلن نبأ بعد حين) وقال (لكل أجل كتاب) وهذا تهديد ووعد أكيد

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ السَّيِّئِ وَالْمُسَدِّدِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

قال السدي: قال للبركون المسلمين اهبوا سبلنا وامر كوادين محمدًا نزل الله عز وجل (قل ائندعوا من دون الله مالا ينفعا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا) أي في الكفر (يناديعدنا الله) فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض يقول مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فخل الطريق فغيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجمعوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فلان على الطريق فأبى أن يأتمهم فذلك مثل من يجمعهم بعد للفرقة محمد عليه السلام وعحمد هو الذي يدعوا إلى الطريق والطريق هو الإسلام رواه ابن جرير ، وقال قتادة (استهوته الشياطين في الأرض) أشلته في الأرض يعني استهوته سيرته كقوله (تهوى إليهم) وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (قل ائندعوا من دون الله مالا ينفعا ولا يضرنا) الآية هذا مثل ضرب به الله للألعة ومن يدعوا إليها والهداة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن طريق فأناب إلى ناداه مناديا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق وله أصحاب يدعونه فلان هلم إلى الطريق فان اتبع الهدى الأول انطلق به حتى يقبض إلى الهلكة وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق وهذه الهداية التي تدعو في البرية من التلilan ، يقول مثل من يبد هذه الآفة من دون الله فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتمه لوث فيستقبل الندمة والهلكة وقوله (كالذي استهوته الشياطين في الأرض) هم التلilan يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيقيمها وهو يرى أنه في شيء فيصبح وقد مرته في هلكة وربما أكلته أو تلقى في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآفة التي تميد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) قال رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدى . وقال المولى عن ابن عباس قوله (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب) هو الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمسبة وحاد عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ويرحمون أن الذي يأمره به هدى يقول الله ذلك لأولياهم من الإنس (إن الهدى هدى الله) والضلال ما يدعو إليه الجن رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضى أن أصحابه يدعونه إلى الضلال ويرحمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان الله أخبر أنهم يدعونه إلى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضى أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وهو منصوب على الحال أي في حال حيرته وضلاله وجهه وجه الهبة وله أصحاب على الهبة سائرون فجمعوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة التي وتهدير الكلام في أي علمهم ولا يلتفت إليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به إلى الطريق ولهذا قال (قل هدى الله هو الهدى) كما قال (ومن يهد الله فما له من مضل) وقال (إن تحرس على هدام فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصر) وقوله (وأمرنا لنسلم رب العالمين) أي نخضع له العبادة وحده لا شريك له (وأن أقيموا الصلاة واتقوا) أي وأمرنا بإقامة الصلاة وتقواه في جميع الأحوال (وهو الذي إليه تحشرون) أي يوم القيامة (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) أي بالعدل فهو خالقهما ومالكهما واللدبر لهما وإن فيما وقوله (ويوم يقول كن فيكون) يعني يوم القيامة الذي يقول الله كن فيكون عن أمره كلح البصر أو هو أقرب ، ويوم منصوب إما على المطف على قوله واتقوا وتهديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وإما على قوله (خلق السموات والأرض) أي وخلق يوم يقول كن فيكون قد ذكر به الحق وإعادته وهذا مناسب . وإما على إظهار فعل تهديره وإذا ذكر يوم يقول كن فيكون وقوله (قوله الحق وله الملك) جلتان علمها الجبر على أيها صفتان لرب العالمين ، وقوله (يوم ينفع في الصور) يحتمل أن يكون بدلا من قوله (ويوم يقول كن فيكون) يوم ينفع في الصور) ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (وله الملك يوم ينفع في الصور) كقوله (لمن لك اليوم الله الواحد القهار)

كقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) وما أشبه ذلك ، واختلف للمفسرون في قوله (يوم ينفع في الصور) قال بعضهم الرادبالصور هاجمهم سورة أى يوم ينفع فيها فتجيا . قال ابن جرير كما يقال: سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن الرادبالصور القرن الذى ينفع فيه إسرائيل عليه السلام قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إسرائيل قد أتمم الصور وحسبته ينتظر متى يؤمر فينفع » رواه مسلم في صحيحه ، وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شفاف عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابي يا رسول الله ما الصور ؟ قال « قرن ينفع فيه »
وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبراني في كتابه الطولات قال حدثنا أحمد بن الحسن للقرى الأبل حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال « إن الله لا يفرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضع على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت يا رسول الله وما الصور قال « القرن » قلت كيف هو ؟ قال « عظيم ، والذى يبنى بالحق إن عظم دائرة فيه كمرض السموات والأرض ينفع فيه ثلاث فضحات النخعة الأولى نخعة الفزع والثانية نخعة الصعق والثالثة نخعة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرائيل بالنخعة الأولى فيقول انضع فينفع نخعة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يقر وهي كقول الله (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواج) فيسير الجبال فتمر من السحاب فتكون سرايا ثم ترجع الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة للريشة في البحر تفسرها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل للملق في العرش ترجعها الرياح وهو الذى يقول (يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة) فيجيد الناس على ظهريها وتدهل للراضع وتضع الحوامل وتثيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتأبها لللائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مديري ما لهم من أمن الله من عاصم ينادى بعضهم بيسا وهو الذى يقول الله تعالى (يوم التناد) فينادى على ذلك إذ تصعدت الأرض من قطر إلى قطر فأرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالملح ثم انشقت السماء فانثرت نجومها وانخفضت قممها وقرها » قال رسول الله ﷺ « الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك » قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) ؟ قال « أولئك الشهداء » وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقام الله فزع ذلك اليوم وأنهم منه وهو عذاب الله يمشي على شرار خلقه — قال — وهو الذى يقول الله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تدهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد) فيقومون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرائيل بنخعة الصعق فينفع نخعة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقى فمن بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : لبت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل ، فيقول أسكت ، فأنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله لمت حملة العرش فتموت ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرائيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت

فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرًا كما كان أولًا طوى السموات والأرض طوى السجل للكتب ثم دحاهما ثم يقفهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثا ثم هتف بصوته (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه (هه الواحد القهار) يقول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فيبسطنها ويسطحنها ثم بعدها مد الأديم السكاكي (لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا) ثم يزرع الله الحلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض للبلدة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعًا ثم يأمر الله الأجساد أن تثبت فتثبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحي حملة عرشي فيحيون ويأمر الله إسرائيل يأخذ الصور فيضه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحيان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتي بها توهج أرواح السليين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعًا ثم يقبضها في الصور ثم يأمر الله إسرائيل أن ينسف نفخة البث فينسف نفخة البث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول وعزقي وجلائي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الجائشم ثم تنفى في الأجساد كما ينفى السم في الدبغ ثم تنشق الأرض عنهم وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون سراعًا إلى ربكم تسلمون (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عصر) حفاة عراة غرلا فتقفون ومقاه واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فيكونون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتقرقون حتى يلجكم المرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من شفّع لنا إلى ربنا يقضى بيننا فيقولون من أحق بذلك من أياكم آدم خلقه الله بيده وشفّع فيه من روحه وكله قلائم يأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول ما أنا صاحب ذلك فيستقرون الأنبياء نبيًا نبيًا كلها جاءوا نبيًا أي عليهم - قال رسول الله ﷺ - حتى يأتوني فأطلق إلى النقص فأخر ساجدا - قال أبو هريرة يارسول الله وما النقص؟ قال - قدام العرش حتى يمش الله إلى ملكا يأخذ بضدي ويرفض فيقول لي يا محمد فأقول نعم يارب، فيقول الله عز وجل ما أشأنك وهو أعلم - فأقول يارب وعدتني الشفاعة فتضعني في خلقك فأقضى بينهم قال الله فشفعتك أنا أياكم أقضى بينكم - قال رسول الله ﷺ - فأرجع فأقف مع الناس فيبينا نحن وتوف إذ سمعنا من السماء حسا شديدًا فها لنا فيزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ قالوا لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل من الملائكة وبمثل من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ فيقولون لا. وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم في تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حوزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل في تسييحهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحمى الذي لا يموت سبحان الذي يمت الخلائق ولا يموت سبح قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الأعلى الذي يمت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يا معشر الجن والإنس إني قد أمنت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فأنصتوا إلى فأما هي أعمالكم وصحظكم قرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظل، ثم يقول (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدا للديتال إنكم عدو مين) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * وقد أشل منكم جبلا كثيرا أظلم تكونوا تملكون * هذه جهنم التي كنتم توعدون) أو - بها تكذبون - شك أبو عاصم (وامتازوا اليوم بأبها الجرمون) فيميز الله الناس ونحو الشؤالهم - يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فيقضى الله عز وجل بين خلقه بالإلقليل الجن

والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه يقضى للجاء من ذات القرن ، فإذا فرغ من ذلك فلم يبق تبعه عندواحدة
للأخرى قال الله لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) ثم يقضى الله بين العباد فكان أول
ما يقضى فيه السماء ويأتي كل قتيل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشعب أوداجه فيقول
يا رب فم تقتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - فم تقتلهم ؟ فيقول تقتلهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجبل
الله وجهه مثل نور الشمس ثم يمر به لللائكة إلى الجنة ، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشعب أوداجه
فيقول يا رب فم تقتلني هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - لم تقتلهم ؟ فيقول يا رب تقتلهم لتكون العزة لك فيقول تعست ، ثم
لا يبقى نفس قتلاها إلا قتل بها ولا مظلة ظلها إلا أخذ بها ، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ، ثم يقضى
الله تعالى بين من بقى من خلقه حتى لا يبقى مظلة لأحد عند أحد إلا أخذها الله المظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب
اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللب من الماء ، فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم . ألا ليعلم كل
قوم بأهلهم وما كانوا يصيدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلث له آفته بين يديه ويجعل يومئذ
ملك من اللائكة على صورة عزير ويجعل ملك من اللائكة على صورة عيسى بن مريم . ثم يتبع هذا اليوم وهذا
النصاري ثم قاذمت آهتهم إلى النار ، وهو الذي يقول (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) فإذا لم يبق
إلا المؤمنون فهم الناقون جاءهم الله فيها شاء من حيثة فقال يا أيها الناس هذب الناس فالحقوا بأهلكم وما كنتم
تبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن
يمكث ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس هذب الناس فالحقوا بأهلكم وما كنتم تبتدون . فيقولون والله ما لنا إله
إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمت ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذان
سجدا على وجوههم ويهركل منافع على قفاه ويجعل الله أسلحهم كصيبي البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفضون ويضرب
الله الصراط بين ظهري جهنم كعد الشفرة أو كعد السيف عليه كاللبيب وخطاطيف وحسك كحسك السمدان دونه
جسر دحض مزله فيمرون كطرف العين أو كلع البرق أو كهر الريح أو كجياذ الحيل أو كجياذ الركاب أو كجياذ الرجال
فناج سالم وناج عذوش ومكرس على وجهه في جهنم ، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا
فندخل الجنة ؟ فيقولون من أحق بذلك من أيكم أتم عليه السلام خلقه الله بيده وفضغ فيه من روحه وكله قبل
فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى
نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم إبراهيم فإن الله اخذته خليلا ، فيؤتى
إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم موسى فإن الله قربه نجيا وكله وأزل
عليه التوراة . فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلته
عيسى بن مريم ، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد . قال رسول
الله ﷺ « قياتوني ولي عند ربى ثلاث شفاعات وعدنهن فأنتنق فأخذ بحلقه الباب فاستفتح ففتح لي
فأحيا ورحب بي فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجدا فأبأن الله لي من تميمه وتيممه شيء ما أدت
به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع لشفيعك وعل تطه فإذا رفعت رأسي يقول الله - وهو أعلم -
ما شأنا ؟ فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أدت لهم
في دخول الجنة » وكان رسول الله ﷺ يقول « والى شى بيده ما أتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم
من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على الثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله
عز وجل وثلثين آدميتين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ الله لبيادتهما الله في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة
من ياقوتة على سريره من ذهب مكل بالؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق ثم إنه يضع يده بين كفتيه ثم ينظر إلى
يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى منخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قبة الياقوت

موج ولم يسنده ولا حكاة من أحد. وقد قال ابن أبي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت أبي قرأ (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال بنى أنها أعرج وأنها أشد كلفة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والاصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسائي أن اسمه تاريخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كاللكتير من الناس أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوى والله أعلم ، واختلف القراء في أداء قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) فسكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد اللذان أنهما كانا يقرأن (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناماً آلهة) (منه) يا آزر أتخذ أصناماً آلهة ، وقرأ الجمهور بالفتح إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كآجر وأسود فلأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولاً لقوله (أتخذ أصناماً) تقديره يا آزر أتخذ آزر أصناماً آلهة فانه قول بعيد في اللغة فإن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله لأن له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية وللقصود أن إبراهيم وعظ أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه بها بفتح كما قال (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناماً آلهة) أي أمثاله لعنه تعبد من دون الله (إني أراك وقومك) أي السالكين مسلكك (في ضلال مبين) أي تاتهمين لا يهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمرهم في الجاهلية والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم . وقال تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً) * إذ قال لأبيه يا آزر لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً * يا آزر إني قد جاني من العلم ما رأيتك تاتهمين أهل كبراً سواي * يا آزر لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن مصيباً * يا آزر إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً * قال أراغت أنت عن الحق يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك وأجرني ملياً * قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان من خفا * وأعز لكم وما تدعون من دون الله وأدهو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيقاً) فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار وتبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله) * أمته إن إبراهيم لأواه حليم) وثبت في الصحيح أن إبراهيم يقبض أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يا بني اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم أي رب ألم تمدني أنك لا تغزى يوميشون وأي خزي أخزى من أي الأبد ؟ فيقال يا إبراهيم انظر ما وراءك فلما هو بدع متلطع فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) أي تبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهم على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقهم وأنه لا اله غيره ولا رب سواه كقوله (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وقال (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد متب) وأما ما حكاة ابن جرير وغيره عن عباد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم قالوا واللفظ لمجاهد فرجت له السموات فنظر إلى ما بين يديه وإلى العرش وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما بين يمينه وزاد غيره قبضل ينظر إلى العباد على العاصي ويدعو عليهم فقال الله له إني أرحم بعبادى منك لهم أن يتوبوا أو يرجعوا . وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلى ولكن لا يصح إسنادهما والله أعلم وروى ابن أبي حاتم من طريق الوقي عن ابن عباس في قوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الوثنين) فانه تعالى جلالة الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلين أصحاب الذنوب قال الله إنك لا تستطيع هذا فردك كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث الثمام * أماني ربى في أحسن صورة فقال يا محمد فبهم يختمهم اللأطى ؟ قتلنا لأدرى يا رب ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين يدي فتجلى لي كل شيء وعرفت ذلك * وذكر الحديث . وقوله (وليكون من اللوتين) قيل

الواو زائدة تقديره وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من اللوتين كقولہ (وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبل المجرمين) وقيل بل هي على بابها أي نرى ذلك ليكون علماً وموتاً وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي تشاء وستره (رأى كوكباً) أي نجماً (قال هذا نبي فلما أفل) أي غاب قال محمد بن إسحق بن يسار الأول: السحاب، وقال ابن جرير قال أفل النجم بأفل وأفلأ أنقأ وبمنه قولنذي الرمة :

مصاييح ليست بالواوي تمودها * دجاج^(١) ولا بالآفات الزوايل^(٢)

وقال ابن أفلت عنا ؟ بمعنى ابن غيت عنا : قال (لا أحب الآفلين) قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغاً أي طالماً (قال هذا ربي فلما أفل قال) لأن لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين * (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) أي هذا للثير الطالع ربي (هذا أكبر) أي جرماً من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة (فلما أفلت) أي غابت (قال يا قوم إني برىء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين) أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي (للذي فطر السموات والأرض) أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيئاً) أي في حال كوني حنيئاً أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال (وما أنا من المشركين) وقد اختلف القسرون في هذا اللقاع هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير من طريقين عن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله (لأن لم يهتدي ربي) الآية وقال محمد بن إسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من غرود بن كتمان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل التلمان عامش فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعا ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من القسرين من السلف والخلف والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا اللقاع منظاراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام فيين في اللقاع الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صور الملائكة المأبوة ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم آخر من أن يبدوه وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه . وبين في هذا اللقاع خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة للنجرة وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والريخ والشتري وزحل وأشهدن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فينبأ أولاً صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح لالابته فإنها مسخرة مقدرة بغير معين لا تزغ عنه عيناً ولا شهلاً ولا تلك لنفسها تصرفاً بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من الشرق ثم تسير فيها بينه وبين المغرب حتى تتيب عن الأبرار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا للنوال ومثل هذه لا تصلح لالابته ثم انتقل إلى القمر فيبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتهت الآلية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأضوار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال يا قوم إني برىء مما تشركون) أي أنا برىء من عبادتهم ومواليتهم فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعاً ثم لا تنتظرون (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين) أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء وعثرعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي يده ملكوت كل شيء ويخلق كل شيء ورب ومليك وإله كما قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ينشئ الليل نطلعه حنيئاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً في هذا اللقاع وهو الذي قال الله في حقه (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكناه عالماً) إذ قال لأبيه وقومه ما هذه الخائيل التي أتتم لها عاكفون (الآيات وقال تعالى (إن إبراهيم كان أمياً فاتتاه حنيئاً ولم يك من المشركين * شاكرراً لأنتمه اجتياه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن تبع ملة إبراهيم حنيئاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل

(١) في السكية نجوم (٢) وفيها أيضاً الهواك .

إني هداى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقد ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل مولود يولد على الفطرة » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « قال الله إني خلقت عبادى حنفاء » وقال الله في كتابه العزيز (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) ومعناه على أحد القولين كقوله (فطرت الله التي فطر الناس عليها) كما سيأتى بيانه . فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون لإبراهيم الخليل الذى جله الله أمة قاتلاً له حنيفاً ولم يك من المشركين ناظراً في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولارب ومعا يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً لقوله تعالى

(وَحَاجِبُهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ • وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ • وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ رَفْعَهُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)

يقول تعالى خبراً عن خليله إبراهيم حين جاده قومه فيما ذهب اليه من التوحيد وناظروه بنسبه من القول أنه قال (أتحاجوني في الله وقد هدان) أى تجادلونى في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرنى وهدانى إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف أتئت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله (ولا أخاف ما أشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً) أى ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أهابها فإن كان لها كيد فكيدونى بها ولا تنظرون بل يحاجونى بذلك . وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربى شيئاً) استثناء منقطع أى لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل (وسع ربى كل شيء علماً) أى أحاط علمه بجميع الأعيان فلا تخفى عليه خافية (أفلا تذكرون) أى فيما بينت لكم أفلا تعترفون أن هذه الآلهة باطلة فتزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبى الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما نص عنهم في كتابه حيث يقول (قالوا يا هود ما جئتنا بينة وما نحن لك بمؤمنين • إن تقول إلا اعتراك بهن آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون • إني توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بما صنعت) الآية وقوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) قال ابن عباس وغير واحد من السلف أى حجة وهذا كقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله تعالى (إن هى إلا أسماء مبيتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وقوله (فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) أى فأى طائفتين أصوب الذى عبد من بينه الفس والنعس أو الذى عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيها أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة لا شريك له قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) أى هؤلاء الذى أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم المؤمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سلمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لا نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال أصحابه وأين لم يظلم نفسه ؟ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) وقال الإمام أحمد

حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله أينما لا يظلم نفسه ؟ قال « إنه ليس الذي تمنون ألم تسموا ما قال العبد الصالح (يا بني لا تمسك بالله إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا وأينما لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ « ليس كما تظنون إنما قال لأنه (يا بني لا تمسك بالله إن الشرك لظلم عظيم) » وحدثنا عمر بن قلوب الغمري حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما

نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) رواه البخاري وفي لفظ قالوا أينما لا يظلم نفسه فقال النبي ﷺ « ليس بالذي تمنون ألم تسموا ما قال العبد الصالح (إن الشرك لظلم عظيم) » إنما هو الشرك » ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعاً قال (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال « شرك »

قال وروى عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شريك وأبي عبد الرحمن النخعي وعجمدة والنخعي والضحاك وحاتمة والسدي وغير واحد نحوه ذلك ، وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن عباد اللخمي حدثنا أبو عامر حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن

علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال رسول الله ﷺ « قيل لي أنت منهم » وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا رآك يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ « كأن هذا أراك يا أباكم يريد » فأتى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « من أين أتيت ؟ » قال من أهل وادي وعشيرة قال : « فأين تريد ؟ » قال أريد رسول الله ﷺ قال « قد أصبته » قال يا رسول

الله علفي ما الإيمان قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتحم الصلاة وتؤتي الزكاة وتقوم رمضان وتحج البيت » قال قد أقررت قال ثم إن بيده دخلت يده في جحر جردان فبوى بيده وهوى الرجل فوقع على هامته فأت فقال رسول الله ﷺ « طي بالرجل » فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأصداه فقالا : يا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ « أما رأيتا

إعراضاً عن الرجل فأتى رأيت ملكين يسانان في فيه من ثمار الجنة فقلت أنه مات جالماً » ثم قال رسول الله ﷺ « وهذا من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية » ثم قال « دونك أخاكم » فأحسنا إلى الماء فسلنا وحسنا وكفناه وحملناه إلى القبر فبأه رسول الله ﷺ حتى جلس على

شفير القبر فقال « الحدوا ولا تشقوا فإن الحد لنا والشق لغيرنا » ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد ابن جعفر القراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا عن عمل قليل وأجر كثيراً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساراه إذ عرض له أعرابي فقال يا رسول الله والذي يبتك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلادى ومالى لأهتدى بهذاك وآخذ من قولك وما يبتك حتى مالى طعام إلا من خضر الأرض فأعرض على فرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فآذدنا حوله فدخل خف

بكره في بيت جردان فتردى الأعرابي فأنكسرت عنقه فقال رسول الله ﷺ « صدق والذي يبتك بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليتدى يهدى ويأخذ من قولى وما يبتك حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أصمت بالذي عمل قليلاً وأجر كثيراً ؟ هذا منهم . أمتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم

الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم » وفي لفظ قال « هذا عمل قليل وأجر كثيراً » وروى ابن مردويه عن

حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الريح حدثنا ياد بن خزيمة عن أبي داود عن عبد الله بن سبرة قال: قال رسول الله ﷺ « من أعطى ففكر ومنع فصر وظلم فاستغفر وظلم ففقر » وسكت قال : فقالوا يا رسول الله ماله ؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقوله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) أى وجهنا حجتنا عليهم قال مجاهد وغيره معنى بذلك قوله (وكيف أخاف ما شركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن) الآية وقد صدقه الله وحكى له بالأمن والمهادنة فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ثم قال بعد ذلك كله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) قرئ بالأضافة وبلا إضافة كما فى سورة يوسف وكلاهما قريب فى اللحن وقوله (إن ربك حكيم عليم) أى حكيم فى أموره وأفعاله عليم أى بمن يهديه ومن يشاء وإن قامت عليه الحجج والبراهين كما قال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (ان ربك حكيم عليم)

﴿ وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا نَفَضْنَا عَلَى السَّالِحِينَ • وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخَوَتِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَوَعَدْنَاهُمْ إِيَّاهُمْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ كَتَبْنَا إِلَيْهِمُ السَّكَنَ وَالْخَيْرَ وَالْثَوَابَ فَلَنْ يُكَفِّرَ بِهَا هُودًا قَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرُوا بِهَا لَكَيْفَ فَرَيْنَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن فى السن وأيس هو وامرأته سارة من الولد فجاءه الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشرواها بإسحق فتعجبت للراء من ذلك وقالت (يا بلى والله وأنا عجوز وهذا بلى شيخا إن هذا لشيء عجيب فقالوا أنجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) فبشروها مع وجوده بنوته وبأن له نسلا وعقبا كما قال تعالى (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) وهذا أكل فى البشارة وأعظم فى النعمة وقال (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) أى ويولد لهذا الولود ولد فى حياتكما فتقر أعينكما بكافرت بوالده فإن القرع بولد الولد شديد لبقاء النسل والمقبول كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يقب لضعفه وقت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذى فيه اشتقاق القرب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزع عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله فى الأرض فوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقربهم عنه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) وقال ههنا (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا) وقوله (ونوحا هدينا من قبل) أى من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية سالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أمانوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صوبوه فى السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته ، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا فى ذرية النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من

التيبين من ذرية آدم وعن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وعن هدينا واجتينا إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي هديتنا من ذريته (داود وسليمان) الآية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب للذكورين ظاهر لإفكال فيه وهو اختيار ابن جرير . وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن لكن يشكك عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن أزر الله إلا أن يقال إنه دخل في النرية تقليدا كما في قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهنا واحداً ونحن له مسلمون) فإسماعيل هم دخل في آباؤه تقليدا ، وكما قال في قوله (فسجد لللائكة كلهم أجمعين إلا إبليس) فدخل إبليس في أمر اللائكة بالسجود وضم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعمل معصيتهم ودخل معهم تقليدا وإلا فهو كان من الجن وطيعته من النار ولللائكة من النور وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له . قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى السكري حدثنا عبد الرحمن بن خالغ حدثنا علي بن عيسى عن عبد الله بن عطاء الله عن أنس عن ابن عمر عن أبي أسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يسر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحي وعيسى) قال بلى . قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال صدقت . فلهذا إن أوصى الرجل لغيرته أو وقف على ذريته أو وهمهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فلا ينص بذلك بنوه لصلبه وبنوبته واحتجوا بقول الشاعر الفري :

بنوا بنو أبياتنا وبناتنا • يوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون . ويدخل بنو البنات فيهم أيضا لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال للحسن ابن علي « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين » فبما إنا ندل على دخوله في الأبناء . وقال آخرون : هذا مجور ، وقوله (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) ذكر أسوأهم وفروعهم ، وذوي طبقتهم وأن الهداية والاجتماع لهم كلهم ولهذا قال (واجتنبناهم وهديتناهم إلى صراط مستقيم) ثم قال تعالى (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إليهم (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تشديد لأمر الشرك وتقليل لشأنه وتعتظيم للابسته كقوله تعالى (ولقد أوصى إليك وإلى الدين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية ، وهذا شرط والشرط لا يقتضى جواز الوقوع كقوله (قل إن كان لرحمن ولد فأنا أول المابدن) وكقوله (لو أردنا أن نتخذ لهم آلهة لآخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وكقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) : وقوله تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) أي أئمتنا عليهم بذلك رحمة اللباد بهم ولطفنا منا بالخلق (فإن يكفر بها) أي بالنبوة ، ومختل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأعيان الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة ، وقوله (هؤلاء) يعني أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد ابن المسيب والضحاك وقادة السدى وغير واحد (قد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أي إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين وكثابين قد وكلنا بها قوما آخرين ، أي المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) أي لا يحدون منها شيئا ولا يردون منها جرفا واحدا بل يؤمنون بجميعها يحكمها ومتشابهها جلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه ثم قال تعالى عاتبا عبده ورسوله محمدا ﷺ (أولئك) يعني الأنبياء للذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والاخوان وهم الأشباه (الذين هدى الله) أي هم أهل الهدى لا غيرهم (فهداهم اقتده) أي اقتد واتبع ، وإنا هذا أمرا الرسول صلى الله عليه وسلم فأتمت تبع له فيما يشرعه وأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن جريح

أخبرهم قال أخبرني سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس (ص) سجدت؟ فقال نعم ثم تلا (وهيئ له إسحق ويعقوب) إلى قوله (فبهام اقتد) ثم قال هونهم ، زابد يزيد بن هرون وعبد بن عبيد وسهيل بن يوسف عن الموام عن مجاهد قلت لابن عباس قال ينبغي ^{عليه السلام} ممن أمر أن يقتدى بهم وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) أي لا أطلب منكم على إبلاغي إليكم هذا القرآن أجراً أي أجرة ولا أريد منكم شيئاً (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ، ومن الضلال إلى الإيمان

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أُنزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَّبْدُونَهَا وَيَخْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَظَمْتُمْ ثَمَلَهُ تَقُولُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ يُمِزُّ ذُرِّيَّتَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْبِيُونَ • وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)

يقول الله تعالى وما عظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسوله بهم : قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت في قريش واختاره ابن جرير ، وقيل نزلت في طائفة من اليهود . وقيل في فصحاس رجل منهم . وقيل في مالك بن النسيب (قائلاً) ما أنزل الله على بشر من شيء (والاول أوسع لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعب قاطبة كانوا يسكرون إرسال محمد ^{عليه السلام} لأنه من البشر كما قال (أكان للناس حجاباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وكقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا قل لوكان في الأرض ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً وقال هاتنا (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال الله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين إنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلمه العام بأبواب قضية جزئية موجبة (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) وهو التوراة التي قد علمت وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف للشكوك وبهتدي بها من ظلم الشبهات وقوله (تجعلونه قراطين يبدونها وتخفون كثيرا) أي يجعلون حملتها قراطين أي قطعا مكتوبها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتخفون منها ما تحفون وتبدلون وتتأولون وتخفون هدام عند الله أي في كتابه للزلزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تجعلونه قراطين يبدونها وتخفون كثيرا) وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبا ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لأنتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب ^(١) وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله تعالى (قل الله) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزل ، وهذا الذي قاله ابن عباس هوالتين في تفسير هذه الكلمة ، لاما قاله بعض التاخرين من أن معنى (قل الله) أي لا يكون خطابك لهم إلا بهذه الكلمة كذا « الله » وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والانيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها ، وقوله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يلعبون ألهم العاقبة أم ليعاد الله اللتين ؟ وقوله (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) وقال (لأنذركم به ومن بلغ) وقال (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقال (تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذرا) وقال (قل للذين آمنوا وأتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإني عليك البالغ والله بصير العباد) ونبت في

(١) قيل لإن هذه ترلت من غير تسمية والمطابق فيها للمعركين . ولها قراءة ابن كثير وأبي عمرو يجعلونه بالياء ، ومرة بالمدنية . ولها قراءة تجعلونه بالياء لأنه خطاب لليهود .

الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » وذكر منهم « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة » ولهذا قال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن (وهم على صلاتهم يحافظون) أي يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي كَهْمَزِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَهْلَكُمُ الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ عَذَابِ الْهَوْنِ بَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ • وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْكُمْ وَرَأَوا ظُهُورَكُمْ وَمَا تَرَى مِنْكُمْ شُعَاعًا كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فيجعل له شركاء أو أولاد أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى (أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) قال عكرمة وتنادى نزلت في مسيلة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) أي ومن ادعى أنه يمارس ما جاء من عند الله من الوحي بما يفتره من القول كقوله تعالى (وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) الآية قال الله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) أي في سكراته وغمراته وكرهاته (وللملائكة باسطوا أيديهم) أي بالضرب كقوله (لئن بسطت إلى يدك لتفتني) الآية وقوله (يسطوا إليكم أيديهم وأستهم بالسوء) الآية وقال الضحاك وأبو صالح باسطوا أيديهم أي بالعداب كقوله (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا للملائكة يسرون وجوههم وأدبارهم) ولهذا قال (وللملائكة باسطوا أيديهم) أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أهلكم) وذلك أن الكافر إذا حضر بشرته للملائكة بالعداب والهلاك والأغلال والسلاسل والجحيم والجمم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه في جسده وتسمى وتأتي الخروج فتضربهم للملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الآية أي اليوم تهاون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والاهتداء لرسوله، وقد وردت الأحاديث للتواتر في كيفية احتضار المؤمن والكافر وهي مقرر عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد ذكر ابن مردويه هنا حديثا مطولا جذا من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا قاله أعلم، وقوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أي قال لهم يوم معادهم هذا كما قال (وعرضوا على ربك انقلبتم على أعقابهم) أي كاذبا كما بدأناكم أعداءكم وقد كنتم تتكبرون ذلك وتستبدونهم فيها يوم الميث، وقوله (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) أي من النعم والأموال التي اقتنيتوها في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأغثيت، وألبست فألبيت، أو تصدقت فأبقيت، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس » وقال الحسن البصري: يؤتى ابن آدم يوم القيامة كأنه بلج فيقول الله عز وجل أين ما جمعت؟ فيقول يا رب جمعت وتركته أوفر ما كان فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئا، وتلاهذه الآية (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) الآية رواه ابن أبي حاتم، وقوله (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) تخرج لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأنعام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كانوا معاد لئلا كان

يوم القيامة تحطمت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون وينادونهم الرب جل جلاله على يد رسول الخلائق .
 (أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟) ويقال لهم (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل يصرونكم أو ينتصرون ؟)
 ولهذا قال ههنا (وما نرى معكم شفعاء الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق
 العبادة لهم ، ثم قال تعالى (لقد قطع بينكم) قرئ بالرفع أى شللكم بالنصب أى لقد قطع (ما بينكم من الأسباب
 والوصلات والوسائل) (وضلعنكم) أى ذهب عنكم (ما كنتم تزعمون) من رجاء الأسماء والأنداد كقوله تعالى (إذ
 تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتحطمت بهم الأسباب) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما
 تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقال تعالى (فلذا شفع في الصور فلا أنساب بينهم
 يومئذ ولا يتساءلون) وقال تعالى (إنما نخذنكم من دون الله أوفانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
 ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماؤا كمن النار وما لكم من ناصرين) وقال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية
 وقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم هول للذين أشركوا) إلى قوله (وضل عنهم ما كانوا يفتنون) والآيات في هذا كثيرة جدا
 ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ يُخْرِجُ الْخَلْءَ مِنَ الْبُتُونِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾
 فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
 لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا لَاقِيَتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿

غير تعالى أنه فالق الحب والنوى أى يشقه فى الترى فنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على
 اختلاف ألوانها وأصنافها وطعمها من النوى ولهذا فسر قوله (فالق الحب والنوى) بقوله (يخرج من الحى من اللبث
 ويخرج اللبث من الحى) أى يخرج البنيات الحى من الحب والنوى الذى هو كالجد للبت كقوله (وآية لهم الأرض
 اليتمة أحييناها وأخرجنا منها نباته نأكلون) إلى قوله (ومن أنصهم وما لا يعلمون) وقوله (ويخرج اللبث من الحى)
 معطوف على (فالق الحب والنوى) ثم فسر ثم عطف عليه قوله (ويخرج اللبث من الحى) وقد عبروا عن هذا وهذا
 ببارات كلها متقاربة مؤيدة للمعنى ، فمن قال يخرج الدجاجة من البيض وعكسه ومن قال يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه
 وغير ذلك من الببارات التى تنتظمها الآية وتشملها

ثم قال تعالى (ذلك الله) أى فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له (فأنت تؤفكون) أى كيف تصرفون عن الحق
 وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا) أى خالق الضياء والظلام كما قال
 فى أول السورة (وجعل الظلمات والنور) أى فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضئ الوجود ، ويستتير
 الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ، ويحيى النهار بضيائه وإشراقه ، كقوله (ينشى الليل
 النهار يطلبه حثيثا) فين تعالى قدرته على خلق الأشياء للتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمتة وعظم سلطانه فذكر أنه فالق
 الإصباح وقابل ذلك بقوله (وجعل الليل سكنا) أى ساجيا مظلما لتسكن فيه الأشياء كما قال (والضحى والليل إذا سجى)
 وقال (والليل إذا ينشئ النهار إذا تجلى) وقال (والنهار إذا جلاها والليل إذا يشاهد) وقال صبيب الرومى رضى الله عنه
 لأمراءه وقد غابته فى كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا إلا لصيب إن صهبا إذ ذكر الجنة طالع شوقه وإذا ذكر
 النار طار نومه رواه ابن أبي حاتم: وقوله (والشمس والقمر حسبانا) أى يحريان بحساب مقنن مقدرا لا يتغيرولا يضطرب
 بل لكل منهما منازل يسكنها فى الصيف والشتاء فيترب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً كما قال (هو الذى
 جعل الشمس شياء والقمر نوراً وقدره منازل) الآية وكما قال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
 وكل فى فلك يسبحون) وقال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (ذلك تقدير العزيز الحكيم) أى الجميع
 جار بتقدير العزيز الذى لا يعان ولا يخالف ، الحكيم بكل شئ فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ،
 (١) فى نسخة الأثر : اضطلع .

وكثيرا لما ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يحتم الكلام بالهزة والعلم كاذر في هذه الآية وكما في قوله (وآيتهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) والشمس تجري مسرورا لما ذكر ذلك تقدير العزيم (العلم) ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا) ذلك تقدير العزيم (العلم) وقوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) قال بعض السلف من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث قد أخطأ وكذب على الله سبحانه : أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر . وقوله (قد فصلنا الآيات) أي قد بيناها ووضحناها (لقوم يعلمون) أي يتقنون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل

(وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستمرة ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يعقنون) وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا فأخرجنا منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعتاب والريحون والريمان مشقة وغير متشبهه أنظروا إلى قدره إذا أثمر وتبينه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

يقول تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام ، كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله (مستمرة ومستودع) استقلوا في معنى ذلك فمن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وعطاء الخراساني وغيرهم (مستمرة) أي في الأرحام قالوا أو أكثرهم (ومستودع) أي في الأصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة لمستمرة في الدنيا ومستودع حيث يموت ، وقال سعيد بن جبير لمستمرة في الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت ، وقال الحسن البصري لمستمرة التي قد مات فاستقر به عمله . وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله تعالى (قد فصلنا الآيات لقوم يعقنون) أي يفهمون ويعتقدون كلام الله ومعناه ، وقوله تعالى (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي بقدر مباركا ورزقا لعباد وإحياء وغيانا للخلاقي رحمة من الله بخلقه فأخرجنا به نبات كل شيء كقوله (وجعلنا من اللآلئ كل شيء حيا) فأخرجنا منه خضرا أي زرعاً وشجراً أخضر ثم بعد ذلك خلق فيه الحب والتمر ولهذا قال تعالى (نخرج منه حبا متراكبا) أي يركب به صبيا كالسابل ونحوها (ومن النخل من طلعها قنوان) أي جمع قنوه وهي عذوق الرطب (دانية) أي قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس (قنوان دانية) يعني بالقنوان الدانية تصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير . قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيس يقول قنوان . قال امرؤ القيس :

فأنت أعاليه وآدنت أصوله * ومال قنوان من البير أحمر

قال وتيم يقولون قنوان بالياء قال وهي جمع قنوكا أن قنوان جمع صنو وقوله تعالى (وجنت من أعتاب) أي ونخرج منه جنت من أعتاب وهذا النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال (وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعتاب) وقوله تعالى (والريحون والريمان مشقة وغير متشابهة) قال قتادة وغيره متشابهة في الرق والشكل قريب بفسه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطعما وقوله تعالى (أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وإذا أمروهم) أي فضج قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي وقتادة وغيرهم أي فكروا في قدرة خالقه من المسمى إلى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنباً ورطباً وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من

أعقاب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض (الأكل) الآية ولهذا قال هاهنا (إن في ذلكم) أيها الناس (آيات) أي دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (قوم يؤمنون) أي يصدقون به ويعتقون رساله

(وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقْتَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ)

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به في عبادته أن عبدوا الجن فصولهم شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم . فان قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يبدون الأسماء ؟ فالجواب أنهم ماعبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إليهم بذلك كقولهم (إن يدعو من دونه إلا أنانا وإن يبدون إلا شيطاناً مريداً) . لئنه الله وقال لأخذن من عبادك نصيباً مفروضا . ولأضلنهم ولأمننهم ولأمرنهم فليتكذبن أذن الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يعلم ويعتبر وما يهدم الشيطان إلا غروراً) وكقولهم تعالى (أفتخذونه وذرته أولياء من دوني) الآية وقال إبراهيم عليه السلام (يا أبا عبد الله لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحم عسياً) وكقولهم (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) . وأن عبدوا هذا صراط مستقيم) وتقول للأنبياء يوم القيامة (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يبدون الجن أن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا قال تعالى (وجعلوا له شركاء الجن فخلقهم) أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده لا شريك له فكيف يبد مع غيره كقول إبراهيم (أعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) ومعنى الآية أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده ولهذا يجب أن يرد بالعبادة وحده لا شريك له وقوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) . بینه به تعالى على سبيل من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من فاله من اليهود في عزير ومن قال من النصاري في عيسى ومن قال من مشركي العرب في اللاتكة أنها بنات الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) ومعنى وخرقوا أي اختلقوا واتخذوا وغرسوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وخرقوا يعني غرسوا وقال الموفق عنه (وخرقوا له بنين وبنات) وقال مجاهد (وخرقوا له بنين وبنات) قال كذبوا وكذبوا وكذا قال الحسن وقال الضحاك وضمو وقال السدي قطعوا قال ابن جرير وتأويله إذا : وجعلوا له الجن شركاء في عبادتهم إليهم وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبعلمته فانه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يهرك في خلقه شريك ولهذا قال (سبحانه وتعالى عما يصفون) أي يقدس وتنزه وتعالى عما يصفه هؤلاء الجبهة الضالون من الأولاد والانداد والنظراء والشركاء

(يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

(يدبغ السموات والأرض) أي يبدعها وخالقها ومنشئها ومحدثها على غير مثال سبق كما قال مجاهد وألسدي ومنه سميت البدعة بدعة لانه لا نظير لها في السلف (أنى يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي الولد إنما يكون متولداً بين شيئين متساوين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لانه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً أبداً) إلى قوله (ولهم آية يوم القيامة فردا) (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) . فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَاعُودُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) لَا تَدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ الْغَاطِيطُ الْحَبِيرُ)

يقول تعالى (ذلك الله ربكم) أى الذى خلق كل شئ ولا ولد له ولا صاحبه (لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه) أى فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبه ولا نظير ولا عدل (وهو على كل شئ وكيل) أى خفيظ ورتيب يدبر كل ما سوله ويرزقهم ويكلمهم بالليل والنهار وقوله (لا تدركه الأبصار) فيه أقوال للأئمة من السلف (أحدها) لا تدركه فى الدنيا وإن كانت تراه فى الآخرة كما توارت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت فى الصحيح والسائد والسند كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب وفى رواية على الله فإن الله تعالى قال (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) رواه ابن أبي حاتم عن حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن أبى الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت فى الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه وخالفها ابن عباس فإنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والسلف تذكر فى أول سورة النجم إنشاء الله ، وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت إسماعيل بن عليهما يقول فى قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) قال هذا فى الدنيا ، وذكر أبى عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك ، وقال آخرون (لا تدركه الأبصار) أى جميعاً وهذا يخص بما ثبت من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة ، وقال آخرون من المترتبة بمقتضى ما فهموا من هذه الآية أنه لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة فخالقوا أهل السنة والجماعة فى ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب فنقله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال تعالى عن الكافرين (كلا لهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الإمام الشافعى فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى . أما السلف فقد توارت الأخبار عن أبى سعيد وأبى هريرة وأنس وجريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى العرصات وفى رياضات الجنات جلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين وقيل المراد بقوله (لا تدركه الأبصار) أى القول رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن القلاس عن ابن مهيدي عن أبى الحسين يحيى بن الحسين قارىء أهل مكة أنه قال ذلك وهذا غريب جداً وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد أن الإدراك فى معنى الرؤية والله أعلم

وقال آخرون لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفى الإدراك وأخص من الرؤية فإن الإدراك لا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء فى الإدراك للنفى ما هو قليل معرفة الحقيقة فإن هذا لا يسله إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله للثقل الأمل . قال ابن عليه فى الآية هذا فى الدنيا ورواه ابن أبي حاتم

وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كالأبصار من عدم الإحاطة العلم عدم العلم تعالى (ولا يحيطون به علماً) وفى صحيح مسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولا يلزم منه عدم الثناء فتكذلك هذا . قال الموفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال لا يحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط عن سالك عن عكرمة أنه قيل له (لا تدركه الأبصار) قال أأنت ترى السماء ؟ قال بلى قال فكيف ترى ؟ قال سعيد بن أبى عروب عن قتادة فى الآية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) هو أعظم من أن تدركه الأبصار

وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عرعرة عن عطاء الموفى فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وورد فى تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم هنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا معاذ بن الحارث السهمي حدثنا بشر بن عمار عن أبى دروق عن عطاء الموفى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال « لو أن الجن والإنس

والشياطين واللائكة منذ خلقوا إلى أن قنوا صفوا واحداً ما أحاطوا بالله أبداً « غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضاً والحاكم في مستدركه من حديث الحكم بن أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الآية فقال لي لا أم لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء ، وفي رواية لا يقوم له شيء ، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفي معنى هذا الأمر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه مرفوعاً « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل وعمل الليل قبل النهار حجاباً للنور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وفي الكتب للشمسة إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى إنه لا يرى حى إلا مات ولا يابس إلا تلهده أى تدمر وقال تعالى (فلما تجلى ربه لجليل جله دكا ونجر موسى صمقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) وفي هذا الأمر الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة بتجلي لمباده المؤمنين كما يشاء فأما جلالة وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتزه فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثبتت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فالله يفتنه الإدراك الذي هو بمعنى رؤية المظلة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا شيء وقوله (وهو يدرك الأبصار) أى محيط بها وملها على ما هي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى (ألا يعلم من خلقه هو اللطيف الخبير) وقد يكون عبر بالأبصار عن البصيرين كما قال السدي في قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) لا يراد به وهو يرى الخلاق وقال أبو العالية في قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) قال اللطيف لاستخراجها الخير بمكانها والله أعلم وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فبا وعظ به ابنه (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في سفرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها إن الله لطيف خبير)

(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَلَإِنَّا عَلَىكُمْ كَفِيفٌ * وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْأَكْثَرَ بِالْأَقَلِّ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ (فمن أبصر فلنفسه) كقوله (فمن اعتدى فإِنما يعتدى لنفسه ومن ضل فإِنما يضل عليها) ولهذا قال (ومن عمى فلنفسها) لما ذكر البصائر قال (ومن عمى فلنفسها) أى إنما يود وبالله عليه كقوله (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (وما أنا عليكم بحفيظ) أى بحافظ ولا رقيب بل إنما أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله (وكذلك نصرف الآيات) أى وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين ولقول الشركون والكافرون للكذبيون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقراءتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس وعجابه وسعيد بن جبير والشعك وغيرهم وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم (وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها) الآية وقال تعالى إخباراً عن زعيمهم (وإنه فكر وقدر ، قتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أمبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر) ، وقوله (ولنبينه لقوم يعلمون) أى ولنوضحه لقوم

يلعون الحق فيجمعونه والباطل فيجتنبونه قلله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقولهم تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) الآية وكقولهم (ليضل ما يليق الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين آمنوا ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين آمنوا الكتاب وللمؤمنون) ويقولون الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ۖ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) وقال تعالى (قل هو الله الذي لا يؤمنون في آياتهم وقر وهو عليهم حمى أولئك ينادون من مكان بعيد) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمؤمنين وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قال هاهنا (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دارست وثبتنيهم يقولون) وقرأ بعضهم (دوست) قال القيس عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن (وليتولوا درست) يقول تهاذمت وتأنعت وقال عبد الرزاق أيضاً أنبأنا ابن عيينة عن حمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبياناً يقرأون هاهنا دارست وأهنا هي درست وقال شعبة حدثنا أبو إسحق المحدثي قال هي في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير ألف يفسد السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومناه أنعت وتهاذمت أي أن هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديماً وتناولت مدحه وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قرأها درست أي قرأت وتعلمت وقال معمر عن قتادة درست قرأت وفي حرف ابن مسعود درس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هرون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يونس النبي ﷺ أنه قرأ وهذا غريب فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة حدثنا أحمد بن أبي بزة (١) للمكي حدثنا وهب بن زمة عن أبيه عن حيد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم (وليتولوا درست) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زمة وقال يعني يجرم السين ونصب التاء ثم قال وصحيح الإسناد ولم يخرجاه

(أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الشِّرْكِينَ ۖ وَتَوَشَّاهُ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْتَنكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) .

يقول تعالى آمراً لرسوله صلى الله عليه وسلم ولئن اتبع طرقتي (اتبع ما أوحى إليك من ربك) أي اقد به واقتف أثره واعمل به فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه لأنه لا إله إلا هو (وأعرض عن الشركين) أي أعف عنهم وأصفح واحتمل أذا هم حتى يفتح الله لك ونصرتك وينظرك عليهم واعلم أن فتحكم في إضلالهم فانه لو شاء لهدى الناس جميعاً ولو شاء لهم على الهدى (ولو شاء الله ما أشركوا) أي بل له الشبهة والحكمة فيها شأوه وخناره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى (وما جعلتك عليهم حفيظاً) أي حافظاً تحفظ أقوالهم وأفعالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي موكل على أراذلهم وأمورهم (إن عليك إلا البلاغ) كما قال تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بصيطر) وقال (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ وللؤمنين عن سب آلهم للشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة الشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) كما قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قالوا يا محمد فلتبين عن سب آلهم أو لتبينون ربكم فنهام الله أن يسبوا أولادهم (فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة كان للملوك يسبون أئمة الكفار فيسب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله (ولا يسبوا الذين يدعون من دون الله) وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه فلما نستحي أن نقتله بسب موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات فكلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابن خلف وعقبة بن أبي معيط وغمرو بن العاص والأسود بن البختري وبشوا رجلاً منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وأذى آلهم فنهج أن تدعوه فنهج عن ذكر آلهم ولندعه وإلهه فدعاه فجاهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما تريدون؟» قالوا نريد أن ندعنا وآلهم فندعك والهلك فقال النبي ﷺ «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أتم بمعطى كله إن تكلمتم بها ملككم بها العرب وداخت لكم بها الجعم وأدت لكم الخراج» قال أبو جهل وأبيك لتعطيتكمها وعشرة أمثالها قالوا فإيها؟ قال «قولوا لا إله إلا الله» فأبوا وبمازوا قال أبو طالب يا ابن أخي قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال «يا عم ما بالذي يقول غيرها حتى يأتيوا بالشمس فيضوها في يدي ولواتوا بالشمس فوضوها في يدي ما قلت غيرها» إرادة أن يؤسسه ففضبوا وقالوا لتكفن عن سب آلهم أولقتنك ونفتن من يأمرك فذلك قوله (فيسبوا الله عدواً بغير علم) ومن هذا القبيل وهو ترك الصلحة لمفسدة أرجح منها مجاهد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ملعون من سب والديه» قالوا يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه، قال «يسب أبا الرجل فيسب أمه ويسب أمه فيسب أمه» أوكا قال صلى الله عليه وسلم وقوله (كذلك زيناً لكل أمة عملهم) أي وكاينا لهؤلاء القوم حب أسمائهم والمهادنة لها والاتصاف كذلك زيناً لكل أمة أي من الأمم الحالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه وفيه الحجة البالغة والحكمة التامة فبا يشاؤه ويختاره (ثم إلى دبرهم مرجعهم) أي معادهم ومسيرهم (فيذهبهم بما كانوا يعملون) أي يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَتَى يَشِيعُرْكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَتَقَلَّبَ أَفْعَادُهُمْ وَأَبْصَرُكُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَكَّرُكُمْ فِي طُلُوعِهِمْ يَمْهَرُونَ﴾
يقول تعالى إخباراً عن الشركين أنهم أقسموا بالله جهداً بآيائهم أي حلفوا إيماناً مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي معجزة وخرق (ليؤمنن بها) أي ليعتدوها (قل إنما الآيات عند الله) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تمتنا وكفرا وعناداً لا على سبيل الهدى والاسترشاد إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا يا محمد نخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فاضجرت منه اثنتا عشرة عيناً ونخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ونخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتوا من الآيات حتى تصدقت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي شيء تحبون أن أتيتكم به» قالوا نجعل لنا الصفا ذهباً فقال لهم «فإن فعلت تصدقوني» قالوا نعم والله لئن فعلت لتبعنكم أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاهد جبريل عليه السلام فقال له ما شئت إن شئت أصبح الصفا ذهباً وإن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم، وإن شئت فأتكمهم حتى يتوبوا تائبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل يتوبوا تائبهم» فأنزل الله تعالى (وأقسموا بالله جهداً بآيائهم) إلى قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون)

وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر . وقال الله تعالى (وما منّا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية وقوله تعالى (وما يشرككم بها إذا جادت لا يؤمنون) قيل المخاطب بما يشرككم للشركون ، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريك بصدقكم في هذه الأيمان التي تحسمونها على هذا القترامة (أنها إذا جادت لا يؤمنون) بكسر إيماء على استئناف الخبر عنهم بنى الأيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها ، وقرأ بعضهم (أنها إذا جادت لا يؤمنون) بفتح اللام للثبات من فوق وقيل المخاطب بقوله وما يشرككم للؤمنون يقول وما يدريك أنها للؤمنون وعلى هذا فيجوز في قوله (أنها) الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشرككم وعلى هذا فتكون لا في قوله (أنها إذا جادت لا يؤمنون) صلة كقوله (ما منكم إلا تسجد إذ أمرتكم) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) أي ما منكم أن تسجد إذ أمرتكم وحرام أنهم لا يرجعون وهذا الآية وما يدريك أنها للؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم أنها إذا جاءت تسهم الآيات يؤمنون قال بعضهم أنها بمعنى لها قال ابن جرير وذكرنا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب قال وقد ذكر عن العرب مما انذهب إلى السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لك تشتري قال وقد قيل إن قول عدى ابن زيد الباعى من هذا : **أنا فلان ما يدريك أن منيتى • إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الله**

وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه من شواهد أشعار العرب والله أعلم . وقوله تعالى (وقلوب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لا جحد للشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله (وقلوب أفئدتهم وأبصارهم) وتحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال أخبر الله الباطل قائلون قبل أن يقولوه وحملهم قبل أن يسموه وقال (ولا يذكركم مثل خير) جل وعلا (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) إلى قوله (لو أن لى كرتاً كون من المستسئين) فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا على الهدى وقال (ولوردوا لعادوا ما نواخه وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (وقلوب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال ولو ردوا إلى الدنيا لحبل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وفي الدنيا وقوله (ونذرهم) أي تركهم (في ظنناهم) قال ابن عباس والسدى في كفرهم . وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة في ضلالهم (يسمهون) قال الأعمش يلبسون وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع وأبو مالك وغيره في كفرهم يترددون

(وَتَوَّأْنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْئِي وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ)

يقول تعالى ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين اتسموا بالله جهد إيمانهم لأن جاءتهم آية يؤمنون بها قلنا لم يبلغهم للملائكة خبرهم بالسؤال من الله تصديق الرسل كما سألوهم فقالوا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) وقالوا لن يؤمن لك حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) (وكلهم للوقي) أي فأخبرهم بصدق ما جاءتهم به الرسل (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) قرأ بعضهم قبلاً بكسر القاف وفتح الباء من القابلة والمأينة وقرأ آخرون بضمها قيل معناه من القابلة والمأينة أيضاً كما رواه ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلاً أي أوجاجاً قبلاً قبلاً أي تعرض عليهم كل أمية بعد أمية فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاءهم به (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) أي إن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو القائل لا يريد (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) لأنه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب العظيم)

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَفْسٍ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَعْتَبِرُوا مَا فَعَلُوا مَا كَانُوا مَفْعُولِينَ ﴾

يقول تعالى وكما جعلناك يا محمد أعداء فالنوك وباعدوك وباعدوك جعلنا السكل بني من قبلك أيضا أعداء فلا يخبرك ذلك كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبوا على ما كذبوا وأوذوا) الآية وقال تعالى (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك ذو مغفر وعقاب أليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ إنه لم يأت أحد بمثلي ما جئت به إلا عودي ، وقوله (شياطين الإنس والجن) يدل من (عدوا) أي لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يماضي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء فيجمعهم الله ولهم ، قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (شياطين الإنس والجن) قال من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض ، قال قتادة وبلغني أن أبا ذر كان يوما يصلي فقال النبي ﷺ « تمود يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن » فقال أو إن من الإنس شياطين فقال رسول الله ﷺ « نعم » وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر . وقد روى من وجه آخر عن أبي ذر رضى الله عنه ، قال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي عبد الله محمد بن أبيوب وغيره من الشيعة عن ابن خالد عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطلت فيه الجوس قال : فقال « يا أبا ذر هل صليت » قلت لا يا رسول الله قال « قم فاركع ركعتين » قال ثم جئت فجلست إليه فقال « يا أبا ذر هل تموتت بالله من شياطين الجن والإنس » قال قلت لا يا رسول الله وهل للانسان من شياطين ؟ قال « نعم ثم من شر شياطين الجن » وهذا أيضا فيه انقطاع ، وروى متصلا كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا السعدي أنبأني أبو عمر المشيقي عن حميد بن الحجاج^(١) عن أبي ذر قال أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال قممت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تموت بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال قلت يا رسول الله وللانسان شياطين ؟ قال « نعم » وذكر تمام الحديث بطوله وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث جعفر بن عون ويحيى بن عمار وعبد الله بن موسى ثلاثهم عن السعدي به .

(طريق أخرى عن أبي ذر) قال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا ذر هل تموتت بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال قلت يا رسول الله هل للانسان من شياطين ؟ قال « نعم »

(طريق أخرى للحديث) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا أبو التيرة حدثنا معاذ بن رفاع عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تموتت من شياطين الجن والإنس » قال يا رسول الله وهل للانسان شياطين ؟ قال « نعم » (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعضهم زخرف القول غرورا) « وقوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوله وصحته والله أعلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة (شياطين الإنس والجن) قال ليس في الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون إلى شياطين الجن ، قال وحدنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال للانسان شياطين والجن شياطين فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، وقال أسباط عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم إلى بعض)

أما شياطين الإنس فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن التي تضل الجن بلقيان يقول كل واحد منهما لصاحبه
إني أضلت صاحبي بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا فيطم بعضهم بشيء ، فقام ابن جرير من هذا أن الراد
بشياطين الإنس عند عكرمة والسدى الشياطين من الجن الذين يضلون الناس لا أن الراد منه شياطين الإنس منهم
ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة وأما كلام السدى فليس مثله في هذا الذي وهو محتمل وقد روي ابن أبي حاتم
نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم قال فلبقى
شياطين الإنس وشياطين الجن فيقول هذا لهذا أضله بكذا فهو قوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)
وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر إن للانس شياطين منهم وشيطان كل شيء مارد ولهذا جاء
في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « السكب الأسود شيطان » ومعناه والله أعلم شيطان في السكاب
وقال ابن جرير قال مجاهد في تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس
زخرف القول غرورا ، وروي ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمني وأثنى علي حتى كاد يشاهد
مبيق بالليل ، قال : فقال لي أخرج إلى الناس فحدثهم قال فخرجت فبدا رجل فقال : ما تقول في الوحي ، فقلت الوحي
وحيان قال الله تعالى (بما أوحينا إليك هذا القرآن) وقال تعالى (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض
زخرف القول غرورا) قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم : ما لكم ذلك إني مفتبك وضيفك تركوني ، وإنما
عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد قبيح الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أمته صفة تحت عبدالله
ابن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبدالله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه فقال صدق قال الله تعالى (وإن
الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي بعضهم إلى
بعض القول للذين الزخرف وهو اللزوق الذي يترسأسمه من الجهة بأمره (ولو شاء ربك ماضوا) أي وذلك كله
بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء (فندهم) أي فدعهم (وما يفترون)
أي يكذبون . أي مع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فإن الله كاليك وتامرك عليهم ، وقوله تعالى (ولقضى إليه) أي
ولقيل إليه . قاله ابن عباس (أكتله الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم : وقال السدى : قلوب
الكافرين (وليرضوه) أي يحبه ويريدوه ، وإنما يستجيبون لك من لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى (فلأنكم وما تبدون »
ما أتم عليه بناتين » إلا من هو مال الجحيم) وقال تعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وقوله
(وليفتروا ما هم مقترفون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليكتبوا ما هم مكتسبون وقال السدى وابن زيد
وليعملوا ما هم عاملون

﴿ أَفَنَدِرُ اللَّهَ أَتُبْنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ هَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَمْكُرُونَ أَنَّهُ
مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يبدون غيره (أفتر الله أبنى حكا) أي بيني وبينكم
(وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) أي مبينا (والذين آتيناهم الكتاب) أي من اليهود والنصارى يعلمون
أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء للتقدمين (فلا تكونون من المترين) كقوله
(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من
المترين) وهذا شرط والشرط لا يقتضى وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أشك ولا أسأل »
وقوله تعالى (وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) قال قتادة صدقا قبا قال وعدلا فبا حكم يقول صدقا في الأخبار

وعذلا في الطلب فكل ما أخبر به فحق لآخرة فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو السبل الذي لاعدل سواء وكل ما نهى عنه قباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى (يأمرم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) إلى آخر الآية (لا تبدل لسكيات) أى ليس أحد يقبب حكمه تعالى لافى الدنيا ولا فى الآخرة (وهو المسيح) لأقوال عبادته (العلم) بحركاتهم وسكناتهم الذى يجازى كل عامل بمسئله

﴿ وَإِنْ تَطَلَّعْ أَمَّا كَثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾
إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿

غير تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من جى آدم أنه الضلال كما قال تعالى (وقد ضل قبلهم أكثر الأولين) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهم فى ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم فى ظنون كاذبة وحسبان باطل (إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرسون) فإن الخرس هو الحذر ومنه خرس النخل وهو حذر ما عليه من الثمر وذلك كله عن قدر الله ومشيقته (هو أعلم من يضل عن سبيله) فيفسره ذلك (وهو أعلم بالمهتدين) فيفسرهم ذلك وكل ميسر لما خلقه

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ هُوَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

هذا إباحة من الله لعباده للمؤمنين أن يأكلوا من الباطن ما ذكر عليه اسمه ومفهومه أنه لإباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستحيه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على الأصنام وغيرها ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) وقد فصل لكم ما حرم عليكم (أى قدين لكم ما حرم عليكم) ووضحه وقرأ بضم فصل بالتشديد وقرأ آخرون بالتنجيف والكل بمعنى البيان والوضوح (إلا ما اضطررتم إليه) أى إلى حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين فى آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم باعتدائهم وكذبهم واقتنائهم

﴿ وَذَرُوا ظِلَ الْإِثْمِ وَالْإِثْمِ وَابْتَغُوا إِلَيْنِ الْيُسْرَى وَيَصْلَحْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ﴾

قال مجاهد (وذرُوا ظاهر الإثم وابتغوا فى السر والعلاية وفى رواية عنه هو ما ينهى عما هو عامل وقال قتادة (وذرُوا ظاهر الإثم وابتغوا فى السر) أى سره وعلايته قلبه وكثيره ، وقال السدى : ظاهره الزنا مع البنايا ذوات الاريات وابتغوا الزنا مع الحلية والصدائق والأعدان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح أن الآية عامة فى ذلك كله وهى كقولته تعالى (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الآية ولهذا قال تعالى (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى سواء كان ظاهرا أو خفيا فإن الله سيجزىهم عليه قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن ابن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن التماس بن صمان قال سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال « الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه »

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْءِ وَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا حَتَّى تَسْأَلَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ سَاءَ مَا يَحْكُمُ الْقُلُوبُ وَاللَّهُ عَظِيمٌ الْفَاسِقِينَ يُؤَخِّرُونَ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ لِيُجْزَوْا لَهُمْ مَا كَانُوا يُعْذِرُونَ ﴾

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَتَشْرِكُونَ

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الديعة لا تُلحق إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الداعي مسلماً ، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ، فمنهم من قال لا تُلحق هذه الديعة بهذه الصفة وسواء متركلة التسمية عمداً أو سهواً وهو مروى عن ابن عمر ونافع مولاة وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها جماعة من أصحابنا للتقدمين وللتأخرين وهو اختيار أبي ثور ودواد الظاهري واختار ذلك أبو الفتح محمد بن محمد بن الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين واحتجوا للمذهب بهذا بهذه الآية ويقولون في الصلابة (فكلوا مما أمسكن عليكم وإذا كرر اسم الله عليه) ثم قد أكد في هذه الآية بقوله (وإنه لفسق) والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الداعي لغير الله وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الديعة والصلابة كحديثي عدي بن حاتم وأبي قطبة « إذا أرسلت كلبك للسلم فذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » وما في الصحيحين ، وحديث رافع بن خديج « ما أنهر الله من ذكر اسم الله عليه فكلوه » وهو في الصحيحين أيضاً وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه » رواه مسلم ، وحديث جندب بن صفوان البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذبح قبل أن يصل فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى يصل فليذبح باسم الله » أخرجه وعن عائشة رضي الله عنها أن ناساً قالوا يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باسم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ قال « سموا عليه آثم وكفوا » قالت وكانوا حديث عهد بالكفر روماً بالبخرى ، ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحسن إسلامهم فأمرهم بالاحتياط والتسمية عند الأكل لتكون الموضع عن التلويح عند الداعي إن لم تكن وجدت وأمرهم بجاهر أحكام المسلمين على السداد والمأثم وللذهب الثاني في المسألة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستترة فإن تركت عمداً أو نسياناً لا يضر وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الإمام مالك ونس على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكى عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والشافعي . وحمل الشافعي الآية الكريمة (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) على ما ذبح لغير الله تعالى (أو فسقاً أهل لغير الله) وقال ابن جريج عن عطاء (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال يني عن ذبائح كانت تدبحها قريش للأوثان ويهيئ من ذبائح الجبوس وهذا للسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوى وقد حاول بعض المتأخرين أن يقولوا بأن جعل الواو في قوله (وإنه لفسق) حالية أي : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون قد أكله لغير الله . ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لأنه يلزم منعطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا يقتضيه عليه بقوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) فإنها عاطفة لاحالة فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قل من أنه والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن التيرة أن أبا نجر عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال هي للتي . ثم رواه عن أبي ذرعة عن يحيى بن أبي كثير عن ابن جهم عن عطاء وهو ابن السائب ، وقد استدل لهذا الذهب بما رواه أبو داود في الترغيب من حديث ثور بن زيد عن الصلت السدوسي مولى سويد بن ميمون أحد التابعين الذين ذكروهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال : قال رسول الله ﷺ « ذبيحة السلم حلال ذكرا سم الله أولم يذكر إن ذكراً لم يذكر إلا اسم الله » وهذا ما رواه جندب بن عمرو عن أبي هريرة عن ابن عباس أنه قال « إذا ذبح السلم ولم يذكر اسم الله فليأكل كل إنسان السلم فيما سم من أسماء الله » واحتج البيهقي أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها للتقدم أن ناساً قالوا يا رسول الله إن قوماً حديثي عهد بجاهلية يأتوننا باسم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال « سموا آثم وكفوا » قال : فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرخص لهم إلا مع تحققها والله أعلم

للذهب الثالث في المسئلة إن ترك البسطة على الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمدا لم يحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحق بن راهويه وهو يحكي عن علي بن أبي عيسى وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وريصة بن أبي عبد الرحمن ونقل الإمام أبو الحسن الرضائي في كتابه الهداية الإجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمدا فلهذا قال أبو يوسف والشافعي لو حكم حاكم بجواز يسهل لم ينفذ مخالفة الإجماع ، وهذا الذي قاله غريب جدا وقد تقدم هذا الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبيحة الناس قد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك يعني مارواه الحافظ أبو بكر البهيقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « السلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمى حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله » وهذا الحديث رفته خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزيري فإنه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحيدري ورواه عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزاد في إسناده أبا الشعثاء ورواه هذا أصح ، نص عليه البهيقي وغيره من الحفاظ ثم قال ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم إلا أن من قاعدتنا ابن جرير أنه لا يثبت قول الواحد ولا الاثنين مخالفا لقول الجمهور فيمده إجماعا فليعلم هذا والله الموافق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جابر بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل أن يثبت بطريقك فإنه ما قد بلغ فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله ، قال وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله (ولا تأكلوا مما يذكر اسم الله عليه) واحتج لهذا الذهب بالحديث للروى من طريق عدي بن ماجه عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن أمي الخبط والنسيان وما استكروها عليه » وفيه نظر والله أعلم ، وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقياني عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جابر رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أريت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى ، فقال النبي ﷺ « اسم الله على كل مسلم » ولكن هذا إسناده ضعيف فإن مروان بن سالم القرقياني أبا عبد الله الشامي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم ، وقد أفردت هذه المسئلة على حدة وذكرنا مذاهب الأئمة وما عدهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات والله أعلم

قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذا الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيته به ، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصري قال : قال الله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) وقال (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) ففسخ واستثنى من ذلك فقال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعام كل لهم) وقال ابن أبي حاتم قرأ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شبيب أخبرني الثمان يعني ابن للندن عن مكحول قال أنزل الله في القرآن (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ففسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب . ثم قال ابن جرير والصواب أنه لا تضام بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ، وهذا الذي قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبي إسحق قال : قال رجل لابن عمر إن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال صدق وتلاه هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال كنت قاعدا

عند ابن عباس وجح المختار بن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو إسحق أنه أوحى إليه البلية فقال ابن عباس صدق ، ففترت وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحى الله وحى الشيطان فوحى الله إلى محمد ﷺ وحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقد فهم عن عكرمة في قوله (يوحى بعض إلى بعض زخرف القول غرورا) نحو هذا وقوله (ليجادلوك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال خاضعت اليهود التي ﷺ قتلوا ناكل مما قتلنا ولا ناكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) هكذا رواه مرسلًا ورواه أبو داود متصلًا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ناكل مما قتلنا ونولا ناكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة به . ورواه البزار عن محمد بن موسى الجرسى عن عمران بن عيينة به وهذه فيه نظر من وجوه ثلاثة (أحدها) أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا (الثاني) أن الآية من تأنيدهم مكية (الثالث) أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الجرسى عن زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه الترمذي لفظ أبي ناس النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكره وقال حسن غريب وروى عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الطبراني حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال نالزت (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا وقلولاه فما تدع أنت بينك بسكين فهو حلال وما تدع الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام فترزت هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك وإن أمضوهم إنكم لشركون) أي وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش ، وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أتم فكلوه فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم عن عمرو ابن عبد الله عن وكيع عن إسرائيل به وهذا إسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يجيئون للميتة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) إلى قوله (ليجادلوك) قال يوحى الشياطين إلى أوليائهم تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ؟ وفي بعض النسخة عن ابن عباس أن الذي قتلتم ذكر اسم الله عليه وأن الذي قدمتم لم يذكر اسم الله عليه ، وقال ابن جرير قال عمرو بن دينار عن عكرمة إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الزوم وكانتهم فارس فسكتت فارس إليهم إن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يبيعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه فكذب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله ﷺ فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله (وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك وإن أمضوهم إنكم لشركون) ونزلت (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقال السدي في تفسير هذه الآية إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله فما قتل الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أتم تأكلوه فقال الله تعالى (وإن أمضوهم) في أكل الميتة (إنكم لشركون) وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف وقوله تعالى (وإن أمضوهم إنكم لشركون) أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعنا إلى قول غيره قد علمت عليه غيرهم فانهوهم الشرك كقوله تعالى (اتخذوا أجيالهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم قال قال يا رسول الله ما عبادهم فقال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأتوهم فذلك عبادتهم إليهم »

استكبروا لولا أتم لكننا مؤمنين » قال الذين استكبروا للذين استسفوا آمين سددتكم عن الهدى بعد إجماعكم بل كنتم مجرمين » وقال الذين استسفوا للذين استكبروا بل مكر الليل وإتهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل أننادنا الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى (وما يكرهون إلا بأفئسهم وما يشعرون) أي وما يهود وبالك مكرهم ذلك وإضلالهم من أساوه إلا أنهم كآلهم (وليعلمن أنهم مع الله) وقال (ومن أوزار الذين يتلونهم غير علم الأساء ما يزرون) . وقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى تأتي مثل ما أوتي رسل الله) أي إذا جاءتهم آية وبرهان حجة قاطعة قالوا (لن يؤمن حتى تأتي مثل ما أوتي رسل الله) أي حتى تأتينا للامسكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا اللامسة أو نرى ربنا) الآية ، وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أم يسمون رحمة ربك) الآية ، يتنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كيرجليل مبعول من القريتين (من القريتين) أي من مكة والطائف وذلك أنهم فقههم الله كانوا يزددون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بشيا وعددا ، وعدادا واستكبارا كقوله تعالى عجزا عنه (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ، أهذا الذي يذكر آياتكم) وهم يذكرون الرحمن هم كفرون) وقال تعالى (وإذا رآوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يثأر لرسول) وقال تعالى (ولقد استهزئ برسل من قبلك ففكاه بالذين سفروا منهم ما كانوا يستهزئون) هذا وهم متفرون بفضله وشرقه ونسبه ، وطهارة بيته ومبراه ، ومشتبه صلى الله عليه وسلم بالذين كفروا ، حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه « الأمين » وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبوسفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسب فيكم ؟ قال هوينا ذنوبنا ، قال هل كنتم تنهون بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا - الحديث بطوله الذي استندل به الملك الروم بظهور صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي عن شداد بن أبي حمزة عن ابن الأشعث رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » أقرده بأخراجه مسلم من حديث الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بشت من خير قرون بني آدم قرنا قرنا حتى بشت من القرن الذي كنت فيه » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن الطيب بن أبي وداعة قال : قال العباس بن علي بن عبد الله بن عباس ما يقول الناس فصدد القبر فقال « من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله ، فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقته وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خير بيت ، فأنا خيركم وبيتا خيركم نفسا » صدق صلوات الله وسلامه عليه . وفي الحديث أيضا الروي عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقتها ومغارها فلم أجده أحسن من بني هاشم » روى الحاكم والبيهقي . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا حاتم عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب المباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب المباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالة ثم نظر في قلوب القباد فوجد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب المباد فاصطفاه وزراء نبيه يتأولون على دينه . فما رآه للسلون حسنا فهو عند الله حسنا وما رآه للسلون سيئا فهو عند الله سيئا . وقال أحمد حدثنا شجاع بن الوليد قال ذكر قابوس بن أي غيلان عن أبيه عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي أن يفتنى فتضارق دينك » قلت يا رسول الله كيف ابتشك وبك هذان الله ؟ قال « بعض العرب فتبشني » وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجوازي حدثنا سفيان عن أبي

حسين قال أبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد) الآية هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والاشهاد لهم فيما جاءوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الله المأمرة كما أنهم استكبروا فأعقبتهم ذلك ذل يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) لما كان للكفر ظاهرا إنما يكون خفيا وهو التلطف في التحيل والحديفة قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وظافا (ولا يظلم ربك أحدا) كما قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر للسترات وللكنونات والظواهر وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان» والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يبلغ عليه الناس في يوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَغْضُصْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصَدُّ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَحْجِلُ اللَّهُ الرُّجُصَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

يقول تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أي ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على تخيير كقوله تعالى (أئن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تعالى (ولكن اللهيب إليكم الإيذان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس ؟ قال «أكثرم ذكر الموت وأكثرم لما بعده استمدا» قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا كيف يشرح صدره يارسل الله ؟ قال «نور يثقف فيه فينشرح له وينفسح» قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها ؟ قال «والإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الضرر والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن للدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) فذكر نحو ما تقدم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قال رسول الله ﷺ «إذا دخل الإيمان القلب انفتح له القلب وانشرح» قالوا يارسل الله هل ذلك من أمانة ؟ قال «نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الضرر والاستعداد للموت قبل الموت» وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري حدثنا الشمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر فذكره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خاله الأعمش عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا يارسل الله ما هذا التشرح ؟ قال «نور يثقف به في القلب» قالوا يارسل الله فهل لذلك من أمانة تعرف ؟ قال «نعم» قالوا وما هي قال «الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الضرر والاستعداد للموت قبل الموت»

وقال ابن جرير أيضا حدثني هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد بن مسلم عن أبي عبد الرحمن

عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل النور القلب انفتح وانشرح » قالوا فهل لك من علامة يعرف بها ؟ قال « الأمانة إلى دار الخلود والتسبيح عن دار الضرور والاستعداد للوثة قبل لقاء اللوت » وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال حدثني ابن مسعود التراز حدثنا محبوب بن الحسن الماشي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره ؟ قال « يدخل فيه النور فينفسح » قالوا وهل لك علامة يارسل الله ؟ قال « التجاني عن دار الضرور والأمانة إلى دار الخلود والاستعداد للوثة قبل أن ينزل اللوت » فهذه طرق لهذا الحديث مرسة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم

وقوله تعالى (ومن يرد أن ينه يجل صدره ضيقا حرجا) قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء والأكثرون ضيقا بتشديد الياء وكسرها وهما لغتان كبرن وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر الراء قيل معنى آثم قاله السدي وقيل بمعنى القراءة الأخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا ينحس إليه شيء ما ينفع من الإيمان ولا ينفع فيه . وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدج عن الحرجة فقال هي الشجرة تكون بين الأعرج لا تصل إليها راحية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافقين لا يصل إليه شيء من الخير . وقال الموفى عن ابن عباس يجعل الله عليه الإسلام ضيقا والإسلام واسع وذلك حين يقول (وما جعل عليكم في الدين من حرج) بقولنا جعل عليكم في الإسلام من شق وقال مجاهد والسدي ضيقا حرجا غاكا وقال عطاء الخراباني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كائنا يصدق السباء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد فيه مسلكا إلا مسدا وقال السدي (كائنا يصدق في السباء) من ضيق صدره

وقال عطاء الخراباني (كائنا يصدق في السباء) يقول مثله كئل الذي لا يستطيع أن يصدق إلى السباء وقال الحنبل ابن أبيان عن عكرمة عن ابن عباس (كائنا يصدق في السباء) يقول فسكا لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السباء فسلكك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله قلبه وقال الأوزاعي (كائنا يصدق في السباء) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه من وصول الإيمان إليه يقول فمته في امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء ويمجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته ، وقال في قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله عن أبي الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصد عنه سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الرجس الشيطان وقال مجاهد : الرجس كل ما لا يعرفه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس العذاب

﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ قَرِيبٌ ﴾
﴿ بِمَا كَانُوا يَسْكُونُ ﴾

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما) منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله للمستقيم كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن : هو صراط الله للمستقيم وجعل الله للتبين وهو الذكر الحكيم رواه أحمد والترمذي بطوله (قد فصلنا الآيات) أي ونضحناها وبينناها وفسرناها (قوم يذكرون) أي لمن له فهم ووعي يتقن الله ورسوله (لهم دار السلام) وهي الجنة (عند ربهم) أي يوم القيامة وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيها سلكوه من الصراط المستقيم التقني أثر الأنبياء وطرائقهم فسكا

سلموا من آفات الاعوجاج أقضوا إلى دار السلام (وهو وليهم) أي (خلفائهم وناسرهم ومؤيديهم) بما كانوا يضلون
أي جزاء على أعمالهم السالفة تولايم وأتاهم الجنة بته وكرمه

﴿ وَيَوْمَ يَبْشِرُهُمُ جَمِيعًا يُبَشِّرُ آلِهَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمُ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَحَ
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾
يقول تعالى (و) اذكر يا محمد فيها قصه عليهم وتقدمهم (يوم يحشرهم جميعا) يعني الجن وأولياءهم من الانس الذين
كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطلبونهم ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا (يا مبشر الجن
قد استكبرتم من الانس) أي يقول يا مبشر الجن وسياتي الكلام يدل على المخلوق ومعنى قوله (قد استكبرتم
من الانس) أي من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى (لم أعبد اليك يا بني آدم الا تعبد الشيطان إنه لك عدو مبين *
وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * وقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وقال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس (يا مبشر الجن قد استكبرتم من الانس) يعني أضلقت منهم كثيرا وكذا قال مجاهد والحسن وقادة (وقال
أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعني أن أولياء الجن من الانس قالوا جيبين لله تعالى عن ذلك بهذا . قال
ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الأشهب هوف بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن بن علي بن فضال قال استكبرتم من أهل
النار يوم القيامة فقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ، قال الحسن وما كان استمتاع بعضهم ببعض
إلا أن الجن أمرت وعملت الانس . وقال محمد بن كعب في قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال الصحابة في الدنيا .
وقال ابن جرير كان الرجل في الجاهلية يزل الأرض فيقول أهوذا بكبير هذا الوادي . فذلك استمتاعهم فاعتدروا بيوم
القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم لإمام في استئذانهم بهم فيقولون
قد سدا الانس والجن (ولمنا أجلنا الذي أجلت لنا) قال السدي يعني النار مثواكم (أي أمداؤكم ومنزلكم
أتم وإياهم وأولياؤكم (خالفين فيها) أي ما كثر فيها مكانا خلدا إماما شاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستئذان إلى البرزخ
وقال بعضهم هذا رد إلى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تحريرها عند قوله تعالى في سورة هود
(خالفين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم
في تفسيره هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم عن أبي طلحة
عن ابن عباس قال (النار مثواكم خالفين فيها) إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال إن هذه الآية لا ينبغي لأحد أن
يحكم على الله في خلقه ولا يفرق جنة ولا نارا

﴿ وَكَذَلِكَ نُولَىٰ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

قال سعيد عن قتادة في تفسيره إنا يولى الله الناس بأعمالهم فالؤمن إلى المؤمنين أين كان وحيث كان والكافر
إلى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالثقة ولا بالتقوى واختاره ابن جرير ، وقال معمر عن قتادة في تفسير
الآية نولى الله بعض الظالمين بعضا في النار يتبع بعضهم بعضا . وقال مالك بن دينار قرأت في الزبوراني أقيم من
الناهين بالناهين ثم انتهم من الناهين جميعا وذلك في كتاب الله قوله الله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا)
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ
(ومن يمشى عن ذكر الرحمن فيضن له شيطاناً فهو له قرين) قال ولساط ظلة الجن على ظلة الانس وقد روى الحفاظ ابن
عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر
عن ابن مسعود مرفوعا « من أتان ظالما ظله الله عليه » وهذا حديث غريب وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيلى بظلم

(١) في النسخين الأميرية والأزهرية أي والسلام وهو الله وليهم أي حافظهم الخ .

ومعنى الآية الكرعة كالينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك فعل الظالمين
نسلط بعضهم على بعض وتهلك بعضهم بعض وتنقسم من بعضهم بضع جزء على ملتهم وبهم

﴿يَمَسُّرُ الْعَيْنُ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

وهذا أيضا مما يقرع الله به كافر الجن والإنس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالته
وهذا استفهام تحرير (يامسر الجن والإنس ألبأسكم رسل منكم) أي من جعلكم والرسل من الإنس فقط وليس
من الجن رسل كما قد نسي على ذلك مجاهد وابن جرير وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس الرسل من
بنى آدم ومن الجن نزر. وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكرعة
وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصرحة وهي والله أعلم كقولهم (مرج البحرين يلتقيان) بينهما برزخ لا يبغيان *
فبأي آلاء ربكما تكذبان (إلى أن قال) (يخرج منها الذلّ والرجان) ومعلوم أن الذلّ والرجان إنما يستخرجان من
اللع لامن الحلو^(١) وهذا واضح وفيه الحمد وقد ذكر هذا الجواب بينه ابن جرير، والذليل على أن الرسل إنما هم من
الإنس قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين من بعده - إلى قوله - رسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله تعالى عن إبراهيم (وجعلنا في ذرية النوبة والكتاب) فصر النوبة
والكتاب بعد إبراهيم في ذرية ولم يقل أحد من الناس إن النوبة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم اعطيت عنهم
بيته وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من الرسلين إلا أنهم ليا يكون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال (وما أرسلنا
من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) ومعلوم أن الجن تبع للناس في هذا الباب ولهذا قال تعالى إخباراً
عنهم (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين *
قالوا يا قومنا إنا مصنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصبوا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا آجيبوا
داعي الله وآمنوا به ينفع لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب ألم * ومن لا يعب داعي الله فليس يحسن في الأرض
وليس له من دونه أولياء، أولئك في ضلال مبين) وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقال
تعالى في هذه الآية الكرعة (يامسر الجن والإنس ألبأسكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) أي أقرنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتكم وأنذرونا لقاءكم وأن هذا اليوم كان لأصالة
وقال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل وعما لهم للمعجزات لما
اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها (وشهدوا على أنفسهم) أي يوم القيامة (أنهم كانوا كافرين) أي في
الدنيا بما جادتهم بالرسول صلوات الله وسلامه عليهم

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهَيِّئًا الْقُرْآنَ بَظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ * وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَّا حِيلُوا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا يَصْهَوْنَ﴾

يقول تعالى (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أي إنما أعزنا إلى التلدين بإرسال الرسل وإزالة
الكتب لئلا يؤخذ أحد بظلمه وهو لم يلقه دعوة ولكن أعزنا إلى الأمم وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل
إليهم كما قال تعالى (وإن من قرية إلا خلا فيها نذير) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطغوت) كقولهم (وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (كلا ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم
يأتواكم بالبينات) ثم ثبت أن بعض الأنهار الحلو لاء قد لم يصر منها الأول.

يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا (والآيات في هذا كثيرة قال الإمام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى (ينظروا) وجهين (أحدهما) ذلك من أجل أنكم لم يكن ربكم مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون يقول لم يكن يماجلهم بالعقوبة حتى يمشى إليهم رسولا بينهم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالله يؤاخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشر ولا نذير (والوجه الثاني) (ذلك أن لم يكن ربكم مهلك القرى بظلم) يقول لم يكن ربكم لهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظالم لبيده ثم شرع يرجع الوجه الأول ولأنك أنه أقوى والله أعلم .

قال وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) أى ولكل حامل من طاعة الله أو مبصيته مراتب ومنازل من عمله يلائمه الله بإها وقيس به إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قلت) ويحتمل أن يعود قوله (ولكل درجات مما عملوا) أى من كافرى الجن والانس أى ولكل درجة في النار بحسبه كقوله (قال لكل ضعف) وقوله (الذين كفروا) وصدا عن سبيل الله زنادهم عذابا أليقا المذاب بما كانوا يفسدون (وما ربك بظالم عما يملكون) قال ابن جرير أى وكل ذلك من عملهم بإعبد بعلم ربك يحسبها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَدَلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ • إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَا تَنْتَهِى عَنْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ فَمَنْ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عُقُوبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

يقول تعالى (وربك) بإعبد (الغفور) أى من جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم (ذو الرحمة) أى وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (إن يمشأ يذهبكم) أى إذا خالفتم أمره (ويستخلف من بديكم ما يشاء) أى قوما آخرين أى يملكون بطاعته (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى هو قادر على ذلك سهل عليه يسر لديه كما أذهب القرون الأولى وآتى بالى بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والباقيين الآخرين كما قال تعالى (إن يمشأ يذهبكم أيها الناس ويأت الآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الغني) (إن يمشأ يذهبكم ويأت خلقا جديدا وما ذلك على الله بعزيز)

وقال تعالى (والله الذى وأتم الفقراء وإن تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال محمد بن إسحق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبا بن عثمان يقول في هذه الآية (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) البدية الأصل والبدية النسل وقوله تعالى (إنما توعدون لآت وما أنتم بمحجزين) أى أخبرهم بإعبد أن الذى يوعدون به من أمر للمعاد كان لا محالة (وما أنتم بمحجزين) أى ولا تجزئون الله بل هو قادر على إعادتهم وإن صرتم ترابا وفاتا وغظاما هو قادر لا يسجزه شيء ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصفي حدثنا محمد بن حمير عن أبي بكر ابن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يا بني آدم إن كنتم تعلمون صدوا أنفسكم من الوفاء والذى نفسى بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمحجزين »

وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكاتبتكم إلى عامل فسوف تعلمون) هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أى استمروا على طريقكم وتاجتكم إن كنتم تعلمون أنكم على هدى فأنا مستمر على طريقى ومنهجى كقوله (وقال للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم إلى عاملين وانظروا إلى ما تنتظرون) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (على مكاتبتكم) ناحيتكم (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) أى أن تكون لى أولكم وقد أجزأ له موعدة لرسوله صلوات الله عليه أى فانه تعالى يمكنه في البلاد وحكمه في نواحي عتاقه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وتلاؤه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم

فتمت الأمصار والأقاليم والرسائق بسد وفاته في أيام خلفائه رضى الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال (إنا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معصرتهم ولهم لعنة سوء العذاب) وقال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقال تعالى إخبارا عن رسوله (فأوحى إليهم ربهم لتهلكن الظالمين ولتستكنن الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخياف وعبذ) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفن في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكئن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يبدؤني لا يشركون بي شيئا) الآية وقد فصل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية وله الحمد ولله أولا وآخر وأظها وأباطنا

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ عِماً ذُرّاً مِنْ الْحُرثِ وَالْأَنْهَمُ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْهَمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

هذا ثم وتوبيخ من الله للشركيين الذين ابتدعوا بدعاً وكفروا وشركوا وجعلوا لله شركاء جزءاً من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله عماً ذُرّاً أي ما خلق وبراً (من الحرث) أي من الزرع والثمار (والأنعام نصيباً) أي جزءاً) وقالوا هذا لله برهمهم وهذا لشركائنا (وقوله (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) قال طي بن أبي طلحة والموفق عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءاً وللوث جزءاً فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه وإن سقط منه شيء فبا سمي للصد ردوه إلى ما جعلوه للوث وإن سبغهم للآل الذي جعلوه للوث فسق شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للوث وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه للآل فاحتلظ بالذي جعلوه للوث قالوا هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه له وإن سبغهم للآل الذي جعلوه له فسق ما سمي للوث تركوه للوث وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للأوثان ويضعون أنهم يحرمونه قرية لله فقال الله تعالى (وجعلوا لله عماً ذُرّاً من الحرث والأنعام نصيباً) الآية وهكذا قال مجاهد وقادة والسدي وغير واحد ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكر واسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ (ساء ما يحكمون) أي ساء ما يسمون بأنهم أخطأوا أو لا في القسم لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالفه وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فبا زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقولهم جبل وعلا (ويجعلون لله النبات سبحانه ولهم ما يشنون) وقال تعالى (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين) وقال تعالى (ألم الذكر وله الأنثى) وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى)

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِئَلاَّ يَمُرُّوا عَلَيْهِمْ وَلِيَبْلِسُوا عَلَيْهِمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَتَنَهُ قَدَرُهُمْ وَمَتَا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله عماً ذُرّاً من الحرث والأنعام نصيباً كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق وواد النبات خشية النار ، قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد شركائهم شياطينهم يأمرهم أن يبدوا أولادهم خشية العلة وقال السدي أمرتهم الشياطين أن يقتلوا النبات إما ليردوهم فيهلكهم ، وإما ليلبسوا عليهم دينهم أي يخلطوا عليهم دينهم ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقادة وهذا كقولهم تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً

وهو كظم . يتواري من القوم من سوء ما يشرب به) الآية وكقولوه (وإذ اللوءدة سئلت بأي ذنب قتلت) وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الاملاق وهو الفقر أو خشية الاملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزوين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى (ولوعاء الله صواؤه) أي كل هذا واقع بعشيتة تعالى وإرادته واختياره لذلك كونه له الحكمة التامة في ذلك فلا يستل هما بفعل وهم يستلون (فنذرهم وما يشفرون) أي نذرهموا اجتنبهم وما هم فيه فيسبحك الله بينك وبينهم

(وَقَالُوا هَذِهِ أَمْهٌ وَحَرِّثَ جِبْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَفَسَ بِرُغْمِهِمْ وَأَنْتُمْ حُرِّمْتُمْ ظُهُورُهَا وَأَنْتُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَمْهٌ اللَّهُ عَلَيْهَا أَفَرَأَيْتُمْ عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ)

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرّموا من الوصيلة وتحريم ما حرّموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال قتادة (وقالوا هذا أنعام وحرت حجر) تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتقليظوا تشديد لم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم (حجر) إغاثا حجبوها لأنهم ، وقال السدي (لا يطعمها إلا من نفاه برغمهم) يقولون حرام أن يطعم إلا من نفاه وهذا الآية الكريمة كقوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) وكقوله تعالى (ما جعل الله من بغيه ولا سائبة ولا وصية ولا حام ولكن الذين كفروا يفتنون على الله الكذب وأكثروا لا يفتنون) وقال السدي أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لإذاولدها ولا إن نحرها . وقال أبو بكر بن عباس عن عاصم بن أبي النجود قال لي أبو وائل أتدري ما في قوله (وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ؟) قلت لا قال هي البجيرة كانوا لا يصحون عليها ، وقال مجاهد كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها إلا أن ركبوها ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن تنجوا ولا إن عملت شيئا (افتراء عليه) أي على الله وكذبنا منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم (سيجزيهما بما كانوا يفتنون) أي عليه ويستندون إليه

(وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَنَحَرُهُمْ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَةٌ فَنَهْمٌ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ وَصَفَّهْمُ اللَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)

قال أبو إسحق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) الآية قال ابن قال ابن قال العوفي عن ابن عباس (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) فهو اللبن كانوا يحرمونه على أناتهم وضربه ذكرائهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكر ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تندع وإن كانت ميتة ففيه شر كراهه فنهى الله عن ذلك وكذا قال السدي وقال الضمي البجيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد في قوله (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ونحرمهم على أزواجنا) قال هي السائبة والبجيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقادة في قول الله (سيجزيهما وصفهم) أي قولهم الكذب في ذلك يعني كقوله تعالى (ولا تحملوا ما بلغ حرامكم) الآية إنه الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفترون على الله الكذب إن الذين يفتنون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية إنه (حكيم) أي في أمثاله وأمواله وشرعه وقدره (عليم) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهما عليها ثم الجزاء

(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا)

وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ ﴿

يقول تعالى قد خسر الدين ضلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فضرروا أولادهم بقتلهم وشيقوا عليهم في أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكلهم على الله وإقرارهم بكفوله تعالى (إن الدين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) «متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون» وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بصير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين وللمائة من سورة الأنعام (قد خسر الدين قتلتوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبي الثمان محمد بن الفضل طرم عن أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله البشكري عن أبي بصير واسمه جعفر بن أبي وحشية عن إياس به

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّرْوِيَّةٍ وَغَيْرَ مَرْوِيَّةٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالْأَمْثَانَ مُنْتَشِبًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَاوْهُ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُنْفِرُوا إِنَّهُ لَا يَجِبُ السَّرْفِينَ وَمِنْ الْأَنْهَارِ حَوْلَةٌ وَمِنْهَا كُلًّا يَمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ هَدًى مُبِينٌ﴾

يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها هؤلاء المتركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزئوها فوصلوا منها حراماً وحلالاً فقال (وهو الذي أنشأ جناناً مرويَّات وغير مرويَّات) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفي رواية فالمرشات ماعرش الناس وغير معروشات ماخرج من البر والجبال من الثمرات ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات ماعرش من الكرم وغير معروشات ما لم يهرس من الكرم وكذا قال السدي وقال ابن جريج متشابهة وغير متشابهة قال متشابهة في النظر وغير متشابهة في اللطم وقال محمد بن كعب (كلوا من ثمره إذا أثمر) قال من ربطه وعنبه ، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال يسميهم هي الزكاة للفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويصل كيله وكذا قال سعيد بن المسيب ، وقال النووي عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصده شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحق حدثني محمد بن يحيى عن حبان عن ميمونة بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يلقى في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي ، وقال طائوس وأبو الشعثاء وقادة والحسن والضحاك وابن جريج هي الزكاة وقال الحسن البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخرون وهو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يطئون شيئاً سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد إذا ضحكك لساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطى القبضة

وعند الصرام يسطى القبضه ويتركهم فيتيون آثار الصرام ، وقال الثوري عن حماد عن إبراهيم النخعي قال يعلو مثل الضفت وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير (وآتوا حقه يوم خصامه) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضه والضفت لعلف دابته وفي حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن سعيد مرفوعا (وآتوا حقه يوم خصامه) قال (ماسقط من السبل) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شيء كان واجبا ثم نسخ الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفي تسمية هذا نسخا نظر لأنه قد كان شيئا واجبا في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكتبه قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة فافقه أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة « ن » (إنا قموا ليصرمنا مصبحين ولا يستنون) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم) أي كالليل للهم سوداء محترقة (فتنادوا مصبحين * غداوا على حرشك إن كنتم صامرين * فانطلقوا وهم بخائفون * أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين * وغداوا على حرد) أي قوة وجلد ومة (قاذرين * ففاراوها قالوا إنا ضالون بل نحن محرمون * قال أوسطهم ألم أأهل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلأمون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك المذاب والمذاب الآخرة أ كبروا كانوا يملكون)

وقوله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب السرفين) قيل معناه لا تسرفوا في الاعطاء فتقطعوا فوق المعروف وقال أبو العالية كانوا يطلون يوم الحصاد شيئا ثم يباروا فيه وأسرفوا فأنزله الله (ولا تسرفوا) وقال ابن جريج زلت في ثابت بن قيس ابن شماس جذع خلفه فقال لا يأتيني اليوم أحد إلا أعلمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزله الله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب السرفين) رواه ابن جرير عنه وقال ابن جريج عن عطاء نهوا عن السرف في كل شيء ، وقال إياس بن معاوية ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدي في قوله (ولا تسرفوا) قال لا تعطوا أموالكم فتعقدوا فقراء وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن كعب في قوله (ولا تسرفوا) قال لا تمنوا الصدقة تنصروا ربكم ، ثم اختار ابن جرير قول عطاء أنه نهى عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) أن يكون عالما على الأكل أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية ، وفي صحيح البخاري تعليقاً « كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا غيلة » وهذا من هذا والله أعلم وقوله عز وجل (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أي وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة وما هو فرش قيل للراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي إسحق عن أبي الأحوس عن عبد الله في قوله حمولة ما حمل عليه من الإبل وفرشا الصغار من الإبل رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه : وقال ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الإبل وكذا قال مجاهد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أما الحمولة فالإبل والجل والبنال والجرب وكل شيء يعمل عليه وأما الفرش فالنعم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمى فرشا لدنوه من الأرض ، وقال الريح بن أنس والحسن والضحاك وقادة وغيره الحمولة الإبل والبق والفرش النعم . وقال السدي أما الحمولة فالإبل وأما الفرش فالصنلان والسجاجيل والنعم وما حمل عليه فهو حمولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ما تكون والفرش ما لا تكون وتحملون : شاتلا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من سوفها لحافا وفرشا وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد به قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فيها ركبهم ومنها إبل كون) وقال تعالى (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم بما في بطونهم من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغا للشاربين) إلى أن قال (ومن أسواقها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها إبل كون * ولكم فيها منافع وتبذلوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون *

وبربك آياته فأي آيات الله تتكرون) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أي من الثمار والزروع والأنعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تبغوا خلويا الشيطان) أي طريقه وأوامره كما اتبعها للشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أي من الثمار والزروع اقتراء على الله (إنه لكم) أي إن الشيطان أيها الناس لكم (عدومين) أي بين ظاهر العداوة كالقائل تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي يدعو حظه ليسكنوا من أصحاب السحر) وقال تعالى (يا بني آدم لا يتخفن الشيطان كما أخرج آدم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما) الآية وقال تعالى (اتخذوه وذرته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات في هذا كثيرة في القرآن

(تَمْلِيَةُ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ أَتَيْنِ وَمِنَ التَّمْرِ أَتَيْنِ قُلْ ءَلَا كَرِهَ حَرَمُ أُمِّ الْأَنْفَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْفَيْنِ بَنَوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ هَوَيْنَ إِلَيْنِ أَيْنِ وَمِنَ الْبَرِّ أَتَيْنِ قُلْ ءَلَا كَرِهَ حَرَمُ أُمِّ الْأَنْفَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْفَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بَنِي عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة وحاما وغير ذلك من الأنواع التي يتبعوها في الأنعام والزروع والثمار فينبى تعالى أنه أنشأ جنات مفروشات وغير معروفات وأنه أنشأ من الأنعام حمولا وفرسا . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو يياض وهو الضأن وسواد وهو المرز (ذكره) وأما ما ذكره من أولها وإثباتها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلوا وركبوا وحمولا وحلبا وغير ذلك من وجوه النافع كما قال (وأنزله لكم من الأنعام ثمانية أزواج) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الأثنيين) رد عليهم في قولهم (ما في بطون هذه الأنعام خالصة كورتنا وعمر على أزواجنا الآية وقوله تعالى (يتنوني بعل إن كنتم صادقين) أي يخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، وقال الموقى عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المرز اثنين) فهلما رتبة أزواج (قل ألا كره حرم أم الأثنيين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أما اشتملت عليه أرحام الأثنيين) يعني هل يشتمل الرحم على ذكر أو أنثى فلم تحرموا بضاً وتحلون بضاً ؟ (يتنوني بعل إن كنتم صادقين) يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أي كنتم بهم فيما ابتدعوه واقتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) أي لا أحد أظلم منه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قنعة لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سبب السوابب ووصل الوصيلة وحمل الحامى كما ثبت ذلك في الصحيح

(قُلْ لَا أَجِدُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ بِهِ فَقِيضَ أَطْعَمَ غَيْرِ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

يقول تعالى أمرا عبده ورسوله محمدا (قل) يا محمد هؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله اقتراء على الله (لا أجِدُ ما أُوحِيَ إلى محرما على طاعم يطعمه) أي أكل يأكله قيل معنى لا أجِدُ شيئا محارم حراما سوى هذه وقيل معنى لا أجِدُ من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد من التحريم بعد هذا في سورة المائدة وفي الأحاديث الواردة فيها مفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمي هذا نسخا والأكثر من للتأخيرين لا يسمونه نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم ، وقال الموقى عن ابن عباس (أو دما مسفوحا) يعني الهراق

(١) ليس كل الضأن أبيض ولا كل المرز أسود وليس في الآية ذكر للياض والسواد .

وقال عكرمة في قوله (أو دما مسفوحا) لولا هذه الآية لنتبع الناس ما في الروق كما تتبعه اليهود ، وقال حماد عن عمران ابن جرير قال سألت أبا مجلز عن الدم ، وما يتلطف من الذبيح من الرأس وعن القديري فيها الحرة فقال إنا نهي الله عن الدم للمسفوح وقال قتادة حرم من السماء ما كان مسفوحا فأما اللحم خالطه الدم فلا بأس به وقال ابن جرير حدثنا الشئ حدثنا حجاج بن منهج حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى يلحوم السباع بأسا والحرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية صحيح غريب

وقال المجدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن عبد الله إنيهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهي عن لحوم الجمر الأهلية زمن خير فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أنى ذلك البحر يعني ابن عباس وقرأ (قل لا أجد فيها أوصى إلى محرما على طعام يطعمه) الآية وكذا رواه البخاري عن علي بن اللديني عن سفيان به ، وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه مع أنه في صحيح البخاري كما رأيت ، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه كحدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبي الشثاء عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء فقدر أبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية (قل لا أجد فيها أوصى إلى محرما على طعام يطعمه) الآية وهذا لفظ ابن مردويه ورواه أبو داود منفردا به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عبيدة عن سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال ماتت امرأة لسودة بنت زمرة فقالت يا رسول الله ماتت فلاة تهي الشاة قال « فلم لا أخذتم مسكها » قالت تأخذ مسك شاة قد ماتت ؟ فقال لها رسول الله ﷺ (إنما قال الله) (قل لا أجد فيها أوصى إلى محرما على طعام يطعمه) إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحما خنزير) وإنكم لا تطعمونه أن تدفوه فتقتضوا به » فأرسلت فسلخت مسكها فدبنته فأخذت منه قربة حتى خرقت عندها » رواه أحمد ورواه البخاري والنسائي من حديث الشعي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمرة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عيسى بن نعيم الفزاري عن أبيه قال كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقال عليه (قل لا أجد فيها أوصى إلى محرما على طعام يطعمه) الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبي ﷺ فقال « خيب من الحيات » فقال ابن عمر : إن كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به

وقوله تعالى (فمن اضطر غير بلع ولا حاد) أي فمن اضطر إلى أكل شيء محرم الله في هذه الآية الكريمة وهو غير متلبس ببني ولا عدوان (فان ربك غفور رحيم) أي غفور له رحيم به وقد تقدم تحريم هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية والقرص من سباق هذه الآية الكريمة الرد على الشركين الذين ادعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم القاسمة من البحيرة والسائبة والوصية والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيها أوصاءه إليه أن ذلك حرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم للمسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف يزعمون أنه حرام ومن أين حرمتوه ولم يرمده الله ؟ وعلى هذا فلا يقي تحريم أشياء أضر فيها بعد هذا كما جاء التهي عن لحوم الجمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي ظلمة من الطير على المشهور من مذاهب العلماء

﴿ وَكُلِّ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَلَّتْ ظُهُورُهَا أَوْ الْخُوتَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرِ ذَلِكَ جَزَيْتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل

والنعام والإوز والبط قال بن أبي طلحة عن ابن عباس (وطي الدين هادوا حرمانا كل ذي ثغر) وهو البعير والنعامة وكذا قال مجاهد والسدي في رواية وقال سعيد بن جبير هو الذي ليس منفرج الأصابع وفي رواية عنه كل منفرج الأصابع ومنه الحديث وقال قتادة في قوله (وطي الدين هادوا حرمانا كل ذي ثغر) كان يقال للبعير والنعامة وأشباه من الطير والحيتان وفي رواية البعير والنعامة وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمنفروق الأصابع ، وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذي ثغر قال النعامة والبعير متشاققا قلت للقاسم بن أبيزة وحديثه متشاققا قال كل مالا ينفرج من قوائم البهائم قال وما أخرج ؟ كنه قال أخرجت قوائم البهائم والمصافير قال فبهود تأكله قال ولم تنفرج قائمة البعير - خفه - ولا خف النعامة ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش ، وقوله تعالى (ومن البقر والنعماء حرمنا عليهم شحومها) قال السدي بين الترب وشحم الكسيتين وكانت اليهود تقول إنه حرمة إسرائيل فنحن نحرمة وكذا قال ابن زيد ، وقال قتادة الترب (١) وكل شحم كان كذلك ليس في عظمه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا ما حملت ظهورها) بين ماعلق بالظهر من الشحوم ، وقال السدي وأوصال الألية ما حملت ظهورها وقوله تعالى (أو الحوايا) قال الإمام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدا حوايه وحوايه وحوية وهو ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار وهي بنت اللبن وهي للباقر وتسمى للرايش وفيها الأضواء قال ومعنى الكلام : ومن البقر والنعماء حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها وما حملت الحوايا . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهي الظهر وقال مجاهد الحوايا للبعير والرايش وكذا قال سعيد بن جبير والفسحاك وقائمة وأيوماك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد الحوايا للرايش التي تكون فيها الأضواء تكون وسطها وهي بنت اللبن وهي في كلام العرب تدعى للرايش ، وقوله تعالى (أوما اختلط بظلم) بين الإلما اختلط من الشحوم بظلم فقد أحلناه لهم ، وقال ابن جريج شحم الألية ما اختلط بالخصص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والباين وما اختلط بظلم فهو حلال ونحوه قاله السدي وقوله تعالى (ذلك جزئناهم بينهم) أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وأزناهم به مجازة على بينهم وعاقبتهم وأمرنا كما قال تعالى (فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم يصدمن عن سبيل الله كثيرا) وقوله (وإننا لصادقون) أي وإننا لصادقون فيما جازيناهم به وقال ابن جرير وإننا لصادقون فيما أخبرناك به بأحمد من تخربتنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن امرأة بلغ خرا فقال قاتل الله امرأة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال «لئن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجمنوها فباعوها» أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس عن عمر به وقال الألب حديثي يزيد بن أبي حبيب قال : قال عطاء بن أبي رباح ضمت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طام الفتح «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر ولبنة الخنزير والأسنام» قيل يارسول الله أرايت شعوم لبنة فنها يبعن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال «لا هو حرام» ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «قائل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جعلوه ثم يبعوه وأكلوا منه» ورواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حميد به ، وقال الأزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «قائل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا منها» ورواه البخاري ومسلم جميعا عن عبيد بن ابن المبارك عن يونس عن الأزهري به ، وقال ابن مردويه حديثا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حديثا إسحاق بن إسحق حديثا سليمان بن حرب حديثا وهيب حديثا خفه الحداة عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعدا خلف المقام فرجع يصير إلى السماء فقال «لئن الله اليهود - ثلاث - إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا منها وإن الله لم يجرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم منه» وقال الإمام أحمد حديثا علي بن حاصم أنبأنا خلف الحداة عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا في المسجد مستقبلا الحجير فنظر إلى السماء

(١) الترب بالفتح : الضم الذي على الكرش والأشبه .

فضحك فقال « لمن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء ، وقال الأعمش عن جامع بن شداد عن كثير عن أسامة بن زيد قال دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نموده فوجدناه نائما قد غطى وجهه يرد عندي فكشفت عن وجهه وقال « لمن الله اليهود يحرمون شحوم الثمن ويأكلون أثمانها » وفي رواية « حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها » وفي لفظ لأبي داود عن ابن عباس مرفوعا « إن الله إذا حرم أكل شيء حرم عليهم ثمنه »

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ هَلْ رُبُّكُمْ دُورِحَةَ وَسِمَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى فإن كذبك يا محمد عقالك من للشركين واليهود ومن شابههم قتل (ربكم دورحة واسعة) وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة (إن ربك سريع العقاب وإنه لنفور رحم) وقال (وإن ربك لمؤمضة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (نبي عبادي أتى أنا النور الرحيم) وأن عذابي هو العذاب الأليم وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال (إن بطش ربك لشديد) إنه هو يبدى ويبدى وهو النور الودود والآيات في هذا كثيرة جدا .

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسًا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمِينَ ﴾ قُلْ هَلْ شَهِدَ أَهْلُ الَّذِينَ يَنْشُدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِمَا يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ يَرْغَبُونَ فِيهِ

هذه مناقرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهيهم الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورشاه منا بذلك ولهذا قالوا (ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) كما في قوله تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاتهم الله بأسماءهم وعمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق للمشركين من آلم الاتقام (قل هل عندكم من علم) أي بأن الله راض عنكم فيما أتتم فيه (فتخرجوه لنا) أي فتظفروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون إلا الظن) أي الوم والخيال والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد القاسد (وإن أتتم إلا تخرصون) تكذبون على الله فيما ادعيتوه ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولو شاء الله ما أشركنا) وقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولو شاء الله ما أشركوا) فأنهم قالوا عبادتنا الألهة تخربنا إلى الله زلني فأخبرهم الله أنها لا تحريم الله أنها لا تحريمهم بقوله (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لو شئت لجمعهم على الهدى أجمعين ، وقوله تعالى (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهدى كل أمة) أي لهدى كل أمة (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لنبيه ﷺ (قل) لهم يا محمد (فله الحجة البالغة) أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى وإضلال من ضل (فلو شاء لهدى كل أمة أجمعين) فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختاره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويغضب الكافرين كما قال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من الأرض) وقوله (ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وتمت كلمة ربك لأعلان جهنم

الفرقان قال الله تعالى (إن الله لا يفرق أن يشرك به ويفرق مادون ذلك إن يشاء) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود «من ملأ لا يشرك بالله حيث دخل الجنة» والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا ، وروى ابن مردويه عن حديث عبادة وأبي الهرداء «لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتهم» وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثني سياب بن عبد الرحمن عن يزيد بن قوثر عن سلمة بن شريع عن عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال «ألا تشركوا بالله شيئا وإن حرقتهم وقطعتهم وصلبتهم» رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أي أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقرأ بعضهم ، ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أي أحسنوا إليهم واهتدوا كثيرا ما يقرن بين طاعته وپر الوالدين كما قال (أن اشكر لي ولوالديك إلى الصبر وإن جهادكم لي أن أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأتبعكم بما كنتم تعملون) فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى (وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا) الآية والآيات في هذا كثيرة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أي ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أي ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » قال ابن مسعود حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزجته لرائد وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الهرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فاعمل » ولكن في إسنادهما ضعف والله أعلم . وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نخع نرزقكم وإياهم) لما أوصى تعالى بالوالدين (١) والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأخاد فقال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يشدون البنات خفية المار وربما قتلوا بعض الذكور خفية لا يفتخرون ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أي قال « أن تقتل ولدك خفية أن تطعمه مملوك » قلت ثم أي قال « أن تزاني حيلة جارك » ثم تلا رسول الله ﷺ (والذين لا يدعون مع الله ألها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية وقوله تعالى (من إملاق) قال ابن عباس وقادة والسدى وغيرهما الفقر أي ولا تتلومهم من فقركم الحاصل ، وقال في سورة الاسراء (ولا تقتلوا أولادكم خفية إملاق) أي لا تقتلوا خوفا من الفقر في الأجل ولهذا قال هناك (نخع نرزقهم وإياكم) قيدا برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فكان الفقر حاصلا قال (نخع نرزقكم وإياهم) لأنه الأهم ههنا والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا تحربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) كقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحلق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى (وتقربوا ظاهرا للإثم وباطنه) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال عبيد الله بن عمير عن وزاد عن مولاة المغيرة قال : قال سعد بن عبادة لو رأيت مع امرأتى رجلا لفسرت به بالسيف غير مصفع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « ألمعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير من سعد ، والله أغير مني ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » أخرجهما وقال كامل أبو الهلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله إنا نتأخر قال « والله إني لأفأر والله أغير مني ومن غيرتي نهي عن الفواحش » رواه ابن مردويه ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند . أخرجه أمي ما بين السنين إلى السبعين » وقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهذا مما نص ببارك وتعالى على النبي عنه تأكيذا وإلا فهو

داخل في النبي عن الفواحي مظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يهل دم امرئ مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأتى رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث الخبيث الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفي لفظ لمسلم « والذي لا إله غيره لا يهل دم رجل مسلم وذكره قال الأعمش فحدثت به إبراهيم فحدثت عن الأسود عن عائشة عنه وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يهل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال زان محسن يرمي ، ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يهلب أو يهني من الأرض » وهذا لفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عبيد بن عوف رضي الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يهل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحسانه ، أو قتل نفسا بغير حق » فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام . ولا تحيت أن لي بدني بدلان بهدائي الله ، ولا قتلت نفسا ، فم تفتلون ؟ » رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد جاء التهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو الثمان من أهل الحرب فروى البخاري عن عبيد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مرفوعا « من قتل معاهدا لم يرح راحمة الجنة وإن رحما ل يوجد من مسيرة أربعين عاما » وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخضر بضة الله فلا يرح راحمة الجنة وإن رحما ل يوجد من مسيرة سبعين خريفا » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وقوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) أي هذا ما وصاكم به لعلكم تتقون عن الله أمره ونهيه

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالزَّيْرَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْنُفُوا نَفْسًا الْوَيْمَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا وَلَا تَكُنْ دَاقِرْبِي وَبِمَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله (ولا تقربوا مالا لليتيم إلا بالتي هي أحسن) (وإن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية فأنطلق من كان عنده يتم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فجعل بفضل الشيء فيحبس له حق يأكله ويغسل فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (وسأولئك عن اليتامى قبل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) قال غلطوا طعامهم بطعامهم وشراهم بشراهم رواه أبو داود ، وقوله تعالى (حتى يبلغ أشده) قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلفيين حتى يحسن عقله وقال السدي حتى يبلغ ثلاثين سنة ، وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بيد هاهنا والله أعلم ، وقوله تعالى (وأوفوا الكيل واليزان بالقسط) يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء كما توعده على تركه في قوله تعالى (ويل للمطفئين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالواهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يخسون للكيل واليزان وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي طي الرعي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل واليزان « إنكم ولئيم أمرا هلكت فيه الأمم السابقة قبلكم » ثم قال لا تصرفه مرفوعا إلا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث . وقد روى يونس بن عيسى عن ابن عباس موقوفا ، قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم معشر الموالى قد جسرتم الله بخصائين بها هلكت القرون الثمينة للكيل واليزان » وقوله ببارك وتعالى (لا تكلف نفسا إلا وسعها) أي من اجتهد في أداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استغراف وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد روى ابن مردويه من حديث بقية عن ميسرة بن عبيد عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه عن

سعيد بن السيب قال : قال رسول الله ﷺ في الآية (وأوفوا الكيل واليزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها) فقال « من أوفى على يده في الكيل واليزان والله يعلم صحته به بالوفاء فيها لم يؤخذ ذلك تأويل وسعها » هذا مرسل غريب وقوله (وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذاقرن) كقوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين للشهداء بالقسط) الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يأمر تعالى بالعدل في المال والعتاق على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال ، وقوله (وبهذه أفوا) قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإضاه ذلك أن تطيعوه فيها أكرمكم ونهاكم وتعلموا بكتابه وستة رسوله وذلك هو الوفاء بهذه الله (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) يقول تعالى هذا أوصاكم به وأمركم به وأكده عليكم فيه (لعلكم تذكرون) أي تتظنون وتتوبون عما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الالاء وآخرون بتخفيفها

(وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفي قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا في القرآن قال أمراء المؤمنين بالجامعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والحصولات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه ، وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء ومروان بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعاً به نحوه وكذا رواه يزيد بن هرون ومسدد والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب أرسلهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود به ، وكذا رواه ابن جرير عن الثوري عن الحنفى عن حماد بن زيد به ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق عن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه . وقد روى هذا الحديث والنسائي والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحنفى عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم . وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر بن عبد الله بن مسعود . يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد وعبد بن حميد جميعاً واللفظ لأحمد حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا أبو خالدة الأحمر عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله » وخط عن يمينه وخط عن شماله وخط « هذه سبل الشيطان » ثم وضع يده على الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ورواه أحمد وابن ماجه في كتاب السنة من سننه والبخاري عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن أبي خالدة الأحمر به قلت ورواه الحافظ بن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالدة عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله ﷺ خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) ولكن العدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثراً ، وقد روى موقوفاً عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن

عبد الأحنى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلاً قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مرهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم) الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم

وقد روى من حديث النواس بن سمعان نحوه قال الإمام أحمد حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث بن ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنتي الصراط سوران فبهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال وجحك لا خنته فانك إن فحطته تلجأ فإلصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب لفتحته محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وأبو عمرو بن عثمان كلاماً عن بقية بن الوليد عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به ، وقال الترمذي حسن غريب وقوله تعالى (فاتبوه ولا تتبعوا السبل) إنما وجد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لثرفها وتشمعها كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) والذين كفروا أولياؤهم المطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « أيكم يبأييني على هؤلاء الآيات الثلاث » ثم تلا (قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال « ومن وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء صفا عنه »

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْقَآهُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿

قال ابن جرير (ثم آتينا موسى الكتاب) تحديده ثم قل يا محمد خبر أعنا أنا آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله (قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم) قلت وفي هذا نظر وثم ههنا إنما هي لطف الخبر بعد الخبر لا لترتيب ههنا كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه * ثم قد ساد قبل ذلك جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبوه) عطف بفتح التوراة ورسولها فقال ثم آتينا موسى الكتاب وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) وقوله أول هذه السورة (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يمشونه قراطين تبدونها ويخفون كثيرا) الآية وبدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية وقال تعالى مخبراً عن الصركين (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوق مثل ما أوقى موسى) قال تعالى (أو لم يكفروا بما أوقى موسى من قبل قالوا سحران نظهارا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا (يا قومنا إنما معنا كتابة أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق) الآية وقوله تعالى (تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً) أي آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في شريعته كقوله (وكتبنا

له في الألواح من كل شيء (على الذي أحسن) أى جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقولہ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكقولہ (وإذا أتىك إبراهيم ربه بكلمات فاتمهم قال إني جاعلك للناس إماما) وكقولہ (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما سبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (ثم أتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) يقول أحسن فيها أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره (ثم أتينا موسى الكتاب تماما) على إحسانه فكانه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى (وخضمت كالذي خاضوا) أى كخوضهم وقال ابن رواحة

وثبت الله ما أتاك من حسن * في الرسلين ونصراً كالذي نصروا

وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأها تماما على الذين أحسنوا وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد تماما على الذي أحسن قال على المؤمنين والمؤمنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون الأنبياء والمؤمنون . بنى أظهرنا فضله عليهم قلت كقولہ تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى قال ابن جرير وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأها تماما على الذي أحسن رضا وتأويل على الذي هو أحسن ثم قال وهذه قراءة لأستجيب القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح ، وقيل مناه تماما على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن إليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا منافاة بينه وبين القول الأول ويجمع ابن جرير كما بيناه وقد الحمد وقولہ تعالى (وتضيلا لكل شيء وهدى ورحمة) فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه (لهم لقاء ربهم يؤمنون) وهذا كتاب أنزله مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه جعل الله للذين

(أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لنأفئين * أو تقولوا إنما أنزل علينا الكتاب ككنا هدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجرى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)

قال ابن جرير مناه وهذا كتاب أنزله ثلاثا قولوا (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) بنى ليقطع عذرهم كقولہ تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم يقولوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فنقض آياتك) الآية وقولہ تعالى (على طائفتين من قبلنا) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس م اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدى وقاتدة وغير واحد وقولہ (وإن كنا عن دراستهم لنأفئين) أى وما كنا نقهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك حمام فيه وقولہ (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) أى وقطعنا غفلتهم أن يقولوا لو أننا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيأوتوه كقولہ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لن يذبحوا لكونهم أهدى من إحدى الأمم) الآية وهكذا قال ههنا (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويتقنون ما فيه . وقولہ تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى لم يتبع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن آيات الله أى صرف الناس وصدف عن ذلك قاله السدى وعن ابن عباس ومجاهد وقاتدة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدى ههنا فيه قوة لأنه قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) كما تقدم في أول السورة (وهم ينهون عنه ويتأولون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم) وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وقال في هذه الآية الكريمة (سنجرى الذين

يصدون عن آياتا سوء العذاب بما كانوا يصدون) وقد يكون المراد فيها قاله ابن عباس ومجاهد وقادة (لن أظلم
ممن كذب بآيات الله وصف عنها) أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى (فلا صدق ولا حيل ولكن كذب وتولى)
وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتغال الكافر على التكذيب قبله وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدي أقوى
وأظهر والله أعلم لأن الله قال (لن أظلم ممن كذب بآيات الله وصف عنها) كقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى متوعدا للكافرين به والمخالفين لرسوله والكاذبين بآياته والصادقين عن حبيبه (هل ينظرون إلا أن تأتيهم
الملائكة أو يأتي ربك) وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها)
وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشرافها حين يرون شيئا من أشراف الساعة كما قال البخاري في تفسير هذه
الآية حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا حمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عذابها » فذلك حين
(لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) حدثنا إسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » وفي لفظ « فإذا طلعت ورآها
الناس آمنوا أجمعون » وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ثم قرأ هذه الآية . هكذا روى هذا
الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن حمارة بن القشع
بن شبرمة عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به .

وأما الطريق الثاني فرواه عن إسحق خبر منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل إسحق بن نصر والله أعلم
وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجندي بإسناد صحيح كراهة عن عبد الرزاق به وقد ورد هذا الحديث من طرق أخرجه
أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث الملايين عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقه عن أبيه عن أبي هريرة به ؛
وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث
إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الأرض » ورواه أحمد بن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وهذه
والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه هو أيضا والتزمى من غير
وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه إسحق بن عبد الله القروي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة
ولكن لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن
سليمان حدثنا شعب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن زريق عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت آمن الناس كلهم » وذلك حين
لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية ورواه ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن
فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به أخرجه هذه الطرق كلها الحفاظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، وقال
ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه » لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة

(حديث آخر) عن أبي هريرة الثوري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أندري أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ » قلت لأندري : قال « إنها تنتهي دون العرش فتخرج ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعي فيوشك يا أندري أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وذلك حين لا ينعق قساً إلا بها لم تكن آمنت من قبل) »

(حديث آخر) عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريفة النخاري رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد النخاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتدأكر الساعة فقال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج البقال ، وثلاثة خسوف : خسف بالشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحترق الناس ببيت معهم حيث باتوا ويهيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذي حسن صحيح . (حديث آخر) عن حذيفة بن الجيان رضى الله عنه ، قال الثوري عن منصور عن ربي عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ قلت يارسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ قال النبي ﷺ « تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فيقتبها الذين كانوا يصلون فيها فيمضون كما كانوا يملكون قبلها والنجوم لا ترمى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تطل عليهم جنوبهم حتى يتناول عليهم الليل فيفزع الناس ولا يصبحون فينبأهم بتظنون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم » رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم

(حديث آخر) عن أبي سعيد الحدرى واسمه سعد بن مالك بن سنان رضى الله عنه وأرضاه قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية الوفى عن أبي سعيد الحدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) قال طلوع الشمس من مغربها » ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفى حديث طلوت بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي أمامة سدى بن محلان قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها » وفى حديث عاصم بن أبى النجود عن زب بن حبيش عن صفوان بن عمال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضة سبعون عاما للتوبة لا يلق حتى تطلع الشمس منه » رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه فى حديث طويل

(حديث آخر) عن عبد الله بن أبى أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن طى بن دحيم حدثنا إسحاق بن حازم حدثنا ضراب بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن أبى أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليا بين على الناس ليلة تمدل ثلاث ليالى من ليايك هذه فإذا كان ذلك يعرفها التنفون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فينبأهم كذلك إذ صالح الناس بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطنها - قال حينئذ - لا ينعق قساً إلا بها) هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو فى شيء من الكتب الستة

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو حيان عن أبى زرة عن عمرو بن جبر قال جلس ثلاثة نفر من السليين إلى مروان بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات يقول إن أولها خروج البقال قال فاضرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذى سمعوه مروان فى الآيات فقال لم يقل مروان حيثما حفظت من رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتما كانت قبل صاحبها فالأخرى على آخرها » ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أنت تحت العرش وسجدت واستأذنت فى الرجوع فأذن لها فى الرجوع حتى إذا بدلت

أن تطلع من مغربها فقلت كما كانت فعلت، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك للشرق قالت رب ما أبعد الشرقي مني إلى الناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلاعب الله هذه الآية (لا ينفخ نسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما من حديث أبي حيان التميمي وإسحاق بن يحيى بن سعيد بن حبان عن أبي ذرعة بن عمرو بن جبرير (حديث آخر عنه) قال الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدثنا إسحاق بن إبراهيم ابن زريق الحنصلي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لميعة عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال : قال النبي ﷺ « إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادي ويهجر إلى الهوى مني أن أسجد لمن شئت - قال - فيجتمع إليه زبائنه فيقولون كلمهم ما هذا التضرع فيقول إنما سألت رب أن ينظرني إلى الوقت للمعلوم وهذا الوقت للمعلوم - قال - ثم يخرج دابة الأرض من صنع في الصفا - قال - فأول خطوة يقصها بانطاكيا فتأتي إبليس فتطمعه » هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف وله من الزاماتين التين أصابها عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فأما ربه ففكر والله أعلم (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين قال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمض بن زرعة عن شريح بن عبيد يرويه إلى مالك بن بخامر عن ابن الصديق أن رسول الله ﷺ قال « لا تقطع الهجرة مادام العدو يقاتل » فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال « إن الهجرة خصلتان إحداها تهاجر إليها والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ولا تقطع ما تحبب التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طلع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم (حديث آخر) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها ، والديال . ودابة الأرض وخروج يأجوج ومأجوج . قال وكنت يقول الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها. حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غريبا متكررا ربه ، وفيه أن الشمس والقمير يطلمان يومئذ من اللرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم جادا إلى ما كانا عليه . وهو حديث غريب جدا بل منكر بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأخيضر فغير مدفوع والله أعلم ، وقال سفيان عن منصور عن طاهر عن عائشة رضي الله عنها قالت إذا خرج أول الآيات طرحت وحسبت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى ، وقوله تعالى (لا ينفخ نسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي إذا أنشأ الكفار إيماننا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فإن كان مسلما في عمله فهو غير عظيم وإن لم يكن مسلما فأحدث توبة حينئذ لم يقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث للشفقة وعليه يحمل قوله تعالى (أو كسبت في إيمانها خيرا) أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى (قل انتظروا إنا منتظرون) تهديد شديد للكافرين ووعد أكيد لمن سوف يلذاته وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك وإنا كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لا اقتراب الساعة وظهور أشراطها كما قال (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) وقوله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا بمشركين فلم يك يفهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) الآية

(إن الذين يترقبوا دينهم وكانوا شيعا ستبهم في شيء إننا أمرهم إلى الله ثم يربهم بما كانوا يفعلون)

قال مجاهد وقادة والشحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل بعث محمد ﷺ ففترقوا فلبثت محمد ﷺ أنزل الله عليه (إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) لست منهم في شيء (الآية) ، وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا جبة بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في هذه الآية (إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) لست منهم في شيء (وليسوا منك) هم أهل البع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة « لكن هذا إسناد لا يصح فإن عباد ابن كثير متروك الحديث ولم يخلق هذا الحديث ولكنه وهم في رصفه فانه رواه عن الثوري عن ليث وهو ابن أبي سلمة عن طاوس عن أبي هريرة في الآية أنه قال نزلت في هذه الأمة ، وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله (وكانوا شيعاً) قال هم الحوارج وروى عنه متروك ولا يصح وقال شعبة عن مجاهد عن الشعبي عن شرح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها «(إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً)» قال هم أصحاب البع « وهدارواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولا يصح رصفه والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له فإن الله بث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحداً لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه (وكانوا شيعاً) أي فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله تعالى قد برأ رسول الله ﷺ بما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) (الآية) وفي الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتسليم بقرينة الرسول للتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وكراه وأهواء والرسل برءاء منها كما قال الله تعالى (لست منهم في شيء) وقوله تعالى (إنما أمرهم إلى الله ثم يبينهم بما كانوا يعملون) (قوله) تعالى (إن الدين آتونا والدين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يخصل بينهم يوم القيامة) (الآية) ثم بين لطف سبحانه في حكمه وعده يوم القيامة فقال تعالى

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ)

وهذه الآية السريعة مفصلة لما أجل في الآية الأخرى وهي قوله (من جاء بالحسنة فله خير منها) وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عتيان عن أبي رجاء الطماري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى (إن ربي عز وجل رحم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة) ومن هم بسيسة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يعصوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك) ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عتيان به وقال أحمد أيضاً حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن الزور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثاله وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثله أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لم يقرب لا يشرك في شيئا جعلت له مثلاً مغفرة ومن اقرب إلى شرا اقرب إليه ذراعاً ومن اقرب إلى ذراعاً اقرب إليه باعاً ومن أتاني عشي أبنته هرولة » ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن الأعمش به ورواه ابن ماجه عن أبي عبيد الطاقسي عن وكيع به ، وقال الحافظ أبو يعلى للوصلي حدثنا شيان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة ومن هم بسيسة فلم يعملها لم يكتب عليهم شيء فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة » واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام ثلاثة يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة

اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من للشركين) وليس يلزم من كونه ﷺ أمر بإتباع ملة إبراهيم الحنيفة أن يكون إبراهيم أكل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكلت له إكلالاً تاماً لم يبق فيه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق ، وصاحب اللقائم محمود الذي يرغب إليه الخلق عني الخليل عليه السلام . وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عاصم حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الحمداً يحدث عن ابن أبي زي عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال « أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أئمتنا إبراهيم حنيفاً وما كان من الشركين » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله تعالى ؟ قال « الحنيفة السمعة » وقال أحمد أيضاً حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبي لأنظر إلى زفن الحبيشة حتى كتبت إلى ملئت فاضرفت منه . قال عبد الرحمن عن أبيه قال : قال لي عروة إن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ « تعلم يهود أن في ديننا فسحة إن أرسلت بحنيفة سمحة » أصل الحديث خرج في الصحيحين والزيادة لما شهدوا من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري وفي الحمد واللثة ، وقوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) يأمره تعالى أن يخبر للشركين الذين يبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه يخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه لغير اسمه وحده لا لشريك له وهذا كقولهم تعالى (فصل لربك وانحر) أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن الشركين كانوا يبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والأقبال بالصدق والنية والزم على الإخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله (إن صلاتي ونسكي) النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير (ونسكي) قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد القمي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله قال قال صلى رسول الله ﷺ في يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما (١) « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله عز وجل (وأنا أول المسلمين) قال قتادة أي من هذه الأمة وهو كما قال فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال قوموه (فإن توليتم فأسألكم من أجر إن أجرى على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اسقطناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يابن . إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلقتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفقي مسلماً والحنفي بالصالحين) وقال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تعجلنا فتنة القوم الظالمين * ونحنا برحمتك من القوم الكافرين) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وبكلماتها التبينون الذين أسلفوا للذين هادوا ولبانيون والأحبار) الآية وروى قال تعالى (ولا أوحيت إلى الحارثيين أن آمنوا بربهم وقالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) فأخبرنا تعالى أنه ثبت رسمه بالإسلام ولكم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسج بعضها بعضاً إلى أن نسجت جبرمة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبداً الأديان ولا تزال قائمة منصوره وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » فإن أولاد العلات هم الإخوة

من أب واحد وأمها شق فله بن واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الصفات التي هي بمنزلة الأمهات كما أن أخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شق والأخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله اللجيشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال « وجهك وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من مشركين » ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين « إلى آخر الآية » (١) اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ، ظلت شقي واعترفت بذنبي فأغفر لي ذنوبي جميعاً لا ينظر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » ثم ذكر تمام الحديث فيها بقوله في الركوع والسجود والشهد وقد رواه مسلم في صحيحه

﴿ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد هؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغنى الله عني ربي) أي أطلب ربا سواه (وهو رب كل شيء) يربيني ويحفظني ويكفوني ويدير أمري ، أي لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر . ففي هذه الآية الأمر بإخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وهذا الذي قرن بالآخر كثيرا في القرآن كقوله تعالى مرشدنا لمباده أن يقولوا له (إليك نعبد وإليك نستعين) وقوله (فاعبدوا توكل عليه) وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) وقوله (رب للشرق وللغرب لإلاهوا فاعبدوه كيلا) وأشياء ذلك من الآيات . وقوله تعالى (ولا تكسب كل شيء إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازي بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قران) وقوله تعالى (فلا تخاف ظلما ولا هضبا) قال علماء التفسير : أي فلا ينظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره . ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) معناه كل نفس مرتبهة بعملها السيء إلا أصحاب اليمين فإنه قد يسود بركة أعمالهم الصالحة على ذنوبهم وقراباتهم كما قال في سورة الطور (والذين آمنوا واتبهم ذريتهم ليؤمنن أحلفنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) أي أحلفنا بهم ذريتهم في اللزقة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، وما ألتناهم أي قصصنا أولئك السادة الرفقاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أقص منهم منزلة ، بل رفهم تعالى إلى منزلة الآباء بركة أعمالهم فضله ومثته ثم قال (كل امرئ بما كسب رهين) أي من شر ، وقوله (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي اعملوا على مكائكم إنا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كننا نخلف فيه في الدار الدنيا كقولهم (قل لا تسألون عما أجر منا ولا نال مما عملتم) قل يجمع بينا ربنا ثم فتح بيننا والحق وهو الفتح العليم

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ ﴾

يقول تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) أي جعلكم يعمرونها جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) وكقوله تعالى

(١) كذلك السجدة الأمير يقول للسبكي والرازي آخر الآية التي بعدهم وقد أثبت الأخيرة في نسخة الأزهرية . فلم تذكر فيها هذه العبارة

(وجعلكم خلفاء الأرض) وقوله (إني جاعل في الأرض خليفة) وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفك في الأرض فينظر كيف تعملون) وقوله (ورفع بعضك فوق بعض درجات) أي فآوت فيك في الأرزاق والأخلاق والمهامن والسواي والنظار والأشكال والألوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورغنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وقوله (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

وقوله تعالى (ليولمكم فيها آتاكم) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحكم به ليختبر الثقي في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره . وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا حاوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر ماذا تعملون ، فانظروا الدنيا واهوا النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » وقوله تعالى (إن ربك سريع العقاب وإنه لنفور رحم) ترهيب وترغيب أن حباه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله (وإنه لنفور رحم) لمن والاه واتبع رسله فباجاءوا به من خير وطلب . وقال محمد بن إسحق لإبراهيم المياد على ما فهم رواه ابن أبي حاتم وكثيرا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله (وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم » وإن ربك لشديد العقاب) وقوله (يأيها عبادي آي أنا انفور الرحيم وأن عدائي هو العذاب الأليم) إلى غير ذلك من الآيات للتمسك على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إلى الرغبة وصفة الجنة والترغيب فيها لديه وتارة يدعوهم إلى البرهية وذكر النار وأنكالمواوعذابها والقيامه وأهلها وتارة ينهاهم لينجح في كل محبة ، جعلنا الله من أطاعه فيها أمر ، وترك ما عنتهى وزجر ، وصدق فيها أخبر ، إنه قريب محيب جميع الدماء جواد كريم وهاب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن الملا عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنمه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة قطع أحمدا من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » ورواه الترمذي عن قتبية عن عبد العزيز الدراوردي عن الملا عن وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى وقتبية وعلى بن حجر ثلاثهم عن إسماعيل بن جعفر عن الملا عنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب في كتابهم فيه عند الله فوق العرش إن رحمتي خلت غضبي » وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراسم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولعها خشية أن تصيبه » رواه مسلم - آخر تفسير سورة الأنعام وله الحمد ولله

(تفسير سورة الاعراف وهي مكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الأمم) يكتب أنزل إليك فلا يسكن في صدرك حرج منه لنفذه به وذكري المؤمنين • أتنبؤا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون

قد فهم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه ، قال ابن جرير حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس (للس) أنا الله أفضل وكذا قال سعيد بن جبير (كتاب أنزل إليك) أي هذا كتاب أنزل إليك أي من ربك (فلا يكن في صدرك حرج منه) قال مجاهد وتادة والسدي شك منه وقيل لا تخرج به في إبلاغه والانتذار به (فأصبر كما صبر أولو الزم من الرسل) ولهذا قال (تلتبه به) أي أنزلناه إليك لتتبر به الكافرين (وذكري المؤمنين) ثم قال تعالى مخاطبا للعالم (أتنبؤا ما أنزل إليكم من ربكم) أي اتنبؤوا آثار النبي الأبي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره (قليل ما تذكرون)

كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله (وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) الآية وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

(وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ • فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ الرُّسُلَ الَّذِينَ • فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ وَنَسْأَلُكَ عَائِدِينَ)

يقول الله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) أي بمخالفة رسالتنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي الدنيا وموسلا بئلا الآخرة كما قال تعالى (وقد استعزى يرس من قبلك فقال الذين سخروا منهم كانوا به يستهزئون) وكقوله (فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر مطلة وقصر مشيد) وقال تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت ممشيتها فتلك مساكنهم لم تكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) وقوله (فجاءها بأسنا ياتنا أوم قائلون) أي فكان منهم من جاءه أمره وأبسه وقضته ياتنا أي لا أوم قائلون من القبلة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت ظففة ولمو كما قال (أنامن أهل القرى أن يأتهم بأسنا ياتنا وهم ينامون • وأمان أهل القرى أن يأتهم بأسنا ضحى وهم يلبون) وقال (أنامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في غلغلة غامض لم يجدون • أو يأخذهم على غفوة فإن ركب زلوف رجب) وقوله (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) أي لما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا كقوله تعالى (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة - إلى قوله - خايمين) قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله «ما هلك قوم حتى يهلكوا من أخسهم» حدثنا بذلك ابن حميد حدثنا جرير عن أنس بن مالك عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «ما هلك قوم حتى يهلكوا من أخسهم» قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال قرأ هذه الآية (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) ، وقوله (فلنساءن الذين أرسل إليهم) الآية كقوله (ويوم نناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجاوبوا رسله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته ولماذا قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية (فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين) قال عما بلغنا ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد الكندي حدثنا الحارث عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله وللرأة تسأل عن بيت زوجها والبعد يسأل عن عائلته» قال الليث وحديث ابن طاوس مثله ثم قال (فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين) وهذا الحديث خرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس في قوله (فلنقصن عليهم يعلم وما كنا ظالمين) يوضح الكتاب يوم القيامة فيسألهم عما كانوا يعملون (وما كنا ظالمين) يعني أنه تعالى خبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وخفي لأنه تعالى الشهيد على كل شيء لا يخب عنه شيء ولا يغل عن شيء بل هو العالم بخاصة الأعين وما خفي الصدور (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة إلا ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

(وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ قَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُنَا يُظَاهِرُونَ)

بذلك كله آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن منال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقد خلقناكم ثم صورناكم) قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وقل ابن جرير عن بعض السلف أيضا أن اللراد خلقناكم ثم صورناكم النورية
وقال الريح بن أنس والسدي وقادة والضحاك في هذه الآية (وقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقناكم ثم صورنا النورية وهذا فيه نظر لأنه قال بعدهم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فدل على أن اللراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر كما يقول الله تعالى لبي إسرائيل الذين كانوا في زمن النبوﷺ (وظلنا عليكم بالتهام وأنزلنا عليكم اللن والسوى) والراد آبؤهم الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذلك منه على الآباء الذين هم أصل ساركانه واقع على الآباء وهذا خلاف قوله (وقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين) الآية فإن اللراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة وصح هذا لأن اللراد من خلقنا الإنسان الجنس لامينا والله أعلم

﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى (ما منك أن لا تسجد إذ أمرتك) لا هنا زائدة وقال بعضهم زبدت لما كيد الجبد كقول الشاعر • ما إن رأيت ولا سمعت بكه • فأدخل « إن » وهي لاني على ما الثانية لما كيد النفي قالوا وكذا هنا (ما منك أن لا تسجد) مع تقدم قوله (لم يكن من الساجدين) حكاهما ابن جرير وردده واختار أن منك مضمون معنى فعل آخر تقديره ما أخرجك وأمرتك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ونحو هذا. وهذا القول قوي حسن والله أعلم، وقول إبليس لعنه الله (أنا خير منه) من المتر الذي هو أكبر من الذب كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤثر الفاضل بالسجود للمفضول يعني لعنه الله وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود ؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار والتار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر العين إلى أصل النضر ولم ينظر إلى التشريف العظيم وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ووقع فيه من روحه وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نفس قوله تعالى (فقعوا لاساجدين) فنشد من بين الملائكة لترك السجود فلهذا إبليس من الرحمة أي أوبس من الرحمة فأخطأ فيه الله في قياسه ودعواهم أن النار أشرف من الطين أيضا فإن الطين من شأنه الرزاة والحلم والأناة والثبات، والطين عمل النبات والنمو والزيادة والصلاح والتار من شأنها الاحراق والطيخ والسرعة ولهذا كان إبليس عنصره وقع آدم عنصره بالرجوع والانابة والاستكانة والافتقار والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والغفرة وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » هكذا رواه مسلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « خلق الله للملائكة من نور العرش وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » قلت لنعيم بن حماد أي نعت هذا من عبد الرزاق ؟ قال بالبين وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح « وخلق الجان من الزفران » وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن في قوله (خلقني من نار وخلقته من طين) قال قاس إبليس وهو أول من قاس إنسانه صحيح وقال حدثني عمر بن مالك حدثني يحيى بن سالم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس إبليس وما عيبت الشمس والقمر إلا بقائيس إنسانه صحيح أيضا

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ • قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ أَعُودُ ﴾

يقول تعالى مخاطباً لإبليس بأمر قدرى كوفي (فاهبط منها) أي بسبب عصيانك لأمرى وخرورك عن طاعتي

لما يكون لك أن تكبر فيها قال كثير من القسرين الضمير عائد إلى الجنة ويحتمل أن يكون عائداً إلى اللذة التي هو فيها في اللذات الأخرى (فأخرج إنك من الصاغرين) أي الداليلين الخعيرين معاملة له بقبيض قصد ومكافأة لمراده بنده فعند ذلك استدرك القسرين وسأل النظر إلى يوم الدين قال (أنظروني إلى يوم يمشون قال إنك من النظرين) أجابه تعالى إلى ما سألتك من الحكمة والإرادة والشيء الذي لا تخالف ولا تمنع ولا مقب لحكمه وهو سريع الحساب

(قَالَ قَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)

يخبر تعالى أنه لما أغوى إبليس (إلى يوم يعثون) واستوثق إبليس بذلك أخذ في العائدة والفرود فقال (قبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي كما أغويتني قال ابن عباس كما أضللتني وقال غيره كما أهلكني لأقعدن لمبادك الذين تخلفهم من ذرية هذا الذي أبديت بسببه على (صراطك المستقيم) أي طريق الحق وسبيل النجاة ولأضللهم عنها لتلا بعدوك ولا يوجدوك بسبب إضلالك إليي وقال بعض النحاة الباء هنا قسمية كأنه يقول فباغوائك إليي لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال مجاهد: صراطك المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سودة عن عون بن عبد الله يعني طريق مكة، قال ابن جرير الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك (قلت) لما روى الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عجيل يعني الثقفى عبد الله بن قجيل حدثنا موسى بن السيب أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي الناكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الشيطان قد لا ين آدم بطرقة فقد له بطريق الإسلام فقال أنسلم وتلدريك ودين آبائك قال فصاه وأسلم» قال «وقد له بطريق الهجرة فقال أتأجر وتدم أرضك ومهادك ونعما مثل المهاجر كافر في الطول فصاه وهاجر ثم قد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس واللذات فقال قتلت فتقتل فتتكك المرأة وتقسم للال قال فصاه وجاهد» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فمن قتل ذلك منهم فأت كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقته فأت كان حقا على الله أن يدخله الجنة» وقوله (ثم لا تبتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) الآية على طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لا تبتينهم من بين أيديهم) أشكركهم في آخرتهم (ومن خلفهم) أرغبهم في دنياهم (وعن أيمانهم) أشبه عليهم أمر دنياهم (وعن شمائلهم) أشبه لهم المامى وقال ابن أبي طلحة في رواية العوفي كلاهما عن ابن عباس أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنام من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا يث ولا أجنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينا لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطام عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات وللمامى ودعاهم إليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وكذا روى عن إبراهيم النخعي والحكم بن عيينة والسدي وابن جريج إلا أنهم قالوا من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة وقال مجاهد من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يصرون واختار ابن جرير أن المراد جمع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم لا تبتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قال موحدين وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى (وقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فرقا من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا نعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) ولهذا ورد في الحديث الاستغاثة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها كما قال

الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم إني أسألك السفو والفاقية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورائي وآمن روعائي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوق وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي » فخر به البزار وحسنه وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عباد بن مسلم القزاري حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك السفو والفاقية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورائي وآمن روعائي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوق وأعوذ بظلمتك أن أغتال من تحتي » قال وكيع من تحتي يعني الحشف . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عباد بن مسلم به وقال الحاكم صحيح الإسناد

﴿ قَالَ أخرج منها مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَنِّي تَبِعْتُ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

أكد تعالى عليه اللعنة واللعن والإبعاد والنفي عن محل اللاأطلي بقوله (أخرج منها مذبذوما مذبذورا) قال ابن جرير أما للذم فهو للعب واللام غير مقدد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذوم ويتركون المذموم فيقول ذمته أذممه ذمما وذاما ، والذام والذم أبلغ في العيب من الذم قال وللذمور القصي وهو للبعد الطرود وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما نعرف للذموم وللذموم إلا واحداً وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن التيمي عن ابن عباس أخرج منها مذبذوما مذبذورا قال مقبها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صغيرا مقبها وقال السدي مقبها مطرودا وقال قتادة لعينا مقبها وقال مجاهد منبأ مطرودا وقال الربيع بن أنس مذبذوما منبأ وللذمور للضر . وقوله تعالى (لمن أتبعك منهم لأملائن جهنم منكم أجمعين) كقوله (قال اذهب فإني تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستغفرن من استطعت منه منهن بصوتك وأجلب عليهن غيلك ورجلك وشاركن في الأموال والأولاد وعدنهم وما يدعمن الشيطان إلا غرورا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكلا)

﴿ وَيَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَتَسْمَعُ لَهَا الشَّيْطَانُ يُبْدِي لَهَا مَا وَوَرَى عَنْهَا مِنْ سَوْآتِهَا وَقَالَ مَا تَهْتَكُمَا بَشَرًا هَذِهِ الشَّجَرَةُ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَالَتُمَا إِنَّ لَكُمَا لَئِنِ الْفَصِيحِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه أباح لأدم عليه السلام وزوجه حواء الجنة أن يأكل من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة فند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في الكسر والوسوسة والحذية ليلسهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن (وقال) كذبا واقتراء (ماها) كما ركبنا عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين (أي ثلا) تكونا ملكين أو خالدين هاهنا ولأنك أكلتا منها لحصل لك ذلكا كقوله (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أي ثلا تكونا ملكين كقوله (بين الله لكم أن تضلوا) أي ثلا تضلوا (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم) أي ثلا تتمد بهم وكان ابن عباس وعجي بن أبي كثير يقرأن (إلا أن تكونا ملكين) بكسر اللام وقرأ الجمهور بفتحها (وقاسمها) أي حلف لهما بالله (إني لكم لمن الناصحين) فإني من قبلكا هاهنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب النافعة والمراد أحد الطرفين كقائل خالد بن زهير ابن عم أبي ذؤيب

وقاسمهم بالله جهدا لأنهم * الله من السوء إذ ما نشورها

والله أعلم بصحتها ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ وقوله (ولكم في الأرض مسقر ومتاع إلى حين) أي قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة قد جرى بها القلم وأصحابها اقتدر وسطرت في الكتاب الأول وقال ابن عباس (مسقر) القبور وعنه قال (مسقر) فوق الأرض ونحتها روابها ابن أبي حاتم وقوله (قال فيها يحيون وفيها يموتون ومنها تخرجون) كقوله تعالى (منها خلقناكم ومنها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) غير تعالى أنه جبل الأرض دارا لئلا آدم مدة الحياة الدنيا فيها عيام وفيها مساهم وقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بمسله

﴿يُنَبِّئُ عَادَمَ قَدْ أَتَرَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوْرِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنَّا بَيِّنَاتٌ اللَّهُ لَكُلِّمُهُمْ يَدَّ مَكْرُونٍ﴾

يتمنى تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس ستر العورات وهي السواك والريش ما يتجمل به ظاهرا فالأول من الضروريات والريش من التكميلات والزيادات قال ابن جرير: الريش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس وحكا البخاري عنه الريش: اللال، وهكذا قال مجاهد وعروة ابن الزبير والسدي والضحاك وغير واحد وقال المولى عن ابن عباس: الريش اللباس والريش التعميم وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم الريش الجمال وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أصبغ عن أبي العلاء الشافعي قال لبس أبو أمامة ثوبا جديدا فمابله فترقوته فقال الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في حياتي ثم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ «من استجد ثوبا فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في حياتي ثم حمد إلى الثوب الخلق تصدق به كان في خدمة الله في جوار الله وفي كنفه أحيا وميتا» ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هارون عن أسبغ هو ابن زيد الجهلي وقد وثقه يحيى بن معين وغيره وشيخه أبو العلاء الشافعي لا يصر إلا بهذا الحديث ولكن لم يخرجه أحد والله أعلم وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع القاري عن أبي مطر أنه رأى عليا رضي الله عنه أتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرميحين إلى الكمين يقول حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الريش ما أجمل به في الناس وأوارى به عورتي فقبل هذا شيء ترويه عن شمسك أو عن النبي ﷺ قال هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة «الحمد لله الذي رزقني من الريش ما أجمل به في الناس وأوارى به عورتي» رواه الإمام أحمد وقوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) قرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وذلك خير خبره واختلف المفسرون في معناه فقال عكرمة يقال هو ما يلبسه للتقوى يوم القيامة ورواه ابن أبي حاتم وقال يزيد بن علي والسدي وقاتدة وابن جرير ولباس التقوى الإيمان وقال المولى عن ابن عباس الصالح قال الديال بن عمرو عن ابن عباس هو السميت الحسن في الوجه وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يبقى الله فيواري عورته فذلك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال حدثني الثقي حدثنا إسحق بن الججاج حدثني إسحق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص فوحى محول الثور وسميته بأمر بقتل الكلاب ونهى عن اللعب بالحمائم ثم قال يا أيها الناس اخفوا الله في هذه السراير فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «والذي نفس محمد بيده ما أمر أحد سريرة إلا لبسه الله رداها علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر» ثم قرأ هذه الآية (وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) قال السميت الحسن هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف وقد روى الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الأدب من طرق صحيحة عن الحسن البصري أنه سمع أمير المؤمنين عثمان ابن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على التبر وأما للرفع منه فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني

في معجزة النكير له شاهدا من وجه آخر حيث قال حدثنا (١)

﴿ يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْقَهُنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْرَحَ مِنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَئِكُمْ مِمَّا وَرَاقِبُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَؤْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يحدث تعالى بن آدم من إبليس وقيل معينا لهم عداوته القديمة لأن البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجهم من الجنة التي هي دار النعم إلى دار النيب والعناء والتسبب في هتك عورتهم بعد ما كانت مستورة عنه وما هذا إلا عن عداوة أكيدة وهذا كقوله تعالى (أقتتلونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

﴿ وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَآلَهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ • فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُقْتَدُونَ ﴾

قال مجاهد كان للشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدنا أمهاتنا فنضع المرأة على قلبها النعمة أو الشيء وقول:

اليوم يبدو بفضه أو كله • وما بدأ منه فلا أحله

فأنزل الله (وإذا ضلوا فاحشوا قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية قلت كانت العرب ماعدا قريشا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصاة الله فيها وكانت قريش وهم المحسن يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحسن ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم بقيه فلا يملكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحسن ثوبا طاف عريانا وربما كانت امرأة تقطوف عريانة فتجمل على فرجها شيئا ليستره بعض المسترققون .

اليوم يبدو بفضه أو كله • وما بدأ منه فلا أحله

وأكثر ما كان النساء يظفن عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويستقدون أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع فأنكر الله تعالى عليهم ذلك فقال (وإذا ضلوا فاحشوا قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فقال تعالى ردا عليهم (قل) أي يا محمد لمن ادعى ذلك (إن الله لا يأمر بالفسح) أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أنشدون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته وقوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أي بالعدل والاستقامة (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة الرسلين المؤيدين بالمعجزات فما أخبروا به عن الله وما جاءوا به من الترائع وبالإخلاص له في عبادته فانه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين أن يكون صوابا موافقا للشرية وأن يكون خالصا من الشرك وقوله تعالى (كما بدأكم تعودون) إلى قوله (الضلالة) اختلف في معنى قوله (كما بدأكم تعودون) فقال ابن أبي نجيب عن مجاهد (كما بدأكم تعودون) يعني ببد موتكم وقال الحسن البصري كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء وقال قتادة (كما بدأكم تعودون) قال بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا ثم ذهبوا ثم يبعدهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما بدأكم أولاً كذلك يبعدهم آخرها واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأبو عبد الله بن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة ابن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال يا أيها الناس إنكم

(١) كنا بهامش النسخة الأبلدية : هنا يبان في الأصل بلفظ نصف صحيفة وانظر الفسخ الصحيحة الثامنة .

نحشرون إلى الله حفاة عراة فلا كابدنا أول خلق نبيد وعدنا علينا إنا كنا فاعلين » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به وقال ورقاء بن إلياس أبو يزيد عن جهماد (كما بدأكم تمودون) قال يبعث للسلم مسلما والكافر كافرا وقال أبو العالية (كما بدأكم تمودون) ردوا إلى علي بنهم وقال سعيد بن جبير (كما بدأكم تمودون) كما كتب عليكم تكونون وفي رواية كما كنتم عليه تكونون وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (كما بدأكم تمودون) من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن حمل بأعمال أهل السعادة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه عليه وإن حمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدئوا عليه وقال السدي (كما بدأكم تمودون فرقا هدى وفرقا حق عليهم الضلالة) يقول (كما بدأكم تمودون) كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تمودون وتخرجون من بطون أمهاتكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (كما بدأكم تمودون فرقا هدى وفرقا حق عليهم الضلالة) قال إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا قال (هو الذي خلقكم فكنم كافر ومنكم مؤمن) ثم يمد يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا قلت ويتأيد هذا القول بمحدث ابن مسعود في صحيح البخاري « فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل أهل الجنة فيدخل أهل الجنة » وقال أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو عثمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنه ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم » هذا فاطمة من حديث أبي عثمان محمد بن مطرف اللدني في قصة قرمان يوم أحد وقال ابن جرير حدثني ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال « يبعث كل نفس على ما كانت عليه » وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به ولفظه « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وعن ابن عباس مثله قلت ويتأيد بمحدث ابن مسعود قلت ولا بد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها) وما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل مولود يولد فأسوة فطرية فأسوة فطرية فأسوة فطرية فأسوة فطرية » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى « إني خلقت عبادي حنفاء فبعدهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » الحديث، ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والسم بأنه لا إله غيره كما أخذ عليهم اليثاق بذلك وجهه في غرايزهم وفطرهم ومع هذا قدر أن منهم شقيا ومنهم سعيدا (هو الذي خلقكم فكنم كافر ومنكم مؤمن) وفي الحديث « كل الناس يشدوا فباتع شقة فمتقها أو موقها » وقدر الله نافذ في برته فانه هو (الذي قدر فهدى) و (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وفي الصحيحين « فأما من كان منكم من أهل السعادة فيسير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيسير لعمل أهل الشقاوة » ولما قال تعالى (فرقا هدى وفرقا حق عليهم الضلالة) ثم علل ذلك فقال (إنهم اغتوا الشياطين أولياء من دون الله) الآية قال ابن جرير وهذا من أين الضلالة على خطأ من زعم أن الله لا يذب أحدا على مصية تركها أو ضلالة اعتدتها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عناداً منه لربه فيها لأنه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو مجسباً عنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله تعالى بين أسلما وأحكماهما في هذه الآية .

(يَدْعِيْ اٰدَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ)

هذه الآية الكريمة رد على الشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء الرجال بالثياب والنساء بالليل وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بيشه أو كله • وما بدا منه فلا أحه

فقال الله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال الموقفي عن ابن عباس في قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يورى السواة وما سوى ذلك من جيد البز والتعاق فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وهكذا قال مجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقائدة والسدي الضحاك ومالك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تحريمها أنها زلت في طوائف المشركين بالبيت عراة وقد روى الحافظ بن مردويه من حديث سعيد بن بشر والأوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعاً أنها زلت في الصلاة في التمال ولكن في محته نظر والله أعلم ، ولهذا الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير وصحبه عن ابن عباس مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وإن خيرا أكمالكم الأئمة فانه يقول البصر وبنت الشعر» هذا حديث جيد الإسناد رجاله على شرط مسلم ، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقال الترمذي حسن صحيح ، وللإمام أحمد أيضا وأهل السنن بإسناد جيد عن حمزة بن حنبل قال : قال رسول الله ﷺ «عليكم بلباس البياض فالبسوها فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم» وروى الطبراني بإسناد صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين أن ثميا الهذلي اشترى رداء بألف وكان يصلي فيه ، وقوله تعالى (كلوا واشربوا) الآية قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال البخاري قال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف وغيلة ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو غيلة ، إسناده صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا يهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير غيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» ورواه النسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال «كلوا وتصدقوا والبسوا في خير» إسناده صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المعيرة حدثنا سليمان بن سليم السكبي حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت القسدام بن معد يكرب الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما ملأ ابن آدم وعاء شبرا من بطنه حب ابن آدم أكلا ثلاث يقمن صلبه فإن كان فاعلا لاهلته ثلاث لطامه وثلاث لشربه وثلاث لنفسه» ورواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي في مسنده حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا جعفر بن يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت» ورواه الدارقطني في الأفراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية ، وقال السدي كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الولد ما أقاموا في اللوسم فقال الله تعالى لهم (كلوا واشربوا) الآية يقول لا تسرفوا في التحريم وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا وشربوا بما رزقهم الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ولا تسرفوا) يقول ولا تأكلوا حرامنا ذلك الاسراف ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية يقول لا تسرفوا في الطعام والشراب ، وقال ابن جرير وقوله (إنه لا يحب للسرفين) يقول الله تعالى (إن الله لا يحب للمتدين) حده في حلال أو حرام الفالين فيما أحل لأجل الحرام

أو بتحريم الحلال ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِبِئَارِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى ردا على من حرم شيئا من الأكل أو الشراب أو اللباس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبيده في الحياة الدنيا وإن شركهم فيها الكفار حسا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد من الكفار فإن الجنة محرمة على الكافرين قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو حسين محمد بن الحسين القاضى حدثنا يحيى الحائى حدثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبي الثيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفون فأذن الله (قل) من حرم زينة الله التي أخرج لعباده فأمرهم بالثياب ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَنَمَاءَ بَطْنٍ وَالْأَنفَ وَالْبَهْمَىٰ وَغَيْرَ الْحِلِّ وَأَنْ تُفْرَسُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير مني ، الله فذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه للبع من الله » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود وجمعه الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الأنعام وقوله (والإثم والبنى غير الحق) قال السدي أما الإثم فالهسية والبنى أن تبني على الناس بغير الحق وقال مجاهد الإثم للمأسى كلها وأخير أن الباغي بنيه على نفسه وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطيئة المتعلقة بالفاعل نفسه والبنى هو التمدى إلى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى (وأن تهرسوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أي تصالوا له شركاء في عبادته (وأن تقولوا على الله ما تعلمون) من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدا ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الآية

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۚ بَلَدِي ۖ ءَادَمُ إِنَّمَا يَأْتِيَنكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي أَنْتُمْ وَأَصْلَحُ فَلَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَإِسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يقول تعالى (ولكل أمة أجل) أي قرن وجيل (أجل فإذا جاء أجلهم) أي ميقاتهم للقدر لهم (لا يستأذنون ساعة ولا يستقدمون) ثم أذن تعالى بي آدم أنه سمعت إليهم رسلا يقصون عليهم آياته وشر وحذر فقال (فمن اتقى واصلح) أي ترك الهزائم وفضل الطاعات (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما يكونون فيها مكثا مخلدا

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَهُمْ يَدْعُوا عَلَىٰ أَهْلِهِم مُّأْتَمَرِينَ ۚ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

يقول (من أظلم من اقترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى لا أحد أظلم من اقترى الكذب على الله أو كذب بآياته للزلة (أولئك بنالهم نصيبهم من الكتاب) اختلف القسرون في معناه فقال العوفي عن ابن عباس بنالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله أن وجهه مسود وقال بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول نصيبهم من الأعمال من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به وقال مجاهد ما وعدوا به من خير وشرا وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد واختاره ابن جرير وقال محمد بن كعب القرظي (أولئك بنالهم نصيبهم من الكتاب) قال عمله وورقه وعمره وكذا قال الريح بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول قوى في اللحن والسياق يدل عليه وهو قوله (حق إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) ونظير اللحن في هذه الآية كقوله (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم ندينهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله (ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله علم بذات الصدور نخبهم قليلا) الآية وقوله (حق إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) الآية غير تعالى أن اللائكة إذا توفت للمركبين خزيعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم أين الذين كنتم تهركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم ويقتدونهم من دون الله ادعوا يخلصوكم مما أنتم فيه قالوا (ضالوا عنا) أى ذهبوا عنا فلا نرجو منهم ولا نخيرهم (وفندوا على أنفسهم) أى أقروا واعترفوا على أنفسهم (أنهم كانوا كافرين)

(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتَ أَخْتَبَا حَتَّى إِذَا دُفِّرُوا كَوْنُهَا جِيَمًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لَاؤُلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتَيْنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَهُمْ لَاخْرِجْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)

يقول تعالى خبرا مما يقوله لهؤلاء المشركين به القترين عليه للكافرين بآياته (ادخلوا في أم) أى من أمثالكم وعلى صفاتكم (قد خلت من قبلكم) أى من الأمم السالفة الكافرة (من الجن والإنس في النار) يحتمل أن يكون بدلا من قوله في أم ويحتمل أن يكون في أم مع أم وقوله (كلا دخلت أمة لنت أختبا) كما قال الحليل عليه السلام (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض) الآية ، وقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقوله (حق إذا ادركوا فيها جيما) أى اجتمعوا فيها كلهم (قالت أخراهم لأولام) أى أخراهم دخلا وهم الأتباع لأولام وهم التبوعون لأنهم أشد جرما من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيسبكون الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلواهم عن سواء السبيل فيقولون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذابا ضيفا من النار) أى أضفت عليهم العقوبة كما قال تعالى (يوم نقبل وجوههم في النار فيقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أضلنا ساداتنا وكبرادنا فأضلونا السبلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب) الآية وقوله (قال لكل ضعف) أى قد قلنا ذلك وجازينا كلاهما كقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا) الآية وقوله (وليحلن ألقامهم وأهملوا مع أهملهم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم شير علم) الآية (وقالت أولام لأخراهم) أى قال التبوعون للأتباع (فما كان لكم علينا من فضل) قال السدي قد ضللتكم كما ضللتنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا آثم لكانا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا آثم صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم * بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار

إذ تأمرونا أن نسفر بالله ونجمل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجلسنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاقُوا فِيهَا فِي مِيزَانٍ يُنْزَلُ فِيهِمْ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تعلمُونَ) لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ يَبْتَغِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَجْرَ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا بِهٖ فَسَيُجْزَوْنَ أَعْرَافَهُمْ

قوله (لا تفتح لهم أبواب السماء) قيل الراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دماء قاله مجاهد وسعيد بن جبير ورواه العوفي وحكي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس، وقيل الراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وقاله السدي وغير واحد. ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن التهامي هو ابن عمرو عن زاذ - عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح القاجر وأنه يسعد بها إلى السماء فيصعدون بها فلا تمر بها من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الحبيثة فيقولون فلان يأتيح أسفاله التي كان يدعى بها في الدنيا حتى يتهاوى بها إلى السماء فيستفتحون بابها له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء) الآية هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن التهامي بن عمرو به وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن التهامي بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فأتينا إلى القبر ولا يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنه على رءوسنا الطير وفي يده عود ينسكت به في الأرض فرفع رأسه فقال « استغيثوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثة ثم قال - إن الصبد للؤمن إذا كان في المقاطع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء يبيض الوجه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحطوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مذ البصر ثم يجيء ملك اللوت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطمئة اخرجي إلى مقبرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجملوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نعمة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسفاله التي كانوا يسمونها بها في الدنيا حتى يتهاوى بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشبهه من كل ساء مقربوها إلى السماء التي تلها حتى يتهيأ بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل أكتبوا كتاب عبدني عليلين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتصد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دين الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقولان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما حملك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرسوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويوسع له في قبره مد البصر - قال - وبأية رجل حسن الوجه حسن الشارب طيب الريح فيقولوا بشر الله الذي يسرك هذا يومك الذي كنت تعد فيقول لمن أنت فتجيبها الوجه يجيبه بالحجر فيقول أنا حملك الصالح فيقول رب أتم الساعة رب أتم الساعة حتى أرجع إلى أهل والى - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في المقاطع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم للسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك اللوت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الحبيثة اخرجي إلى سخططين الله وغضب قال فتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف البلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجملوها في تلك السوح ويخرج منها كأثخن رجم جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة

للالسكة إلا قالوا ماهذه الروح الحية فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسماءه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى يتسبى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الحيات) فيقول الله عز وجل : اكثروا كتابه في سبعين في الأرض السفلى ، تطرح روحه طرحة - ثم قرأ - (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتأد روحه في جسده وبأية ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان مادينك يقول هاه هاه لا أدري فيقولان ماهذا الرجل الذي بهت فكبح فيقول هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار واقتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها ومومها وضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه وبأية رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منزع الريح فيقول أجزأ بالي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجره بالشر فيقول أنا صمك الحية فيقول رب لا تخم الساعة » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن خباب عن التميمي بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فذكر نحوه وفيه حتى إذا خرج روحه صل عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وقتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يمدون الله عز وجل أن يرج روحه من قبلهم وفي آخره ثم يقبض له أمي اسم أبك في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يبيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصبح صبيحة يسمعا كل شيء إلا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب من النار ويمد له فرش من النار وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لبت تحضرو للانسكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس اللطيفة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأجري بروج وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يرجع بها إلى السماء فيستفتح لما يقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأجري بروج وريحان ورب غير غضبان فيقال لما ذلك حتى يتسبى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأجري بجم وفساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج بها إلى السماء فيستفتح لما يقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والأرض تنصير إلى القبر » وقد قال ابن جرير في قوله (لا تفتح له أبواب السماء) لا تفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الحيات) هكذا قرأه الجمهور وفسروه بأنه البير قال ابن مسعود هو الجبل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البير في خرق الابرّة وكذا قال أبو العالية والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والوفى عن ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها يلج الجبل في سم الحيات بضم الجيم وتشديد الليم يعني الجبل اللبظ في خرق الابرّة وهذا اختيار سعيد بن جبير وفي رواية أنه قرأ حتى يلج الجبل يعني قلوب السفن وهي الحبال الفلاط ، وقوله (لهم من جهنم مهاد) قال محمد بن كعب القرظي (لهم من جهنم مهاد) قال القرظي (ومن فوقهم غواش) قال الضعف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي (وكذلك نجزي الظالمين)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَزَوْجُنَا تَانِي صُدُورِهِمْ مِّنْ ظُلٍّ جَرَمِيٍّ مِّنْ تَحَنُّنٍمُ الْأُنثَرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَالِغًا يَلْحَقُ وَتُودُوا أَنْ تُلَٰكِمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَتُّوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأقياء عطف بذكر حال السعداء فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات يجوارحهم شد . (أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها) نية تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل لأنه تعالى قال (لا تكلف فيها الأرواح) أو تلك أسباب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل) أى من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى النضر التاجى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قطرة بين الجنة والنار فاقص لهم مقام كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وهوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا » وقال السدى في قوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار) الآية إن أهل الجنة إذا سقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينا ن اشربوا من إحداهما فينزح ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة التيم فلم يشعوا ولم يشعوا بعدها أبدا ، وقد روى أبو إسحق عن عاصم عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عجمان هذا كما سيأتى في قوله تعالى (وسيق الذين كفروا بهم إلى الجنة زمر) إن شاء الله وبالله التعليل ، وقال قتادة : قال على رضي الله عنه إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل) روى ابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن إسرائيل قال سمعت الحسن يقول قال على : فينا واقه أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وروى النسائى وابن مردويه والفظلمن حديث أبى بكر بن عياش عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هدانى فيكون له فكاك وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هدانى فيكون له حسرة » ولما لما أوردوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا أن تلكم أوردتموها بما كنتم تعملون ، أى بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وبهوائهم منازلكم بحسب أعمالكم . وأما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال (واعلموا أن أحدهم من يدخله عمله الجنة) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتخمدنى الله برحمته منه وفضل »

﴿ وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذْ نُودُوا أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴾

يخبر تعالى بما يخاطب به أهل النار على التفرع والتويغ إذا استقروا في منازلهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) أي هنا مفسرة لقول المحسن وقد ثبت تحقيق أى قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذى كان له قرين من الكفار (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال تالله إن كنت لثريد * ولولا لمة ربي لكنت من المضرين * أنا نحن ببيتين إلا موتنا الأولى وما نحن بمعذنين) أى ينكر عليه مقالته التى يقولها في الدنيا ويقرعها بما صار إليه من المذاب والكال وكذلك تهرعهم للامكة يقولون لهم (هلله النار التى كنتم بها تكذبون * أقسر هذا أم أتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تعبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون) وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتل القلب يوم بدر فنادى « يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شبة بن ربيعة - وصي رؤسهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فأتى وجبت ما وعدنى ربى حقا » وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوما قد جيفوا فقال والذى نفسى بيده ما أتم بأمر لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أت يجيبوا »

وقوله تعالى (فَإِذْ نُودُوا أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) أى أعلم معلم وتادى مناد (أن لعة الله على الظالمين) أى مستقرة عليهم ثم وصفهم

بقوله (الذين يصدون عن سبيل ويفوتها عوجا) أى يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء وينفون أن تكرر السبيل موجبة غير مستقيمة حتى لا يتبين أحد (وهم بالآخرة كافرون) أى وهم بقاء الله فى النار الآخرة كافرون أى جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابا عليه ولا عقابا فهم شر الناس أقوالا وأعمالا

﴿ وَيَتَّبِعُنَا جِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِمْيَهُمْ وَنَاذُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۚ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار به أن بين الجنة والنار حجابا وهو الحاجز اللان من وصول أهل النار إلى الجنة ، قال ابن جرير وهو السور الذى قال الله تعالى فيه (فصرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب) وهو الأعراف الذى قال الله تعالى فيه (وعلى الأعراف رجال) ثم روى بإسناده عن السدى أنه قال فى قوله تعالى (ويتبعنا ججباب) هو السور وهو الأعراف وقال مجاهد الأعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب ، قال ابن جرير والأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفا ، وإنما قيل لعرف اليك عرفا لارتفاعه . حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أنس يزيد بن عباس يقول الأعراف هو السور للشرف وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الأعراف سور كعرف الديك ، وفى روايه عن ابن عباس الأعراف جمع : تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار ، وفى رواية عنه هو سور بين الجنة والنار ، وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير ، وقال السدى إنما سمى الأعراف أعرافا لأن أصحابه يعرفون الناس ، واختلفت عبارات التفسيرين فى أصحاب الأعراف من هم وكلها قرية ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نزل عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله ، وقد جاء فى حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل حدثنا حميد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا الثمان بن عبد السلام حدثنا شيخ لنا يقال له أبو حيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته فقال « أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن النكدر عن رجل من مزيعة قال سئل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم عن استوت حسناته وسيئاته وعن أصحاب الأعراف فقال « إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا فى سبيل الله » وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو مشر حدثنا يحيى بن شبيل عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن أبيه قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال « هم ناس قتلوا فى سبيل الله بمصيبة آبائهم فقتلهم من دخول الجنة مصيبة آبائهم ومنهم من النار قتلهم فى سبيل الله » ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي مشر به ، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس والله أعلم بصحة هذه الأخبار للرؤية وقصاها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر . وقال ابن جرير حديث يعقوب حدثنا هشام أخبرنا حسين عن الشيمي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال قال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقتلت بهم سيئاتهم من الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار ، قال فوقوا هناك على السور حتى يقتضى الله فيهم ، وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا قال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي إسحق قال : قال الشيمي أرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فإذا هما قد ذكران أصحاب الأعراف ذكرًا ليس كأذكرنا قلنا لما إن شئنا أن نأتيناكما بما ذكر حذيفة قلنا هات قللت إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة (فإذا صرفت

أبصارهم تلقاه أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فينهم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم انهضوا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم . وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أكثر من سيئته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئته أكثر من حسنة بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله (فمن ظلمت موازينه) الآيتين ثم قال البرزاني يخفف عنقال حبة ويرجع قال ومن استوت حسنة وسيئته كان من أصحاب الأعراف فوقوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) تمودوا بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنة فانهم يطون نوراً يشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة مآلئ للناقصون قالوا (ربنا آتم لنا نورنا) وأما أصحاب الأعراف فلأن النور كان بأيديهم فلم ينزع فنهلك يقول الله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال قتال بن مسعود : إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول هلك من غلبت آثامه عشراته رواه ابن جرير وقال أيضا حدثني ابن وكيع حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال الأعراف: السور الذي بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف بذلك للكتاب حق إذا بدا الله أن ينافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافته تصب الذهب مكلل بالؤلؤ تراه للناس فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحوهم شامة يضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال : ننموا ما نمتن ، فيستنون حتى إذا انقطعت أمتنهم قالهم : لست الذي نمتن ومثلهمون صفاء ، فيدخلون الجنة وفي نحوهم شامة يضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن الليث عن جرير به وقد رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد وعن عبد الله بن الحارث من قوله وهذا أصح والأعلم وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال سعيد بن داود حدثني جرير عن حمادة بن القسقع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال « هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أتم قوم أخرجتك حسنتك من النار ولم تدخلوا الجنة فأتم عثمانى فأرعوهم من الجنة حيث شئتم » وهذا مرسل حسن ، وقيل هم أولاد آل زنا حكاه القرطبي وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شعبة ابن عثمان عن عروة بن روم عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن مؤمن الجن لهم نواب وعليهم عقاب فسانأه عن نوابهم وعن مؤمنهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ فسانأه وما الأعراف فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار رواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد الصري عن يوسف ابن يزيد عن الوليد بن موسى به ، وقال سفيان الثوري عن خفيف عن مجاهد قال أصحاب الأعراف قوم صالحون فقها علماء وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سبلان التيمي عن أبي جازر في قوله تعالى (وبينها حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال (نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » وإذا صرفت أبصارهم تلقاه أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغشى عنكم جمكم وما كنتم تستكبرون » أهؤلاء الذين أقسمت لانيألهم الله برحمة) قال فيقال حين يدخل أهل الجنة الجنة (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وهذا صحيح إلى أبي جازر لاحق بن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضا والله أعلم ، وقد حكى القرطبي وغيره فهم اثني عشر قولاً منها أنهم شهدوا أنهم صلحاء نهرعوا من فزع الآخرة وخلق يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل هم ملائكة وقوله تعالى (يعرفون كلا بسيماهم) قال

على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة بياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الشحاك عنه ، وقال المولى عن ابن عباس أنزلهم الله لتلك اللزلة ليعرفوا من في الجنة والنار وليرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتمودوا بالله أن يحصمهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحبون أهل الجنة بالسلا لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله وكذا قال مجاهد والشحاك والسدى والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وقال معمر عن الحسن إنه تلا هذه الآية (لم يدخلوها وهم يطمعون) قال والله ما يصل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدونها بهم وقال قتادة قد أنباكم الله بكناسهم من الطمع وقوله (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) قال الشحاك عن ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال السدى وإذا مروا بهم ينسى بأصحاب الأعراف بزمرة ينهب بها إلى النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال عكرمة تحمد وجوههم للنار فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)

﴿ وَتَأْتِي أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَعْلُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾
أَهْؤلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿

يقول الله تعالى إخبارا عن ضريح أهل الأعراف لرجال من صناديد للشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسياهم (ما أغنى عنكم جمعكم) أى كثرتكم (وما كنتم تستكبرون) أى لا ينفعكم كثرتكم ولا جوعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والبنكال (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ينس أصحاب الأعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أبى حدثني عمى حدثني أبى عن أبيه عن ابن عباس (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) الآية قال فلما قالوا لهم الذى قضى الله أن يقولوا ينس أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لأهل التكبر والأموال (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكاثفت أعمالهم قصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فصبوا على الأعراف يعرفون الناس بسياهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأثوا آدم فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدا خلقه الله بيده وشفع فيه من روجه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له للالاسكة غيرة ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا ابنى إبراهيم فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد أغضه الله خيلا هل تعلمون أن أحدا أحرقة قومه بالنار في الله غيرة ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كرهه الله تكليا وقربه نجا غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب ؟ فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يرى الأكله والأبرس ويحيى الموتى يا ذن الله غيرة ؟ قال فيقولون لا فيقول أنا حبيب نسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأشرب يدي على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أتف بين يدي العرش فأرى عز وجل فيفتح لى من السماء مالم يسمع السامعون بمثابة قط ثم أسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى ثم أتنى على ردى عز وجل ثم أخرج ساجدا فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول ردى أمى فيقول هم لك فلا يبق نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطنى بذلك للقام وهو اللام المحمود فأرى بهم الجنة فأستفتح فيفتح لى ولهم (١) لم يرد في النسخ هنا كلمة غيرة .

فيلهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافته نصب مكل بالؤلؤ ترابه السك وحباطه الباقوت فيقتلون منه تعود إليهم أوزان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصرون كأنهم الكواكب المبرية ويبقى في صدورهم شامات يضيء يرفون بها يقال مساكن أهل الجنة

(وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرِبَتْ عَنْهُمْ آلُهَا فِي الدُّنْيَا فَأَيُّومَ نُنَجِّهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِثَابِتِينَ يُجْعَدُونَ ۙ)

جبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يحايون إلى ذلك قال السدي (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستقونهم ، وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: ينادي الرجل أبه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفوض لي من الماء فيقال لهم أجييهم فيقولون (إن الله حرهما على الكافرين) وروى من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (إن الله حرهما على الكافرين) يعني طعام الجنة وشرابها ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن النخعي حدثنا أبو موسى الصفار في دار حمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو مثل أي الصدقة أفضل ؟ قال : قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة للماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » وقال أيضاً حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت إلى ابن أخيك هذا فيرسل إليك يستقود من الجنة له أن يشفيك به فبعاه الرسول وأبو بكر عند النبي ﷺ قال أبو بكر إن الله حرهما على الكافرين ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يستمدونه في الدنيا باغاثهم الذين لهم ولها واغترارهم بالدين وزخرفها مما أمروا به من العمل للأخرة ، وقوله (فاليوم ننسأكم كما نسأكم لقاء يومهم هذا) أي بما لهم من نسأكم لأن الله تعالى لا يخذ عن علمه ولا ينسأكم كما قال تعالى (في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) وإنما قال تعالى هذا من باب التلقاة كقوله (نسأكم الله فنسأكم) وقال (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى (وقيل اليوم ننسأكم كما نسأكم لقاء يومكم هذا) وقال الوقي عن ابن عباس في قوله (فاليوم ننسأكم كما نسأكم لقاء يومهم هذا) قال ننسأكم الله من الجبر ولم ينسأكم من الشر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا ، وقال مجاهد تركهم في النار ، وقال السدي تركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا لقاء يومهم هذا ، وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الحبل والإبل وأندرك رأس وترج ؟ فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاق ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنسأكم كما نسأكم

(وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَقُلْنَا لَنْ نَمُوتَ وَنُحْيَا فَتَنَمَلُوا لَنَا أَوْ نَرُدُّكُمْ قَدْ خَفِيَ الْأَمْرُ الَّذِي كُنَّا تُفْعَلُونَ ۙ)

يقول تعالى غيراً عن إعراده إلى التبركين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل مبين كقوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) الآية ، وقوله (فصلناه على علم) للعالمين أي على علم منا بما فصلناه

به كقولہ (أنزلہ بصلہ) قال ابن جریر وھذہ الآیہ مردودۃ علی قولہ (کتاب أنزل إلک فلا یکن فی صدرك حرج منہ) الآیہ (ولقد جئناک بکتاب) الآیہ وھذا الذی قالہ فیہ نظر فأنہ قد طال الفصل ولا دلیل علیہ ونعما الأمر أنہ لا أنجبر بما صاروا إلیہ من الخسارۃ ذکر أنہ قد أزیح علیہم فی الذی یارسال الرسل وإنزال النکت کقولہ (وما کننا معذبین حق نبث رسولا) ولھذا قال (هل ینظرون إلا تأویلہ) أى ما وعدوا به من العذاب والنکال والجنۃ والنار قالہ مجاہد وغیر واحد وقال مالک: ثوابہ ، وقال الریبع لا یزال یجئ من تأویلہ أمر حقیر من یوم الحساب حق یدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فیتم تأویلہ یومئذ قولہ (یوم یأتی تأویلہ) أى یوم القیامۃ قالہ ابن عباس (یقول الذین نسوہ من قبل) أى ترکوا العمل بہ وتناسوہ فی الدار الدنیا (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفاء فیشفوا لنا) أى فی خلاصنا عما صرنا إلیہ مما نحن فیہ (أو نرد) إلی الدار الدنیا (نفعل غیر الذی کننا نعمل) کقولہ (ولو ترى إذ وقفوا علی النار فقالوا یا لیتنا نرد ولا نکذب بآیات ربنا ونکون المؤمنین) بل بدلہم ما كانوا یفنون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنہم لکاذبون) كما قالہم (قد خسروا أنفسهم وذل عنہم ما كانوا یفنون) أى خسروا أنفسهم بدخولہم النار وغلودہم فیہا (وذل عنہم ما كانوا یفنون) أى ذهب عنہم ما كانوا یبدونہم من دون اللہ فلا یشفون فیہ ولا ینصرونہم ولا یتقدونہم مما هم فیہ

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ الْاِلَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

غير تعالى أنہ خالق العالم سمواتہ وأرضہ وما بین ذلك فی ستہ أيام كما أخبر بخلق فی غیر ما بآیہ من القرآن والستہ الأيام هی الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وفيہ خلق آدم علیہ السلام واخلقوا فی ہذہ الأيام هل كل يوم منها كہذہ الأيام كما هو للتبادر إلی الاذهان أو كل يوم كالف سنة كما نرى علی ذلك مجاہد والإمام أحمد بن حنبل ویروی ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس ، فأما يوم السبت فلم يقع فی خلق لأنہ اليوم السابع ومنہ ممی السبت وهو القطع فأما الحديث الذی رواہ الإمام أحمد فی مسنده حیث قال حدثنا حجاج حدثنا ابن جریج أخبرنی إسماعیل بن أمیہ عن أيوب بن خالد عن عبد اللہ بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول اللہ ﷺ یبدي فقال « خلق اللہ التربة يوم السبت وخلق الجبال فیہا يوم الأحد وخلق الشجر فیہا يوم الاثنين وخلق للكرود يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وث فیہ الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فی آخر ساعة من ساعات الجمعة فی بین المصر إلی اللیل » فقد رواہ مسلم بن الحجاج فی صحيحہ والنسائی من غیر وجہ عن حجاج وهو ابن محمد الاور عن ابن جریج به وفيہ استيعاب أيام السبعة واللہ تعالى قد قال فی ستہ أيام ولقد تكلم الجنارى وغير واحد من الحفاظ فی هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا واللہ أعلم

وأما قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فللناس فی هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك فی هذا المقام مذهب السلف الصالح مالک والأوزاعی والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحق بن راهويه وغيرهم من أئمة السلفين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر للتبادر إلی أذهان السامعين مننى عن اللذان اللہ لا يشبه شيء من خلقه (وليس كنه شيء وهو السميع البصير) بل الأمر كما قال الأئمة منهم نسیم بن حماد الخزازی شيخ البخارى قال من شبه اللہ بخلقہ كفر ومن جحد ما وصف اللہ به نفسه فقد كفر وليس فیہا وصف اللہ به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة علی الوجه الذى يليق بمجلال اللہ ونفى عن اللہ تعالى التقاضى فقد سلك سبيل الهدى ، وقوله تعالى (يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا) أى يذهب ظلام هذا يضيء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا أى سرعا

لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري مسقرها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تمرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فقوله (والليل سابق النهار) أى لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال (يطلعه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) منهم من نصب ومنهم من رفع وكلامه قريب للبنى أى الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيتته ولهذا قال منها (ألا له الخلق والأمر) أى له الملك والتصرف (تبارك الله رب العالمين) كقوله (تبارك الذى جعل فى السماء رجاء) الآية قال ابن جرير حدثنى الثقى حدثنا إسحق حدثنا هشام أبو عبد الرحمن حدثنا بنية بن الوليد حدثنا عبد القهار بن عبد العزيز الأنصارى عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له حصة قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يحمدا الله على ما عمل من عمل صالح وحمدا نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل لعباد من الأمور شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه » قوله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وفى السماء للأثور عن أبي الفراء وروى مرفوعا « اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله »

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَنُوقًا وَطَعْمًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذى هو صلاحهم فى دنياهم وأخراهم فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قيل معناه تذلا واستكانة وخفية كقوله (واذكر ربك فى شك) الآية وفى الصحيحين عن أبي موسى الأشعرى قال رفع الناس أصواتهم بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غافا إن الذى تدعون صميع قريب » الحديث ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله (تضرعا وخفية) قال السر وقال ابن جرير تضرعا تذلا واستكانة لطاعته وخفية يقول بنحشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحديته وربوبيته فبا بينكم وبينه لاجهارا مرادة وقال عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال إن كان الرجل قد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد قه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليعلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزور وما يشمرون به ولقد أدركننا أئواما ما كان على الأرض من عمل يتدرون أن يصلوه فى السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الصلاة وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا رضى الله عنه فقال (إذ نادى ربه نداء خفيا) وقال ابن جريج يكره رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء ويؤمر بالضرع والاستكانة ثم روى عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله (إنه لا يحب للمتعدين) فى الدعاء ولا فى غيره وقال أبو جابر (إنه لا يحب المتعدين) لا يسأل منازل الأنبياء ، وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن عرق سمعت أبا نعامه عن مولى لسعد أن سمعا سمع ابنه ليدعو وهو يقول اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحو ما من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وتموت به من شرك كثير وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه سيكون قوم يستدون فى الدعاء - وفى لفظ - يستدون فى الطهور والدعاء - وقرأ هذه الآية (ادعوا ربكم تضرعا) الآية وإن بحسبك أن تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل » ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن عرق عن أبي نعامه عن مولى لسعد عن سعد فذكره والله أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامه أن عبد الله بن مسفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن عيين الجنة إذا دخلتها فقال يا بنى سأل الله الجنة وعذ به من النار

﴿ قَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِ صَلَوةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ السَّمَلِينَ • أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولٌ رُبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يوصل به وفرغ منه شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إندريس النبي عليه السلام فيها يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانس بن شيث بن آدم عليهم السلام هكذا نسب محمد بن إسحق وغير واحد من أئمة النسب قال محمد بن إسحق ولم يلق بهمن قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل وقال يزيد الرقائسي إنما سمى نوح لكثرة ما نوح على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليها السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما بعثت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد ومسوروا منورا أولئك فيها ليتذكروا وعبادتهم فيقتشبوها بهم فلما طال الزمان جسدوا أجسادا على تلك الصور فلما عادى الزمان عبثوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواها وضوت وسوق ونسرا فلما ضاع الأمر بعث الله سبحانه وتعالى وه المجد والمنة رسوله نوحا فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي من عذاب يوم القيامة إذا قسّم الله وأتم مشركون به (قال للملأ من قومه) أي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم (إنا نراك في ضلال مبين) أي في دعوتك إلانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا وهكذا حال الصغار إنما يرون الأبرار في ضلالة كقولهم (وإنا راوهم قالوا إن هؤلاء لغاللون) (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أي في خبر ذلك من الآيات (قال يا قوم ليس في ضلالة ولكني رسول من رب الملائكة) أي أنا ضال ولكن إنا رسول من رب كل شيء ومليكه (أليفسك رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغا نصيحا ناصحا طالما بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا « أيها الناس إنكم مسئولون عنى فما أتم قالون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء ويكسها عليهم ويقول « اللهم اشهد اللهم اشهد »

﴿ أَوْصَيْنَاهُ أَنْ جَاءَ كُلُّ مِذْرَبٍ مِنْ رِبِّكَمْ عَلَىٰ رِجْلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَ كُمْ وَلِتَقْتُولُوا وَلِتَكْلِمَكُمْ تَرْجُونَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (أو عجبتم) الآية أي لا تصبوا من هذا فإن هذا ليس بعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفًا وإحسانا إليكم لينذركم ولتقتولوا وحتما ولا ولا تتركوا به (وللمك ترجعون) قال الله تعالى (فكذبوه) أي نادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم إلا قليل كما نص عليه في موضع آخر (فأنجيناه والذين معه في الفلك) أي السفينة قال : فأنجيناه وأصحاب السفينة (وأغرقتا الذين كذبوا بآياتنا) كما قال (بما خطيتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) وقوله (إنهم كانوا قوما عمن) أي عن الحق لا يصرون ولا يهتدون له فين تعالى في هذه القصة أنه انتم أولياءه من أعدائه وأتبعي رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم من الكافرين كقوله (إنا لننصر رسلا) الآية وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة فيها للذين

والنظر والقلب لهم كما أهلك قوم نوح بالقرق ونجى نوحا وأصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاقت بهم السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوم نوح إلا بالأرض ملائ بهم وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحازر وقال ابن وهب بلغني عن ابن عباس أنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم وكان لسانه عرييا رواه ابن أبي حاتم وروى متصلا من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما

(وَأَنَّىٰ عَادَ أَخَاهُمُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قَالَ الْكَلْبُ الَّذِي كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ • قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولٌ رَبِِّّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ • أَوْحَيْتُمُ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ • وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْغُلْفَىٰ بَصَلَةً فَأَذْكُرُوا لَكُمْ آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ •)

يقول تعالى وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحا كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال محمد بن إسحق هم ولد عاد ابن إرم بن عوص بن سام بن نوح (قلت) هؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكروهم الله وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العمدة في البر كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد • إرم ذات الجوارح • التي لم يخلق مثلها في البلاد) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بشير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمحذون) وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحاف وهي جبال الرمل قال محمد بن إسحق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كنييا أحمر مخالطة مندة حمراء ذا أراك وسدر كثير باحثة كندا وكذا من أرض حضرموت • هل رأيته ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنتهت تحت رجل قد رآه • قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود عليه السلام رواه ابن جرير • وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن فإن هودا عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسباً لأن الرسل إنما يشتم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه كما عدد خلقهم شدد على قلوبهم وكانوا من أشد الأمم تكديبا للحق ولهدا ما هم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتوحيده (قال للآل الذين كفروا من قومه) واللائهم الجمهور والسادة والقادة منهم (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أي في ضلالة حيث تدعوننا إلى ترك عبادة الأصنام والأحبال على عبادة الله وحده كما تعجب للآل من قريش من الدعوة إلى إله واحد فقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) الآية (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين) أي لست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه (ألبسكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) وهذه الصفات التي يصف بها الرسل البلاغ والناصح والأمانة (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي لا تعجبوا أن يبعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام التوفيق بل احمدا الله على ذلك (وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي وأذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك أهل الأرض بدعوتهم لما خلقوه وكذبوه (وزادكم في الخلق بسلطة) أي زاد طولكم على الناس بسلطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة طالوت (وزادهم بسلطة في العلم والجسم) (وأذكروا آلاء الله) أي نعمه ومنته عليكم (لعلكم تفلحون) والآلاء جمع إلى وقيل آل

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَبْدُ آبَاؤُنَا فَاتَّبِعْنَا مَا نَدَىٰ إِنَّ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ

وقد كانت نساقم بحجر • فقد أمتت نساقم غياي • وإن الوحش تأتتهم جهارا
ولا تخفى لمدى سهايا • وأنتم هاهنا فيها اشتيت • نهاركم وليكم القهايا
فحبس وفدكم من وفد قوم • ولا تقوا التحية والسلايا

قال فعند ذلك تبه القوم لما جاءوا له فبهضوا إلى الحرم ودعوا قرومهم فعدوا داعمهم وهو قيل بن عزة فأنشأه الله
سحابات ثلاثا يضاء وسوداء وحمرها ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك أو قومك من هذا السحاب فقال :
اخترت هذه السحابة السوداء فأتها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمدا لا تليق من عاد أحدا لا والدا
ترك ولا ولدا ، إلا جعلته همدا ، إلا بني الوذية للهندا ، قال وبني الوذية يطن من عاد يقيمون بمكة فلم يصعب ما أصاب
قومهم قال قوم من بني من أنسلهم وذراريهم عاد الآخرة قال وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل
ابن عزة بما فيها من النخلة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له اللثيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض
مطرنا يقول (بل هو ما استجبته به ربح فيها عذاب أليم • تدمر كل شيء) أي تلك كل شيء مرت به فكان أول
من أبصر ما فيها وعرف أنها ربح فيما يذكره امرأة من عاد يقال لها ميمد^(١) فلما تبينت ما فيها صاحبت ثم صغقت فلما أفاقته
قالوا مارأيك يا ميمد ؟ قالت ربحا فيها فيه النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وعمانية أيام حوسما
كما قال الله تعالى والحسوم الهائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك ، واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر كركل ومن معه
من المؤمنين في ظفيرة ماسية ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلد الأتس وانها فجر على عاد بالنظن ما بين السماء
والأرض وتبعهم بالحجارة وذكر تمام القصة بطولها وهو سباق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال الله تعالى (ولما
جاء أمرنا نحيينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ)

وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله ، وقال
الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو الحسن سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي الجوز عن أبي
عن الحارث البكري قال خرجت أشكو الملاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالريذة
فلذا بسجوز من بني تميم متقطع بها قتلت لي يا عبد الله إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة هل أنت مبني
إليه قال فحملتها فأبيت المدينة فلذا للسجد عاص بأهلها وإذا راية سوداء تخفق وإذا بلال متقلد سيفا بين يدي رسول
الله ﷺ قلت ما هذان الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهها قال فجلست فدخل منزله أو قال
رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وسلمت فقال هل بينكم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم
ومررت بسجوز من بني تميم متقطع بها فسألتني أن أحملها إليك وهماي بإلب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله
إن رأيت أن تحمل بيننا وبين تميم حاجزا فأجل الهناء فعميت السجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإني أرى يضطر
منظرك قال قلت : إن مثل مثل ما قال الأول : معزى حملت حضفا ، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خيما أعوذ
بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد قال لي « وما وافد عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عادا
تسلطوا فبشوا واندا لهم قتاله قيل فربما يوهي بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتقنيه جاريان يقال لهما الجرادتان
فلما مضى الشهر خرج إلى جبل مرة فقال اللهم إنك تعلم أني لم أجبر إلى مرض فأدويه ، ولا إلى أسير فأدويه .
اللهم اسق عاد ما كنت تسقيه ، فمرت بسحابات سود فودى منها اختر فأوما إلى سحابة منها سوداء فنودى منها أخذها
رمادا رمدا ، لا تليق من عاد أحدا قال لما يفتي أنه بث الله عليهم من الرمح إلا قدر ما يجري في خافي هذا حتى
هلكوا قال أبو وائل وسبق قال وكانت للمرأة والرجل إذا بشوا واندا لهم قالوا لاسكن كوافد عاد هكذا رواه الإمام
أحمد في التلند ، ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلام
ابن أبي النضر عن عاصم وهو ابن بهلة ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضا عن أبو وائل عن الحارث بن حسان البكري
به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب به ووقع عنه عن الحارث بن زيد البكري فذكره ورواه أيضا

اعبدوا الله ما لكم من الاله غيره) فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا عابدون) وقال (ولقد بشنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) أي قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئكم به وكانوا هم الذين سألوأ صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة صباء عيناها بأشبههم وهي صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها السكابة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة شرباء فأتخذ عليهم صالح العهد والوفاق لأن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنوا به وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفااء وبراء يتحرك جنبها بين جنبها كما سألوأ فخذ ذلك آمن رئيسهم جند بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف عمود أن يؤمنوا فصدح ذؤاب بن عمرو بن ليد والحباب صاحب أوأانهم ورباب بن صر بن جلهس وكان جند بن عمرو بن عم يقال له : شهاب بن خليفة بن حملة بن ليد بن حراس وكان من أشراف عمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهأه أوألك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمن عمود يقال له موهي بن عشة بن النبل رحمه الله

وكانت صبة من آل عمرو • إلى دين التي دعوا شيأا • عزيز عمود كلمهم جميعا • فهم بأن يجب فلو أجابا لأصح صالح فينا عزيزا • وما عدلوا بأصحابهم ذؤابا • ولكن التواقمن آل حمر • تولوا بعد رخدعهم ذؤابا وأقامت الناقة وفضلها يد ما وضعت بين أظهرهم مدة تحرب من برأها يوما ودمعه لم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يجلبونها فيملأون ما شادوا من أوعينهم وأوانهم كما قال في الآية الأخرى (ونبئهم أن لئاء قسمة بينهم كل شرب مختصر) وقال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسبها لأنها كانت تتصلع من الساء وكانت على ما ذكر خلقا حائلا ومنظرا رأيا إذا مرت بأفامهم شرت منها فلما طال عليها ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال أنهم اغتصوا كلهم على قتلها ، قال قتادة بنس أن إلى قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راؤنهم يقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى (فكذبوه ففروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) وقال (وأكثنا عمود الناقة مبصرة فظلوا بها) وقال (ففروا الناقة) فأسند ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم ، وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجار وتكنى أم عثان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عدواة لصالح عليه السلام وكانت لها بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء عمود وامرأة أخرى يقال له صدقة^(١) بنت الحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال وكانت تحت رجل مسلم من عمود فقارقت فساكتا بجلان لمن التزم لها يقتل الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فمرست عليه شيأا إن هو عقر الناقة فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصعب بن مخرج بن الحيا فأجابه إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جلع وكان رجلا أحرأ ذرأ قصيرا يزعمون أنه كان وله زينة وأنه لم يكن من أيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهاد ولكن وله على قرائش سالف وقالت له أعطيك أي بناتي شئت على أن تقر الناقة فصد ذلك انطلق قدار بن سالف ومصعب بن مخرج فاستنويا غواة من عمود فاتبهما سبعة نفر صاروا تستمرهط وهم الذين قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وكانوا رؤساء في قومهم فاستألو القبيلة الكفارة بكلمها فطاعوهم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن لئاء وقد كن لها قدار ابن سالف في أصل صخرة على طريقها ولكن لها مصعب في أصل أخرى شرت على مصعب فرماها بسهم فانتظم به عضه ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها ففسدت عن وجهها لقدار وزمرته وحده عليها قدار بالسيف فكشف عن عرقها غرت ساقطة إلى الأرض ودرخت رفاة واحدة تحدر سقها ثم طعن

في لبثها فتحزها وانطلق سبها وهو فضيلها حتى أتى جبلا مبيا قصد أهل سفرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر بن جهم عن الحسن البصري أنه قال يارب أين أمتي ويقال إنه رغا ثلاث مرات وإنه دخل في سفرة فتاب فيها ويقال إنهم اتبعوه ففروا مع أمه فأنه أعلم . فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عثر الناقة وبلغ الحجر سالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون فلما رأى الناقة بكى وقال (تنتموا في داركم ثلاثة أيام) الآية وكان كلهم الناقة يوم الأرباء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا إن كان صادقا عجلنا قبلنا وإن كان كاذبا ألقناه بناقته (قالوا فهاضوا بالله لبيته وأهله ثم لقنوا لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنما لصادقون وسكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم) الآية فلما عزموا على ذلك وتواطأوا عليه وجاءوا من الليل ليفسكوا بني الله فأرسل الله سبحانه وتعالى وله العزة ورسوله عليهم حجارة فرضتهم سلفا وتجيلا قبل قومهم وأصبح نود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مضفرة كأوعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام التأجيل وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحطوا وقصدوا يشتظرون رحمة الله وعذابه عيانا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاذبتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم فاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي صرعى لا أرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير لا ذكر ولا أنثى قالوا إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها العريضة وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجلها قامت تسمى كاسرخ شيء فأتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم استسقيهم من لبناء فلما شربت ماتت قال علماء التفسير ولم يبق من ذرية نود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضى الله عنهم إلا أن رجلا يقال له أبو رغال كان لما وقت القصة بقومه مبقيا إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حبر من السماء فقتله وقد فهم في أول القصة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكر أن أبا رغال هذا هو والله خفيف الدين كانوا يسكنون الطائف قال عبد الرزاق عن معمر أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال « أتتبرون من هذا » قالوا « قال الله ورسوله أعلم قال » « هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فنهى الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن فها هنا ودفن معه غصن من ذهب نزل القوم فابتدروا بأسياهم فيبحثوا عنه فاستخرجوا الصن » وقال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو خفيف هذا مرسل من هذا الوجه ، وقدرى متصلا من وجه آخر كما قال محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فبرونا فبصر فقال « هذا قبر أبي رغال وهو أبو خفيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فبضع عنه فلما خرج أنشأته النملة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أمبشتموه فابتدروا الناس فاستخرجوا منه الصن » وهكذا رواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن إسحاق به قال شيخنا أبو الحجاج اللزى وهو حديث حسن عزيز (قلت) خرد بوجه بجير بن أبي بجير هذا وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث ، قال يحيى بن معين ولم أسمع أحدا روى عنه غير إسماعيل بن أمية (قلت) وعلى هذا فينبغي أن يكون وهم في رفع هذا الحديث . وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو لما أخذه من الثمودين قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم

﴿ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَنَصَحْتُكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾

هنا تحريم من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكتهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإياهم عن قبول الحق

وإعرابهم عن الهدي إلى الصبي قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تحريصا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثا ثم أمر بإرحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القلب قلب بدر فجعل يقول « يا أبا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا عتبة ابن ربيعة ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال له عمر يا رسول الله ما كنتم من أقوام قد جفوا فقال « والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم « بشي عشيرة التي كنتم لتبيك كذتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآوأي الناس وقاتلتموني وبصرني الناس فيشي عشيرة التي كنتم لتبيك » وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه (لقد أبغضكم رسالة ربي ونصحت لكم) أي فلم تنتصوا بذلك لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا ولهذا قال (ولكن لا تحبون الناس) وقد ذكر بعض المفسرين أن كل بني هلك أمتة كان ينهب فيقيم في الحرم حرم مكة والله أعلم ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا زمة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال (يا أبا بكر أي واد هذا ؟) قال هذا وادي عسفان قال « قد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمهن اليف أزهرم الباء وأردتهم النجار يلبون يحجون البيت الشيق » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرج أحدهم

﴿ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِقُونَ ﴾

يقول تعالى (و) قد أرسلنا (لوطا) أو هذيره (و) إذ ذكر (لوطا) إذ قال لقومه (ولوط هو ابن هارون بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من اللغو والحرام والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بآدم مهد ولا تأله ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو بن دينار في قوله (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) قال مانزا ذكره في ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكر آيولو ذكرنا ولهذا قال لهم لوط عليه السلام (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال وهذا إسراف منك وجهل لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الأخرى (هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) فأرغمهم إلى نساءهم فاعتدوا اليه بأنهم لا يشتهونهن (قالوا قد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) أي قد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا إرادة وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك وذكر للفسرون أن الرجال كانوا قد استنق بعضهم بعضا وكذلك نسائهم كن قد استنق بعضهم بعضا أيضا

﴿ وَتَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مَنْ قَرَّبَيْكُم بِهِمْ أَنْاسٌ يَبْطَرُونَ ﴾

أي ما أجابوا لوطا إلا أن هوأ بإخراجهم وقبيلهم من منة من بين أظهرهم فأخرجهم الله تعالى سالما وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين ، وقوله تعالى (إنيهم أناس يبطرون) قال قتادة عابوهم بغير عيب . وقال مجاهد : إنيهم أناس يبطرون من دابر الرجال وأدبار النساء . وروى عنه عن ابن عباس أيضا

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ هُوَ أَمْرٌ نَظَرْنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْغَايِينَ ﴾

يقول تعالى فأخبرنا لو طأ وأهل ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط قال تعالى (فأخبرنا من كان يهتفون
للمؤمنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) إلا أمرأتها لم تؤمن به ، بل كانت في دين قومها تأتبعهم عليه وتعلمهم
من يهتفون عليه من شيفاءه بإشارات ينهاونهم ، ولهذا لما أمر لوط عليه السلام ليسرى بأهله أمر أن لا يسلها ولا يخرجها
من البلد ، ومنهم من يقول بل اتبعهم فلما جاء المذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم والأظهر أنها لم تخرج من البلد
ولأعلاها لوط بل بقيت معهم ، ولهذا قال هنا (إلا أمرأتها كانت من الشاكرين) أي الباقيات وقيل من المالكين وهو
تفسير باللازم ، وقوله (وأمطرتنا عليهم مطرا) منسوخ قوله (وأمطرتنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند
ربك وما هي من الظالمين يبيد) ولهذا قال (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة من جرت على
مناصي الله عز وجل وركب ذنب رسوله وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللواط يليق من شاعق ويتبع بالحجارة
كما فعل قوم لوط ، وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجع سواء كان محصنا أو غير محصن وهو أحد قولي الشافعي
رحمه الله والحجة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الثورودي عن عمرو بن أبي حمر
عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » وقال
آخرون هو كإثباتي فإن كان محصنا رجم ، وإن لم يكن محصنا جلد مائة جلدة وهو القول الآخر للشافعي ، وأما إيمان
النساء في الأدبار فهو الوطية الصغرى وهو حرام باجماع العلماء إلا قولنا إذا لم يمسس السلف وقد ورد في النبي عنه أحاديث
كثيرة عن رسول الله ﷺ وقد تضمن الكلام عليها في سورة البقرة

(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ ۖ قَالَ يَبْقَوْمَ احْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْإِيزَانَ وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

قال محمد بن إسحق : هم من سلافة مدين بن إبراهيم وعشيب هو ابن ميكيل بن يسجر قال واحده بالراءانية يشرون
(قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي يقرب من طريق الحجاز قال الله تعالى (ولما ورد ما مدين وجد
عليه أمة من الناس يسقون) وهم أصحاب الأيكة كما سذكروه إن شاء الله وبه الثقة (قال يا قوم اعبدوا الله المسمى من إله
غيره) هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءكم بينتم ربكم أي قد أظلم الله الجميع والبيان على صدق ما جشكم به ، ثم وعظهم
في معاملتهم الناس بأن يوفوا للكيل واليزان ولا ييخسروا الناس أشياءهم ، أي لا يخونوا الناس في أموالهم وأخذوها
على وجه البیض وهو قصص للكيل واليزان خفية وتديسا كما قال تعالى (ويل للطفقين — إلى قوله — لرب العالمين)
وهذا تهديد شديد وعيد أكيد نال الله العاقبة منه ، ثم قال تعالى إخبارا عن عشيب الذي قال له خطيب الأنبياء
لنصاحة عبارته وجزالة موقعته

(وَلَا تَقْضُوا دِيْنَكُمْ قَرْضًا مُغْلًا ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا سُلُوكَ الَّذِينَ تَوَدَّعَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَاقِبِ يَوْمٍ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ غَافِلِينَ
إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرُوا ۖ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ • وَإِنْ كَانَ عَاقِبَةُ امْرَأَتِكُمْ غَافِلَةً فَإِلَيْنَا
أَرْسِلْنَا بِهِ وَطَاقِنَا ۖ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَصْبَحُوا خَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُمْ خَيْرَ الْحَاكِمِينَ)

يهتهم عشيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسى واللغو بقوله (ولا تصدوا بكل سراط توعدون) أي توعدون
الناس بالقتل إن لم يسلطوكم أموالهم قال السدي وغيره : كانوا عشارين ، وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد (ولا

تصعدوا بكل سراط تودعون) أى تودعون للؤمنين الآتين إلى شعب ليتبعوه والأول أظهر لأنه قال (بكل سراط) وهو الطريق وهذا الثانى هو قوله (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبوتوها عوجا) أى تودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة (واذكروا إذ كنتم قبيلا فكنتمكم) أى كنتم مستضعفين لقتلكم فصرتم أعزة لكثرة عدكم فاذكروا نعمة الله عليكم فى ذلك (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أى من الأمم الحالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصى الله وتكذيب رسله . وقوله (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت بها طائفة لم يؤمنوا) أى قد اختلفتم على (فاصبروا) أى انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم أى يفصل (وهو خير الحاكمين) فإنه سيحل المناقبة للمتقين ، والسمار على الكافرين

﴿ قَالَ أَلَمْ يَأْتِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِهِ لَتُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْ تَوَكَّنَا كَرِهِينَ • قَدْ أَفَرَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ وَهْنًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَمْنَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْهَلْكِ وَأَنْتَ خَيْرَ الْفَصِيحِينَ ﴾

هنا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيبا ومن معه من المؤمنين فى تولدعهم إياه ومن معه من المؤمنين الذى من القرية أو الإكراه على الرجوع إلى ملتهم وال دخول معهم فيهاهم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول والرداء أتباعه الذين كانوا معه على الله ، وقوله (أو لو كنا كارهين) يقول أى أتم فاعلون ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه فاننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيها أتم فيه قد أعظمنا القرية على الله فى جعل الشركاء معه أندادا وهذا تنبيه منه عن اتباعهم (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) وهذا رد إلى الله مستقيم فإنه يعلم كل شئ وقد أحاط بكل شئ علما (على الله توكلنا) أى فى أمورنا ما نأتى منها وما نذر (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أى احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم (وأنت خير الفاصحين) أى خير الحاكمين ، فانك العادل الذى لا يجوز أبدا

﴿ وَقَالَ أَلَمْ يَأْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ آمَنَّا بِشَيْبَةَ إِسْمَ إِنْ كُنَّا لَنَخْشَرَنَّ • فَأَخَذَتْهُمْ الرِّجَّةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ • الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْبَةَ كَانَ لَهُمْ يَفْقَهُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْبَةَ كَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

خبر تعالى عن عدة كفرهم وتوهم وما هم فيه من الضلال وما جعلت عليه قلوبهم من الحافة للحق ولهذا أقسموا وقالوا (لئن آتيتهم شعيبا إنكم إنا لخاسرون) فلعلنا عقبه بقوله (فأخذتهم الرجة فأصبحوا فى دارهم جانيين) أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجة وذلك كأرجوا شعيبا وأصحا به وتوهمهم بالجلاء كما أخبر عنهم فى سورة هود فقال (ولما جاهد أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جانيين) والنسبة هناك والله أعلم أنهم لا يهكوا به فى قولهم (أصلا تكم تأمرك) الآية فجاببت الصيحة فأصكتهم ، وقال تعالى إخبارا عنهم فى سورة الشعراء (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم النقلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وما ذلك إلا لأنهم قالوا له فى سياق القصة (فأستطع علينا كسفا من السماء) الآية ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم النقلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم النقلة وهى سحابة أظلمت فيها شر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض عديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخذت الأجسام (فأصبحوا فى ديارهم جانيين) ثم قال تعالى (كان لهم يافقوا فيها) أى كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التى أرادوا إجلاء الرسول وصحبته منها ثم قال تعالى مقابلا لقليلهم (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين)

﴿ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَىٰ عَلَىٰ قَوْمِي كُفْرِينَ ﴾
 أي قتلوا عنهم عيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والهلاك وقال مقربا لهم وموعظا
 (يا قوم لقد أبليتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أي قد أدبت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم
 به فلهذا قال (فكيف آتى على قوم كافرين ١)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْبَاءِ وَالضَّرَافِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّحُونَ ﴾ • ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ
 السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَافَ وَالسَّرَافَ فَأَخَذَ نَهْمُ بَنَتِهِمْ لَمْ يَشْعُرُوا ﴾

يقول تعالى خبرا عما اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء بالأساء والضراء . يعني بالأساء ما يصيبهم
 في أبدانهم من أمراض وأسماء ، والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلمهم بضرعون ، أي يدعون ويخشعون
 وينتهون إلى الله تعالى في كشف منازلهم . وتحذير الكلام انه ابتلاءم بالشدة ليضرعوا لما فعلوا شيئا من الذي أراد
 منهم قلب عليهم الحال إلى الرخاء ليخبرهم فيه ولهذا قال (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي حولنا الحال من شدة إلى
 رخاء ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك لما فعلوا وقوله (حتى عفاوا) أي كثروا
 وكثرت أموالهم وأولادهم وقاله تعالى (إذا كثروا) وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بنته وهم لا يشعرون
 يقول تعالى ابتليناهم بهذا ولهذا ليضرعوا وينبوا إلى الله لما نفع فيهم لاهلنا ولا هذا ولا اتوا بهذا ولا بهذا ، وقالوا
 قد مسنا من الأساء والضراء ثم بعد من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الزمان والضر ، وإنما هو الدهر تارات
 وتارات ، بل يظنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم الخالين وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله
 على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين « عجا المؤمنين لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له ، وإن
 أصابه ضراء صبر فكان خيرا له ، وإن أصابه سراء شكر فكان خيرا له » فالؤمن من يظن لا ابتلاء الله به من
 الضراء والسراء ، ولهذا جاء في الحديث ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج حيا من ذنوبه ، وللتأنيق مثله كمثل الحمار لا يدري
 فيه ربطه أهله ولا يقيم أرسوله ، أو كالكال ، ولهذا عقب هذا الصفة بقوله (فأخذناهم بنته وهم لا يشعرون) أي أخذناهم
 بالعقوبة بنته ، أي على بنته وعدم شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث « موت الفجأة رحمة المؤمن
 وأخذة أسف للكافر »

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَقْبَلُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ • أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ قَائِمُونَ • أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن
 يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْمِئُونَ • أَفَأَمِنُوا لَمَن كَفَرَ أَن يُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾

خبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها
 إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنهم إلى حين) أي ما آمنت قرية بتمامها إلا قوم
 يونس فلهم فاتهم آثموا وذلك بعد ما بانوا العذاب كما قال تعالى (وأرسلنا إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتنناهم إلى
 حين) وقال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير) الآية وقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) أي آمنت
 قلوبهم بما جاء به الرسل وصديقت به واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات (لفتناهم عليهم بركات من السماء
 والأرض) أي قطر السماء ونبات الأرض قال تعالى (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) أي ولكن كذبوا
 رسلهم فأتيناهم بالهلاك على ما كسبوا من اللأثم والمحارم ثم قال تعالى عفا وعدنا من عتاة أوامره والتجرؤ على

وزوجه (أفامن أهل القرى) أى الكافرة (أن يأتيمهم بأبناء) أى عذبا بنو كنانة (بياتا) أى ليلا (وم ياتمون) * أو أومن
أهل القرى أن يأتيمهم بأبنائهم (وم يلبون) أى فى حال غلهم وغفلتهم (أفامنوا مكرها) أى بأمره وقهره
عليهم (وأخذهم إياهم فى حال سهوهم وغفلتهم (فلا يأتين مكرها) إلا القوم الخاسرون) ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله:
للؤمن يميل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والقاسر يميل بالمعاصى وهو آمن

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتُفُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَحُوكُمْ ذُرِّيَّةً مِنْهُمْ وَنَطْعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أولم يبين لهم أن لو نشاء أممناهم بذنوبهم وكذا قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها يقول تعالى أولم يبين للذين يستخفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وحملوا أحمالهم وعتوا على ربهم (أن لو نشاء أممناهم بذنوبهم) يقول أن لو نشاء فقلنا بهم كما قلنا بمن قبلهم (ونطلع على قلوبهم) يقول ونختم على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة ولا تذكريا (قلت) وهكذا قال تعالى (أفلم يبدلهم كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمضون فمساكنهم إن في ذلك آيات لأولئى الذين) وقال تعالى (أولم يهد لهم كم أهلكتنا من قبلهم من القرون يمضون في مساكنهم إن في ذلك آيات أفلا يسمعون) وقال (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) الآية وقال تعالى (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى هل ترى لهم شىئا أو تسمع لهم صوتا وقال تعالى (ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكانهم في الأرض ما لم تكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحته فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى بعد ذكر إهلاك عاد (فأصبحوا لآيئى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين • ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سما وبصارا وآنفده لنا أغشى عنهم صهمهم ولا أصارهم ولا ألتفتهم من شىء إذ كانوا يجسدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزون • ولقد أهلكتنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال تعالى (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسل فكيك كان نكير) وقال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيك كان نكير) وقال تعالى (فكأن من قرية أهلكتها وهى غلالة فيها خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد • أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يشقون بها أو أكذان يسمعون بها فلها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى في الصدور) وقال تعالى (ولقد استهزؤا رسل من قبلك فخاف بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون) إلى غير ذلك من الآيات الباطية على حلول شمه بأعدائه وحصول نمته لأوليائه ولهذا عقيبك بقوله وهو أصدق القائلين ورب الملئ

﴿ تِلْكَ الْقُرْءَانُ هُمْ عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ هُوَ مَا جَدْنَا لَكَ كُدِّمَ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ جَدَدْنَا لَكَ كُدِّمَ لِقَائِهِمْ ﴾

كذبوا من قبل) الباء سببية أى لما كانوا يؤمنوا بما جاءهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم حكم ابن عطية رحمه الله وهو متجه حسن كقوله (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * وحلب أفنتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية ولهذا قال هنا (كنفك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم) أى لأكثر الأمم الماضية (من عهد وإن وجدنا أكثرهم فاستقن خارجين عن الطاعة والامتثال والسهد الذى أخذهم ما جعلهم عليه وفطرم عليه وأخذ عليهم فى الأصلاب أنه ربههم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفى القطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالتهى عن ذلك كما جاء فى صحيح مسلم يقول الله تعالى «إنى خلقت عبادى خفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم» وفى الصحيحين «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» الحديث وقال تعالى فى كتابه العزيز (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد يفتن فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) إلى غير ذلك من الآيات وقد قيل فى تفسير قوله تعالى (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) ما روى أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالىة عن أبى بن كعب فى قوله (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال كان فى علمه تعالى يوم أقروا له بالثبات أى فما كانوا يؤمنوا لهم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس عن أبى العالىة عن أبى بن كعب عن أنس واختاره ابن جرير وقال السدى (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال ذلك يوم أخذ منهم للثبات فآمنوا كرها وقال مجاهد فى قوله (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) هذا كقوله (ولو ردوا لعادوا) الآية

(ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ بِتَأْيِيدِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) يقول تعالى (ثم بشارناهم بموسى) أى الرسل للتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين (موسى بآياتنا) أى مجتبا ودلائل البينة إلى فرعون وهو ملك مصر فى زمن موسى (وملئه) أى قومه (فظلموا بها) أى جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعنادا كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة للفسدين) أى الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله أى انظر يا محمد كيف فعلنا بهم وأغر قنهم عن آخرهم بمعى من موسى وقومه وهذا أبلغ فى التكلم بفرعون وقومه وأشقى قلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به

(وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِلَىٰ رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ * قَالَ إِنِ كُنْتَ جِئْتَ بِثَبَاتٍ فَأْتِ بِهَا إِنِ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبل مصر فقال تعالى (وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين) أى أرسلنى الله هو خالق كل شىء وربه ومليك (حقى على أن لا أقول على الله إلا الحق) فقال بسنهم مناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق أى جدير بذلك وحصى به قالوا والباء وعلى يتأقان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال خضنة وخال حسنة وقال بعض المفسرين معناه حرص على أن لا أقول على الله إلا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق على معنى واجب وحق على ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق لا أعلم من جلاله وعظم شأنه (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى حجة قاطعة من الله أعطانيها دليلا على صدق فيما جئتكم به (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك وقهرهم ودعهم وعبادة ربك وربه

فانهم من سلالة نبي كريم إسرائيل وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن (قال إن كنت جئت بأية فأت بها إن كنت من الصادقين) أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت فإن كانت معك حجة فأظهرها لئلاها إن كنت صادقا فيما ادعيت

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ثَمْبَانٌ مُبِينٌ) الحية الذكر وكلها قال السدي والضحاك وفي حديث الثنوني من رواية يزيد بن هارون بن الأصم بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (فألقى عصاه) فتحولت حية عظيمة فاغرتها فاهامسرة إلى فرعون فلما رآها فرعون أنها فاصدة إليه اتحمم عن سريره واستأثت بموسى أن يكنها عنه ففعل وقال قتادة تحولت حية عظيمة مثل المدينة وقال السدي في قوله (فإذا هي ثَمْبَانٌ مُبِينٌ) الثمبان الذكر من الحيات فأعته قاهها واضعة لحيا الأسفل في الأرض والأعلى على سوز القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا آمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فمادت عصا ، وروى عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا ، وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون أعرفك قال نعم قال (ألم نريك فينا وليدا) قال فرد إليه موسى الذي رد فقال فرعون خذوه فبادر موسى (فألقى عصاه فإذا هي ثَمْبَانٌ مُبِينٌ) فحملت على الناس فانهزموا منها فأت منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بضاً وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت رواه ابن جرير والإمام أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم وقوله (ونزع يده فإذا هي بيضاء للنظرين) أي أخرج يده من درعه بعدما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلأ لا من غير برص ولا مرض كما قال تعالى (وأدخل يدك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء) الآية وقال ابن عباس في حديث الثنوني : من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها إلى مكانه فمادت إلى لونها الأول وكلها قال مجاهد وغير واحد

(قَالَ أَلَسْأَمَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَكِيدُ أَتْمُورَهُمْ)

أي قال للأروم والجمهور والساعة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد ما رجع إليه روعه واستقر على سريره لمسلطه بعد ذلك قال للأروم (إن هذا لساحر عليم) فواقوه وقالوا كفائته وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلهم في إطفاء نوره وإخاد كنهه وظهور كذبه وإقتراعه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فبا يمتدنون ليسكون ذلك سببا لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقصوا فيه كما قال تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) فلما تشاوروا في شأنه واتمروا بما فيه اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى

(قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوْكُّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)

قال ابن عباس (أرجه) أخره وقال قتادة أحسبه (وأرسل) أي ابش (في المدائن) أي في الأقاليم ومدائن مملكة (حاشرين) أي من يحضر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا واعتقد من اعتقد منهم وأروم من أروم منهم أن ما جاء موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلما جمعوها السحرة ليمارضوه بنظر ما أراه من البينات كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال (أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلناتيك بسحر مثله فاجلس بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى) قال مودعكم يوم الرتبة وأن يحضر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى (وقال تعالى ههنا

(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفَرِّينَ)

غير تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استندعاهم لمارضة موسى عليه السلام إن غلبوا موسى ليثيبهم وليعطيهم عطاء ما جزى لا فوعدهم ومنهم أن يعطيهم ما أرادوا ويصلهم من جلسائه والمقرين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله

(عَالُوا يُمُوسَى إِنَّا أَنْ تَلْقَى وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ • قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم (إِنَّا أَنْ تَلْقَى وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ) أى قبلك كما قال في الآية الأخرى (وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْآخِرِ) فقال لهم موسى عليه السلام ألقوا أى ألقوا قلوبكم بالحكمة في هذا والله أعلم ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه فلذا فرغوا من بهرجهم وعالمهم جاهم الحق الواضح الجلي بعد التطلبة والانتظار منهم لحيث فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) أى خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال كما قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَعَصِمَ خَيْلٌ إِلَيْهِ مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَى • فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى • فَلَمَّا لَاحَظَ أَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى • وَأَلْقَى مَا فِي يَدَيْكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنْ مَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يَخْلُجُ السَّاحِرُ حَيْثُ آتَى) قال مفيان بن هيبنة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : ألقوا جيلا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت خيل إليه من سحرم أنها تسمى وقال محمد بن إسحق صف خسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر جاله وعصيه وخرج موسى عليه السلام معه أخوه شقرا على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشرف أهل مملكته ثم قال السحرة (إموسى) إِنَّا أَنْ تَلْقَى وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْآخِرِ • قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَعَصِمَ) فكان أول ما اختطفوا بسحرم بموسى وبصر فرعون ثم إصار الناس بعد ثم أتى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والبصى فلذا حبات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا وقال السدى كانوا بضمة وثلاثين ألف رجل ليس رجل منهم إلا ومعه جبل وعصا (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) يقول فرعونهم أى من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن حبان عن هشام الدستوائى حدثنا القاسم بن أبي مرة قال سمع فرعون سبعين ألف ساحر ألقوا سبعين ألف جبل وسبعين ألف عصا حتى جعل خيل إليه من سحرم أنها تسمى ولهذا قال تعالى (وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتَلَفَّىٰ نَافٍ كُنْ فَوَرَّقَ الشَّجَرُ كُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَنفِثُوا مِنْهَا نَافٍ وَأَتَلَبَّوْا صَافِرِينَ هَؤُلَاءِ السَّعِيرَةُ سَجِدِينَ • قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْمَلِيقِينَ هَرَبَ مُوسَىٰ هَارُونَ)

غير تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الوقت العظيم الذى فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره بأن يلقى ما في يمينه وهى عصاه (فَلَمَّا رَآهَا تُتَلَفَّىٰ) أى تأكل (مَا يَفْكُونَ) أى ما يلقونه ويوهون أنه حق وهو باطل قالوا بن عباس فبطلت لأمر شىء من جبالهم ولا من خشبهم إلا انقضت نفرت السحرة أن هذا شىء من السماء ليس هذا بسحر ففروا سجدوا وقالوا (آمَنَّا بِرَبِّ الْمَلِيقِينَ) رب موسى وهرون) وقال محمد بن إسحق جلست تتبع تلك الجبال والصلى واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخضعها موسى فلذا هى عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدوا قالوا آمنا برب الملقين رب موسى وهرون لو كان هتلساحرا ما غلبنا وقال القاسم ابن أبي مرة أوحى الله إليه أن ألقى عصاك فألقى عصاه فلذا هى ثمان مئين فاغراقه ينتلع جبالهم وعصيم فألقى السحرة عند ذلك سجدوا لما رفقوا ورومهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها

(قَالَ فِرْعَوْنُ وَاسْتَغْنَىٰ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ إِنَّ هَذَا كَسْرُكُمْ شَتْوُهُ فِي الدِّيْنَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا)

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ لَا صَلْبَكُمْ أَجْمِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ *
وَمَا نَنْفَعُ مِينَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا نَبَّأَتْ رَبَّنَا لَهُمَا جَهَنَّمَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا سَمِيرًا وَتَوَقَّفَا مُسْلِمِينَ ﴿١٠٠﴾

خبر تعالى عما توعده فرعون لعنائه السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهره لقائهم من كيد ومكره في قوله (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أى إن غلبت لكم في يومكم هذا إنما كان عن تهاور منكم ورضا منكم لذلك كقوله في الآية الأخرى (إنه لكيركم الذى علمكم السحر) وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذى قاله من أبطل الباطل فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من شدين دعا فرعون إلى الله وأظهر للمعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به فنشد ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملته سلطتته فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم يبلاد مصر ممن اختار هو وللأولاد من قومه وأحضرهم عنده ووعدهم بالبطء الجزيل ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون . وموسى عليه السلام لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به وفرعون يعلم ذلك وإنما قال هذا تسترا وتديسا على رعاى دولته وجهلهم كما قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) فإن قوما صدقوه في قوله (أنار بكم الأمل) من أجهل خلق الله وأضلهم ، وقال السدى في تفسيره بإسناده الشهود عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) قال التقي موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أراك إن غلبت أؤمن بى وتشهد أن ما جئت به حق يقال الساحر لا يمين غدا يسحر لا يقبله سحر فوالله لئن غلبت لأؤمن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهما قائلا فلماذا قال ما قال ، وقوله (لتخرجوا منها أهلها) أى تجتمعوا أتم وهو وتكون لكم دولة وصولة وتخرجوا منها الأكابر والزعماء وتكون الدولة والتصرف لكم (ف سوف تعلمون) أى ما أصنع بكم ثم فر هذا الوعيد بقوله (لأقطعن أيدىكم وأرجلكم من خلفكم من خلاف) يعنى يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس (ولأصلبكم أجمعين) وقال في الآية الأخرى (في جذوع النخل) أى على الجذوع قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة (إننا إلى ربنا متقبلون) أى قد تحققتنا أنا إليه راجعون وعذاب أحد من عذابك ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك فلنصبر اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ولهذا قالوا (ربنا أفرغ علينا سيرا) أى عمن البصر على دينك والثبات عليه (وتوقفا مسلمين) أى متابعين لبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون (فافض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) * إننا نربنا لنفرلنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى * إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأت مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فنكسوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره شهداء برة ، قال ابن عباس وعبيد بن حمير وقناة وابن جريج كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء

﴿وَقَالَ التَّمَلُّونَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونَ وَقَوْمَهُ يُلَاسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَهَ لَيْتَكَ قَالَ سَقُنْهُمْ أُنْبَأَهُمْ بِسَاءِ مَا يَكُونُ لَكُمْ وَإِنَّا لَفَرِغَمَمْ قَهْرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ * قَالَ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْزِلَ عَذْرُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَتَّبِعُونَ﴾

خبر تعالى عما تعالى عليه فرعون وملؤه وما أضروه لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة (وقال

اللائم من قوم فرعون) أي لفرعون (أنتزموسى وقومه) أي أتدعهم لفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعتك ويدعوم إلى عبادة ربهم دونك بالله السبب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا (وبنورك وألتهك) قال بعضهم الواو هنا حالية أي أنتدعوقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك ؟ وقرأ ذلك ابن بكب وقد تركوك أن يبدوك وألتهك حكاه ابن جرير وقال آخرون هي عاطفة أي أتدعهم يصنعون من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك ألتهك وقرأ بعضهم الإتهك أي عبادتك وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الأولى قال بعضهم كان فرعون إله يعبده قال الحسن البصري كان لفرعون إله يعبده في السر وقال في رواية أخرى كان له حانة في عنقه معلقة يسجد لها وقال السدي في قوله تعالى (وبنورك وألتهك) وألتهت فيما زعم ابن عباس كانوا إذا رأوا قمرة حسناء أمرهم فرعون أن يبدوها فلذلك أخرج لهم السامري عجلا جسدا له خوار . فأجابهم فرعون فيما سألوه بقوله سقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نسل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حلزا من وجوده فكان خلاف ما رامه وضد ما قصد فرعون . وهكذا عومل في صنيعه أيضا لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد : أعزم الله وأذله وأرغم أهله وأغرقه وجنوده . ولما صمم فرعون على ما ذكره من السادة لبني إسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) ووعدهم بالعاقبة وأن العار ستبصر لهم في قوله (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) قال أوزينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك فقال منها لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال (عسى أن يكمن أن يهلك عدوكم) الآية وهذا تخفيض لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم ووزوال التعم

(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) • فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِفَةٌ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)

يقول تعالى (وقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصنا من الثمرات لعلهم يذكرون) فلما جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أي هذا طائفة منهم عند الله (ولكن أكثرهم لا يفقهون) يقول الزروع (ونقص من الثمرات) قال مجاهد وهو دون ذلك وقال أبو إسحق عن رجاء بن حيوة كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة (لعلهم يذكرون) فلما جاءتهم الحسنة) أي من الحبوب والرزق (قالوا لنا هذه) أي هذا لنا بما نستعفه (وإن تصبهم سيئة) أي جذب وقطع (يطيرون بموسى ومن معه) أي هذا بسببهم وما جاءوا به (ألا إنما طائفة منهم عند الله) قال طبري أن طائفة من آل فرعون (ألا إنما طائفة منهم عند الله) يقول مصابيحهم عند الله (ولكن أكثرهم لا يفقهون) وقال ابن جرير عن ابن عباس قال (ألا إنما طائفة منهم عند الله) أي من قبل الله

(وَقَالُوا مَتَى تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنُتَحَرَّتْ بِهَا) قَالَتْ نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ قَارِئَتُنَا عَلَيْهِمُ الْعُقُوفَانِ وَأُجْرَادُ الْقَمَلِ وَالضَّفَادِعِ وَاللِّمَّاءِ أَيْتٌ مُتَصَلِّتٌ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُتَجَرِّمِينَ • وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَى اأَدْعُ لَنَا رَبَّكَ إِنَّمَا عَاهَدُ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ • فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَلْفُوهُ إِذْ هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ)

هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم (مهما

تأنتا بمن آية لتسحرنا بها فأتحن لك بمؤمنين (يقولون أى آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقتنا رددناها فلا قبلها منك ولا تؤمن بك ولا بما جئت به قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلفوا في معناه فمن ابن عباس في زواية كثرة الأمطار للفرقة الثلاثة للزروع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم ، وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء ، وقال مجاهد الطوفان : لئلا والطاعون على كل حال ، وقال ابن جرير حدثنا ابن هشام الزاهلي حدثنا يحيى بن عمار حدثنا الليث بن خزيمة عن الحجاج عن الحكم بن ميثاء عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الطوفان الموت » وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن عمار به وهو حديث غريب وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (نطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) وأما الجراد المعروف مشهور وهو ما كثر لما ثبت في الصحيحين عن أبي بصير قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد فقال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد ، وروى الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « أحلت لنا ميتتان ودمان . الموت والجراد والسبك والطحال » ورواه أبو القاسم النبوي عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أبي تمام الأيلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله ، وروى أبو داود عن محمد بن القرج عن محمد بن زبرقان الأهوازي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال « أكثر جنود الله لا أكله ولا أحرمه » وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يضاف كما علفت فسه التفرقة أكل الضب وأذن فيه ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء منه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي الصدي حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ وسلم لا يأكل الجراد ولا السكوتين ولا الضب من غير أن يجرهما أما الجراد فجزى وعذاب . وأما السكوتان فلجرهما من البول ، وأما الضب فقال « أخوف أن يكون مسخا » ثم قال غريب لم أكتبه إلا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشبهه ويجه فروى عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر سئل عن الجراد فقال ليت أن عندنا منه قفصة أو قفصتين نأكله ، وروى ابن ماجه حدثنا أحمد بن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد سعيد بن الرزبان البقال ميمع أنس بن مالك يقول كان أزواج النبي ﷺ يتبادلن الجراد على الأطباق ، وقال أبو القاسم النبوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن يزيد القتيبي حدثني أبي عن صدى بن عجلان عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها عز وجل أن يطعمها لحا لادم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بيته بغير شياخ » وقال غير الشياخ الصوت وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا أبو بقر هشام بن عبد الملك الزنى حدثنا بقية بن الوليد حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير النخعي قال قال رسول الله ﷺ « لا تقاتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم » غريب جدا وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد) قال كانت تأكل مسامير أبوابهم وقطع الخشب ، وروى ابن عساكر من حديث علي بن زيد الخزازي عن محمد بن كثير ميمع الأزواقي يقول خرجت إلى الصحراء فلذا أنا برجل من جراد في السماء فلذا برجل رآك على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكذا قال يده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها ، وروى الحافظ أبو القرج للماعني بن زكريا الحريري حدثنا محمد بن الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن أخبرنا وكيع عن الأعمش أنبأنا عامر قال سئل شريح القاضي عن الجراد فقال قيل الله الجراد فيها خلقه سبعة جبارة رأسها رأس فرس . وعقها عنق نور . وصدرها صدر أسد . وجناها جناح نسر . ورجلاها رجل حمل . وذنبها ذنب حية . وبطنها بطن عقرب . وقلمنا عند قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم والسيارة) حديث حماد بن سلمة عن أبي الهيثم عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقبلنا زجل جراد فجعلنا نضربه بالصبي ونحن

يحمرون فسأنا رسول الله ﷺ فقال « لا بأس بمسجد البحر » وروى ابن ماجه عن هرون الجحاني عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علافة وعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم أهلك كباره واقتل صفاره وأفسد يقضه واقطع دابره وخذ بأقوامه عن معايننا وأرزاقنا إنك صبيح المعاد » قتاله جابر يارسول الله أنسعو على جند من أجداد الله قطع دابره ؟ فقال « إنما هو شره حوت في البحر » قال هشام أخبرني زياد أنه أخبره أنه رآه يشتر الحوت قال من حق ذلك إن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب للباء عنه وبدأ للشمس أنه يقفس كله جرادا طيارا . وقدمنا عند قوله (إلا أمم أمثالكم) حديث عمر رضي الله عنه أن الله خلق ألف أمة سبقة في البحر وأربعائة في البر وإن أولها حلاكا الجراد ، وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا عبد الرحمن بن قيس حدثنا سلم بن سالم حدثنا أبو الليثرة الجوزجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ « لا ولاء مع السيف ولا لواء مع الجراد » حديث غريب ، وأما القمل فمن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الخنطة ومنه أنه البها وهو الجراد الصغار التي لا أجنته له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود صفار ، وقال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم : القمل البراغيث ، وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكل الإبل فيأبلى وهي التي عناها الأعمى بقوله :

قوم يصلح قملأ أنأؤم • وسلاسلأ أجدأ وبأ موصدا

قال وكان بعض أهل العلم يكلم العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الختان واحدتها خمتانة وهي صغار القردان فوق التفتامة . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد الرازي حدثنا يعقوب التيمي عن جعفر بن أبي الليثرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل معي إلى إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئا خافوا أن يكون عذابا قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فأثبت لهم في تلك السنة شيئا لم يقبته قبل ذلك من الزروع والثمار والكلأ قالوا هذا ما كنا نسمي فأرسل الله عليهم الجراد فسلط على الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا ياموسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها إلا ثلاثة أقترعة فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فبأوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل فيينا هو جالس عند فرعون إذ سمع ضيق ضفدع فقال لفرعون ما طلق أمت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا لما أسوأ حتى كان الرجل يجلس إلى ذفته في الضفادع وهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ، فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ^(١) فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم الهم فكانوا ما استقنوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجسدوه دما عبيطا فشكلوا إلى فرعون فقالوا إنا قد ابتلينا بالله وليس لنا شراب فقال : إنه قد سحركم ، فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا فأنوه وقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الهم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، وقد روى نحوه هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف أنه أخبر بذلك ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله : فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلوبا ثم أتى إلى الإقامة على الكفر والتنادي في الشر فتابع الله عليه الآيات فأخذه بالسنين وأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل . ثم الضفادع ، ثم الهم ، آيات مفصلات ، فأرسل الطوفان وهو لواء قماض على وجه الأرض ، ثم ركذ لا يقدرون

(١) كنا في جميع النسخ ، ولله سقط منه ، فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع .

على أن يخرجوا ولا أن يملأوا شيئا حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك (قالوا يا موسى ادع لربك جماعه عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسل ملكا بني إسرائيل) فدعا موسى ربه فكشف عنهم قلوبها له بشي مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فبالتقى حتى إن كان لياكل مسامير الأبواب من الحديد حتى نزع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم قلوبها له بشي مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمشى إلى كتيب حتى يضربه بضاه فشى إلى كتيب أهيل عظم فضربه بها فأتال عليهم فلا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم قمل فبوا له بشي مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع ثلاث البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فسأل ربه فكشف عنهم قمل فبوا له بشي مما قالوا فأرسل الله عليهم الهم صارت مياه آل فرعون دما لا يشربون من بئر ولا نهر ، ولا يشربون من إناء إلا عاد دما عيطا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور للروزي أنبأنا النضر أنبأنا إسرائيل أنبأنا جابر بن يزيد عن عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال : لا تفتلوا الضفادع فإنها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تور فيه نار يطلب بذلك مرضاة الله فأبلغن الله من هذا أبرد شيء يعلمه من الماء وجعل يحقن التسبيح ، وروى من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه ، وقال زيد بن أسلم : يعني بالهم الزحافة . رواه ابن أبي حاتم

﴿ فَأَتَيْنَا فِيهِمْ فَأَقْرَبْنَاهُمْ فِي آلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّلَ لَكُلِّ رَيْبٍ أَلْحَسَنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فَرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾

غير تعالى أنهم لما اتوا وعمردها مع ابتلائه إياهم بالآيات للتواترة واحدة بعد واحدة انضم منهم بإغراقه إياهم في الم وهو البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه وبني إسرائيل معه ، ثم ورد فرعون وجنوده على أثرهم فلا استكملوا فيه ارتطام عليهم ففرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتماطلهم عنها ، وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضفون وهم بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وقال تعالى) كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين (وعن الحسن البصري وقادة في قوله (مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) بني الشام ، وقوله (ودمت كلمة ربك الحسن على بني إسرائيل بما صبروا) قال مجاهد وابن جرير وهي قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وقوله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانوا يعرشون) قال ابن عباس ومجاهد (يعرشون) يبنون :

﴿ وَتَوَرَّأَ بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُونُ عَلَىٰ أَسْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَبْسُوتُ أَجْمَلُ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَكُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ فِئَةٍ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَمْكُونُ ﴾

غير تعالى عما قاله جهة بني إسرائيل لموسى عليه السلام - بن جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظم سلطانه ماروا (أتوا) أي فروا (على قوم يمشكون على أسنان لهم) . قال بعض المفسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من لخم

سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ

خبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميثاق الله تعالى وحمله التكلم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال (ربأمرني أنظر إليك قال لن تراني) وقد أشكل حرفان ههنا على كثير من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأييد فاستدل به المنتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أنضف الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله تعالى إخبارا عن السكندر (كلا إنيهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقيل إنها لنفي التأييد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة وقيل إن هذا الكلام في هذا المقام كالسلام في قوله تعالى (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقد تقدم ذلك في الأنعام وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال للموسى عليه السلام «يا موسى أنه لا يراني حتى إلا مات ولا يابس إلا تتعده» ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية حدثنا أحمد بن سويل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الأعمش عن رجل عن أنس عن النبي ﷺ قال لما تجلى ربه للجبل أثار بأصبعه فجعله دكا وأرانا أبو إسحاق بصبعه السبابة ، هذا الإسناد فيه رجل مهم لم يسم ، ثم قال حدثني الثوري حدثنا حجاج بن منال حدثنا حماد بن عيسى عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال: هكذا بأصبعه ، ووضح النبي ﷺ أصبعه الإبهام على النقص الأعلى من المختصر ، فسمع الجبل هكذا ووضعت في هذه الرواية حماد بن سلمة عن عيسى بن سلمة عن أنس وللشهور حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس كما قال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا هدية بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال : ووضعت الإبهام قريبا من طرف خصره ، قال : فسمع الجبل ، قال حماد لثابت يقول هكذا فرفع ثابت يده ففرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله ﷺ وقوله أنس وأرانا أكنهه ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو لثمي معاذ بن معاذ التميمي حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله (فلما تجلى ربه للجبل) قال : قال : هكذا ، يعني أنه أخرجه طرف المختصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال ففرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما تريد إليه ؟ وهكذا رواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق عن معاذ بن معاذ به وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سلمان بن حرب عن حماد بن سلمة به ثم قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة به وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الحلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هدية بن خالد عن حماد بن سلمة ذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه ، وقد رواه داود بن المهير عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا وهذا ليس بهي لأن داود بن المهير كذاب رواه الحافظان أبو القاسم الطبراني وأبو بكر بن مردويه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه وأسند ابن مردويه من طريق ابن السمان عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا ولا يصح أيضا ، رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) قال ما تجلى منه إلا قدر المختصر (جعله دكا) قال ترابا (وخر موسى صعقا) قال منسيا عليه رواه ابن جرير وقال قتادة (وخر موسى صعقا) قال ميتا وقال سفيان الثوري سماع الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو ينهب منه وقال سنيدي عن حجاج بن محمد الأعور عن أبي بكر الهذلي (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اشتر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة وجاء في بعض الأخبار أنه ساق في الأرض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شعبة حدثنا محمد بن عبيد أبو غسان السكاني حدثنا

عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجبل بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله للجبال طارت لظلمته ستة أجبل فوقت ثلاثة بالمدية وثلاثة بمكة بالمدية أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور » وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي البلع حدثنا الميثم بن خارجة حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة بن روم قال كانت الجبال قبل أن يتجلى المثلوسى على الطور صفا لمساء فلما تجلى الله لموسى على الطور ذلك وضطربت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الريح بن أنس (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صفقا) وذلك أن الجبل حين كشف السماء ورأى النور صار مثل ذلك من التكاك وقال بعضهم جعله دكا أى قتلة وقال مجاهد في قوله (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراه) فإنه أكبر منك وأشد خلقا (فلما تجلى ربه للجبل جعله) فنظر إلى الجبل لآلائه وأقبل الجبل فذلك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صفقا وقال عكرمة جعله دكا قال نظرا لله إلى الجبل فصار صخرا ثرابا وقد قرأ بهذا القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والعرفون أن الصمق هو التشى هاهنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وإن كان ذلك صحيحا في اللغة كقوله تعالى (وتضع في الصور نصص من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) ثم يقع فيه أخرى فإذ نام قيام ينظرون) فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أنها قرينة تدل على التشى وهي قوله (فلما أفاق) والافاقة لا تكون إلا عن غشى (قال سبحانه) تزهبوا وتظبا وإجلالا أن يراه أحد في الدنيا لإمات وقوله (تبث إليك) قال مجاهد أن أسألك الرؤية (وأنا أول للؤمنين) قال ابن عباس ومجاهد من بني إسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس (وأنا أول للؤمنين) أنه لا يراه أحد وكذا قال أبو المألية قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراه أحد من خلقك إلى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحق بن يسار وكأنه نقله من الإسرائيليات والله أعلم ، وقوله (وخر موسى صفقا) فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما حديث أبي سعيد فأشهدته البخارى في صحيحه هاهنا فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المزنى عن أبيه عن أبي سعيد الحدرى رضى الله عنه قال جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لم وجهه ، وقال يا محمد إن رجلا من أصحابك من الأنصار لم وجهي قال « ادعوه » فدعوه قال ولم لم وجهي ؟ قال يا رسول الله إنى مررت باليهودى فسمعتهم يقول والذى اصطفى موسى على البشر قال وعلى محمد ؟ قال قلت وعلى محمد وأخذتني غضبة فلطمته فقال « لا تخيرونى من بين الأنبياء فإن الناس يصقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبل أم جوزى بسعة الطور » وقد رواه البخارى في أما كن كثيرة من صحيحه وسلم في أجاديث الأنبياء من صحيحه وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المزنى الأنصارى الذى عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الحدرى . وأما حديث أبي هريرة فقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال للمسلم والذى اصطفى محمدا على المألين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على المألين فضرب المسلم على اليهودى فلطمه فأبى اليهودى رسول الله ﷺ فسأله فأخبره فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى بمسك بجانب العرش فلا أدري أكان بمن سبق فأفاق قبل أم كان بمن استقى الله عز وجل » أخرجه في الصحيحين من حديث الثوري . وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله أن الذى لطم اليهودى في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار وهذا هو أوسع وأصح والله أعلم والكلام في قوله عليه السلام « لا تخيرونى على موسى » كالكلام على قوله « لا تفتشوا على الأنبياء ولا على

يونس بن مقي « قيل من باب التواضع وقيل قبل أن يعلم : لك ، وقيل : هي أن يغفل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأي والتشبه والله أعلم ، وقوله « فإن الناس يصغرون يوم القيامة » الظاهر أن هذا الصق يكون في عرصات القيامة يحصل له يستفون منه والله أعلم به وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلي للخلق لذلك الدين كما صق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام « فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصفة الطور . وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه الشفاء بسنده عن محمد بن محمد ابن مرزوق حدثنا قتادة حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يصير الخلة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ » ثم قال ولا يمد على هذا أن يخص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسرائ والخطوة بما رأى من آيات رب الكبرى انتهى ما قاله وكأنه صحح هذا الحديث وفي صحته نظر ولا تخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا إنما قبل من رواية المدلل الصابط من مثله حتى ينتهي إلى منتهاه والله أعلم

﴿ قَالَ يُونُسُ إِنِّي أَمْلَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَقَدْ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذُّهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على أهل زمانه برسالاته تعالى وبكلامه ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم وبعدم في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ أي من الكلام والنجاة (وكن من الشاكرين) أي على ذلك ولا تطلب مالا طاف لك به ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء قيل كانت الألواح من جوهر وإن الله تعالى كتب له فيها مواظ وأحكاماً مفصلة مينة للجلال والحرمان وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس) وقيل الألواح أعطها موسى قبل التوراة والله أعلم ، وعلى كل تقدير فكانت كالنصوص له مما سأل من الرؤية ومنع منه والله أعلم (وقوله فخذها بقوة) أي بزم على الطاعة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأحد ما أمر قومه وقوله (سأريك دار الفاسقين) أي سترون عاقبة من خالف أمرى وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب ، قال ابن جرير وإنما قال (سأريك دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن خاطبه سأريك غدا إلى ما يصير إليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره ، ثم قل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري وقبل منناه (سأريك دار الفاسقين) أي من أهل الشام وأعطيك إياها وقيل منازل قوم فرعون والأول أولى والله أعلم لأن هذا كان بعد انقضاء موسى وقومه عن بلاد مصر وهو مخاطب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم

﴿ سَأُفَرِّقُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ يَفِرُّ الْخَفْ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُصُولُهُمْ هَلْ يَمْزُجُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

يقول تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بين الحق) أى سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على غلطى وشريقى وأحكامى قلوب التكبرين عن طاعى وتكبرون على الناس بين حق أى كما استكبروا بنير حق أدلهم بالجهل كما قال تعالى (وقلب أنشدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال بعض السلف لا ينال العلم حي ولا مستكبر وقال آخر من لم يصبر على ذلك التعلم ساعة بقى فى ذلك الجهل أبداً ، وقال سفيان بن عيينة فى قوله (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بين الحق) قال أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي قال ابن جرير وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة . قلت ليس هذا بلازم لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد فى حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد فى هذا والله أعلم ، وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) كما قال تعالى (إن الذين هتف عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقوله (وإن يروا سبيل الرش لا يتخذوه سبيلاً) أى وإن ظهر لهم سبيل الرشادى طريق النجاة لا يسلكوها وإن ظهر لهم طريق الملاك والنعال يتخذوه سبيلاً ثم على مصيرهم إلى هذه الحال بقوله (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أى كذبت بها قلوبهم (وكانوا عنها غافلين) أى لا يسمعون بها فيها . وقوله (والذين كذبوا بآياتنا وقراء الأخرى حبطت أعمالهم) أى من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلى الهات حبط عمله وقوله (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أى إنما يجازيهم بحسب أعمالهم إلى أسلفوها إن خيراً غير وإن شراً قسر وكما تدنين تدان .

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ عِدَّتِهِ مِنْ لَدُنْهِمْ حِجَابًا حَبْشًا لَهُمْ خُورَانٌ أَمْ رَوَا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَيَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ • وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لَنَا رَبًّا وَتَغَيَّرَ لَنَا لَفْكَوْنٌ مِنَ الْخَاسِرِينَ •﴾

غير تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم الجبل الذى أخذهم لهم السامرى من حلى القبط الذى كانوا استماروه منهم فشكل لهم منه عجلاً ثم ألقى فيه القبة من التراب التى أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار حجلاً جسداً له خوار والحوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى ليقاها ربه تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى إخباراً عن غسه الكريمة (قال فانادى فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) وقد اختلف المفسرون فى هذا الجبل هل صار لحماً وما له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبحر على قولين والله أعلم ويقال إنهم لما صوت لهم الجبل رقصوا حوله وانتقوا به وقالوا هذا الحكيم وله موسى غنى قال الله تعالى (أنفاريون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً) وقال فى هذه الآية الكريمة (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) ينكر تعالى عليهم فى ضلالهم بالجبل وفهمهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شىء ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم الجبل والضلال كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبى داود عن أبى البرداء قال: قال الرسول الله ﷺ «جبل التورى يسمى وصم» وقوله (ولما سقط في أيديهم) أى ندموا على ما فعلوا (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لأن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) وقرأ بنسبهم لأن لم ترحمنا لثاء الثلاثة من فوق ربنا منادى وتغفر لنا (لنكونن من الخاسرين) أى من المالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله عز وجل

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْدًا قَالَ يَبْنَاسَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَدْنِي أَعِجْتُكُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُ الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَكْتُلُونَنِي فَلَا تَنفَعُ فِي

الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ •

غير تعالى أن موسى عليه السلام رجع إلى القوم من مناجاة به تعالى وهو غضبان أسف قال أبو الهرداء الأسف أشد الغضب (قال بشما خلفتموني من يدي) يقول بش ما صنعت من عبادتكم العجل بعد أن فحيت وتركتكم، وقوله (أعجبتم أمر ربكم) يقول استعجبتم بعيشي اليكم وهو مقدر من الله تعالى وقوله (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه) قيل كانت الألواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من بردوقيل من سدروفى هذا دلالة على ما جاء في الحديث (ليس الخبز كالمانية) ثم ظهر الساقى أنه ألقى الألواح غضبا على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كتابيون وضاعون وأفاكون وزنادقة وقوله (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) خفا أن يكون قد قصر في نهيم كإتال في الآية الأخرى (قالا هارون ما صنعت إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبين أنفسهم أمرى) قال يابن أم لا تأخذ بلبق ولا برأسى إلى خشيت أن جهول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى (وقال هاهنا) ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تصمت في الأعداء ولا تبصلي مع القوم الظالمين) أى لا تسقى مساقهم ولا تخطي معهم وإنما قال: ابن أم ليكون أرقى وأصح عندمولا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما تفتن به وإن ربكم الرحمن فاتمبوني وأطيعوا أمرى) فنسب ذلك (قال) موسى (رب اغفرلى وإخى وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال يابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا علفان حدثنا أبو عوانة عن أبى هرير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «يرحم الله موسى ليس للماين كلفير أخبره به عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وطأهم ألقى الألواح»

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَلَكُوهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي أَلْمِيَّةِ اللَّهِ تَبَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْطَرِينَ • وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَنَفَوْرٌ رَّحِيمٌ •﴾

أما الغضب الذى نال بنى إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما قدم في سورة البقرة (تتوبوا إلى ربكم فاتقوا أنفسكم ذلك خير لكم عند ربكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) وأما الله فأعقهم ذلك ذلا وصغارا في الحياة الدنيا وقوله (وكذلك نجزي للفترين) نائلة لكل من اقترى بدعة فان ذل البدعة وغفلة ان رشاد متصلة من قلبه على كسفه كما قال الحسن البصرى: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وقطعت بهم البراذين: وهكذا روى أيوب السخيان عن أبى قلابه الجرى أنه قرأ هذه الآية (وكذلك نجزي للفترين) فقال هى والله لكل مفتر إلى يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة كل صاحب بدعة ذليل، ثم نه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أى ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو شاق أو شقاق ولما عاقب هذه القصة بقوله (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك) أى يا محمد يا رسول التوبة ونبي الرحمة (من بعدها) أى من بعد ذلك القصة (لنفور رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عزرة عن الحسن المرزني عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعنى عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فلا هذه الآية (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لنفور رحيم) فتلها عبد الله عشر مرات فلم بأسرهم بها ولم ينهم عنها

﴿وَلَا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُصْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ رَّبُّهُمْ رَهِيمُونَ •﴾

يقول تعالى (ولما سكت) أي سكت (عن موسى الضرب) أي غضبه على قومه (أخذ الألواح) أي التي كان ألقاها من شدة الضرب على عبادتهم العجل غير مفهومة (له) وفي نسخة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (يقول كثير من المفسرين أنها لما ألقاها تكسرت ثم جعلها يد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجد فيها هدى ورحمة ، وأما التفصيل فذهب وزعموا إلى رضاضها لم يزل موجودا في خزائن اللؤلؤ من بني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية والله أعلم بصحة هذا . وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها يد ما ألقاها وجد فيها (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) ضمن الهمزة الخسوع ولهذا عداها باللام ، وقال قتادة: في قوله تعالى (أخذ الألواح) قال رب أني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فأجلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون أمي الآخرون في الحلق السابقون في دخول الجنة أجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة أنا جلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يغفلوا شيئا ولم يعرفوه وإن الله أعلمهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قال رب أجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلون الأعداء الكذاب فأجلهم أمي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم إذا صدق بصدقة قبلت منه نبأ الفعلها نارا فأكلتها وإن ردت عليه فتأكلها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيم فقيرهم قال رب أجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعة أرب أجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم للشعون وللشعوع لهم فأجلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال قتادة فذكر لنا أن نبى الله موسى عليه السلام نزل الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد .

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا يُحِبُّونَ فَلَمْ يَأْخُذْهُمْ الرَّجُفَةُ قَالَ رَبِّ نَوَيْتُ اتِّخَاذَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَئِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأَقْدَامُ إِنَّهُ يَسْتُكْبِرُ أَنْ لَا يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَاللَّهِ يَهْدِي مَنْ يُشَاءُ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهَا النَّاسُ فَغَضِبَ رَبُّهُمْ وَأَنَارَ كَيْدَهُمْ فِي أَفْسَانِهِمْ وَلَئِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ رَحْمَتِي أَهْلِكُنَا وَلَوْلَا إِحْسَانُ رَبِّنَا لَأَخْرَجْنَا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَلَهُمْ فِي يَوْمٍ ذُو الْقُرْآنِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختر سبعين رجلاً فرزهم ليعوا ربهم وكان في دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعط أحدنا قبلنا ولا تعطه أحدنا بعدنا ففكره الله ذلك من دلائلهم فأخذتهم الرجة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإي) الآية وقال السدي إن الله أمر موسى أن يأبته في ثلاثين من بني إسرائيل ينتدرون إليه من عبادة الجبل ووعدهم موعداً (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) على عينه ثم ذهب بهم ليعتدروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا (لن تؤمنك يا) موسى (حق نرى الله جهرة) فانك قد كذبت فأرأه (فأخذتهم الساعقة) لما أتوا مقام موسى ويكي ويعدو الله يقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إننا أتيتهم وقد أهلكك خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإي) (وقال محمد بن إسحق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الجبر طالعير وقال انطلقوا إلى الله فاستنبروا إليه ما حسنته وسأله التوبة على من تركهم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا وتياكب فخرج بهم إلى طور سيناء لمقات وقته له وبه وكان لا يأبته إلا يلاذن منه وعلم قتاله السجون فيا ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه لقتالهم بملوسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أصل قلنا موسى من الجبل وقع عليه صمود التهام حتى تنشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال لقوم ادنوا وكان موسى إذ كاه الله وقب على جبة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضر بدونها الحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقوا سجودا قسموه وهو يكلم موسى بأمره وبنيها أصل ولا تفعل فلما فرغ إلى من أمره وانكشف عن موسى التهام فأقبل إليه فقالوا يا موسى (لن تؤمن لك حتى

نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة) وهي الصاعقة فالتفت أرواحهم فأتوا جميعا فقام موسى بناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي) قدسبها ، أهلكك من ورأي من بني إسرائيل
وقال سفيان الثوري حدثني أبو إسحق عن عمارة بن عبيد السلولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انطلق موسى وهارون وشبر وشبر فانطلقوا إلى سفح جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله عز وجل فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله عز وجل قالوا أنت قتلتهم حسدنا على خلقه ولبنه أو نكحها قال فاختاروا من شتمت قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله تعالى (وأختار موسى قومه سبعين رجلا) فلما اتوا إليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلت أحد ولكن توفاني الله قالوا يا موسى لن نعطى بعد اليوم فأخذتهم الرجفة قال فيصل موسى عليه السلام يرجع بيننا ونملا وقال يا رب (لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي أهلكتنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) قال فأحيام الله وجعلهم أنبياء كلهم هذا أنور شرب جدا وعمار بن عبيد هذا لا أعرفه وقد رواه شعبة عن أبي إسحق عن رجل من بني سلول عن علي فذكره وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جرير أنهم أخذتهم الرجفة لأنهم لم يزيأوا قومهم في عبادتهم العجل ولا نوههم وشوجه هذا القول يقول موسى (أهلكتنا بما فعل السفهاء منا) وقوله (إنا هي إلا فتنتك) أي ابتلاك واختبارك وامتنانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والريبع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف ولا معنى له غير ذلك يقول إن الأمر إلا أمرك وإن الحكم إلا لك فما شئت كان . فقل من تشاء وتهدي من تشاء ولا هادي لمن أشئت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لمن منعت ولا مانع لما أعطيت فمالك كله لك والحكم كله لك ، لك الحق والأمر وقوله (أنت ولينا فافخر لنا وارحنا وأنت خير السافرين) النفر هو الستر وترك للمواخلة والذنب والرحمة إذا قرنت مع النفر يراد بها أن لا يوقع في مثله في المستقبل (وأنت خير السافرين) أي لا يضر الذنب إلا أنت (واكتبنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) الفصل الأول من السماء لدفع المنذور وهذا لتحصيل القصد (واكتبنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) أي أوجب لنا وأثبت لنا فمما حسنة وقد تدم تفسير الحسنة في سورة البقرة (إنا هدانا إليك) أي تبنا ورجعنا وأثبتنا إليك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية والضحاك وإبراهيم التيمي والسدي وقتادة وغير واحد وهو كذلك لغة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال إنما سميت اليهود لأنهم قالوا (إنا هدانا إليك) جابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف

(قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَاسْتَغْنِي الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)

يقول تعالى بحسب نفسه في قوله (إنا هي إلا فتنتك) الآية قال (عذاب أي أصيب بمن أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أي أفضل ما أشاء وأحكم ما أريدولي الحكمة والمدنى في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو ، وقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) آية عظيمة الشمول والصوم كقوله تعالى إخباراً عن حمة النرش ومن حوله أنهم يقولون (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أي حدثنا الجري عن أي عبد الله الجعفي حدثنا جندب هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال جاء أعراي فأناخ راحلته ثم علقها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقلاها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني وعفد ولا تشرك في رحمتنا أحداً فقال رسول الله ﷺ عليه وسلم « أتقولون هذا أشل أم بيره أم تسماوا ساقا ١ » قالوا بلى قال « لقد حطرت رحمة وإسمة إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأزل رحمة يتماطف بها الخلق جنبها وإنسها وبهاثها وأخر عنده تسما وتسعين رحمة أتقولون هو أشل أم بيره ٢ » رواه أحمد وأبو داود عن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث

به ، وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان عن أبي عثان عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله عز وجل مائة رحمة فنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تططف الوحوش على أولادها وآخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة » تفرد بإخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان هو ابن طرخان وداود بن أبي هند كلاهما عن أبي عثان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان هو الفارسي عن النبي ﷺ به ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين المخلوق فإذا كان يوم القيامة ضُمَّها إليه » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد حدثنا الأصمعي عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « لله مائة رحمة قسم منها جزءا واحدا بين المخلوق به يتراحم الناس والوحش والطير » ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأصمعي به ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة بن الجيان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لينخلن الجنة التاجر في دينه الأحمق في ميسمته والذي نفسي بيده لينخلن الجنة الذي قد عشت النار بذنبه والذي نفسي بيده لينخلن اليوم القيامة مضرة يتناول لها إبليس رجاء أن تنفيه » هذا حديث غريب جدا وسعد هذا لا أعرفه ، وقوله « فسأ كتبها للذين يتقون » الآية يعني فسأوجب حصول رحمتي منهم وإحسانا إليهم كما قال تعالى (كتب ربكم على قسه الرحمة) وقوله (للذين يتقون) أي سأجعلها للمتقين بهذه الصفات وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يتقون) أي الشرك والظلم من الذنوب قوله (ويؤتون الزكاة) قيل زكاة النفوس وقيل الأموال ويحتمل أن تكون عامة لهما فإن الآية مكية (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي يصدقون

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَالُوا لَئِنْ ءَامَنَّا بِهِ وَعَزَّوْهُ وَتَعَزَّوْهُ وَاتَّبَعُوا أَلْوَارِثَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء بشروا أمهم يشه وأمرهم بتأبته ولم تول صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم . كما روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي صخر القبلي حدثني رجل من الأعراب . قال جبلت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من يمي قلت لأقن هذا الرجل فلا يمن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعهم حتى أتوا على رجل من اليهود فاشترى التوراة فقرأها يرمي بها نفسه عن ابن له في اللوت كأجل التين وأحسنها قال رسول الله ﷺ « أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفى وعرجى » قال برأسه هكذا أي لا قال ابنه أي والذي أنزل التوراة إنما لنجد في كتابنا مفتك وعرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ﷺ قال « أتقوا اليهودي عن أخيك » ثم تولى كفته والصلاة عليه هذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح عن أنس ، وقال الحاكم صاحب المستدرک أخبرنا عبد بن عبد الله ابن إسحق البغوي حدثنا إبراهيم بن المهيم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس حدثنا عبد الله بن إدريس عن شريح بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بشت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فخرجنا حتى قدمنا القوطة بين غوطة دمشق فنزلنا على جبة بن الأيهم الساسي فدخلنا عليه فلما هو على سرير له فأرسل إلينا برسوله نكلمه فقلنا والله لانكلم رسولا وإنما بشتا إلى الملك فلان أدن لنا كلامه ولا لم

نسلك الرسول فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلهم هشام بن العاص ودعا إلى الإسلام
 فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك ؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا
 وجلسك هذا والله لناخذنه منك ولناخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال :
 لستم بهم بل هم قوم يصومون بالهراهم ويقومون بالليل فكيف صومكم ؟ فأخبرناه فلي وجهه سوادا فقال قوموا
 وبث معنا رسولا إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة
 للملك فإن شئتم حملناكم على برادين وبناقل قلنا والله لا ندخل إلا عليها فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن
 يدخل على رواحلتنا فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأغشنا في أسفلها وهو ينظر إلينا قلنا لا إله
 إلا الله والله أكبر فإله يعلم لقد انتفضت العرقه حتى صارت كأنها عدتي تصفقه الريح . قال فأرسل إلينا ليس لكم أن
 تجهروا علينا بدينكم وأرسل إلينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراشه وعنده بطارقة من الروم وكل شيء في مجلسه
 أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحرمة فدعونا منه فضحك فقال ماعليكم لو جئتوني بختكم فيها بينكم ؟ وإذا
 عنده رجل بصيح بالعريه كثير الكلام قلنا إن خجيتنا فيها بيننا لا نخل لك خجيتك التي نجيا بها لاجل لنا أن نجيك بها
 قال كيف نجيتكم فيها بينكم ؟ قلنا السلام عليك قال فكيف نجيتكم ملككم ؟ قلنا بها قال فكيف يرد عليك ؟ قلنا
 بها ، قال فما أعظم كلامكم قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم قد انتفضت العرقه حتى رفع رأسه إليها
 قال فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت العرقه قلنا قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم قلنا لا ، ما رأيناها
 فعلت هذا قط إلا عندك قال لوددت أنكم كلما قلتم انتفض كل شيء عليكم وإني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم ؟
 قال لأنه كان أيسر لساننا وأجدر أن لا نكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه
 ثم قال كيف صلاتكم وصومكم فأخبرناه فقال قوموا فأمر لنا بنزل حسن ونزل كثير فأقنا ثلاثا فأرسل إلينا ليلا
 فدخلنا عليه فاستعاذ قولنا فأعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربة العظيمة منبهة فيها بيوت مسخار عليها أبواب فتفتح بيتا
 وقلنا فاستخرج حريرة سوداء ففصرناها فإذا فيها صورة حمراء وإذا فيها رجل ضمن العينين عظم الأثنين لم أر مثل
 طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له منفرتان أحسن ما خلق الله فقال أمرت أن هذا ؟ قلنا لا قال هذا آدم عليه
 السلام وإذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر
 كشمس القطط أحمر العينين ضمن الحامة حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ، ثم فتح
 بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الحد أبيض اللحية
 كأنه يتشم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا إبراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فإذا فيه صورة بيضاء وإذا
 ﷺ فقال أمرت أن هذا ؟ قلنا نعم هذا محمد رسول الله ﷺ قال وبكينا قال والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال والله
 إنه لم هو قلنا نعم إنه لم هو كأنك تنظر إليه فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال أما إنه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم
 لأنظر ما عندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة آدماء سحاء وإذا رجل جعد قط غائر العينين
 جديلا نظره عابس مترا كالأسمان متلص الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام
 وإلى جنبه صورة تشبه الأسمان مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا هرون بن
 عمران عليه السلام ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم بسيط ربة كأنه غضبان فقال هل
 تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا لوط عليه السلام ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل
 أبيض مشرب حمرة أفتى خفيف المارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا إسحق عليه السلام
 ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسحق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون
 هذا ؟ قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة رجل أبيض حسن
 الوجه أفتى الأنف حسن القامة يملو وجهه نور يعرف في وجهه الحشوع يضرب إلى الحرمة قال هل تعرفون هذا ؟

قلنا لا قال هذا إسماعيل جسد نبيكم ﷺ ثم فتح باب آخر فاستخرج منه حريرة يضاه قلنا فيها صورة كسورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة يضاه قلنا فيها صورة رجل أحر حشم الساقين أخفى العينين ضم البطن ربة متقلد سيفا فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة يضاه قلنا فيها صورة رجل أحر حشم الساقين أخفى العينين ضم البطن ربة متقلد سيفا فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة يضاه وإذا خاب شديد سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، قلنا من أين لك هذه الصور لأننا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام لأننا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله فقال إن آدم عليه السلام مائل يديه إلى يديه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذوالقرنين من مغرب الشمس فذهبها إلى دانيال ، ثم قال أما والله إن نسي طابت بالخروج من ملكي وإن كنت عبدا لأشركم ملكة حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أُرنا وما قال لنا وما أجازنا قال فيكي أبو بكر ، وقال مسكين لو أراد الله به خيرا لفضل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يمدحون نبي محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ، وهكذا أوردته الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة فذكره وإسناده لأبى ب. وقال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال قيلت عبد الله بن عمرو قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للأمة أنت عبدني ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يرقبه الله حتى يقيم به للله العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوبا غلظا وأكثانا وما أعينا عجا . قال عطاء ثم قيلت كمها فسألت عن ذلك لما اختلف حرقا إلا أن كمها قال بلنته قال قلوبا غلظا وأكثانا صوميا وأعينا عمويا وقد روى البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر به إسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يعزى بالسببة السيئة ولكن يصفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو ثم قال وقع في كلام كثير من السلف إطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا والله أعلم ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا موسى بن هرون حدثنا محمد بن إدريس بن ورقاء بن الحارثي حدثنا محمد بن عمرو بن إبراهيم بن ولده جبير بن مطعم قال حدثني أم عثمان بنت سعيد بن جندب عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير عن أبي محمد بن جبير عن أبي محمد جبير بن مطعم قال خرجت تاحرا إلى الشام فلما كنت بأبى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال هل عندكم رجل نيلت بقا نعم قال هل تعرف صورته إذا رأيته قلت نعم فأدخلني بيتا فيه صور فلم أر صورة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا فقال قم أتم فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله فساءة ما دخلت فنظرت إلى صورة النبي صلى الله عليه وسلم وإذا رجل أخذ يعبق النبي ﷺ قلت من هذا الرجل القابض على عقبه قال إنه لم يكن لي إلا كان بيده نبي الإلهنا النبي فإنه لا نبي بعده وهذا الخليفة بيده وإذا سنة أبي بكر رضي الله عنه وقال أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمرو الضريري حدثنا حماد بن سلمة أن سميت بن إلياس الجريري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق القيلي عن الأقرع مؤذن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال بعثني عمر إلى الأنصف فدعوت فقال له عمر هل تجدني في الكتاب قال نعم قال كيف تجدني قال أجدهم قرنا فرجع عمر المردة وقال قرن من مائة قرن حديد أمير شديد قال كيف تجد الذي بيدي قال أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر رحمه الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد الذي بيده قال أجده صيدا حديد قال فوضع عمر يده على رأسه وقال يادفاره يادفاره قال يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف والسلول والدم مهراق وقوله تعالى (يا أيهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر) هذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم

وسلم في الكتب القديمة وهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأرعبها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ، ومن أتم ذلك وأعظمه ما بهت الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له والتهى عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى (ولقد بئنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر هو القدي عبد الملك بن عمرو حدثنا سليمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أفعالكم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » رواه الإمام أحمد رضي الله عنه بإسناد جيد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن عطي رضي الله عنه قال إذا سمعتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فظنوا به الذي هو أهدى والذي هو أوهى والذي هو أتقن ثم رواه عن يحيى عن ابن سعيد عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبد الرحمن عن عطي رضي الله عنه قال إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهداه وأهاناه وأثاماه ، وقوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من الجواهر والمواهب والوسائل والحام ونحو ذلك مما كانوا يضيقوا به على أنفسهم ويحرم عليهم الخبائث قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس كلمهم الحنظري والرا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من لئال كل التي حرماها الله تعالى . قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من اللئال كل فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التسعين والتسيع العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا للوضعه وكذا احتج بها من ذهب من العلماء إلا أن للرجح في حل اللئال التي لم ينس على تحليلها ولا تحريمها إلى ما استطابته العرب في حال رفايتها وكذا في جانب التحريم إلى ما استخبطته وفيه كلام طويل أيضاً ، وقوله (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي أنه جاء بالتيسير والبساطة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «بشت بالخفيف السبعة» وقال ﷺ لأنسيره معاذ وأبي موسى الأشعري لما بهما إلى اليمن «بشرا ولا تنفرا وبسرا ولا تسمرا وتطاوعا ولا تخلفا» وقال صاحب أبو برزة الأسلمي إنى سمعت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرالهم شيق عليهم فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ولعلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تمل أو تمل » وقال «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» ولهذا قال أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وبنت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بكل سؤال من هذه قد فعلت قد فعلت ، وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) أي عظموه ووقروه ، وقوله (وابتغوا التور التي أنزل معه) أي القرآن والوحى الذي جاء به مبلياً إلى الناس (أولئك هم القلقون) أي في الدنيا والآخرة

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَيْسَ الَّذِي يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتِيعُوهُ لَكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل يا أيها الناس) وهذا خطاب للأحر والأحر والأحر والعري والجمعي (إني رسول الله إليكم جميعاً) أي جميعكم وهدانا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى (قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ) وقال

قال (ومن يكفر به الأحزاب فالتار موعده) وقال تعالى (وقل للذين آمنوا الكتاب والأمين أسلمتم؟ فإن أسلموا فقد امتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سلمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زيد حدثني بسر بن عبد الله حدثني أبو إدريس الخولاني قال سمعت أبا البراءة رضي الله عنه يقول: كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاولة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستخفر له فلم يفعل حتى أغلق بابا في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو البراءة ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ «أما صاحبك هذا فقد طهر» أي طاهر وحادث قال وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله ﷺ الخبر قال أبو البراءة غضب رسول الله ﷺ وجلس أبو بكر يقول والله يا رسول الله لأنك كنت أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إن قلت يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت» اشر به البخاري وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مسم عن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال «أعطيت خمسا لم يسلطنني قبلي ولا أقوله فخرا بشت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي التنايم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخبرتني لأني يوم القيامة فهي لمن لا يشرك بالله شيئا» إسناده جيد ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهيثم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل صلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسون حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم «قد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيت أحدا قبلي ما أنفقوا رسلتي إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لئني رعبا وأحللت لي التنايم أكلها وكان من قبلي يظنون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسكت وصليت وكان من قبلي يظنون ذلك إنما كانوا يصلون في يسمهم وكناسهم والخامسة هي ما هي قيل لي سل فإن كل نبي قد سأل فأخبرت مسألي إلى يوم القيامة فهي لكم ولأن شهد أن لا إله إلا الله» إسناده جيد قوي أيضا ولم يخرجوه، وقال أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي جبر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سمع بي من أمي يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة» وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لمية حدثنا أبو يونس وهو سليم بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» نزهة به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا بشت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحللت لي التنايم ولم تحل لأحد قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإنني قد اختبأت شفاعة ثم جعلتها لمن مات من أمي لم يشرك بالله شيئا» وهذا أيضا إسناده صحيح ولم أزمه خروجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضا وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضا من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا لم يسلطنني قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل وأحللت لي التنايم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة

وكان الذي يمشي إلى قومه وبشت إلى الناس عامة « وقوله (الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت) صفة الله تعالى في قول رسول الله ﷺ أي الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربى وعليك الذي بيده الملك والاحياء والامانة وله الحكم » وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أمرهم باتباعه والإيمان به (النبي الأمي) أي الذي وعده به وبشرته في الكتب القديمة فانه منحوت بذلك في كتبهم ولهذا قال النبي الأمي وقوله (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه (واتبعوه) أي اسلكوا طريقه واتقوا أمره (لعلكم تهتدون) أي إلى الصراط المستقيم

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

يقول تعالى خبرا عن بني إسرائيل أنهم طائفة يقيمون الحق ويصلون به كما قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليه من قبله وما أنزل إليهم خاطئين له لا يشكرون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) وإذا قيل عليهم قالوا آتانا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤمنون بأجرهم مرتين بما صبروا) الآية وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلوه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا قيل عليهم خروا للأذان سجدا يقولون سجدنا ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) ويخرون للأذان يكون وزيدهم خشوعا) وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبرا جيبيا فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال بلغني بأن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم عما صنعوا واعتقدوا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم قفا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك خلفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله (وقتلنا من بعدهم بني إسرائيل سكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لنفينا) ووعد الآخرة عيسى بن مريم قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا وقال ابن عيينة عن سعد بن أبي السرح عن السدي (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد

﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَفْئِدَةً عُثْرَةَ اشْتَبَلَا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَى قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ فَانجَبَتْ مَيْمَةُ أَفْئِدَتَا عُثْرَةِ عَيْنِكَ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَوْرَثْنَا وَلَدَهُمُ الْكَلْبَ وَالسِّلْوى كُلًّا مِّنْ طَلَيْتٍ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَنُّوكُنَا وَلَكِن كَانُوا أَفْسَهُمْ يَتْلُونَ ﴾ . وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ سَيَزِيدُ الْمُبَشِّرِينَ • فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَنُّوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْكُرُونَ ﴾

تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السياق مكي ونها على الفرق بين هذا السياق وهذا السياق عن إعادة هنا والله الحمد والمنة

﴿ وَشَلَّلْنَاهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَاحًا وَيَوْمَ لَا تَأْتِيهِمْ لَا يَسْبِقُونُ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية يقول تعالى لئيبه صلوات الله

وسلامه عليه (وإسألهم) أى وأسأل عن هؤلاء اليهود الذين حضرك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله فنجأهم
نقته على صنيعهم واعتدائهم واحتياهم في الحاقلة وحلر هؤلاء من كيان صفك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم
ما حل بإخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي أية وهي على شاطئ بحر القلم قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن
عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وإسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) قال هي قرية يقال لها أية بين مدين
والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القارى سمعنا أنها أية وقيل هي مدين وهو رواية
عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها مدينتين وعينونا وقوله (إذ يمدون في السبت) أى يمدون فيه ويخالفون
أمر الله فيه لم يوصى به إذ ذاك (إذ تأتهم حيتهم يوم سبتهم شرعا) قال الضحاك عن ابن عباس أى ظاهرة على
اللاء وقال العوفي عن ابن عباس ظاهرة من كل مكان قال ابن جرير وقوله (ويوم لا تأتهم كذلك بلوهم)
أى نخبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المهرم عليهم صيده وأخاضها عنهم في اليوم الحلال لم صيده
(كذلك بلوهم) نخبرهم (بما كانوا يسمعون) يقول بعضهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على
اتهام عمار الله بما تاملوا من الأسباب الظاهرة التي منها في الباطن تامل الحرام وقد قال التقي الإمام أبو عبد الله
ابن بطة رحمه الله: حدثنا أحمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا
محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رمول الله ﷺ قال « لا تركبوا ما تركبكم اليهود فقتلوا عمار
الله بأذى الحيل » وهذا إسناد جيد فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووجهه وبإرجاء مشهورون
فقلت وصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيراً

(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ
وَلَهُمْ يَتَقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنعَمْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعُنَانٍ يَمِينٍ
يَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَفَا عَنْهُمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)

غير تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحلور واحتالوا على أسلبي السمك
يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزتهم وفرقة سكنت ظم ضلل ولم تتس ولكنها
قالت للمنكرة (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) أى لم تنهون هؤلاء وقد علمت أنهم قتلوا
واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيم إياهم ، قالت لهم المنكرة (معذرة إلى ربكم) قرأ بعضهم بالرفع كأه على
تهديره هذه معذرة وقرأ آخرون بالنصب أى فعل ذلك (معذرة إلى ربكم) أى فى أخذ علينا من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر (ولهم يتقون) يقولون ولعل لهذا الانكار يتقون ما هم فيه وتركوه ويرجعون إلى الله تأييد
فلذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم قال تعالى (فلما نسوا ما ذُكِّرُوا بِهِ) أى فلما أنى القاعلون قبول النصيحة (أنعينا
الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) أى ارتكبوا العصية (بئذ يبين) فنس على نجات الناهين وهلاك
الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحاً فيمنحوا ولا ارتكبوا عظيماً
فندموا ومع هذا قد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من المالكين أو من الناجين على قولين ، وقال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) هي قرية على شاطئ البحر
بين مصر ولبنان يقال لها أية فعزم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتهم يوم سبتهم شرعا في ساحل
البحر فلذا مضى يوم السبت لم يقصدوا عليها ففى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم
فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرما الله عليكم يوم سبتكم ، فمزادادوا لإلغيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى نهيم
فلا طال ذلك عليهم قالت طائفة من التها تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب (لم تعظون قوماً الله مهلكهم)

وكانوا أمد غضبا لله من الطائفة الأخرى فقالوا (معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) وكل قد كانوا يهون فلاقوا عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تظنون قوما لله مهلككم والذين قالوا معذرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فحبسهم قرعة ، وروى الباقون عن ابن عباس قريبا من هذا ، وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدري أيها الذين قالوا (لم تظنون قوما لله مهلككم) أم لا ؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكسأني حلة ، وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي وإذا الصلح في حجره فأعظمت أن أدنونه ثم لم أزل على ذلك حتى قدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جئني الله فذاك ؟ قال قال هؤلاء الوراق قالوا إذا هو في سورة الأعراف قال تعرف أيلة ؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حي من اليهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاست لا يقدر أن عليها حتى يشعروا بسدك ومونة شديدة كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعا يشعروا بها كأنها الساخن تنطق ظهورها لبطونها بأذنهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى إليهم قال إنهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة فغدت طائفة بأغسها وأبائها ونساءها واعتزلت طائفة ذات البمين وتحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكت وقال الأيمنون وليكم الله ، تهاكم أن تخرجوا لسقوبة الله وقال اليسرون (لم تظنون قوما لله مهلككم أو معذبهم عذابا شديدا) قال الأيمنون (معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) بأي يتقون ، إن يتقوا فهو أحب إلينا أن لا يسأروا ولا يهلكوا وإن لم يتقوا فمفطرة إلى ربكم فغضبوا على الخطيئة وقال الأيمنون قد سلمتم يا أعداء الله والله لتأتينكم اليلة في مدينتكم والله مانراكم تصبسون حتى يسبكم الله تحذف أو وقف بض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب وتادوا فلم يجابوا فخرجوا ساء وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال أي عبد الله قرعة والله تعادى تعادى لما أذنب قال ففتحوا فدخلوا عليهم ففرت القردة أسا بها من الإنس ولا تعرف الإنس أسا بها من القردة فجلت القردة أيها نسيها من الإنس فقتم ثيابها وبكى فيقول ألم تنهكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس (فلما نساء ما ذكروا به أحييت الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بذنب بئس) قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء شكرها ولا حول فيها ، قال قلت جئني الله فذاك ألا ترى أنهم قد ذكروا ما م عليه وخالفوه وقالوا (لم تظنون قوما لله مهلككم) قال فأسرلى فكسيت ثوبين خليطين ، وكذا روى مجاهد عنه ، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى (تأتيهم حياتهم يوم نهيتهم شرعا ويوم لا يستنون لأتائهم) قال كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان للمساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فلأخذ ليلك رجل خيطا ووتدا فربط حوتا منها في ليل يوم السبت حتى إذا أمسوا ليل الأحد أخذته فاشتوا فوجد الناس رجعه فأثوه فسأوه من ذلك فيجدهم فليزوا به حتى قال لهم فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري الله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليل الأحد أخذته فاشتوا فوجدوا راحة فبهاوا فسأوه فقال لهم لو شئتم منتم كما صنع فقالوا له وما منتم ؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ريس يلقونها عليهم فأحاجهم من اللبغ ما أساهم ففقدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ففقدوا فلم يجيئهم فقتلوا عليهم فإذ هم قرعة فجلت القردة يدنو يتسعين بمن كان يعرف قبل ذلك وبدنونه ويتمسح به ، وقد قمنا في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرعة ما فيه مقنع وكفاية وهذا الحمد ولله (القول الثاني) أن الساكنين كانوا من المالكين قال محمد ابن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال اجتعدوا السبت فابلقوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شجعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فلكوا ماشاء الله أن يكتوا كذلك ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أمه ثم

ضرب له وتمدا في الساخل وربطه وتركه في اللد ، فلما كان الند أخسفه فشواه فأكله فضل ذلك وم ينظرون ولا يتكرو ولا ينهه منهم أحد إلا عصية منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الأسواق فضل علانية قال قتالت طائفة للذين ينهونهم (لم تمظون قوما الله مهلكهم أو مصلحهم عذابا عديدا قالوا معذرة إلى ربك) قالوا نسطط أعلمهم (ولعلمهم يتقون) فلما نسوا ما ذكروا به - إلى قوله - فرقة خاشعين) قال ابن عباس كانوا اثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا (لم تمظون قوما الله مهلكهم) وثلث أصحاب الخطيئة لما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم ، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لأنه يبين حالهم بعد ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (وأخذنا الذين ظلموا بسذاب مبين) فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبقيس فيه قراآت كثيرة ومنه في قول مجاهد الشديد . وفي رواية ألم وقال قتادة موجه والكل متشارب والله أعلم ، وقوله (خاشعين) أي ذليلين خزين مهانين

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسَّيَنَّ عَلَيْنَهُمُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(تأذن) فضل من الأذن أي أعلم قاله مجاهد وقال غيره أمر ، وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، ولهذا أنبت باللام في قوله (لَيَسَّيَنَّ عليهم) أي على اليهود (إلى يوم الفاية من يسومهم سوء العذاب) أي بسبب عصيانهم وحقاقته أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم ، ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الحراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الحراج ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والسكندانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم لإلههم وأخذهم منهم الجزية والحراج ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره ودمته يؤدون الحراج والجزية : قال البوصي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال هي للسكنة وأخذ الجزية منهم ، وقال على بن أبى طلحة عنه هي الجزية والذى يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتمته إلى يوم القيامة ، وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج والسدي وقطادة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن السيب قال يستحب أن تبث الأنباط في الجزية قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصارا للدجال فيقتلهم للسلون مع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان وقوله (إن ربك لسريع العقاب) أي لمن عصاه وخالف شرعه (وإنه لغفور رحيم) أي لمن تاب إليه وأتاب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا لتبقي النفوس بين الرجاء والخوف

﴿ وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءُ مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ وَبَنَاتُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالْحَسَنَاتُ لَمَلَكُهُمْ يَرْجِعُونَ • فَخَلَّتْ مِنْ بَدَنِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ شَبَّهُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ كُتِبَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَرَسُولُهُ مَا فِيهِ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَتَفَقَهُونَ • وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَعْيُنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه فرقه في الأرض إنما أي طوائف وفرقا كما قال (وقتنا من بعده لبي إسرائيل اسكنوا الأرض

فإذا جاء وعد الآخرة جئناكم لقيفاً) منهم الصالحون ومنهم دون ذلك (أى فهم الصالح وغير ذلك كقول الجن (وأنا ناسا
الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا) (وبلوتاهم) أى اختبرناهم (بالحنس والسيئات) أى بالخالء والشدة والرجبة
والرهبة والخافية والبلاء (لهم يرجعون) ثم قال تعالى (فتخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى) الآية يقول تعالى فتخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لا خير فيهم وقد ورثوا دراسة
الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى يتناشون
عن بذل الحق وتسرير عرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم وبدونها بالتوبة وكلما لاح لهم مثل الأول وقصوا فيه ،
ولهذا قال (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) وكما قال سعيد بن جبير يملكون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويستغفرون لله
فإن عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى (يأخذون عرض هذا الأدنى) قال لا يشرف لهم شيء من
الدنيا إلا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون للفرصة (ويقولون سيفرن لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) وقال
قتادة في الآية إى والله خلف سوء (ورثوا الكتاب) بعد أنبيائهم ورسلهم أورشليم الله وعهد إليهم ، وقال الله تعالى
في آية أخرى (فتخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) الآية قال (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفرننا)
عنا على الله أمانى وغرة يشتركون بها (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينههم شيء عن ذلك
كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما ؛ وقال السدي قوله (تخلف من بعدهم خلف) إلى
قوله (ودرسوا ما فيه) قال كانت بنو إسرائيل لا يستقنون قاضيا إلا ارتضى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فآخذ بعضهم
على بعض اليهود أن لا يضلوا ولا يرتضوا فيصل الرجل منهم إذا استقضى برضى فقال له ما شئتك ترتضى في الحكم ؟
فيقول سيفرنى ؟ تطعن عليه البقية الآخرون من بنو إسرائيل فيما صنع فلذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل من كان
يطعن عليه فيرتضى ، يقول وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه قال الله تعالى (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
أن لا يقولوا على الله إلا الحق) الآية يقول تعالى منكرنا عليهم في صنيعهم هذا مع ما أخذ عليهم من الميثاق لبيّن الحق للناس
ولا يتكتمونه كقولهم (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتسبه فينبذوا) ثم أخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا
على الله إلا الحق) قال فما يتنصرون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يهودون فيها ولا يتوبون منها ، وقوله تعالى
والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) يرشهم في جزيل ثوابه ويحذرهم من ويل عقابه أى وتوابعها وما عدى
خير لمن اتقى الحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه (أفلا تعقلون) يقول أليس هؤلاء الذين اعتناؤا عرض
الدنيا مما عدى عقلهم بدعهم مما هم فيه من السفه والتبذير ، ثم اتقى تعالى على من تمسك بكتابه الذى يقوده إلى اتباع
رسوله محمد ﷺ كما هو مكتوب فيه فقال تعالى (والذين يمسكون بالكتاب) أى اعتصموا به واقتدوا
بأوامره ، وتركوا زواجره (وأقاموا الصلاة إنا لا نضيق أجرا للصالحين)

(وَإِذْ تَتَذَكَّرُ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ) (وَإِذْ تَتَذَكَّرُ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ) يقول رصفاء وهو قوله (ورصفاء فوقهم الطور)
بجنتهم وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رصفته لللائكة فوق رؤوسهم وهو قوله
(ورصفاء فوقهم الطور) وقال القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام
إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الضرب وأمرهم بالذى أمر الله أن يليهم من الوظائف فقلعت
عليهم وأبوا أن يخروا بها حتى تنق الله الجبل فوقهم (كأنه ظلة) قال رصفته لللائكة فوق رؤوسهم رواد النساء بطوله.
وقال سيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبى بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أجهلونه بما فيه من بيان
ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم ؟ قالوا انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها قال

حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جمعه موقوفا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كثوم بن جبير به ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكثوم بن جبير هكذا قال وقد رواه عبد الوارث عن كثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه ، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كثوم عن جبير عن أبيه به ، وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وطريق بن ذبيعة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وطريق بن أبي طلحة عن ابن عباس فهدا أكثر وأثبت والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الشعبي عن ابن عباس . قال أخرجه الله ذرية آدم من ظهره كهشة البر وهو في أذى من الماء ، وقال أيضا حدثنا علي بن سهل حدثنا شمسة بن ربيعة حدثنا أبو سمعود عن جرير قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال : فقال يا جابر إذا أنت وضعت ابني في الحسد فأبرز وجهه وحل عنه عقده فان ابني مجلس ومستول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسئل ابنك من يسأله إياه قال يسأل عن اللثاق الذي أثر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا اللثاق الذي أثر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل سمعه وخلفه إلى يوم القيامة فأخذ منهم اللثاق أن يبدوه ولا يسكروا به شيئا وتكمل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى اللثاق يومئذ فن أدرك منهم اللثاق الآخر فوفى به نفعه اللثاق الأول ومن أدرك اللثاق الآخر فلم يقرب به لم ينفعه اللثاق الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك اللثاق الآخر مات على اللثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تروى وقف هذا على ابن عباس والله أعلم

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن عيينة عن سعد بن الأجلع عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم (ألت بربكم قالوا بلى) قالت اللائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون) أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قوس كان أحد الزهاد أخرجه النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدى حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهندي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وكذا رواه جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا إسحق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأنشدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء فجعلت لأهل الجنة يسألونهم يسألونهم يسألونهم فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء النار ويسأل أهل النار يسألونهم » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله ﷺ « إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » وهكذا رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن تميم بن الحر عن الترمذي في تفسيره ما عن إسحق ابن موسى عن معمر بن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس به قال الترمذي وهذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن قبة عن عمر بن جهم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجني عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) ذكره وقال

الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن جشم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولها أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة حمدا لما جعل حال نعيم ولم يعرفه فانه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيه ولهذا يرسل كثيرا من الرفوعات ويقطع كثيرا من الوصولات والله أعلم. (حديث آخر) قال الترمذي عند خبره هذه الآية حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذرية إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه ويص ما بين عيني قال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال وبكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما اتقى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعلموا إنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطي آدم فخطت ذريته » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر نحوه ما تقدم إلى أن قال « ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجنم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا يلحقني قال كي أشكر نسفتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك » ثم ذكر قصة داود كنعما تقدم (حديث آخر) قال عبد الرحمن بن قتادة القرظي عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ فقال يا رسول الله أنبأ الأعمال أم قد بقي القضاء ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أخذ منهم ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة يمسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يمسرون لعمل أهل النار » رواه ابن جرير وابن مردويه عن طريق عنه (حديث آخر) روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل الجنة يمينه وأهل النار يمينه فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال أأنت بربكم ؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال أأنت بربكم ؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لما عملوا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم ردم في صلب آدم » رواه ابن مردويه.

(آخر آخر) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآيات قال فيجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كان منه إلى يوم القيامة فيصليهم في صورهم ثم استقطعهم فنكحوا وأخذ عليهم العهد واليثاق (وأشهدهم على أنفسهم أأنت بربكم ؟ قالوا بلى) الآية قال فإني أشهد عليكم السموات والأرضين السمع وأشهد عليكم الأياك آدم أن هؤلاء يوم القيامة ولم ينم بها فعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوني في شيء وإني سأرسل إليكم رسلا لينذروكم عهدي وميثاقى وأرسل إليكم كتبى قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا ولا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقرؤا له يومئذ بالطاعة ورفع أبهام آدم فنظر إليهم فرأى فيهم النقي والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو سوت بين عبادك ؟ قال إني أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والتبوة فهو الذي يقول تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية وهو الذي يقول (فأقم وجهك للدين خفيضا فطرت الله) الآية ومن ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الآيترواه عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير

وابن مردويه في تفسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقت توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله التمسنا . فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج خذرة آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الأشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كثنوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تهم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الأشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار الجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (فذرأهم) أي جبل نسلهم جيلا بعد جبل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وقال (وجعلكم خلفاء الأرض) وقال (كما أنشأكم من خذرة قوم آخرين) ثم قال (وأشهدهم على أنفسهم آلت بربكم قالوا بلى) أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالوا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله (قالوا شهدنا على أنفسنا) الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى (ما كان للشركين أن يسجدوا لمسجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حالمين شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى (وإنه في ذلك لشاهد) كما أن السؤال تارة يكون بالقول وتارة يكون بالحال كقوله (وأتاكم من كل ما سألتموه) قالوا وما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الأشهاد حجة عليهم في الشرك فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده فالجواب أن المكذبين من الشركين يكذبون بجميع ما جازتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جل حجة مستقاة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال (أن تقولوا) أي تلا تقولوا يوم القيامة (إننا كنا من هذا) أي التوحيد (فقلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا) الآية

﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا قَاتِبَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْقَالِينَ • وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَفَتْنَاهُ كَتَلَّ الْكَلْبُ لَنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهُوكَ • تَلْهُوكَ الْبَلْهَةُ كَذِبُ الْفُجُورِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ • سَاءَ مَثَلًا لِقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾

قال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الفتح عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى (وأنت عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية قال هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلم ابن باعوراء وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صفي بن الراهب قال قتادة وقال كسب كان رجلاً من أهل البقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقياً بيت المقدس مع الجبارين وقال الوقي عن ابن عباس رضي الله عنه هو رجل من أهل اليمن يقال له بلم آتاه الله آياته فتركها ، وقال مالك ابن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان جاب السعوى يقدمونه في الشدائد يشي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله فأنطعمه وأعطاه ثياب دينة وترك دين موسى عليه السلام وقال سفيان بن عيينة عن حسين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلم بن باعوراء، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلمام وقالت تهيف هو أمية بن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله (وأنت عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) الآية

قال هو صاحب أمية بن أبي الصلت وقد روى من غير وجه عنه وهو صحيح اليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبه فإنه كان قد اتصل اليه علم كثير من علم الشرائع للقدماء ولكنه لم يتفح بله فانه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتيه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم ولمتداعهم وروى أهل بدر من المشركين بمحنة بلغة قبعة الله . وقد جاء في بعض الأحاديث أنه من آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فإن له أشعرا ربانية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فبين وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال فلك واحدة فما الذي تريد ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيها مثلهما رغبت عنه وأرادت شيئا آخر فدعا الله أن يجعلها كلبه فصارت كلبه فنهبت دعوات فضاء بنوها فقالوا ليس بنا طي هذا قرار قد صارت أمنا كلبه يبرئ الناس بها فادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى البوس ، غريب ، وأما للشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من النعمانيين في زمن بني إسرائيل كان ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف كان حجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال كان قد أوى النبوة فانسلخ منها حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم من الجبارين ومن معه أمية - يعني بلعم - أنه نبؤهم وقومه فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال إنى إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى (فانسلخ منها فأتبعه الشيطان) الآية ، وقال السدي لما هضمت الأربعون سنة التي قالها الله (فإنها حرمة عليهم أربعين سنة) بث يوشع بن نون نبيا فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبى وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فيأبوه وصدقوه وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام فكان علما يعلم الاسم الأعظم للكونم فكفر - لعنه الله - وأتى الجبارين وقال لهم لا تهربوا بنى إسرائيل فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أودعهم عليهم دعوة فهل يكونون وكان عندهم فيأبوه من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء لعظمن فكان ينسك أتاناه وهو الذي قال الله تعالى (فانسلخ منها) وقوله تعالى (فأتبعه الشيطان) أى استحوذ عليه وعلى أمره فلهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال (فكان من القانين) أى من المالكين الحائزين البائرين وقدره في معنى هذه الآية حديث زواه الحافظ أبو بكر الوصل في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب الجبلي في هذا للسجد أن حديفة بنى ابن إيمان رضى الله عنه حدثه قال : قال رسول الله ﷺ « إن مما أخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجت عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ماشاء الله انسلخ منه ونبهه وراء ظهره وسمى على جاره بالسيف ورواه بالشرك » قال قلت يا بنى الله أيهما أولى بالشرك للرئى أو الرأى ؟ قال « بل الرأى » هذا إسناد جيد والصلت بن بهرام كان من هاتى الكوفيين ولم يرم شيء سوى الإرجاء وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما وقوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) يقول تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها (ولكنه أخلد إلى الأرض) أى مالى إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها وتيسرها وغرته كما غرت غيره من غير أولى البصائر والتبى ، وقال أبو الراثي في قوله تعالى (ولكنه أخلد إلى الأرض) قال تراءى له الشيطان على علوة من قطرة بانياس فسجدت الحجارة لله وسجد بلعام للشيطان ، وكذا قال عبد الرحمن بن جرير بن غير وغير واحد ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة

هذا الرجل ماحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا للتمر عن أبيه أن سئل عن هذه الآية (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا)
فحدثت عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام وكان مجاب الدعوة قال وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي
فيها بلعام أوفال الشام قال فرب الناس منه رعباً شديداً فأثوا بلعام فقالوا ادع الله في هذا الرجل وجيشه قال حتى
أؤامر ربي أوحى أؤامر قال فأمّر في السماء عليهم قتيلاً له لادنح عليهم فأتهم عبأى وقهم نبهم قال فقال قوموه إنى
قد أمرت ربي في السماء عليهم وإنى قد نيت فأهدوا له هدية قبلها ثم راجعوا فقالوا ادع عليهم فقال حتى أؤامر ربي
فأمّر فلم يأمر به شيء فقال قد وأمرت فلم يأمر به شيء فقالوا لوكره ربك أن تدعو عليهم لهلك كما نالك للرة الأولى
قال فأخذ يدعو عليهم فإذا دعا عليهم جرى على لسانه السماء على قوموه وإذا أراد أن يدعو أن يفتح قوموه دعا أن يفتح
لموسى وجيشه أو نحواً من ذلك إن شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا قال ما جرى على لسانى إلا هكذا ولو
دعوت عليه أيضاً ما استجيب لى ولكن سأدلك على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يفضنا وإنا وإهم إن
وقموا في إثرنا هلكوا وروحون أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء تسبيلهم فأنهم قوم مسافرون نفسى أن يزوا فيهلكوا قال
ففعلموا فأخرجوا النساء تسبيلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أوبلعم لا تسكنى
نفسك إلا من موسى قال ووقموا في إثرنا قال فأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل فأرأها على نفسها فقالت
ما أنا بمسكنة نفسى إلا من موسى فقال إن منزلى كذا وكذا وإن من حالى كذا وكذا فأرسلت إلى أبيها تستأمره
قال فقال لها سكتي قال وبأتهما رجل من بني هرون ومنه الرمح فطعنهما قال وأبده الله بقوة فأتظنهما جيعاً ورفضها
على رعيه فزأما الناس - أوكما حدثت - قال وسلط الله عليهم الطاعون فأت منهم سبعون ألفاً . قال أبو التمر
فحدثنى سيار أن بلعاماً ركب حمارة له حتى أتى للملوى أو قال طريقاً من الملوى جعل يضربها ولا تتضم وقامت
عليه فقالت علام فضرى ؟ أما ترى هذا الذى بين يديك ؟ فإذا الشيطان بين يديه قال فزول وسجد له قال الله تعالى
(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله - لهم ينسكرون) قال فحدثنى بهذا سيار ولا أدري
له له قد دخل فيه شيء من حديث غيره (قلت) هو بلعام وقال بلعم بن باعوراء ويقال ابن اير ، ويقال ابن باعور
ابن شهوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن أذر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء
قال ابن عساکر : وهو الذى كان يرفق اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه له ذكر فى القرآن ثم أورد من قصته نحواً
بما ذكرنا هاهنا أوردته عن وهب وغيره والله أعلم ، وقال محمد بن إسحق بن يسار عن سالم أى النضر أنه حدث أن
موسى عليه السلام المانزل فى أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه فقالوا له هذا موسى بن عمران فى
بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا وقتلنا وطمعنا بني إسرائيل وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب
الدعوة فأخرج فابع الله عليهم قال وليكن في الله معه اللاتكة واللؤمونون كيف أذهب أدمو عليهم وأنا أعلم
من الله ما أعلم ؟ قالوا له ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرققونه ويضربونه اليه حتى تنقوه فأتقن فركب حمارة له متوجهاً
إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بني إسرائيل وهو جبل حسيان فلما سلو عليها غير كثير رجعت به فزول عنها فضرى
حتى إذا أزلتها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى رجعت به فضرى حتى إذا أزلتها أذن لها فكلمته حجة عليه فقالت
ومحك بإبلم أين تذهب ؟ أما ترى لللاتكة أمامى تردى عن وجهى هذا ؟ تذهب إلى بني الله واللؤمونين لتدعو عليهم
فلم ينزع عنها فضرىها ففعل الله سيلاها حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسيان على عسكر
موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله لسانه إلى قوموه ولا يدعو قوموه غير إلا صرف
لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه أتدري بإبلم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك ،
هذا شيء قد غلب الله عليه ، قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لم قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة فلم يبق
إلا المسكر والحيلة فأسمركم وأحتال ، جعلوا النساء وأعطوهن السلم ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعثن فيه ومروهن
فلا تبغ امرأة نفسها من رجل أرادها فأتهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت

امراً من الكنعانيين اسمها كسبي - ابنة صور رأس أمته - برجل من عطايا بني إسرائيل وهو زمرى بن شلوم وأسن
سبط شعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام فلما رآها أعجبت قائماً فأخذ يديها وأتى بها موسى وقال
إني أظنك ستقول هذا حرام عليك لا خربها قال أجل هي حرام عليك قال فوالله لا أخليك^(١) في هذا فدخل بها فبته
فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل وكان فتاح بن اليزار بن هارون صاحب أمر موسى
وكان غالباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فبجاء والطاعون يجوس فيهم فأخبر الخبر فأخذ حريته وكانت من حديد
كلها ثم دخل القبة وهما متضاجان فانتظمهما بحريته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بدراعة واعتمد
بحرقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر اليزار وجعل يقول اللهم هكذا قبل بئني يصيبك ورفع الطاعون
فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون نبياً بين أن أصاب زمرى للراءة إلى أن قتله فتخاص فوجدوه قد هلك
منهم سبعون ألفاً والقليل لم يقول عشرون ألفاً في ساعة من النهار فمن هنالك تغطي بنو إسرائيل ولد فتاح من كل
ذبيحة ذبحوها الرقة والزراع والحي والبكر من كل أموالهم وأخسبها لأنه كان بكر أبيه اليزار ، قضى بلام بن باعوراء
أنزل الله (وائل عليهم نأ الذي آتيتهم آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله - لهم يتكبرون) وقوله تعالى (فثقل كفل
الكعب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اختلف للفسرون في معناه فعلى سيق ابن إسحق عن سالم عن أبي النضر
أن بلاماً اندلع لسانه على صدره فتشبه بالكعب في لحيته في كلتا حالتيه إن زجر وإن تركه ظاهر ، وقيل معناه
ضار مثله في ضلالة واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالهدى إلى الإيمان وعدم الهدى كالكعب في لحيته في حالتيه إن
حملت عليه وإن تركته هو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا يتنفع بالوعظة والهدى إلى الإيمان ولا علمه كما قال
تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يسفر الله لهم) وغو ذلك : وقيل معناه أن قلب الكافر والتافق والضل ضيف فارغ من الهدى فهو كثير الجيب
ضرب عن هذا بهذا قل نحوه عن الحسن البصري وغيره وقوله تعالى (فاقصص القصص لعلهم يتذكرون) يقول تعالى
لنبيه عهد ﷺ (فاقصص القصص لعلهم) أي لعل بني إسرائيل المالبين بحال بلام وما جرى له في إضلال الله
إياه وإياداه من رحمة بسبب أنها تستعمل نعمته عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب
في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن . وعصي الإيمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كلمهم أن موسى بن
عمران عليه السلام ولهذا قال (لهم يتذكرون) أي فيعلموا أن يكونوا مثله فإن الله قد أعظم علماً ويميز على من
عصاه من الأعراب وجعل بأيديهم معة عهد ﷺ يعرفونها كما يعرفون آبائهم فيهم أحق الناس وأولاهم
باتباعه ومناصرتهم وموازرتهم كما أخبرتهم أنبيائهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتبته فلم يعلم
به العباد أجل الله به ذلاً في الدنيا موصولاً بل الآخرة وقوله (سواء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يقول تعالى سواء
مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي سواء مثلهم أن عشوا بالكذب التي لاهوا لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن
خرج من حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار عشياً بالكذب وبقي الشك مثله ولهذا ثبت في
الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء ، المائد في حبسه كالكعب يموت في قيئه » وقوله
(أنفسهم كانوا يظنون) أي ما ظنهم الله ولكن هم ظنوا أنفسهم بأعراضهم عن أتباع الهدى ، وطاعة الولي ، إلى
الركون إلى دار البلى ، والاقبال على تحصيل اللذات ومواقفة الهوى

(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُحْ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلْ فَلَا تِلْكَ لَهُمُ الْخَيْرُونَ) .

يقول تعالى من هداه الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر ولا عالة ، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن ، ولهذا جاء في حديث ابن مسعود « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أفئتنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) في نسخة الأزهر : لا تخليك .

له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » الحديث بنامه رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم

﴿ وَتَقَدَّرَ أَنْ يَنْهَضَهُمْ كَثِيرًا مِنْ الْيُنَى وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَتَفَقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ ﴾

يقول تعالى (ولقد زدناهم حنينا) أى خلقنا وجعلنا لهم (كثيرا من الجن والإنس) أى هأنهم لها ويعمل أهلها يعملون فانه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده فى كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة كما ورد فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »

وفى صحيح مسلم أيضا من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: دعنى انبى صلى الله عليه وسلم إلى جنازة سبي من الأنصار قفلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال رسول الله ﷺ « أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم » وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود « ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كالت فيكتب رزقه وأجله وعمله وعقوبته أم سعيد » وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فرقتين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال « هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي » والأحاديث فى هذا كثيرة ومسألة الضر كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) يعنى ليس يفقهون شىء من هذه الجوارح التى جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يعبدون بآيات الله) الآية ، وقال تعالى (سمع بكم سمى فهم لا يرجعون) هذا فى حق للناقضين ، وقال فى حق الكافرين (سمع بكم سمى فهم لا يقولون) ولم يكونوا صبا ولا بكيا ولا عجميا إلا عن الهدى كما قال تعالى (ولو علم الله فهم خيرا لأهمهم ولو أمهم لتولوا وهم معضون) وقال (فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور) وقال (ومن يمشى على ذكر الرحمن قبض له شيطان فبه له قرن » وإتهم ليصدقهم عن السبيل ومحسبون أنهم مهتدون) وقوله تعالى (أولئك كالأنعام) أى هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يسمونه ولا يصرون الهدى كالأنعام السارحة التى لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا فى الذى يقبها فى ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى يمشى بما لا يسמע إلا دعاء ونداء) أى ومثلهم فى حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاهم راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول ، ولهذا قال فى هؤلاء (بل هم أضل) أى من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أيس بها ، وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ، ولأنها تسمع ما خلقت له إما بطبيعتها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من اللاتسكة فى معاده ، ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ، ولهذا قال تعالى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الفاقلون) .

﴿ وَفِي الْأَنْعَامِ لَلْعَلْفَى فَاذْكُوهَا فَبِهَا وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْنَنِهِمْ سَجِرُونَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله سمعا وسمين إما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » أخرجه فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عنه ؛ ورواه البخارى عن أبى الجان عن شعيب عن أبى حمزة عن أبى الزناد به ، وأخرجه الترمذى فى جامعه عن الجوزجاني عن سفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب فذكر بسنده مثله وزاد بقوله « يحب الوتر : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم للذي القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور

يقول تعالى (والذين كذبوا بآياتنا نستدرجهم من حيث لا يعلون) ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه العاشق في الدنيا حتى يتروا بعام فيه ويستقدوا أنهم على شيء كما قال تعالى (قلنا نسا ما ذكرنا به فتنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبسولون) فقتل دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ولهذا قال تعالى (وأمل لهم آمل وأمل لهم آمل طول لهم مام فيه) (إن كيدى متين) أى قوى شديد

(أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مَبِينٌ)

يقول تعالى (أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا) هؤلاء للكسبون بآياتنا (ما بصاحبهم) يعنى محمداً ﷺ (من جنة) أى ليس به جنون بل هو رسول الله خاضعاً إلى حق (إن هو إلا تذير مبين) أى ظاهر لمن كان له لب وقلب يشعل به ورسى به كما قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) وقال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما صاحبكم من جنة إن هذا إلا تذير لکم یبى عذاب شديد) يقول إنما أطلب منكم أن تقوموا قیاما خالصاً له ليس فيه نصب ولا عناد مثنى وفردى أى مجتمعين ومترقبين ثم تفكروا في هذا الذى جاءكم بالرسالة من الله أى جنون أم لا فإنكم إذا فطنتم ذلك بان لكم وظاهر أنه رسول الله حقاً وصديقاً ، وقيل فتادة بن دحمة ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان على الصفا فدعا قريشا فجلس بينهم فحدثنا فحدثنا یبى فلان یبى فلان فحضرهم یأس الله ووقع الله قال فالتهم إن صاحبكم هذا مجنون بات بسوت إلى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تعالى (أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مَبِينٌ)

(أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)

يقول تعالى أو لم ينظر هؤلاء الكاذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض وما خلق من شيء فيها فيتدبروا ذلك ويتفكروا به ويعللوا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شيء ومن فعل من لا يبين أن تكون العبادة والعباد الخالص إلا به فيؤمنوا به وصدقوا رسوله وينبوا إلى طاعته ومخلوا الأنداد والأوثان ويعبدوا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم وصبروا إلى عذاب الله وأليم عقابه . وقوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) يقول فبأي تخوف وتحدير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله في أى كتابه يصدقون إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذى جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ وقد روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث كلهم عن حماد بن سلمة عن عمار بن زيد بن جهمان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي كُنَّا قُلُوبًا اثْنَيْنِ إِلَى السَّاءِ السَّابِغَةِ فَظَنَرْتُ فَوْقَ فُلَاذَا أَنَا بَرْهَدٌ وَبَرَقَ وَبِوَسَاقِي ، وَاتَّيْتُ عَلَى قَوْمٍ بَطُونُهُمْ كَالْبَيُوتِ فِيهَا الْحَيَاتُ تَرَى مِنْ خَارِجٍ بَطُونَهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا فَمَا نَزَلَتْ إِلَى السَّاءِ الدُّنْيَا فَظَنَرْتُ إِلَى أَسْفَلِ مِنِّي فُلَاذَا أَنَا بَرْهَجٌ وَدُخَانٌ وَأَسْمُوتُ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ يَحْمُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْجَنَابِغَ » على بن زيد بن جهمان له منكرات . ثم قال تعالى

(مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)

يقول تعالى من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ولو نظر نفسه فيا نظرقاته لا يجدى عنه شيئاً (ومن يرد الله فنته فلن تمك له من الله شيئاً) وكما قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنمى الآيات والنذر من قوم لا يؤمنون)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا عَنْهَا إِلَّا هُوَ هَلْكَتِ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَشَّةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيَةٌ عَلَيْهَا فَلِّمَّا عَلِمَهَا عَادُوا لَكُمْ كَمَا كَانُوا لِقَائِهَا فَيَوْمَئِذٍ لَا يُجِيبُونَكَ

يقول تعالى (يسألك عن الساعة) كما قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة) قيل نزلت في قريش وقيل في ثمر بن الهود والأول أجهل لأن الآية مكية وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكديبا بوجودها كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعللون أنها الحلق إلا إن الله الذي يعلم في الساعة في ضلال بيد) وقوله (أياها مرساها) قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس متباها أي مقى عطفا وأياها آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة (قل إنما عليها عند رب لا يجلبها لوقتها إلا هو) أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد عليها إلى الله تعالى فإنه هو الذي يجلبها لوقتها أي يعلم جلبه أمرا ومق يكون على التحديد لا هو تعالى ولهذا قال (تجلبت في السموات والأرض) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (تجلبت في السموات والأرض) قال تزلزل عليها أي أهل السموات والأرض أنهم لا يعلمون قال معمر قال الحسن إذا جاءت تجلبت على أهل السموات والأرض يقول كبرت عليهم ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (تجلبت في السموات والأرض) قال ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة ، وقال ابن جريج (تجلبت في السموات والأرض) قال إذا جاء انثفت السحاب وانثرت النجوم . وكورت الشمس . وسيرت الجبال وكان ماقال الله عز وجل فلذلك تجلبها ، واختار ابن جرير رحمه الله أن للراد تجلب على أهل السموات والأرض كما قال قتادة ، وهو كما قاله كقوله تعالى (لأتأتينكم إلا بشفة) ولا يبنى ذلك تجلب عليها أي أهل السموات والأرض والله أعلم وقال السدي (تجلبت في السموات والأرض) يقول خفيت في السموات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولاني مرسل (لأتأتينكم إلا بشفة) يعنيهم قيامها تأتيم على شفة وقال قتادة في قوله تعالى (لأتأتينكم إلا بشفة) قضى الله أنهما (لأتأتينكم إلا بشفة) قال وذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول « إن الساعة تهبج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يحم سلمته في السوق ويخض ميزانه ويرغفه » وقال البخاري حدثنا أبو الجان أنبأنا شبيب أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما بينهما فلا يلبسانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يبط حوضه فلا يسقى فيه ولتقوم الساعة والرجل قدر فح أكلته إلى فيه فلا يطعمها » وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به قال تقوم الساعة والرجل يحمل لقحته فأيصل الإتياء إلى فيه حتى تقوم الساعة والرجلان يتبايان الثوب فأيبايماهما حتى تقوم الساعة ، والرجل يوط حوضه فما يصدر حتى تقوم .

وقوله (يسألك كأنك خافي عنها) اختلف للفسرون فمعناه قيل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس (يسألك كأنك خافي عنها) يقول كأن يبتك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سألت الناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حتى بهم فأوحى الله إليه أيضا علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملكا مقربا ولا رسولا ، وقال قتادة قالت قريش لعبد الله عليه وسلم إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة فقال الله عز وجل (يسألك كأنك خافي عنها) وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي وهذا قول والمسيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره (يسألك كأنك خافي عنها) قال استخفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها وكذا قال الضحاك عن ابن عباس (يسألك كأنك خافي عنها) يقول كأنك عالم بها لم تستعلمها (قل إنما علمها عند الله) وقال معمر عن بعضهم (كأنك خافي عنها) كأنك عالم بها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (كأنك خافي عنها) كأنك بها عالم وقد أخفى الله عليها على خلقه وقرأ (إن الله عندهم الساعة) الآية وهذا القول أرجح

في اللقاح من الأول والله أعلم ولهذا قال (قل إنما عليها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ليلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل للسترعد وسأله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام . ثم عن الإيمان . ثم عن الإحسان . ثم قال في الساعة ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السؤل عنها بأعلم من السائل » أي لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة) الآية ، وفي رواية فسأله عن أشراط الساعة فبين له أشراط الساعة ثم قال « في خمس لا يعلمن إلا الله » وقرأ هذه الآية وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب صدقت ولهذا عجب الصحابة بن هذا السائل يسأله وصدقه ، ثم لما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » وفي رواية قال « وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا صورته هذه » وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والسانيد في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ، ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال يا محمد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هاؤم » على نحو من صوته قال يا محمد متى الساعة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها » قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ « للزم مع من أحب » لما فرح المسلمون بهيء فرحهم بهذا الحديث ولهذا طرق متعددة في الصحيحين وغيرها عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال « للزم مع من أحب » وهي متواترة عند كثير من الحفاظ للثنتين ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرغدهم إلى ما هو الأهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتبوء قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته . ولهذا قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول « إن يضي هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم » يعني بذلك موتهم الذي يضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن يضي هذا التلام نسي أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » اشهد به مسلم وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سفيان بن أبي هلال للصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال متى الساعة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هتبة ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزدشنوة فقال « إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » قال أنس ذلك التلام من أنراي وقال حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا صفان بن مسلم حدثنا هام حدثنا قتادة عن أنس قال عمر غلام للعنيزة بن شعبة وكان من أنراي فقال النبي ﷺ « إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى الساعة فذكر الحديث وفي آخره فمر غلام للعنيزة بن شعبة وذكره وهذا الاطلاق في هذه الروايات محمول على التقيد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها ، وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر « سألتوني عن الساعة وإني أعلمها عند الله وأقسم بالله ما طي ظهر الأرض اليوم من شمس منغوسة تأتي عليها مائة سنة » رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله قال ابن عمر وإني أريد رسول الله ﷺ أنخرا ذلك القرن ، وقال الإمام أحمد حدثنا هشام أنبأنا الثمام عن جبة بن سحيم عن موثر بن عفر عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « قيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى وعيسى فنذا كروا أمر الساعة - قال - فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا أعلم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا أعلم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى أما وجبتا فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد لي به عز وجل أن الانساجل خارج - قال -

ومعني قضيان فإذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فهل كذا الله عز وجل إذا رأيته حتى إن الشجر والحجر يقول يا مسلم إن نحى كافرا فاقبل فاقبل قال فهل كذا الله عز وجل ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فمقد ذلك فخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلوكه ولا يبرمون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيشككونهم فأدعو الله عز وجل عليهم فهل كذا الله عز وجل حتى تجرى الأرض من نين ريحهم أي تنين قال فينزل الله عز وجل للطير فيجترق أجسادهم حتى يذوقهم في البحر قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم ثم رجع إلى حديث هشيم قال فقيا عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالخامل للتم لا يدري أهلها متى ضجأهم يولادتها ليلا أو نهارا وزواه ابن ماجه عن بدار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب بسنده نحوه فهو لاء أكابر أولى العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التبيين وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة من هذا لأحكام رسول الله ﷺ وقتل للمسيح النجاشي ويصل الله هلاك يأجوج ومأجوج بركة دفعه فأخبر بما أعلمه الله تعالى به : وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا عبد الله بن زياد بن قبيط قال سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال « عليها عند ربى عز وجل لا يجلبها لوقتها إلا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها إن بين يديها فتنة وهرجا » قالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما المخرج قال « بلسان الحبشة القتل » قال « ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحدا » لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال وكيع حدثنا ابن أبي خاتم عن طارق بن شهاب قال كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت (يسألونك عن الساعة أين مرساها) الآية ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خاتم به وهذا إسناد جيد قوى فهذا الذي أوردته في سبيلهم محمد صلات الله عليه وسلامه بنى الرحمة ونهى التوبة ونهى للحمية والعاقب واللقنى والحائش الذى يخشى الناس على نفسه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضى الله عنهما « بئس أنا والساعة كهاتين » وقرن بين إصبعيه السابعة والى تنبها ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال (قل إن عليا عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿ قُلْ لَا أَتْلُوكَ الْقِسْفَةَ قَمَّا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْقَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنْ أَنْخَبِ وَمَا مَسَّ السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ قَوْمٌ يُؤْمِنُونَ ﴾

أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم القيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أعلمه الله عليه كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) الآية وقوله (ولو كنت أعلم القيب لاستكثرت من الخير) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد (ولو كنت أعلم القيب لاستكثرت من الخير) قال لو كنت أعلم متى أموت لعلمت عملا صالحا وكذا روى ابن أبي نجيع عن مجاهد وقال مثله ابن جرير وفيه نظر لأن عمل رسول الله ﷺ كان دمية ، وفي رواية كان إذا عمل عملا أثبتته فجميع عمله كان على متوال واحد كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لتلك والله أعلم . والأحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس (ولو كنت أعلم القيب لاستكثرت من الخير) أى من المال وفي رواية لعلت إذا اشتريت شيئا ما أربح فيه فلا أبيع شيئا إلا أربحت فيه ولا يبيعي الفقر ، وقال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك لو كنت أعلم القيب لأعدت لسنة الجدة من الخصة ولوقت الفلاء من الرخص فاستمدت له من الرخى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (وما معنى السوء) قال لا تجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون واتهين ثم

أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير المؤمنين بالجنات كما قال تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به القانتين وتذكر به قومك)

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَنَزَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْهُ دَهْرًا اللَّهُ رَبُّهَا لَئِنْ ءَاتَيْنَاكِ صَاحِبًا فَتُحْبِبِينَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهَا صَاحِبًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فَيَأْتِيَنَّهُمْ فَقَتَلُوا اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

فيه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاهم) وقال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (وجعل منها زوجها لیسکن إليها) أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة فلا تلفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكبده إلى التفرقة بين الزوجة (فما تشاهوا) أي وطئها (حملت حملا خفيا) وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له إلا إغماحي النطفة ثم الملقحة ثم اللبنة وقوله (فرت به) قال جاهد استمرت بحمه ، وروى عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه ، وقال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته ، وقال أيوب سألت الحسن عن قوله (فرت به) قال لو كنت رجلا عريا لعرفت ما هي إغماحي فاستمرت به ، وقال قتادة (فمرت به) استبان حملها ، وقال ابن جرير معناه استمرت بلما قامت به وقصدت ، وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به فشكت أحملت أم لا (فما أظلمت) أي صارت ذات حمل حملها ، وقال السدي كبر الولد في بطنها (دعوا الله ربها لئن آتيناها صالحا) أي جبرأئلا قال الضحاك عن ابن عباس أشفق أن يكون هيمه وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك أشفقا أن لا يكون إنسانا ، وقال الحسن البصري لئن آتيناها ظلما (لتكونن من الشاكرين فما آتيناها صالحا جملاه شركاء فيا آتيناها فقال الله عما يشركون) ذكر القسرون ههنا آثارا وأحاديثا سأوردها وأبين ما فيها ثم تتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن حمزة عن النبي ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يبيش لها ولد فقال ميم عبد الحارث فانه يبيش فسمته عبد الصمد بن عبد الوارث وكان ذلك من وصي الشيطان وأمره » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشر عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن ثني عن عبد الصمد بهذا الحديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن حمزة بن إبراهيم به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن حمزة بن إبراهيم مرفوعا : قلت وشاذ هو هلال وحاذ لقيه والقرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه (أحدها) أن حمزة بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وفد ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يخرج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث الضمر عن أبيه عن الحسن عن حمزة مرفوعا قاله (الثاني) أنه قد روي من قول مرة قسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن جلد حدثنا الضمر عن أبيه حديثا بذكر ابن جلد الله عن سلمان التيمي عن أبي العلاء بن الأشعر عن حمزة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث (الثالث) أن الحسن قسه قسر الآية بشير هذا فلو كان هذا عن حمزة مرفوعا لا عدل عنه قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سويل بن يوسف عن حمزة عن الحسن (جملاه شركاء فيا آتيناها) قال كان هذا في بني أهل لليل ولم يكن بآدم ،

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني
(جبله شركاء في آتاهما) وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم
الله أولاداً فهو دوا ونسروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفسير
وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه
هو ولا غيره ولا سمع نحوه أو ورعه فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب
من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرها كإسائي بيانه إن شاء الله إلا أننا برأنا من عهدة للرفوع والله أعلم.
فأما الآثار فقال محمد بن إسحق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليه
السلام أولاداً فيعبدونهم ويسمى عبد الله وعبد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال إنكما لومنيهما فيبر الذي
تسميانه به لما قال فقلت له رجلا فسماه عبد الحارث فيه أنزل الله يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى قوله -
جلا له شركاء في آتاهما) إلى آخر الآية ، وقال الصوفي عن ابن عباس قوله في آدم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة -
إلى قوله - فثرت به) شكت أحملت أم لا ؟ (فلما أهملت دعوا الله بهما لأن أتينتا سالماً ففكرن من الشياطين) فأتاهما
الشیطان فقال هل تدريان ما يؤلف لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون أهيمة لآدم ؟ وزن لهما الباطل إذ تغوى عيين ، وقد كانت
قبل ذلك ولدت ولدين فلما قال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياه في لم يخرج سوياً وملت كلمات الأول فسبوا ولهما
عبد الحارث فذلك قول الله تعالى (فلما آتاهما سالماً جلا له شركاء في آتاهما) الآية ، وقال عبد الله بن المبارك عن
شريك عن خفيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فلما آتاهما سالماً جلا له شركاء في آتاهما) قال : قال الله
تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما قصصاها) آدم (حملت) فأتاهما إبليس لعنه الله
فقال إن صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة تطيعاني وأطعني له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشق وأطعن وأطعن
يخوفهما فسميهما عبد الحارث فأيا أن يطعاه فيخرج ميتاً ثم حملت الثانية فأتاهما أيضاً فقال أنا صاحبكما الذي ضلت
ماضيت لطفن أو لأطعن - يخوفهما - فأيا أن يطعاه فيخرج ميتاً ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدركهما
حب الولد فسميهما عبد الحارث فذلك قوله تعالى (جلا له شركاء في آتاهما) رواه ابن أبي حاتم
وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كجهاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي
 وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن التفسيرين من التأخرين جماعة لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أسله مأخوذ
 من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو الجاهر حدثنا سعيد
 يعني ابن بشر عن عتبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء أتاهما الشيطان فقال لها
 أنطعيني ويسلم لك ولك ، سميهما عبد الحارث فلم تطعني فقلت فأتاهما ثم حملت فلما ملكت ذلك فلم تطعني ثم حملت الثالثة فجاءها
 فقال إن أنطعيني يسلم وإلا فآفة يكون هيبة فيهما فأطاعا
 وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد مر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه قال « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام فعنها ما علمنا صحته بما
 دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ومنها
 ما هو مسكوت عنه فهو للأذون في روايته بقوله عليه السلام « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » وهو الذي لا يصدق
 ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث
 به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فمذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس
 المراد من هذا السابق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك للشركوت من ذريته ولهذا قال الله (تعالى الله عما
 يشركون) ثم قال فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالاتطراد من ذكر الشخص إلى
 الجنس كقوله (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) الآية ومعوم أن للصايغ وهي التجوم التي زينت بها السماء ليست

هي التي رى بها وإنما هذا استعراذ من شخص للصايح إلى جنبها ولهذا ناطق في القرآن والله أعلم

(أَيُّشْرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ • وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَهْلُسَهُمْ يَنْصُرُونَ • وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُكُمْ أَمْ أَنْتُمْ حَبِيتُونَ • إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُنْشَأَ لَهُمْ أَفْعَادُوهُمْ فَلَيْسَ تَحْيِيوُا لَهُمْ أَنْ كُفُّمْ حَلْفِيقِينَ • هَلْهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَنْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُذُنٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونْ فَلَا تَنْظُرُونَ • إِنَّ إِلَهَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ هُوَ يَقُولُ الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ • وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ •)

هذا إنكار من الله على الشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأسماء والأوثان وهي مخلوقة لله مربية مصنوعة لأعلاك شيئا من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تنصر لمأبدتها بل هي جماد لا تحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدها أكل منها بسمهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال (أَيُّشْرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أي أنشأوا لهم من المعبودات ما لا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ مَا تَسْتَعْمَلُونَ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبِ اللَّهُ الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالطَّالِبِ • مَقْدِرُوا لَهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لو سلطهم الالهة شيئا من خير الطعام وطارت لما استطاعوا إيقاده منها فمن هذه صفته وبالله كيف يبدد ليرزق ويستمر • ولهذا قال تعالى (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل (أَعْبُدُونِ مَا تَحْتَوُونَ) الآية ثم قال تعالى (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) أي لمأبدتهم (وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) يعني وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسَوْءٍ كَمَا كَانَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكْسِرُ أَسْنَانَهُمْ قَوْمَهُ وَبَيْنَهُمَا غَايَةُ الْإِهَانَةِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْجَنِّ) وقال تعالى (فَجَعلَهُمْ جُنَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَهْلُهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وكما كَانَ مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَوْحِ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَانَا شَايِنَ قَدِ اسْلَمَا لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَكَانَا يَدْعُوَانِ فِي الْجَبَلِ عَلَى الْأَسْنَانِ لِلشَّرِكِينَ يَكْسِرَانَهَا وَيُتْلِفَانَهَا وَيُخْلِفَانَهَا حَطْبًا لِلْأَرَامِلِ لِيُتَبَرَّ قَوْمُهُمَا بِذَلِكَ وَيَرْتَأُوا أَنْفُسَهُمْ فَكَانَ لِعَمْرٍو بْنِ الْجَوْحِ وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ صَنْعَ عِيْدِهِ وَطَبِيعَ فَكَانَا يَجِيئَانِ فِي اللَّيْلِ فَيَنْكَسَهُنَّ عَلَى رَأْسِهِ وَيُلَطِّخُهُنَّ بِالْعَنْدَرَةِ فَيَجِيءُ عَمْرٍو بْنُ الْجَوْحِ فَيَرَى مَا صَنَعَ بِهِ فَيَنْفِسه وَطَبِيعَهُ وَيُضَعُّ عَنْهُ سَيْفًا وَيَقُولُ لَهُ انْصَرَّ ثُمَّ يَهْدِيهِ إِلَى ذَلِكَ وَيَعُودُ إِلَى صَنِيعِهِ أَيْضًا حَتَّى أَخَذَاهُ مَرَّةً قَرْنَاهُ مَعَ كَلْبَعِيَّتِهِ وَدَلِيَاهُ فِي خَبَلٍ فِي بَرْهَانِكَ فَلَمَّا جَاءَ عَمْرٍو بْنُ الْجَوْحِ وَرَأَى ذَلِكَ نَظَرَ نَعْمَ أَنْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ بَاطِلٌ وَقَالَ :

تالله لو كنت إلها مستند • لم تكن والكذب جميعا في قرن

ثم أسلم فحسن إسلامه وقتل يوم أحد شهيدا رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه وقوله (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ) الآية يعني أن هذه الأسماء لا تسمع دعاء من دُعَاهَا وَسَوَاءَ لَهَا مِنْ دُعَاهَا وَمِنْ دَعْوَاهَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهَا عِيدٌ مِثْلُ عَابِدِيهَا أَيْ عُنَاقَاتٍ مِثْلَهُمْ بَلِ الْإِنْسَانُ أَكَلَّ مِنْهَا لَهَا تَسْمَعُ وَتَبْصُرُ وَتَبْطِشُ وَتَلْكَ لَهَا فَعَلَّ شَيْئًا ذَلِكَ وَقَوْلُهُ (فَلَا تَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) الآية أَيْ اسْتَعِزُّوْا بِهَا عَلَى فَلَا تُخْرُونِي طَرَفَةَ عَيْنٍ وَاجْهَدُوا جِهَتَكُمْ (وَإِنْ وَلِيَ اللَّهُ الدِّينَ نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يُتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) أَيْ اللَّهُ حَسْبِي وَكَاتِبِي وَهُوَ نَصِيرِي وَعَلَيْهِ مَتَكَلَّى وَإِلَيْهِ أُلْجَأُ وَهُوَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ صَالِحٍ يَهْدِي وَهَذَا كَمَا

قال هود عليه السلام ما قال له قومه (إن هول إلا عثرak بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بما صنعتها وإن ربي على صراط مستقيم) وكقول الحليل (أفرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون * فانهم عدولي إلا الرب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين) الآيات وكقوله لأبيه وقومه (إني براء بما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون). وقوله (والذين تدعون من دونه) إلى آخر الآية مؤكداً ما تقدم إلا أنه بصيغة الخطاب وذلك بصيغة التثنية ، ولهذا قال (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وقوله (وإن تدعوم إلى الهدى لا يسمعون) وترام ينظرون إليك وهم لا يصرون) كقوله تعالى (إن تدعوم لا يسمعون دعاءكم) الآية وقوله (وترام ينظرون إليك وهم لا يصرون) إنما قال (ينظرون إليك) أي يقابلونك ببيون مصورة كأنها ناظرة وهي جماد ولهذا علمهم بمعاملة من يقلل لأنها على صور مصورة كالإنسان وترام ينظرون إليك فبر عنها بشمير من يقلل ، وقال السدي الراد بهذا للشركون ، وروى عن مجاهد نحوه والأول أولى وهو اختيار ابن جرير وقاله قتادة

﴿ خُذِ الْغَفْوَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ

صَبِيحٌ عَلِيمٌ ﴾

قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (خذ الغفو) يعني خذ ما عفاك من أموالهم وما أموك به من شيء فخذنه وكان هذا قبل أن ينزل برأية برفاض الصدقات وتضليلها وما انتهت إليه الصدقات، قال السدي وقال الشحاك عن ابن عباس (خذ الغفو) أشق التضليل ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (خذ الغفو) قال الفضل وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله (خذ الغفو) أمره الله بالغفو والصفح عن الشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالى (خذ الغفو) قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس ، وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ الغفو من أخلاق الناس وفي رواية قال خذ ما عفا لك من أخلاقهم ، وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال إنما أنزل خذ الغفو من أخلاق الناس ، وفي رواية للثوري عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفي رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها قالت لا مثل ذلك والله أعلم ، وفي رواية لسعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ الغفو قال من أخلاق الناس والله لا خذته منهم ما سببتهم وهذا أشهر الأقوال ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبي قال لا أنزل الله عن وجل على نبيه ﷺ (خذ الغفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله ﷺ « ما هذا يا جبريل ؟ » قال إن الله أمرك أن تمفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتمسك من قطعك ، وقد رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي يزيد القراطيسي كتابة عن إسماعيل بن الفرغ عن سفيان عن أبي عن الشعبي نحوه ، وهذا مرسل على كل حال وقد روى له شواهد من وجوه أخر وقد روى مرفوعاً عن جابر بن عتيق بن سعد بن عباد عن النبي ﷺ أسندهما ابن مردويه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو الثوري حدثنا شعبة حدثنا معاذ بن رفاعه حدثني ط بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة الباهلي عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخبرت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال « يا عتبة سل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عن ظلمك » وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن ط بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن ط بن يزيد وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فهما ضعف ، وقال البخاري قوله (خذ الغفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) العرف بالمعروف حدثنا أبو الهيثم حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فقل ط بن أبي أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته

كحولاً كانوا أو شباناً فقال عينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لسيئة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تمنينا الجزل ولا تحم بيننا بالمدل فنضب عمر حتى هم أن يقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ (خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقالاً عند كتاب الله عز وجل انترد بأخراجه البخارى ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن عبد الله بن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لأهل الشام وفيها جرس فقال إن هذا منى عنه فقالوا نحن أعلم بهذا منك إنما يكره الجبل الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال (وأعرض عن الجاهلين) وقول البخارى : العرف للعروف ، نص عليه عروة بن الزبير والسدى وقائدة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفًا وعارفاً وعرفة كل ذلك بمعنى المعروف قال وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ويذخل في ذلك جميع الطاعات وبالاعراض عن الجاهلين وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقته باحتال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالاعراض ممن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح ممن كثر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة في قوله (خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ وله عليها وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبك في يثيث فيها جناس فقال :

خذ الصفو وأمر برف كما • أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لكل الأنام • فستحسن من ذوى الجاهل لين

وقال بعض العلماء : الناس رجلان فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما حرجه وإما مسيء فمر بالمعروف فان تمادى على ضلاله واستصسى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلمل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون •) وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ولا تتوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى هذه الوصية (وإما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستد بالله إنه هو السميع العليم) وقال في هذه السورة الكرعة أيضاً (وإما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستد بالله إنه مسمع عليم) فهذه الآيات الثلاث في الاعراف والمؤمنون وحج السجدة لارابع لمن فاته تعالى يرشد فبين إلى معاملة الناس من الإنسى بالمعروف بالتي هي أحسن فانه ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد ليدته تعالى ولهذا قال (فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ثم يرشد تعالى إلى الاستعانة به من شيطان الجان فانه لا يكفه عنك الإحسان وإنما يريد هلاكك ومهلك بالكلية فانه عدو مبین لك ولأيك من قبلك قال ابن جرير في تفسير قوله (وإما ينزغناك من الشيطان نزغ) وإما يضربك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهل ويعملك على مجازاته (فاستد بالله) يقول فاستعج بالله من نزغه (إنه مسمع عليم) مسمع لجهل الجاهل عليك والاستعانة به من نزغه وقهر ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء علم بما ينهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما نزلت (خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال : يا رب كيف بالنسب ؟ فأنزله الله (وإما ينزغناك الشيطان نزغ فاستد بالله إنه مسمع عليم) قلت وقد تقدم في أول الاستعانة حديث الرجلين الذين تسابحا بحضرة النبي ﷺ فنضب أحدهما حتى جعل أنه يتنزع غضبا ، فقال رسول الله ﷺ « إني لأعلم كلوة لو قلنا لذهب عنه ما يحسد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقيل له فقال ما بي من جنون . وأصل النزغ القصاد إما بالنسب أو غيره قال الله تعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) والعياذ الالتجاء والاستناد والاستنجار من الشر ، وأما اللادفعى طلب الخير كما قال الحسن بن هانئ في شعره

يا من ألوذ به فبا أؤله • ومن أعود به بما أحاذره
لا يجر الناس عظماً أنت كسره • ولا يضيئون عظماً أنت جاره
وقد قلنا أحاديث الاستمانة في أول التفسير بما أغنى عن إعادته هاهنا

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ • وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي
النَّارِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾

يخبر تعالى عن المؤمنين من عباده الذين أطاعوه في أمر ، وتركوا ما نهى زجرأئهم (إذا مسهم) أي أصابهم طيف وقرأ
الآخرون طائف وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان قليل يعني واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر ذلك
بالنصب ومنهم من فسر بسى الشيطان بالصرح ونحوه ومنهم من فسره بلطم بالذنب ومنهم من فسره بإصابة الذنب وقوله
(تذكروا) أي عاقب الله وجزىل نوابه ووعده ووعيده فتأبوا وأتأبوا واستأذوا بالله ورجعوا إليه من قريب (فلذام
مبصرون) أي قد استقاموا وسعوا عما كانوا فيه وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هاهنا حديث محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف قالت يا رسول الله ادع الله
أن يشفي فقال « إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك » قالت بل أصبر ولا حساب
عليّ ورواه غير واحد من أهل السنن وعندهم قالت يا رسول الله إني أصرع وأتكشف فادع الله أن يشفي فقال
« إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت صبرت ولك الجنة » قالت بل أصبر ولي الجنة ولكن ادع الله أن
لا أتكشف فندما لما فكانت لا تتكشف وأخرجه الحاكم من مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه أن علياً كان يتهدى في المسجد فبهوته امرأة فدمته
إلى نفسها فزالته به حتى كاد يدخل معها للزلل فذكر هذه الآية (إن الذين آمنوا إنا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فلذام مبصرون) فخر منشا عليه ثم أفاق فأعادها فمات فبها عمر فبزي فبأباه وكان قد دفن ليلاً فلهب
فصل على قبره بمن معه ثم ناداه عمر فقال ياقي (ولن خاف مقام ربه جناناً) فأجاباه النقي من داخل القبر بأمر قد
أعطانيهما ربى عز وجل في الجنة مرتين . وقوله تعالى (وإخوانهم يمدونهم) أي وإخوان الشياطين من الإنس كقوله (إن
البلدين كانوا إخوان الشياطين) وهم أتباعهم وللمستمعون لهم القابلون لأوامرهم يمدونهم في التي أي تساعدهم الشياطين
على المعاصي وتسبها عليهم وتحسبها لهم وقال ابن كثير للذ الزيادة يعني يمدونهم في التي يعني الجهل والسفه (ثم لا يصرون)
قليل معناه إن الشياطين عند الإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وإخوانهم
يمدونهم في التي ثم لا يصرون) الآية قال لا الإنس يمدونهم عما يصلون ولا الشياطين تمسك بهم وقيل معناه كما
رواه المولى عن ابن عباس في قوله (يمدونهم في التي ثم لا يصرون) قالهم الجن يمدونهم إلى أوليائهم من الإنس ثم
لا يصرون يقول لا يأمون وكذا قال السدي وغيره أن يعني الشياطين يمدون أوليائهم من الإنس ولا تسأم من إمدادهم
في الشر لأن ذلك طيبة لهم وسجية (لا يصرون) لا تفر فيه ولا تبطل عنه كما قال تعالى (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم أزراً) قال ابن عباس وغيره تزعبهم إلى المعاصي إزجاجاً

﴿وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا قُلْ إِنَّمَا أُنشِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مَن يَرْتَعِبُ
وَعَهْدِي وَرَحْمَةُ قَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا) يقول لولا تخيبتها وقال مرة أخرى لولا
أحدثها فأنتأها وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير عن جماعة في قوله (وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا) قال لولا

اقتضيتها قالوا نخرجها عن نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس (لولا اجتنيبتا) يقول تلقيتها من الله تعالى وقال الضحاك (لولا اجتنيبتا) يقول لولا أخذتها أنت فيثبت بها من السماء ومعنى قوله تعالى (وإنما لم تأتكم بآية) أي معجزة وخارق كقوله تعالى (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم ألا تعجز نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها وتؤمن بها قال الله تعالى له (قل إنه جميع ما يوحى إلي من ربي) أي أنا لا أقدم إليه تعالى في شيء وإنما أتبع ما أمروني به فأمثل ما يوحى إلي فإن بشت آية قبلتها وإن منها لم أسأله ابتداء ليلاها إلا أن يأذن لي في ذلك فإنه حكيم علم ثم أرعدهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصعب الحجج واليائنات فقال (هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون)

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَكُمْ تُرْجَوْنَ﴾

لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدي ورحمة أمر تعالى بالانصات عند تلاوته إعظاما له واحتراما لا كما كان يعتمد كفار قريش للشركون في قولهم (لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والآية ولكن يتأكد كذلك في الصلاة للشكوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إنما يجلس الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا» وكذا رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة أيضا وصححه مسلم بن الحجاج أيضا ولم يخرج في كتابه وقال إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عبيس عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) والآية الأخرى أمروا بالانصات، قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عبيس عن عاصم عن السيب بن رافع قال ابن مسعود كنا يسم بعضنا على بعض في الصلاة فجاء القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا الهاربي عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرءون مع الإمام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تسمعوا أم أن تقولوا (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) كما أمركم الله قال وحدثني أبو السائب حدثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال نزلت هذه الآية في نفق من الأنصار^(١) كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قرأه فنزلت (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكتمة الأيلي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال «هل قرأ أحد منكم معي أم لا؟» قال رجل نعم يا رسول الله، قال «إني أقول مالي أنزع القرآن» قال فاتى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيها جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وقالت الترمذي هذا حديث حسن وصححه أبو حاتم الرازي، وقال عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري قال لا يقرأ من وراء الإمام فيها يجهر به الإمام تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته ولكنهم يقرءون فيها لا يجهر بمسرا في أشبه ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيها يجهر بمسرا ولا علانية فإن الله تعالى قال (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) فلتخذوا منه حظا من الصلاة أن للأمام أن لا يجبر عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيها جهر فيه الإمام لا الفاعلة ولا غيرها وهو أحد قولي الشافعية وهو القديم كذهب مالك ورواية عن أحمد بن حنبل لما ذكرنا من الأدلة المقدمة وقال في الجديد يقرأ الفاعلة فقط في سكات الإمام وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل لا يجب على للأمام قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث «من كان له إمام فقرأه فقرأه له» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعا وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان عن جابر موقوف وهذا أصح وهذه المسألة مبسطة في غير هذا للوضع وقد أرفدها الإمام أبو عبد الله البخاري معنفا على حدة واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضا والله أعلم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (١) فيه أن الآية مكية نزل قبل إسلام الأصغر.

قوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يعني في الصلاة للقراءة ، وكذا روى عن عبد الله بن الفضل ، وقال ابن جرير حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا بشر بن الفضل حدثنا الجري عن طلحة بن عبيد الله بن كريب قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص قصص ، فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان للوعود ؟ قال فنظرا إلى ثم أقبل على حديثهما ، قال فأعدت فظنرا إلى وأقبل على حديثهما ، قال فأعدت الثالثة قال فنظرا إلى فقالا : إنما ذلك في الصلاة (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وكذا قال سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال في الصلاة وكذا رواه غير واحد عن مجاهد ، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ، وكذا قال سعيد ابن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وقائدة والشمي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بذلك في الصلاة وقال شعبه عن منصور سمعت إبراهيم بن أبي حمزة يحدث أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة ، وكذا روى ابن جريج عن عطاء مثله ، وقال هشيم عن الربيع بن مسيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكر ، وقال ابن المبارك عن بقيس بن ثابت بن جهمان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال الإنسان يوم الأضحية ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام من الصلاة وهذا اختيار ابن جبير أن المراد من ذلك الإنصات في الصلاة وفي الخطبة كما جاء في الأحاديث من الأمر بالإنصات خلف الإمام وحاذي الخطبة ، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئا قال السكوني ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن إذا جلس إلى القرآن فأنصت له وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن مسيرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » ثم روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى

﴿ وَأَذْكُرْكَ فِي قَتْلِكَ تَقَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَتِيلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرا كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد كان هذا قبل أن تخرش الصلوات الخمس ليلة الإسراء وهذه الآية مكية ، وقال هبنا بالندو وهو أول النهار والآصال جمع أميل كما أن الإيمان جمع عين ، وأما قوله (تقربوا وخيفة) أي اذكر ربك في نفسك رغبة وورع وبالقول لا جهرا ولهذا قال (ودون الجهر من القول) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهرا بلينا ، ولهذا لما سألو رسول الله ﷺ فقالوا : أقرب ربنا فنجابه أم بعيد فنجاب ؟ فأذن الله عز وجل (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي ﷺ « يا أيها الناس اربصوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أسم ولا غائبا إلا الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى (ولا تعجز بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) فإن للبركين كانوا إذا سمعوا القرآن سيوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به فأمره الله تعالى أن لا يجهر به ثلاثا لئلا يبال منه للشركون ولا يخافت به عن أصعابه فلا يسمعون وليتخذ سبيلا بين الجهر والاسرار ، وكذا قال في هذه الآية الكريمة (ودون الجهر من القول بالندو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقد زعم ابن جرير وقيل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة وهذا بعيد منافق للإنصات للأمر به ، ثم إن المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ومعلوم

أن الأصوات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرا أو جهرا فهذا الذي قاله لم يتأبها عليه ، بل الراد الحسن على كثرة الذكر من العباد بالقدو والأصال ثلاثا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح لللائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يشغرون فقال (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الآية ، وإنما ذكرهم بهذا ليقنوا بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجدتهم لله عز وجل كاجاء في الحديث « ألا تصفون كما تصف لللائكة عند ربها يتحنن الصفوف الأول فالأول ويتراصون في الصف » وهذه أول سجدة في القرآن بما يشرع ثلثها ومستمعها السجود بالإجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الهرداء عن النبي ﷺ أنه عبدها في سجدات القرآن آخر خمسين سورة الأعراف والله الحمد ولله

(تفسير سورة الأنفال)

وهي مدنية . آياتها سبعون وست آيات . كلماتها ألف كلمة وستة مئة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة . حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَسْتَأْذِنُكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَقْوَمُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

قال البخاري : قال ابن عباس : الأنفال للقاتم ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال نزلت في بدر . أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه طي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال الأنفال للقاتم كانت لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد منها شيء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها للقاتم ، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : الأنفال للقاتم ، قال فيها لبيد :

إِنْ تَوَيْ رَيْنَا خَيْرَ نَحْلٍ • وَلِيْنَّا اللَّهَ رِيْثَ وَالْمَجْلِ

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الأنفال فقال ابن عباس رضي الله عنهما : الفرس من النفل والسلب من النفل . ثم عايناهما فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل : الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي ؟ قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يخرج به فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضرب به عمر بن الخطاب . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا سئل عن شيء قال لا أمرك ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما يثبت الله نبيه ﷺ إلا زاجرا أمرا محلا محرما . قال القاسم فسلط طي ابن عباس رجلا فساه عن الأنفال فقال ابن عباس : كان الرجل ينقل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم عاد عليه حتى أقضبه فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضرب به عمر بن الخطاب حتى سالت النساء طي عليه أو طي رجله ، فقال الرجل أما أنت فقد انتهتاه لمر منك . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فرس النفل بما ينفع الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بد قسم أصل للقتل وهو التبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل والله أعلم .

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد : إثم سألوا رسول الله ﷺ عن الحس بعد الأربة من الأخماس فنزلت (يسألونك عن الأنفال) وقال ابن مسعود ومسروق لا نفل يوم الزحف إنما النفل قبل التقاء الصفوف فراره ابن أبي حاتم عنهما ، وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية (يسألونك عن الأنفال) قال يسألونك فيما شئ من الشرابين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل لثني صلى الله

عليه وسلم يصنع به ما يشاء ، وهذا يقتضى أنه نسر الأفعال بالنفي وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال . قال ابن جرير وقال آخرون هي أفعال السرايا حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا علي بن صالح بن يحيى قال بلغني في قوله تعالى (يسألونك عن الأفعال) قال السرايا ومعنى هذا ما يفعله الإمام لبعض السرايا زيادة على تقسيمه مع بقية الجيش . وقد صرح بذلك الشهي . واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم وهذا كذلك ماورد في سبب نزول الآية وهو ما رواه الإمام أحمد في حديث قال : حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحق الشيباني عن محمد بن عبيد الله التقي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر وقتل أخى عمير قتلت سبيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكشيفة فأثبت به النبي صلى الله عليه وسلم قتال « اذهب فاطرحه في القليب » قال فرجعت وفي مالا يسله إلا الله من قتل أخى وأخذ سلمي قال فلماجاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأفعال قتال على رسول الله ﷺ « اذهب فخذ سلك »

وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال : قلت يا رسول الله قد دفن الله اليوم من الشركين فبهى هذا السيف ، فقال (إن هذا السيف لأك لا لى ، ضمه) قال فوضته ثم رجعت قتلت عسى أن يعطى هذا السيف من لايى لى ، قال فلما رجع يدعو من ورأى قال قلت قتال على الله في حينا ؟ قال كنت سألتى السيف وليس هو لى وإياه قد وهب لى فهو لك قال وأنزل الله هذه الآية (يسألونك عن الأفعال قل الأفعال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن أبي بكر بن عياش به وقال الترمذى حسن صحيح وهكذا رواه أبو داود الطيالسى أخبرنا شعبة أخبرنا مالك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت في أربع آيات أصبحت سيفاً يوم بدر فأثبت النبي ﷺ قتلت قلن به ، فقال « ضمه من حيث أخذته » مرتين ثم عاودته فقال النبي ﷺ « ضمه من حيث أخذته » فقلت هذه الآية (يسألونك عن الأفعال) وتام الحديث في نزول (ووصيناك الإنسان بوالديه حسنا) وقوله تعالى (إنما الحمر والبيسر) وآية الوصية وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به وقال محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بنى ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول أصبحت سيف ابن عاتق يوم بدر وكان السيف يدعى بالمرزبان ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما لى أيديهم من الفتل أقلت به فأثبتته في الفتل وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئا يسأله فرأى الأرقم بن أبي الأرقم الخزومى فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه ، ورواه ابن جرير من وجه آخر

(سبب آخر في نزول الآية)

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحق عن عبد الرحمن بن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الأفعال فقال فينا أسحباب بدر نزلت حين اختلفنا في الفتل وسألت فيه أخلاقا فانزعج الله من أيدينا وجهه الى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السلميين عن بواء ، يقول عن سواء . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو إسحق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد الله بن عياش بن بنى ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلامة عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأثبتت طائفة على السكركم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدثت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لاصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الضانم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن مننا عنه العدو وهزمتهم ، وقال الذين أهدتوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتكتا به فقلت (يسألونك عن الأفعال قل الأفعال لله والرسول فاتهاوا الله وأسلحوا ذات يمينكم) قسمها رسول الله ﷺ بين السلميين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل في أرض العدو قتل الربيع ، فلذا أقبل راجعا قتل الثلث ، وكان يكره الأفعال ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه قال الترمذى هذا حديث صحيح ، ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في

مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن الحارث وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظ له ، وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » فتسارع في ذلك شبان القوم وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فاما كانت التماس جاءوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإنا كنا ودها لكم لو انكسفتهم لقتلنا . فتنازعوا فانزل الله تعالى (يسألونك عن الأنفال - إلى قوله - وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ، وقال الثوري عن الكوفي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من قتل قتيلًا فله كذا وكذا ، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا » فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك آيت وعدتنا فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله : إنك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وإنهم يمنعوننا من هذا زهادة في الأجر ، وإلا جئنا عن العدو ، وإنما لنا هذا للقيام بحفاظة عليك بخافة أن يأثروا نحن ورايتك ، فتسارعوا ونزل القرآن (يسألونك عن الأنفال قبل الأنفال لله والرسول) قال ونزل القرآن (واعلموا أنما غنمنا من شيء فإن لله خمسة) إلى آخر الآية وقال الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها : أما الأنفال فهي للعلماء وكل نيل ناله للمسلمين من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولى لرسول الله ﷺ يقول الله تعالى (يسألونك عن الأنفال قبل الأنفال لله والرسول) قسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد بن زبدر بعد ذلك أيًا من القسمين فسخت الأولى ، قلت هكذا روى على بن أبي طلحة عن ابن عباس سواء ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي . وقال ابن زيد ليست منسوخة بل هي حكمه ، قال أبو عبيد وفي ذلك آثار ، والأنفال أصلها جماع التنازع إلا أن الحس منها مخصوص لأهلها على ما نزل به الكتاب وبُجِّرت بالسنّة ، ومعنى الأنفال في كلام العرب كل إسان فله فاعيل فضل من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خسرهم الله به فلولوا منه عليهم بعد أن كانت التنازع بحرية على الأمم قبلهم فنفلها الله تعالى هذه الأمة بهذا أصل النفل ، قلت فاجعل هذا ما في السنين عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي - فذكر الحديث إلى أن قال - وأحلّت لي التنازع ولم تحله لأحد قبلي » وذكر تمام الحديث : ثم قال أبو عبيد ولهذا سمى ما جعل للإمام للمقاتلة قتلا وهو تفضيه بعض الجيش على بعض شيء سوى سبامهم يفعل ذلك بهم على قدر التنازع ، عن الإسلام والنكابة في العدو ، وفي النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى (فإحداهن) في النفل لخمسة فيه وذلك السلب (والثانية) النفل الذي يكون من التينة بعد إخراج الحس وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب فتأتي بالتنازع فيكون للسرية مما جاءت به الأربع أو الثلث بعد الحس (والثالثة) في النفل من الحس نفسه وهو أن تهاز التينة كلها ثم تخمس فإذا صار الحس في يد الإمام قل منه على قدر ما يرى (والرابعة) في النفل في جملة التينة قبل أن تخمس منها شيء وهو أن يعطى الأعداء ورعاة الماشية والسواقي لها . وفي كل ذلك اختلاف

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج من رأس التينة قبل الحس شيء غير السلب . قال أبو عبيد والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم وذلك من خمس التي صلى الله عليه وسلم فإن له خمس الحس من كل غنيمة فينبغي للامام أن يجتهد ، فإذا كثر العدو واشتدت شكوتهم وقل من يلزاه من المسلمين قل منه ابتاعا لسنة رسول الله ﷺ وإذا لم يكن ذلك لم ينفل (والوجه الثالث) من النفل إذا بث الإمام سرية أو جيشًا فقال لهم قبل التنازع من غنم شيئًا فهو له بعد الحس فهو لهم على ما شرط الإمام لأنهم في ذلك غزوا وبه رضا انتهى كلامه ، وفيما تقدم من كلامه وهو قوله : إن غنائم بدر لم تخمس نظر ، ويرد عليه حديث على بن أبي طالب في شارفيه الذين حصلوا له من الحس يوم بدر وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانا شافيا والله الحمد ولله . وقوله تعالى (فأتوا

الله وأصلحوا ذات بينكم) أى اتقوا الله فى أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تغالطوا ولا تخافوا ولا تتشاجروا لما أتاكم الله من الهدى والى خير مما تختصنونه بسببه (وأطيعوا الله ورسوله) أى فى قسمه بينكم على ما أراه الله ، فإنه إنما قسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف وقال ابن عباس هذا يخرج من الله ورسوله أن يتقوا وأصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد ، وقال السدى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أى لا تسبوا . ولذكر ههنا حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن حنبل فى التلخيص فى مسنده قال : حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا عباد بن شعبة الجبلى عن معبد بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت نثايه فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأى أنت وأمى ؟ فقال « رجلان من أمى جيا بين يدى رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما : يا رب خذنى تنطلق من أخى . قال الله تعالى أعط أخاك مظنة قال : يا رب لم يبق من حسنتى شيء قال : رب فليحمل غنى من أوزارى » قال : فضاقت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال الله تعالى للطلاب ارفع صرك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فنة وقصوراً من ذهب مكللة بالؤلؤ . لأى نهي هذا ؟ لأى صديق هذا ؟ لأى شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطى عنه ؟ قال رب ومن يملك عنه ؟ قال أنتوتلكه قال ما ذا يا رب ؟ قال نفو عن أخيك ، قال يا رب فأنى قد غفوت عنه ، قال الله تعالى غف يد أخيك فادخلا الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »

﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَكَانَ رَبُّهُمْ بَرَّكَوْنَ ۖ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمُوتُونَ الْوَفَا ۖ رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : لنا تقولون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه . ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يسلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله المؤمنين فقال (إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) يقول زادتهم تصديقاً (وعلى ربهم يتوكلون) يقول لا يرجون غيره وقال مجاهد (وجلت قلوبهم) فرقت أى فزعت وخافت وكذا قال السدى وغير واحد ، وهذه صفة المؤمن حتى المؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه أى خاف منه ، فضل أوامره ، وترك زواجره كقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لأنهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) وكقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) فإن الجنة هى للمأوى) ولهذا قال سفيان الثورى سمعت السدى يقول فى قوله تعالى (إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال هو الرجل يريءان يظلم أو قال بهم بحصة فيقال له انق الله فيجل قلبه وقال الثورى أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء فى قوله (إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال الوجل فى القلب كاستراق السخة أى يجد له قسرية ؟ قال بلى قالت إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فإن السماء ينهب ذلك ، بقوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) كقوله (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيسرك زادته هذه إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقد استدلل البخارى وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهاها على زيادة الإيمان وتضايله فى القلوب كما هو مذهب جمهور الأئمة بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعى وأحمد بن حنبل وأبى عبيد كما بينا ذلك مستقصى فى أول شرح البخارى والله الحمد ولله (وجل ربهم يتوكلون)

أى لا يرجون سواء ولا يحرصون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويطلبون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه للتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا منقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير التوكل على الله جماع الإيمان . وقوله (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواعيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، وقال مقاتل بن حيان إنائها المحافظة على مواعيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والشهادة والصلاة على النبي ﷺ هذا إنائها ، والاتفاق بما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . والخلق كلهم عيال الله فأحجمهم إلى الله أنفسهم خلفه . قال قتادة في قوله (وما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا بما رزقكم الله فأعماهده الأموال عوارى وودائع عنده يا ابن آدم أو شكت أن تشارفها

وقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) أى للتصنفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لهجة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن إلحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له « كيف أصبحت يا حارث ؟ » قال « أصبحت مؤمنا حقا قال « انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فإياك ؟ » فقال عزفت نفسي عن الدنيا فأسهت ليلي وأظلمت نهارى وكأني أنظر إلى عرش ربى بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال « يا حارث عرفت فالزم » ثلاثا وقال حمرون مرة في قوله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقا) إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقا وفى القوم سادة . وفلان تاجر حقا وفى القوم نجار . وفلان شاعر حقا وفى القوم شعراء . وقوله (لهم درجات عند ربهم) أى منازل لمواقفات ودرجات فى الجنات كما قال تعالى (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (ومغفرة) أى ينظر لهم السيئات ويشكرهم الحسنات . وقال الضحاك في قوله (لهم درجات عند ربهم) أهل الجنة بعضهم فوق بعض فبصرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد ، ولهذا جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب القاهر فى أفق من آفاق السماء » قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم فقال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصعدوا للرسلين » وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث ابن أبي عتيبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليراهون أهل البرجيات المل كما تراءون الكوكب القاهر فى أفق السماء وإن أبكر وأحر منهم وأتمها »

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لَكُذُوبُونَ * يُجَدُّ لَوْلَكَ فِي الْخَلْقِ بَدَنٌ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُنْفِقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَدْعُوكُمْ اللَّهُ لِتُخْبِتُوا لَهَا أَنَكُمُ الْمَكْرُوفُونَ * أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْخَلْقَ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُخَيِّقَ الْخَلْقَ وَيُؤَيِّطَ الْبَاطِلَ وَقَوْزُ كَرَّةِ الْمُخْرِجُونَ)

قال الإمام أبو جعفر الطبرى اختلف القسرون فى السبب الجالب لهذه الكفاة فى قوله (كما أخرجك ربك) فقال بعضهم فيه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لا اختلفتم فى القائم وتشاحتم فيها فاتزعها الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ قسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو للصلحة التامة لكم وكللتها لما كرهتم الخروج إلى

الأعداء من قتال ذات الشوكه وهم النفير الذين خرجوا لصرد دينهم وإحراز عيبرم فكان ماقية كراحتكم لقتال بأن
 قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوك على غير مباد رشدا وهدي ، ونصرا وقتحا ، كما قال تعالى (كتب عليكم القتال
 وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)
 قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم لكارهون
 للقتال فهم يجادلونك فيه بدمائهم لهم . ثم روى عن عمار بن محمد أنه قال (كما أخرجك ربك) قال كذلك يجادلونك في الحق
 وقال السدي أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم لإيهامه قال (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين
 لكارهون) لطلب للكافرين (يجادلونك في الحق بمد ما بين) وقال بعضهم يسألونك عن الأخال مجادلة كما جادلوك يوم
 بدر فقالوا أخرجتنا للمير ولم تملنا قتالا فنستمد له . قلت رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبا لمسير أبي
 سفيان التي بلته خربها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزية لقرشي فاستنص رسول الله ﷺ للمسلمين من خف
 منهم فخرج في ثلثة وبضعة عشر رجلا ، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول
 الله ﷺ في طلبه فبث ضمضم بن عمرو نذيرا إلى أهل مكة فتهبوا في قريب من ألف متنع ما بين التسعة إلى
 الألف وتيامن أبو سفيان بالير إلى سيف البحر فتجا وجاء النفير فوروا ما بدر وجمع أهل الدين للمسلمين والكافرين على
 غير مباد لما يريد الله تعالى من إغلاء كلة للمسلمين ونصرهم على عدوم والفرقة بين الحق والباطل كلياتي يانه ، والفرق
 أن رسول الله ﷺ لما بلته خروج النفير أوحى الله إليه بصد إحدى الطائفتين إما الير وإما النفير ورغب كثير من
 للمسلمين إلى الير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكه تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق
 بكلماته ويقطع دابر الكافرين) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بكر بن
 سهل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن أبي عمير عن أبي حبيب عن أسلم بن عمران حدثنا أنه سمع أبا أيوب الأنصاري
 يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن تخرج قبل هذه الير
 لعل الله أن يضمنها ؟ » قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قالنا « ما نرون في قتال القوم فأنهم قد أخبروا
 بخروجكم ؟ » قلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكننا أردنا المير ثم قال « ما نرون في قتال القوم ؟ » قلنا مثل ذلك فقال
 القادري عمرو إذا لاهولك يا رسول الله ﷺ كما قال قوم موسى لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) قال نعم
 معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال القادري أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، قال فأنزل الله ﷺ (كما أخرجك
 ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكرنا ما حدث ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن أبي عمير
 وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال
 خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر حتى إذا كانت بالروحاء خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ »
 فقال أبو بصير : يا رسول الله بلنا أنهم بمكان كذا وكذا ، قال : ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ »
 فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إنا نريد ؟
 فوالله أكرمك وأفضل عليك الكتاب مملكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تأتي برك القاد من ذي
 يمن لتسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت
 وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله
 إليك فامض له ، فصل جبال من شئت ، واقطع جبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسلم من شئت ، وخذ من أموالنا
 ما شئت ، فترى القرآن على قول سعد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات
 وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو ، وقاله سعد بن جادة ما قال وذلك
 يوم بدر أمر الناس أن يتبشروا لقتال وأمرهم بالشوكه فكفر ذلك أهل الإيمان فأنزل الله (كما أخرجك ربك
 من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) * يجادلونك في الحق بمد ما بين كما يتساقون إلى اللوت وهم

ينظرون) وقال مجاهد مجادلونك في الحق : في القتال ، وقال محمد بن إسحق (مجادلونك في الحق) أي كراهية لقاء
 للشركين ، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم وقال السدي (مجادلونك في الحق بد ماثنين) أي بدماثنين لهم
 أنك لا تضعل إلا ما أمرك الله به . قال ابن جرير وقال آخرون عن بذلك الشركين ، حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب
 قال : قال ابن زيد في قوله تعالى (مجادلونك في الحق بد ماثنين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) قال هؤلاء
 الصركون جادوله في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعوون إلى الاسلام . وهم ينظرون . قال وليس هذا من
 صفة الآخرين هذه صفة مبتدئة لأهل الكفر . ثم قال ابن جرير ولا معنى لما قاله لأن الذي قبل قوله (مجادلونك
 في الحق) خبر عن أهل الإيمان والذي يتلوّه خبر عنهم . والصواب قول ابن عباس وابن إسحق أنه خبر عن المؤمنين
 وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام والله أعلم . وقام الإمام أحمد رحمه الله
 حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل عن سفيان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالخير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق
 وهو أسير في وثاقه إنه لا يصلح لك : قال ولم ؟ قال لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله
 ما وعدك إسناد جيد ولم يخرج^(١) معنى قوله تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) أي يحبون أن
 الطائفة التي لاحد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي النير . (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) أي هو يريد أن
 يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظهركم بهم وينصركم عليهم . ويظهر دينه ويرفع كلمة الاسلام
 ويجهل غالباً على الأديان وهو أعلم بواطن الأمور وهو الذي يديركم بحسن تديريه ، وإن كان العباد يحبون خلاف
 ذلك فما يظهر لهم فكأنه تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تتركوهوا شيئاً وهو خير لكم . وعسى
 أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وقال محمد بن إسحق رحمه الله حدثني محمد بن مسلم الأزهرى . وعاصم بن عمر بن قتادة
 وعبد الله بن أبي بكر وزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علاننا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني
 بسن هذا الحديث فاجتمع حديثهم فما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله ﷺ بأن سفيان مقبلاً
 من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال منه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فاستدب
 الناس ففخض بعضهم وهزل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً وكان أبو سفيان قد
 استنصر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار . ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً
 من بعض الركبان أن محمداً قد استنصر أصحابه لك وليرك فحضر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى
 أهل مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنصرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم
 ابن عمرو سرياً إلى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له ذفران فخرج
 منه حتى إذا كان يمشي نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليعينوا عيرهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فآحسن . ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فآحسن . ثم
 قام القداد بن عمرو فقال يارسول الله امنى لما أمرك الله به فتحن معك والله لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
 (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق
 لو سرت بنا إلى برك الغداد يمين مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشيروا علي أيها الناس »
 وأما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عسود الناس وذلك أنهم حين يابوه بالبيعة قالوا يارسول الله : إنا
 برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فلإنا وصلت إلينا فأنت في ذممانا نتمتع مما تمنع منه أبنائنا ونساءنا
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا بمن دمه بالمدينة
 من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد

(١) في نسخة الأزهر : ولم يخرجوه ، بين الشقيين وأصحاب الست .

ابن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» فقال قد آتينا بك صدقاتك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أمرك الله فوالذي بيحك إن استعزضت بنا هذا البحر فضضته لخصناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ يقول سعد ونشط ذلك ثم قال «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم » وروى الموفى عن ابن عباس نحو هذا وكذلك قال السدي وقادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصرنا آقوالهم كتفاء بسباق محمد بن إسحق

(إِذْ تَسْتَفْتِيهِمْ فِي رَبِّكَ فَاسْتَجَبَ لَكَ أَيُّ أَيُّ مِمْدُكُمْ بِالْفِ مِنْ أَلَيْكَ مُرْدُ فِينِ وَمَجْلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا لَكُمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح قرا حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سمك الحنفى أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثمانية ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال « اللهم أجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا » قال لما زال يستبش ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنابه أبو بكر فأخذ رداء فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا بني الله فكفكنا مناشدتك ربك فإنه سينجزك ما وعدك فأنزل الله عز وجل (إِذْ تَسْتَفْتِيهِمْ فِي رَبِّكَ فَاسْتَجَبَ لَكَ أَيُّ أَيُّ مِمْدُكُمْ بِالْفِ مِنْ أَلَيْكَ مُرْدُ فِينِ وَمَجْلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا لَكُمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (إذ تستفتيهم في ربك فاستجاب لك أي أي ميمدكم بالف من أليك مردي فين وما جعله الله إلا بشري ولتطمئنن به قلوبكم وما لكم إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم)

مرفعين) فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله للمشركين قتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بلادهم والشرية والاخوان وإن أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله ﷺ « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال : قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكن من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الفداء قال عمر فصدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يكيان قتلت : يا رسول الله ما يكيك أنت وصاحبك فأن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء بما كيت بكيتكنا . قال النبي ﷺ « لذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عبدك أدنى من هذه الشجرة » لشجرة قرية من النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل (ما كان لشي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض - إلى قوله - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأحل لهم الثنائم . فلما كان يوم أحد من العام القبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء قتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت ربابيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الله على وجهه فأنزل الله (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أن هذا فلقه من عندنا فاعلم أن الله على كل شيء قدير) بأخذكم الفداء ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وابن مردويه عن طرق عن عكرمة بن عمار به وصححه علي بن الدني والترمذى وقال لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار الجاني وهكذا روى عن أبي طلحة والوفى عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة قوله (إذ تستفتيهم في ربك) في دعاء النبي ﷺ وكذا قال يزيد بن عبيد والسدي وابن جريج وقال أبو بكر بن عباس عن أبي حسين عن أبي صالح قال : لما كان يوم بدر جعل النبي ﷺ يناشد ربه أشد الناشدة يدعو فأنابه عمر بن الخطاب

رضي الله عنه فقال يا رسول الله: بعض مناعتك قوائمه ليفين الله لك بما وعدك، قال البخاري في كتاب التنازي باب قول الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم - إلى قوله - فإن الله شديد العقاب) حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن غزاق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من اللقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا تقول كما قال قوم موسى (انذهب أبنت وربة قتالاً) ولكننا قتال عن بينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره بين قوله. حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر يده فقال: حبسك فخرج وهو يقول «سيزم الجمع ويولون الدبر» ورواه النسائي عن يندار عن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي وقوله تعالى (يألف من اللاتكة مردفين) أي يردف بعضهم بعضاً كما قال هارون بن هيرة عن ابن عباس (مردفين) متتابعين ويحتمل أن المراد (مردفين) لكم أي تجدهم لكم كما قال العوفي عن ابن عباس (مردفين) يقول للد كاهول أنت لرجل زده كذا وكذا وهكذا قال مجاهد وابن كثير القاري وابن زيد (مردفين) مدين، وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (مردفكم) أي يردفكم من اللاتكة (مردفين) قال وراء كل ملك ملك. وفي رواية بهذا الإسناد (مردفين) قال بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو غليان والضحاك وقتادة وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا إسحق حدثنا يعقوب بن محمد الأزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال: نزل جبريل في ألف من اللاتكة عن ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكايل في ألف من اللاتكة عن ميسرة النبي ﷺ وأنا في الليرة. وهذا يقتضي إن صح إسناده أن الألف مردفة بمثلها ولهذا قرأ بعضهم (مردفين) فتح الهمزة والفتحة على ألف. والشهور ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من اللاتكة فكان جبريل في خمسمائة من اللاتكة حجة، وميكايل في خمسمائة حجة، وروى الإمام أبو جعفر ابن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن حمار عن أبي زميل مراك ابن وليد الحنفي عن ابن عباس عن هيرالحدث التميمي ثم قال أبو زميل: حدثني ابن عباس قال: بينا رجل من المسلمين يشد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً قال فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاها الأنصارى فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقال البخاري: (باب شهود اللاتكة بدر) حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرق عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تمدون أهل بدر فيكم؟ قال «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدر من اللاتكة. انفراد بإخراجه البخاري وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ، والصواب رواية البخاري والله أعلم وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة «إنه قد شهد بدر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وقوله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى) الآية. أي وما جعل الله بئس اللاتكة وإعلامه إلا كم بهم إلا بشرى (وتطمئن به قلوبكم) وإلا فهو تعالى قادر على تصمركم على أعدائكم وتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله أي بدون ذلك ولهذا قال (وما النصر إلا من عند الله) كما قال تعالى (فإنما لقيم الذين كفروا ف ضرب الرقاب حتى إذا أغتنموهم غدوا الوثاق فيما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبايعهم ببعض الذين قتلتوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيدهم ويصلح بهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليحصى الله الذين آمنوا

غلبكم الشركون على الماء وأتم تصاون مجنين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فغرب للساون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجس الشيطان وثبت الرمل حين أسابه المطر وسمى الناس عليه والندوب فساروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من اللاتكة فكان جبريل في خمسمائة جنبه ، وميكائيل في خمسمائة جنبه . وكذا قال الصوفي عن ابن عباس : إن الشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فقبلوا المؤمنين عليه فأصاب للمؤمنين الظما فصباوا يصبون مجنين محدثين حتى تماطلوا ذلك في صدورهم فأنزله الله من السماء ماء حتى سال الوادي ضرب المؤمنين وملؤا الأسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فبجل الله في ذلك طهورا وثبت به الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم وملة فيح الله للمطر عليها فضرها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام .

ونحو ذلك روى عن قتادة والضحاك والسدي ، وقد روى عن سعيد بن المسيب والشعبي والأزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طش أسابهم يوم بدر . والمعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أي أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن النضر فقال يا رسول الله هذا للزلز الذي نزلته منزل أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب ولكيكة ؟ فقال « بل منزل نزلته للحرب ولكيكة » فقال يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى نزل على أدنى ماء إلى القوم ونثور ماوراءه من القلب ، ونسحق الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله ﷺ فقل كذلك ، وفي منازي الأموي أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الملك ، يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأي ما أثار به الحباب بن النضر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام فقال « هل تعرف هذا ؟ » فنظر إليه فقال : ما كل اللاتكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان . وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد ابن إسحق بن يسار صاحب المنزلي رحمه الله حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان الوادي دهسا فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبس لهم الأرض ولم يمنهم من السير وأصاب قريشا ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل الناس فأطفأ بالمطر القبار وتلبدت به الأرض وطابت قوسهم وثبتت به أقدامهم ، وقال ابن جرير : حدثنا هرون بن إسحق حدثنا مصعب بن القدام حدثنا إسرائيل حدثنا أبو إسحق عن جارية عن علي رضي الله قال : أصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقمة بدر فانطلقنا تحت الشجرة والحجف نستظل تحتها من المطر ويات رسول الله ﷺ وحرص على القتال . وقوله (ليظهركم به) أي من حدث أصغر أو أكبر وهو تطهير الظاهر (ويذهب عنكم رجس الشيطان) أي من وسوسة أواخر سيء وهو تطهير الباطن كما قال تعالى في حق أهل الجنة (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة) فهذا زينة الظاهر (وستقام ربهم شراباً طهوراً) أي مطهرا لما كان من غل أوحسد أو تباعض وهو زينة الباطن وطهارته (وليربط على قلوبكم) أي بالصبر والاندفاع على جملة الأعداء وهو شجاعة الباطن (ويثبت به الأقدام) وهو شجاعة الظاهر والله أعلم

وقوله (إذ يوحى ربك إلى اللاتكة أي معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتجدد أوحى إلى اللاتكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيها بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن إسحق : وأزروهم ، وقال غيره : قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول سمعت هؤلاء القوم يعني الشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لتكشفن فيحدث للساون بهضم بضاً بذلك فتقوى أنفسهم حكاة ابن جرير وهذا لفظه بحروفه ، وقوله (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي ثبتوا أتم المؤمنين وقوا أنفسهم على أعدائهم عن أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والافتة والصغار على من خالف أمرى وكذب رسولى (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) أي اضربوا الهام ففلقوها ، واحزروا الرقاب فقطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم وهي

أيديهم وأرجلهم وقد اختلف القسرون في معنى (فوق الأعناق) قيل معناه اضربوا الروس قاله عكرمة وقيل معناه أي على الأعناق وهي الرقاب قاله الضحاك وعطية الموق ويشهد لهذا الذي أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى (فلذا لقيتم الذين كفروا ضرب الرقاب حتى إذا اختمتوم قشدوا الوثاق) وقال وكيع عن السعدي عن القاسم قال : قال النبي ﷺ « إني لم أبش لأعذب بئساب الله ، إنما بشت لضرب الرقاب وشهد الوثاق » واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وعلق الحسام ، قلت وفي مغازي الأموي أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول « يعلق هاما » فيقول أبو بكر (١) ... من رجال أعة علينا * وهم كانوا أعق وأظلماء فينتدى رسول الله ﷺ بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاء آخره لأنه كان لا يحسن إنشاء الشعر كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وقال الريح بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتل للامثلة عن قتلهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل ممة النار قد أحرق به ، وقوله (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن جرير معناه واضربوا من عدوكم أي المؤمنين كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر :

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واضربوا منهم كل بنان) يعني بالبنان الأطراف وكذا قال الضحاك وابن جرير وقال السدي البنان الأطراف وقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية الموق والضحاك في رواية أخرى كل مفصل وقال الأوزاعي في قوله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فلذا أخذه حرم ذلك كله عليك وقال الموق عن ابن عباس فذكر قصة بدر إلى أن قال قتال أبو جهل لاختلاف قتلا ولكن خذهم أخذا حتى تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم في دينكم ورضيتهم عن اللات والعزى فأوحى الله إلى للامثلة (أي مكن تخبثوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الآية . فقتل أبو جهل لعه الله في تسعة وستين رجلا ، وأسر عتبة بن أبي معيط قتل صبرا فوق ذلك سبعين يعني قتيلا ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوها فاساروا في شق وتركوا الصريح والإيمان به واتباعه في شق ، وما أخذ أيضا من شق الصا وهو جعلها فرقتين (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) أي هو الطالب القالب لمن خالفه وناوأه لا يؤفه شيء ولا يقوم لقبه شيء تبارك وتعالى لا إله غيره ولارب سواء (ذلكم فدفوقه وأن للكافرين عذاب النار) هذا خطاب للكفار أي ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا واعلموا أيضا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَن يُولُوهُم يَوْمئِذٍ دَرُةٌ إِلَّا مَتَّعْنَاهُمَا لِقَالًا أَوْ مَتَّحِينَ إِلَى فِتْنَةٍ فَذَبَّاهُ يَنْصَبُ مِّنْ أَفْهٍ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَ الْأَمِيرُ)

يقول تعالى متوعدا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا) أي هاربين منهم ودونهم إليهم (فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ) أي ضروا وتركوا أصحابكم (وَمَن يُولُوهُم يَوْمئِذٍ دَرُةٌ إِلَّا مَتَّعْنَاهُمَا لِقَالًا) أي يمر بين يدي قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيقبض ثم يكرعه ليقبضه فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدي وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها (أَوْ مَتَّحِينَ إِلَى فِتْنَةٍ) أي فر من هاهنا إلى فتنة أخرى من المسلمين بماوتهم وبماوتونه فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة قال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حبسة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالنصب ؟ ثم قلنا لو دخلنا للدينة

ثم بنّا ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبتا ، فأتيتهما قبل صلاة العداة فخرج
 فقال « من القوم ؟ » قلنا نحن القارون فقال « لا بل أنتم المكارون أنا فتكم وأنا فئة المسلمين » قال فأتيتهما
 حتى قبلنا يده . وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي
 حسن لا يعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياده ، وزاد في آخره وقرأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (أو متحيزا إلى فئة) قال أهل العلم معنى قوله « المكارون » أي العرافون ،
 وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أبي عبيدة لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية
 الجوس فقال عمر لو تحيز إلى لكتنت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين عن عمر ، وفي رواية أبي عثمان النهدي عن
 عمر قالما قتل أبو عبيدة قال عمر أيها الناس أنا نتكم ، وقال مجاهد قال عمر أنا فئة كل مسلم ، وقال عبد الملك بن
 عمير عن عمر أيها الناس لا تترسك هذه الآية فإنما كانت يوم بدر وأنا فئة لكل مسلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
 حدثنا حسان بن عبد الله للصري حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت إنا قوم لا نبث
 عند قتال عدونا ، ولا ندرى من الفئة إماما ؛ أو عسكرا فقال إن الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إن الله
 يقول (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) الآية ، فقال إنما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لاقبلها وابعدها ، وقال الضحاك
 في قوله (أو متحيزا إلى فئة) للتحيز الفار إلى النبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه فأما إن كان
 الفرار لاعتن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي
 هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اجتنبوا السبع اللوحات » قيل يارسول الله وما هن ؟ قال
 « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف
 المحصنات الفاحشات للزومات » وله شواهد من وجوه أخر ، ولهذا قال تعالى (قد باء) أي رجع (بفض من الله
 وماواه) أي مسيره ومنقلبه يوم مياده (جهنم وبش للصير) وقال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبد الله
 ابن عمر الرقي عن يزيد بن أبي أنيسة حدثنا جبلة بن سحيم عن أبي اللثي العبدى سمعت السدوسي يعنى ابن الخصامية
 وهو بشير بن معبد قال أتيت النبي ﷺ لأبأه فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
 وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة ، وأن أحج حجة الاسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد
 في سبيل الله . فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله لا أطيقهما : الجهاد ، فليهن زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بفض
 من الله فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت للوت ، والصدقة فوالله مالى إلا غنيمة وعشر فودعت
 رسل أهلى وحولتهم ، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال « فلا جهاد ولا صدقة فم تدخل الجنة إذا ؟ »
 قلت يارسول الله أنا أبأبك فبأبنته عليهن كلهن ، هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة .
 وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر حدثنا يزيد
 ابن ربيعة حدثنا أبو الأشعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا ينفع معهم عمل :
 الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » وهذا أيضا حديث غريب جدا ، وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس
 ابن مقاتل الأسفاطى حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا حص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن
 بسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبي يحدث عن جدى قال : قال رسول الله ﷺ « من قال :
 أستغفر الله الذى لا إله إلا هو وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف » وهكذا رواه أبو داود عن
 موسى بن إسحاق به وأخرجه الترمذي عن البخاري عن موسى بن إسحاق به وقال غريب لا يعرفه إلا من هذا
 الوجه ، قلت ولا يعرف يزيد مولى النبي ﷺ عنه سواء ، وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إتماما كان
 حراما على الصحابة لأنه (١) كان فرض عين عليهم ، وقيل على الأنصار خاصة لأنهم بأيوا على السمع والطاعة في المنشط
 والكفر . وقيل للراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد
 (١) كذا والمراد لأن الجهاد .

وأي نضرة ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم ، وحجتهم في هذا أنه لم تكن عصاة لما شوكة يشيئون إليها إلا عصابتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن قنبل (ومن يولم يومئذ دبره) قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فإن أجاز إلى فقة أو مصر أحسبه قال فلا بأس عليه ، وقال ابن المبارك أيضا عن ابن أبي عمير حديث يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال (ومن يولم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فقة فقد باده بنضب من الله) فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال (إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إلى قوله لو لقد عفا الله عنهم) ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال (ثم وليتم مدبرين) ثم توب الله من بعد ذلك على من يشاء) وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرک الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية (ومن يولم يومئذ دبره) إنما أنزلت في أهل بدر ، وهذا كله لا ينبغي أن يكون القرار من الزحف حراما على غير أهل بدر وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة للتقدم من أن القرار من الزحف كاهو مذهب الجاهل وأهل العلم .

﴿ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٠ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَذِبَ الْكَافِرِينَ ﴾

يبين تعالى أنه خلق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير أو شر وهو الذي وفقهم لذلك وأعطاهم عليه ولهذا قال (فلم يقتلواهم ولكن الله قتلهم) أي ليس هؤلاء يقتلونكم قتلهم أعداءكم مع كثرة عدمهم وقلة عددهم . أي بل هو الذي أظهرهم عليهم كما قال (ولقد نصركم الله بدر وأتم أفلة) الآية ، وقال تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبكم كثيركم فلم تهن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس اللامعة والعدد ، وإنما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ثم قال تعالى لتنبه ﷺ أيضا في شأن القبضة من التراب التي حسب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعاته وتضرعه واستكاثته فرماهم بها وقال « شامت الوجوه » ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحيلة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصابة إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكتبهم بها لا أنت . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر فقال « يا رب إن تهلك هذه العصابة قلن تعبد في الأرض أبدا » فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فلما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفيه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وقال السدي قال رسول الله ﷺ لعل رضى الله عنه يوم بدر « أعطى حسبا من الأرض » فناولوه حسبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وأزل الله (فلم تقتلواهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال أبو مسهر الدقني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال « شامت الوجوه » فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ فأزله الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات فرمى بحصيات مجنة القوم ، وحصيات في ميسرة القوم وحصيات بين أظهرهم وقال « شامت الوجوه » فانهزموا ، وقد روى في هذه القصة عن عروة ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين

أيضاً ، وقال أبو جعفر بن جرير . حدثنا أحمد بن منصور حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن ربيعة بن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيشمة عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمتا غريب من هذا الوجه ، وههنا قولان آخران غريبان جداً (أحدهما) قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو الفيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق جبر دما بقوس فأبى بقوس طوية وقال « جيتوني بقوس غيرها » فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبي ﷺ الحسن فأقبل السهم بهوى حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزله الله عز وجل (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهذا غريب وإنسانه جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن خير وله إشبه عليه أو أنه أراد أن الآية تم هذا كله وإلا فسباق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة وهذا لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم (والثاني) روى ابن جرير أيضاً والحاكم في مستدركه بإسناد صحيح إلى سعيد بن السيب والزهرى أنهما قالا : أنزلت في رمية النبي ﷺ يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في أئمة فخذته في ترقوته فبطل يتدأماً عن فرسه مراراً حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الألم موصولاً بذبذب البرزخ للتصل بذبذب الآخرة ، وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضاً جداً ولعلها أراد أن الآية تتناوله بسموها لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم . وقال محمد ابن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله (وليل المؤمنين من بلاء حسنا) أى يعرف المؤمنين نعمته عليهم من إظهارهم على عدوم مع كثرة عدوم وقلة عدوم يعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته وهكذا فسر ابن جرير أيضاً ، وفى الحديث « وكل بلاء حسن أيلنا » وقوله (إن الله صميع علم) أى صميع العلم صمعه من النصر بمن يستحق النصر والغلب ، وقوله (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فبما يستقبل مصفر أمرهم وأنهم كل ما لهم في تيار ودمار وله الحمد والمنة

(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا قَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَلْتَمِزُوا فَتَوَخَّيْكُمْ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا لَعَدُوْلَكُمْ فَنُفِىْ عَنْكُمْ فَتَنْكَبُوا)

شَيْبًا وَلَوْ كَرِهَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

يقول تعالى للكفار (إن تستفتحوا) أى تستنصروا وتستغفروا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين قد جاءكم ما سألتكم إياكم محمد بن إسحق وغيره عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم إنا كان أقطم للرحم وأتانا بما لا يعرف ^(١) فاحنه القدادة . وكان ذلك استفتاحاً منه فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) إلى آخر الآية ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بنى ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحق حدثني الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين اتقى القوم اللهم أقطمنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فاحنه القدادة . فكان المستفتح ، وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى به ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهرى به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وروى نحو هذا عن ابن عباس وعجابه والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد ، وقال السدى كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أئمة الجندين وأكرم القتين وخير القبيلتين فقال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يقول قد نصرت ما قلم وهو محمد ﷺ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو قوله تعالى إخباراً عنهم (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية ، وقوله (وإن تنهوا) أى عما أنتم فيه من الكفر بالله والكذب لرسله (فهو خير لكم) أى فى الدنيا والآخرة ، وقوله تعالى (وإن تمودوا ندد) كقوله (وإن عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة ندد لكم بمثل هذه الواقعة . وقال السدى (وإن

(١) فى نسخة الأثر : بما لا نعرف بالتون .

تعودوا) أى إلى الاستتاع (نعد) أى إلى القنح محمد ﷺ والنصر له وتظفيره على أعدائه والأول أقوى (ولن تنق عنك فتك شيئا ولو كثرت) أى ولو جتمع من الجوع ماعى أن يجمعوا ، فان من كان الله معه فلا غالب له (وإن الله مع المؤمنين) وهم الحزب النبوى والجناب للسلطوى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّعُفُ الَّذِينَ لَا يُفْقَهُونَ ۖ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۗ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرٌ لَا أَسْمِعُهُمْ وَلَا أَسْمِعُهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به الماندين له ولهذا قال (ولا تولوا عنه) أى تركوا طاعته وامتنال أوامره وتركوا زواجره (وأنت تسمعون) أى بعد ما علمت ما دعاكم إليه (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) قيل للراد للتركوك واختاره ابن جرير ، وقال ابن إسحق هم للناقون فإهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك ، ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بنى آدم شر الخلق والحقية فقال (إن شر الدواب عند الله الضم) أى عن سماع الحق (الضم) عن فهمه ولهذا قال (الذين لا يفقهون) هؤلاء شر البرية لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ، ولهذا شبههم بالأنعام فى قوله (وشلل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونادى) الآية ، وقال فى الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الناقلون) وقيل للراد بهؤلاء للذين كفروا ثم من بنى عبد الله من قريش روى عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير . وقال محمد بن إسحق هم للناقون ، قلت ولا منافاة بين التركين وللتاقيين فى هذا لأن كلا منهم ملوبب الصريح والتصد إلى العمل الصالح ، ثم أخبر تعالى بأنهم لأنهم لم يصحح ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لم فهمما فقال (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أى لأنهمم وتهدير الكلام (و) لكن لا خير فيهم فلم يفهمم لأنه يعلم أنه (لو أسمعهم) أى لفهمهم (لتولوا) عن ذلك قصدا وعنادا بدفهمهم ذلك (وهم معرضون) عنه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْقَرِهِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ﴾

قال البخارى (استجيبوا) أجيبوا (لما يحىكم) لما يصلحكم . حدثني إسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خبيب ابن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن غاصم يحدث عن أبي سعد بن اللى رضى الله عنه قال كنت أصلى لفرى الربى التى صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آت حتى صليت ثم أتيت فقال « ما منك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحىكم) » - ثم قال - لأعلنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرجك فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له . وقال معاذ : حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن مع حفص بن غاصم مع أبى سعيد رجلا من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال (الحمد لله رب العالمين) هى السبع للثاني . هذا لفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقة فى أول خبير الفاتحة . وقال مجاهد فى قوله (لما يحىكم) قال الحق ، وقال قتادة (لما يحىكم) قال هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة وقال السدى (لما يحىكم) بنى الاسلام أحيائهم بعد موتهم بالكفر ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحىكم) أى الحرب التى أعزكم الله تعالى بها بعد الله وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم . وقوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين الله وحول بين الله وحول بين المؤمنين وبين الكفر

وبين الكافر وبين الإيمان ، رواه الحاكم في مستدركه موقوفاً ، وقال صحيح ولم يخرجاه ، ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعاً ، ولا يصح لضعف إسناده وللوقوف أصح ، وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي ، وفي رواية عن مجاهد في قوله (يحول بين المرء وقلبه) أي حتى يتركه لا يقبل ، وقال السدي يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه . وقال قتادة هو كقولهم (ونحن أقرب إليه من حسيل الوريد) وقد وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتر أن يقول « ياقلب القلب ثبت قلبي على دينك » قال قتلنا يارسول الله آمناً بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال « نعم إن القلب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها » وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه عن هناد بن السرى عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير عن الأعمش وإسماعيل بن مهران عن أبي سفيان وإسماعيل بن طلحة بن نافع عن أنس ثم قال حسن . وهكذا روى عن غير واحد عن الأعمش ، ورواه بعضهم عنه عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح . (حديث آخر) قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبه عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو « ياقلب القلب ثبت قلبي على دينك » هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه أخطاء . وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول سمعت النّوّاس بن ميمان السّكّلي رضى الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول « ما من قلب إلا ولا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمهم وإذا شاء أن يزيه أزاغهم » وكان يقول « ياقلب القلب ثبت قلبي على دينك » قال « وللبزبان بيد الرحمن خضضه ويرفعه » وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قد كرم الله (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا حماد بن زيد عن لمطى بن زياد عن الحسن أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله ﷺ يدعوها « ياقلب القلب ثبت قلبي على دينك » قالت : قلت يارسول الله إنك تكر أن تدعو بهذا الدعاء فقال « إن قلب الأدعي بين أصبعين من أصابع الله فإذا شاء أزاغهم وإذا شاء أقامهم » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشام حدثنا عبد الحميد حدثني شهر سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكتر في دعائه يقول « اللهم قلب القلب ثبت قلبي على دينك » قالت قلت يارسول الله أو إن القلب يقلب ؟ قال « نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغهم فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب » قالت قلت يارسول الله ألا تملئ دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال « بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحببت » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوه أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء » ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك » انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري فرواه مع النسائي من حديث حيوه بن شريح المصري .

﴿ وَأَتَوْا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يخبر تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختباراً وعنة أي عقاباً لا يخص بها أهل اللامى ولا من باشر الذنب بل يمسها حيث لم تدفع وترفع ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن هاشم حدثنا عطاء بن سعيد حدثنا غيلان ابن جرير عن مطرف قال : قلنا للزبير يا أبا عبد الله ما جاء بك ؟ فسمعنا الخليفة الذي قتل ثم جئتم تطلبون بدمه ؟

قال الزبير رضى الله عنه : إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم (واقوا فتنة لا تصيب الدين ظلوا منكم خاصة) لم تكن محسباً نأهلها حتى وقعت منا حيث وقعت ، وقد رواه البزار من حديث مطرف عن الزبير وقال : لا نعرف مطرفاً روى عن الزبير غير هذا الحديث ، وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا ، وقد روى ابن جرير حديثي الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال الزبير لقد خوفنا ببنى قومه تعالى (واقوا فتنة لا تصيب الدين ظلوا منكم خاصة) ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا أننا خصصنا بها خاصة وكذا رواه حميد بن الحسن عن الزبير رضى الله عنه وقال داود بن أبي هند عن الحسن في هذه الآية قال نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضى الله عنهم ، وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان سمعت الزبير يقول . لقد قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فلذا نحن للمعنيون بها (واقوا فتنة لا تصيب الدين ظلوا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) وقد روى من غير وجه عن الزبير بن العوام ، وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة فأما بيوتهم الجمل فالتقوا ، وقال بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (واقوا فتنة لا تصيب الدين ظلوا منكم خاصة) بين أصحاب النبي ﷺ خاصة . وقال في رواية له عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله للمؤمنين أن لا يقرؤا للنكر بين ظهرانيهم فيجمعهم الله بالمداب ، وهذا تفسير حسن جداً ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى (واقوا فتنة لا تصيب الدين ظلوا منكم خاصة) هي أيضاً لكم ، وكذا قال الضحاك وزيد بن أبي حبيب ، وغير واحد ، وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة إن الله تعالى يقول (إنا أموالكم وأولادكم فتنة) فأياكم استعاد فليستمد بالله من مشكلات الفتن رواه ابن جرير ، والقول بأن هذا التحذير يعم الصلابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم هو الصحيح ، ويبدأ عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ، ولذلك كتاب مستقل بوضع فيه إن شاء الله تعالى كما فعله الأئمة وأوردوه بالتصنيف ، ومن أخص ما يذكر هنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا أحمد بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن أبي البراءة ، أن أبا سيف بن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي السكدي يقول ، حدثني مولى لنا أنه مع جدى بنى عدي بن حميرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل لا يذهب العامة بعمل الخاصة حتى يروا للنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يكرهوا فلا يكرهوا ، فلذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » فيه رجل منهم ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهافى حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو يوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه عن أبي سعيد عن إسماعيل بن جعفر وقال « أو ليسكن الله عليكم قومائهم تدعونه فلا يستجيب لكم » . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا زر بن حبيب الجبلي حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاى فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير مناققا ، وإنى لأحسها من أحدكم في القعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتتعاظن على الخير أو ليسكنكم الله جميعاً بذياب أولي أمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (حديث آخر) قال الإمام أحمد أيضاً . حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضى الله عنه قال : سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنه يخطب يقول - وأوماً بأصبه إلى أذته يقول : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها وللدن فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أمشاطاً وأوعرها وشربها وأصاب بعضهم أعلاما فكان الدين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأكذوبهم فقالوا لو خرقتا في نصيبنا خرقتا فاستغفنا منه ولم تؤذ من فوقنا : فلئن تزكروهم وأمرهم هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً . انقرد بإخراجه البخارى دون مسلم فرواه في الشركة والشهادات ، والترمذى في الفتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعشى عن عامر بن شراحيل الشيبى (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن

علقة بن مرثد عن الضرور بن سويد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ظهرت للمصطفى في أمي همهم الله يذبذب من عنده » قلت يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون قال « بلى » قالت فكيف يصنع أولئك ؟ قال « يصيهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي إسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره إلا همهم الله يعقاب أو أصابهم العقاب » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الأحوص عن أبي إسحق به : وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا إسحق يحدث عن عبيد الله بن جرير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم يعملون بالمعاصي هم أعز وأكثرهم يعملون ثم لم يغيروه إلا همهم الله يعقاب » ثم رواه أيضاً عن وكيع عن إسرائيل ، وعن عبد الرزاق عن معمر بن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي إسحق السبيعي به وأخرجه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد عن مندر عن الحسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي ﷺ « إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه » قلت وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال « نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله » .

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَتُوَفِّيَكُمْ وَيَأْبُدَكُمْ بِتَمَصُّرِهِمْ وِزْرَكُمْ مِنَ الْعَالِيَةِ لَكُمْ تَسْكُرُونَ ﴾

فيه تعالى عباد المؤمنين على نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثروهم ومستضعفين خائفين قروام ونصرهم ، وبقراء حالة فرزهم من الطيات واستشكرهم فأطاعوه وامتلأوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستضعفين مطهدين يحافون أن يخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم أعداء لهم لقتلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة فآوأم إليها وقبض لهم أهلها آوأموا ونصروا يوم بدر وغيره وإواسوا بأموالهم وبلغوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) قال كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً ، وأضعف عيشاً ، وأجوع بطونا ، وأعرأ جلوداً وأبينة ضلالاً ، من عاض منهم حاش شقياً ومن مات منهم ردى في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نمل قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشمر منزلاً منهم حتى جاء الله بالإسلام فشكل به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس والإسلام أعطى الله ما رأيت فاشكروا الله في نفسه فان ربكم منكم يجب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله

﴿ بَنَائِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَافُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخَوُّوا أَمْنِيَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ * وَأَعْلَفُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَذَلُّكُمْ مُنْتَهَى وَأَنَّ اللَّهَ هِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

قال عبد الرزاق بن أن تادة والزهري أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعث رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار يده إلى حلقه أى إنه الدين ، ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت أو يتوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فكسك كذلك تسعة أيام حتى كان يجرم مغشياً عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله فبأه الناس يشيرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يجلوه من السارية فحلف لا يجله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فحله فقال يا رسول الله : إني كنت فخرت أن أخلع من مالى صدقة فقال (يجزيك

الثالث أن تصديق به . وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا يونس بن الحارث الطائي حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن الثوري بن شعبة قال زلت هذه الآية في قل عثمان رضي الله عنه (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية

وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شعبة بن سوار حدثنا محمد بن الحرم قال ثبيت عطاء ابن أبي رباح فحدثني قال حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أبا سفيان في بوضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتسوا » فكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) الآية ، هذا حديث غريب جدا وفي سنده وسياقه نظر وفي الصحيحين قصة حطاب ابن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يطلبهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عام الفتح فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستعصر حطابا فأقر بما صنع ، وفيها قيام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله : ألا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله ولأؤمنين ؟ فقال « دعه فإنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » قلت والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجاهل من العلماء . والحياة تم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واخونوا أماناتكم) الأمانة الأعمال التي اتصفت الله عليها العباد يعني القريضة يقول لا تخونوا لا تنقضوها وقال في رواية لا تخونوا الله والرسول يقول بترك سنته وارتكاب مصيئته وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية أي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم غفلوه في السر إلى غيره فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأهكم . وقال السدي : إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم . وقال أيضا كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ للشركيين ، وقال عبد الرحمن بن زيد نهاكم أن تخونوا الله والرسول كاصنع للناقضين ، وقوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها لعل أنتم كرهتموها عليها وتطيعونها فيها أو تستنفلونها بها عنه وتمتاضونها بها كما قال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) وقال (ونبؤكم بالسر والحير فتنة) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الآية ، وقوله (وإن الله عنده أجر عظيم) أي ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يخفى عنك شيئا ، والله سبحانه هو المتصرف المالك للدينا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة . وفي الأثر يقول الله تعالى : يا ابن آدم اطلبني تجدني فإني وجدت كل شيء ، وإن فلك فأتاك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء ، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم على الأولاد والأموال والنفس كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَهَاجَرُوا فِي كُفْرٍ فَفَرَّقَانَا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَكَفِّرْ لَكُمْ وَأَهْلَكُمْ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ﴾

قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقادة ومقاتل بن حيان وغير واحد (فرقانا) عرجا ، رادجهد في الدنيا والآخرة ، وفي رواية عن ابن عباس (فرقانا) نجاة ، وفي رواية عنه نصرا وقال محمد بن إسحق (فرقانا) أي

فصلا بين الحق والباطل وهذا التفسير من ابن إسحق أعم مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله فإن من اتقى الله بفعل أو أمره وترك زواجه وفق لهرة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محمها ، وغفرها سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل كقولته تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واتقوا رسول الله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويفضل لكم والله غفور رحيم)

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْكَائِرِينَ)

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة (ليثبتوك) ليقيدوك ، وقال عطاء وابن زيد . ليجسوك ، وقال السدي الاثبات هو الحبس والوثاق وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو جمع الأقوال وهو الثالب وهو من صنيع من أراد غيره بسوء ، وقال سديد عن حجاج عن ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : لما اتهموا بالنبي ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه . قاله معه أبو طالب هل تدرى ما اتهموا بك ؟ قال « يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني » فقال من أخبرك بهذا ؟ قال « ربي » قال نعم الرب ربك استوص به خيرا . قال « أنا استوصي به بل هو يستوصي بي » وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن إسحاق المصري للعروف بالسواشي أخبرنا عبد الحميد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن الربيع بن أنس قال سألت أبا طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم بك قومك ؟ قال « يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني » قتال من أخبرك بهذا قال « ربي » قال نعم الرب ربك استوص به خيرا . قال « أنا استوصي به بل هو يستوصي بي » قال فقلت (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) الآية وذكر أني طاب في هذا غير مجدا بل منكرا لأن هذا الآية مدنية ، ثم إن هذه القصص واجتماع قريش على هذا الاتهام وللشاور على الاثبات أو انني أو اقتل إنما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمسكوا منه واجتروا عليه بسبب موت محمداً أبي طالب الذي كان يحوطه ونصره ويقوم بأعبائه والدليل على صحة ما قلنا ما روى الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : وحدثني السكبي عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن قريش من أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إلياس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولئن حذمتكم رأيي ونصي : قالوا أجل داخل فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يوائمكم في أمركم بأمره . فقال قائل منهم حبسوه في وثاق ثم ترصوا به ريب النون حتى يهلك كاهلكم من كان قبله من الشراء وهزم والثابتة إنما هو كأحدكم . قال فصرخ عدواؤه الشيخ التجدي فقال والله ما هذا لكم برأى والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يشوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجكم من بلادكم . قالوا صدق الشيخ فانظروا في غير هذا . قال قائل منهم أخرجوه من بين أظهركم فنتريه ما فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحم وكان أمره في غيركم . فقال الشيخ التجدي والله ما هذا لكم برأى ألمنوا حلاوة قوله . وطلاقة لسانه . وأخذ القلوب ماتسمع من حديثه ؟ والله لأن فعلتم ثم استعرض العرب ليجمعن عليه ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرفكم . قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل لعنه الله : والله لأهين عليكم برأى ما أراكم أبصرتوه بعد لأرى غيره ، قالوا وما هو ؟ قال تأخذون من كل قبيلة غلاما شابا وسيطا نهذا ثم يبطى كل غلام منهم مينا سارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحلى من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها . فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا القتل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه . قال : فقال الشيخ التجدي هذا والله الرأى . القول ما قاله النبي لا أرى غيره . قال ففارقوا على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في موضع

الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قبومه المدينة الأشغال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده (وإذ يكره لك الذين كفروا أن يلتفتوا إليك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير مما يكرهين) وأنزل في قولهم تريبوا به رب النون حتى يهلككم هلك من كان قبله من الشعراء (أم يقولون عاصر تريبس به رب النون) فكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة الذي اجتمعوا عليه من الرأي، وعن السدي نحو هذا السياق وأنزل الله في إرادتهم إخراجهم قوله تعالى (ولأن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) وكذا روى المولى عن ابن عباس وروى عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فشكرت به وأرادوا به ما أرادوا أنه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى يرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابهم وخرج معه حفنة من تراب فجعل يذرهما على رؤوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ (يس والقرآن الحكيم - إلى قوله - فأعشيانهم فهم لا يرون) وقال الحافظ أبو بكر البهي : روى عن عكرمة ما يؤكد هذا، وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي فقال « ما يبكيك يا بنية ؟ » قالت يا أبت وما لي لا أبكي وهؤلاء اللائ من قريش في الجبر يشاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك قاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك فقال « يا بنية اتني بوشوه » فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا هاهو ذا فطأطأوا رؤوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفقوا أبصارهم فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فصبهم بها وقال « شامت الوجوه » فلما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافرا، ثم قال الجاحك صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجري عن منقسم مولى ابن عباس أخبره ابن عباس في قوله (وإذ يكره لك) الآية قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأمتنوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجه فأتبع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات للشركون يحرمون عليا عصبوه ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رداقه تعالى مكرم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدري فاتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصدوا في الجبل فمروا بالغار فأروا على بابهم نسج التكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج التكبوت على بابهم فكشف فيه ثلاث ليل، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير مما يكرهين) أى فمكرت بهم بكيدى للذين حتى خلصنكم منهم.

﴿ وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَاتَيْنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذَا قَالُوا لَهُمْ إِنْ كُنَّا هَٰذَا حَقٌّ مِّنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِذَّبَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

غير تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتجردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تلى عليهم أنهم يقولون (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا منهم قول بلا فعل وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله

فلا يجدون إلا ذلك سيلا وإنما هذا القول منهم يرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم ، وقد قيل إن القائل لملك هو الضر بن الحارث لئنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم فإنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رسم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بينه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول بالله أينما أحسن قصصا أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبرا بين يديه ففعل ذلك وفي الحمد ، وكان الذي أسره للقداد بن الأسود رضى الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطمية بن عدى والنضر بن الحارث وكان للقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال للقداد يا رسول الله أسيري فقال رسول الله ﷺ إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر رسول الله ﷺ بقتله فقال للقداد يا رسول الله أسيري فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « اللهم أغن القداد من فضلك » فقال القداد هذا الذي أردت قال وفيه أنزلت هذه الآية (وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن أبي دحية عن سعيد بن جبير أنه قال للطعم بن عدى بدل طمية وهو غلط لأن للطعم بن عدى لم يكن حيا يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان للطعم بن عدى حيا ثم سألني في هؤلاء التني لو هبهم له يميني الأسارى لأنه كان قد أجار رسول الله ﷺ يوم رجح من الطائف ، ومعنى (أساطير الأولين) وهو جمع أسطورة أى كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى (وقالوا أساطير الأولين) كتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحما) أى تلى تاب إليه وأتاب فإنه يتقبل منه ويصفح عنه ، وقوله (وإذا قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بسنداب) هذان كثرة جهلهم وهدية تكذيبهم وعنادهم ومتوهم ، وهذا مما عييا به وكان الأول لهم أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووقنا لاتباعه ولكن استنصحو على أنفسهم واستعجلوا العذاب ، وتقديم العقوبة كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ولأنتنهم بنته وهم لا يشعرون) (وقالوا ربنا عجل لنا نقابل الحساب) وقوله (سأل سائل بئذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذى العارج) وكذلك قال الجهة من الأمم السالفة كما قال قوم شعيب له (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) وقال هؤلاء (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بئذاب) قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزايد عن أنس بن مالك قال هو أبو جهل بن هشام قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بئذاب) فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) رواه البخارى عن أحمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن صاذ عن أبيه عن شعبة بهو أحمد هذا هو أحمد ابن النضر بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو أحمد الحاكم أبو عبد الله التياورى والله أعلم وقال الأعمش عن رجل عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بئذاب) قال هو الضر بن الحارث بن كلفة قال : فأنزل الله (سأل سائل بئذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي إنه الضر بن الحارث زاد عطاء فقال الله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا نقابل الحساب) وقال (ولقد جتمعوا فرادى كما خلقناكم أول مرة) وقال (سأل سائل بئذاب واقع * للكافرين) قال عطاء ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسن ابن أحمد بن الليث حدثنا أبو غسان حدثنا أبو نعيم حدثنا الحسين عن ابن مبريدة عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفا يوم أحد على فرس وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فآخفنى وبغرسى . وقال قتادة في قوله (وإذا قالوا

اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (الآية قال : قال ذلك سفة هذه الأمة وجهلتها فناد الله بامته ورحمته على سفة هذه الأمة وجهلتها وقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي ذميل سالك الحنفى عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك . فيقول النبي ﷺ « قد قد » ويقولون : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، منك وكما مالك . ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية قال ابن عباس كان فيها ما نال النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار . وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثني عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا : قالت قريش بضوا بعض محمد كرم الله من بيتنا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم . فأنزل الله (وما كان الله معذبهم - إلى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) يقول ما كان الله ليعذب قوما وأنبأهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يقول وفيهم من قد سبقه من الله السخول في الإيمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة وروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفى وسعيد بن جبير والسدى نحوه ذلك . وقال الضحاك وأبو مالك (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعني المؤمنين الذين كانوا يمتكروا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد التفار بن داود حدثنا النضر بن عدي قال : قال ابن عباس إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون مصومين مجارين من قوارع العذاب مادام بين أظهرهم فأمان قبضه الله إليه وأمان بقى فيكم قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال أبو صالح عبد التفار حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عدي حدثنا هذا الحديث عن مجاهد عن ابن عباس . وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحوه من هذا وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوى للقرى . وقال الترمذى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسحاق بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل الله على أمانين لأمتي (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي المني عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزى وجلاى لأزال أغفر لهم ما استغفروا » ثم قال لالحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا راشد هو ابن سعد حدثني معاوية بن سعد التميمي عن حدثنا عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال « البعد آمن من عذاب الله ما استغفراه عن زوجك »

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولَئِكَ إِلَّا شَقِيقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَافَؤُةً وَتَصَدِيقَةً فَبَدَّلُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

خبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم ولهذا لا يخرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأه يوم بدر قتل صناديدهم وأسر سرائهم وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد . وقال قتادة والسدى وغيرهما لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عدوا . واختاره ابن جرير فلو لا ما كان بين أظهرهم من المستغفين من المؤمنين المستغفرين لوقع بهم البأس الذي لا يبرد ولكن دفع عنهم بسبب أولئك كما قال تعالى في يوم الحديبية (الذين كفروا وصودكم عن

السجد الحرام والمهدي معكوفاً أن يبلغ عمله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تشهروهم فتصيحكم منهم
 مرة بشير علم يدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيوا للسجد الذين كفروا منهم عذاباً أليماً . قال ابن جرير :
 حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي الثيرة عن ابن أبيزى قال كان النبي ﷺ بمكة فأنزل الله (وما
 كان الله ليذبهم وأنت فيهم) قال فخرج النبي ﷺ إلى المدينة فأنزل الله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .
 قال وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها مستغفرين يمسى بمكة (يستغفرون) فلما خرجوا أنزل الله
 (وما لم أن لا يذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه) قال فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب
 الذي وعدهم . وروى عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد نحو هذا ، وقد قيل إن هذه الآية ناسخة لقوله
 تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) على أن يكون الرداء صدور الاستغفار منهم أنفسهم قال ابن جرير
 حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في
 الأنفال (وما كان الله ليذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ففسختها الآية التي قبلها (وما لم
 ألا يذبهم الله - إلى قوله - فتدقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قاتلوا بمكة فأنصاهم فيها الجوع والضر ، وكذا
 رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي غنيم بن واضح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا
 حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم استأى أهل
 التبرك فقال (وما لم ألا يذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) وقوله (وما لم ألا يذبهم الله وهم يصدون
 عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا للفقراء ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي وكيف لا يذبهم الله
 وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهلهم عن الصلاة فيه والطواف به ، ولهذا
 قال (وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا للفقراء) أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهل النبي ﷺ .
 وأما ما به كذا قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبلت
 أعمالهم وفي النار هم خالدون) إنما يعمروا مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يغش
 إلا الله فمضى أولئك أن يكونوا من المبتدئين) وقال تعالى (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج
 أهله منه أكبر عند الله) الآية . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا سليمان بن أحمد هو
 الطبراني حدثنا جعفر بن الياس بن صدقة المصري حدثنا نعيم بن حماد حدثنا نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد
 الأنصاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ من أولئك ؟ قال « كل بقى » وتلا رسول
 الله ﷺ (إن أولياءه إلا للفقراء) . وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا إسحق بن الحسن
 حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن عبد الله بن خنيس عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال : جمع
 رسول الله ﷺ قريشا فقال « هل فيكم من غيركم ؟ » فقالوا فإنا ابن أختنا وإنا حليفنا وإنا مولانا فقال
 « حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أولياءي منكم المتقون » ثم قال هذا صحيح ولم يخرجناه وقال عروة
 والسدي ومحمد بن إسحق في قوله تعالى (إن أولياءه إلا للفقراء) قال هم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .
 وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا ، ثم ذكر تعالى ما كانوا يستمدون عند المسجد الحرام وما كانوا
 ياملونه به فقال (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة
 وسعيد بن جبيرة وأبو رجاء الطاردي ومحمد بن كعب القرظي وحجر بن عيسى ونبيط بن شريط وقادة وعبد الرحمن
 ابن زيد بن أسلم : هو الصفر وزاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المكاء الصفر على نحو
 طير أبيض يقال له المكاء ويكون بأرض الحجاز (وتصدية) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو خالد سليمان بن خالد حدثنا
 يونس بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب بن أبي عبد الله الأشعري حدثنا جعفر بن القمعة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في
 قوله (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفرون وشفق ، والمكاء الصفر

والتصديقة التصفيق ، وهكذا روى على أبي طلحة والوفى عن ابن عباس ، وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقادة وعطية الموفى وحجر بن عيسى وابن أبي زبى نحو هذا ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا عن عطية عن ابن عمر في قوله (وما كان صلاحه عند البيت إلا مكاء وتصديقه) قال المكاء الصغير والتصديقة التصفيق قال مرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر ففسر ابن عمر وأمال خده وصفق يديه ، وعن ابن عمر أيضاً أنه قال إتهم كانوا يضمنون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون رواء ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه . وقال عكرمة كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وإعما كانوا يستمعون ذلك ليخطوا بذلك على التي ^{عليه} صلاته ، وقال الزهري يستهزئون بالمؤمنين ، وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد (وتضدية) قال صدم الناس عن سبيل الله عز وجل . قوله (فلدنوا العذاب بما كنتم تكفرون) قال الضحاك وابن جريج ومحمد بن إسحق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي ، واختاره ابن جرير ولم يحك غيره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب أهل الاقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والازالة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَتُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْتِنُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

قال محمد بن إسحق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعيد بن معاذ قالوا لما أصيبت فريش يوم بدر فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بغيره متى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قرظة أمية ، أبائهم وأبائهم وإخوانهم بدر فكلوا أموالهم فبان ابن حرب ومن كانت له في تلك العير من فريش تجارة فقالوا يا مشر فريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربنا لئلا أن ندركه منه تاراً بمن أصيب منا ففعلوا قال فذهب كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم إلى جحيم - هم الخاسرون) وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم ابن عيينة وقادة والسدي وابن أبي زبى أنها نزلت في أبي سفيان وثقته الأموال في أحد قتال رسول الله ^{عليه} ، وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر وعلى كل هدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصاً فقد أخبرنا أن الكفار ينفقون أموالهم ليدعوا عن اتباع طريق الحق فيفعلون ذلك ثم تنهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم يجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الجزى لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى يمينه وممع بأذنه ما يسوءه ، ومن قتل منهم أو مات قال الجزى الأبدى والعذاب السرمدي ، ولهذا قال (فينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جحيم يحشرون) وقوله تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ليميز الله الخبيث من الطيب) فميز أهل السعادة من أهل الشقاء ، وقال السدي يميز للمؤمن من الكافر ، وهذا محتمل أن يكون هذا التميز في الآخرة كقوله (ثم هول للذين آمنوا مكانك أنتم وشركاؤكم فزينا بينهم) الآية وقوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينفرقون) وقال في الآية الأخرى (يومئذ يصدقون) وقال تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ومحتمل أن يكون هذا التميز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون اللام معلقة لما جعل الله للكافرين من ما لا ينفقونه في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم على ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب) أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين ، أو يصيبه بالنكول عن ذلك كقوله (وما أصابكم يوم اتقى الجمعان فياذن الله

وليعلم المؤمنين وليعلم الذين ناقضوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبناكم الآية وقال تعالى (ما كان الله ليعذبكم على ما كنتم تعملون) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ونظيرتها في برائة أيضا فمعنى الآية على هذا إما اجتباكم بالكفر بقاتلونكم وأقدرناهم على إضاق الأموال وبغلبها في ذلك (لعجز الله الخبيث من الطيب ويصل الخبيث بفسه على بعض فيركه) أي يجمعه كله وهو جمع الشيء بفسه على بعض كما قال تعالى في السحاب (ثم يصدرها منها أينما مشا) (فيجلبه في جهنم أولئك هم الخاسرون) أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُقْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ • وَقَفُّوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ ائْتَمَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْمَعُونَ بَصِيرٌ • وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَوْا إِنَّ اللَّهَ مُوَلِّكُمْ نِمَ التَّوَلَّى وَنِمَ التَّصِيرُ)

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل للذين كفروا إن يتوبوا) أي عما هم فيه من الكفر وللشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والابانة يفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم ، وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » وفي الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال الإسلام يجب ما قبله والثوبة يجب ما كان قبلها » وقوله (وإن يعودوا) أي يستمروا على ما هم فيه (قد مضت سنة الأولين) أي قد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم إما ناسلهم بالذباب والعقوبة . قال مجاهد في قوله (قد مضت سنة الأولين) أي في فريضة يوم بدر وغيرها من الأمم ، وقال السدي وعبد بن إسحق أي يوم بدر وقوله تعالى (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال البخاري حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكر بن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاء فقال : يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر الله في كتابه (وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا) الآية فما يمكن أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ قال : يا ابن أخي أعير بهذا الآية ولا أقاتل أحب إلى من أن أعير بالآية التي يقول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) إلى آخر الآية قاله : فإن الله تعالى يقول (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عمر قد قلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يهتفوه حتى كثرت الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يواظبه فيها يريد قال فما قولكم في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر أما قولي في علي وعثمان أماعثان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يهتفوا الله عنه ، وأما علي فإن هم رسول الله ﷺ وخسته وأشار يده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون ، وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا يان أن ابن وبرة حدثه قال حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا أو لنا ابن عمر رضى الله عنهما فقال كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقاتلهم على الملك . هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى وقال عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال رجلان في فتنة ابن الزبير قتالا : إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله ﷺ فما يمكن أن تخرج ؟ قال يمتن أن الله حرم على دم أخى المسلم . قالوا أو لم يقل الله (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله . وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين غير الله . وكذا روى حماد بن سلفة عن علي بن زيد عن أيوب

ابن عبد الله البخعي قال كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال إن الله يقول (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله) قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وأتم تريدون أن قاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . وكذا رواه حماد بن سلمة فقال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولشركك وأصحابك قاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواهما ابن مردويه . وقال أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : قال ذوالبطين يعني أسامة بن زيد لأقاتل رجلا يقول لإله إلا الله أبدا . فقال سعد بن مالك وأنا والله لأقاتل رجلا يقول لإله إلا الله أبدا فقال رجل ألم يقل الله (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ؟) فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله . رواه ابن مردويه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة) يعني لا يكون شرك ، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقنادة والريش ابن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم ، وقال محمد بن إسحق بلخي عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علاننا حتى لا تكون فتنة حتى لا يغتن مسلم عن دينه . وقوله (ويكون الدين كله لله) قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال غلب التوحيد لله ، وقال الحسن وقنادة وابن جريج (ويكون الدين كله لله) أن يقال لإله إلا الله وقال محمد بن إسحق ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الأنبياء .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ويكون الدين كله لله) لا يكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماء وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» وفيها عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقال له أي ذلك فيسبل الله عز وجل ؟ قال «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل» .

وقوله (فإن اتها) أي يقاتلك حمام فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم (فإن الله بما يعملون بصير) كقوله (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) الآية وفي الآية الأخرى (فإخوانكم في الدين) وقال (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن اتهاوا فلاعدوا) إلا على الظالمين وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة لما عاين ذلك الرجل بالسيف فقال لا إله إلا الله فضربه فقتله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لأسامة «أنتله بمد ما قال لا إله إلا الله ؟ وكيف صنع بلإله إلا الله يوم القيامة ؟» فقال يا رسول الله إنما قلنا تعودا قال «هلا شققت عن قلبه ؟» وجعل يقول ويكرر عليه «من لك بلإله إلا الله يوم القيامة ؟» قال أسامة حتى نثبت ألى أكرن أسلمت للإيمنة وقوله (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم الولي ونعم النصير) أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم سيدكم وناصركم على أعدائكم نعم الولي ونعم النصير . وقال محمد جرير حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أبان الطائر حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة : سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإنك كتبت إلى ناسئني عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وأسأرك به ولا حول ولا قوة إلا بالله كان من شأن خروج رسول الله ﷺ من مكة أت الله أعطاه النبوة نعم التي ونعم السيد ونعم المشيرة فيزاه الله خيرا وعرفنا وجهه في الجنة وأحبنا على ملته وأمانتنا وبشئنا عليها وأنه لما دعا قومه لما يشه الله به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول مادامهم اليه وكانوا يسمعون له حتى إذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانطفت عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه الله منهم قليل فكث بذلك ما قدر الله أن يكث ثم اتهمتمهم بدوسهم بأن يشتوا من أبيهم عن دين الله من أبياتهم وإخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزوال فالتفت من اتقن وعسم الله ماشاء منهم فلما فعل ذلك للمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكان الحبشة ملك

وسمهم للنساء كن وسهم لآل البيت ٤ وقال آخرون ذكر الله هنا افتتاح كلام التبرك وسمهم لرسوله عليه السلام قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ إذا بث سرية فتنموا خمس التمنية فثرب ذلك الجنس في خمسة ثم قرأ (واعلموا أنها غنتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول) قال لله خمسة مفتاح كلام (فثماني السموات وما في الأرض) فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحد وهكذا قال إبراهيم النخعي والحسن بن محمد بن الحنفية والحسن البصري والشعي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن بريدة وقادة وبغيرة وغير واحد أن سهم الله ورسوله واحد ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال أثبت النبي ﷺ وهو يولدي القرى وهو يمرض فرساً قتلت يا رسول الله ما تقول في التمنية ؟ فقال « لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش » قلت لها أحد أولى به من أحد ؟ قال « لا ولا سهم تستخرجه من جيئك ليس أنت أحق به من أخيك للسلم »

وقال ابن جرير : حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أبان عن الحسن قال أوصى الحسن بالحق من ماله وقال ألا أرضى من مالي بما رضى الله لنفسه ثم اختلف فالتوا هذا القول فروى طي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كانت التمنية تخمس على خمسة أخماس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربح لله وللرسول ﷺ فكان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي ﷺ من الجيش شيئاً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر للثوري حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله (واعلموا أنها غنتم من شيء) فإن لله خمسة وللرسول (قال النبي ﷺ لله فلتينيه والذي للرسول لأزواجه وقال عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال خمس الله والرسول واحد يحمل منه وصنع فيه ما شاء بين النبي ﷺ وهذا أتم وأكمل وهو أنه صلى الله عليه وسلم يتصرف في الجيش الذي جبه الله له بما شاء ويرده في أمته كيف شاء ، وشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا إسحاق بن عيسى عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الأخرج عن القدام بن مدركب الكندي أنه جلس مع عبادة ابن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن مسوية الكندي رضى الله عنهم فتلوا حديث رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء لعبادة يا عبادة كملت رسول الله ﷺ في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس فقال عبادة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة إلى بدير من التمن فسلم قام رسول الله ﷺ فتناول وبرة بين أظفاره فقال « إن هذه من غنائمكم وإنه ليس لي فيها إلا نصيبكم من الخمس والجنس مردود عليكم فأدوا الخيط والخيط وأكبر من ذلك وأضرر ولا تتلوا فإن التلوا عاروناً على أصحابه في الدنيا والآخرة واجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ولا تبالوا في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في السفروا والحضر واجاهدوا في أفغان الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله بمن المم والمتم » هذا حديث حسن عظيم ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ولكن روى الإمام أحمد أيضاً وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه في قصة الجنس والنهي عن التلوا . وعن عمرو بن عبسبة أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بدير من التمن فسلم أخذ وبرة من هذا البير ثم قال « ولا يحمل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الجنس والجنس مردود عليكم » رواه أبو داود والنسائي ، وقد كان لقي صلى الله عليه وسلم من التمن شيء يصطفيه لنفسه عبد أو أمة أو فرس أو سيف أو نحو ذلك كما نص عليه محمد بن سيرين وعامر الشعبي وتبعهما في ذلك أكثر العلماء . وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تنحل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت صفية من الصفي رواه أبو داود في سننه وروى أيضاً بإسنادها والنسائي أيضاً عن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالبريد إذ دخل رجل مع قطعة آدمي قرأناها فإذا فيها « من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أبيي إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذوى القربى فذكره إلى قوله فأبى ذلك علينا قومنا والزيادة من أفراد أبى معمر نجيب بن عبد الرحمن اللدى وفيه ضعف ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن مهدى الصنعى حدثنا التميمي بن سليمان عن أبيه عن حنفى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « رغب لك عن غشاة الأبدى لأن لك من خمس المحسن ما يفتيك أو يكفيك » هذا حديث حسن الإسناد وإبراهيم بن مهدى هذا هو أبو حاتم ، وقال يحيى بن معين أبى بنما كبر والله أعلم ، وقوله (واليتامى) أى يتام المسلمين واختلف العلماء هل يخص بالأيام الفقراء أو يعم الأغنياء والفقراء ؟ على قولين ، والساكن هم المهاجرون الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنهم (وابن السبيل) هو السافر أو المريد للسفر إلى مسافة تفسر فيها الصلاة وليس لها ما يفقه في سفره ذلك وسيأتى تفسير ذلك في آية الصدقات من سورة براءة إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان

وقوله (إن كنتم كنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) أى امتثلوا ما شرعنا لكم من المحسن فى التناهي إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله : ولهذا جاء فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس فى حديث وفد عبد القيس أن رسول الله ﷺ قال لهم « وأمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . أمركم بالإيمان بالله - ثم قال - هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا المحسن من اللئيم » الحديث بطوله فحصل أداء المحسن من جملة الإيمان ، وقديس البخارى على ذلك فى كتاب الإيمان من صحيحه فقال (باب أداء المحسن من الإيمان) ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام على شرح البخارى والله الحمد ولله ، وقال مقاتل بن حيان (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) أى فى القصة وقوله (يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله على كل شىء قدير) يقبى تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرقه بين الحق والباطل يندر ، ويسمى الفرقان لأن الله أطل فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه وصر نبيه وحزبه ، قال بن أبى طلحة والوفى عن ابن عباس : يوم الفرقان يوم بدر ، فرق الله فيه بين الحق والباطل روله الحاكم . وكلنا قال بجاهد ومقيم وعبيد الله بن عبد الله والصحابة وقادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير فى قوله (يوم الفرقان) يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلثائة وبعة عشر رجلا وللشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك ، وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال فى ليلة القدر : تحروها لإحدى عشرة يقين فإن فى صحيحها يوم بدر وقال على شرطهما ، وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر بن برقان عن رجل عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن جهميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : قال الحسن بن بكات ليلة الفرقان يوم التقي الجمعان لسبع عشرة من رمضان ، إسناد جودى ورواه ابن مردويه عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب عن بنى قال : كانت ليلة الفرقان ليلة التقي الجمعان فى صحيحها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ، وهو الصحيح عند أهل التنازى والسير وقال يزيد بن أبى حبيب إمام أهل السير للصريفة فى زمانه : كان يوم بدر يوم الاثنين ولما تابع على هذا وقول الجمهور مقدم عليه والله أعلم

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمَدِينَةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ بِالْمَدِينَةِ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبَ اسْقَلَ مِسْكُكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْ لَا تَخْلُقْتُمْ فِي السَّيِّئِ وَلَكِنْ لَقَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لَهَبَّكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَبَعَثَ مِنْ حَى عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى عبرا عن يوم الفرقان (إذ أنتم بالمدونة الدنيا) أى إذ أنتم نزول بمدونة الوادى الدنيا القرية إلى المدينة (وم) أى للشركون نزول (بالمدونة القسوى) أى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة (والركب) أى السير الذى فيه

أبوسفيان بجمعه من التجارة (أسفل منكم) أي بما يلي سيف البحر (ولو تواعدتم) أي أنتم والشركون إلى مكان
 (لاختلقت في البعاد) قال محمد بن إسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية قال ولو كان
 ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بانكم كثرة عددهم وقلة عددهم ما لقيتموه (ولكن ليقض الله أمرا كان مفعولا)
 أي ليقض الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله من غير ملأ منكم ففعل ما أراد من ذلك
 بلفظه ، وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله ﷺ وللسلمون يريدون غير قريش حتى جمع
 الله بينهم وبين عدوم على غير ميعاد ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثني بن عتبة عن ابن عون عن حمير بن إسحاق
 قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليعتبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 فانلقوا يندر ولا يشع هؤلاء هؤلاء ، ولأهل هؤلاء هؤلاء حتى التقي السقاة ونهد الناس بعضهم لبعض ، وقال محمد بن إسحاق
 في السيرة ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك حتى إذا كان قريبا من الصفراء يثب بسبس بن عمرو وعدى
 ابن أبي الرقبة الجهميين يلتصقان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى إذا وردا بدرًا فأتانا بغيرهما إلى تل من
 البطحاء فاستقيا في شن لها من اللاء فسمعا جارتين يختصمان تقول إحداهما لصاحبتها اقصيني حتى ، وتقول الأخرى
 إنما تأت المرغدا أو بعد غد فأضيق حثك فخلص بينهما عدي بن عمرو وقال صدقت فسمع بذلك بسبس وعدى
 فجلسا على بغيرهما حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه الخبر وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر فتقدم أمام
 غيره وقال لمجدي بن عمرو هل أحسست على هذا للاء من أجد تنكره ؟ فقال لا والله إلا أني قد رأيت راكبين
 أيلخا إلى هذا التل فاستقيا من شن لها ثم انطلقا فجاء أبوسفيان إلى منافع بغيرهما فأخذ من أبارهما ففتة فإذا فيه
 الهوى فقال هذه والله علائق يرب ، ثم يرجع سريعا فضرب وجه غيره فانطلق بها فاحلح حتى إذا رأى أنه قد أحرز
 غيره يث إلى قريش قال : إن الله قد نجى غيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا : فقال : أبو جهل والله لا نرجع حتى نأتي بدرًا ،
 وكانت بدر سوقا من أسواق العرب . فقم بها ثلاثا فقطع بها الطعام وتشر بها الجزر ونسق بها الحمر وتعرف علينا
 القيان وتسبع بنا العرب ومسيرنا فلا يزالون يهايوننا يهدمنا أبدا . قال الأخنس بن شريق : يا مشر بن زهرة
 إن الله قد أنجى أموالكم ونجى مباحكم فارجعوا فاعطاهم فرجست بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بنو عدي . قال محمد بن إسحاق
 وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر على بن
 أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتجسسونه الخبر فأصابوا سقاة قريش غلاما
 لبني سعد بن العاص وغلاما لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يسلي فجعل أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهما لمن أنتم ؟ فيقولان نحن سقاة قريش بثونا نسقم من للاء فكره القوم
 خبرهما ، ورجعوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أزالوهما قالوا نحن لأبي سفيان فتركوهما وترك رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وشجع سجدتين ثم سلم وقال « إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا والله إنهما
 قريش أخبراني عن قريش » قالوا هذا الكتيب الذي ترى بالدوة القصوى ، والكتيب : العنقل فقال لهما
 رسول الله ﷺ « كم القوم ؟ » قال كثير قال « ماعدتهم ؟ » قال ما ندرى قال « كم يتحرون كل يوم ؟ » قال
 يوما تسعا ويوما جثرا قال رسول الله ﷺ « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » ثم قال لهما « فمن فيهم من
 أشرف قريش ؟ » قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البتري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث
 ابن عامر بن نوفل وطبيعة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمنة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف
 وفيه ومنه أبنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس
 فقال « هذه مكة قد آتت إليكم أفلاذ كبها » قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن
 خرم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقي الناس يوم بدر يارسول الله ألا نبني لك عريشا
 تكون فيه ويتبع إليك رعاك ، وتلقى عدونا فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب وإن تكن الأخرى فتجلس

على ركائبك وتلحق بين وراةنا من قومنا قد والله تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبا منهم لو علموا أنك تلحق حربا ما تخلفوا عنك ويوازروك وينصرونك . فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به فجاءه له عرش فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما مهمما غيرهما . قال ابن إسحق وأرخت قريش حين أصبحت فلما أثبت وأرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العققل وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي فقال « اللهم هذه قريش قد أثبتت غيلاها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك اللهم أحهم القداة » . وقوله (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) قال محمد بن إسحق أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والبرية ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جيد . وبسط ذلك أنه تعالى يقول إنما جمع مع عدوك في مكان واحد على غير مياد ليصيركم عليهم ويرفع كلة الحق على الباطل ليصير الأمر ظاهرا والحجة قاطعة والبرهان سامطع ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة فيثبت بذلك من هلك أى يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره إنه مبطل لقيام الحجة عليه (ويحيى من حي) أى يؤمن من آمن (عن بينة) أى حجة وبصيرة والإيمان هو حياة القلوب قال الله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه ورجلنا له نورا يمشى به في الناس) وقالت عائشة في قصة الإفك فهلك أى قال فيها ما قال من البهتان والإفك وقوله (وإن الله لسميع) أى لعاشكم وقصركم واستغاثكم به (علم) أى بك وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المائدتين .

﴿ إِذْ يَرْيَكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَكُمْ كَثِيرًا تَلْقَيْتُمْ وَلَتَرْهَبُنَّ مِنَ الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَمٌّ لَّهُ عَلَيْهِ يَذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْمَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

قال مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان ثلثين لهم ، وكذا قال ابن إسحق وغير واحد وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رأى بينه وبينه التي نام بها ، وقدرى ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو كتيبة عن سهل السراج عن الحسن في قوله (إذ يريكم الله في منامك قليلا) قال بينك وهذا القول غريب ، وقد صرح بلنام ههنا فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه وقوله (ولو أراكم كثيرا لفرقت) أى لجلت عنهم واختلقت فما بينكم (ولكن الله سم) أى من ذلك بأن أراكم قليلا (إنه علم بذات الصدور) أى بما تجهه الضمائر وتطوى عليه الأحشاء (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) وقوله (إذ يريكمهم إذ التقيم في أعينكم قليلا) وهذا أيضاً من لطفه تعالى بهم إذ أراهم أيام قليلا في رأى العين فيجروم عليهم ويطمعهم فيهم قال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلن رجل إلى جنبي ترام سبعين ؟ قال لا بل هم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فأسأناه فقال كنا ألفا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقوله (ويقللهم في أعينهم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن عكرمة (وإذ يريكمهم إذ التقيم) الآية قال حمض بعضهم على بعض إسناد صحيح وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في قوله تعالى (يقضى الله أمرا كان مفعولا) أى ليقضى بينهم الحرب للثمة عن أراد الاتقام منه والانعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر ، وقله في عينه ليطمع فيه وذلك عند الواجهة فلما اتهم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من اللاتمة مردفين بقى حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعيفا كما قال تعالى (قد كان لكم آية في فتنين الثنافة قتلت في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلكم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منها حق وصدق والله الحمد ولله

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَاتَيْتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا فِتْنَةً فَتَنَفْسُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ •)

هذا العلم من الله تعالى لبيده للؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتموه فانتصروا) ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر في بعض أيامه إلى أن ياتي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا قاتلهم فأهروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال « اللهم منزل الكتاب ، وجري السحاب ، وهزم الأحزاب هزهيم » وانصروا عليهم • وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن عبيدة بن يزيد عن عبيدة بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا قاتلهم فاتهموا » واذكروا الله فإن صغيرا وصاحوا فملككم بالسمت • وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا إبراهيم بن هاشم النبوي حدثنا أمية بن بسطام حدثنا متمر بن سليمان حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا قال « إن الله يحب المصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن ، وعند الرفح وعند المنازعة » وفي الحديث الآخر للرفوع يقول الله تعالى « إن عبيد كل عبيد الذي يدكرني وهو مناجز قرنه » أي لا يشغله ذلك الحال عن ذكرى وديان واستماني

وقال السعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذه الآية ، قال اقترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد بن سليمان حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء : قال وجب الانصات وذكر الله عند الزحف ثم تلا هذه الآية قلت يجهرون بالله ؟ قال نعم وقال أيضا قرأ لي يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن يزيد بن فوذه عن كعب الأحبار قال ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتموه فاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) قال الشاعر :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَطِي يَخْطُرُ بَيْنَنَا • وَقَدْ نَهَلْتُ فِينَا لثَقْفَةَ السَّمَرِ

وقال عنترة • وَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمْحَ نَوَاهِل • مَعِي وَيَبِضُّ الْهَنْدُ تَهْطُرُ مِنْ دَمِي

فأمرته إلى باليات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم فلا يغروا ولا ينكروا ولا يجبنوا وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به اتهموا . وما نهام عنه أنزجروا ولا يتنازعوا في بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتنازلهم وفشلهم (وتذهب ريحكم) أي قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الاقبال (وأصبروا) إن الله مع الصابرين • وقد كان للصحابه رضي الله عنهم في باب الشجاعة والاثبات بما أمرهم الله ورسوله به ، واستمال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم ولا يكون لأحد ممن بعدهم فأنهم يركب الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته في أمرهم فتصوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في اللغة البصرة ، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم . قهروا الجميع حتى غلبت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان ، واستمدت للملك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين وحشرنا في زميرتهم إنه كريم وهاب

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ • وَإِذْ زَيْنُّهُمْ الشَّيْطَانُ أَهْلَهُمْ وَقَالَ لَأَغْلِبَنَّ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَسَكُمْ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ • وَإِذْ يَقُولُ الْمُفِيقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ وَبِهِمْ وَمَنْ يَقُولُ كُلِّ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره تعالى لهم عن التشبه بالشركين في خروجهم من ديارهم بطرا أى دفعا للحق (ورواء الناس) وهو المفاخرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له إن السير قد نجما فارجموا ، فقال لا والله لا نخرج حتى نرد ماء بدر ونشرب الجزر ونشرب الحمر ونفزع علينا القيان وتحدث العرب بكائنا فيها يومنا أبدا فانعكس ذلك عليه أجمع لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الخيل ويروكوا في أطواء بدر مهابتين أذلاء ، صفرة أشقياء في عذاب سرمدى أبدى ولهذا قال (والله بما يعملون محيط) أى عالم بما جاءوا به وله ، ولهذا جازاه عليه شر الجزاء لهم . قال ابن عباس وعجاءد وقناة والضحاك والسدى في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورءاء الناس) قالوا هم للشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر . وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالبيان والوقوف فأنزله الله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورءاء الناس ، وصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) وقوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غلب لكم اليوم من الناس وإنِّي جارٌّ لكم) الآية ، حسن لهم لئلا يهلكوا به ومما هو به وأطمعهم أنه لا غلب لهم اليوم من الناس ونفى عنهم الخشية من أن يؤثروا في ديارهم من عدوهم بنى بكر قال ابن جرير لكم ، وذلك أنه بدى لهم في سورة سراقه بن مالك بن جشم سبيل مدج كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كمال تعالى عنه (يهدم ويمنهم ويأصدهم الشيطان إلا غرورا) قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم بدر سار إليهم رايته وجنوده مع الشركين وألقى في قلوب الشركين أن أحدا لن ينلهم ، وإنِّي جارٌّ لكم ، فلما اتقوا ونظر الشيطان إلى إبعاد اللاتكة (نكس على عقبيه) قال رجس مدبرا وقال (إني أرى ما لا ترون) الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جاء إليهم يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدج في صورة سراقه بن مالك بن جشم فقال الشيطان للمشركين لا غلب لكم اليوم من الناس وإنِّي جارٌّ لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين : وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين أنزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل بإسراقة أنزع منك لنا جار فقال ، إني أرى ما لا ترون إنِّي أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى اللاتكة وقال محمد بن إسحق حدثني السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقه بن مالك بن جشم فلما حضر القتال ورأى اللاتكة نكس على عقبيه وقال إنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ فَنَشَبَتْ بِهَا الْحَارِثُ ابْنُ هِشَامٍ فَفُتِرَ فِي وَجْهِهِ فَخَرَّ صَقَا قَتِيلَهُ وَبَلَكَ بِإِسْرَاقَةٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَحْذِلُنَا وَهَبْنَا مَا قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وقال محمد بن عمر الواقدي أخبرني عمر بن عتبة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما اتفقا الناس أغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعتهم كشف عنه بغير الناس بجبريل في جند من اللاتكة ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرائيل في جند آخر ألف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقه بن مالك بن جشم للبطي يدبر المشركين وخبرهم أنه لا غلب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله اللاتكة نكس على عقبيه وقال إنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ فَتَشَبَتْ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ سَرَاقَةُ لَأَسْمَعُ مِنْ كَلَامِهِ فَغَضِبَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ فَسَقَطَ الْحَارِثُ وَانْطَلَقَ إِبْلِيسُ لَا يَرَى حَتَّى سَقَطَ فِي الْبَحْرِ وَدَفَعُ ثَوْبَهُ وَقَالَ يَارَبِّ مُوَعِدْكَ اللَّهُ بِوَعْدَتِي . وفي الطبراني عن ربيعة ابن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ذكرناه في السيرة : وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة

ابن الزبير قال : لما اجتمع قريش للسيرة ذكرت الذي بينا وبين بني بكر من الحرب فكان ذلك أن ينهزم قنبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جشم للجلبى وكان من أشرف بني كنانة فقال أنا جاز لكم أن تأتينا كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا ، قال محمد بن إسحق فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك لا ينكرونها حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكس الحارث بن هشام أو عمر بن وهب فقال أين سراقه ؟ أين وميل عدو الله فذهب قال فأوردتهم ثم أسلمهم ، قال ونظر عدو الله إلى جنود الله قدامه بهم رسول الله والمؤمنين فكس على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى مالا ترون وصديق عدو الله وقال إني أخاف الله والله شديد العقاب ، وهكذا روى عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله ، وقال قتادة وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه اللاتكة فلم يعد الله أنه لا يدان له باللاتكة فقال إني أرى مالا ترون إني أخاف الله وكذب عدو الله . والله ما به عاقبة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستفاد له حتى إذا اتقى الحق والباطل أسلمهم ثم مسلم وتبرأ منهم عند ذلك قلت معنى بصادته لمن أطاعه قوله تعالى (كل الشيطان إذا قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منكم إني أخاف الله رب العالمين) وقوله تعالى (وقال الشيطان لما نسى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن بعض بني ساعدة قال : جمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كف بصره يقول : لو كنت معكم الآن يدر ومضى بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه للاتكة لا أشك ولا أقارى فلما نزلت للاتكة ورأها إبليس وأوحى الله إليهم أتي معكم فقتلوا الذين آمنوا ، وتشبهتم أن للاتكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبيعن فإنيهم ليسوا بشيء والله معكم فكفروا عليهم فلما رأى إبليس للاتكة نكس على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى مالا ترون وهو في صورة سراقه وأقبل أبوجهل يعضض أصحابه ويقول لاهولتكم خذلان سراقه إياكم فإنه كان لي موعد من محمد وأصحابه . ثم قال واللوات والعزى لا زرع حتى تشرق شمسا وأصحابه في الجبال فلاقتاوهم وخذلوهم وأخذوا من أبي جهل لئله الكفول فرعون للسحرة لما أسلوا (إن هذا لسكر مكرغوه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) وكقوله (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهومن باب البهت والافتراء ، ولهذا كان أبوجهل فرعون هذه الأمة .

وقال مالك بن أنس عن إبراهيم بن أبي علي عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله ﷺ قال « ما رأى إبليس يوما هو فيه أسفر ولا أحقر ولا أدر ولا أغضب من يوم عرفة وذلك لما يرى من نزول الرحمة والغفر عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر » قالوا يارسول الله وما رأى يوم بدر ؟ قال « أمانه رأى جبريل عليه السلام يزع للاتكة » هذا مرسل من هذا الوجه

وقوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية ما ذا القوم بعضهم من بعض قتل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقتل المشركين في أعين المسلمين قتال المشركون غر هؤلاء دينهم وإعنا قالوا ذلك من قتلهم في أعينهم فظنوا أنهم سبهم منهم لا يشكون في ذلك فقال الله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزز حكمه) وقال قتادة : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله ، وذكر لنا أن أبوجهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : والله لا يبعد الله بعد اليوم - قوة وعتوا . وقال ابن جريج في قوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) هم قوم كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر ، وقال طاهر الشعبي كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم . وقاله مجاهد في قوله عز وجل (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال قتادة من قريش قيس بن الوليد بن النيرة وأبو قيس بن الفاكه بن النيرة والحارث بن زعمة بن الأسود بن الطلب وعبي بن أمية بن خلف

والعاص بن منه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتباب فجلسهم اربابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأجل حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن في هذه الآية قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين ، قال معمر وقال بعضهم هم قوم كانوا أقروا بالإسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم ، وقوله (وبين يتوكل على الله) أى يتمدد على جنابه (فإن الله عزيز) أى لا يضام من التجأ إليه فان الله عزيز منيع الجانب عظيم السلطان (حكيم) فى أفعاله لا يضمها إلا فى مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويغفل من هو أهل لذلك

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا كَفَرْتُمْ أَنتُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لَّعَلِيلٍ ﴾

يقول تعالى ولو عاينت يا محمد حال توفى للملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً لا تضيق منكره (إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق) . قال ابن جرير عن مجاهد (أدبارهم) أستاههم ، قال يوم بدر قال ابن جرير قال ابن عباس إذا أقبل للمشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف وإذا ولوا أدبرتهم للملائكة يضربون أدبارهم . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد فى قوله (إذ يتوفى الذين كفروا للملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) يوم بدر ، وقال وكيع عن سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد ، وعن سمعة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله يكتفى وكذا قال عمر مولى عفرة . وعن الحسن البصري قال : قال رجل يا رسول الله : إني رأيت يظهر أبى جهل مثل الشوك ، قال « ذاك ضرب للملائكة » رواه ابن جرير وهو مرسل ، وهذا السياق وإن كان سببه وقته بدر ولكنه ملحق فى حق كل كافر ، ولهذا لم يخصه تعالى بأهل بدر بل قال تعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا للملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) وفى سورة القتال مثله ، وتقدم فى سورة الأنعام قوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم) أى باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم إذا استصعبت أنفسهم وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهراً وذلك إذا ضروهم بالعذاب والنضب من الله كما فى حديث البراء أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره فى تلك الصورة للنسكة يقول : اخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى موموم وحهم وظل من محموم فتسرق فى بدنه فيستخرجونها من جسده كما تخرج السفود من الصوف للبلول فتخرج معها العروق والعصب ، ولهذا أخبر تعالى أن للملائكة يقول لهم ذوقوا عذاب الحريق ، وقوله تعالى (ذاك بما قدمت أيديكم) أى هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة فى حياتكم الدنيا : جازاكم الله بها هذا الجزاء (وأن الله ليس بظالم للعبيد) أى لا يظلم أحداً من خلقه ، بل هو الحكم العدل الذى لا يجرى تبارك وتعالى وتقدس وتنزه التى الحيد ، ولهذا جاء فى الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أنى ذرعى الله عنه عن رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يومن إلا به » ولهذا قال تعالى

﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ أَذْذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى قبل هؤلاء من المشركين للكافرين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم فقتلناهم ما هو دأبنا أى عادتنا وسنتنا فى أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول ، الكافرين بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (إن الله قوى شديد العقاب)

أى لا يظلم غالب ولا يغتبه هارب

(ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّكَ أَفَتُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ يُدْعُونَهُمُ إِلَى الْغُرُوبِ)
 قال فرعون وأولئك من قبلهم كذبوا بك يا موسى وأمرنا أن نرسلنا
 كاثراً من الظالمين)

غير تعالى عن عام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه كقوله
 تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)
 وقوله (كذاب آل فرعون) أى كسبه آل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك
 النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله
 في ذلك بل كانوا هم الظالمين

(إِنَّ سَرَّ الْأَوْدَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَنْ لَا يُؤْمِنُ) الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَكُمْ فِي
 كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) فَلَمَّا تَتَفَقَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَتَلْمِزٍ يَدْعُرُونَ)

أخبر تعالى أن سر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين كما عاهدوا عهداً نقضوه
 وكما أكدوه بالأيمان نكثوه (وهم لا يتقون) أى لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام (فلما تتفقهم في الحرب)
 أى تقلمهم وتظفر بهم في حرب (فشردهم من خلفهم) أى نكل بهم قاله ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي
 وعطاء الخراساني وابن عيينة ومناه غلظ عقوبتهم وأختمهم قتلاً ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم
 ويسيروا لهم عبرة (لهم يدكرون) وقال السدي يقول لهم يهدرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك

(وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ)

يقول تعالى لنبيه ﷺ (وإما نخافن من قوم) قد عاهدتهم (خيانة) أى خشا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود
 (فانذ إليهم) أى عدهم على سواء أى أعلمهم بأنك قد قضت عهدهم حتى يبق علك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم
 حرب لك وأنه لا عهد بينك وبينهم على سواء ، أى تستوى أنت وهم في ذلك قال الرازي
 فاضرب وجوه القدر للأعداء * حتى يجيئك إلى سواء

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالى (فانذ إليهم على سواء) (أى على مهل) (إن الله لا يحب الخائنين) أى حتى ولو في حق
 الكفار لا يحبها أيضاً . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي الفيض عن سلم بن عامر قال : كان معاوية يسير
 في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انتهى الأمد غزاهم فلذا يشيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله
 أكبر وفاء لا غدر إن رسول الله ﷺ قال : ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحل بحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقض أمدها
 أو ينذ إليهم على سواء . قال فلحق ذلك معاوية فرجع فلذا بالشيخ عمرو بن عتبة رضى الله عنه ، وهذا الحديث رواه
 أبو داود الطيالسي عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة بن قيس قال
 الترمذي حسن صحيح . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله الترمذي حدثنا إسرائيل عن عطاء بن السائب
 عن أبي البختري عن سلمان بنى الفارسي رضى الله عنه أنه أتته إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه دعوني أدعوهم كما
 رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال إنما كنت رجلاً منك فهداني الله عز وجل للإسلام فإن أسلمتم
 فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن أبىتم فادوا الجزية وأتم ما غروا ، وإن أبىتم نابذناكم على سواء (إن الله لا يحب الخائنين)

يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بيون الله
 ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يُخْزَوْنَ﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ آخِذٍ
 تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالتَّخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَقْلُوبُهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُغْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 يُؤْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا تحسبن (١) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) أي فاتونا فلا تقدر عليهم بل هم تحت
 قهر قدرتنا وفي قبضة مشيتنا فلا يسجزونا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء
 ما يحكمون) أي يظنون وقوله تعالى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وما هم النار ولبئس المصير) وقوله
 تعالى (لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس للهاد) ثم أمر تعالى بإعداد آلات
 الحرب لقتالهم حسب الطاقة والامكان والاستطاعة فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم) أي مهما أنكم (من قوة ومن
 رباط الخيل) قال الإمام أحمد : حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي غامه بن
 شئب أخى عقبة بن عامر أنه سمع عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول هو على النبر (وأعدوا لهم ما استطعتم من
 قوة) ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي « رواه مسلم عن هرون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور
 وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى ثلاثهم عن عبد الله بن وهب . ولهذا الحديث طرق أخر عن عقبة بن عامر منها
 ما رواه الترمذي من حديث صالح بن كيسان عن رجل عنه وروى الإمام أحمد وأهل السنن عنه قال : قال رسول الله
 ﷺ « ارموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا » وقال الإمام مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح
 السمان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الخيل ثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر وحى
 رجل وزر فأما الذى له أجر فرجل يربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة لها أصابت في طيلها ذلك
 من اللرج أو الروضة كانت له حسنة ولو أنها قطعت طيلها فاستت شرها أو شرفين كانت آثارها وأرواتها حسنة
 له ، ولو أنها مرت بنهر فخربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنة له فهي لذلك الرجل أجر ، ورجل
 يربطها تنجيا وتغفيا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل يربطها فخرأ ورياء ونوا ، فهي على
 ذلك وزر » وسئل رسول الله ﷺ عن الحر فقال « ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة (فن
 يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) » رواه البخارى وهذا لفظه ومسلم كلاما من حديث
 مالك وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج أخبرنا شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن عبد الله بن
 مسعود عن النبی ﷺ قال « الخيل ثلاثة : فرس للرحمن ، وفرس للشيطان ، وفرس للانسان ، فأما فرس الرحمن
 فالذى يربط في سبيل الله لقفله وروحه وبوله وذكر مائة الله وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليها ،
 وأما فرس الانسان فالفرس يربطها الانسان يلمس بطنها فهي له ستر من التقر » وقد ذهب أكثر العلماء إلى
 أن الرمي أفضل من ركوب الخيل ، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي ، وقول الجمهور أقوى للحديث
 والله أعلم وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج وهشام قالوا : حدثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس أن معاوية
 ابن خديج مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له فسأله ما تمانى من فرسك هذا ؟ فقال إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له
 دعوته . قال وما دعاء بهيمة من البهائم ، قال والذى نفس بيده ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول : اللهم أنت
 خولتى عبدا من عبادك وجعلت رزقي بيد فاجئني أحب إلي من أهله وماله وولده . قال وحدثنا يحيى بن سعيد عن
 عبد الحميد بن أبي جعفر حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه
 قال : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول اللهم إنك خولتى

(١) معنى النسر على قراءة ولا تحسبن بالله .

من خولقي من بني آدم فاجلني من أحب أهله وماله إليه - أ- أحب أهله وماله إليه » رواه النسائي عن عمرو بن علي
الغلاب عن عبيد القحطبان به . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا هشام بن عمار حدثنا
يحيى بن عروة حدثنا المظلم بن القنادم الصنعاني عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال لابن الحنفلية يعني سهلا حدثنا حديثا
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود
في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها ومن ربط قرصاً في سيل الله كانت النفقة عليه كاليد
بالصدقة لا يقبضها » والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة . وفي صحيح البخاري عن عروة بن أبي الجعد
البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر وللنعم » : وقوله
(تروبون) أي تخوفون (به عدواؤه وعدوكم) أي من الكفار (وآخرين من دولهم) قال مجاهد يعني بني قريظة ،
وقال السدي: فارس ، وقال سفيان الثوري قال ابن عمار من الشياطين التي في الدور ، وقد ورد حديث بمثل ذلك . قال
ابن أبي حاتم حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي حدثنا أبو حيوه يعني شرح بن يزيد القرقي حدثنا سعيد بن سنان
عن ابن غريب يعني يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى
(وآخرين من دولهم لاتملوهم) قال هم الجن ورواه الطبراني عن إبراهيم بن دحيم عن أبيه عن محمد بن شبيب عن
سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لا تجل بيت فيه حقيق
من الخيل » وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه ، وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم
للتناقض وهذا أشبه الأقوال ويشهد له قوله تعالى (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على
النفاق لاتملوهم نحن نعلمهم) وقوله (ومانفقوا من شيء فيسيل الله يوف إليكم وأتمم لظالمون) أي مهما أهتمت في الجهاد
فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود أن درهم يساغف ثوابه في سبيل الله
إلى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنثت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة والله يساغف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا
أحمد بن عبد الرحمن الشنكلي حدثنا أبي عن أبيه حدثنا الأشعث بن إسحق عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس عن النبي ﷺ أنه كان يأمر أن لا يصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت (ومانفقوا من شيء في سبيل الله يوف
إليكم) فأمر بالصدقة بدعها على كل من سأل من كل دين وهذا أيضا غريب

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ
حَسِبَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَدُّكَ بِنَصْرِهِوَالْمُؤْمِنِينَ • وَأَلَّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَغْنَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّتْ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

يقول تعالى إذا خفت من قوم خيانة فانصد إليهم عهدهم على سواء فإن استمروا على حربك ومناذلتك قاتلهم
(وإن جنحوا) أي مالوا (للسلام) أي للسلامة والسلامة والمهادنة (فاجنح لها) أي قل إليها واقبل منهم ذلك ، ولهذا لما
طلب للشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين أجابهم إلى ذلك
مع ما اشترطوا من الشروط الأخر . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر القدسي حدثني فضيل
ابن سليمان يعني الثوري حدثنا محمد بن أبي يحيى عن إياس بن عمرو الأسلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « إنه سيكون اختلاف أو أمر فإن استطعت أن يكون السلم قاضل » وقال مجاهد نزلت في بني قريظة
وهذا فيه نظر لأن السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتفٍ لهذا كله ، وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء
الخراساني وعكرمة والحسن وقادة : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في برامة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر) الآية وفيه نظر أيضاً لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إن كان العدو كشيافاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم . وقوله (وتوكل على الله) أى صالحهم وتوكل على الله فإن الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقوا ويستمدوا (فإن حسبك الله) أى كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما أبده بمن المؤمنين المهاجرين والأنصار فقال (هو الذي أيدكم بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) أى جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أى لا كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلل في القصر حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) كذلك بين لكم آياته لعلكم تهتدون) وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار في شأن غزاهم حين قال لهم « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وهاجلاً فأنقذكم الله بي وكنتم متفرقين فأنقذكم الله بي » كما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن ، ولقد قال تعالى (ولكن الله الحافظ أبو بكر البقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا أنبأنا أبو عبد الله محمد ابن الحسين القنديلي الاستراباذي حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار حدثنا ميمون بن الحكم حدثنا بكر ابن الصرود عن محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) وذلك موجود في الشعر

إذا بت ذو قرني إليك بركة * فشك وليستني فليس بذي رحم
ولكن ذالقربي الذي إن دعوته * أجاب وأن يرى المدوالة ترمى

قال ومن ذلك قول القائل :

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبولوت ما وصلوا من الأسباب
فلذا القرابة لا تحرب لاطما * وإذا اللودة أقرب الأسباب

قال البقي لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة ، وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صممه يقول (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) الآية قال هم المتحابون في الله . وفي رواية نزلت في المتحابين في الله . رواه النسائي والحاكم في مستدركه وقال صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : إن الرحم تقطع ، وإن النعمة تشكر وإن الله إذا قرب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثم قرأ (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) رواه الحاكم أيضاً ، وقال أبو عمرو الأوزاعي حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ولفيته فأخذ بيدي فقال : إذا التقي المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه فاحتات خطاياهما كما تحت ورق الشجر . قال عبدة : قلت له إن هذا ليسير فقال : لا تزد ذلك فإن الله يقول (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) قال عبدة فصرفت أنا فقلت مني وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن بجان عن إبراهيم الجزري عن الوليد بن أبي منبث عن مجاهد قال إذا التقي للسلطان فصافحا غفر لهما ، قال قلت لمجاهد بمصافحة يفرلها ؟ قال مجاهد أما سمعت يقول (لو ألفت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) ولكن الله ألف بينهم) فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم مني وكذا روى طلبة بن مصرف عن مجاهد ، وقال ابن عون عن حمير بن إسحق قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الالة وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا سالم بن غيلان سمعت جعداً أبا عثمان حدثني أبو عثمان الهدي عن سلمان القارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن السلم إذا لقي

أخاه للسلم فأخذ يده تعامت عنهما ذنوبهما كما تحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زيد البهار »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَٰبَكُمُ اللَّهُ وَمَنْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَٰبَكُمُ اللَّهُ وَمَنْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ • أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَٰبَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

يُحْرَضُ تَعَالَى نَبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَمُنَاجَاةِ الْأَعْدَاءِ وَمُبَارَاةِ الْأَقْرَانِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ حَسْبُهُمْ أَيْ كَافِهِمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ وَتَرَادَفَتْ أُمْدَادُهُمْ ، وَلَوْ قُلَّ عِدَدُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَثَانَ بْنِ حَكِيمٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى أَنَا نَافِعُ بْنُ سَفْيَانَ عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَوْلَهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَٰبَكُمُ اللَّهُ وَمَنْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَ حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُ مِنْ شَهِيدٍ مَعَكَ قَالَ وَرَوَى عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ زَيْدٍ مَثَلُهُ ، وَلِهَذَا قَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَٰبَكُمُ اللَّهُ وَمَنْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) أَيْ حَثُّهُمْ وَذَمُّهُمْ عَلَيْهِ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرَضُ عَلَى الْقِتَالِ حُضْدَ مِنْهُمْ وَمُوجِهُةَ الْعَدُوِّ كَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ أُقْبِلَ لِلشَّرْكَوْنِ فِي عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّهِمْ «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «نَمْ» قَالَ بَعْغُ بَعْغُ فَقَالَ «مَا يَمْلِكُكَ عَلَى تَوَلَّكَ بَعْغُ بَعْغُ ؟» قَالَ رَجَاءُ أَنَّهُ أَكُونُ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ فَكَسَرَ جَنْفَيْهِ وَأَخْرَجَ عُرَاتٍ فَجَبَلَ بِأَكْلِ مَنْثَرٍ ثُمَّ أَلْقَى بَيْتَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: لَنْ أَنَا حَيِّتٍ حَتَّى أَكَلَهُنَّ إِنَّمَا خَلِيعَةٌ طَوِيلَةٌ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَتَنَاقَلَ حَتَّى قَتَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ السَّيِّبِ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ أَسْلَمَ هَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَكُلُّهُ مِنَ الْأَرَبِيِّينَ ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ لَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدِينَةٌ وَإِسْلَامٌ فَهَرَّكَانَ يَكُنْ بِعَدِّ الْمُهْجَرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَبْلَ الْمُهْجَرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرًا (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) كُلُّ وَاحِدٍ بِشَرَةٍ ثُمَّ نَسَخَ هَذَا الْأَمْرَ وَبَقِيَ الْبَشَارَةُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْبَارِكِ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْحَرِثِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَا نَزَلَتْ (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى السَّلَاسِلِ حِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةٍ ثُمَّ جَاءَ التَّخْفِيفُ فَقَالَ (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) قَالَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعَمَلَةِ وَهَسَّ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدَرٍ مَا خَفَّفَ عَنْهُمْ . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْبَارِكِ نَحْوَهُ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ : كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ عَشْرُونَ مِنْ مِائَتَيْنِ ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) فَلَا يَنْبَغِي لِمِائَةٍ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ مِائَتَيْنِ ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ وَرَوَى عَنْ سَفْيَانَ بِهِ نَحْوَهُ ، وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ إِسْحَاقٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ثَقُلَ عَلَى السَّلَاسِلِ وَأَعْظَمُوا أَنْ يُقَاتِلَ عَشْرُونَ مِائَتَيْنِ وَمِائَةٌ أَلْفًا فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَتَنَسَخَهَا بِالْآيَةِ الْآخِرَةِ فَقَالَ (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) الْآيَةَ فَكَانُوا إِذَا كَانُوا عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ يَسْغُ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ قِتَالُهُمْ وَجَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ ، وَرَوَى عَلَى بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَالْوُفَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحَسَنَ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَعَطَاءُ الْخِرَاسِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ نَحْوَهُ ذَلِكَ وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْوَانَ عَنْ حَدِيثِ السَّيِّبِ بْنِ شَرِيكٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ هَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) قَالَ نَزَلَتْ فِيْنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَرَوَى الْحَافِظُ

في مستدرکه من حديث أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضغفا) رفع ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

﴿ مَا كَانَ لِيَحي أَن يَكُونَ لَهُ أَمْرِي حَتَّى يَغْنِي فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنْ أَفْهَمِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِئَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا خَلَقْنَا حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأسر » فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله نرى أن تفر عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فتذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من التمس فضا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيا أخذتم عذاب عظيم) وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم ينحو ذلك وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستبتهم لعل الله أن يثوب عليهم ، وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قديمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت في واد كبير الحطب فاضرم الوادي عليهم نارا ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال (فن بئني فإني ومن عصاني فإنيك غفور رحيم) وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال (إن قتلهم فإنيهم عبادك وإن تغفر لهم فإنيك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب العظيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أتم حالة فلا ينفك عن أحد منهم إلا قتلهم أو ضربة عنق » قال ابن مسعود قلت يا رسول الله إلى أسبيل ابن يضاء فانه يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ لما رأيته في يوم أخوف من أن تقع على حجارة من السماء من في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ « وإسبيل بن يضاء » فأبطل الله عز وجل (ما كان لبي أن يكون له أسرى) إلى آخر الآية رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية عن الأعمش به والحاكم في مستدرکه ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه . وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدرکه من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر . أسره رجل من الأنصار ، قال وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « إني لم أتم الآية من أجل عبي العباس وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » فقال له عمر أقاتهم فقال « نعم » فأتى عمر الأنصار فقال لهم أسلوا العباس فقالوا لا والله لانرسله فقال لهم عمر فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي قالوا فإن كان رسول الله ﷺ رضي فقتله فأخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس

أسلم فوائده لأن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك قال واستشار سول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيه فقال أبو بكر عثرتك فأرسلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ما كان لني أن يكون له أسرى) الآية قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي بن رضى الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا القداء وإن شاءوا القتل على أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا القداء ويقتل منا رواء الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به ، وهذا حديث غريب جدا ، وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال : قال رسول الله ﷺ في أسارى يوم بدر « إن شئتم قتلتموه وإن شئتم فاديتوهم واستمتم بالقداء واستشهد منكم بعديهم » قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم البعثة رضى الله عنه ، ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسل الله أعلم وقال محمد بن إسحق عن ابن أبي نجيع عن عطاء عن ابن عباس (ما كان لني أن يكون له أسرى) ققرأ حتى بلغ عذاب عظيم . قال غنام بدر قبل أن يخلها لم يقول لولا أني لأعذب من عاصي حتى أقدم اليه لمسك فإ أخذتم عذاب عظيم ، وكذا روى ابن أبي نجيع عن مجاهد وقال الأعمش سبق منه أن لا يذب أحدا شهيدا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء ، وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد (لولا كتاب من الله سبق) أي لهم بالمفرقة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (لولا كتاب من الله سبق) يعني في أم الكتاب الأول أن للثامن والأسارى حلاليكم (لمسك فإ أخذتم من الأسارى (عذاب عظيم) قال الله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) الآية . وكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعمش أيضا أن الراد (لولا كتاب من الله سبق) لهذه الأمة باحلال القنائم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحللت لي القنائم ولم تعمل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس طاعة » وقال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لم تعمل القنائم لسود الروس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) الآية فعند ذلك أخذوا من الأسارى القداء ، وقد روى الإمام أبو داود في سننه حديثا عبد الرحمن بن المبارك العيسى حديثا سفيان بن حبيب حديثا شعبة عن أبي النعيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام يحرفهم إن شاء قتل كما فعل بيني قريظة ، وإن شاء فادى بال كافل بأسرى بدر ، وأبمن أسر من المسلمين كافل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وأبنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حين شهدوا بدر فيهما بنتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وإن شاء استرق من أسر . هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء ، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَشْرَىٰ إِن يُعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يُخَيِّرُكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَنِفَرَكُمْ وَأَنَّهُ قُدُورٌ رَّحِيمٌ هَؤُلَاءِ مَن يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَنكُنَّ زِينَةً لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

قال محمد بن إسحق حديث الباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر « إني قد عرفت أن أناسا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لاجابة لهم بقتالنا فن لي منكم أحدا منهم سأل من بني هاشم فلا يقته ، ومن لي أبا البتري بن هشام فلا يقته ، ومن لي الباس بن عبد المطلب فلا يقته فإنه إما أخرج مستكرها » قال أبو حذيفة بن عتبة أختل أباءنا وأبناءنا وإخواننا

وعشائرنا وترك العباس والله لأن قتله لأجله بالسيف فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال لعمر بن الخطاب « يا أبا حفص - قال عمر والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص - يضرب وجهه ثم رسول الله - » بالسيف قال عمر يا رسول الله ائذننى فأضرب عنقه فوافقه لقد ناقق ، فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا أزال منها خائفا إلا أن يكفرها الله تعالى عنى بشهادة ، قتل يوم الحجابة شهيدا رضى الله عنه . وبه عن ابن عباس قال لما أسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى غيوسون بالوثاق بات رسول الله ﷺ ساهرا أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام ؟ وقد أسر العباس رجل من الأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سمعت أنين حمى العباس فى وثاقه فاطلقوه » فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن إسحق وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلا موسرا فالتقى نفسه بمائة أوقية ذهب ، وفى صحيح البخارى من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فنلتك لابن أختنا عباس فداءه . قال « لا والله لا نلتون منه درهما » وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهرى عن جماعة سمعوا قالوا بشت قريبى إلى رسول الله ﷺ فى فداء أسراهم قدى كل قوم أسيرهم بما رضوا ، لإقبال العباس يا رسول الله قد كنت مسلما فقال رسول الله ﷺ « الله أعلم بإسلامك فان يكن كما تقول فان الله يزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فالتقت نفسك وابنى أخيك نوكيل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو أخى بنى الحارث بن فهر » قالما ذاك عندى يا رسول الله قال « فأبى الله الذى دفتنا أنت وأمة الفضل فقلت لما إن أصبت فى سفرى هذا ، فهذا اللال الذى دفتته لبني الفضل وعبد الله وتم » قال والله يا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل فأحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان مسمى فقال رسول الله ﷺ « لا ذاك شيء أعطاني الله تعالى منك » فندى نفسه وابنى أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل فيه (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويضرب لكم والله غفور رحيم) قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية فى الإسلام عشرين عبدا كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل ، وقد روى ابن إسحق أيضا عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية بنحو ما تقدم . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن إدريس عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال العباس فى نزلت (ما كان لى الله يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض) فأخبرت النبي ﷺ بسلامى وسأله أن يعطينى بالعشرين الأوقية التى أخذت منى فأبى الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالى فى يده ، وقال ابن إسحق أيضا حدثنى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فى نزلت والله حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى ثم ذكر نحو الحديث كالأى قبله . وقال ابن جرير عن عطاء الخراساني عن ابن عباس (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى) عباس وأصحابه قال : قالوا لى النبي ﷺ أننا بما جثت به ونشهد أنك رسول الله لننصنح لك على قومنا . فأنزل الله (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) إيعانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أخذ منكم (ويضرب لكم) التبرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول أيضا أحب أن هذه الآية لم تنزل فىنا وإن لى الدنيا لى الله تعالى قال (يؤتكم خيرا مما أخذتمكم) فقد أعطاني خيرا مما أخذ منى مائة شنف وقال (ويضرب لكم) وأرجو أن يكون قد غفر لى ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية كان العباس أسير يوم بدر فالتقى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية قد أعطاني الله عز وجل خصلتين ما أحب أن لى هما الدنيا : إني أسرت يوم بدر ففدت نفسى بأربعين أوقية فكانت أربعين عبدا وإني لأرجو للشفرة التى وعدنا الله عز وجل فقال قتادة فى تفسير هذه الآية ذكر لنا أن رسول الله ﷺ

لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توجهاً لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شاكياً ولا حرم سائلاً وما صلى يومئذ حتى فرقه ، فأمر العباس أن يأخذ منه ويحشى فكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة وقال يعقوب بن سميان حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن القتيبة عن حميد بن هلال قال بث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ من البحرين ثمانين ألفاً ما أتاه مال أكثر منه لأجل ولا بعد . قال فبثت على حمير ونودي بالصلاة . قال وجاء رسول الله ﷺ فثل قائماً على اللال وجاء أهل السجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان إلا فيضا وجاء العباس بن عبد المطلب فحشا في خيصة عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ارفع ي . قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكاً أو نابه وقال له « أعد من اللال طائفة وقم بما تطيق » قال ففعل وجعل العباس يقول : وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أجزنا ، وما ندرى ما يصنع في الأخرى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) الآية ثم قال هذا خير مما أخذنا وما أدرى ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله ﷺ مائلاً على ذلك اللال حتى ما جى منه حرم وما بث إلى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصل .

(حديث آخر في ذلك) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعدي حدثنا محمد بن عاصم حدثنا حمص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين فقال « ائروه في مسجد » قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي ، وفاديت عقلي فقال له رسول الله ﷺ « خذ » فحشا في ثوبه ثم ذهب يلقه فلم يستطع فقال مر بضمهم يرفعه إلى قال « لا » قال فارفاه أنت على قال « لا » ففتره ثم سمعوا كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يثبته يصره حتى خفى عنه عجا من حرصه فما قام رسول الله ﷺ ولم منها درهم ، وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم يقول : وقال إبراهيم بن طهمان ويسوقه وفي السياقات آتم من هذا

وقوله (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل) أي (وإن يريدوا خيانتك) فيها أظهرها لك من الأقوال (فقد خانوا الله من قبل) أي من قبل بدر بالكفر به (فأمكن منهم) أي بالأسارى يوم بدر (والله عليم حكيم) أي علم بضمه حكم فيه . قال قتادة نزلت في عبد الله بن سفيان بن أبي سرح الكاتب حين ارتد وعلق بالمشركين وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لتتصحن لك على قومنا وفسرها السدي على العموم وهو العمل وأظهر والله أعلم .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا لَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلٍ مِمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ إِلَى مَا نَصَرُوا وَإِنْ اسْتَفْزَعُوا فَمَا لَهُمْ بَشِيرٌ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَشِيرٌ لَمَّا تَوَلَّوْا الْبَيْتَ)

ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبنوا وأموالهم وأغسهم في ذلك ، وإلى أنصارهم للسلون من أهل المدينة إذ ذاك آووا لإخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء (بعضهم أولياء بعض) أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ، ولهذا أتى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدماً على القراب حتى نسخ الله تعالى ذلك بالوارث . ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس ، ورواه

الموفى وحلى بن أبي طلحة عنه ، وقال مجاهد وعكرمة والحسن وقادة وغير واحد : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير هو ابن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « للهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض ، والطلاق من قریش والنقاء من هيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة » تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يولى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعنى ابن إبراهيم الأزدى حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « للهاجرون والأنصار ، والطلاق من قریش والنقاء من هيف بعضهم أولياء بعض فى الدنيا والآخرة » هكذا رواه فى مسند عبد الله بن مسعود . وقد أتى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار فى غير ما آية فى كتابه فقال (والساجدون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوا ما أحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) الآية وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) الآية وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) والذين يهودوا النار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الآية وأحسن ما قيل فى قوله (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) أى لا يجدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم فان ظاهر الآيات تقدم المهاجرين على الأنصار ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لاختلافهم فى ذلك ، ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحلق الزيار فى مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة قال : خبرنى رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاستقرت الهجرة ثم قال لا تفرقه إلا من هذا الوجه وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لکم من ولايتهم) قرأ حمزة ولايتهم بالكسر والباقيون بالفتح وهما واحد كالدلالة والادلة (من شئ حتى يهاجروا) هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا فى بلادهم فهؤلاء ليس لهم فى القام نصيب ، ولا فى خمسها إلا ما حضروا فيه القتال كما قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن يزيد بن الحبيب الأسدى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بث أسيراً على سرية أو جيش أو صاه فى خاصة نفسه بشوى الله وعين معه من المسلمين خيراً ، وقال « اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله إذا قضيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو خلل - فأيتهم ما أجاوبك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم . ادعهم إلى الإسلام فان أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الفقه والنسبة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية . فان أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم فان أبوا فاستن بالله وقاظمهم » انفرده مسلم وعنده زيادات أخر وقوله (وإن استصرمكم فى الدين فليكم النصر) الآية يقول تعالى وإن استصرمكم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا إلى قتال دعى على عدوكم فانصرم فانه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم فى الدين إلا أن يستصرمكم على قوم من الكفار يتنكم وينهم ميثاقاً أصهانة إلى مدة فلا تخفروا فتمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله عنه

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَتَمَلَّوْهُ سَكَنَ فِتْنَةٍ فِي الْأَرْضِ وَقَدْ كَثِيرٌ ﴾

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع اللوالة بينهم وبين الكفار كما قال الحاكم فى مستدركه حدثنا محمد بن صالح بن هانى حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور المروى حدثنا محمد بن أبان حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين عن الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة عن النبي ﷺ قال « لا يوارث أهل

ملتين ولا يرث مسلم كافراً ولا كافر مسلماً ثم قرأ (والذين كفروا بضمهم أولياء بعض إلا فعلموه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قلت الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » وفي السند والسنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتوارث أهل ملتين شتى » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن معمر عن الزهري أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال « تهتم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ، وإنك لأنرى نار مشرك إلا وأنت له حرب » وهذا مرسل من هذا الوجه وقد روى متصلاً من وجه آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا برىء من كل مسلم بين ظهري للشركين » ثم قال « لا يتراعى نارهما » وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد بن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حسان أنبأ سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعيد بن سمرة بن جندب عن سمرة بن جندب : أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جامع للشرك وسكن معه فإنه مثله » وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسحاق عن عبد الله بن هرم عن محمد وسعيد ابني عبيد عن أبي حاتم للزنى قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا فعلموه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » قالوا يارسول الله وإن كان؟ فيه قال: « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات وأخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن إسحاق به نحوه ثم روى من حديث عبد الحميد بن سليمان عن ابن عجلان عن أبي وبيعة النضري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا فعلموه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ومن قوله (إلا فعلموه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أى إن لم تأنبوا للشركين وتوالوا للمؤمنين وإلا وقت فتنة في الناس وهو التباس الأمور واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد عريض طويلاً

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَخَرُّوا عَلَىٰ سُبُلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَتَصَرَّوْا أَتَٰلِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَءَآجِرُوا وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ فَأُوَٰلَٰئِكَ مَعَكُمْ وَأُولَٰئِكَ يُضَاهَمُونَ﴾
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطفاً بذكر ما لهم في الآخرة فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما خدم في أول السورة وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت ، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبداً لا ينقطع ولا ينقضي ولا يأسف ولا يعل لحسنه وتنوعه . ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال (والسابقون الأولون) الآية وقال (والذين جاؤا من بعدهم) الآية . وفي الحديث للشفق عليه بل للتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « للرد مع من أحب » وفي الحديث الآخر « من أحب قوما فهو منهم » وفي رواية « حشرهم » . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للهاجرون والأنصار بضمهم أولياء بعض ، والطلقاء من قرش والنقاء من هذيل بضمهم أولياء بعض إلى يوم القيامة » قال شريك فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبي ﷺ مثله فنرد به أحمد من هذين الوجهين . وأما قوله تعالى (وأولوا الأرحام بضمهم أولى بعض في كتاب الله) أى في حكم الله وليس المراد بقوله (وأولوا الأرحام) خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا هم عصب بل يدلون بوارث كالخالدة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم كما قد يزعمه بعضهم ويخرج بالآية ويستدل ذلك صريحاً في المسألة بل الحق

أن الآية عامة تشمل جميع القربات كما نص عليه ابن عباس وعكرمة والحسن وقائدة وغير واحد على أنها ناسخة للآثر بالخلف والاعاء الذين كانوا يتوارثون بهما أولا ، وعلى هذا فتشكك ذوي الأرحام بالاسم الخاص ، ومن لم يورثهم يحجج بأدلة من أنوآها حديث « إن الله قد أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا والله أعلم

آخر تفسير سورة الأفعال والله الحمد ولله وعليه التكلان وهو حسنا ونعم الوكيل

(تفسير سورة التوبة مدنية)

﴿ بَرَآءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْكَفِيرُ ۖ ﴾

٣ هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت (يستغنونك قل الله يفتيكم في الساعة) وآخر سورة نزلت براءة ، وإنما لم يسئل في أولها لأن الصعابة لم يكتبوا البسملة في أولها في الصحف الإمام بل اقتدوا في ذلك بأمير المؤمنين عثان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد ابن أبي جعفر وابن أبي عمير وسهيل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة أنخري يزيد الفارسي أخبرني ابن عباس قال قلت لعثان بن عفان ما حملكم أن محمدتم إلى الأفعال وهي من الثاني وإلى براءة وهي من الثاني وقرئتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعوها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثان كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات السعد فكان إذا نزل عليه الله دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأفعال من أول ما نزل بالمدنية وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شعبة بقصتها وخشيت أنها منها وقضى رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها من أول ذلك قرئت بينهما ولم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول وكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن جابر في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق آخر عن عوف الأعرابي به وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحب ثم ذكر أن الشركيين يحضرون معهم هذا اللوم على عادتهم في ذلك وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالفتهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحج تلك السنة ليقم قناس مناسكهم ويسلم للشركيين أن لا يجعوا بعد عامهم هذا وأن ينادى في الناس (براءة من الله ورسوله) فلما قبل آتيه بلى بن أبي طالب يكون بلسا عن رسول الله ﷺ لكونه عصبه له كما سيأتي بيانه قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة أي تبرؤ من الله ورسوله (إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) اختلج التسرون ههنا اختلافا كثيرا فقال قائلون هذه الآية لقوى اليهود للطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكذل له أربعة أشهر فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان قوله تعالى (فأعوا إليهم عهدهم إلى مدتهم) الآية ولما سيأتي في الحديث . ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته وههنا أحسن الأقوال وأنوآها ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروى عن السلمي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد . وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) الآية قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسبحون في الأرض حيث شاءوا وأجل أجل من من ليس عهد أسلخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ الحرم فذلك حسون ليلة تأمر الله نبيه إذا أسلخ الحرم

أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيه السيف أيضا حتى يدخلوا في الإسلام وقال أبو معشر اللدني حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بئس رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على اللوم سنة تسع وبئس على بن أبي طالب ثلاثين آياتاً وأربعين آية من براءة قراها على الناس يؤجل للشرين أربعة أشهر يسبحون في الأرض قراها عليهم يوم عرفة أجلمهم عشرين من ذي الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر وقراها عليهم في منازلهم وقال : لا يحج من بعد بلينا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (براءة من الله ورسوله) إلى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم فقتل رسول الله ﷺ من يوكه حين فرغ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال : « إنما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أسمع حجاً حتى لا يكون ذلك » فأرسل أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما فطافا بالناس في ذي الحجاز وبأمانتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمنوا أربعة أشهر فهي الأشهر التواليات عشرون من ذي الحجة إلى عشر خلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا وهكذا روى عن السدي وقادة وقال الزهري : كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ الحرم وهذا القول غريب وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله ﷺ بذلك ولهذا قال تعالى .

﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبِمَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَوْنَا أَنْتُمْ غَيْرُ مُعْجِزِينَ اللَّهُ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِذَابِ أَلِيمٍ ﴾

يقول تعالى وإعلام (من الله ورسوله) وقدم وإنذار إلى الناس (يوم الحج الأكبر) وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام التماسك وأظهرها وأكبرها جميعاً (أن الله برىء من المشركين ورسوله) أي برىء منهم أيضاً ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال (فإن تبتم) أي عما أنتم فيه من الشرك والضلال (فهو خير لكم ، وإن توليتم) أي استمررتكم على ما أنتم عليه (فاعلموا أنكم غير معجزين الله) ، بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته (وبشر الذين كفروا بذياب أليم) أي في الدنيا بالحرز والنكال وفي الآخرة بالقامع الأغلال ، قال البخاري رحمه الله : حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بشئ أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في اللؤذين الذين يشتم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . قال حميد ثم أرفق النبي صلى الله عليه وسلم بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . قال أبو هريرة فآذن منى على أهل منى يوم النحر براءة وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه البخاري أيضاً حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بشئ أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الأكبر يوم النحر وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر فبئس أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك . هذا لفظ البخاري في كتاب الجهاد . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن السيب عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله (براءة من الله ورسوله) قال لما كان النبي ﷺ زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمر أبا بكر على تلك الحجة قال معمر : قال الزهري وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمراً بأهريرة أن يؤذن براءة في حجة أبي بكر قال أبو هريرة ثم أتبعنا النبي ﷺ علياً وأمره أن يؤذن براءة وأبو بكر على اللوم كاهو أو قال على هيئته . وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة وإنما هو عتاب بن أسيد فأما أبو بكر إنما كان أميراً سنة تسع

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن معمرة عن الشعبي عن عمار بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب حين بعث رسول الله ﷺ إلى أهل مكة براءة فقال : ما كنتم تادون ؟ قال كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فإن أجله أو مدته إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله يرى من الشركين ورسوله ، ولا يخرج هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك ، قال فكنت أنادي حتى يصل صوتي وقال الشعبي حدثني عمار بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين بعث النبي ﷺ ينادي فكان إذا وصل ناديت فقلت بأبي شيء كنت تادون ؟ قال بأربع : لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهد إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يخرج بعد عامنا هذا مشرك . رواه ابن جرير من غير وجه عن الشعبي ، ورواه شعبة عن معمرة عن الشعبي به إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهد إلى أربعة أشهر وذكر عام الحديث . قال ابن جرير وأخشي أن يكون وهما من بعض قتلته لأن الأشجار متضاربة في الأجل بخلافه . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث براءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال «لا يلقاها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي» فبث بها مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورواه الترمذي في التفسير عن بندار عن عفان وعبد الصمد كلاهما عن حماد بن سلمة به ثم قال حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سليمان حدثنا لوين حدثنا محمد بن جابر عن سالك عن حشش عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي ﷺ دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فبث بها ليقراها على أهل مكة ثم دعاني فقال «أدرك أبا بكر فحيثما لحقت فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فقرأه عليهم» فلحقته بالمجفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ، لول في شيء ؟ قال «لا ولكن جبريل جاني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» هذا إسناد فيه ضعف ، وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فوزه بل بعد قضاءه للمناسك التي أمره عليها رسول الله ﷺ كما جاء مبينا في الرواية الأخرى . وقال عبد الله أيضا حدثني أبو بكر حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن سالك عن حشش عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث براءة مع أبيه رضي الله عنه قال «إني لست باللسن ولا بالخطيب» قال «لا بد لي أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت» قال فإن كان ولا بد فإذهب أنا ، قال «انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك» قال ثم وضع يده على فيه . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن زيد بن يسار عن رجل من همدان سألتنا عليا بأبي شيء بشت ؟ يعني يوم بعث النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة قال بشت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهد إلى مدته ، ولا يصح للشركين بعد عامهم هذا ، ورواه الترمذي عن قلابة عن سفيان بن عيينة وقال حسن صحيح كذا قال ، ورواه شعبة عن أبي إسحق فقال زيد بن أنس وفيه ، ورواه الثوري عن أبي إسحق عن بعض أصحابه عن علي رضي الله عنه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحق عن زيد بن يسار عن علي قال : بعث رسول الله ﷺ حين أنزلت براءة بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن أبي إسحق عن الحارث عن علي قال أمرت بأربع فذكره ، وقال إسرائيل عن أبي إسحق عن زيد بن يسار قال بعثت رسول الله ﷺ أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذا فلما رجع أبو بكر قال نزل في شيء ؟ قال «لا ولكن أمرت أن ألقاها أنا أو رجل من أهل بيتي» فانطلق إلى أهل مكة فقام فيهم بأربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامهم هذا ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهد إلى مدته وقال محمد بن إسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبي جعفر

محمد بن علي بن الحسين بن علي قال : لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ وقد كان بث أبابكر ليقم الحج للناس قيل يا رسول الله : لو شئت إلى أبي بكر فقال : لا يؤدى عنى إلا الرجل من أهل بيتي » ثم غلغلياً فقال « اذهب بهذا القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بئى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يهج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان : ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ - ﷺ - فهو له إلى مدته » فخرج علي رضي الله عنه على ناقه رسول الله ﷺ الضباء حتى أجرك أبابكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو أمأمور ؟ فقال بل مأمور ثم مضى فأقام أبو بكر للناس الحج إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن بالناس بالذي أمره رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يهج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته : فلم يهج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قما علي رسول الله ﷺ فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل اللدة إلى الأجل التمسى

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد أخبرنا حيوة بن شريح أخبرنا ابن سحر أنه سمع أبا معاوية الجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت علياً عن يوم الحج الأكبر فقال إن رسول الله ﷺ بث أبابكر بن أبي حنيفة يشم للناس الحج ويشمى معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته انفتحت إلى فقال قم يا علي فاد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمت قرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صعدنا فأثينا منى فربيت الجربة ونحرت البداة ثم حلقن رأسي وعلت أن أهل الجمع لم يكونوا كلهم حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطلعت أتبع بها القساطيط أقرأها عليهم فمن ثم أخال حسبت أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحق سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر قال يوم عرفة ، قلت ألم تكن عندك أم من عند أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال كل في ذلك وقال عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريج عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر يوم عرفة . وقال عمرو ابن الوليد السهمي حدثنا شباب بن عبد الصمد عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومه أحد . قال فحجبت بعد أبي فأتيت للدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيت فقلت إنى سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك ممن هو أفضل منى مائة نصف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وهكذا روى عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاوس أنهم قالوا يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جريج أخبرني عن محمد بن قيس عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال « هذا يوم الحج الأكبر » وروى من وجه آخر عن ابن جريج عن محمد بن قيس عن السور بن عزمة عن رسول الله ﷺ أنه خطبهم برفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر » وأقول الثاني أنه يوم النحر قال هشيم عن إسحاق بن أبي جهم عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . وقال أبو إسحق السبيعي عن الحارث الأعور سألت علياً رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال هو يوم النحر ، وقال شعبه عن الحكم مصعب يحيى بن الجزار يحدث عن علي رضي الله عنه أنه خرج يوم النحر على بقة يضام يريد الجبابة فجاه رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن يوم الحج الأكبر فقال نحو يومك هذا دخل سيلها ، وقال عبد الرزاق عن سفيان عن شعبه عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال يوم الحج الأكبر يوم النحر ، وروى شعبه وغيره عن عبد الملك بن عمير بن نحو . وهكذا رواه هشيم وغيره عن الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى . وقال الأعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا للتيرة بين شعبه يوم الأضحية على بئر فقال : هذا يوم الأضحية وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر وقال حماد بن سلمة عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : الحج الأكبر

يوم النحر ، وكذا روى عن أبي جحيفة وسعيد بن جبير وعبد الله بن شداد بن الحمار ونافع بن جبير بن مطعم والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: يوم الحج الأكبر هو يوم النحر واختاره ابن جرير ، وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمي وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني سهل بن محمد الحنصلي حدثنا أبو جابر الحرثي حدثنا هشام بن الغازي الجرشى عن نافع عن ابن عمر قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال « هذا يوم الحج الأكبر » وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي جابر واسمه محمد بن عبد الملك به ، ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم عن هشام بن الغازي به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع به ، وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة المحدثي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ على ناقه حراء مخضرة فقال « أتدرون أي يوم يومكم هذا ؟ » قالوا يوم النحر ، قال « صدقتم يوم الحج الأكبر »

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن القدام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا بن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر له وأخذ الناس بخطامه أوزمعه فقال « أي يوم هذا ؟ » قال فسكتا حتى ظننا أنه سيمسيه سوى اسمه فقال « ليس هذا يوم الحج الأكبر ؟ » وهذا إسناد صحيح وأصله عرج في الصحيح . وقال أبو الأحوص عن شبيب عن عروة عن سلمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال « أي يوم هذا ؟ » قالوا اليوم الحج الأكبر ، وعن سعيد بن السبب أنه قال : يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد أيضاً: يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها، وكذلك قال أبو عبيد. قال سفيان: يوم الحج ويوم المثل ويوم صيف أي أيامه كلها ، وقال سهل السراج سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر فقال مالك ولسج لأبيهم فذك عام حج فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول الله ﷺ فحج بالناس ورواه ابن أبي حاتم ولفظه ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن ابن عون سألت محمداً يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر فقال كان يوماً وافق فيه حج رسول الله ﷺ وحج أهل الدير

﴿ إِلَّا الَّذِينَ هَدَيْتُمْ مِنَ الشَّعْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَيْنَا الْيَوْمَ هَدْيَهُمْ إِلَى مَذْيَبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت فأجله أربعة أشهر يسبح في الأرض ينهب فيها ليجب نفسه حيث شاء إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المفروضة التي عاهد عليها وقد تقدمت الأحاديث ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهده إلى مدته وذلك بشرط أن لا يتنقض العهد ولم يظهر على المسلمين أحداً أي يعالاه عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بنمته وعهده إلى مدته ولهذا حرص تعالى على الوفاء بذلك فقال (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) أي المؤمنين بهدم

﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الشَّعْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ وَأَخْضَرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَأَبَّوْا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

اختلف الشعركون في الراد بالأشهر الحرم هنا ما هي فنهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظنوا فمنا أنفسكم) الآية قاله أبو جعفر الباقر ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم فيهم الحرم وهذا الذي ذهب إليه حكاة بن أبي طلحة عن ابن عباس وإليه ذهب الضحاك أيضاً وفيه نظر والذي يظهر من

حيث السباقي ما ذهب إليه ابن عباس في رواية الموفى عنه وبه قال مجاهد وعمر بن شعيب وعبد بن إسحق وقادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن للرادبها أشهر التفسير الأربعة للنصوص عليها بقوله (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) ثم قال (إنما انساع الأشهر الحرم) أي إذا اخضت الأشهر الأربعة التي حرمت عليكم فيها قتالهم وأجلائهم فيها فحينما وجدوهم فاقتلوهم لأن عود الهدى مذكور أولى من مقدم ثم إن الأشهر الأربعة الحرمه سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة ، وقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدوهم) أي من الأرض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) وقوله (وخذوهم) أي وأسروهم إن شئتم قتلوا وإن شئتم أسروا وقوله (واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم ، بل اقصدوهم بالصار في معانهم وحصونهم والرسد في طرقهم ومساكنهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام ولهذا قال (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) إن الله غفور رحيم) ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته ونيه بأعلىها في أدائها فلن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل وببدها أداء الزكاة التي هي شمع تمتد إلى الفقراء والمهاجرين وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمؤمنين ، ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة . وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » الحديث وقال أبو إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يرك فلا صلاة له . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال : يرحم الله أبأ بكر ما كان أفتقه !

وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحق أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دعائهم وأموالهم إلا بحتمها لهم ما للسليين وعليهم ما عليهم » ورواه البخاري في صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا فارقتها والله عنه راض » قال : وقال أنس : هودين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل ، قال الله تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قال : توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن فصر الروزي في كتاب الصلاة له . حدثنا إسحق بن إبراهيم أنبأنا حكام بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء وهذه الآية البكرية هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال الموفى عن ابن عباس في هذه الآية لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا فة منذ نزلت براءة وانساع الأشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن براءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر وقال بن علي بن طلحة عن ابن عباس في هذه الآية : قال أسره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام ، وقضى ما كان مسمى لهم من الهدى والميثاق ، وأذهب الشرط الأول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إسحق بن موسى الأنصاري قال : قال سفيان بن عيينة قال طي بن أبي طالب بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف سيف في المشركين من العرب ، قال الله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدوهم) هكذا رواه مختصراً وأظن أن السيف الثاني هو قتال

أهل الكتاب لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الدين أوتوا الكتاب حتى يسطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (والسيف الثالث) قتال المنافقين في قوله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الآية (والرابع) قتال الباغيين في قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بذت إحدىهما على الأخرى قاتلوا التي تبتى حتى تقىء إلى أمر الله) ثم اختلف القسرون في آية السيف هذه فقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى (فلما بنا بعد وإمقاد) وقال قتادة بالمسكي

(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِ لَهُ أَمْنَهُ تَأْمِنَةً ذِيكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْلِكُونَ)

يقول تعالى لنبية صلات الله وسلامه عليه (وإن أحد من المشركين) الذين أمرتك بقتالهم وأحلت لك استباحة نفوسهم وأموالهم (استجارك) أي استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله أي القرآن ثمروه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله (ثم ابْنِ لَهُ أَمْنَهُ) أي وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره وأمنه (ذلك بأنه قوم لا يملكون) أي إنما شرعنا أمانا مثل هؤلاء ليملوا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك قسمه كلام الله وحسب يبلغ أمانه حيث جاء ، ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدا أو في رسالة ، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حصم وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك ، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم ، ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلة الكذاب على رسول الله ﷺ قاله أنشد أن مسيلة رسول الله ؟ قال نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عناقك» وقد قيس الله له ضرب الضيق في إمارة ابن مسعود على الكوفة ، وكان يقال له ابن التواضع ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلا بالرسالة فأرسل إليه ابن مسعود فقال له إنك الآن لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لارحمه الله وفضله . والفرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أمانا أعطى أمانا مادام متريدا في دار الإسلام ، وحتى يرجع إلى أمانه ووطنه ، لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر ، وقبيل ذلك فما زاد على أربعة أشهر وقص من سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله

(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْبَلُوا

كَلِمَةً فَاسْتَقْبَلُوا لَهُمْ إِنْ أَنْتَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)

يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ولفظته بإمام أربعة أشهر ثم بعد ذلك السيف للرهف أين هفوا فقال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد) أي أمان ويتركون فيهم فيه وهم مشركون بالله كافرين به ورسوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعني يوم الحديبية كما قال تعالى (م الذين كفروا وصودكم عن المسجد الحرام والهدى معكوا أن يبلغ عهده) الآية (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي مهما تمسكوا بما عاهدتوهم عليه وعاهدتوهم من ترك الحرب بينهم وبينهم عشر سنين (فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون . استمر المقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن قضت قريش العهد وما لؤا حلفاءهم وهم بنو بكر على خراعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلواهم معهم في الحرم أيضا فصد ذلك غزاهم

رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيم وفيه الحمد واللثة فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والخلبة عليهم فسموا الملقاه ، وكانوا قريبا من أئمة ، ومن استمر على كفره وفر من رسول الله ﷺ بث إليه بالأمان والتيسير في الأرض أربعة أشهر ينهب حيث شاء ومنهم صفوان بن أمية وعكرمة من بني جهل وغيرها ، ثم هدام الله بعد ذلك إلى الإسلام التام ، والله المأمود على جميع ما يقدره وشهه

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَتَىٰ قُلُوبَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ قَبِيلُونَ ﴾

يقول تعالى عرضا للمؤمنين على معادتهم والتبري منهم ومبيناً أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد شرهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله ﷺ ولأنهم لو ظهروا على المسلمين وأدبوا عليهم لم يتواولوا بهم ولا راقبوا بهم إلا ولا ذمة . قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والنوفلي عن ابن عباس : الإل القاربة والصفة العهد . وكذا قال الضحاك والسدي كما قال نعم من قبل أفسد الناس خلوفاً خلفوا • قطعوا الإل وأغرقوا الرحم

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه وجسدنا هم سكانيا لهم • وذو الإل والعهد لا يكذب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن إلا : قال الإل الله ، وفي رواية لا يرقبون الله ولا غيره . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي عن سليمان عن أبي جابر في قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) مثل قوله جبريل ميكائيل إسرافيل كأنه يقول لا يرقبون الله والقول الأول أظهر وأشهر وعليه الأكثر . وعن مجاهد أيضا الإل العهد . وقال قتادة الإل الحلف

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فُصِدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ • فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْكُمْ فِي الدِّينِ وَفَصَّلْ آلَايَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى لما كفر شركين وحذا للمؤمنين على قتالهم (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعني أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما اتبوا به من أمور الدنيا الحسيسة (فصدوا عن سبيله) أي منوا للمؤمنين من اتباع الحق (إنهم ساء ما كانوا يعملون • لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) ختم تفسيره وكذا الآية التي بعدها (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) إلى آخرها فخدمت . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن لثمي حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعباده لا يشرك به وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك في كتاب الله (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخذوا منكم في الدين) ثم قال البزار آخر الحديث عندي والله أعلم فارقها وهو عنه راض وباقية عندي من كلام الربيع بن أنس

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَحَقِّقُوا أَيْمَانَهُمْ لَا يَأْمِنُ لَهُمْ لَعْنَهُمْ ﴾

يَتَقَبَّلُونَ

يقول تعالى وإن نكث هؤلاء المشركون الدين عاهدتوهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم ومواثيقهم (وطعنوا)

في دينكم) أي عابوه وانتصوه، ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بقس، ولهذا قال (قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم يتقون) أي يرجعون عما هم فيه من الكفر والناد والشلال. وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف وعدة رجال، وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال مر سعد بن أبي وقاص رجل من الخوارج فقال لمارجى هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر رواه ابن مردويه، وقال الأصمعي عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد. وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله، والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشرك قريش فهي عامة لمولودهم والله أعلم، وقال الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام قال إنكم ستجدون قوما جوفة رهوسهم فاضربوا معاهد الشيطان منهم بالسيف فوالله لأن أقتل رجلا منهم أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم وذلك بأن الله يقول (قاتلوا أئمة الكفر) رواه ابن أبي حاتم

﴿أَلَا تَتَّقُونَ قَوْمًا نَكَلُوا بِإِيمَانِهِمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَنْخَشَوْهُمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وهذا أيضا تيسر وتحضن وإغراء على قتال المشركين الناكثين بأيمانهم الذين هموا بإخراج الرسول من مكة كما قال تعالى (وإذ ينكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) وقال تعالى (يجرجون الرسول ولما أم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآية وقال تعالى (وإن كادوا ليستزواك من الأرض ليخرجوك منها) الآية وقوله (وهم بدوكم أول مرة) قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرم فلما نجحت وعلموا بذلك استمروا على وجوههم طلبا لقتال بني وتكبرا كما تقدم بسط ذلك، وقيل المراد تخضعهم العهد وقتالهم مع خلفائهم بنى بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ حتى سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح وكانت ما كان وفد الحمد وليلة. وقوله (أنخشوم؟ والله أحق أن نخشوه إن كنتم مؤمنين) يقول تعالى لا نخشوم واخشون فأننا أهل أن نخشى العباد من سطوتهم وعقوبتي فيدي الأمر وما غشت كان وما لم أأما لم يكن، ثم قال تعالى عزرة على المؤمنين ويانا لحكمته فباشع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده (قاتلهم بسيفهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وهذا عام في المؤمنين كهم، وقال مجاهد وعكرمة والسدي في هذه الآية (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني خزاعة، وأعاد الشير في قوله (وينهب غيظ قلوبهم) عليهم أيضا. وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة مؤذن لمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن مسلم بن يسار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا غلبت أخذ بأشهادها وقال «يا عوش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن» ساقه من طريق أبي أحمد الحاكم عن الباغندي عن هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن أبي الجوزاء عنه (ويتوب الله على من يشاء) أي من عباده (والله عليم) أي بما يصلح عباده (حكيم) في أفضاله وأقواله الكونية والشرعية فيفعل ما يشاء وحكم ما يريد وهو العادل الحاكم الذي لا يجوز أبدا ولا ينصح مثقال ذرة من خير وشر بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَسَ يَلْمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

يقول تعالى (أم حسبتم) أيها المؤمنون أن ترككم مهملين لا تختبركم بأموالكم يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال (ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة وذخيلة يلزم في الظاهر والباطن على النصح لله ورسوله فاكثري بأحد القسمين عن الآخر كما قال الشاعر
وما أدرى إذا يمعت أرضاً • أريد الحير أيها بلخي

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى (لم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة)) الآية وقال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) الآية : والحاصل أنه تعالى لما شرع لعباده الجهاد بين أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطعهم بمن يصيه وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه ، ولا راد لما قدره وأماهه

﴿ مَا كَانَ لِلشِّرْكِينَ أَنْ يَمْرُؤُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَهْلِهِم بِالْكَفْرِ أَوْ لَتَكُ حَبِطَتْ أَهْلُهُمْ وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ ﴾ إِنَّمَا يَمْرُؤُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَصَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

يقول تعالى ما ينبغي للشركيين بالله أن يسمروا مسجدا لله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له ، ومن قرأ مسجدا لله فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد في الأرض الذي بنى من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له وأسمه خليل الرحمن هنا وهم عاهدون على أنفسهم بالكفر أي بحلهم وقلمهم كما قال السدي لو سألت النصراني ما دينك ؟ قال نصراني ، ولو سألت اليهودي ما دينك قال يهودي ، والصائبي قال صابئ ، والشرك قال مشرك (أولئك حبطت أعمالهم) أي بشركهم (وفي النار هم خالسون) وقال تعالى (وما لهم ألا يصدقهم الله وهم يصدقون عن المسجد الحرام وما كانوا أوليائه إن أوليائه إلا المؤمنون ولكن أكثرهم لا يفنون) ولهذا قال تعالى (إنما يسمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فشهد تعالى بالإيمان لمبار المساجد كما قال الإمام أحمد : حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو ابن الحارث أن عداجا أبا السمع حدثه عن أبي الحيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم الرجل يتنادى المسجد فاشهدوا له بالإيمان . قال الله تعالى (إنما يسمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) » ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب : « وقال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح المري عن ثابت البناني عن ميمون بن سيابة وجعفر بن زيد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنما حمار المساجد أهل الله » ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الواحد بن غياث عن صالح بن بشير المري عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إنما حمار المساجد أهل الله » ثم قال لا نعم رواه عن ثابت غير صالح ، وقد روى الشافعي في الإفراد من طريق حكمة بنت حبان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا « إذا أراد الله بجوم حاجة نظر إلى أهل للمساجد صرف عنهم » ثم قال غريب ، وروى الحافظ الهيثمي في المستقصى عن أبيه بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي حدثنا منصور بن سفيان حدثنا صالح المري عن ثابت عن أنس مرفوعا يقول الله : وعزى وجلالى إني لأهم بأهل الأرض عذابا فلذا نظرت إلى حمار يوتى وإلى المتعاقبين في وإلى السخرفين بالإسراع صرفت ذلك عنهم . ثم قال ابن عساكر حديث غريب . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا المعلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال « إن الشيطان ذئب الإنسان كذذب النعم يأخذ الشاة القاصية والناحية فأياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعلامة والمسجد » وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون الأودي قال : أدركت أصاب محمد ﷺ

وم يقولون إن الساجد يوت الله في الأرض وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها . وقال السعدي عن جيب ابن أبي ثابت وعدي بن ثابت عن عبيد بن جبير عن ابن عباس رضي عنهما قال : من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت السجد ووصل فلا صلاة له وقد عصى الله ورسوله . قال الله تعالى (إنما يصبر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية رواه ابن مردويه . وقد روى مرفوعاً من وجه آخر وله شواهد من وجوه أخر ليس هذا موضع بسطها . وقوله (وأقام الصلاة) أي التي هي أكبر عبادات البدن (وآتى الزكاة) أي التي هي أفضل الأعمال للتعبية إلى بر الخلق وقوله (ولم يخش إلا الله) أي ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه (فسي أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما يصبر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) يقول من وحده الله وآمن باليوم الآخر يقول من آمن بما أنزل الله (وأقام الصلاة) يعني الصلوات الخمس (ولم يخش إلا الله) يقول لم يبد إلا الله ثم قال (فسي أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول تعالى إن أولئك هم المفلحون كقولهم لتبنيهم ﷺ (عسى أن ينشئك ربك مقاماً محموداً) وهي الشفاعة ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة ، وقال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله : وعسى من الله حق

(أَجَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَحِمَارَةَ الْمَسْجِدِ اطْرَامَ كُنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَدَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ • يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَوَدَّاعُونَ وَجَدَتْ لَهُمْ فِيهَا نَفْسٌ مَّقِيمٌ • خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

قال النووي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال إن للشركين قالوا حمارة بيت الله وقيام على السقاية خير من آمن وجاهد ، وكانوا يضرخون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وحمارة فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من الشركين (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تكسونهم مستكبرين به سامراً تهجرون) يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال (به سامراً) كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي ﷺ فخبر الله الإيعان والجهاد مع النبي ﷺ على حمارة للشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ، وإن كانوا يسمرون بينه ويحرمون به . قال الله تعالى (لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني الذين زعموا أنهم أهل المماراة فساهم الله الظالمين بشرهم فلم تكن منهم المماراة شيئاً

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : قال قد نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أمر بيده قال لئن كنتم سيقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نمر للسجد الحرام ونسقي ذلك الماء ، قال الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج - إلى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك بن مزاحم أقبل للسلطان على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعبرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نمر للسجد الحرام ونسقي ذلك الماء ونسقي الحاج فأقول الله (أجعلتم سقاية الحاج) الآية . وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن إسحاق بن عيسى قال نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما كنهما في ذلك وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخرة قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول اتختر طلحة بن شيبة من بني عبد المبار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بث فيه ، وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بث في للسجد ، فقال علي رضي الله عنه ما أدرى ما هؤلاء لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأقول الله عز وجل

(أجلمت سقاية الحاج ؟) الآية كلها وهكذا قال السدي إلا أنه قال افتخر على والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن حمرو عن الحسن قال : نزلت على علي وعباس وعثمان وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أراي إلا أن تارك سقائنا فقال رسول الله ﷺ « أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا » ورواه محمد بن نور عن معمر عن الحسن فقد ذكر نحوه ، وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكر معناها ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن الثمان بن بشير رضى الله عنه أن رجلا قال : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمي للسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت . فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا سلمنا الجمعة دخلنا على النبي ﷺ فسلناه . فنزلت (أجلمت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - إلى قوله - لا يستون عند الله)

(طريق أخرى) قال الوليد بن مسلم حدثني معاوية بن سلام عن جده أبي سلام الأسود عن الثمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل له عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا سلمت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال ففعل فأزل الله عز وجل (أجلمت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - إلى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفسيرهم وابن حبان في صحيحه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُمْ مِمَّا قُتِلُوا ثُمَّ الظَّالِمُونَ • قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّسُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

أمر تعالى بمباينة الكفار وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا أي اختاروا الكفر على الإيمان ، وتوعد على ذلك كقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جهنم نجى من تحتها الأنهار) الآية . وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شاذان قال : جل أبو أيوب عبيدة بن الجراح بعتله الآلهة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحميه فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله فأزل الله فيه هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية . ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آتراهه وقربائه وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها وحصلتموها) وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أي تحبونها لطيبها وحسنها أي إن كانت هذه الأشياء (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا) أي فانتظروا ماذا يعل بكم من عقابه ونكاته بكم ولهذا قال (حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يا رسول الله لآنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » قال عمر فأنتم الآن والله أحب إلي من نفسي ، قال رسول الله « الآن يا عمر » اتفرد بإخراجه البخاري فرواه عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام عن النبي ﷺ بهذا وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال « والى نفي يده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وروى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن الحمراني عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا تباعدت بالينة وأخذت بأذناب البقر ورشيت بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » وروى الإمام أحمد أيضا عن يزيد ابن هارون عن أبي حباب عن شهر بن حوشب أنه سمع عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك ، وهذا شاهد لذى قبله والله أعلم

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَلَفَتْ عَلَيْكُمْ الْأُكُوفُ فَمَا رَوِّتُمْ ثُمَّ لَمَّا رَوَّيْتُمْ لَمْ يُنْصِرْكُمْ وَلَمَّا لَمْ يَنْصِرْكُمْ لَمَّا خَسِبْتُمْ فَاتَّبَعْنَاهُمْ أَيَّامَ وَلَدَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يقول الله من بعد ذلك على من يشاء والله فقور رحيم ﴿

قال ابن جرير عن مجاهد هذه أول آية نزلت من برامة يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في موطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وأن ذلك من عنده تعالى وتأيدته وتصدده لا يندم ولا يندم ونهيم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو أكثر فإن يوم حنين أعجبهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ ثم أنزل نصره وتأيدته على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما سنبينه إن شاء الله تعالى مفصلا بينهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع فك من فقة قليلة غلبت فقة كثيرة لأن الله والله مع الصابرين . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت يونس يحدث عن الزهري عن عبيد الله بن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعة » وخير الجيوش أربعة آلاف ولن تطلب اثنا عشر ألفا من فقة » وهكذا رواه أبو داود والترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب جدا لا يسنده أحد غير جرير بن حازم ، وإنما روى عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل . وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وضعفه عن أكثم بن الجول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه والله أعلم . وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في عوال سنة ثمان من الهجرة . وذلك لما فرغ ﷺ من فتح مكة وتمهت أمورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله ﷺ فبلغه أن هوازن جمعوا له لقاتلهم وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ، ومعه تحيف بكالها وبنو جهم وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال وم ذليل وناس من بني عمرو بن عامر وعون بن عامر وقد أتوا ومعه النساء والولدان والشاة والتم وجاءوا بقتلهم وقبضهم فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه لفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعه الدين أسلوا من أهل مكة وهم الطلقاء في اثنين قسار بهم إلى العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقاله حين فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح اغتبروا في الوادي وقد كنت فيه هوازن فلما تواجهوا لم يشع المسلمون إلا بهم قد بادروهم ، ورشقوا بالنبال وأسلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما أمرهم ملكهم ففند ذلك ولي المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب يومئذ بنات النخباء

يسوقها إلى نحر العدو ، والعباس معه أخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر
يتقلانها ثلاثين السير وهو ينوء بإمته عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين إلى الرحمة ويقول « إلى عباد الله إلى »
أنا رسول الله » ويقول في تلك الحال « أنا النبي لا كذب » أنا ابن عبد المطلب » وثبت معه من أصحابه قريب من مائة
ومنهم من قال غاثون فثمن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والعباس وحلى والقنصل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث
وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد وغيرهم رضي الله عنهم ثم أمر عليه السلام بعباس والعباس وكان جهر الصوت أن
ينادي بأعلى صوته يا أصحاب الشجرة يعني شجرة يمة الرضوان التي بإمته المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على أن
لا يغروا عنه فبصر ينادي بهم يا أصحاب السمرة ، ويقول تارة يا أصحاب البقرة ، فاجلوا يقولون يا ليك يا ليك ،
وانمطف الناس قتراجوا إلى رسول الله عليه السلام حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بيده على الرجوع
لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعت شذمة منهم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحيلة وأخذ قبضة من تراب بعد ما دعا ربه واستصره ،
وقال « اللهم أنجز لي ما وعدتني » ثم رمى القوم بها فابقى إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفيه ما خشفه القتال ثم
انهزموا فاتبع المسلمون أقدامهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس إلا والأسرى مجندة بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يثلى بن عطاء عن عبيد الله بن سيار عن
أبي همام عن أبي عبد الرحمن القهري وأمه يزيد بن أسيد ويقال يزيد بن أنيس ويقال كرز قال : كنت مع رسول الله
ﷺ في غزوة حين فسرنا في يوم فأنظف شديد الحر فقلنا تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست
لامتي وركبت فرسي فانطلقت إلى رسول الله عليه السلام وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة
الله وبركاته حان الروح فقال : « أجل » فقال « يا بلال » فآثر من تحت مرة كان ظلها ظل طائر فقال : ليك وسعدك
وأنا فداؤك فقال « أسرج لي فرسي » فأخرج سرجا فداه من ليف ليس فيها أثر ولا بطر قال فأسرج فركب وركبنا
ضائقان عطشان ولتنا قنصات الخيلان فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى (ثم ولتيم مدبرين) فقال رسول الله
ﷺ « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال « يا معشر المهاجرين أنا عبد الله ورسوله » قال ثم انقم عن
فرسه فأخذ كفا من تراب فأغرنى الذي كان أدنى إليه منى أنه ضرب به وجوههم وقال « شامت الوجوه » فهزمهم
الله تعالى . قال يثلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفيه ترابا ومعنا
صلصلة بين السهات والأرض كأمراء الحديد على الطست الجديد ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من
حديث أبي داود والطائفي عن حماد بن سلمة وقال محمد بن إسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر
عن أبيه جابر بن عبد الله قال فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فأعدوا
وتيسروا في مضائق الوادي وأمنائه وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أخط بهم الوادي في حماية
الصبح فلما أخط الناس ثارت في وجوههم الحيل فشعت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد وانحاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول « أيها الناس هلموا إلى أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد
ابن عبد الله » فلا شيء وركبت الإبل بضعا بضعا فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال « يا عباس
اصرع يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة » فأجابوه ليك ، ليك ، فبصر الرجل يلعب ليعطف بيده فلا يقدر على ذلك
فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة
لمستعرض الناس فالتقوا وكانت المعركة أول ما كانت بالأنصار ثم جعلت آخرها بالجزع وكانوا صرعا عند الحرب
وأشراف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فنظر إلى مجتلد القوم فقال « الآن حمى الوطيس » قال فوآله ما راحبه
الناس إلا والأسارى عند رسول الله مقلون قتل الله منهم من قتل وانهزم منهم ما انهزم وأفاء الله على رسوله أموالهم
وأبناؤهم وفي الصحيحين من حديث شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلا قال له يا أبا حمزة

أفرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال لكن رسول الله ﷺ لم ير إن هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيتهم وحسنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على التناهم فاستقبلوا بالسهم فانهزم الناس فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام بثلثة البيضاء وهو يقول «أنا النبي لا كذب» «أنا بن عبدالمطلب» قلت وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بطة فليست سرية الجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب ، وهو مع هذا أيضاً يركبها إلى وجوههم ويؤوه باسمه ليرفه من ليرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين وما هذا كله إلا تحفة بالله وتوكلا عليه وعلماً منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به وينظر دينه على سائر الأديان ، ولهذا قال تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي طمأنينته وحياته على رسوله (وعلى المؤمنين) أي الدين معه (وأنزل جنوداً لم تروها) وهم الملائكة كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني الحسن بن عرفة قال حدثني للتمر بن سليمان عن عوف هوازن أبي حمزة الاعرابي قال سمعت عبد الرحمن مولى ابن رافع حدثني رجل كان مع الشركين يوم حنين قال لما التفتنا نحن وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يرقموا لنا حليشاة ، قال لما كشفناهم جلتنا نسوقهم في آثارهم حتى اتينا إلى صاحب البصلة البيضاء فلذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتلنا عنده رجال يرض حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهزنا وركبوا أكتافنا فكانت ليها ، وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن أحمد بن بابويه حدثنا إسحق بن الحسن الجري حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحارث بن حصيرة حدثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار قعدنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة قال ورسول الله ﷺ على بثلثة البيضاء بمضى قعدنا فحدثت بثلثة قال عن السرج قلت : ارفع رفك الله قال « ناولني كفاً من التراب » فناولته قال فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً قال « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم هناك قال « اهتف بهم » فهتفتهم فجاؤا وسوقهم بأيامهم كأنها السهب وولى الشركون أدبارهم ، ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان بن نحوه ، وقال الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الحلدي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيعة بن عثان قال رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عرى ذكورت أبي وحملني وقلت ليها ما فعلت اليوم أدرك تأري منه قال فذهبت لأجيته عن يمينه فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً عليه دوع يضاه كأنها فضة يكشف عنها المصباح قلت : هم ولن يخله قال فجهت عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب قلت : ابن عمه ولن يخله فجهت من خلفه فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ من نار ينفى وبينه كأنه برق ففخت أن يغمضني فوضعت يدي على بصرى ومشييت التهمري فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « يا شيعة يا شيعة ادن مني اللهم أذهب عنه الشيطان » قال فرفت إليه بصرى وهو أحب إلي من ممى وبصرى فقال « يا شيعة قاتل الكفار » رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم روى من حديث أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيعة عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإله ما أخرجنى لإسلام ولا معرفة به ولكنني آيت أن تظهر هوازن على قرش فقلت وأنا واقف معه يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقا فقال « يا شيعة إنه لا يراها إلا كافر » ففرض يده على صدرى ثم قال « اللهم اهد شيعة » ثم ضربها الثانية ثم قال « اللهم اهد شيعة » ثم ضربها الثالثة ثم قال « اللهم اهد شيعة » قال فوالله ما رفعت يدي عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلي منه وذكر تمام الحديث في اللقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله تعالى للشركين ، قال محمد بن إسحق حدثني أبي إسحق بن يسار عن حمدة عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال إنا لم نعلم رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتلون إذ نظرت إلى مثل الجباد الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا مثل مشور قد ملا الوادي فلم يكن إلا هزيمة القوم فما كنا نشك

أنها للامسكة ، وقال سعيد بن السائب بن يسار عن أبيه قال سمعت يزيد بن عامر السوائي وكان شهد حيناً مع الشركين ثم أسلم بعد فسكننا نساءه عن الرعب الذي أتى الله في قلوب للشركين يوم حين ففكان يأخذ الحساء فيرمي بها في الطست فيطن فيقول كنا نجد في أجوافنا مثل هذا ، وقد تقدم له شاهد من حديث القهري يزيد بن أسيد قال أعلم ، وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام قال هذا ما حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم » ولهذا قال تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وقوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) قد تاب الله على بقية هوازن فأسلموا وقدموا عليه مسلمين ولحقوه وقد قارب مكة عند الجمرانة وذلك بعد الوقعة بقرب من عشرين يوماً فمضت ذلك خيرة بين سبهم وبين أموالهم فاختاروا سبهم وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة فرده عليهم وقسم الأموال بين الناعمين ونقل أناساً من الطلقاء لكن تألف قلوبهم على الاسلام فأعطاهم مائة مائة من الإبل وكان من جملة من أعطى مائة مائة بن عوف النضري واستعمله على قومه كما كان فاستدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ما إن رأيت ولا سمعت بكه * في الناس كلهم بمثل محمد * أوفى وأعطى الجزل إذا اجتدى
ومنى يشأ يجركمما في غد * وإذا الكنية عرفت أنباها * بالسهمري وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله * وسط للباء خادر في مرصد

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الشِّرْكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَا يُعَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُؤْتُوا الْجِزْيَةَ
حَنَ يَدْ وَيَهُمْ صَافِرُونَ)

أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتاً بنى للشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية وكان نزولها في سنة تسع ولهذا بث رسول الله ﷺ علياً سحبة أبي بكر رضي الله عنهما عاملاً وأمره أن ينادي في الشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . فأتى الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً . وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى (إِنَّمَا لِلشِّرْكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا) إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الأئمة . وقد روى مرفوعاً من وجه آخر فقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا شريك عن الأشعث بن ابن سوار عن الحسن عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ (لا يدخل مسجداً بعد علمنا هذا مشرك إلا أهل العهد وخدمهم) تفرد به الإمام أحمد مرفوعاً والوقوف أصح إسناداً . وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن أنعموا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأبغض نهي قول الله تعالى (إِنَّمَا لِلشِّرْكُونَ نَجِسٌ) وقال عطاء : الحرم كله مسجد لقوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد علمهم هذا) ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح « للؤمن لا نجس » وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم ، وقال أشعث عن الحسن من سافهم فليترسأ . رواه ابن جرير . وقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال محمد بن إسحق وذلك أن الناس قالوا لنظمن عنا الأسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من اللراق فأنزل الله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) من وجهه بذلك (إِنْ شَاءَ) إلى قوله (وَهُمْ صَافِرُونَ) أي هذا عوض ما خوّفتم من قطع

تلك الأسواق فوضهم الله مما قطع أمر الشرك ما أعظم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ، وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقادة والضحاك وغيرهم (إن الله عليم) أى بما يصلحكم (حكيم) أى فيما يأمر به وينهى عنه لأنه الكامل في أفعاله وأقواله العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالى ولهذا عرضهم عن تلك الكسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل السنة . وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يسطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل ولا بما جاءوا به وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمرهم باتباعه فلا جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عنده . بل لحظوا ظم وأهوائهم فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم ، ولهذا قال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب) وهذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تعهدت أمور للشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا واستقامت جزيرة العرب أمر الله ورسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم فأوعبوا معه واجتمع من للقتال نحو من ثلاثين ألفاً وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من اللاتقين وغيرهم وكان ذلك في عام جدب ووقت قحط وحر وخرج رسول الله ﷺ يريد الشام لقتال الروم فيلحق ببولس فزل بها وأقام بها قريبا من عشرين يوما ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سأل يانه بعد إن شاء الله تعالى . وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالجوس كما صح فيه الحديث أن رسول الله ﷺ أخذ من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله : بل تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من الشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب . وقال الإمام مالك : بل يجوز أن تقرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ومجوسى ووثني وغير ذلك ولما أخذ هذه للذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم . وقوله (حتى يسطوا الجزية) أى إن لم يسلموا (عن يد) أى عن قهر لم وغلبة (وهم صاغرون) أى ذليون خثيرون مهانون فلهذا لا يجوز إعزاز أهل السنة ولا رفضهم على المسلمين بلهم أذلاء صغرة أضعفهم كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « لا يثدوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا تم أحدكم في طريق فاضطروهم إلى أضيئه » ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تلك الشرط اللزوق في إذلالهم وتقصيرهم وتخفيفهم وذلك بما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال : كتبت لعمري بن الخطاب رضى الله عنه حين صلح نصارى من أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينته كندا وكندا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأخشنا وفدائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيها حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلعة ولا صومعة راهب ولا يجند ما خرب منها ولا نجي منها ما كان خطا للمسلمين وأن لا تمنع كنائسنا أن يتزما أحد من المسلمين في ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها لليلة وابن السبيل وأن نزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا تؤوى في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا ولا نسكم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرائن ولا نظهر شركا ولا ندعو إليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوى قرابتنا الفحول في الإسلام إن أرادوه وأن نوفر المسلمين وأن نهم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ولا تشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا لبين ولا فرق شعر ولا تكلم بكلامهم ولا نكسب بكنائهم ولا نركب السروج ولا نقتلد السيوف ولا

تتخذ شيئاً من السلاح ولا تحمله معنا ولا تنقش خواتمنا بالعمية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادير رءوسنا وأن نلزم زينا حثيثاً كنا وأن نعد الزنا تير على أوساطنا وأن لا نظهر الصليب على كنايسنا وأن لا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نصرب نواقيسنا في كنايسنا إلا ضرباً خفيفاً وأن لا نرفع أصواتنا بالقرادة في كنايسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج سمائين ولا بومثا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر الثيزان معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين وأن نرعد للمسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم . قال فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه ولا نصرب أحداً من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المائدة والشقاق

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ مُزَبَّرٌ إِلَيْنَا إِنَّهُ لَشَيْءٌ مُسْتَعْزِلٌ وَقَالَتِ الْنَصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَلَمْ يُؤَفِّكَوْا أَنْتُمْ وَأَحِبُّرُهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهُاً وَحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقاتلتهم هذه القالة الشنيعة والفرية على الله تعالى فأما اليهود فقالوا في العزيز إنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن المائدة لما غلبت على بني إسرائيل قتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقى العزيز يركب على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جنون عيني فيينا هو ذات يوم إذ مر على جانة وإذا امرأة تكي عند قبر وهي تقول : وأعطاهم وأكاسياه فقال لها : ويحك من كان يطعمك قبل هذا ؟ قالت الله قال : فإن الله حي لا يموت ، قالت يا عزيز فمن كان يقيم قبر العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله . قالت فلم تكي عليهم ؟ مضى على ما مضى . ثم قيل له انزع إلى نهر كذا اغتسل منه وصل هناك ركعتين فانك ستلقى هناك شيئاً فلما طعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فلذا الشيخ فقال له انتفع فك انتفع ففتح فله فأتى فيه شيئاً كهيئة الجرة العظيمة ثلاث مرات فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالثورة فقال يا بني إسرائيل قد جشتم بالثورة فقالوا يا عزيز ما كنت كذاباً فبعد فربط على أصبع من أصابعه قلما وكتب التوراة بأصبعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع الماء أخبروا بشأن عزيز فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحاً فقال بعض جهلهم إنما صنع هذا لأنه ابن الله . وأما خلال النصارى في السبع فظاهر ، ولهذا كذب المسيحاه الطافتين فقال (ذلك قولهم بأفواههم) أي لا مستند لهم فيها ادعوه سوى اقتراحهم واختلاقهم (يضاهون) أي يشابهون (قول الذين كفروا من قبل) أي من قبلهم من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله (آل يؤفكون) أي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويبدلون إلى الباطل ؟ وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله واليسع ابن مريم) روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تصر في المجاهلية فأمرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله ﷺ قدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال: قلت إنهم لم يسجدوا فقال : بل إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم بإلهامهم وقال رسول الله ﷺ : يا عدي ما تقول ؟ أيسرك أن يقال الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ما يشرك أيسرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله ؟ ثم دعاه

إلى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال « إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون »
وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرها في تحسير (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)
إنهم أبغضهم فيها حللوا وحرموا ، وقال السدي : استقصوا الرجال ونيلوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى
(وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم
به فقد (لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأفساد
والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب (أن يطفئوا نور الله) أي ما بهت به رسول الله
ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وانقراهم فثلثم في ذلك كذل من يريد أن يطفى شمع الشمس أو نور
القمر بنفخه وهذا لا يميل إليه فكلنا ما أرسل به رسول الله ﷺ لا بد أن يتم ونظهر ولهذا قال تعالى مقابلا
لهم فيها راموه وأرادوه (وبأي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) والكافر هو الذي يستر الشيء وينطفئ ومنه
سمى الليل كافرا لأنه يستر الأشياء والأزواج كافرا لأنه يطفى الحب في الأرض كما قال (بسبب الكفار بانه) ثم قال تعالى
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو ما جاء به من الأخبار الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع
ودين الحق هو الأعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة (ليظهره على الدين كله) أي على سائر الأديان كما ثبت في
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله زوى لي الأرض مشارقتها ومغارها ويسيل ملك
أمن مازوى لي منها » ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت شقيق بن حيان
يحدث عن مسعود بن قبيصة أوقيصه بن مسعود يقول : صلى هذا الحي من حارث الصبح فلما صاوا قال شاب منهم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغارها ، وإن سماها في النار
إلا من اتقى الله وأدى الأمانة » . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو الليث حدثنا صفوان حدثنا سلم بن عامر عن نعيم
الداري رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليلنن هذا الأمر ما بين الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت
مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يمزجيزا وينزل ذليلا ، عزاء بين الله به الاسلام وذلا بين الله به الكفر » فكان
نعيم الداري يقول قد عرفت ذلك أهل بيتي قد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز وقد أصاب من كان كافرا منهم
الذل والصغار والجزية .

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سلم بن عامر قال سمعت
التقصاد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة
الاسلام يمزجيزا ، وينزل ذليلا أما يميز الله فيجعلهم من أهلها ، وأما ينلهم فيدينون لها » وفي السند أيضا حدثنا
محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي حذيفة عن عدي بن حاتم معه يقول دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال « يا عدي أسلم تسل » قلت إني من أهل دين قال « أنا أعلم بدينك منك » قلت أنت
أعلم بدين مني ؟ قال « نعم ألت من الركونية وأنت تأكل مرباع قومك ؟ » قلت بلى قال « فإن هذا لغللك
في دينك » قال فلم يبد أن قالها فتواضعت لها ، قال « أما إني أعلم ما أتى بينك من الاسلام ، تحول أنا أبعه
شعبة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتراف الحيرة ؟ » قلت لم أرها وقد سمعت بها ، قال « فوالله نسي يده
ليمنن الله هذا الأمر حتى تخرج الظلمة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد وتفتحن كنوز كسرى بن
هرمز » قلت كسرى بن هرمز ؟ قال « نعم كسرى بن هرمز ، وليذلن الليل حتى لا يقبه أحد » قال عبد بن ساتم : فهذا

الظنية تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت حين فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفس يده لشكوني الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها . وقال مسلم حدثنا أبو من زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يذهب الليل والنهار حتى تميد اللات والعزى » قلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) الآية أن ذلك تام ، قال « إنه سيكون بين ذلك ما شاء الله عز وجل ، ثم يمت الله ربحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من الأخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم »

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْيَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ نُحْثِي عَنْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَنُكْوِي بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجَنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَنُكْوِي بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجَنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَنُكْوِي بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجَنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

قال السدي : الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فإن الأحبار علماء اليهود كما قال تعالى (لولا ينهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السمح) والرهبان عباد النصارى والقسيسون عساكرهم كما قال تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين وربها) وللقصود التحذير من علماء سوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى . وفي الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » قالوا اليهود والنصارى ؟ قال « فن ؟ » وفي رواية فارس والرزم قال « فمن الناس إلا هؤلاء » والجاصل التحذير من التشبه بهم في أموالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناسبتهم ورأيتهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم حنهم خرج وهديا وضراب بجى إليهم فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طبعنا منهم أن تبقى لهم تلك الرسلات فأطاعها الله بنور النبوة وسلمهم إليها وعوضهم الليل والصغار وبادوا بنصب من الله تعالى . وقوله تعالى (وصدون عن سبيل الله) أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعوون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا يصرون . وقوله (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) الآية . هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس فإن الناس ثلاثة على العلماء وعلى العباد وعلى أبواب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين إلا للوك * وأحبار سوء وrehبانها

وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر هو المال الذي لا تؤدى زكاته ، وروى الثوري وغيره عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز ، وقد روى هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفا ومروفا ، وقال عمر بن الخطاب نحوه أيا ما مال أميت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض ، وأيا ما مال لا يؤد زكاته فهو كنز يكون به صاحبه وإن كان على وجه الأرض ، وروى البخاري من حديث الثوري عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلنا الله طهرة للأموال ، وكلنا قال عمر بن العزيز وعراك بن مالك نسخها قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . وقال سعيد بن محمد بن زياد عن أبي أمامة أنه قال : حلية السيوف من الكنز . ما أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن

هيرة عن علي رضي الله عنه قال : أربعة آلاف فادونها ثقة فإكان أكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب وقد جاء في معجم الثقل من الذهب والفضة ودم التسكر منها أحاديث كثيرة. ولنورد منها هنا طرفا يدل على الباقي قال عبد الرزاق أخبرنا الثوري أخبرني أبو حسين عن أنس الضمعي عن جعدة بن هيرة عن علي رضي الله عنه في قوله (والدين يكتزون الذهب والفضة) الآية . قال النبي ﷺ « تبا للذهب تبا للفضة » يقولان ثلاثا قال فقضى ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا فأى مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ قال « لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال « تبا للذهب والفضة » قال وحدثني صاحب أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله قولك « تبا للذهب والفضة » ماذا تدخر ؟ قال رسول الله ﷺ « لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين على الآخرة »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال : لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا فأى المال نتخذ ؟ قال عمر فأنا أعلم لكم ذلك فأوضح على بغير فادركه وأنا في أمره فقال يا رسول الله أى المال نتخذ ؟ قال « قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة » ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن سالم بن أبي الجعد وقال الترمذي حسن وحق عن البخاري أن سالما لم يسمعه من ثوبان قلت ولهذا رواه بعضهم عنه مرسل والله أعلم

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا حميد بن مالك حدثنا يحيى بن عيسى المحاربي حدثنا أبي حدثنا غيلان بن جامع المحاربي عن عثمان بن أبي اليقطين عن جعفر بن أبي إياس عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (والدين يكتزون الذهب والفضة) الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا بيع لولده ما يلقى بهه فقال عمر : أنا أخرج عنكم فانطلق عمر وأبيه ثوبان فأى النبي ﷺ قال : يا بني الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية . فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب بها ما يلقى من أموالكم وإنما فرض للوارث من أموال تبقى بدمكم » قال فكبر عمر ثم قال له النبي ﷺ « ألا أخبرك بخير ما يكتز للره ؟ للرأفة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته » ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث يحيى بن عيسى به وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان عداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لعلاه اثنتا بالسفرة فثبت بها فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزعمها غير كفى هذه فلا غفطوها على واحتفظوا ما أقول لكم سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسئلك ما تعلم إنك أنت علام الغيوب »

وقوله تعالى (يوم يحسب عليا في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأفئكم فتدقوا ما كنزتم يكتزون) أى قال لهم هذا السلام بكيئا وتقرينا وتهككا كما في قوله (ثم صبرا فوق رأسه من عذاب الجحيم) « ذق إنك أنت العزيز الكريم » أى هذا بذك وهذا الذى كنزتم تكتزون لأفئكم ولهمنا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء ما كان جمع هذه الأموال آخر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدا في عبادة رسول الله ﷺ وامرأته تمينه في ذلك كانت يوم القيامة عونا على عذابه أيضا في جدها أى عنها جبل من مسد أى تجمع من الحطب في النار وتلقى عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه بمن هو أشفق عليه في الدنيا

كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيجمل عليها في نار جهنم وناهيك غيرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود : وأبى إلا غيره لا يكوى عبد يكتز فيمس دينار ديناراً ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدة ، وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً ولا يصح رفعه والله أعلم والله عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال بلغني أن الكثر يتحول يوم القيامة شجاعاً يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول : أنا كثر لا يدرك منه شيئاً إلا أخذه . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان أن رسول الله ﷺ كان يقول « من ترك بيده كثر مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول وملك ما أنت ؟ فيقول أنا كثر الذي تركته بعدك ولا يزال يتبعه حتى يلقيه بيده فيقتضيه ثم يقبضه إلى جسد » ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد عن سعيد به وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل لا يؤذي زكاته ما له إلا أجل له يوم القيامة صناع من نار فيكوى بها جنبه وجهه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر تمام الحديث . وقال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حسين عن زيد بن وهب قال مررت على أبي ذر بالربذة قلت ما أتاك بهذه الأرض ؟ قال كنتا بالشام فقرأت (والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيصرم يبذاب أليم) فقال معاوية ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب ، قال قلت إنها لقينا وفيهم ورواه ابن جرير من حديث عبيد بن القاسم عن حسين عن زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه فذكره وزاد فأرضع في ذلك بيني وبينه القول فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلى عثمان أن أقبل إليه قال فأقبلت إليه فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك إلى عثمان فقال لي تتبع قريباً قلت والله لن أدع ما كنت أقول (قلت) كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال وكان يفتي بذلك ويحرم عليه وبأمرهم به ويغلظ في خلافته قتله معاوية فلو بعته ففخس أن يضرب بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وأن يأخذه إليه فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالربذة وحده وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان . وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عنده هل يوافق عمله قوله فبعث إليه بألف دينار فقرأها من يومه ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال إن معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت فها هو الذهب فقال وبها كنت إنما خرجت ولكن إذا جاء مالي حاسبتك به وهكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها عامة وقال السدي هي في أهل القبة وقال الأخفش بن قيس قدمت للمدينة فينا أنا في حلقة فيها ملا من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه قدام عليهم فقال . بشر الكنازين برضف يجمع عليه في نار جهنم فيوضع على حلقة تدعى أحدم حتى يخرج من تنس كفه ويوضع على تنس كفه حتى يخرج من حلقة يديه يتزول قال نون بن القومر وهو سمها رأيت أحداً منهرج إلى شيء قال وأدبر فابسته حتى جلس إلى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم ، قال إن هؤلاء لا يطمون شيئاً وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر « ما يسرنى أن عندى مثل أحد فها يمر على ثلاثة أيام وعندى منه شيء إلا دينار أرسده لدين » فهذا والله أعلم هو الذي حدا أبا ذر على القول بهذا

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه أنه كان مع أبي ذر فخرج عطاءً ومعه جارية فبعتت فبعتت حواشيها ففضلت منها سبعة فأمرها أن تشتري به فلوا قال قلت لو ادخرته لحاجة يوتك وللضيف ينزل بك قال إن خليلي عهد إلى أن يأخذ ذهب أو فضة أو كوكب عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل . ورواه عن يزيد عن حماد به وزاد إفراطاً

وقال الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي بكر الشبلي في ترجمته عن محمد بن مهدي حدثنا عمر بن أبي سلمة عن صدقة ابن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة الأرماني عن عطاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الق الله قصيرا ولا تلقه غنيا » قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال « ما سئلت فلا تمنع ، وما رزقت فلا تخاف » قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال رسول الله ﷺ « هو ذلك والإلتفات » إسناده ضيف

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عينة عن يزيد بن الصرم قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول مات رجل من أهل السنة وترك دينارين أو درهمين فقال رسول الله ﷺ « كيتان صاوا على صاحبك » وقد روى هذا من طرق أخرى ، وقال قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة سدي بن عجلان قال مات رجل من أهل السنة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله ﷺ « كية » ثم توفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيتان » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الفراء يروي حدثنا معاوية بن يحيى الاطرابلسي حدثني أرطاة حدثني أبو عامر الهوزني سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن رجل يموت وعنده أحر أو أبيض إلا جعل الله بكل قيراط منعة من نار يكوى بها من قدمه إلى ذقنه » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمود بن خدش حدثنا سيف بن محمد الثوري حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يوضع الدينار على الدينار ، ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوضع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هكذا ما كنتم لأشكم فتدقوا ما كنتم تكتزون » سيف هذا كذاب متروك

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَغْلُوا فِيهِمْ أَنْكُصُكُمْ وَقْتُوا لِمَن كَفَّهَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلُوا أَنْ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ »

قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة فقال « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ثم قال « أي يوم هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « أليس يوم النحر » قلنا بلى ثم قال « أي شهر هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « أليس ذا الحجة » قلنا بلى ثم قال « أي بلد هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : « أليست البلدة ؟ » قلنا بلى قال « فإن دماءكم وأموالكم - وأحسبه قال - وأهراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . وستقون ربكم فيأكلكم عن أعماركم إلا لاترجعوا بعدى ضلالا يضرب بسنك رقاب بعض الأهل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلفل من يبلغه يكون أوفى له من بعض من صممه » ورواه البخاري في التفسير وغيره . ومسلم من حديث أيوب عن محمد وهو ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به ، وقد قال ابن جرير حدثنا معمر حدثنا روح حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ورواه البزار عن محمد ابن معمر به . ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، وقد رواه ابن عون وقرع عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به ، وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا زيد ابن جباب حدثنا موسى بن عبيدة الربذي حدثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله ﷺ في حجة

الوداع يعني في أوسط أيام التشريق فقال « ثبها الناس إن الزمان قد استدار فبها اليوم كييته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة وذو الحجة والمهرم » وروى ابن مردويه من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مشه أو نحوه وقال حماد بن أسامة حدثني علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمه وكانت له صبيحة قال كنت أخذنا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أذود الناس عنه فقال رسول الله ﷺ « ألا إن الزمان قد استدار كييته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظفروا فيها أنفسكم » وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن السلمي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (منها أربعة حرم) قال حرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة . وقوله ﷺ في الحديث « إن الزمان قد وثبت استدار كيياته يوم خلق الله السموات والأرض » تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه ، وثبتت للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير تحدي من غير تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، ولا نسي ولا تبديل كما قال في تحريم مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة » وهكذا قال ههنا « إن الزمان قد استدار كيياته يوم خلق الله السموات والأرض » أي الأمر اليوم شرعا كما أيسع الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض ، وقد قال بعض التفسيرين والتكلمين على هذا الحديث إن الراد بقوله « قد استدار كييته يوم خلق الله السموات والأرض » أنه اتفق أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة وأن العرب قد كانت نبات النسيء يحجون في كثير من السنين بل أكثرها في غير ذي الحجة وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة وفي هذا نظر كاسنينة إذا تسكنا على النسيء وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في حجة حديث أنه اتفق حج المسلمين واليهود والصاري في يوم واحد وهو يوم النحر فقام حجة الوداع والله أعلم . (فصل) ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزءه سماه (للشهور في أسماء الأيام والشهور) أن الحرم متى بذلك لكونه شهرا محررا ، وعندى أنه متى بذلك تأكيذا لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتعله عاما وتحرمه عاما قال ويجمع على حرمت وعارم وعاريم ، ومفرمى بذلك فلو يوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار يقال صفر السكان إذا خلا ويجمع على أفسار كجمل وأجمال ، وشهر ربيع الأول متى بذلك لارتباطهم فيه والارتباط الإقامة في حجارة الربيع ويجمع على أرباء كصيب وأنصاء وعلى أربعة كغيف وأرغفة ، وربيع الآخر كالأول . جمادى متى بذلك لجود للماء فيه ، قال وكانت الشهور في حسابهم للندور ، وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة فلا بد من دوراتها فلم لهم موهو بذلك أول ما سمى عند جمود الماء في البرد كاتال الشاعر .

وليلى من جمادى ذات أندية • لا يصير العيد في ظلماتها الطنبا

لا يلبس الكلب فيها غير واحدة • حتى يلف على خرطومها الدنيا

ويجمع على جمادات كجماري وجاريات وقد يذكر ويؤث فيقال جمادى الأولى والأول وجمادى الآخر والآخرة . رجب من الترجيب وهو التنظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات . شعبان من تشعب القبائل وفتحها للفتارة ويجمع على شعباين وشعبانات . رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وأرضفة قال وقول من قال إنه اسم من أسماء الله خطأ لا يرجع عليه ولا يلتفت إليه ، قلت قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف ويثبت في أول كتاب الصيام . شوال من شالت الإبل بأذنانها للطراق قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات . القعدة بفتح القاف : قلت وكسرها . لعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة . الحجة بكسر الحاء قلت وفتحها متى بذلك لإيقاعها الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة ، أسماء الأيام أولها الأحد ويجمع على أحاد وأوحد ووجود ، ثم يوم الاثنين ويجمع على أثنين الثلاثاء يد ويذكر ويؤث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث ثم الأرباء بالمد ويجمع على أرباوات وأربايع والخميس يجمع على أخمسة وأخامس ثم الجمعة يضم للميم ويسكتها وفتحها أيضا ويجمع على جمع وجماعات ، السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانهاء العدد عنده وكانت العرب تسمى الأيام أول ثم أمون ثم

جبار ثم ديار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار ، قال الشاعر : من العرب العاربة المتقدمين :
أرجى أن أعيش وإن يوحى * بأول أو يأمون أو جبار * أو التالى ديار فإن أفته * فؤنس أو عروبة أو شيار
وقوله تعالى (منها أربعة حرم) فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه وهو الذى كان عليه جمهورهم إلا
طائفة منهم يقال لهم البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقا وتشديدا ، وأما قوله * ثلاثة متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرّم ورجب مضر الذى بين جدادى وشعبان * فإيضا أضافه إلى مضر ليبين صحة قوله فى رجب أنه الشهر
الذى بين جدادى وشعبان لا كما نظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذى بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم
فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد ، لأجل
أداء مناسك الحج والعمره فحرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة لأنهم يقدمون فيه عن القتال وحرم شهر
ذى الحجة لأنهم يقيمون فيه الحج ويستأنفون فيه بأداء المناسك وحرم بعده شهرا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى
بلادهم آمنين ، وحرم رجب فى وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتبار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب
فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا ، وقوله (ذلك الدين القيم) أى هذا هو الصرع للسنن من امتثال أمر الله فاجمل
من الأشهر الحرم والخلو بها على ما سبق فى كتاب الله الأول قال تعالى (فلا تظلموا فيه أنفسكم) أى فى هذه الأشهر
المحرمة لأنها أكّد وأبلغ فى الإثم من غيرها كما أن للمصطفى فى البلد الحرام تخاضع لقوله تعالى (ومن يرد فيه الجأذ
ينظّم نذقه من عذاب أليم) وكذلك الشهر الحرام تنظّم فيه الآثام ، ولهذا تكلّف فيه الفدية فى مذهب الشافعى وطائفة
كثيرة من العلماء ، وكذلك حق من قتل فى الحرم أو قتل ذا حرم ، وقال حماد بن سلمة عن عبد بن يزيد عن يوسف بن
مهران عن ابن عباس فى قوله (فلا تظلموا فيه أنفسكم) قال فى الشهور كلها ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس
قوله (إن عدة الشهور عند الله) الآية فلا تظلموا فيه أنفسكم فى كلهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهم حراما
وعظم حرمتهم وجعل الذنب فيه أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم وقال قتادة فى قوله (فلا تظلموا فيه أنفسكم)
إن الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يظلم
من أمره ما يشاء ، وقال : إن الله اصطفى صنفا من خلقه ، اصطفى من اللاتكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من
الكلاب ذكره ، واصطفى من الأرض للساجد واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم واصطفى من الأيام
يوم الجمعة واصطفى من الليالى ليلة القدر فظنوا ما عظم الله . فإيضا تعظيم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل
الفعل وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن الحنفية بأن لا تحرموهن كحرمتهن وقال محمد بن إسحق
(فلا تظلموا فيه أنفسكم) أى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فإيضا النسب الذى كانوا
يصنعون من ذلك زيادة فى الكفر (يضل به الدين كفروا) الآية ، وهذا القول اختيار ابن جرير وقوله (وقالوا للشركين
كأنه) أى جسيم (كما يقاتلونكم كأنه) أى جسيم (واعلموا أن الله مع المتقين) وقد اختلف العلماء فى تحريم ابتداء القتال
فى الشهر الحرام هل هو منسوخ أو يحكم على قولين (أحدهما) وهو الأشهر أنه منسوخ لأنه تعالى قال ههنا (فلا تظلموا
فيه أنفسكم) وأمر بقتال الشركين ، وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أمرا عاما ولو كان محرما فى الشهر الحرام
لأوشك أن يقيد بانسائها ولأن رسول الله عليه السلام حاصر أهل الطائف فى شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت فى
الصحيحين أنه خرج إلى هوازن فى شوال فلما كسروهم واستقاموا لهم ورجع فلم يجرأ إلى الطائف قصد إلى الطائف
فحاصروهم أربعين يوما وانصرف ولم يفتحها فثبت أنه حاصر فى الشهر الحرام والقول الآخر أن ابتداء القتال فى الشهر الحرام
حرام وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعار الله والشهر الحرام) وقال (الشهر
الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا) بثل ما اعتدى عليكم) الآية وقال (فإذا انسحق
الأشهر الحرم فاقاتلوا الشركين) الآية وقد هدم أنها الأربعة للثورة فى كل سنة لا أشهر التفسير على أحد القولين . وأما قوله
تعالى (وقالوا للشركين كأنه يقاتلونكم كأنه) فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه حكم مستأنف ويكون من باب التيسير

والتضيض أى كما يجمعون لحريم إذا حاربوكم فاجتمعوا أتم أيضا لم إذا حاربهم وقتلهم بنظير ما يملكون ،
وعتدل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداية منهم كما قال تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام
والعمرات قصاص) وقال تعالى (ولا تخافوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه فإن قاتلكم فقاتلوه) الآية وهكذا
الجواب عن حصار رسول الله ﷺ أهل الطائف واستصعابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام فانه من تمتة قتال
هو وزن وأحلافها من حفيف فانهم هم الذين ابتدءوا القتال وجسوا الرجال ودعوا إلى الحرب والتزال فندمها قصدتم
رسول الله ﷺ كما تقدم فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم فقاتلوا من المسلمين وقتلوا
جماعة ، واستمر الحصار بالمنايا وغيرها قريبا من أربعين يوما ، وكان ابتداء في شهر حلال ودخل الشهر
الحرام فاستمر فيه أياما ثم قتل عنهم لأنه ينتشر في الدوام مالا ينتشر في الابتداء ، وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة والله أعلم
ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك (١) وقد حررنا ذلك في السيرة والله أعلم

(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَلَمَاً وَيَحْرِمُونَ عَلَمَاً لِّيُؤْثِرُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُرَّ لَهُمْ مُوَاهِدُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

هذا ما رواه الله تعالى به للمشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة ،
وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله ، فانهم كان فيهم من القوة الضعيفة والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر
الثلاثة في التحريم للثمن لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أجدثوا قبل الإجماع بمدة تحليل الحرم
فأخرجوه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليؤثروا عدة ما حرم الله الأشهر الأربعة كما قال
شاعرهم وهو محمد بن قيس المعروف بجمل الطعان

قد علمت معداً بأن قومي • كرام الناس إن لم كراما • ألسنا الناسين على معد
شهور الحل يحلها حراما • فأى الناس لم ندرك بوتر • وأى الناس لم نطك لجلم

وقال بن عمر بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما النسء زيادة في الكفر) قال النسء أن جادة بن حوف بن أمية
الكناني كان يوافي للوسم في كل عام وكان يكنى أبا غامة فينادى ألا إن أبا غامة لا يحاب ولا يباب ألا وإن صفر
العام الأول العام حلال فيجبه للناس فيحرم صفرنا عاما ويحرم الحرم عاما فذلك قول الله (إنما النسء زيادة في
الكفر) يقول يتركون الحرم عاما وعاما يحرمونه ، وروى الواسطي عن ابن عباس نحوه ، وقال ليث بن أبي سليم عن
عبد الله بن جابر عن ابن عباس في قوله (إنما النسء زيادة في الكفر) قال هذا رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى اللوسم على حمار له فيقولون أيها الناس : إني لا أعاب ولا أجاب ولا مرد
لما أقول ، إنا قد حررنا الحرم وأخرنا صفر - ثم يجيء العام للقبل بسنة فيقولون مثل مقالته ويقول إنا قد حررنا صفر
وأخرنا الحرم فهو قوله (ليؤثروا عدة ما حرم الله) قال يعني الأربعة فيحلوا ما حرم الله بتأخير هذا الشهر الحرام ،
وروى عن أبي وائل والضحاك وقادة نحو هذا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (إنما النسء زيادة في
الكفر) الآية . قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس وكان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يبرئهم من بعض
في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتله ولا يبعد إليه يده ، فلما كان هو قال أخرجوا بنا قاتلوا له هذا الحرم قال تنسسه العام
ما العلم صفران ، فإذا كان العام القابل قضينا جلناهما محرمين ، قال فقتل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تقربوا في
صفر حرموه مع الحرم ما محرمان ، فهذه صفة غريبة في النسء وفيها نظر لأهم في عام إنما يحرمون على هذا ثلاثة
أشهر قسط وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من قوله تعالى (يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليؤثروا
عدة ما حرم الله) وقد روى عن مجاهد مئة أخرى غريبة أيضا فقال عبد الرزاق أنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد
في قوله تعالى (إنما النسء زيادة في الكفر) الآية ، قال : فرض الله عز وجل الحج في ذي الحجة ، قال وكان للمشركون

(١) لم يذكر للصف رحمه الله الأحاديث التي وعد بها تقدير

يسمون ذا الحجة الحرم وصفر وريبع وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة
وذا الحجة يجزون فيه مرة ثم يسكنون عن الحرم ولا يذكرونه ثم يعودون فيسمون سفرا ، ثم يسون رجب
جمادى الآخر ، ثم يسون شعبان رمضان ، ثم يسون شوالا رمضان ، ثم يسون ذا القعدة شوالا ، ثم يسون
ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسون الحرم ذا الحجة فيجزون فيه واحدة عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمثل هذه الصفة
فكانوا يجزون في كل شهر عامين حتى إذا وافق حجة أبى بكر الآخر من السابقين في ذى القعدة ، ثم حج النبي صلى الله
عليه وسلم حجة التي حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر أيضا وكيف تصح حجة أبى بكر
وقد قست في ذى القعدة وأنى هذا ؟ وقد قال الله تعالى (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله
بريء من المشركين ورسوله) الآية وإنما نودى به في حجة أبى بكر فلو لم تكن في ذى الحجة لما قال تعالى (يوم الحج
الأكبر) ولا يلزم من فعلهم النسب هذا الذي ذكره من دوران السنة عليهم وحجهم في كل شهر عامين فإن النسب
حاصل بدون هذا فاتهم لما كانوا يحلون شهر الحرم عاما محرمون عوضه صفرا وبعدة ربيع وريبع إلى آخر السنة
بحالها على نظامها وعينها وأسبأ شهورها ثم في السنة الثانية محرمون الحرم ويتروكونه على محرمه وبعده صفر وريبع
وريبع إلى آخرها (فيحلونه عاما ومحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) أى فيحرم أربعة أشهر
من السنة إلا أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة للتوالي وهو الحرم وتارة ينشئونه إلى صفر
أى يؤخرونها وقد قدمنا الكلام على قوله عليه السلام « إن الزمان قد استدار » الحديث أى إن الأمر في عدة الشهور
وتحريم ما حرم منها على ما سبق في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما تقدمت جهة العرب من فصلهم تحريم بعضها
بالنسبة عن بعض والله أعلم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا موسى
ابن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه قال : وقف رسول الله عليه السلام بالعبقة فاجتمع إليه من شاء الله
من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال « وإنا النسب من الشيطان زيادة في الكفر يشل به الدين
كفروا وحلونه عاما ومحرمونه عاما » فكانوا يحرمون الحرم عاما ويستحلون صفر ويستحلون الحرم وهو النسب وقد تكلم
الإمام محمد بن إسحق على هذا في كتاب السيرة كلابيا جيدا مفيدا حسنا قال : كان أول من نسا الشهور على العرب فأحل منها
ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل القلمس وهو حذيفة بن عبد قيس بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك
ابن كنانة بن خزاعة بن مدركة بن الياسر بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم من بعد عباد ابنه
قلح بن عباد ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبو عامر جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام فكانت
العرب إذا فرغت من حجاجها اجتمعت إليه فقام فيها خطيبا فحرم رجبيا وذا القعدة وذا الحجة وحل الحرم عاما ويحل
مكاته صفر ومحرمه عاما ليواطئ عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله بمنى ويحرم ما أحل الله والله أعلم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اهْجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقِمُوا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينَ بِالْحَيَاةِ
الْأُثْمَانِ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنْفَرُوا يَذَبِغْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَلِيَّاَ وَسَنُجَدِّلُ
قَوْمًا فَخَرَّكُمْ وَلَا تَقْصِرُوا شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك حين طابت آثار الظلال في عدة العرب
وحجارة القيط فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اهْجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى إذا دعيت إلى الجهاد
في سبيل الله (انتقموا إلى الأرض) أى تكاسمت وملتزم إلى اللتام في البعة والخفص وطيب الثمار (أرضيت بالحياة الدنيا
من الآخرة) أى المالك فلتكم هكذا راضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ، ثم زهد ببارك وتعالى في الدنيا ، ووجب

في الآخرة فقال (لما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) كما قال الإمام أحمد . حدثنا وكيع وعجي بن سعيد قالا حدثنا
إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن السوردي أخى بن فهر قال : قال رسول الله ﷺ « ما الدنيا في الآخرة إلا كما
يحمل أحدكم أسبغة هذه في المم يلفظ بها ترجع ؟ » وأشار بالسبابة أخرج مسلم . وروى ابن أبي حاتم
حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بمجموع حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الوهبي حدثنا زياد بن أبي الجصاص
عن أبي عثمان قال : قلت يا أبا هريرة سمعت من إخواني بالبصرة أنك تقول سمعت نبي الله ﷺ يقول « إن الله
يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة » قال أبو هريرة بل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يجزي بالحسنة ألفي
ألف حسنة » ثم تلا هذه الآية (لما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) قال الدنيا ماضى منها وما بقى منها عند الله
قليل . وقال الثوري عن الأعمش في الآية (لما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) قال كزاد الراكب وقال عبد العزيز
ابن أبي حازم عن أبيه لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة . قال اتوفى بكفى الذى أ كفى فيه أنظر إليه فلما وضع
بين يديه نظر إليه فقال أملأى من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار إن
كان كثير لك قليل ، وإن كان قليل لك قصير ، وإن كنا منك لفي غزور . ثم تواعدتلى من ترك الجهاد فقال (لا اتفروا
يذهبكم عذابا أليما) قال ابن عباس : استغفر رسول الله ﷺ حيا من الرب فتأقلا عنه فأسكس الله عنهم القطر
فكان عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) أى لصرة نبيه وإقامة دينه كما قال تعالى (وإن تولوا يستبدل قوما غيركم)
ثم لا يكونوا أمثالكم (ولا تضروهم شيئا) أى ولا تضروا الله شيئا بتوليكم عن الجهاد ، ونكولكم وتناقصكم عنه
(والله على كل شيء قدير) أى قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم ، وقد قيل إن هذه الآية وقوله (واخروا خافا
وقشلا) وقوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) اتهم منسوخات بقوله تعالى
(وما كان المؤمنون ليغفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة) روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد
ابن أسلم ورده ابن جرير وقال إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله ﷺ إلى الجهاد فتبين عليهم ذلك فلو تركوه لموقبوا عليه
وهذا له اتجاه والفسحةاء وتعالى أعلم بالصواب

﴿إِذَا تَصَرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثَانِي اْتَيْنِيْنَ إِذْ هُمَا فِي التَّارِ إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ
لَا تَحْزَنْ إِنِّ االلهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَةً عَلَيْهِ وَاَيْدُهُ يَجْنُوْدُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَمَلْ كَلِمَةً الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَلْسَفُ لَ
وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ اَلْمَلِيْا وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾

يقول تعالى (الانصروه) أى تصبروا رسوله فان الله ناصر ومؤيد وكانه وحافظه كما تولى نصره (إذ أخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين) أى عام الهجرة لما هم للمشركون يقتله أو حبسه أو قبه فخرج منهم هاربا صيحة صديقه وصاحبه
أبى بكر بن أبى قحافة فلما إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسروا نحو المدينة فضل
أبو بكر رضى الله عنه بمنع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أدى فجعل النبي صلى الله عليه
وسلم يسكنه ويثبه ويقول « يا أبابكر ما ظنك باتين الله تائها » أقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أنبأ ثاب
عن أنس أن أبابكر حدثه قال : قلت لى ﷺ ونحن في النار لو أن أحدا منكم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت
قدميه قال فقال « يا أبابكر ما ظنك باتين الله تائها » أخرجاه في الصحيحين ، ولهذا قال تعالى (فأنزلنا السكينة
عليه) أى تأييده ونصره عليه أى على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل على أبى بكر ، وروى عن ابن عباس وغيره
قالوا لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكية وهذا لا ينافي بتجدد سكية خاصة بتلك الحال ولهذا قال (وأيدته بجنود
لم تروها) أى للملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) قال ابن عباس معنى بكلمة الذين كفروا
الشرك وكلمة الله هي لإله الإله . وفي الصحيحين عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقوله (والله عزيز) أي في انتقامه وانتصاره ، منيع الجانب لا يشام من لاد يباه ، واحتى بالتسليم بخطابه (حكيم) في أقواله وأفعاله

(أَفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

قال سفيان الثوري عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن مسيح : هذه الآية (افروا خفاا وثقالا) أول ما نزل من سورة براءة وقال معمر بن سلیمان عن أبيه قال : زعم حضري أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليا وكبرا فيقول إني لا آثم فأنزل الله (افروا خفاا وثقالا) الآية أمر الله تعالى بالتفريق العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في اللسطة والمكره والسر واليسر فقال (افروا خفاا وثقالا) وقال طي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة : كبروا وشبانا ما سمع الله عند أحد ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قتل وفي رواية قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية (افروا خفاا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فقال أرى ربنا استغفرا شيوخا وشبانا جهزوني يا بني ، فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات ففتحن فزوعنك فأبى فركب البحر فبات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها وهكذا روى عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح والحسن البصري وسهيل ابن عطية ومقاتل بن حيان والسعي وزيد بن أسلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية (افروا خفاا وثقالا) كبروا وشبانا وكذا قال عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان وغير واحد ، وقال مجاهد شبانا وشيوخا وأغنياء ومساكين وكذا قال أبو صالح وغيره وقال الحكم بن عتيبة : مشاغل وغير مشاغل ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (افروا خفاا وثقالا) يقول افروا انشاشا وغير نشاط ، وكذا قال قتادة وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (افروا خفاا وثقالا) قالوا لنا فينا الثقيل ولنا الحاجة والشدة والشلل والتيسر به أمره فأنزل الله وأبى أن يلزم دون أن يفروا (خفاا وثقالا) أي على ما كان منهم وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضا في السر واليسر وهذا كله من مقتضيات المصوم في الآية وهذا اختيار ابن جرير

وقال الإمام أبو عمرو الأزاعي إذا كان التفرق إلى دروب الروم نهر الناس إليها خفاا وركبانا وإذا كان التفرق إلى هذه السواحل نفروا إليها خفاا وثقالا وركبانا ومشاة وهذا تفصيل في السألة وقد روى عن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة) وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله ، وقال السدي قوله (افروا خفاا وثقالا) يقول غنيا وقبيرا وقويا وضعيفا فجاهد رجل يومئذ زعموا أنه للعداء وكان عظيميها ففكا إليه وسأله أن يأذن له فأبى فزلت يومئذ (افروا خفاا وثقالا) فلما نزلت هذه الآية اشتد على الناس ففسخها الله فقال (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله) وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أبو ب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدر ثم لم يخلف عن غزاة المسلمين إلا عاما واحدا قال وكان أبو أيوب يقول قال الله تعالى (افروا خفاا وثقالا) فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيل . وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة حدثني أبو راشد الحمراني قال وافيت للتدائن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من ثوابيت الصيارفة بمحس وقد فصل عنها من عظمه يريد الفرو فقلت له قد أعذر الله إليك قال أنت علينا سورة البعث (افروا خفاا وثقالا) قال ابن جرير حدثني حبان بن زيد الصرعبي قال نفروا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل أن تؤس إلى الحجابة فرأيت شيئا

كثيرا لما قد سقط حجابها على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أظفر فأقبلت إليه قتلته بإعم لقد أجدر الله إليك قال فرغ حجابيه فقال يا ابن أخي استغفرتنا الله غفلا وهالا ألا إنه من عبه الله يتبليه ثم يبيده الله فيقبيه وإنما يتل الله من عباده من شكر وسيرود ذكر ولم يبد إلا الله عز وجل . ثم رغب تعالى في النفقة في سيده وبلل للهج في مرضاته ومرضاته رسوله فقال (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي هذا خير لكم في الدنيا والآخرة لأنكم ترمون في النفقة قليلا فيضنكم الله أموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة كما قال النبي ﷺ « تكفل الله للجهاد في سيده إن توفاه أن يدهه الجنة ، أو يردّه إلى منزله بما نال من أجر أو غنيمة ولهذا قال الله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ومن هذا القليل ما رواه الإمام أحمد حدثنا محمد ابن أبي عدي عن حميد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « أسلم » قال أجدرني كارها قال « أسلم وإن كنت كارها »

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَآتَيْنَاكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَهَّلَ لَنَا الْيُسْرَى لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

يقول تعالى موثقا للذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك وقصدوا بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم ذوو أعدار ولم يكونوا كذلك فقال (لو كان عرضا قريبا) قال ابن عباس : غنيمة قريبة (وسفرا قاصدا) أي قريبا أيضا (لايتوبك) أي لكانوا جامعا معك لذلك (ولكن بدت عليهم الشقة) أي الساقة إلى الشام (وسهل لنا اليسرى) أي لك إذا رجعت إليهم (لو استطعنا لخرجنا معكم) أي لو لم يكن لنا أعدار لخرجنا معكم قال الله تعالى (يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون)

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَلَ الْكَافِرِينَ • لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ • إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾

قال ابن أبي حاتم . حدثنا أبو حسين بن سليمان الرازي حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال هل معتم بمجاعة أحسن من هذا ؟ نداء بالجو قبل المجاعة فقال (عفا الله عنك لم أذنت لهم) وكذا قال المورق السجلى وغيره . وقال قتادة جابجا كما سمعون ثم أنزل التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال (فإذا استأذنتكم لبعض شأنهم فأذن لمن هتفت منهم) الآية . وكذا روى عن عطاء الخراساني ، وقال بجاهد نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فان أذن لكم فاقصدوا وإن لم يأذن لكم فاقصدوا ، ولهذا قال تعالى (حتى يتبين لك الذين صدقوا) أي في إبداء الأعدار (ومعلم الكافرين) يقول تعالى هلا تركتم ما استأذنتكم فلم تأذن لأحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب فانهم قد كانوا مصرين على القعود عن القزو وإن لم تأذن لهم فيه . ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن القزو أحد يؤمن بالله ورسوله فقال (لا يستأذنتك) أي في القعود عن القزو (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) لأنهم يرون الجهاد غربة ولا تدبهم إليه بادرأ وامتلأوا (والله عليم بالمتقين) أي يستأذنتك) أي في القعود من لا عذر له (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم (وارتابت قلوبهم)

أى شكت فى صفة ما حجهتم به (فهم فى ربههم يترددون) أى يتحيرون يضلون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابته فى شيء فهم قوم حيارى هلكت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله قلن نجد له سبيلا

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۖ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعَوْنَكُمْ أَلْفَتَةً وَيَعِلمُ السَّمْعُونَ لَهُمْ وَأَلَّهُ عَليمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

يقول تعالى (ولو أرادوا الخروج) أى ملك إلى القزو (لأعدوا له عدة) أى لكانوا تأهبوا له (ولكن كره الله انبعاثهم) أى أبغض أن يخرجوا ملك قدراً (ثبطهم) أى أخرجهم (وقيل اعدوا مع القاعد) أى قدرا ثم بين تعالى وجه كراهته لخروجهم مع المؤمنين فقال (لوخرجوا فيكم مازادكم إلا خبالاً) أى لأنهم جنباء غدولون (ولأوضعوا خلالكم بينكم ألفتة) أى ولأسرعوا السير ولأشيتكم بالخمسة والضياء والفتنة (وفيكم سماعون لهم أى مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم يستحسنونهم وإن كانوا لا يملكون حالم فيؤدى إلى وقوع شر بين المؤمنين وقساد كبير . وقال مجاهد وزيد بن أسلم وابن جرير (وفيكم سماعون لهم) أى عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم : وهذا لا يقق إلا اختصاص بخروجهم معهم بل هذا عام فى جميع الأحوال واللفظ الأول أظهر فى المناسبة للسباق وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين . وقال محمد بن إسحق كان الذين استأذنوا فيها بلش من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن ساول والجد بن قيس وكانوا أشرفا فى قومهم ثبطهم الله لعله بهم أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل حجة لهم وطاعة فى يدعوهم إليه لشرافهم فيهم فقال (وفيكم سماعون لهم) ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال (والله عليم بالظالمين) فأخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، ولهذا قال تعالى (لوخرجوا فيكم مازادكم إلا خبالاً) فأخبر عن حالم كيف يكون لوخرجوا ومع هذا ماخرجوا قال تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اتقوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبوتا ۖ ولذا لا ينابهم من لدنا أجر أعظما ۖ ولهدى بينهم صراطا مستقيما) والآيات فى هذا كثيرة

﴿لَقَدْ أَتَقَوْا أَلْفَتَةً مِنْ قَبْلِ وَتَقَبَّلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُون﴾

يقول تعالى محرضا لنبيه عليه السلام على المنافقين (لقد اتبعوا ألفتة من قبل وقبلوا لك الأمور) أى لقد أمروا ففكروا وأجالوا آراءهم فى كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماد مدة طويبة : وذلك أول مقدم النبي ﷺ للدينة رمت العرب عن قوس واحدة ، وحاربه يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته قال عبد الله بن أبى وأصحابه هذا أمر قد توجه فدخلوا فى الإسلام ظاهرا ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غلظهم ذلك وساءم ولهذا قال تعالى (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَنْفَعِي آلَا فِي أَلْفَتَةٍ سَقَطُوا وَإِنْ جِئْتُم بِالْحَكِيمَةِ بِالْكَافِرِينَ﴾

يقول تعالى ومن المنافقين من يقول لك يا محمد (أذن لى) فى العمود (ولانفتى) بالخروج معكم بسبب الجوارى من نساء الروم . قال الله تعالى (آلا فى الفتنة سقطوا) أى فسقطوا فى الفتنة بقولهم هذا قال عبد الله بن إسحق عن الزهرى وزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن خنادة وغيرهم قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلة « هل لك يا جد العالم في جلاء بنى الأسفر ؟ » فقال يا رسول الله أوتأذن لي ولا تخشى ، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد حياء بالنساء مني ، وإن أخشى إن رأيت نساء بنى الأسفر أن لا أسبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال « وقد أذنت لك » ففى الجبد بن قيس نزلت هذه (ومنهم من يقول أئذن لي ولا تخشى) الآية : أى إن كان إنما يخشى من نساء بنى الأسفر وليس ذلك به فاسقط فيه من الفتنة بتخلقه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم . وهكذا روى عن ابن عباس وجهاد وغير واحد أنها نزلت فى الجبد بن قيس ، وقد كان الجبد بن قيس هذا من أشرف بنى سلة . وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لم « من سيدكم يا بنى سلة ؟ » قالوا الجبد بن قيس على أنا نبغته . فقال رسول الله ﷺ « وأى داء أدوا من البخل ؟ » ولكن سيدكم القى الجبد الأبيض بشر بن البراء بن معرور » وقوله تعالى (وإن جهنم لم تحيط بالكافرين) أى لا يحيط لهم عنها ولا يحصى ولا مهرب

﴿ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَاذْكُرْهُمَ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَبِتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِحُونَ • قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

يظن تبارك وتعالى نبيه ﷺ بدعوة هؤلاء له لأنه معها أصابه من حسنة أى فتح ونصر وظهر على الأعداء مما يسره ويسر أصحابه ساءم ذلك (وإن تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل) أى قد احتزنا من متابعتهم من قبل هذا (ويتولوا وهم قرحون) فأرشد الله تعالى رسول الله ﷺ إلى جوابهم فى عداوتهم هذه التامة فقال (قل) أى لم (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى نحن تحت مشيئته وقدره (هو مولانا) أى سيدنا وملجؤنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ هِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ • قُلْ أَغْفِرُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ • وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ فَتَقْتُلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ وَلَا يُفْقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) لم يا محمد (هل ترصدون بنا) أى تنتظرون (إلا إحدى الحسينين) شهادة أو ظفر بك قاله ابن عباس وجهاد وقادة وغيرهم (ونحن نترصد بكم) أى ننتظر بكم (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) أى ننتظر بكم هذا أو هذا إما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) بسى أو بقتل (ترصدوا إنا معكم مترصدون) وقوله تعالى (قل أغفروا طوعا أو كرها) أى مهما أغفقت من قفة طامعين أو مكرهين (لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين) ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك وهو أنهم لا يتقبل منهم (لأنهم كفروا بالله ورسوله) أى والأعمال إنما تصح بالإيمان (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أى ليس لهم قسم صحيح ولا همة فى العمل (ولا يفقهون) فقه (إلا وهم كارهون) وقد أخبر الصادق الصدوق ﷺ أن الله لا يعل حتى تعلموا وأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا . فلهذا لا يقبل الله من هؤلاء فقه ولا عملا لأنه إنما يتقبل من اللذين

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْخُلُوعِ وَالَّذِينَ تَرَاهُمْ أَفْسَهُمْ وَهُمْ كَاِفِرُونَ ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) كما قال تعالى (ولا تمدن عينيك إلى

ما متنا به أزواجاً منهم زهرةً من الجنة لفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقال (أعجبون أن ما عدم به من مال وبين ناسرع لهم في الحيرات بل لا يشعرون) وقوله (إنما يريد الله ليذهب بها في الحياة الدنيا) قال الحسن البصري بزكاها والنفقة منها في سبيل الله ، وقال قتادة هنا من اللطم والوخز تخديره : فلا تسبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليذهب بها في الآخرة . واختار ابن جرير قول الحسن ، وهو القول القوي الحسن وقوله (ونزهي أنفسهم وهم كافرين) أي ويريد أن يبيتهم حين يبيتهم على الكفر ليكون ذلك أنسكى لهم وأعد لتدابعهم . عياذا بالله من ذلك وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه

(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَهُمْ لَيْسَكُمْ وَتَعْلَمُ أَنَّكُمْ وَلَكُمْهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ • لَوْ يَعْلَمُونَ مَلَجَتَا أَوْ مَفَرَتَا أَوْ مَدَّخَلَا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ)

خبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقتهم وعلهم أنهم (يعلمون بالله أنهم لشكم) بينا مؤكدة (وعلم منكم) أي في نفس الأمر (ولعلكم قوم يفرقون) أي فهو الذي حملهم على الحلف (لو يجدون ملجأ) أي حسنا يتحصنون به وحرزاً يتحذرون به (أو مغارات) وهي التي في الجبال (أو مدخلا) وهو السرب في الأرض والنطق بالذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة (ولولا إليه وهم يجمعون) أي يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كرها لاصبة ودودا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون فيهم وحرزون وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة ، ولهذا كلما سر للسلون ساءم ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون)

(وَنَسِمُ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا فُتِحُوا يَسْخَطُونَ • وَكَذَلِكَ رَضُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوفِيْنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)

يقول تعالى (ومنهم) أي ومن المنافقين (من يلمزك) أي يعيب عليك (في) قسم (الصدقات) إذا فرقتها ويذهبك في ذلك وهم اللبثيون للأبوتون وهم مع هذا لا ينكرون للدين وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ولهذا (إن أعطوا من الزكاة رضوا وإن لم يعطوا منها إذا فُتِحُوا يسخطون) أي يضبون لأنفسهم ، قال ابن جرير أخبرني داود ابن أبي عاصم قال أني النبي ﷺ بسدقة قسمها هاهنا وههنا حتى ذهبت قال ووراء رجل من الأنصار قتال ماهذا بالعدل فنزلت هذه الآية ، وقال قتادة في قوله (ومنهم من يلمزك في الصدقات) يقول ومنهم من يظن عليك في الصدقات ، وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أني النبي صلى الله عليه وسلم وهو قسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت قتال بني الله صلى الله عليه وسلم « وبذلك فمن ذل الذي يدل عليك بسدي ؟ » ثم قال بني الله « احتدروا ههنا وأشباهه فإن في أمي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإذا خرجوا فاقبلوهم ثم إذا خرجوا فاقبلوهم ثم إذا خرجوا فاقبلوهم » وذكر لنا أن بني الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئا ولا أمتكموه وإنما أنا خازن » وهذا الذي ذكره قتادة يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الحليفة وأسمه حرقوس لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له أعدل فإنك لم تعدل قتال « لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقفيا « إنه يخرج من شفق هذا قوم يحترق أمدكم صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم يفرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأبنا قيتهموم فاقبلوهم فانهم شر قتل تحت أديم السماء » وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منها لهم على ما هو خير لهم من ذلك

قال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فضمنت هذه الآية السكرة أديا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول ﷺ واستثال أوامره وترك زواجه وتصديق أخباره والاتخاذ بآثاره .

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ وَالْمَسْكِينِ عَيْنًا وَالْمَوَالِفِ قُلُوبُهُمْ وَفِي أَرْكَابٍ وَالْقَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى اعتراض الناقلين الجهة على النبي ﷺ ولزم الله في قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها هؤلاء للذكورين كما رواه الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن سم عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه قال : أئبت النبي ﷺ فبايسته فأتى رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له « إن الله لم يرض بحكمي بني ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها ؟ على قولين (أحدهما) أنه يجب ذلك وهو قول الشافعي وجعاه (والثاني) أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقي وهو قول مالك وجعاه من السلف والخلف منهم جرير وعطيفة وابن عباس وأبو العالمة وسعيد بن جبير وميمون ابن مهران ، قال ابن جرير وهو قول طائفة أهل العلم ، وعلى هذا فاعلم ما ذكرت الأصناف هنا لبيان اللصرف لا لوجوب استيعابها . ولوجوه الجعاج وللأخذ مكان غيره هذا والله أعلم ، وإنما قدم الفقراء هنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على الشهور ولعدة أقدتهم وحاجتهم . وعند أبي حنيفة أن للسكين أسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي أنبأ ابن عون عن محمد قال : قال عمر رضي الله عنه : الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب قال ابن علي الأخلق الحارث عندنا ، والجهور على خلافه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد . واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتخفف الذي لا يسأل الناس شيئا وللسكين هو الذي يسأل ويلطوف وينبع الناس وقال قتادة السقي من به زمانة وللسكين الصحيح الجسم وقال الثوري عن منصور بن إبراهيم بن قرقاء المهاجرين ، قال سفيان الثوري يعني ولا يعطى الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد ابن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي ، وقال عكرمة لا تقبلوا لفقراء المسلمين مساكين إنما المساكين أهل الكتاب ولندكر أماديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية « فأما الفقراء فمن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحبل الصدقة لفي ولا لشيء مرة سوى » رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، وأحمد أيضا والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدي بن الحار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة قلب فيها البصر قرأهما جلد بن قتال « إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيها لفي ولا تقوى مكتسب » رواه أحمد وأبو داود والنسائي بإسناد جيد قوي وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل : أبو بكر البسي قال قرأ عمر رضي الله عنه (إنما الصدقات للفقراء) قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبي يقول ذلك (قلت) وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فإن أبى بكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالة لكنه في حكم المجهول ، وأما المساكين فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ليس للسكين بهذا الطواف الذي يلطوف على الناس فترده القمعة والقمعتان ، والمقرة والقرتان قالوا فما للسكين يارسول الله ؟ قال « الذي لا يجد غنى فينيه ، ولا يملن له فيصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » رواه الشيخان . وأما المالمون عليها فهم الحباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز

أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين حرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب من ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل ابن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة فقال « إن الصدقة لأهل الحمد ولا لأهل الجحد إنما هي أوساخ الناس ». وأما للزكاة فلوهم فأقسام منهم من يعطى ليسمى كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدا مشركا قال فلم يزل يعطى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلى ، كما قال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدي أن ابن البراء عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلى لما زال يعطى حتى إنه لأحب الناس إلى ، ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه وثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من مناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل مائة من الإبل وقال « إنى لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم » . وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن عليا بث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشفية في تربتها من الخبز قسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الحمر ، وقال « أنأفهم » ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجي الصدقات ممن يليه أو يدفع عن حوزة المسلمين الضمر من أطراف البلاد ، وعمل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم

وهل تعلق المؤلفة على الإسلام بعد النبي ﷺ ؟ فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعي وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ويمكن لهم في البلاد ، وأذل لهم رقاب البلاد . وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم يفتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم . وأما الرقاب فروى عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعي والزهري وابن زيد أنهم للكتابون ، وروى عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول الشافعي والليث رضي الله عنهما . وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تنفق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحق أي أن الرقاب أعم من أن يعطى الكتاب أو يشتري رقبة فيعتقها استطلا ، وقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله ينفق بكل عضو منها عضواً من مفتحها حتى الفرج بالفرج وماذاك إلا لأن الجزء من جنس العمل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : الغازي في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناسك الذي يريد الصفاء » . ورواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود ، وفي للسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دلتني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار فقال « أعتق النسيئة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليس واحدا ؟ قال « لا ، حق النسيئة أن تخرجه بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في منها » . وأما الفارمون فهم أناس فهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلوهم فأجفح بهاء أو ضم في أداء دينه أو في بيعته ثم تاب فيؤاد يدفع إليهم ، والأسل في هذا الباب حديث قيس بن غزاق الحلالي قال : تحملت حمالة فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال « أتم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » قال ثم قال « يا قيس إن السألة لا تحمل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فطعت له السألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جالحة . أجات ماله فطعت له للسألة حتى يصيب قواما من عيشه أو قال سدادا من عيشه . ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحبا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقة فطعت له للسألة حتى يصيب قواما من عيشه أو قال سدادا من عيشه . فما سواهن من السألة سمح يأكلها صاحبها سمحا » . ورواه مسلم ، وعن أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ابتاعها فكثرت دينه فقال النبي ﷺ « صدقوا عليه » فصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقرامته « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » . ورواه مسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبي عمران الجوني عن قيس بن يزيد عن قاضي الصيرفي عن عبد الرحمن بن

أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ « يدعو الله لصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم فم أخذت هذا الدين وفم ضيبت حقوق الناس ؟ فيقول يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم أكل ولم أشرب ولم أضيع ولكن أني على يدي إما حرق وإما سرق وإما وضية . فيقول الله صدق عبدى أنا أحق من قضى عنك اليوم فدعوا الله بجنى فضيعة في كفة ميزانه فترجح حسنة على سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته » وأما في سبيل الله فمنهم القزاة الذين لاقى لهم في الديوان وعند الإمام أحمد والحسن وإسحق والحج من سبيل الله الحديث ، وكذلك ابن السبيل وهو السافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سيره فيعطى من الصدقات ما يكتفي به إلى بلده وإن كان له مال وهكذا الحكم فمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه . والدليل على ذلك الآية وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لقنى إلا لحقة : العامل عليها ورجل اشتراها بماله أو غلام أو غزاة في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لقنى » وقد رواه السفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلا ، ولأبى داود عن عطية المولى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لقنى إلا في سبيل الله وابن السبيل أو جارية فقير فهدى لك أو يدعو لك » وقوله (فريضة من الله) أى حكما مقدرا بتدبير الله وفرضه وقسمه (والله علم حكيم) أى علم ينظر الواهر الأمور وبواطنها ويصلح عباده (حكيم) فيما يقوله ويضمره ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ومن اللاتقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون (هو أذن) أى من قال له شيئا صدقه فيأ ومن حدثه صدقه فإذا جتاه وحلفنا له صدقا . روى عنه ابن عباس ومجاهد وقادة . قال الله تعالى (قل أذن خير لكم) أى هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أى ويصدق المؤمنين (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو حجة على الكافرين ولهذا قال (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۚ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تَارَ جَهَنَّمَ خَلْقًا فِيهَا ذَلِكَ أَكْثَرُ الْعَظِيمِ ﴾

قال قتادة في قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآية . قال ذكر لنا أن رجلا من اللاتقين قال والله إن هؤلاء لحيارنا وأشربنا وإن كان ما يقول محمد حقا ، ثم شر من الجهر . قال فسمها رجل من السليين فقال : والله إن ما يقول محمد حقا ولأنت أشتر من الحمار قال فسمى بها الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال « ما حملك على الذى قلت ؟ » فجعل يلتمن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل السلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب ، فأقر الله الآية . وقوله تعالى (ألم يعلموا أنه من عباد الله ورسوله) الآية أى ألم يتحققوا ويعلموا أنه من عباد الله عز وجل أى شافه وحاربه وخالفه وكان فى حد الله ورسوله فى حد (فإن له نار جهنم خالقا فيها) أى مهنا مذميا (وذلك آخرى العظيم) أى وهذا هو القتل العظيم والشقاء الكبير

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أُسْمِعُوا إِنْ أَلَّهِ تُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفضى علينا سرنا هذا ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى

(وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله وقولون في أنفسكم لولا يعبذنا الله بما يقول حسبه جهنم يصلونها فبئس السير) وقال في هذه الآية (قل استعزوا إن الله مخرج ما تخترون) أي إن الله سينزل على رسوله ما يفضلكم به وبين له أمركم كقوله تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضنانهم - إلى قوله - ولتمتعهم في لحن القول) الآية ، ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاحشة فاحشة للناقين

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ إِنَّ نَفْعَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَأَنَّهُمْ جَرِيرِينَ)

قال أبو مشر اللذين عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من الناقلين ما أرى قراءة هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة ، وأجبنا عند اللقاء . فرغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . قال (أباه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - إلى قوله - كانوا جرمين) وإن رجليه لتسفان الحجارة وما ينفث إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقال عبد الله بن وهب : أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأيت مثل قرأتنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب لسانا ولا أجهن عند اللقاء . فقال رجل في المسجد : كذبت ولكنت منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو أنا رأيته متعلقا بحجب ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (أباه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون .) الآية . وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا . وقال ابن إسحق وقد كان جماعة من الناقلين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلة يقال له غنم بن حمر يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض انحبسوا جلاد بني الأصفر يقتل العرب بعضهم بعضا والله لكأننا بك غدا مقرنين في الجبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين . فقال غنم بن حمر والله لو ددت أن أتاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإنا نلقب أن ينزل علينا قرآن لمقاتلكم هذه وقال رسول الله ﷺ فيا بلقي لمار بن ياسر « أدرك القوم فلانهم قد احترقوا فأسلمهم فما قالوا فان أنكروا قتل بلقي قاتم كذا وكذا » فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأثرو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فقبل يقول وهو أخذ بحمها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال غنم بن حمر يا رسول الله قد بدى اسمي واسم أبي نكاح الذي عني عنه في هذه الآية غنم بن حمر فقسمي عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أسر . وقال قتادة (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) قال فبينما اني صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من الناقلين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيأت هيأت فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال « على هؤلاء نفر » فدعاهم فقال « قاتم كذا وكذا » فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب . وقال عكرمة في تفسير هذه الآية كان رجل من إن شاء الله عفا عنه يقول اللهم إني أسع آية أنا عني بها اختص منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فأخبل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كنت أنا دقت . قال فأصيب يوم اليمامة لما من أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره . وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أي بهذا القرآن الذي استهزأتم به (إن نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة) أي لا يفي عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضهم (بأنهم كانوا جرمين) أي جرمين بهذه اللقاة الفاحشة الحاطقة .

(الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِيَاتَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمُسْكَرِ وَهُمْ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِيَاتَ وَالْكَافِرَاتُ فَرَجَهُمْ خَلِّينَ فِيهَا مِنْ حَسَبِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا دَرَجَاتٌ مَعْلُومَاتٌ)

يقول تعالى منكر على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أي عن الاتفاق في سبيل الله (نسوا الله أي نسوا ذكر الله (فنسيهم أي علمهم معاملتهم نسيم كقوله تعالى (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة وقوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) أي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم (خالدين فيها) أي ما كثر فيها مخلدين هم والكفار (هم حسبهم) أي كفايتهم في العذاب (ولهم في الله) أي طردهم وأبدى لهم (ولهم عذاب عظيم)

(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَئِكَ فَاسَقَمُوا عَاقِبَتَهُمْ فَأَسَاقَمْتُمْ فِي خَلْقِكُمْ • كَمَا أَتَمَمْتُمْ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِعَلْقَمِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله (خلقتهم) قال الحسن يدينهم وقوله (وخضتم كالذي خاضوا) أي في الكذب والباطل (أولئك حبطت أعمالهم) أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة (في الدنيا والآخرة) وأولئك هم الخاسرون) لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب. قال ابن جرير عن عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (كالذين من قبلكم) الآية قال ابن عباس ما أشبه القيلة بالبارحة (كالذين من قبلكم) هؤلاء بنو إسرائيل شهنا بهم لا أعلم إلا أنه قال : « والذين نسي يده لتبنيهم حتى دخل الرجل منهم جحر ضب فدخلتموه » قال ابن جرير وأخبرني زياد بن سعد عن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذين نسي يده لتبني سنن الذين من قبلكم شرا بشر وذراعا بذراع وأبعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب فدخلتموه » قالوا ومن هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب قال « فمن ؟ » وهكذا رواه أبو حنيفة عن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وزاد قال أبو هريرة أقرأوا إن شئتم القرآن (كالذين من قبلكم) الآية قال أبو هريرة الخلاق الذين (وخضتم كالذي خاضوا) قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم ؟ قال « فهل الناس إلا هم ؟ » وهذا الحديث له شاهد في الصحيحين

(أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

يقول تعالى واعظا هؤلاء المنافقين للكافرين للرسول (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) أي ألم يخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم الكاذبة للرسول (قوم نوح) وما أصابهم من الفرق العام لجميع أهل الأرض إلا من آمن ببسمة ورسوله نوح عليه السلام (وعاد) كيف أهلكتهم بالريح النسيم لما كذبوا هودا عليه السلام (وعود) كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعصروا الناقة (وقوم إبراهيم) كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم عمرو بن كنان بن كوش الكنعاني لعنه الله (وأصحاب مدين) وهم قوم شيب عليه السلام

وكيف أصابهم الرجفة وعذاب يوم النقلة (والمؤذنين) قوم لوط وقد كانوا يكونون في مدائن ، وقال في الآية الأخرى (والمؤذنين أهرى) أي الأمة للمؤذنة وقيل أم قرام وهي صوم والقرش أن الله تعالى أهلهم عن آخرهم بتكذيبهم في الله لوطا عليه السلام وإتيانهم القاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين (أنهم رسلهم بالنيات) أي بالجميع والدلائل القاطعة (فكان الله يظلمهم) أي بهلاكه إليهم لأنه أقام عليهم الحجة برسالة الرسل وإزاحة الليل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا إلى ما صاروا إليه من العتاب والعلم

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى صفات للتائقين السمية عطف بذكر صفات المؤمنين الميمونة فقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أي يتناصرون ويتضامنون كما جاء في الصحيح « للمؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضا » وشيك بين أصابعه ، وفي الصحيح أيضا « مثل للمؤمنين في توادم وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقوله (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية وقوله (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أي يطيعون الله ويحسون إلى خلقه (ويطيعون الله ورسوله) أي فيما أمر وترك ماعنه زجر (أولئك سيرحمهم الله) أي سيرحمهم الله من اتصف بهذه الصفات (إن الله عز وجل) أي يميز من أطاعه فإن المزة لله ورسوله والمؤمنين (حكيم) في قسمته هذه الصفات لولاء وتخصيصه للتائقين بصفاتهم القيمة فانه الحكمة في جميع ما فعله ببارك وتعالى

﴿ وَعَلَى اللَّهِ التَّوَكُّلُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جُنَّتْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَكَرَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ وَرِشْوَنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يجري تعالى بما أعد للمؤمنين به وللمؤمنات من الخيرات والنعيم للقيم في (جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي ما كثر فيها أبدا (ومساكن طيبة) أي حسنة البناء طيبة القرار كالجاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأحمري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيها ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وقال : قال رسول الله ﷺ « وإن للمؤمن في الجنة لحيمين أولوة واحدة جوفاطو لمستون ميلة في السماء للمؤمن فيها أهليون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا » أخرجاه في الصحيحين ، وفيها أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فإن حق الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حبس في أرضه التي ولد فيها » قالوا يا رسول الله أنلا تغير الناس ؟ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألكم الله فاسأله الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه شجر أنهار الجنة ، وقوفه عرش الرحمن » وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر مثله . والترمذي عن عبادة بن الصامت مثله وعن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليتراءون العرف في الجنة كما ترون الكوكب في السماء » أخرجاه في الصحيحين ، ثم لم يلب أن أتت منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيعة قرية من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن

كعب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا صليتم على فساوا الله إلى الوسيلة » قيل يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال « أمتي درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو »

وفي صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا متم للوذن تقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فاته من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة فاتها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله . وأرجو أن أكون هو ، فبن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة » وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا الوليد بن عبد الملك الحارثي حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله لي الوسيلة فانه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » رواه الطبراني . وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن جاهد الطائي عن أبي الله عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال « لبنه ذهب ولبنه فضة ، وملاطها السك وحصابها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران . من يدخلها ينم لا يأس ويغفل لا يموت ، لا يلبث ثيابه ولا يفي شيابه » وروى عن ابن عمر مرفوعا نحوه ، وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحق عن الثعلبي عن سعد بن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لثمرات يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » تمام أخراني فقال يا رسول الله لمن هي ؟ فقال « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ثم قال حديث غريب ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وكل من الاسنادين جيد حسن . وعندنا أن السائل هو أيومالك الأشعري فانه أعلم ، ومن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشر إلى الجنة ؟ فان الجنة لا حظ لها ، هي وجه الكعبة نور يتلأأ وبرحانة تهب ، وقصر شديد ، ونهر مطرد ، وثمره نسيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحسبة وفضة في حلة عالية بيضاء قالوا نعم يا رسول الله نحن للشعرون لها ، قال « فقولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما فيه من النعم كما قال الإمام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون ليك ربنا وسعديك والخير في يديك . فيقول هل رضىتم ؟ فيقولون وما لنا لانرضى بإرب وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون بإرب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » أخرجاه من حديث مالك ، وقال أبو جعفر الحسين بن إسحاق الهاملى حدثنا الفضل الرجائي حدثنا الثريائي عن سفيان عن محمد بن النكسر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل هل تشهون شيئا فأريدكم ؟ قالوا إاربنا ماخير مما أعطينا ؟ قال رضوانى أكبر » ورواه البزار في مسنده من حديث الثوري ، وقال الحافظ الشياى القدسي في كتابه صفة الجنة هذا عندي على شرط الصحيح والله أعلم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هُمِ الْكُفَّارُ وَالنَّافِقِينَ وَفَلْظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْمَصِيرُ * يَخْلَقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَذَا بِمَا كَانُوا وَمَا كَفَرُوا إِلَّا أَنْ أُغْنِيَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَعْتَرِبُوا يَكْ خَدًّا لَهُمْ وَإِنْ يَعْتَرِبُوا يَمُدُّهُمْ اللَّهُ خَدًّا أَبَدًا أَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار وللقائمين والفلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مسير الكفار وللقائمين إلى النار في الدار الآخرة ، وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : بث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف : سيف للشركين (فإذا انسحق الأشهر الحرم قاتلوا للشركين) وسيف للكفار أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يسطوا الجزية عن يدهم صاغرون) وسيف للناقيين (جاهد الكفار وللقائمين) وسيف للبناء (قاتلوا التي تبني حتى تحرق إلى أمر الله) وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير . وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف وللقائمين بالسان وأذهب الفرق عنهم ، وقال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على للناقيين بالكلام وهو مجاهدتهم . وعن مقاتل والربيع مثله : وقال الحسن وقادة ومجاهد : مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم . وقوله (يحلفون بالله ما قالوا) وقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبي وذلك أنه اقتل رجلان جهني وأصاري ضلأ الجفني على الأنصاري ، فقال عبد الله للأَنْصَارِ لا تنصروا أخاكم ؟ والله ما مثنا ومثل محمد إلى كما قال القائل : ممن كلبك يا كلك ، وقال : لن رجسا إلى المدينة ليخرجن الأعرس منها الأذل . فسمى بها وجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فسأله فحلف بحلف بالله ما قاله فأقر الله هذه الآية : وروى إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة عن محمد بن موسى بن عبيد الله بن الفضل أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول حُرِّتَ على من أصيب بالحرمة من قومي فكذب إلى زيد بن أرقم وبلغه عدة حُرِّىَ يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « اللهم اغفر للأَنْصَارِ ولأبناء الأَنْصَارِ » وعك ابن الفضل في أبناء أبناء الأَنْصَارِ قال ابن الفضل فسأل أنس بمن كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي يقول له رسول الله ﷺ « أوفى الله له بإذنه » قال وذلك حين سمع رجلا من الناقيين يقول ورسول الله ﷺ مخاطب لأن كان صادقا فنحن شر من الخير ، فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق ولأن شر من الخير . ثم رفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجمعه القائل فأقر الله هذه الآية تصديقا لزيد ، من قوله (يحلفون بالله ما قالوا) الآية رواه البخاري في صحيحه عن إسماعيل بن أبي أوس عن إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة - إلى قوله - هذا الذي أوفى الله له بإذنه . ولعل ما بعده من قول موسى بن عتبة وقد رواه محمد بن قيس عن موسى ابن عتبة بإسناده ثم قال : قال ابن شهاب فذكر ما بعده عن موسى عن ابن شهاب . وللشهورى هذه القصة أنها كانت في غزوة بني الصلطلق فلعل الراوى وهم في ذكر الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم . قال الأموى في مغازيه : حدثنا محمد بن إسحق عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال ما قدم رسول الله ﷺ أخذني قومي فقالوا إنك امرؤ شاعر فإن ثبت أن تتلى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم بعض الله ثم يكون ذنبنا تستغفر الله منه وذكر الحديث بطوله إلى أن قال وكان ممن تخلف من الناقيين ونزل فيه القرآن منهم ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس بن سويد بن الصامت وكان في أم عمر بن سعد وكان عمر في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في الناقيين قال الجلاس والله لئن كان هذا الرجل صادقا فإني أقول نحن شر من الخير فسمها حمير بن سعد قال : والله يا جلاسى إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي بلا وأعزهم على أن يسه شيء يكرهه ، وقد قلت مقالة لئن ذكرتها لنفسي ولئن كنتها لتهلكني ولأحدهما آمون على من الأخرى . فشي إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال الجلاس فلما بلغ ذلك المجلس خرج حتى أتى النبي ﷺ فحلف بالله ما قال ما قال حمير بن سعد وقد كذب على ، فأقر الله عز وجل فيه (يحلفون بالله ما قالوا) وقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) إلى آخر الآية فوقه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها

فزعوا أن الجلاس تاب فحسفت توبته ونزع فأحسن التروع . هكذا جاء هذا مدرجا في الحديث متصلا به وكأنه والله أعلم من كلام ابن إسحق شبه لا من كلام كعب بن مالك ، وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس ابن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس إن كان ما جاء به محمد حقا فنحن أشرف من حمرا هذه التي نحن عليها ، فقال مصعب أما والله يا عبد الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فأثبتني النبي ﷺ وخفت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط بخطيئة قتلتي يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا بخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك . قال فدعا الجلاس فقال « يا جلاس أقلت الذي قاله مصعب ؟ » فحلفوا نزل الله (يحلفون بالله ما قالوا) الآية وقال محمد بن إسحق كان الذي قال تلك المقالة قبا بلثي الجلاس بن سويد بن الصامت فرقصا عليه رجل كان في حجره يقال له حمير بن سعد فأنكرها فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسفت توبته قبا بلثي ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني أيوب ابن إسحق بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن ممالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل شجرة فقال « إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم - بيني وبين الشيطان - فإذا جاء فلا تكلموه » فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ » فانطلق الرجل فجاءه بأصحابه فحلقوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل (يحلفون بالله ما قالوا) الآية وقوله (وهو بما لم يتلوا) قيل أنزلت في الجلاس بن سويد وذلك أنه لم يقتل ابن امرأته حين قال لأخبرن رسول الله ﷺ وقيل في عبد الله بن أبي مريم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال السدي نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله ﷺ وقد ورد أن قرا من المنافقين هوا بالنتك بالني ﷺ وهو في غزوة تبوك في بسن تلك القبائل في حال السير وكانوا بضعة عشر رجلا قال الصحابة فقيم نزلت هذه الآية ، وذلك بين فيها رواه الحافظ أبو بكر الباق في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن إسحق عن الأعمش عن حمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال كنت أخذا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وحمار يسوق الناقة أو أنا أسوقه وحمار يقوده حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا ببني عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فاتهمهم رسول الله ﷺ بهم ، وصرخ بهم فولوا مدبرين فقال لنا رسول الله ﷺ « هل عرفتم القوم ؟ » قلنا لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ولكننا قد عرفنا الركاب قال « هؤلاء للناقصون إلى يوم القيامة وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا لا ، قال « أرادوا أن يزاحموا رسول الله ﷺ في العقبة فيلقوه منها » قلنا يا رسول الله أفلا نبعث إلى عشارهم حتى يبعث إليكم كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال « لا ، أكره أن تحدث العرب بيننا أن محمدا قاتل قوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » ثم قال - اللهم ارمهم بالديرة » قلنا يا رسول الله وما الديرة ؟ قال « شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدكم فيهلك » وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل قال لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة فلا يأخذها أحد فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة وبنو قومه عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فنشوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ فأقبل عمار رضى الله عنه يضرب وجوه الرواحل فقال رسول الله ﷺ لحذيفة « قد قد » حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هبط نزل ورجع عمار فقال يا عمار « هل عرفت القوم ؟ » فقال لقد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « أرادوا أن ينغروا برسول الله - ﷺ - راحلته فيطرحوه » قال فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال تشددت بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال أربعة عشر رجلا فقال إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر قال ضد رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا والله ما سمعنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما علنا ما أراد القوم فقال عمار أشهد أن الاثنى عشر البايعين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وهكذا روى ابن لمية عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحو هذا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يمشى الناس في بطن الوادي وصعد هو وحذيفة وعمار القبة فجمع هؤلاء الفخر الأزدون وهم مئتسون فأرادوا سلوك القبة فأطلع الله على مرأهم رسول الله ﷺ فأمر حذيفة فرجح اليهم فغرب وجوه وراحلهم فزعزعا ورجعوا مقبوحين وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعمار بأسيئهم وما كانوا هموا به من الفتك به رسالات الله وسلامه عليه وأمرها أن يكتم عليهم ، وكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحق إلا أنه مضى جماعة منهم فأله أعلم . وكذا قد حكى في معجم الطبراني قاله البيهقي وشهد له هذه القصة بالصحة ما رواه مسلم حدثنا زهير ابن حرب حدثنا أبو أحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين رجل من أهل القبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال أنشدك الله كم كان أصحاب القبة قال قال له القوم أخبره إذ سألك فقال كنا نغبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وصدر ثلاثة قالوا ما معنا منادى رسول الله ﷺ ولا علنا بما أراد القوم وقد كان في حرة يمشى فقال إن الله قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجدوا قيسبوه فلمنهم يومئذ وما رواه مسلم أيضا من حديث قتادة عن أبي نصره عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال : أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال « في أصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يخرجون ربحها حتى يلج الجبل في سم الحياط : ثمانية منهم تكفيهم الديعة سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم في صدورهم » ولهذا كان حذيفة يقاتله صاحب السر الذي لا يملئه غيره أي من تعين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلقه عليهم رسول الله ﷺ دون غيره والله أعلم ، وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب القبة ثم روى عن علي بن عبد العزيز عن الزبير بن بكار أنه قال : هم منسوب بن قشير وودية بن ثابت وجند بن عبد الله بن نبتل^(١) بن الحارث من بني عمرو بن عوف والحارث بن يزيد الطائي وأوس ابن قبيط والحارث بن سويد وسعد بن زرارة وقيس بن فهد وسويد بن دحس من بني الحنظلي وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن الصيث وسلافة بن الحارث وهامان بن قيسلغ أظهروا الاسلام . وقوله تعالى (وما هموا إلا أن أغنام الله ورسوله من زينته) أي وما للرسول عنهم ذنب إلا أن الله أغنام يركته وعن سعادته ولوعت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به كماله ﷺ لا نصار « ألم أجعلكم خلائفا فهاكم الله بي وكنت متفرقين فأتاكم الله بي ، وما أنا غناكم الله بي » كما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن . وهذه الصفة حال حيث لا ذنب كقوله (وما هموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) الآية وقوله عليه السلام « ما يتم ابن جميل إلا أن كان قبرا فأغناه الله » ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال (فإن يوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعدهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) أي وإن يستمروا على طريقهم يعدهم الله عذابا أليما في الدنيا أي بالعذاب والهلاك والموان والصغار (وما هم في الأرض من ولي ولا نصير) أي وليس لهم أحد يسلمهم ولا ينجمهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا

(وَبِهِمْ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ • فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ • فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَنْقُضُوهَا أَعْقَابُوهَا اللَّهُ مَا وَعَدَوْهُ وَمَا كَانُوا يَسْكُدُونَ • أَلَمْ يَلْعَنُوا أَنْ اللَّهَ يَلْعَنُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِمُ الْغُيُوبِ)

يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن آتاهم من فضله ليعصوا من ماله وليكونوا من الصالحين فما وفى بما قال ولا صدق في ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عياذا بالله من ذلك وقد ذكر كثير من السمرين . منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة

في ثعلبة بن حاطب الأنصاري وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقني مالا ، قال قال رسول الله ﷺ : « ويحك يا ثعلبة قليل تزدى شكره خبير من كثير لا تطيقه » قال ثم قال مرة أخرى قال « أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ؟ فوالذي تسمى يده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت » قال والذي يثنيك بإلحاق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال فأتخذ غنماً فتمت كما ينمي الدود فضاعت عليه للدينة فتتبعني عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصل الظهر والعصر في جماعة وترك ماسواها ، ثم نمت وكثرت فتتبعني حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطلق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ : « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يا رسول الله أتخذ غنماً فضاعت عليه للدينة فأخبروه بأمره فقال « يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة » وأنزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جينة ورجلاً من سلم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما « مرا شبلية وغلان ورجل من بني سلم - فخذوا صدقاتهما » فخرجتا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقره كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هله إلا جزية ما هله إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى خرغا ثم عودا إلى فانطلقا ومعهما السلي فظفر إلى خيار أسنان إليه فمزها للصدقة ثم استقبلها بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما تريد أن تأخذ هذا منك . قال لي فخذوها فان تسمى بذلك طيبة وإنما هي له ، فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال ، أروني كتابك اقرأ فقال ما هله إلا جزية ما هله إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأى فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأهما قال « يا وبع ثعلبة » قبل أن يكلمهما ودعا للسلي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلي . فانزل الله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتاهن من فضله لصدن) الآية قال وحسد رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : « ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال « إن الله منني أن أقبل منك صدقتك » فقبل يحو على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ : « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني » فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبو بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلي من رسول الله ﷺ وموسى من الأنصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأما أقبلها منك قبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال : أقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان ، وقوله تعالى (بما أخلفوا الله ما وعدوه) الآية أي أعقبهم النفاق في قولهم بسبب إخلاصهم الوعد وكذبهم كافي الصيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « آية للنفاق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وله شواهد كثيرة والله أعلم . وقوله (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية غير تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بغيرهم وإن أظهرنا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام التوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما باطن

(الَّذِينَ يَمُنُونَ بِالْمَطُوعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ

اللَّهُ بِسْمِهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيهم ولمزم في جميع الأحوال حق ولا للتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بقال جزيل قالوا هذا مرأه وإن جاء بشيء يسير قالوا إن الله لئن عن صدقة هذا كما روى البخاري حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان المصري حدثنا شعبه عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحمل^(١) على ظهورنا فجاء رجل تصدق بشيء كثير فقالوا مرأى وجاء رجل تصدق بصاع فقالوا إن الله لئن عن صدقة هذا . فنزلت (الذين يلزقون للطوعين) الآية . وقد رواه مسلم أيضا في صحيحه من حديث شعبه به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد الجريري عن أبي السليل قال : وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال : حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول « من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة » قال فخلت من عملي لو أن أولادنا وأنا أرد أن أتصدق بهما فأدركني ما يدرك ابن آدم ففقدت على عملي . فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سوانا ولا أسفر منه ولا أدم يميم ساقه لم أر بالبقيع ناقه أحسن منها فقال يا رسول الله أصدقه ؟ قال « نعم » قال دونك هذه الناقة قال فلهذه رجل فقال هذا يتصدق بهذه ففواه لى خير منه . قال فسمعها رسول الله ﷺ فقال « كذبت بل هو خير منك ومنها » ثلاث مرات ثم قال « ويل لأصحاب اللئيم من الإبل » ثلاثا قالوا إلامن يا رسول الله ؟ قال « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال « قد أطلع للزهد المهجد » ثلاثا . للزهد في العيش المهجد في العبادة وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله ﷺ وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء ، وقالوا إن الله ورسوله التينان عن هذا الصاع . وقال العوفي عن ابن عباس إن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوفانداي فهم أن اجتمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر يلقى أجر بالجرير لساء حتى قلت ساعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ أن يشتره في الصدقات فشر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لتينان عن هذا وما يسمعون بصاعك من شيء ، ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ هل بقي أحد من أهل الصدقات ؟ فقال رسول الله ﷺ « لم يبق أحد غيرك » فقال له عبد الرحمن بن عوف فإن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أجنون أنت ؟ قال ليس بي جنون قال أتملت ما فعلت ؟ قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربي وأما أربعة آلاف فلي فقال له رسول الله ﷺ « برك الله لك فيها أمسكت وفيما أعطيت » ولزمه للتائقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوع فأرسل الله عز وجل عنده وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه (الذين يلزقون الطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية ، وكذا روى عن مجاهد وغير واحد وقال ابن إسحق كان من الطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف درهم وعاصم بن عدي أخو بني السجلان وذلك أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدي وتصدق بمائة وسق من تمر فلهزوها وقالوا هذا إلا رياء وكان الذى تصدق بجمعه أبو عقيل أخو بني أنيف الاراشي حليف بني عمرو بن عوف آتى بصاع من تمر فأقرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا إن لئن عن صاع أبى عقيل وقال الحافظ أبو بكر البرادى حدثنا طائفة بن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فإنى أريد أن أميت يمنا » قال فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندي أربعة آلاف ألقين أثرهنما ربي وألقين لىالى فقال رسول الله ﷺ « برك الله لك فيها أعطيت

(١) أى تؤاجر أنفسنا في العمل ، وفي رواية عنه في الضيق فتملأ أى يحمل بها بعض بالأجرة .

وبارك لك فيما أمسكت » وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال يا رسول الله أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصنع ليالي قال ففرقه للناقصين وقالوا ما أعطى الله أعطى ابن عوف إلا رياء وقالوا ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟ فأنزل الله (الذين يلمزون الطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون لإيجدهم فيسخرون منهم) الآية ثم رواه عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه مرسلا قال ولم يستمد أحد إلا طالوت ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة حدثني خالد بن يسار عن ابن أبي عمير عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر فاقبلت بأحدهما إلى أهلي يتلون به وبشت بالآخر أتقرب إلى رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال « اشره في الصدقة » قال فسخر القوم وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا للسكين فأنزل الله (الذين يلمزون للطوعين) الآية ، وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به وقال اسم أبي عمير حباب ويقال عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة وقوله فيسخرون منهم سخر الله منهم) هذان باب القابلة على سوء صنيعهم واستزائهم بالمؤمنين لأن الجزاء من جنس العمل فاعلمهم معاملة من سخر منهم انتصارا للمؤمنين في الدنيا وأعد للمناقضين في الآخرة عذابا ألما لأن الجزاء من جنس العمل

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

يجز تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء الناقضين ليسوا أهلا للاستغفار وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسا لمادة الاستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر العدد في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها ، وقيل بل لها مفهوم كما روى السوفى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيها فوائده لأستغفر لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم » فقال الله من عدة فضله عليهم (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الآية . وقال الشعبي لما قتل عبد الله بن أبي النضل ابنه إلى النبي ﷺ قال إن أبي قد أحضر فأحب أن تشهد وتصل عليه فقال له النبي ﷺ « ما اسمك » قال الحباب بن عبد الله قال « بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب اسم شيطان » ، فانطلق معه شهده وألبسه قميصه وهو حرق وصل على قتيله : أتصل عليه ؟ فقال « إن الله قال (إن تستغفر لهم سبعين مرة) ولا تستغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين » وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير بأسانيد

﴿ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ فَلْيَصْصِكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿

يقول تعالى إذا ما المناقضين للمخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة بؤك وفرحوا بعودهم بسد خروجه (وكرهوا أن يجاهدوا) معه (بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا) أي يرضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) وذلك أن الخرج في غزوة بؤك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهمذا قالوا (لا تنفروا في الحر) قال الله تعالى لرسوله ﷺ (قل لهم) (نار جهنم) التي تصيرون إليها بمخافتكم (أشد حرا) مما فررت منه من الحر بل أشد حرا من النار كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار بني آدم التي توقدها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال

« قضت عليها بقسة وستين جزءاً » أخرجه في الصحيحين من حديث مالك به ، وقال الإمام أحمد حدثنا سفیان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت في البحر مرتين وإن ما به عن ابن عباس الدوري ، وعن يحيى بن أبي بكر عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد الله على النار ألف سنة حتى اجمرت حتى اجمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل للظلم » ثم قال الترمذي لا أعلم أحداً رفته غير يحيى . كذا قال ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن حمه عن شريك وهو ابن عبيد الله النخعي به ، وروى أيضاً ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ناراً وقودها الناس والحجارة) قال « أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اجمرت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل ليلتها ، وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عامر بن نجيع وقد اختلف فيه عن الحسن عن أبي رافع « لو أن شرارة بالشرق - أي من نار جهنم - لوجد حرها من المغرب » وروى الحافظ أبو يعلى عن إسحق بن أبي إسرائيل عن أبي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار تنفس فأصابهم نفسه لاحتريق المسجد ومن فيه » غريب وقال الأعمش عن أبي إسحق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهول أهل النار عذاباً يوم القيامة لمن له نملان وشراكان من نار جهنم ينثي منهما دماغه كما ينثي للرجل لا يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً » أخرجه في الصحيحين من حديث الأعمش ، وقال مسلم أيضاً حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثنا زهير بن محمد عن سويل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينثل بضلن من نار ينثل دماغه من حرارة نعليه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن ابن عجلان سمعت أبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن أدنى أهل النار عذاباً رجل ينثل له نملان ينثي منهما دماغه » وهذا إسناد جيد قوى رجاله على شرط مسلم والله أعلم ، والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز (كلا إنها لظفر أفاعل شوى) وقال تعالى (يصب من فوق رؤوسهم الجحيم يصهريه ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) وقال تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) أي لو أنهم يفقهون ويفهمون لفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليقوا به من حر جهنم الذي هو أضناف أضفاف هذا ولكم ما قاله الآخر

● كالستير من الرمضاء بالنار ●

● حرك بالحية أنثيته ● خوف من البرد والحر

● وكان أولى لك أن تتقي ● من الناس حتى النار

ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء للتأقبن على صنيعهم هذا (فليضحكوا قليلاً) الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فإذا انقضت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأثروا بكاء لا يسمع أبداً ، وكذا قال أبو زرارة والحسن وقادة والربيع بن خثيم وعون العقيلي وزيد بن أسلم ، وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤ حدثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن أبي خنيس حدثنا محمد بن جبير عن ابن المبارك عن همران بن يزيد حدثنا يزيد الرقائسي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أبكوا فإن لم تبكوا فباكوا فإن أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تقطع الدموع فتسيل السماء

فتصرح العيون فلو أن سفتاً أزوجت فيها لبرت » ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن يزيد الرقاشي به ، وقال الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن العباس حدثنا حماد الجزري عن زيد بن رفيع رفعه قال إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زماناً ثم بكوا القيح زماناً قال فتقول لهم الخزنة يا مشر الأشقياء تركتم البكاء في الدمار للرحوم فيها أهلها في الدنيا هل تجلدون اليوم من تستيئون به قال فيرفضون أصواتهم يا أهل الجنة يا مشر الآباء والأولاد خرجنا من القبور عطاشاً وكنا طول الوقت عطاشاً ونحن اليوم عطاش فأفوضوا علينا من اللاء أو مما رزقكم الله ، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم (إنكم ما كنون) فيأسون من كل خير »

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَآثَرَةٍ مِنْهُمْ فَأَسْتَبْدُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾

يقول تعالى أمراً لرسوله عليه الصلاة والسلام (فإن رجعتك الله) أي ردك الله من غزوتك هذه (إلى طائفة منهم) قال قتادة : ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً (فاستأذنوك للخروج) أي مكك إلى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقابلوا معي عدواً) أي تعزيراً لهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) وهذا كقوله تعالى (وقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية فإن جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن ثواب الحسنة الحسنة بعدها كقوله في حمرة الحديبية (يقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مناسك لتأخذوها) الآية . وقوله تعالى (فاقصدوا مع الخالفين) قال ابن عباس أي الرجال الذين تخلفوا عن الفزاة : وقال قتادة (فاقصدوا مع الخالفين) أي مع النساء ، قال ابن جرير وهذا لا يستقيم لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون ولو أريد النساء فقال فاقصدوا مع الخالف أو الخالفات ورجع قول ابن عباس رضي الله عنهما

﴿ وَلَا تَصَلَّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصل على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف ثقافته وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري : حدثنا عبيد بن إسحاق عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قبضه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصل على قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل على قيام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تصل على وقد نهاك ربك أن تصل على عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما خبرني الله فقال (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وسأزيده على سبعين » قال إنه منائق . قال فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل آية (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تم على قبره) وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة به ، ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن النضر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال فصل على وصليتنا معه وأنزل الله (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) الآية . وهكذا رواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به ، وقد روى من حديث عمر بن الخطاب قصة أيضاً بنحو من هذا فقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولت حتى قُت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن

أبي القائل يوم كذا وكذا - بعد أيامه - ، قال ورسول الله ﷺ يتيم حتى إذا أكرثت عليه قال « أخرني يا عمر ، إني خيرت فاخترت ، قد قيل لي (استغفر لم) الآية . لو أعلم أني لودت على السبعين غفر له لودت » قال ثم صلى عليه ومشي معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فصبت من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . قال فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآياتان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية . فلما صلى رسول الله ﷺ بسمه على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل . وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن إسحق عن الزهري به وقال حسن صحيح ، ورواه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر مثله وقال « أخرني يا عمر » فلما أكرثت عليه قال « إني خيرت فاخترت ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لودت عليها » قال فصل على رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تم على قبره) الآية فصبت بسم من جرأتي على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد الملك عن ابن الزبير عن جابر قال : لما مات عبد الله بن أبي آتي ابنه النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنك لم تأت لم نزل تغير بهذا فاتاه النبي ﷺ فوجدته قد أدخل في قبره فقال « ألا قبل أن تدخله » فأخرج من قبره ونقل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه ؛ ورواه النسائي عن أبي داود الحراني عن أبي يعلى بن عبيد عن عبد الملك وهو ابن أبي سليمان به ؛ وقال البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان خيرا ثنا ابن عينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بسم ما أدخل في قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه وفتح عليه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم

وقد رواه أيضا في غير موضع مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به . وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الحاقق البزار في مسنده حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا عمار حدثنا جابر بن محمد حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن مرقاء الدوسي حدثنا عمار عن الشعبي عن جابر قال لما مات رأس اللقيين قال يحيى بن سعيد بالمدينة فأوصي أن يصلى عليه النبي ﷺ فجاء ابنه إلى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي أوصي أن يكفن بقميصك وهذا الكلام في حديث عبد الرحمن بن مرقاء قال يحيى في حديثه فصلى عليه وألبسه قميصه فأنزل الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تم على قبره) وزاد عبد الرحمن : وخلع النبي ﷺ قميصه فأعطاه إياه ومشي فصلى عليه وقام على قبره فاتاه جبريل عليه السلام لما ولي قال (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تم على قبره) وإسناده لا بأس به وما فيه شاهد له

وقال الإمام أبو جعفر الطبري حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلى على عبد الله بن أبي فأخذ جبريل بثوبه وقال (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تم على قبره) ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف . وقال قتادة أرسل عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ وهو مريض فلما دخل عليه قال له النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم « أهلكك حب يهود » قال يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤذني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه يكن فيه آية فأعطاه إياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية . وقد ذكر بعض السلف أنه إنما كساه قميصه لأن عبد الله بن أبي لما قدم العباس طلب له قميص فلم يوجد على تفصيله لا يتوب عبد الله بن أبي لأنه كان ضحا طويلا ففعل ذلك به رسول الله ﷺ مكافأة له فله أعلم . ولهذا كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلى على أحد من الناصقين ولا يقوم على قبره كما قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن أبيه حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دعى إلى جنازة سأل عنها ، فإن أتى عليها خيرا قام فصلى عليها ، وإن كان غير ذلك قال لأهلها « شأنكم بها » ولم يصل

عليها ، وكان عمر بن الخطاب لا يسلي على جنازة من جهل حاله حتى يصل عليها حذيفة بن اليمان لأنه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبره بهم رسول الله ﷺ . ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يسله غيره أي من الصحابة . وقال أبو عبيد في كتاب القريب في حديث عمر أنه أراد أن يسلي على جنازة رجل فرزعه حذيفة كأنه أراد أن يسده عن الصلاة عليها . ثم حكى عن بعضهم أن للزبالة أهل الجحمة هو القرس بأطراف الأسابع ، ولما هي الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق للؤمنين فخرج ذلك ، وفي قوله الأجر الجزيل كما ثبت في الصحيح وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من شهد الجنازة حتى يصل عليها فله قيراط ، ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان » قيل وما القيراطان ؟ قال « أسفرهما مثل أحد » وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فروى أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى البرازي أخبرنا هشام عن عبد الله بن عمار عن هاني وهو أبو سعيد البربري مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » ثم رد بأخراجه أبو داود رحمه الله

﴿ وَلَا تُنْعِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمُ فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

نظم ضميم نظير هذه الآية الكريمة وله الحمد والله

﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أَذَلُّوا أَلْوَلُو إِلَهُهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْكُمَ مَعَ الْقَادِرِينَ ﴾ رضوا بأن يكونوا مع الضوالم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون

يقول تعالى منكر وإذا استخلفين عن الجهاد التا كلين عنه مع القدرة عليه وجودا والسمو والطول واستأذنا الرسول في القعود وقالوا (ذرنا تكن مع القاعدتين) ورضوا لأنفسهم بالار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الميقات فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس ، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يضى عليه من اللوت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) أي علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن ، وفي الحرب أجبن شيء وكما قال الشاعر

ألفي السلم أعيارا جهاد وغلفلة وفي الحرب أعيان النساء القوارق ؟

وقال تعالى في الآية الأخرى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ، فلما أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الدين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر للنسي عليه من اللوت فأولى لم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) الآية ، وقوله (وطبع على قلوبهم) أي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله (فهم لا يفقهون) أي لا يفهمون ما فيه صلاح لم يفعلوه ولا ما فيه مضرة لم فيجتنوه

﴿ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَثَرٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أعد الله لهم جنت تجري من تحتها الأنهار خلدين فيها ذلك الفوز العظيم

لما ذكر تعالى ذنب للمنافقين وبين ثناء على المؤمنين وما لهم في آخرتهم فقال (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا) إلى آخر الآيتين من بيان حالهم وما لهم ، وقوله (وأولئك لهم العذاب) أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى

﴿ وَجَاءَ الْمُذَرَّبُونَ مِنَ الْأَحْزَابِ يَسْأَلُونَ لِمَ كَذَّبُوا الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

ثم بين تسلي حال ذوى الأعداء في ترك الجهاد الذين جاءوا رسول الله ﷺ يستنزلون إليه ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من أحياء العرب عن حول المدينة . قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرأ (وجاء المنرون) ويقولهم أهل المنر . وكنا روى ابن عيينة عن حميد عن مجاهد سواء قال ابن إسحق وبلني أنهم قرء من بني غفار خفاف بن إيماء بن رخصة وهذا القول هو الأظهر في معنى الآية لأنه قال بهما (وقد الدين كذبوا الله ورسوله) أى لم يأتوا فيقتدروا ، وقال ابن جريج عن مجاهد (وجاء للمنرون من الأعراب) قال قرء من بني غفار جاءوا فاعتنوا فلم يفتروا الله ، وكذا قال الحسن وقادة ومحمد بن إسحق والقول الأول أظهر والله أعلم لما قدمنا من قوله بسند (وقد الدين كذبوا الله ورسوله) أى وقد آخرون من الأعراب عن الحمير للاعتدالهم أو عدمهم بالذنب الأليم فقال (سيصيب الدين كفروا منهم عذاب أليم)

﴿ لَيْسَ عَلَى الْمُضْمَاءِ وَلَا عَلَى الرِّضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَخِمُ لَهُمْ لَا يُجِدُوا شَيْئًا وَلَا يُبَدِّلُوا مَا كَانُوا عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَأَعْيَتُهُمْ تَقِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ • إِنَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَدْنِتُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ثم بين تسلي الأعداء التي لا حرج على من قدم معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا يشك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع منه الجهاد ومته المسمى والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له في بدته ضعفه عن الخروج في سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قدموا ونصحوا في حال قومهم ولم يرجعوا بالناس ولم يشطوهم وهم معسرون في حالهم هذا ولهذا قال (ما على الحسين من سبيل والله غفور رحيم) وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي ثمامة رضى الله عنه قال: قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن التاسع ؟ قال الذى يؤثر حق الله على حق الناس ، وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذى للآخرة ثم خرج للذى للدنيا ، وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الاستفتاء فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر من حضر الستم مقرين بالاسادة ؟ قالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا نسئلك تقول (ما على الحسين من سبيل) اللهم وقد أقرنا بالاسادة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ، ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا ، وقال قتادة نزلت هذه الآية في عاذل بن عمرو اللزى حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله الرازى حدثنا ابن جابر عن ابن فروة عن عبد الرحمن بن أبى ليلي عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله ﷺ فسكت أكتب براءة فأتى لوائح القلم على أذى إذ أمرنا بالقتال فيصل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أحمى فقال كيف يا رسول الله وأنا أحمى ؟ فنزلت (ليس على الضمءاء) الآية وقال الوقي عن ابن عباس في هذه الآية ، وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينشؤوا غزيرين معه فبعده عصابة من أصحابه فهم عبيد الله بن مغفل بن مقرن للزى قالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم « والله لا أجد ما أحملك عليه » فتولوا وهم يكونون وعز عليهم أن يحملوا عن الجهاد ولا يجدون ثقة ولا محملا . فلما رأى الله حرصهم على محبة وبيعة رسوله أنزل عنهم في كتابه فقال (ليس على الضمءاء) إلى قوله (فهم لا يملكون) وقال مجاهد في قوله (ولا على الذين إذا ما اتوكَّلوا) نزلت في بني مقرن من مزينة ، وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ومن بني واقف حمري بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلي ومن بني الليلى فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو اللزى ، وقال محمد بن إسحق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجلا من

للسلبي أنوا رسول الله ﷺ وم الكاهن وم سعة ثمر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم ابن عمير وعليه بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحام بن الجوح أخو بني سلمة وعبد الله بن التفل للزني وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو الزني وحرشي بن عبد الله أخو بني واقف وعياض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال (لا أجد ما أحملك علي تولوا أعينهم فبعض من السمع حزائلا يجدوا ما ينقون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « لقد خلتكم بالدينة أنوما ما أنقتم من نقمة ولا قطعتم واديا ولا تلتم من عدو نيل إلا وقد شركوكم في الأجر » ثم قرأ (ولا على الدين إذا ما أتوك لتحللهم قلت لا أجد ما أحملك علي) الآية ، وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن بالدينة أنوما ما قطعتم واديا ولا سرتهم سيرا إلا وم معكم » قالوا وم بالدينة ؟ قال « نعم حبسهم العذر » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لقد خلتكم بالدينة رجلا ما قطعتم واديا ولا سلكتهم طريقا إلا شركوكم في الأجر حبسهم الرض » ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ثم رد تعالى للامه على الذين يستأذنون في القعود وم أغنياء وأنهم في رضام بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرجال (وطلع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)

﴿ يَتَذَكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُبْخِلُوا اللَّهَ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْبَغُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • سَيَحْفَلُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَهْلَيْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَأَرْضَوْا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسُوا جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • يَحْفَلُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يتفردون إليهم (قل لا تمتدروا إن تؤمن لكم) أي لن تصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أي قد أعلمنا الله أحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أي سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا (ثم تردون إلى عالم العيب والشهادة فيبشركم بما كنتم تعملون) أي فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها ثم أخبر عنهم أنهم سيحفلون لكم معتدين لترضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقارا لهم إثم رجس أي خبت نفس بواطهم واعتقادهم ومأوام في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون أي من الآثام والخطايا وأخبر أنهم إن رضوا عنهم لم يحلهم لهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله فإن السق هو الخروج ومنه سميت الفارة فويقتة لخروجهام جرحها للفساد ، وقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُبْنَىٰ مَقَرًّا وَيَرْتَضِ بِكُمْ الدُّوَارَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُبْنَىٰ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ وَتَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَ قُرْبَةً لَهُمْ سِيِّئَاتُهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين ، وأن كفرهم وشقاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر أي

أخرى أن لا يملوا حدود ما أنزل الله على رسوله كما قال الأعمش عن إبراهيم قال : جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال الأعرابي والله إن حديثك ليحبنى ، وإن يدلك لترين . فقال زيد ما يريك من يدي إنها الكيال ؟ فقال الأعرابي والله ما أدري الخمين يقطون أو الكيال ، فقال زيد بن صوحان : صدق الله (الأعراب أشد كفرا وثقافاً وأجدر أن لا يملوا حدود ما أنزل الله على رسوله) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتن » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري ولما كانت اللفظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرى كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فردد عليه أضعافا حتى رضى ، قال « قد همت أن لا أتبل هدية إلا من قرش أو حتى أو أصدري أو دوسي » لأن هؤلاء كانوا يسكنون للندن مكة والطائف والدينة واليمن فهم أطفأ أخلاقا من الأعراب لما في طباع الأعراب من البغضاء . (حديث الأعرابي في قبيل الولد) قال حديث مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو أسامة وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : صيبتكم ؟ قالوا نعم قالوا لكتنا والله ما قبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأملك^(١) إن كان الله نزع منكم الرحمة » وقال ابن نمير « من قلبك الرحمة » . وقوله (والله علم حكيم) أي علم بمن يستحق أن يسله الإيمان والعلم ، حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق لا يستل عما جعل لعله وحكمته ، وأخير تعالى أنهم (من يتخذ ما ينفع) أي في سبيل الله (مغرمًا) أي غرامة وخسارة (ويرتسب بكم اللواتي) أي ينتظر بكم اللواتي والآفات (عليهم دائرة البوء) أي هي منكمسكة عليهم والبوء دائرة عليهم (والله صميع علم) أي صميع لما عباد عليم بمن يستحق النصر بمن يستحق الخذلان ، وقوله (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) هذا هو القسم المدح من الأعراب وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربات يتقربون بها عند الله ويتقربون بذلك دعاء الرسول لهم (ألا إنها قربة لهم) أي ألا إن ذلك حاصل لهم (سيد ظلمهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم) ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ تَجَرَّتْ عَنْهَا الْقُلُوبُ فَاغْبُطُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَرْبُ وَجَاهَدُوا بِمَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلُوا لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ هَؤُلَاءِ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ أَلَا تَعْلَمُونَ ﴾

غير تعالى من رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أهداهم من جنات النعيم والنعيم المقيم ، قال الشعبي : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك ليلة الرضوان عام المدينة ، وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن السيب ومحمد بن سيرين والحسن وقادةم الذين سوا إلى القبطين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال محمد بن كعب القرظي : مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية ، (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) فأخذ عمر يديه فقال : من أقرأك هذا ؟ قال أبي بن كعب فقال لاخراقي حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال نعم . قال : وصحبنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قال : قد كنت أرى أنا رضنا رقة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أي تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) وفي سورة الحشر (والذين جاءوا من بعدهم) الآية وفي الأنفال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الآية رواه ابن جرير قال وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأها برفع الأنصار عطف على السابقين الأولون ، فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

(١) وفي البخاري أو أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة .

إحسان : فيأول من أنبضهم أو سبهم أو أبغض أوسب بقتهم ، ولا سيما سيد الصحابة بسد الرسول وخبرهم وأفضلهم
أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه فإن الطائفة المقلدولة من الرافضة يمدون
أفضل الصحابة ويضوئهم ويسبونهم . عيانا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم منكوسة وقلوبهم منكوسة
فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فانهم يترضون عن رضى الله عنه ويسبون
من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويمدون من يمدى الله وهم متبعون لا مبتدعون ويتبعون ولا يبتدون ، وهؤلاء
هم حزب الله للفلاحون وعبيد المؤمنين

(وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الدِّينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْأَنْفَاقِ لَا تَقْلَهُمْ نَحْنُ نَقْلَهُمْ
سَيَقْلَهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)

غير تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون ، وفي أهل المدينة أيضا
منافقون (مردوا على النفاق) أى مروا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد وما رد ويقال تحرد فلان على الله
أى عتا وخبر ، وقوله (لا تلهيهم نحن نلهيهم) لاينا في قوله تعالى (ولو نشاء لأرينا لهم فلهرقهم بسياهم ولثمرتهم في الحن
القول) لأن هذا من باب التوسم فهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والرب على
التمين وقد كان يعلم أن في بعض من داخله من أهل المدينة خفايا وإن كان يراه سباحا ومساء ، وعاهد هذا بالصحة
ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الثعالبي بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال (لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر
ثعلب) وأصنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال (إن في أمشاط منافقين) ومعناه أنه قد يوح بعض
المنافقين والمرجفين من الكلام عملا صفة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذى صممه جبير بن مطعم ، وتقدم في تفسير
قوله (وهووا يعلم بالثألوا) أنه صلى الله عليه وسلم أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشرة أو خمسة عشر منافقا وهذا تخصيص
لا يتفق أنه اطلع على أصنامهم وأعيانهم كلهم والله أعلم ، وروى الحافظ ابن عساکر في ترجمة أبي عمر البيروني عن طريق
هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثني شيخ بيروت يكنى أبا عمر أظنه حدثني عن أبي البرداء
أن رجلا يقال له حرمة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الإيمان هنا وأعداء يده إلى لسانه : والنفاق هنا
وأعداء يسده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل له لسانا ذا كرا ،
وقلبا ذا كرا ، وورقة حي وجب من حجبى ، وصير أمره إلى خير) قال يا رسول الله : إنه كان لى أصحاب من
المنافقين وكنت رأسهم أفلا تترك بهم ؟ قال (من أنا ما استغفرت له ، ومن أمر الله أولى به ، ولا تخزن على أحد
سرا) قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام بن عمار به ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر
عن قتادة في هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكلمون علم الناس فلا فى الجنة وفلان فى النار فلاذات أحدهم عن نفسه
قال لا أدري لمصرى أنت بضيقك أعلم منك بأحوال الناس وقد تكلفت شيئا ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال نبي الله
نوح عليه السلام (وما علمى بما كانوا يعملون) وقال نبي الله شبيب عليه السلام (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين
وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الله تعالى لى صلى الله عليه وسلم (لا تلهيهم نحن نلهيهم) وقال السدي عن أبي مالك
عن ابن عباس في هذه الآية قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال (اخرج يا فلان فإنك
منافق ، وأخرج يا فلان فإنك منافق) فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فبما عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ
منهم حياء أنه لم يجد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبأوا هم من عمر فنظروا أنه قد علم بأمرهم فبما عمر فدخل
المسجد فاذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أجر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم : قال ابن عباس فهذا

العذاب الأول حين أخرجهم من للسجد ، والعذاب الثاني عذاب القبر ، وكذا قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا ، وقال مجاهد في قوله (سنعذبهم مرتين) يعني القتل والحي ، وقال في رواية بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ، وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار ، وقال الحسن البصري عذاب في الدنيا وعذاب في القبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد وقرأته تعالى (فلا تصبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله ليذبح بها في الحياة الدنيا) فهذه للصاب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر ، وعذاب في الآخرة في النار (ثم يردون إلى عذاب عظيم) قال النار ، وقال محمد بن إسحق (سنعذبهم مرتين) قال هوذا بلني ما هم فيه من أمر الإسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسية ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والجلد فيه ، وقال سعيد بن قتادة في قوله (سنعذبهم مرتين) عذاب الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وذكر لنا أن نبي الله ﷺ أسر إلى حذيفة بأني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم بكفهم المدينة سراج من نار جهنم يأخذ في كنف أحدهم حتى يفضي إلى صدره ، وستة يموتون موتا . وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل من يري أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه ولا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمهنا ؟ قال لا وأؤمن منها أحدا بعدك

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ فَغُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لما بين تعالى حال المنافقين للتخلفين عن الفداء رغبة عنها وتكديها وشكا شرع في بيان حال اللذين الدين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أي أمروا بها واعترفوا فيها بينهم وبينهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فلهذا تحت عفو الله وغفرانه ، وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل اللذين الخطأين المخطئين للتأويلين ، وقد قال مجاهد إنها نزلت في أبي لبيبة لما قال لبي قريظة إنه لا عرج وأشار يده إلى حلقه ، وقال ابن عباس (وآخرون) نزلت في أبي لبيبة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة بؤك فقال بعضهم أبو لبيبة وخمسة معه ، وقيل وسبعة معه ، وقيل وتسعة معه ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة وبطوا أنفسهم بسواي للسجد وحلفوا لا يجملهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم ، وقال البخاري حدثنا مؤمن بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ لنا « أتاني الليلة آتيان فأتنياني إلى مدينة مينة بلن ذهب ولبن فقتلنا رجالا شطرن من خلعهم كما نحن ما أنت راء وفطرن كأتبع ما أنت راء قال لهم انهجوا فقتلوا في ذلك الترف فوفوا فيه ثم رجوا إلىنا قد ذهب ذلك السود عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قالوا وأما القوم الذين كانوا شطرن منهم حسن وشطرن منهم قبيح فأنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم » هكذا رواه البخاري مختصرا في تفسير هذه الآية

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ تَسْبِيحٌ عَلَيْهِمْ ﴾

﴿ أَمْ يَتْلُوكَ أَنْ اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولهذا اعتقد بعض مائى الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله

تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية ، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم القاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقائلهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق : والله لو تمنون عتقا - وفي رواية عتقا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلهم على منته ، وقوله (وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأثاءه أبى بصدقة فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » وفي الحديث الآخر أن امرأة قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال « صل الله عليك وعلى زوجك » وقوله (إن صلاتك سكن لهم) قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرأوا إن صلاتك على الأفراد (سكن لهم) قال ابن عباس رحمة لهم ، وقال قتادة وقار ، وقوله (والله سميع) أى ليعاينك (عليه) أى بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له ، قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو الميسر عن أبي بكر بن عمرو بن حبة عن ابن خزيمة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته وأصاب ولده وولده ، ثم رآه من أبي نعم عن مسر عن أبي بكر بن عمرو بن حبة عن ابن خزيمة قال سمع رسول الله ﷺ مرة عن حذيفة بن حذيفة عن صلاة النبي ﷺ لتدرك الرجل وولده وولده وولده . وقوله (ألم يسلوا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) هذا ترجيح إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحيط الذنوب ويعصها ويصقها ، وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها ويعينه فيها لصاحبها حتى تصير القرة مثل أحد ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ كما قال الثوري وكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيها لأحدكم كما يرى أحدكم حرمه حتى إن القمعة تكون مثل أحد » وتصدق ذلك في كتاب الله عز وجل (ألم يسلوا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقوله (يعني الله الربا ويربي الصدقات) وقال الثوري والأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أن قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية (ألم يسلوا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقد روى ابن عساکر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي المشقى وأصله حمصى وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره ، وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصى قال غزا الناس في زمان معاوية رضى الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقتل رجل من المسلمين مائة دينار رومية . فلما قتل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها منه وقال : قد شرف الناس ولن أقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة فقبل الرجل يستقرى الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يكي ويسرج فرأى الله بن الشاعر السكسكي فقال له ما ييك ؟ فذكر له أمره ، فقال له أومطى أنت ؟ فقال نعم ، فقال اذهب إلى معاوية فقل له قبل منى خمسك فادفع اليه عشرين دينارا وانظر إلى العنانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فإن الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسامهم ومكائهم ، ففعل الرجل فقال معاوية رضى الله عنه لأنأكون أنتيتها أحب إلى من كل شئ . أملكه ، أحسن الرجل

(وَأَمَّا أَمْحَلَا فَتَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيَرُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

قال مجاهد : هذا وعيد يبنى من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول ﷺ وعلى المؤمنين . وهذا كائن لاحالة يوم القيامة كما قال (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال (وحصل ما في الصدور) وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال « لو أن أحدكم يمد في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنًا ما كان » وقدرود: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ كما قال أبو داود الطيالسي : حدثنا الصلت ابن دينار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألمهمهم أن يسلوا بطاعتك » وقال الإمام أحمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عن معمر أنسأ يقول : قال النبي ﷺ « إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وقال البخاري قالت عائشة رضي الله عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل (اعملوا فبى الله عملكم) ووسوله وللمؤمنون) وقد ورد في الحديث شبه بهذا قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا به عجبكم له » فإن العامل يمدل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم تحول فيعمل عملا سيئا ، وإن العبد يمدل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ثم تحول فيعمل عملا صالحا ، وإذا أراد الله بيمينه خير استعمله قبل موته » قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال « يوقه لمدل صالح ثم يقبضه عليه » ففرد به الإمام أحمد من هذا الوجه

(وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يُتَوَبُّ عَلَيْهِمْ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : هم الثلاثة الذين خلفوا أى عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قدوا عن فزوة ثبوك في جملة من قدسلا وميلا إلى السعة والحفظ وطيب النار والظلال لا شكا ونفاق فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسوارى كما فعل أبو لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآية وهي قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) الآية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا شاخت عليهم الأرض بما رحبت) الآية كما سيأتى بيانه في حديث كعب بن مالك ، وقوله (إما يهديهم وإما يطوب عليهم) أى هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذلك ولكن رحمة قلب غضبة (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق العقوبة بمن يستحق العفو ، حكيم فى أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا شِرَارًا وَتَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لَّنَّ حَارِبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِلُنَّ إِنَّ آرْتَنَا إِلَّا أَمْسَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ كَذَٰبُونَ لَا تَنْفَعُهُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّسَجْدَ أَشْرًا عَلَى النَّفْثَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْسِنُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

سبب نزول هذه الآيات الكريكات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تصبر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهروهم الله يوم بدر شرق العين أبو عامر يبرقه وبارز بالمدواة وظاهر بها وخرج فارا إلى كفار مكمن مشركي قريش يقاتلهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن واقفهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كانوا متضمنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد خفر خفائر فبا بين الصنفين فوق في إحداهم رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فبرج وجهه وكسرت ربايته النبي السفلى وشج رأسه صلات الله وسلامه عليه ، وهدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخطبهم

واستألم إلى نصره ومواقفته ، فلما عرفوا كلامه قالوا لا أنتم بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، وتالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بسدي شر ، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن ، فأي أن يعلم وتعد ، فلما عليه رسول الله ﷺ أن يموت يمينا طريدا فثأته هذه السعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتضاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومنابه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يهدم وينهيم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضله ويرده مهاجوا فيه ، وأمرهم أن يخذلوا له مقلدا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتيبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكوه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيسئل في مسجدهم ليجتجوا بصلاته فيه على تحريرته وإباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل مكة في الآية الثانية فصممه الله من الصلاة فيه فقال « إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » فلما قتل عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بجبر مسجد الضرار وما اعتمده بأنوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى . فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هم أناس من الأنصار بنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنو مسجدا واستمدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فأتى ذاهب إلى قصر ملك الروم فأتى بجند من الروم وأخرج محمدا وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدا فنعب أن نصلي فيه وتدمو لنا بالبركة ، فأذن له عز وجل (لا تقم فيه أبدا) إلى قوله (الظالمين) وكذا روى عن سيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقادة وغير واحد من العلماء ، وقال محمد بن إسحق بن يسار عن الزهري وزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا أتبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لدى مكة والحاجة والليالة الطيرة والليالة الشانية ، وإنا نحب أن تأتينا فنصلي لنا فيه فقال « إني على جناح سفر وحال غفل » أو كما قال رسول الله ﷺ « ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى آتيناكم فصلينا لكم فيه » فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن النخشم أخا بني سالم بن عوف وممن بن عدي أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان فقال « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه » فخرجا سرايين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن النخشم . فقال مالك لمن أنظرني أخرج إليك نارا من أهل فدخل أهله فأخذ سيفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموا وضرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (والذين اتخذوا مسجدا ضرابا وكفرا) إلى آخر القصة . وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خدام بن خالد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، ومثله بن حاطب بن بني عبيد وموالى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير بن بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيفة أخو سوسل بن حنيفة من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وإياه جمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبيل الحارثي وهم من بني ضبيعة وخرج وهم من بني ضبيعة ومجاهد بن عمران وهو من بني ضبيعة ووديع بن ثابت وموالى بني أمية رهط أبي لباية بن عبد اللندر . وقوله (وليظفون) أي الذين بنوه (إن أردنا إلا الحسنى) أي ما أردنا ببنائه إلا خيرا ورقعا بالناس قال الله تعالى (والله يشهد أنهم لكاذبون) أي فيما قصدوا وفيما بنوا وإياه بنوه ضرابا لمسجد قباء وكفرا بالله وتفرقا بين المؤمنين وإرسادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه الله ، وقوله (لا تقم فيه أبدا) نهي له صلى الله عليه وسلم

وسلم والأمة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أى يصلى أبداً . ثم حث على الصلاة بمسجد قباء الذى أسس من أول يوم بنيانه على التقوى وهى طاعة الله وطاعته وسلوه وجمعا لكلمة للؤمنين وموتلا للإسلام وأهله ، ولهذا قال تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن نعبد فيه) والىق إنما هو في مرض مسجد قباء ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء ركباً ومشياً ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بناه وأسسه أول قدمه ونزوله على بن عمرو بن عوف كان جبريل هو الذى عين له جهة القبلة فله أعلم

وقال أبو داود حدثنا محمد بن السلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « نزلت هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقالوا كانوا يستنجون بماء فنزلت فيهم هذه الآية » . ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف ، وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ، وقال الطبراني حدثنا الحسن بن علي العمري حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) بعث رسول الله ﷺ إلى عويم بن ساعدة فقال « ما هذا الطهور الذى أتى الله عليكم » فقال يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة من النائط إلا غسل فرجه أو قال مقعده فقال النبي ﷺ « وهذا » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة الأنصاري أنه حدثه أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال « إن الله تعالى قد أحسن عليكم التناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » فقالوا والله يارسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يسلون أديارهم من النائط فقلنا كما فعلوا ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، وقال هشام عن عبد الحميد اللذان عن إبراهيم بن الحارث الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال لعويم بن ساعدة « ما هذا الذى أتى الله عليكم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) » الآية قالوا يارسول الله إنما نسل الأديار بماء ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن حمارة الأسدي حدثنا محمد ابن سعد عن إبراهيم بن محمد عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) والله يحب المطهرين) قال كانوا يسلون أديارهم من النائط

(حديث آخر) قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بنى ابن متول سمعت سيارا أبا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : قدم قوم رسول الله ﷺ إلى قباء فقال « إن الله عز وجل قد أتى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني ؟ » بنى قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقالوا يارسول الله إنما نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بماء

وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف ، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس ، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير ، وقاله عطية المولى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبى والحسن البصري وثقه الباقون عن سعيد بن جبير وقناة ، وقصود في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله ﷺ الذى في جوف المدينة هو المسجد الذى أسس على التقوى ، وهذا صحيح . ولما نفاة بين الآية وبين هذا لأنه إنما كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم ، لمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأخرى ، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسدي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » ثم رده أحمد

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما

هو مسجد رسول الله ﷺ ، وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأثبا النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال « هو مسجدى هذا » فخر به أحمد أيضا .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ليث بن عمر بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الجردى قال : سمى رجلا من بني النخوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء ، وقال الآخر هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو مسجدى هذا » فخر به أحمد (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا ليث حدثنا عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه أنه قال : سمى رجلا من بني النخوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو مسجدى » وكذا رواه الترمذى والنسائى عن قتبية عن الليث وصححه الترمذى ورواه مسلم كما سيأتى .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى حدثنا أبي قال سمعت أبا سعيد الجردى قال : اختلف رجلان رجل من بني خديرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذى أسس على التقوى فقال الجردى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأثبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك يسنى مسجد قباء . (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن أنيس قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد الخراط الذى سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد قلت كيف سمعت أباك يقول (١) في المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال لى أثبت رسول الله ﷺ فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله : أين المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال فأخذ كفا من حصباء ففرب به الأرض ثم قال « هو مسجدكم هذا » ثم قال سمعت أباك يذكره ، رواه مسلم منفرداً به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط به ، وقد قال بأنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف وهو مروى عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير ، وقوله (مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن قوم فيه رجال يحبون أن يظهروا والله يحب للظهورين) دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له ، وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء والتزهد عن ملاعبة القاذورات .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت أبا روج يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ الروم فيها فأومأ فلما انصرف قال « إنه ليس علينا القرآن إن أقواما منكف يسلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء » ثم رواه من طريقين آخرين عن عبد الملك بن عمير عن شبيب بن أبي روج من ذى السلام أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة وبين على إتمامها كلها والقيام بمشروعاتها . وقال أبو العالية في قوله تعالى (والله يحب للظهورين) إن الطهور بالماء الحسن ولكنهم للظهورين من الذنوب . وقال الأعمش التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك ، وقد ورد في الحديث الروى من طرق في السنن وغيرها أن رسول الله ﷺ قال لأهل قباء « قد أثنى الله عليكم في الطهور فإذا تصننوا » فقالوا يستنجى بالماء ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال : وجدت في كتاب أبي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباء (في رجال يحبون أن يظهروا) والله يحب للظهورين) فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا تتبع الحجارة بالماء . رواه البزار ، ثم قال فخر به محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه (قلت) وإنا ذكرته بهذا

اللفظ لأنه مشهور بين الفضلاء ولم يرفعه كثير من المحدثين للتأخيرين أو كلهم والله أعلم .

﴿ أَفَنُؤَسِّسُ بُيُوتَهُ عَلَى تَهْوِيٍّ مِّنَ اللَّهِ وَرِشْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُيُوتُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَتَهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول تعالى لا يستوى من أسس بنيانه على تهوى من الله ورشوان ومن بنى مسجدا ضاررا وكفرا وضرقا بين المؤمنين وإرسادا لمن حارب الله ورسوله من قبل فاعما بين هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار أى طرف خفية مثاله (فى نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يصلح عمل للفسدين . قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذى بنى ضاررا يخرج منه الدخان على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ابن جرير ذكر لنا أن رجلا حفروا فوجدوا الدخان الذى يخرج منه . وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفى رأيت مسجد التائفين الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبة ، روى ابن جرير رحمه الله . وقوله تعالى (لا يزال بنيانهم على بنوا رية فى قلوبهم) أى شكا وتفاق بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورتهم شقا فى قلوبهم كما أشرب عابدو السج حبه ، وقوله (إلا أن تقطع قلوبهم) أى موتهم قاله ابن عباس وعجاءه وقاتة وزيد بن أسلم والسدى وحبيب بن أبى ثابت والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف (والله عليم أى بأعمال خلقه (حكيم) فى مجازاتهم عنها من خير وشر

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ لُجْنَةٌ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيْسَبِّحُكُمُ الَّذِي بَايَعَهُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا فى سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه بما يفضل به على عبده للطيعين له . ولهذا قال الحسن البصرى وقاتة بايعهم والله فأغنى عنهم . وقال عمر بن الخطاب ما من مسلم إلا وفقه عزوجل فى عتقه يمة وفى بها أومات عليها ثم تلا هذه الآية . ولهذا يقال من حمل فى سبيل الله بايع الله أى قبل هذا العقد ووفى به . وقال محمد بن كعب القرظى وغيره قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى ليلة القبة اشترط لربك وتفسك ما حدث فقال « اشترط لربى أن تصدوه ولا تصركوا به شيئا . واشترط لنفسى أن تمنونى مما تمنون منه أنفسكم وأموالكم » قالوا لما لنا إذا فعلنا ذلك قال « الجنة » قالوا ربح البيع لا هيل ولا نسجيل ، فنزلت (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية وقوله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أى سواء قتلوا أو قتلوا ، أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة . ولهذا جاء فى الصحيحين « وتكمل الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج به إلا جهاد فى سبيل وتصديق برسلى بأن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذى خرج منه نال ما نال من أجر أو غنمة » وقوله (وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن) تأكيد لهذا الوعد وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه السكرة وأنزله على رسله فى كتبه الكبار وهى التوراة للزلة على موسى . والإنجيل للزلة على عيسى . والقرآن للزلة على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقوله (ومن أوفى بعهده من الله) فإنه لا يخلف الميعاد . هذا كقولهم (ومن أصدق من الله حديثا) (ومن أصدق من الله قيلا) ولهذا قال (فاستبشروا بيسمى الذى بايعهم به وذلك هو

النور العظيم) أي فليستبر من قام بتقتضي هذا المقد وفي هذا المهد بالنور العظيم والتسم للقيم .

﴿التَّائِبُونَ الْعُمِدُونَ الْحَمْدُونَ السَّاجِدُونَ أَلَّا يَكُونُ السَّجِدُونَ إِلَّا مِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَهْوُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَظِيمُونَ لِعُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

هذا نصت للمؤمنين الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجليلة والحلال الجليلة (التائبون) من الذنوب كلها التاركون للقواحي (العابدون) أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال فمن أغص الأقوال الحمد فلهذا قال (الحامدون) ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك اللذات من الطعام والشراب والجماع وهو للراد بالصياحة ههنا ولهذا قال (الساجدون) كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى (ساعات) أي ساعات وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال (الراكون الساجدون) وهم مع ذلك ينعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليته وعمره علما ومحملا قاموا بعبادة الحق ونصح الحق ولهذا قال (وبشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به .

﴿بيان أن الراد بالصياحة الصيام﴾ قال سفيان الثوري عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن مسعود قال (الساجدون) الصائمون وكذا روى عن سعيد بن جبير والوفى عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن الصياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا إبراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : صياحة هذه الأمة للصيام ، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبد الرحمن السلمي والضحاك بن مزاحم وسفيان بن عيينة وغيرهم أن المراد بالصائمين الصائمون ، وقال الحسن البصري (الساجدون) الصائمون شهر رمضان وقال أبو عمرو البدي (الساجدون) الذين يدعون الصيام من المؤمنين ، وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصائمون هم الصائمون» وهذا الموقوف أصح وقال أيضا حدثني يونس عن ابن وهب عن عمر بن الخطاب عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال سئل النبي ﷺ عن الصائمين فقال «هم الصائمون» وهذا مرسل جيد وهذا أصح الأقوال وأشهرها وجاء ما يدل على أن الصياحة الجهاد وهو ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في الصياحة فقال النبي ﷺ «صياحة أمق الجهاد في سبيل الله» وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة أخبرني عبارة بن غزيرة أن الصياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيدئنا الله ببلقاء الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف» وعن حكرمة أنه قال : هم طلبة العلم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون ورواهما ابن أبي حاتم وليس المراد من الصياحة ما قد يفهم بعض من تبعه بمجرد الصياحة في الأرض والتفرّد في شواطئ الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والازلّة في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر يفرّ يدبته من الفتن» وقال البرقي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (والحافظون لحدود الله) قال القاسموني بطاعة الله وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية (الحافظون لحدود الله) قال لقرائن الله وفي رواية القاسموني على أمر الله

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَدَلٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

ودعوت ربي أن يرفع عن أمي أربما رفع عنهم اثنتان وأني أن يرفع عنهم اثنتان : دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجل من السماء والفرق من الأرض وأن لا يليبهم شيئا وأن لا يذيق بضمهم بأس بضم فرغ الله عنهم الرجل من السماء والفرق من الأرض وأني الله أن يرفع عنهم القتل والمهرج » وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كداه وكانت عسفاً لهم ، وهذا حديث غريب وصحيح وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت ، وكذلك ما رواه السهلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون : إن الله أحيا له أباه وأمّه فأمنت به . وقد قال الحافظ بن دحية : هذا الحديث موضوع برده القرآن والإجماع ، قال الله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) وقال أبو عبد الله القرطبي : إن مقتضى هذا الحديث ورد على ابن دحية في هذا الاستدلال بما حاصله أن هذه حياة جديدة كارجعت الشمس بعد غيوبها . فصل على الصرا قال الطحاوي وهو حديث ثابت يني حديث الشمس قال القرطبي فليس إحياءهما يتبع عقلا ولا شرما قال وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فأمن به (قلت) وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم . وقال المعوي عن ابن عباس : في قوله (ما كان لثني والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية أن النبي ﷺ أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال « إن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لأبيه » فأئزله الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) الآية ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية وقال قتادة في الآية ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا بني الله إن من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويؤتي العاني ويوفي بالدم أفلا نستغفر لهم ؟ قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بلى والله إنني لاستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه » فأئزله الله (ما كان لثني والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) حتى بلغ قوله (الجحيم) ثم عذره الله تعالى إبراهيم عليه السلام فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « قد أوحى الله إلي كلات فدخلن في أدنى وقرن في قلبي : أمرت أن لا استغفر لمن مات مشركاً ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف » وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكان يبنني له أن يمضي معه ويدفنه ويدعو له بالصالح مادام حياً فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه - إلى قوله - تبرأ منه) لم يدع . وشهدله بالصحة ما رواه أبو داود وغيره عن علي رضي الله عنه ، لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات قال « اذهب فواره ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيين » فذكر تمام الحديث ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبا طالب قال « ومهلك رحمة يا عم » وقال عطاء بن أبي رباح : ما كنت لأبغ الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حشيشة حلي من الزنا لأنني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا عن المشركين يقول الله عز وجل (ما كان لثني والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية

وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن رامل عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول يرحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا . قال إن أبي مات مشركاً ، وقوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قال ابن عباس ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو لله وكذا قال مجاهد والضحاك وقاتة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن حمير وسعيد بن جبير إنه يترأ منه يوم القيامة حين يلي أباه وعلى وجه أبيه القفرة والتيرة فيقول يا إبراهيم إنني كنت أعصيك وإنني اليوم لا أعصيك فيقول أي ربي أم تدفن لا تخزي يوم يموتون ، فأخزي أخزي من أبي الأبعد فيقال انظر إلى ما وراءك فإذا هو بذبح متلطخ أي قد مسخ بضمها يسحب بوقامه ويلقى في النار . وقوله (إن إبراهيم لأواه حليم) قال سفيان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأواه النساء وكذا روى عن غير وجه عن ابن مسعود قال ابن جرير

حدثني الثقي حدثنا الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الحافظ قال بينا النبي ﷺ جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواء ؟ قال « للتضرع » قال (إن إبراهيم لأواء حليم) ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولعله قال الأواء التضرع لله تعالى . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي القدير أنه سأل ابن مسعود عن الأواء فقال هو الرحيم ، وبه قال مجاهد وأبو ميسرة عمر بن شراحيل والحسن البصري وقادة وغيرهما أنه أي الرحيم أي يباد الله . وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الأواء اللوقن بلسان الحبيشة ، وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه اللوقن ، وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الأواء المؤمن زاد علي بن أبي طلحة عنه هو المؤمن التواب ، وقال العوفي عنه هو للمؤمن بلسان الحبيشة . وكذا قال ابن جريج هو للمؤمن بلسان الحبيشة

وقال الإمام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن خزيمة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو التجادين « إنه أواء » وذلك أنه رجل كان إذا ذكر الله في القرآن رفع صوته بالثناء ورواه ابن جرير . وقال سعيد بن جبيرة والشعبي الأواء المسبح وقال ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبيرة بن نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لاحظظ لي سبعة الضحى والأواء وقال الشافعي ابن ماجة عن أبي أيوب الأواء الذي إذا ذكر خطيئته استغفر منها ، وعن مجاهد الأواء الحافظ الرجل يذب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا الحارثي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن يان أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك لابي صلى الله عليه وسلم فقال « إنه أواء » وقال أيضا حدثنا أبو كرب حدثنا ابن هانئ حدثنا الليث بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتا فقال « رحمك الله إن كنت لأوأما » يعني تلاء للقرآن ، وقال شعبه عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أسفة روميا وكان فاسا فيحدث عن أبي ذر قال : كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه فذكر ذلك لابي صلى الله عليه وسلم فقال « إنه أواء » قال فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المسباح . هذا حديث غريب رواه ابن جرير . وروى عن كعب الأخبار أنه قال سمعت (إن إبراهيم لأواء) قال كان إنما ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جريج عن ابن عباس (إن إبراهيم لأواء) قال قبيه . قال الإمام أبو جعفر بن جرير وأولى الأقوال بقول من قال إنه الله وهو المناسب للسياق وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن سبعة وعدها إليه وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليما عن ظله وأنه لمكرها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ؟) لأن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك رب إنه كان في حفا) فعمل عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى (إن إبراهيم لأواء حليم)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَدَأَ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعْطِي وَيُمْسِكُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ﴾

يقال تعالى هبنا عن هسه الكرمية وحكمه المأدلة إنه لا يضل قوما إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى (وأما نوح فهديناهم) الآية . وقال مجاهد في قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) الآية قال يان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بانه لهم مصيبته وطاقته عامة فالتلوا أو ذروا . وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقتضى عليكم في استغفاركم لو تاركوا للمشركين بالاضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووقفكم للإيمان به وبرسوله حتى تقدم إليكم بالهي عنه فتتركوا . فأما قول أن بين لكم كراهة ذلك بالهي عنه ثم تعدوا نهيي إلى ما نهاكم عنه فإنه لا يحكم عليكم بالاضلال فان الطاعة والمعصية إنما يكونان من اللامور

واللهي ، وأما من لم يؤمن ولم يته غير كائن مطعاً أو عاصياً فإما لم يؤمر به ولم يته عنه ، وقوله تعالى (إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) وقالكم من دون الله من ولي ولا نصير) قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر وأنهم يحقوا بصر الله ملك السموات والأرض ولا يهربوا من أعدائه فإنه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواء وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد بن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال سئلت رسول الله صلى الله عليه بين أصحابه إذا قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأسمع أليط الساء وما تلام أن تثط وما فيها من موضع طير إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » وقال كعب الأحبار ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله ، وإن ملائكة السماء لا أكثر من عدد التراب ، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى عنه مسيرة مائة عام

(قَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمسي سنة مجده وحر شديد وعسر من الزاد والماء ، قال قتادة خرجوا إلى الشام عام تبوك في لبنان الحر طي ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى قد ذكر لنا أن الرجلين كانا يتقنان القفرة بينهما وكان النفر يشدا ولون القفرة بينهم يمضيا هذا ثم يهرب عليها ثم يمضيا هذا ثم يهرب عليها فتاب الله عليهم وأقبلهم من غزوتهم ، وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن بيزر بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قبط شديد فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى إن كان الرجل ليذهب يلمس للاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع وحتى إن الرجل لينهر بيمه فيصمر فرقه فيسهر به ويصل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في البلاء خيراً فادع لنا فقال « تحب ذلك ؟ » قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سألت السماء فأهطلت ثم سكنت فلبثوا ما معهم ثم ذهبنيا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر ، وقال ابن جرير في قوله (قَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَةِ) أي من النفقة والظهر والزاود والماء (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أي من الحق ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب الذي تألم من للشقة والشدة في سفرهم وغزوهم (ثم تاب عليهم) يقول ثم رزقهم الإنابة إلى دينهم والرجوع إلى التبات على دينه (إنه بهم رءوف رحيم)

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا ضَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أبي الزهري محمد بن عبد الله عن حماد بن محمد بن مسلم الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك كان قائد كعب بن بنيه عن أبي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال كعب بن مالك لم

أخلف عن رسول الله ﷺ في غزاة غزاها قط إلا في غزاة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يأتني
أحد تخلف عنها ، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله ﷻ بينهم وبين عدوهم على
غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة القبة حين توافقتنا على الاسلام وما أحب أن يها مشهد
بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جئت قبلها راحلتين قط
حتى جئتها في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة ينزوها إلا وري يسرها حتى
كانت تلك الغزوة تغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرا يبيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فغلب المسلمون
أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد وللنول مع رسول الله ﷺ كثير لا يحصهم كتاب
حافظ - يريد الله بيوان - قال كعب : قتل رجل يريد أن يتعيب إلا ظن أن ذلك سيخفي عليه ما لم ينزل فيه وحى من
الله عز وجل وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال وأنا إليها أسمر فتجزأ إليها
رسول الله ﷺ وللؤمون معه فطقت أخسو لكي أجهز معهم فأرجع ولم أكن من جهازي شيئا فأتول
لنفسى أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتأذى بي حتى استمر بالناس الجند فأصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم غاديا وللنول معه ولم أكن من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فشدت بعدما صلوا
لأجهز فرجعت ولم أكن من جهازي شيئا ثم غدت فرجعت ولم أكن شيئا فلم يزل ذلك يتأذى بي حتى أسروا
ومارط النزو فهممت أن ارتحل فالحقهم وليت أني فعلت ثم لم يقد ذلك لي فطقت إذا خرجت في الناس بعد
رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مضموصا عليه في النفاق أو رجلا من عهده الله عز وجل
ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم يتبوك « ما فعل كعب بن مالك » قال
رجل من بني سلمة حسب يارسول الله برداء وانظر في عطفه فقال صاذ بن جبل : بشا قلت والله يارسول الله
ما علمنا عليه إلا خيرا . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال كعب بن مالك قلما يفتني أن رسول الله ﷺ
قد توجه قالنا من تبوك حضري بي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غسدا وأسمين
على ذلك بكل ذي رأى من أهلي قلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قالما زاح عن الباطل وعرفت أني
لم أجد منه شيء أبدا فأجئت صدقه فأصبح رسول الله ﷺ وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فلي
ركبتين ثم جلس للناس قلما قيل ذلك جاءه للتخلفون فطققوا يمتدرون إليه ومخلفون له وكانوا بضعة وثمانين
رجلا فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفرون لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت للما سلمت
عليه تبسم تبسم للثعب ثم قال لي « قال » فبحثت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي « ماخطبك ألم تكن قد
اشترت ظهرا » قلت يارسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأريت أن أخرج من سخطه بئد قد
أعطيت جدلا ولكني والله قد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كلب ترضى به عن ليوشكن الله أن يسخنك على
ولئن حدثتك بسدق تجد على فيه إني لأرجو عتي ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عند والله ما كنت قط
أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال : فقال رسول الله ﷺ « أما هذا قد صدق قم حتى يقضي
الله فيك » فقامت وقام إلى رجلا من بني سلمة وأبوعبي قالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد
عجزت أن لا تحكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به للتخلفون قد كان كافيكم من ذنبك استخار
رسول الله ﷺ لك قال فوالله ما زالوا يؤذوني حتى أردت أن أرجع فأكتب همى قال ثم قلت لهم هل لقي معي
هذا أحد قالوا نعم لقيه بمك رجلا قالما مثل ماقلت وقيل لهما مثل ماقلت لك قلت في ما قالوا مرارة بن الربيع
العامري وهلال بن أمية الوائقي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيما أسوة قال فضيت حين ذكرهما لي
قال ونهى رسول الله ﷺ للمسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتبورا لنا حتى

تسكرت لي في غننى الأرض فما هم بالبرص التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنيت أشد القوم والجذام فكنت أشد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يخطئني أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قى جلسته بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسى أحرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أبى قريباته وأسارقه النظر لانا أتيت على صلاتي نظر الى فاذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من هجر للمسلمين مشيت حتى تسورت حائط أنى تادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما برد على السلام فقلت له يا أبا كنانة أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم . قال فقامت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فيينا أنا أمشى يسوق للدينة إذا أنا ببطنى من أنباط الشام بمن قدم بطعام بيده بالدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون إلى على حتى جاء فدفع إلى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فاذا فيه : أما بعد قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك وإن الله لا يملك فيدار هو أن ولا مضية فاطلق بنا نوانك قال فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء قال فقيمت به التور فسيرته به حتى إذا مضت أربعمائة ليلة من الحنين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال . بل تعتزلها ولا تحربها ، قال وأرسل إلى صاحبي بئس ذلك قال فقلت لأمريها الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما يشاء قال فجادت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلالا شيخ ضعيف ليس له خادم فهل تسكره أن أخدمه قال « لا ولكن لا يقربك » قالت وإنه والله ما به من حركة إلى شيء وإنه والله مازال ييكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهل فو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخميه قال فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرى ما يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل ثياب قال فلبثنا عشر ليال فكمكنا لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلانا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فيينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت على نفسى وضائق على الأرض بما رحبت جمعت صارخا أو فى على جبل سلع يقول بأعلى صوته أبحر يا كعب بن مالك قال فخربرت ساجيدا وعزفت أن قد جلب القبرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى القبرج فذهب الناس يشيروننا وذهب قبل صاحبي يشيرون وركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاهد الذى سمعت صوته يشيرون نزعته له ثوب فكسوتهما إياه بيشارته وإلله ما أملك يوشعده غيرها واستمرت ثوبين فلبسهما وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاى الناس فوجا فوجا يهتفون بقرابة الله يقولون ليهناك توبة الله عليك حتى دخلت للسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في السجد والناس حوله يهتفون إلى طلحة بن عبيد الله هجروا حتى صافحوا وهما نى والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يشأها طلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يرق وجهه من السرور « أبحر خير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال « لأبى من عند الله » قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سار استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يصر ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتى أن أخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله قال « أمسك عليك بسن مالك فهو خير لك » قال فقلت فإني أمسك سهمي الذي تخير وقلت يا رسول الله إنما تجانى الله بالصدق وإن من توبتى أن لأحدث لإصداقا ما جيت قال فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين إلا ياء الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلغنى الله تعالى والله ما صدقت كلمة منقلبت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، فإني لأرجو أن يغفر الله عز وجل فيما بينى

(قال) وأمر الله تعالى (قدهاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ

قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (إلى آخر الآيات . قال كعب غواة ما أنتم الله على من نعمة فذكر بعد أن هداى للإسلام أعظم في نفس من صدق رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى (سيقولون بالله لقد أظلمت عليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إثمهم رجس وما واهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) قال وكنا أيها الثلاثة الذين خلفنا عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلقوا بياضهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فذلك قال الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس تخليفه إيانا وارجاؤه أمرنا الذى ذكر مما خلفنا يتخلفنا عن القزو وإنما هو ضمن حلفه واعتدله قبل منه . هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحب الصحيح البخارى ومسلم من حديث الثوري بنحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها وكذا روى عن غير واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار ، وكذا قال مجاهد والضحاك وقادة والسدي وغير واحد وكلهم قال مرارة بن ربيعة ، وكذا في مسلم بن ربيعة في بعض نسخته وفي بعضها مرارة بن الربيع ، وفي رواية عن الضحاك مرارة بن الربيع كما وقع في الصحيحين وهو الصواب ، وقوله نسما رجلين شهدا بدرًا قيل إنه خطأ من الثوري فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرًا والله أعلم . ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحو من خسين ليلة بأياها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أى مع سعتها فسدت عليهم المسالك وللأهلب فلا يبتدون ما يسمعون فصبوا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم وأنه كان عن غير عندهم فوقوا على ذلك هذه اللمة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ، ولهذا قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أى اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتتبعوا من المهالك ويعمل لكم فرجا من أموركم وخرجوا وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » أخرجه في الصحيحين ، وقال شعبه عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الكذب لا يصلح منه جد ولا هول اقرءوا إن شئتم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) هكذا قرأها ثم قال فهل يجدون لأحد فيه رخصة ، وعن عبد الله بن عمر روى قوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال مع محمد ﷺ وأصحابه ، وقال الضحاك مع أني بكر وعمر وأصحابهما وقال الحسن البصري إن أردت أن تكون مع الصادقين فليكن بك في الدنيا والكف عن أهل الله

(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَصِدُّهُمْ قُلُوبُهُمْ وَلَا تَحْبِصُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتْلُونَ مَوْطِنًا يَبْغِضُ السَّكَّارَ وَلَا يَتَأَلَّوْنَ مِنْ عَذْوٍ نِثْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلَحَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)

صائب تبارك وتعالى للتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ورغبتهم بأعسهم عن مواساته فيما حصل له من للشقة فاتهم حصوا أنفسهم من الأجر لأنهم (لا يصيبهم ظمأ) وهو العطش (ولا نصب) وهو التعب (ولا محنة) وهي المجاعة (ولا يطئون موطئاً يفيض الكفار) أي ينزلون منزلاً يهرب عدوم (ولا يتألمون) منه تقرباً وغلبة عليه (إلا كتب لهم) بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم وإنما هي ناشئة عن أعمالهم أعمالاً سالحة وثواباً جزيلاً (إن الله لا يشعير أجر المستنين) كبقوله (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً)

﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى : ولا ينفق هؤلاء النزاة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي قليلاً ولا كثيراً (ولا يقطعون وادياً) أي في السبر إلى الأعداء (إلا كتب لهم) ولم يقل ههنا به لأن هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال (ليجزىهم الله أحسن ما كانوا يعملون) وقد حصل لأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر وتسيب عظيم ، وذلك أنه أضحى في هذه القزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة كما قال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا أبو موسى التنوي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني سليمان بن التيرة حدثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن حباب السلي قال خطب رسول الله ﷺ فحث على جيش العسرة قال عثمان بن عفان رضي الله عنه على مائة بئر بأحلاسها وأتائها ، قال ثم حث فقال عثمان على مائة بئر أخرى بأحلاسها وأتائها ، قال ثم نزل مائة من التبر ثم حث فقال عثمان بن عفان على مائة أخرى بأحلاسها وأتائها . قال فرأيت رسول الله ﷺ قال بيده هكذا يجرهما ، وأخرج عبد الصمد بيده كالتمجيب « ما على عثمان ما عمل به هذا » وقال عبد الله أيضاً حدثنا هارون ابن معروف حدثنا ضمرة حدثنا عبد الله بن شاذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن صبرة عن عبد الرحمن بن صبرة قال جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال فسبها في حجر النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يخلها بيده ويقول « ما ضر ابن عفان ما عمل به اليوم » يرددها مراراً ، وقال قتادة في قوله تعالى (ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم) الآية ما ازداد قوم في سبيل الله بعداً من أهلهم إلا ازدادوا قرباً من الله

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا ظَهَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

هذا بيان من الله تعالى لما أراد من غير الأحياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أنه كان يجب التنفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (اخرجوا خفاً وثقلاً) وقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) الآية قال فنسخ ذلك بهذه الآية . وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى من غير الأحياء كلها وشرضة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم لينتفعه الحارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الأمران في هذا التنفير المعين وبسده ﷺ تكون الطائفة النافرة من الحلي إما لتنفعه وإما لجهاد فانه فرض كفاية على الأحياء وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وما كان المؤمنين لينفروا كافة) يقول ما كان المؤمنين لينفروا جميعاً وبنكروا النبي ﷺ وحده . (فلولا ظهروا من كل فرقة منهم طائفة) يعني عصابة يعني السرايا ولا يسبوا

إلا يأتهم فإذا رجعت السرايا وقد أنزل بينهم قرآن تلهه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنًا وقد تلهنا فتكث السرايا يملكون ما أنزل الله على نبيهم يسد بهم ويبيت سرايا أخرى فذلك قوله (ليفتقروا في الدين) يقول ليملوا ما أنزل الله على نبيهم وليملوا السرايا إذا رجعت إليهم (لعلهم يفتقروا) وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأسابوا من الناس معروفًا ، ومن الحصب ما يفتنهم به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك مخرجًا وأقبلوا من البداية كلمهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يفتنوا الخير (ليفتقروا في الدين) وليستمعوا ما في الناس وما أنزل الله فعذرهم (وليتندروا قومهم) الناس كلمهم إذا رجعوا إليهم (لعلهم يفتقروا) وقال قتادة في الآية هذا إذا بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش أمرهم الله أن يفتنوا بنييه صلى الله عليه وسلم وهم طائفة مع رسول الله تفتنه في الدين وتنتقل طائفة تدعو قومها وتعلمهم وقائع الله فيمن خلا قلبه ، وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعذار وكان إذا أقام وأسرى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بأذنه وكان الرجل إذا استرى فنزل بعده قرآن وتلاه نبي الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه القاعدين معه فإذا رجعت السرية قال لهم الدين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنًا فيفتقروهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول إذا أقام رسول الله (قلوا نفر من كل فرقتهم طائفة) يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعًا ونبي الله صلى الله عليه وسلم قاعد ولكن إذا قصد نبي الله فسرت السرايا وقصد معه معظم الناس . وقال علي بن أبي طلحة أيضًا عن ابن عباس في الآية قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنيين أجذبت بلادهم وكانت القليلة منهم قبل بأسرها حتى يحل بالمدينة من الجهد ويشتروا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدهم فأقر الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين فدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله (وليتندروا قومهم إذا رجعوا إليهم) الآية وقال الموفى عن ابن عباس في هذه الآية كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما نأمرنا أن تفعل ؟ وأخبرنا بما نأمر به عشائنا إذا قدما عليهم قال فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويهتيم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا إن من أسلم فهو منا ويندرونهم حتى إن الرجل ليفارق أهله وأمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعوهم إلى الإسلام ويندرونهم النار ويشرونهم بالجنة ، وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية (لا تنفروا يهذبكم عذابًا أليمًا) (وما كان لأهل المدينة) الآية قال للتأقوت هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم فأقر الله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية وزلت (والذين يهاجرون في الأمن بهما استجب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وقال الحسن البصري في الآية يفتقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ويندروا قومهم إذا رجعوا إليهم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا وقالوا الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب ؛ فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن والنجاة وهجر وخيبر وحضر موت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين

الله أفواجاً شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهده الناس وجذب البلاد وخبى الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته للنبي صلوات الله وسلامه عليه بعد حجة بأحد وعشرين يوماً فاختاره الله لما عنده وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينحط فثبتته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت النظام ، ورد شارده ، وأدى عن الرسول ما حمله ، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليان ، وإلى القرس عبدة النيران ، ففتح الله بركة سفارته البلاد ، وأرغم أنفس كسرى وقيصرو من أطاعهما من العباد . وأحق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدي وصي من بعده ، وولي عهده القاروق الأبواب ، شهيد الهرب ، أي حصص عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه فأرغم الله به أنوف الكفرة للحددين ، وقع الطاعة والسائقين ، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً . وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بدءاً وقرباً . ففرقها على الوجه الشرعي . والسبيل للرعي . ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً . أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار . فكسى الإسلام ريشة حقة سائسة . وأمدت في سائر الأقاليم على رقب العباد حجة الله الباقية . فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها . وهلت كلمة الله وظهر دينه . وبلغت الملة الحنيفة من أعداء الله غاية ماكرها . وكلما علا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الدين يلوهم من العاة القجار امتثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوكن من الكفار) وقوله تعالى (وليجدا فيكم غلظة) أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن غليظاً على عدوه الكافر كقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه آذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (يا أيها النبي جلد الكفار والمنافقين واغلق عليهم) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا الضعوك القتال » يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لحامة عدوه وقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه وهكنا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم . ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام وفيه الأمر من قبل ومن بعد ، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وقدر ما فيه من ولاية الله . والله المستول للمأمول أن يمكن للمسلمين نواصي أعدائه الكافرين وأن يملئ كلهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ قَبِيحٌ مِّنْ يَقُولِ أَتَيْكُمْ زَادَتْهُ هَؤُلَاءِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَأَدْتَهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يُسْتَفْسِرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَكَانُوا قَوْمٌ كَا فِرُونَ ﴿

يقول تعالى (وإذا ما أنزلت سورة قبيح من يقول أتاكم زادت هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستفرون) (من يقول أتيكم زادت هذه إيماناً) أي يقول بعضهم لبعض يأتكم زادت هذه السورة إيماناً قال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستفرون) وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء . بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك . وقد بسط الكلام على هذه المسئلة في أول شرح البخاري رحمه الله (وأما الذين في قلوبهم مرض

فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أى زادتهم شكا إلى شكهم وديا إلى ريبهم كما قال تعالى (وتزل من القرآن ما هو شفاء) الآية ، وقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد) وهذا من جملة شفايتهم أن ما يهدى القلوب يكون سببا لسلامتهم ودمارهم كما أن سبي الزلاج لو غذى بما غذى به لا يزيد إلا خيالا وتقصا .

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذْ آمَأُتِزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَسُكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

يقول تعالى أولا يرى هؤلاء للناقثون (أنهم يفتنون) أى يختبرون (فى كل عام مرة أو مرتين) ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) أى لا يتوبون من ذنوبهم السابقة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم قال جاهد يختبرون بالنسبة والجرع وقال قتادة بالقرء فى السنة مرة أو مرتين ، وقال شريك عن جابر عن الجنى عن أبى النضى عن حذيفة فى قوله (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين) قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين يفضل بها ثلثم من الناس كثير رواه ابن جرير . وفى الحديث عن أنس : لا يزداد الأمر إلا عنة ولا يزداد الناس إلا شحا ومانم عام إلا والذى بعده شر منه . سمعت من نبيكم ﷺ وقوله (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض : هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) هذا أيضا إخبار عن الناقثين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ (نظر بعضهم إلى بعض) أى تلتفتوا (هل يراكم من أحد ثم انصرفوا) أى تولوا هن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم فى الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله تعالى (فما لهم من التذكرة معرضين) كأنهم حمزة مستغفرون فرت من سورة) وقوله تعالى (فما للذين كفروا قبلا سمعتهم) عن المؤمنين وعن النبال عزين) أى ما للؤلاء القوم يتشلقون عنك مجنبا وشيلا وما من الحق وذهايا إلى الباطل وقوله (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كقوله (فما زاغوا أنزع الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) أى لا يفهمون عن الله خطابه ولا يتصدون لقهم ولا يريدونه بل هم فى شغل عنه وظهور منه قل هذا صاروا إلى ما صاروا إليه

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

يقول تعالى تمتنا على المؤمنين بما أرسل اليهم رسولا من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لقهم كما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابست فيهم رسولا منهم) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشي وللثيرة بن شعبة لرسول كسرى : إن الله بعث فينا رسولا منا تعرف نسبه وصفته ومدخله وخبرجه وسدقه وأمانته وذكر الحديث وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال ﷺ « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الراهرمزي فى كتابه التامل بين الراوى والواعى : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هرون بن زياد حدثنا ابن أبى عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال : أشهد على أبى لحدتى عن أبيه عن جده عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يمس من سفاح الجاهلية شيء » وقوله تعالى (عزى عليه ما عنتى) أى عزى عليه الذى نادى بعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء فى الحديث للروى من طرق عنه أنه قال « بعث بالخيفية السحرة » وفى الصحيح « إن

هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة صحيحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه » (حريص عليكم) أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي اليك ، وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر بقلب جناحه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علما قال : وقال رسول الله ﷺ « ما بقي شيء يقرب من الجنة وياعد من النار إلا وقد جعل لكم » وقال الإمام أحمد : حدثنا قطن حدثنا السعدي عن الحسن بن سعد عن عبدة الهذلي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطمها منكم مطلع ألا وإنني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفرائش أو الدياب » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ابن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيا يرى التمام فقدم أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه . فقالت الذي عند رجله للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته قال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر اتهاوا إلى رأس مفازة ولم يكن معهم من الزاد ما يطمعون به للفازة ولا ما يرجون به فيبنيهم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حيرة قال : رأيتم إن وردت بكم رياضا مشعبة وحياضا رواء تبغون ؟ فقالوا نعم قال فانطلق بهم فأوردهم رياضا مشعبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وصنوا فقال لهم ألم أقمكم على تلك الحال فبجستم لي إن وردت بكم رياضا مشعبة وحياضا رواء أن تبغوني ؟ فقالوا بلى فقال : فان بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبوني فقالت طائفة صدق والله لتبغتن ، وقالت طائفة قد فرضينا بهذا نعم عليه ، وقالوا البراز حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قال حدثنا إبراهيم بن الحكم ابن أبيان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يستنيه في شيء قال عكرمة أراه قال في دم ^(١) فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ثم قال « أحسنت اليك » قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهما أن يقوموا إليه فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كانوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال « إنك إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك قتلنا ما قلت » فزاده رسول الله ﷺ شيئا وقال « أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابي نعم فبجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك قتلنا ما قلت . وفي أنس أصحابي عليك من ذلك شيء فلذا جئت قتل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى ينهب عن صدورهم » فقال نعم : فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ « إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وإننا قد دعونا فأعطيناه فزعم أنه قد رضى ، كذلك يا أعرابي ؟ » قال الأعرابي نعم فبجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فصردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا قهورا . فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقةي فأرق بها وأنا أعلم بها توجهها وأخذ لها من قشام الأرض ودعها حتى جاءت واستجابت وشهد عليها رحلها وإنني لو أطعكم حيث قال ما قال لفسد النار » رواء البراز ثم قال لانهله يروى إلى من هذا الوجه (قلت) وهو ضيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبيان والله أعلم ، وقوله (بالمؤمنين ردوف رحيم) كقولهم (واخضف جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فإن عسوك قتل إلى برى عما تصالون » وتوكل على العزيز الرحيم » وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى (فإن تولوا) أي تولوا عما جئهم به من الشرسة العظيمة المظهرة الكاملة الشاملة (قتل حسبي الله إلا هو) أي الله كافي لإله إلا هو عليه توكلت كما قال تعالى (رب الشرق والغرب لإله إلا هو فاتخذة وكلا) (وهو رب العرش العظيم) أي هو مالك كل شيء وخالق له لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف الجلوات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيها وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرته الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب

قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنهم أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويعلو عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) الآية فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب إن رسول الله ﷺ أقرأني يسدها آيتين (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة قال هذا آخر ما نزل من القرآن ففتح بما فتح به الله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وهذا غريب أيضاً ، وقال أحمد حدثنا علي بن حجر حدثنا علي بن محمد بن سفة عن محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى عمر بن الخطاب فقال من ملك علي هذا ؟ قال لا أدري والله إني لأشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظها فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجمعها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها فوضعوها في آخر براءة ، وقد نهد الكلام أن عمر ابن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن فأمر زيد بن ثابت فجمعهم وكان عمر يحضرم وهم يكتبون ذلك ، وفي الصحيح أن زيدا قال فوجئت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة ، وقد قدما أن جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عند رسول الله ﷺ كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم ، وقد روى أبو داود عن زيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر - وقال كان من هات السليمن من التتبعين عن مدرك بن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم البراءة عن أبي البراءة قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه (١) ، وقد رواه ابن عساکر في ترجمة عبد الرزاق بن عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن جليس عن أم البراءة سمعت أبا البراءة يقول : ما من عبد يقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقاً كان بها أو كاذباً إلا كفاه الله ما أهمه . وهذه زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا منكر والله أعلم آخر تفسير سورة براءة والله المحدث والثناء

(تفسير سورة يونس عليه السلام وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(اَلرَّحْمٰنُكَ ؕ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْحَكِيْمِ ؕ اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحٰىنَا اِلٰى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اُنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَنْ لَّهْمْ قَدْ مَدَدْنَا حٰدِيْكُمْ هٰذَا رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ قَالِ الْكَافِرُوْنَ اِنْ هٰذَا لَسَعِيْرٌ مُّبِيْنٌ)

أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة ، وقال أبو الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى (الر) أمها أنا الله أرى . وكذلك قال الضحاك وغيره (تلك آيات الكتاب الحكيم) أي هذه آيات القرآن الحكيم اللين وقال مجاهد (الر تلك آيات الحكيم) (٢) وقال الحسن التورثي أبو جوير : وقال قتادة : (تلك آيات الكتاب) قال الكتب التي كانت قبل القرآن . وهذا القول لا أعرف وجهه ولا مناه . وقوله (أكان للناس عجباً) الآية . يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار ومن إرسال الرسل من البشر كما أخبر تعالى عن القرون

(١) كذا في الأصول بالاستثناء ولا يظهر إلا في الرواية التالية للجمعة بالنهي .

(٢) يباين بالأصل

لنا نحن من قولهم (أشهر يهودنا) وقال هود وصالح لقومهما (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) وقال تعالى غيرا عن كفار قريش أنهم قالوا (أجل الآلهة بلما واحدا إن هذا لشيء عجاب) وقال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل (أكان للناس عجايب الآية - وقوله (أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلقوا فيه فقال هل من أنبياء طلعوا عن ابن عباس في قوله (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الأول وقال العوفي عن ابن عباس (أن لهم قدم صدق عند ربهم) يقول أجرا حسنا بما قدموا وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كقوله تعالى (لننذر بأسا شديدا) الآية وقال مجاهد (أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال الأعمال: الصالحة صلاحهم وصومهم وصدقهم وتيسيرهم قال ومحمد بن يحيى يشفع لهم ، وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقال قتادة سلف صدق عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد أنها الأعمال الصالحة التي قدموها كما يقال له قدم في الإسلام كقول حسان

لنا تقدم علينا إليك وخلفنا • لأولنا في طاعة الله تابع

وقول ذى الرمة : لكم قدم لا ينكر الناس أنها • مع الحسب العادى طمت على البحر
وقوله تعالى (قال الكافرون إن هذا الساحر مبین) أى مع أنا بشنا إليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا
(قال الكافرون إن هذا ساحر مبین) أى ظاهر وهم الكاذبون في ذلك

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

غير تعالى أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام قبل كهذه الأيام وقيل كل يوم كالف سنة مما تعدون كما سيأتي بيانه ثم استوى على العرش والعرش أعظم المخلوقات وسفنها قال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج ابن حزمة حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت سعدا الطائي يقول : العرش يا قوة حمراء ، وقال وهب بن منبه خلقه الله من نوره وهذه غريب وقوله (يدبر الأمر) أى يدبر الخلق (لا يعزب عنه مقال ذرة في السموات ولا في الأرض) ولا يشغله شأن عن شأن ولا تطلعه المسائل ولا يتبرم بإلحاح المعين ولا يليه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار وال عمران والقفار (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) الآية (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال الدراوردي عن سعد بن إسحق بن كعب بن جبرة أنه قال حين نزلت هذه الآية (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) الآية لهم ركب عظيم لا يرون إلا أنهم من العرب فقالوا لهم من أنتم ؟ قالوا من الجن خرجنا من المدينة أخرجتنا هذه الآية رواه ابن أبي حاتم وقوله (ما من شئ من بعد إذنه) كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وقوله (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) أى أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له (أفلا تذكرون) أى أيها اللذين كنتم في أمركم تعبدون مع الله إلها غيره وأنتم تعلمون أنه لا تتفرد بالخلق كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم؟ ليقولن الله) وقوله (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) * يقولون الله قل أفلا تتقون) وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحدا حتى يبيده كما بدأه ، ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يبيده (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يبيده وهو أهون عليه) (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل والجزاء الأوفى (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم يذوبون يوم القيامة بأنواع العذاب من ميموم وحميم وظل من ميموم (هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج) (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون فيها وبين حميم آن)

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسْبُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِتْقَانٍ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾

يخبر تعالى مما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظم سلطانه وأنه جعل الشماع الصادر عن جرم الشمس ضياء وجعل شماع القمر نورا ، هذان وهذان آخر ، ففاوت بينهما ثلاثا يشتها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقدر القمر منازل ، فأول ما يبدو مضرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل بإبداره ، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر كقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (والشمس والقمر حسانا) الآية وقوله في هذه الآية السكرة (وقدره) أي القمر (منازل لعلوا عدد السنين والحساب) فالشمس تعرف الأيام وبسر القمر تعرف السهور والأعوام (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أي لم يخلق عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة كقوله تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من وجهة بقائه كقوله تعالى (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) النار) وقال تعالى (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) وقوله (فنصّل الآيات) أي نبين الحسج والأدلة (لقوم يعلمون) وقوله (إن في اختلاف الليل والنهار) أي تماقبا وإذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئا كقوله تعالى (ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا) وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) الآية . وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا) الآية وقوله (وما خلق الله في السموات والأرض) أي من الآيات الدالة على عظمته تعالى كما قال (وكأين من آية في السموات والأرض) الآية وقوله (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) وقال (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار) أي العقول : وقال ههنا (لآيات لقوم يتقون) أي عقاب الله وسخطه وعذابه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَيْنَا يَغْلِبُونَ * أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنْ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

يقول تعالى خبرنا عن حال الأتقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأننوا إليها نفوسهم . قال الحسن : والله ما زينتوها ورضوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يفكرون فيها والشرعة فلا يأتمرون بها بأن ما أوامهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والأجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ اخْلُدْ لَهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسلين وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم ، بحيث أن تكون الباء هنا نيبية تقديره بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجزوه ويخلصوا إلى الجنة ، وعمل أن تكون للاستانة كما قال مجاهد في قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) قال يكون لهم نوراً يشعرون به ، وقال ابن جرير في الآية يمثل له عمله في صورة حسن توريح طيبة إذا قام من قبره بمرض صاحبه ويشره بكل خير فيقول له من أنت ؟ فيقول أنا عملك فيحصل له نوره من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى (يهديهم ربهم بإيمانهم) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح متنتة فيألم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار ، وروى نحوه عن قتادة مرسلاته أعلم ، وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أي هذا حال أهل الجنة . قال ابن جرير أخبر أن قوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) قال إذا من ربهم الطير يشتهون قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأثمهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله (وتحيتهم فيها سلام) قال فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقال مقاتل بن حيان : إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم (سبحانك اللهم) قال فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحن من ذهب فيها طعام ليس في الأخرى قال فيأكل كل منهم كلهم ، وقال سفيان الثوري إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال (سبحانك اللهم) وهذه الآية فيها شيء من قوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الآية . وقوله (لا يسمعون فيها نواها ولا نأها إلا قلائداً ماسلماً) وقوله (سلام قولاً من رب رحيم) وقوله (وللاكلة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) الآية وقوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو الحمود أبداً ، للبود على طول اللذة ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيهه حيث يقول تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها وأنه الحمود في الأولى والأخيرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة في جميع الأحوال ولهذا جاء في الحديث : إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس . وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم فتكثر وتماد وتزداد فليس لها انتظاف ولا أمد فلا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِجَابَ لَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَرْجُلَهُمْ فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

غير تعالى عن حله ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم بالشَّرِّ في حال ضجرهم وغضبهم وأنه يلمهم عدم القصد إلى إرادة ذلك فلماذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفاً ورحمة كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو أولادهم بالخير والبركة والثناء ولهذا قال (ولو يسأل الله للناس الشر استجبالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) الآية أي لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ولكن لا ينبغي إلا كثار من ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البرزاني في مسنده : حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا حاتم بن إسماعيل حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو جرة عن عبادة بن الوليد حدثنا جابر قال : قال رسول الله ﷺ لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم . لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم » ورواه أبو داود من حديث حاتم بن إسماعيل . به . وقال البرزاني وتفرّد به عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري لم يشاركه أحديه وهذا كقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشَّرِّ دعاهم بالخير) الآية ، وقال مجاهد في تفسير هذه الآية (ولو يسأل الله للناس الشر استجبالهم بالخير) الآية

هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه ، والمنة . فهو يسجل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلهم .

﴿ وَإِذَا مَنِ الْإِنْسَانَ أَذْنًا بَغِيَّةً أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِلًا كَفَّضْنَا عَنْهُ سُرَّتْهُ مَرَكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى سُرِّ مَسٍّ كَذَلِكَ زَيْنَ السُّرِّيِّينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان وضجيره وقلقه إذا مسه الضر كقوله (وإذا مسه الضر فقلو دعاء عريض) أي كثير وهما في معنى واحد وذلك لأنه إذا أصابه شدة قلق لها وجزع منها وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها ورفعها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله فلذا فرج الله شدة وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه وذهب كأنه ما كان به من ذلك شيء (مركان لم يدعنا إلى سر مسه) ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته فقال (كذلك زين السريين ما كانوا يعملون) فأما من رزقه الله الهداية والساد والتوفيق . والرشاد فانه مستقى من ذلك كقوله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجايب المؤمنين لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له : إن أصابته ضراء فصر كان خيرا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »

﴿ وَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَدَمِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

أخبر تعالى عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاؤهم به من البينات والحجج الواضحات ، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل إليهم رسولنا لينظر طاعتهم له ، وإياهم رسوله وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون ، فآهوا الدنيا وآهوا النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء » وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة هذا أنبا حامدا عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عوف بن مالك قال لأبي بكر رأيت فيما يرى النائم كأن سيبا دلى من السماء فالتقط رسول الله ﷺ ثم أعيد فالتقط أبو بكر ثم ذرع الناس حول النبي ففضل عمر بثلاث أذرع حول النبي فقال عمر : دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ؟ قال وهل لك في رؤياي من حاجة أو لم تنهني ؟ قال وحكك إلى كرهت أن تسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قص عليه الرؤيا حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى النبي بهذه الثلاث الأذرع قال : أما إحداهن فانه كان خليفة . وأما الثانية فانه لا يخاف في الله لومة لائم ، وأما الثالثة فانه شهيد ، قال : فقال يقول الله تعالى (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل ؟ وأما قوله فإني لا أخاف في الله لومة لائم فيما شاء الله وأما قوله (شهيد) فإني لمر الشهادة والسلمون مطمئنون به ؟

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ جَرَاءٌ مِنْ قَوْمٍ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَقْدِيرِ رَبِّي إِنَّهُ أَنْتِ الْيَاسُورُ الْغَافِلُونَ * قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا مِنْ قَبْلِ هَذَا فَلَا تَحْمِلُونَهُ ﴾

غير تعالى عن نعت الكفار من مشركي قريش الجاحدين للمرضين عنه أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحجبه الواضحة قالوا له انت بقرآن غير هذا أي رد هذا وجسا بغيره من نخط آخر أو بدله إلى وضع آخر قال الله تعالى لئن عليه وسلم (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ليس هذا إلى إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله (إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ثم قال عتجا عليهم في صفة ما جاءهم به (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراك به) أي هذا إنما جشكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيتته وإرادته ، والدليل على أني لست أقوله من عندي ولا اقتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدق وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل لا تتقدمون على شيئا تفصوني به ولهذا قال : (لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تتقون) أي أنليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ولهذا لمأسال هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي ﷺ قال هرقل لأبي سفيان هل كنتم تهيمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان قتلنا لا ، وكان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم الشركين ومع هذا اعترف بالحق والفضل ما شهدت به الأعداء . فقال له هرقل قد أعرف أنه لم يكن ليذع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وقال جعفر بن أبي طالب للجاثي ملك الحبشة بعث الله فينا رسولا تعرف صدقه ونسبه وأمانته ، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة ، وعن سيد بن السيب ثلاثا وأربعين سنة ، والصحيح للشهور الأول

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُبْرِمُونَ ﴾

يقول تعالى لا أحد أظلم ولا أعنى ولا أشد إجراما (ممن افترى على الله كذبا) وتقول على الله وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا ، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغنياء فكيف يشبهه حال هذا بالأنبياء فان من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس ، فان الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في حدس الظلماء ، فمن شم كل منهما وأفضاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد ﷺ وكذب مسيلة الكذاب وسجاح والأسود العنسي . قال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أجفل الناس (١) فكنت فيمن أجفل ، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال فكان أول ما سمعته يقول « يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ولما وفد ضلم بن ثعلبة على رسول الله ﷺ في قومه بني سعد بن بكر قال لرسول الله ﷺ فيا قال له من رفع هذه السماء قال « الله » قال ومن نصب هذه الجبال ؟ قال « الله » قال ومن سطح هذه الأرض ؟ قال « الله » قال فبأي شيء رفع هذه السماء ونصب هذه الجبال وسطح هذه الأرض أشد أسلك إلى الناس كلهم ؟ قال « اللهم نعم » ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام وحلف عند كل واحدة هذه اليمين وحلف له رسول الله ﷺ فقال له صدقت ، والذي يمشك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أخص ، فاكتفى هذا الرجل بمجرد هذا ، وقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه . وقال حسان بن ثابت

لو لم تكن فيه آيات مينة * كانت بدعته تأنيك بالخير

وأما مسيلة فمن شاهده من ذوي البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التي ليست فصيحة ، وأفضاله غير الحسنة بل القبيحة ، وقرآته الذي يخلده في النار يوم الحسرة والقضية ، وكمن فرق بين قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) إلى آخرها . وبين قول مسيلة قبحه الله ولعنه : يا ضفدع بلت ضفدعين ، نقي كم تتقين لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين . وقوله قبحه الله لقد أتم الله على الحبل ، إذ أخرج منها نعمة تسمى ، ومن بين

(١) بين قومه اليهود . وأما العرب وهم الأنصار فكانوا في أشد النبله والسرور .

صفاق وحشى . وقوله خلد الله في نار جهنم ، وقد قيل : القيل وما أدراك ما القيل : له خرطوم طويل ، وقوله أهدأ الله
عن رحمة : والواجبات عينا ، والحازبات خبزا ، واللاجات قمحا ، إلهة وصنما ، إن قرشنا قوم يمتدون . إلى غير ذلك من
الحرفات والمخندبات التي يألف الصبيان أن يتلفظوا بها إلا على وجه السخرية والاستهزاء ، ولهذا أزعج الله أمته ،
وشرب يوم الحديقة حشفه . ومزق قمحه . ولنه صحه وأهله . وقدموا على الصديق تائبين ، وجاءوا في دين الترابضين
فأسلم الصديق خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ووضي عنه أن يقرأوا عليه شيئا من قرآن مسيلة لئله الله
فسألوه أن يصفهم من ذلك فأبى عليهم إلا أن يقرأوا شيئا منه ليسمه من لم يسمه من الناس فيعرفوا أفضل ما هم عليه من
الهدى والعلم فقرأوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشبهاه ، فلما فرغوا قال لهم الصديق رضى الله عنه وعيكم أين كان
ينهب بقولكم ؟ والله إن هذا لم يخرج من إل ، وذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلة وكان صدقا في الجاهلية
وكان عمرو لم يسلم بعد فقال له مسيلة وعيك يا عمرو ماذا أنزل على صاحبكم بيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
للدة . فقال لقد سمعت أسما به يقرأون سورة عظيمة قصيرة فقال : وماهى فقال (والصر إن الإنسان لفي خسر) إلى
آخر السورة ففكر مسيلة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل على مثله فقال وما هو فقال يا بوير ، بوير ، إنما أنت أذننا وسدر ،
وسائر لك خفر هر . كيف ترى يا عمرو ؟ قال له عمرو والله إنك لثلم آتى أعلم أنك تكذب . فلما كان هذا من شرك
في حال شركه لم يشبه عليه حال محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدقه ، والله مسيلة لئله الله وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنهى ،
وأصحاب العقول السليمة السقيمة والحسنى ، ولهذا قال الله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم
يوح إليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وقال في هذه الآية الكريمة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته إنه لا يبلغ الجحيمون) وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل . وقامت عليه الحجة ، لأحد أظلم
منه كما في الحديث « أحق الناس على الله رجل قتل نبياً أو قتل نبي »

(وَيَبْذُوثُن مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِثُوكَ اللَّهُ
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَكُنْهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً
فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ فَيَا فَيَضَعِفُونَ)

ينكر تعالى على الشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها
لا تنفع ولا تنفع ولا تلك شيئا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً ولهذا قال تعالى (قل أنتبهون الله
بملا يعلم في السموات ولا في الأرض) وقال ابن جرير معناه يخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ؟
ثم نزه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في
الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة
قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان فبث الله الرسل بآياته
وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الهامة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقوله (ولولا كلمة سبقت
من ربك) الآية أى لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا ينسب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، وأنه قد أجل الخلق
إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين .

(وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا النَّبِيُّ لِهَؤُلَاءِ قَاتِلٌ وَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظَرِينَ)

أى ويقول هؤلاء الكفرة الكذبيون للمنادون : لولا أنزل على محمد آية من ربه يثبتون كما أعطى الله محمد الناقة وأوان
يحول لهم الصفا ذهباً أو يزج عنهم جبال مكة ويحمل مكانها بساتين وأنهاراً أو نحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه

حكيم في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويصل لك قصورا • بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وكقوله (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية يقول تعالى : إن سنئ في خلقي أي إذا أتيتهم ما سألوها ، فإن آمنوا وإلا جازيتهم بالقوبة . ولهذا لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إعطائهم ما سألوها فإن آمنوا والا عذبوا وبين أنظارهم اختار أنظارهم كما علم عنهم غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى إرصادا ليهيئ إليهم الجواب عما سألوها (قل أعص الصيغ •) أي الأمر كله لله وهو يعلم العواقب في الأمور (فانتظروا إلى معكم من المنتظرين) أي إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتهم فانتظروا حكم الله فيهم . وهذا مع أنهم قد شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم أعظم مما سألوها حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره فانشق اثني عشر رقعة من وراء الجبل وفرقة من دونه . وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوها وما لم يسألوا ، ولو علم الله منهم أنهم سألوها ذلك أسر شادا وثبنا لأجابه ، ولكن علم أنهم إنما يسألونه عناداً وتمتاً فتركهم فيها راجهم وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد كقوله تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية) الآية . وقوله تعالى (ولولا أنزلنا إلههم للإشارة وكلمهم للوفى وحسرتنا عليهم كل شيء قبل ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) الآية ، ولما فهمهم للكبرية كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) الآية ، وقوله تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) الآية ، وقال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ففسوه بأيديهم قال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) فقتل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ما سألوها لأنه لا فائدة في جوابهم لأنه دائر على تنهتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم ولهذا قال (فانتظروا إلى معكم من المنتظرين)

(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَدْرِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيءَ إِلَيْنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّا رُسُلُنَا يَكْفِيونَ مَا تَسْكُرُونَ • هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَّ بَرْقٌ بِرِيحٍ طَبَقَةٍ وَفَرَّ حَوَاجِبُهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَسْكَانٍ يظُنُّوْا أَنَّهُمْ مُجِئٌ بِهِمُ دَعْوَا اللَّهِ تَخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْنَ أُنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ • فَلَمَّا أَتَجَّهُمْ إِذْ هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ بِقِيَرٍ لَاطِقٍ بِنَائِبِهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَقِيَّتْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْخَلْقُ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتَلْبَسْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

خبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بدري ضراء مستهم إذا لهم مكر في إيلينا قل الله أسرع مكرًا إننا رسلنا يكفون ما تسكرون • هو الذي يسببركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجري بريح طيبة وفرحوا بها ربح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان يظنون أنهم مجئهم دعوة الله تخلصين لهم الذين لين أنجينا من هذه لنكونن من الشاكرين • فلما أتتهم إذ هم يبتغون في الأرض بقير لاطق بنائباها الناس إنما بقيتكم على أنفسكم متت الخلق الدنيا ثم إلينا مرجعكم فتلبسكم بما كنتم تعملون

خبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بدري ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة ، والحبيب بعد الجلب ، والطرب بعد القبط وهو ذلك (إذا لهم مكر في إيلينا) قال مجاهد استهزاء وتكذيب كقوله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما) الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح على إثر صلاة كانت من الليل أي مطرهم قال « هل تدرون ماذا قال ربكم الآية ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال : « قال أسرع من عبدي مؤمن في كافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن في كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر في مؤمن بالكوكب » وقوله (قل الله أسرع مكرًا) أي أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بعدد وإلما هو في مهلة لم يؤخذ على غرة منه والكاينون الكرام يكتبون عليه جميع ما يصفه ويحصى عليه ثم يرضونه على عالم القيب والشهادة فيجازيه على الجليل والحقير والفقير والقطيع ، ثم أخبر تعالى أنه (هو الذي يسيركم في البر والبحر) أي يحفظكم ويكفكم بمجرسته (حتى إذا كنتم في الفلك وجري بريح طيبة وفرحوا بها) أي بسرعة سيرهم القين فيينا هم كذلك إذا (جاءها) أي تلك السفن (ربح عاصف) أي شديدة (وجاءهم الموج من كل مكان) أي أعظم العرلهم (وظنوا أنهم محيطهم) أي هلكوا (دعوة الله تخلصين لهم الذين) أي لا يدعون معه صنبا ولا وثابا ليردونه بالهدا والابتها كقوله تعالى (وإذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه • فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) وقالهنا (دعوا الله

مخلصين له الدين لئن أبيحنا من هناءه أى هذا الحال (لنكونن من الشاكرين) أى لا نشرك بك أحداً ولنفرديك بالعبادة هناك كما أمرناك بالبهاء ههنا ، قال الله تعالى (فما أعيام) أى من تلك الورطة (إذ هم يثبون على الأرض غير الخلق) أى كأن لم يكن من ذلك شيء (كأن لم يدعنا إلى ضرى مسه) ثم قال تعالى (يا أيها الناس إنما ينبغي على أنفسكم) أى إنما يدبوق وبال هذا البنى أتم أنفسكم ولا تفزعوا به أحدا غيركم كما جاء في الحديث « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البنى وقطعة الرحمة » وقوله (متاع الحياة الدنيا) أى إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الخفيرة (ثم إلينا مرجعكم) أى مصيركم وما لكم (فتنبئكم) أى فتنبئكم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها فن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزْلَقْنَاهُ مِن السَّمَاءِ فَاسْتَخْلَطَ بِهِ نَبَاتٌ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمُرَانَا وَيَنْهَانَا فَيُفْعَلُ لَهَا فَعِيلٌ وَتُجْمَلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ هُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدَىٰ مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة اهتسائها وزوالها بالنبات الذى أخرجه الله من الأرض بما أزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وعمار على اختلاف أنواعها وأصنافها ومما يأكل الأنعام من أب وقنب وغير ذلك (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أى زينتها الفانية (وازيغت) أى حست بما خرج من ربها من زهور لقصة مختلفة الأشكال والألوان (وطن أهلها) الذين زرعوها وغرسوها (أنهم قادرون عليها) أى على جذائها وحصادها فينبأهم كذلك إزديادها ساعة أورد عري شديدة باردة فأبيست أوراقيها وأثلقت ثيابها وهذا قال تعالى (إنها أمرنا ليلا أو نهاراً ففصلناها حصيدا) أى بإسباج الحفصة والنضارة (كان لمن بالأمس) أى كانوا ما كانت حيناً قبل ذلك . وقال قتادة : كان لمن كان لهم ، وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن . ولهذا جاء في الحديث « يؤتى بأهم أهل الدنيا فينمى في النار خمسة فيقال له لعل رأيت خيراً قط ؟ هل مررت نعيم قط ؟ فيقول لا ، ويؤتى بأبعد الناس عذاباً في الدنيا فينمى في النعم خمسة ثم يقال له هل رأيت يؤسقط ؟ فيقول لا » وقال تعالى إنباراً عن الليلين (فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم ينووا فيها) ثم قال تعالى (كذلك تفصل الآيات) أى بين الحجج والأدلة (قوم يتفكرون) فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريراً مع اشتراطهم بها وتمسكهم بهتهم بموعيدها ونهبتها عنهم فإن من طبعها الحرب بمن طلبها ، والطلب لمن هرب منها ، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتاب العزيز فقال في سورة الكهف (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيئاً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا . وقال ابن جرير : حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت مروان بن أبي الحكم يقرأ للبر : وازيغت وطن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان لهم كمال إلا بذنوب أهلها . قال قد قرأتها وليست في الصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن عباس هكذا يقرؤها ابن عباس فأسروا إلى ابن عباس فقال هكذا أمراً إلى ابن عباس وهذا قراءة غريبة وكأنها زيدت للتفسير وقوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) الآية . لا ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها ورغب في الجنة ودعا إليها وسبها دار السلام أى من الآفات ، والنقائص والنكبات فقال (والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) قال أيوب عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال « قيل لئن عيناك وليلقل قلبك ولتسمع أذنك فقامت هي وعقل قلبى وصممت أذنى ثم قيل لى » . كمثل سيد بنى داراً ثم صنع مادة وأرسل داعياً فن أجاب الداعي دخل

وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد، ومن لم يحب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد والله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعي محمد ﷺ » وهذا حديث مرسل وقد جاء متصلا من حديث الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال « إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحسدهما لصاحبه اضرب له مثلا، فقال : اسمع سمعت أذنك، واقعل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمثك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فإله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت محمد الرسول فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها » رواه ابن جرير وقال قتادة حدثني خليل المصري عن أبي برداء مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنيها ملكان ناديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ماقل وكني خيرهما أكثر وأسمى » قال وأتزل في قوله يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (والله يدعو إلى دار السلام) الآية . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

(الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةً وَلَا يَزِفُّهُنَّ وَجُوهُهُمْ قَدْرًا وَلَا زِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح : الحسن في الدار الآخرة كقولهم تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقوله (وزيادة) هي تصنيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يسطههم الله في الجنان من القصور والحدود والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضل ورحمة وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد ابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقاتدة والسدي ومحمد بن إسحق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صاحب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةً) وقال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو أهدأ من موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار - قال - فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعظمهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم » وهكذا رواه مسلم وجماة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به ، وقال ابن جرير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شيب عن أبيان عن أبي تيمية الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ « إن الله يبعث يوم القيامة ناديا ينادي يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسن وزيادة ، فالحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الرحمن عز وجل » ورواه أيضا ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر المذلي عن أبي تيمية الهجيمي به وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله (الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةً) قال « النظر إلى وجهه الرحمن عز وجل » وقال أيضا حدثنا ابن عبد الرحمن حدثنا عمر بن أبي سلمة سمعت زهيرا عن مع أبي العالية حدثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل (الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةً) قال : « الحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث زهير به . وقوله تعالى (ولا يرقى وجوههم قدر) أي تمام وسواد في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفرة القفرة من القفرة والتبعية (ولائدة) أي هوان وسفار أي لا يعصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال

تعالى في حقهم (فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) أى نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم ، جعلنا الله منهم بضعة ورحمته آمين

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَتَرْتَفِعُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ آفَةٍ مِنْ عَذَابِهِمْ كَانَمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قَطَعْنَا مِنَ الْقَلْبِ مِثْلًا لَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يشاعف لهم الحسنات ويزدادون على ذلك عطف بذكر حال الأشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وأنه يجازيهم على السيئة بمثله لا يزيدهم على ذلك (وترفعهم) أى ترفعهم وتعالوهم ذلة من محاسنهم وخوفهم منها كما قال (وترام يمرضون عليها خاشعين من القتل) الآية وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) إنما يؤخرهم ليوم تتمخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم (الآيات وقوله (ما لهم من الله من عاصم) أى مانع ولا وافي يقهم العذاب كقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين للفر) كلا لا وزر • إلى ربك يومئذ المستقر) وقوله (كأنما أغشيت وجوههم) الآية إخبار عن سواد وجوههم في النار الآخرة كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فلو كانوا يعلمون) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة • وجوه يومئذ عليها غبرة) الآية

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَارًا ثُمَّ هَوْلاً لِّلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَسَكَنَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَّكُمْ كَذَّبْتُمْ فَزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَّكُمْ أَكْثَرُ مَّا كُنْتُمْ إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ • فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ • هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ تَوَلَّاهُمْ أَتَقْنُونَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ ﴾

يقول تعالى (ويوم نحشرهم) أى أهل الأرض كلهم من جن وإنس وبر وطائر كقوله (وحشرناهم فلم تفرهم أحدًا) (ثم هول للذين أشركوا) الآية أى الزموا أنهم وهم مكاننا معينا امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وقوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) وفي الآية الأخرى (يومئذ يصدعون) أى يصيرون سميعين وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك (١) يستشفع المؤمنون إلى الله تعالى أن يأق فصل القضاء ويرحمنا من مقامنا هذا ، وفي الحديث الآخر « نحن يوم القيامة على قوم فوق الناس » وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخبارا عما يأمر به للفركين وأوتانهم يوم القيامة (مكانكم أنتم وشركاؤكم • فزيلنا بينهم) الآية أنهم أنشروا عبادتهم وتبرءوا منهم كقوله (كلا سيكرتون بعبادتهم) الآية وقوله (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن عذابهم غافلون • وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) الآية وقوله في هذه الآية إخبارا عن قول الشركاء كفاراجوا فيه عابدين عند ادعائهم بعبادتهم (فكنى بالله شهيدا بيننا وبينكم) الآية أى ما كبتا نشعر بها ولا نعلم بها ، وإنما كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم أنا مادعونكم إلى عبادتنا ولا أمرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك ، وفي هذا تبيك عظيم للفركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم عنهم شيئا ، ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أراداه بل تبرأ منهم وقت أحوج ما يكونون إليه وقد تركوا عبادة الحق القويم السميع البصير القادر على كل شيء العلم بكل شيء ، وقد أرسل رسوله وأنزل كتبه أمرا بعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه كقوله تعالى (ولقد بينا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت فمن هدى الله فليس له قوة على الضلالة)

وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجلا من دون الرحمن آتة يسدون ؟) ولشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه وبين أسوأهم وأقوأهم ورد عليهم فيما فيه أثم رد ، وقوله تعالى (هناك تبلو كل نفس ما أسلفت) أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما سلفت من عملها من خير وشر كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقد قرأ بعضهم (هناك تبلو كل نفس ما أسلفت) وفسرها بعضهم بالقرابة ، وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمت من خير وشر وفسرها بعضهم بحديث ولتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت * الحديث ، وقوله (وردوا إلى آله مولاهم الحق) أي ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل فصلها وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار (وضل عنهم) أي ذهب عن الشركين (ما كانوا يفترون) أي ما كانوا يسدون من دون الله افتراء عليه .

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأُمُورَ فَيَقُولُوا اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رِزْقُكُمْ الْحَقُّ فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَتَّىٰ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

يجتج تعالى على الشركين باعترافيهم بوحديته وروبييته على وحدانية إلهيته فقال تعالى (قل من يرزقكم السماء والأرض) أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء للطر فيشق الأرض شقا قدرته ومشيته فيخرج منها حبا وعنايقنا وزيونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) إله مع الله ؟ فيقولون الله (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) وقوله (أمن يملك السمع والأبصار) أي الذي وهب هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ، ولو شاء لنهب بها ولسلبكم إياها كقوله تعالى (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار) الآية . وقال (قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) الآية وقوله (ومن خرج الحي من لبيته فخرج الحي من الحي) أي قدرته العظيمة ومشته العجيبة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك وأن الآية عامة لذلك كله وقوله (ومن يدبر الأمر) أي من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يستل عما يفعل وهم يشئون (يسألهم في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) فالملك كله العلوي والسفلي وما فيها من ملائكة وإنس وجان فعيرون إليه عبيده خاضعون لديه (فيقولون الله) أي وهم يقولون ذلك ويمترفون به (قل أفلا تتقون) أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله (فذلك الله ربكم الحق) الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والحق الذي يستحق أن يرد العبادة (فأنا بعد الحق إلا الضلال) أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له (فأنى تصرفون) أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء وللتصرف في كل شيء ، وقوله (كذلك حَتَّىٰ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) الآية أي كما كفر هؤلاء للشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يترفون بأنه الخالق الرزاق للتصرف في الملك وحده الذي يث رسله بتوحيده، فلم يذاقت عليهم كلمة الله أنهم أخفيا من ساكني النار كقوله (قالوا بلى ولكن حَتَّىٰ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)

(قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكِكُمْ مِمَّنْ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكِكُمْ مِمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُدْعَىٰ أَمَّنْ لَا يَهْدِي

إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُكُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٦﴾

وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره ، وعبدوا من الأنعام والأنداد (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يهدهم ؟) أي من يبدؤ الخلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيها من الخلاق ، وخلق أجرام السموات والأرض ويبدؤها ببناء ما فيها ثم يبدؤ الخلق خلقا جديدا (قل الله) هو الذي فعل هذا ويستقل بوحده لا شريك له (فأتى تؤفكون) أي فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ؟ قل الله يهدي للحق) أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية شاة ، وإنما يهدي الحياى والضلال وقلب القلوب من الحق إلى الرشد الله الذي لا إله إلا هو (أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي) أي أفيتبع العبد الذي يهدي إلى الحق ويصر بعد العمى أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يهدي لهواه وبكمه كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم أنه قال (يا أبت لمبد ما لا يسمع ولا يبصر بعد ولا يبني عنك شيئا) وقال لقومه (أتعبدون ما تخفون وما تخلقكم وما تملكون) أي في ذلك من الآيات وقوله (فما لكم كيف تحكمون) أي فإيا لكم أن ينهب بقولكم كيف سمعتم بين الله وبين خلقه وعدتم هذا جهنا وعبدتم هذا وهذا ، وهلا أفردتم الرب جل جلاله للآلئ الحاكما كالمهادى من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم إليه الدعوة والأناة ، ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا يراها ولا عما هو ظن منهم أي نوم وتخيل ، وذلك لا يبني عنهم شيئا (إن الله علم بما يفعلون) تهديد لهم ووعيد هديد لأنه تعالى أخبر أنه سبحانه على ذلك أمم الجزاء

(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ السَّالِّينَ • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنْ يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ • وَهُمْ مِنْ يَوْمَئِذٍ يَرَوْنَهُمْ مِّنْ لَّدُونِكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ •)

هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بشر سور ولا بسورة من مثله لأنه فصاحته وبلاغته ووجازته وسلاوته وإشباته على اللماى المزنة القرينة النافذة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذى لا يشبه شئ من ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وأقواله فكلما لا يشبه كلام المخلوقين ولهذا قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دونه الله) أي مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ولا يشبه هذا كلام البشر (ولكن تصديق الذى بين يديه) أي من الكتب المنصمة ومهيئا عليه ومبيناً لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل وقوله (وتفصيل الكتاب لأرب فيه من رب العالمين) أي وبيان الأحكام والحلال والحرام بياناً شافياً كافياً حقاً لأمرة فيه من الله رب العالمين كما تقدم فى حديث الحارث الأعور عن على بن أبى طالب فيه خبر ما قبلكم وما نأبأ بكم وفصل ما بينكم أى خبر مما سلف ومما يأتى وحكم فيها بين الناس بالبرع الذى به الله ورضاه . وقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي إن ادعيتم واقرتتم وعكسكم فى أن هذا من عند الله وقتلتم كذبا ومينا إن هذا من عند محمد فمحمد ههنا مثلكم وقد جاء فإزعجت بهذا القرآن فأتوا أنفسهم بسورة مثله ، أى من جنس هذا القرآن واستعينوا بذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان ، وهذا هو المقام الثالث فى التحدى فإنه تعالى تعدهم ودهام إن كانوا صادقين فى دعواهم أنه من عند محمد فليعارضوه بنظر مجابهة وحده وليستينوا بمن شاءوا وأخبر أنهم لا يقدر على ذلك ولا سبيل لهم إليه فقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيراً) ثم حاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في أول سورة هود (١٠) يقولون اقتراء قل فأوتوا بضر سور مثله مقتربات
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم نزل إلى سورة فقال في حذنه السورة (أم يقولون اقتراء قل فأوتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وكذا في سورة البقرة وهي معنية بحدام بسورة منه
وأخير أنهم لا يستطيعون ذلك بادقالات (فإن لم تضلوا ولن تضلوا فأوتوا النار) الآية . وهذا وقد كانت القصص من سجاياهم ،
وأعمالهم وممقالتهم إليها للنتهي في هذا الباب ، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحده به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما
عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وجزالته وطلاوته وإفادته وبراعته فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له وأتبعهم له
وأشدهم له انشاداً كما عرف السحرة بملهم بنون السحر أن هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يسدر إلا عن مؤيد
مستد مرسل من الله وأن هذا لا يستطيع لبشر إلا بإذن الله . وكذلك عيسى عليه السلام بث في زمان علماء الطب
ومعالجة المرضى فكان يرى الأكله والأبرص ويعمي للوف يلفظ الله بمثل هذا لا يدخل للملاج والله دواء فيه صرف من
عرف منهم أنه عبد الله ورسوله . ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من نبي من
الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون
أكثرهم تاباً » . وقوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا به وما لبثت تأويله) يقول بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه
ولا عرفوه (ولما لبثت تأويله) أي ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلاً وسفهاً (كذلك
كذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السابقة (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) أي فانظر كيف أهلكهم بتكذيبهم
رسلاً ظالمين وعلموا وكفروا وعنادوا وجهلاً فاحذروا أيها المكذبون أن يصيكم ما أصابهم . وقوله (ومنهم من يؤمن به)
الآية ، أي ومن هؤلاء الذين يثبت إليهم بإحدى من يؤمن بهذا القرآن ويتبع ما أُرسلت به (ومنهم من لا يؤمن به)
بل يموت على ذلك ويثبت عليه (وربك أعلم بالمتصددين) أي هو أعلم بمن يستحق العقاب فيه به (ومن يستحق الضلالة
فيضله ، وهو العادل الذي لا يجوز ، بل يسلي كلاً ما يستحقه تبارك وتعالى وتقدس وتزده لإله الإلهو

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي حَسْبِيَ اللَّهُ وَلَكُمْ هَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ بِمَا أَهْلٌ وَأَنَا بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُنْصِتُ إِلَيْهِمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي السَّبِيلَ
وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْثِينَ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ أَغْمُصُهَا يَفْقَهُونَ ﴿

يقول تعالى عليه ﷺ وإن كذبك هؤلاء للترك كون قبر أنتم ومن هملهم (قتل لي همل ، ولستم هملتم) كقولهم
تعالى (قل يا أيها الكافرون لأعبد ما تعبدون) إلى آخرها ، وقال إبراهيم الخليل وأتباعه قومهم للتركين (إنا برآء
منكم وما تعبدون من دون الله) الآية ، وقوله (ومنهم من يستمعون إليك) أي يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم
والأحاديث الصحيحة القصيدة النافذة في القلوب والأديان والأبدان وفي هذا كفاية عظيمة ، ولكن ليس ذلك إليك
ولا إليهم فإنك لا تهدر على إسباح الأصم وهو الأرض فكذلك لا تهدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله (ومنهم من ينظر إليك)
أي ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التؤدة والسمت الحسن والخلق العظيم ، والدلالة الظاهرة على نبوتك لأولى البصائر
والنبي ، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لغيرهم ، بل المؤمنون ينظرون إليك
بين الوار ، وهؤلاء الكفار ينظرون إليك بين الاحتقار (وإنذاراً لك إن يتخذوك إلا هزوا) الآية ، ثم أخبر
تعالى أنه لا ينظم أحد لشيئ وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى ، وفتح به أعينا ضلماء ، وأذنان صماء ، وقلوباً
غلفاء ، وأضل به عن الإيمان آخرين ، فهو الحاكم للتصرف في ملكه بما يشاء الذي لا يستل عما يفعل وهم يستلون
لعله وحكمته وعده ، ولهذا قال تعالى (إن الله لا ينظم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم ينظرون) وفي الحديث عن
أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم

عزما فلا تظالموا - إلى أن قال في آخره - يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيك بإها فن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا من إلا عنه ، رواه مسلم بطوله

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهْرِ يَتَذَكَّرُونَ فِيَّهِمْ هَلْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى مذكرا للناس قيام الساعة وحصرهم من آياتهم إلى عرصات القيامة (ويوم يحشرهم) الآية . كونه (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وكقوله (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عتية أوضعاها) وقال تعالى (يوم ينفع في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زواجا) يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقه إن لبثتم إلا يوما) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الآيتين ، وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كقوله (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين) قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) ، وقوله (يتذكرون بينهم) أي يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم بعضا كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه (فاذا نفع في الصور فلا أنساب بينهم) الآية ، وقال تعالى (ولا يسأل حميم حميا) الآيات وقوله (قد خسر الذين كذبوا بآيات الله وما كانوا مهتدين) كقوله تعالى (ويل للمكذبين) لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألا ذلك هو الجحيم الذي لا يخرجون من خسارته أعظم من خسارته من فرق بينه وبين أحبته يوم المحررة والندامة

﴿ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِينَ تَدْعُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيْكَ قَالِيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا لرسوله ﷺ (وإنما تريك بعض الذين تدعهم) أي تدعهم وتقبلهم والله شهيد على أقوالهم بذلك وقد قال الطبراني ، حدثنا عبد الله ابن أحمد حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا داود بن الجارود عن أبي السليل عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عرضت على أمي الباردة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها » فقال رجل يا رسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق ؟ فقال « صوروا لي في الطين حتى أتى لأعرف بالإنسان منهم من أحكم بصاحبه » ورواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن عتبة بن مكرم عن يونس بن بكير عن زياد بن النضر عن أبي العليل عن حذيفة بن أسيد به نحوه . وقوله (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم) قال جماعة يعني يوم القيامة (قضي بينهم بالحق) الآية كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها) الآية فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع لعلمهم وحفظهم من اللاتكة شهود أيضا أمة بعد أمة وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق إلا أنها أول الأمم يوم القيامة فحصل بينهم ويضي لهم كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، للنقض لهم قبل الخلق » فأمته إنما حازت نصب السابق بشرف رسولها صلات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قُلْ لَا أَنَا لَكُمْ لِنَفْسِي مَرًا وَلَا نَعْمَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَكُمْ أَوْ نَهَارًا

مَاذَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُ الْمُعْرِضُونَ • أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْنَهُمْ بِمَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ • ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلَّاقِ كُلَّ مُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

يقول تعالى خبرا عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤلهم عن وقته قبل التعيين مما لا طائلة لهم فيه كقولهم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويقولون أنها الحق) أى كاتبة لا محالة وواقعة وإن لم يعلموا وقتها عينا ، ولهذا أرشد تعالى رسوله ﷺ إلى جوابهم فقال (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) الآية أى لا أقول إلا ما علمنى ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطفى الله عليه فأنا عبده ورسوله إليكم وقد أخبركم بحجى الساعة وأنها كاتبة ولم يطفى على وقتها ولكن (لكل أمة أجل) أى لكل قرن مدغم العمر مقدرة فإذا انقضت أجلهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) كقولهم (ولن يؤخر الله شيئا إذا جاء أجلها) الآية ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغتة قال (قل أرايت أن أتاكم عذابه ياتا أوتهارا ؟) أى ليلا أو نهارا (ماذا يستعجل منه الجحيمون • أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ بَرَأَآؤُنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ • قُلْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا نَسَى اللَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أى يوم القيامة يقال لهم هذا بيتكم وخرجا كقولهم (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون • أنفسهم هذا أم أنتم لا تبصرون • اسوأها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون)

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَخِي قُلْ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ وَرَبِّي أَنَّهُ لَعَنَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ • وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ ظِلْفٌ مِمَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّفْلَةَ لَئِنْ رَأَوْا الْعَذَابَ وَفَقَى بَيْنَهُمْ يَلْقَاسُ وَهُمْ لَا يَصْلَحُونَ)

يقول تعالى ويستعجلونك أخى (الحق هو) أى المباد والقيامة بعد ضرورة الأجسام ترابا (قل أى وربى أنه لعن وما أنتم بمعجزين) أى ليس بضرورة لكم ترابا معجز الله عن إعادكم كما بدأكم من العدم (إنما أمره إذا أراد شيئا أن له كن فيكون) وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المباد في سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) وفى التغابن (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو اقتضى من عذاب الله بجله الأرض فها (وأسروا النفلَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفَقَى بَيْنَهُمْ يَلْقَاسُ) أى بالحق (وهم لا يصلحون)

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

خبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأن وعده حق كائن لا محالة وأنه يحي ويميت وإليه مرجعهم ، وأنه القادر على ذلك العظيم بما خرق من الأجسام وتخرق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَقَاؤُنَا لَكُمْ فِي الصُّدُورِ وَرُءُوعَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ • قُلْ يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَكُمْ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

يقول تعالى ما جئنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم)

أعذاج عن التواحي (وشفاء لما في الصدور) أي من الشبه والشكوك وهو إلهنا فيها من رجب ودنس وهدى ورحمة
 أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، وإنا ذلك للمؤمنين به وللصدقين الوقيين بما فيه كقولہ تعالى (وتزلزلن
 القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسار) وقوله (قل هو الله أحد) وقوله (قل هو الله
 تعالى) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودن الحق فليفرحوا فإنه أولى
 ما يفرحون به (هو خير مما يحسمون) أي من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الثابتة الداعية لا محالة كما قال ابن أبي حاتم
 في تفسير هذه الآية وذكر بسنده عن بقة بن الوليد عن صفوان بن عمرو سمعت أبا جعفر بن عبد السلام يقول لما
 قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولى له ففصل عمر بعد الإبل فلما هي أكثر من ذلك فصل عمر يقول
 الحمد لله تعالى ويقول مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عمر كذبت ليس هذا . هو الذي يقول الله تعالى
 (قل بفضل الله وبرحمته) الآية وهذا مما يحسمون وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني فرواه عن أبي زرعة المصنف
 عن حيوة بن شريح عن بقة فذكره

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِثْلَهُ حَرَامًا وَحَلَّالًا قُلْ ءَآلَهُ أَذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْقَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْقَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نزلت إنكار على المشركين لما كانوا
 يحلون ويحرمون من البهائم والسموات والواصل كقوله تعالى (وجعلوا لله مما خردوا من الحرث والأثمار نصيباً)
 الآيات وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عتبة عن أبي إسحق سمعت أبا الأحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة
 يحدث عن أبيه قال أنبت رسول الله ﷺ وأنا رث الميتة فقال « هل لك مال ؟ » قلت نعم . قال من أي مال ؟ قال
 قلت من كل مال من الإبل والرقيق والحيل والنعم فقال « إذا أتاك الله مالا فليز عليك - وقال - هل تنتج إليك صحاحا
 آذناها فنعمد إلى موسى فنقطع آذانها فنقول هذه بحر وتشق جلودها فنقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك »
 قال نعم قال « فإن ما أتاك الله لك حل ، ساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك » وذكر تمام الحديث ثم
 رواه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن حماد بن الأحوص ، وعن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن
 عبد الملك بن عمير عن أبي الأحوص به ، وهذا حديث جيد قوى الإسناد ، وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله أو
 أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا تستند لها ولا دليل عليها ، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة فقال (وما ظن الذين
 يفكرون على الله الكذب يوم القيامة) أي ما ظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم إليها يوم القيامة ، وقوله (إن الله ذو فضل
 على الناس) قال ابن جرير في تركه معاجلتهم بالقوبة في الدنيا (قلت) ويحتمل أن يكون المراد ذو فضل على الناس فيما أباح
 لهم ما خلقه من النافع في الدنيا ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دنياهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بل
 يحرمون ما أنعم الله به عليهم ، ويضيقون على أنفسهم فيجعلون بضاً حلالاً وبضاً حراماً . وهذا قد وقع فيه المشركون
 فيما شرعوا لأنفسهم ، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دنياهم . وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا أبي حدثنا
 أحمد بن أبي الخوارى حدثنا رباح حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا موسى بن الصباح في قوله عز وجل (إن الله ذو فضل
 على الناس) قال إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله عز وجل فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف يؤتى
 برجل من الصنف الأول فيقول : غبدي لماذا حملت ؟ فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وغارها وأنهارها
 وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأشهرت ليلى وأظلمات نهاري شوقاً إليها . قال - فيقول الله تعالى
 غبدي إنما حملت الجنة هذا الجنة فأدخلها ومن فضلي عليك قد أعفيتك من النار ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي

فدخل هو ومن معه الجنة - قال - ثم روي رجل من الصف الثاني فيقول عبدى لماذا حملت فيقول يا رب خلقت ناراً وخلقت أغلالها وسيرها ومجموعها ومجموعها وما أعددت لأعدائك وأهل مصيبتك فيها فأسهرت ليلى وأظلمات نهارى خوفاً منها فيقول عبدى إنما حملت ذلك خوفاً من نارى فإنى قد أعنتك من النار ومن فضلى عليك أن أدخلك جنتى فدخل هو ومن معه الجنة - ثم روي رجل من الصف الثالث فيقول عبدى لماذا حملت ؟ فيقول رب حيا لك وشوقاً إليك وعزتك لقد أسهرت ليلى وأظلمات نهارى شوقاً إليك وحبا لك . فيقول تبارك وتعالى : عبدى إنما حملت حباً لى وشوقاً لى فتجئى له الرب جل جلاله ويقول ها أنا ذا فانظر لى ثم يقول من فضلى عليك أن أعنتك من النار وأيحبك جنتى وأزورك ملائكتى وأسلم عليك بنضى . فدخل هو ومن معه الجنة

﴿وَمَا تَسْكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَمُزُّهُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْنُورٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

يخبر تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلاق في كل ساعة وأوان لحظة وأنه لا يمزج من علمه وبصره مقال ذرة في حقارتها وسفرها في السموات ولا في الأرض ولا أسفر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله (وعندمنا فتح الكتاب لا يعلمها إلا هو) يعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب البرية في قوله (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا آثم أمثالكم) الآية وقال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) الآية وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات السالكين المأورين بالعبادة كما قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يرادى بين قوم وهلكوا فليسجدوا) ولهذا قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) أى إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راعون سامعون ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ لَا يَخَافُ غَيْبُهُمْ وَلَا هُمْ يُعْزَنُونَ • الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَغَيَّرُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

يخبر تعالى أن أولياءهم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما شرع بهم ، فكل من كان تقيا كان له وليا ف (لا خوف عليهم) أى فيما يستقبلونه من أحوال الآخرة (ولا هم يعززون) على ما وراءهم في الدنيا ، وقال عبد الله بن مسعود ابن عباس وغير واحد من السلف أولياء الله الذين إذا رزوا ذكر الله ، وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البراء حدثنا على بن حرب الرازى حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي القتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رجل يارسول الله من أولياء الله ؟ قال « الذين إذا رزوا ذكر الله » ثم قال البراء وقد روى عن سعيد مرسلا ، وقال ابن جرير حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا أبو فضيل حدثنا أبي عن حمارة بن القنقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن الجلي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله عبادا يشبههم الأنبياء والشهداء » قيل من هم يا رسول الله لنا بهم ؟ قال « هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ثم رواه أيضا أبو داود من حديث جرير عن حمارة

ابن الصمغاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عنده
وهذا أيضا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب والله أعلم ، وفي حديث الإمام أحمد عن أبي النضر
عن عبد الحميد بن بهرام عن شبر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ
« يأتي من أمتنا الناس ونوازع القبائل قوم لم تحصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتضافوا في الله يضع الله لهم
يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفرع الناس ولا يفرعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
والحديث مطول وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان بن أبي صالح
عن رجل عن أبي البرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الآخرة) قال « الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى » وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش
عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي البرداء في قوله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)
قال سألت رجلا أبا البرداء عن هذه الآية فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه
رسول الله ﷺ فقال « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل للمسلم أو ترى له بشره في الحياة الدنيا وبشره
في الآخرة الجنة » ثم روى ابن جرير عن سفيان عن ابن السكندر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه
سأل أبا البرداء عن هذه الآية فذكر نحو ما تقدم ثم قال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد
عن عاصم بن نهدة عن أبي صالح قال : سمعت أبا البرداء سئل عن هذه الآية (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى)
فذكر نحوه سواء وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عباد بن الصامت أنه سأل
رسول الله ﷺ قال يا رسول الله أ رأيت قول الله تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فقال « لقد
سألتني عن شيء مأسأني عنه أحد من أمتي سأول قال أحد فذلك - تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » وكذا
رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير به ، ورواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فذكره
ورواه علي بن المبارك عن يحيى عن أبي سلمة قال : نبأنا عن عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذه الآية فذكره ، وقال ابن جرير حدثني أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الأحنوس
عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى (لهم
البشرى في الحياة الدنيا) فقال عباد مأسأني عنها أحد فذلك سألت عنها نبي الله فقال مثل ذلك « مأسأني عنها أحد
فذلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له » ثم روى من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد
ابن جعفر عن عباد بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)
فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا ؟ قال « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له . وهي جزء من
أربعة وأربعين جزءا أو سبعين جزءا من النبوة » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا بهز حدثنا حماد حدثنا
أبو عمران عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال يا رسول الله : الرجل يعمل العمل ويحبه الناس عليه ،
ويثنون عليه به فقال رسول الله ﷺ « تلك عاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن
بني الأشيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال
(لهم البشرى في الحياة الدنيا) - قال - الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءا من النبوة
فمن رأى ذلك فليخبر بها ، ومن رأى سوى ذلك فاعلموا من الشيطان ليحزنه فلينبذ عن ساره ثلاثا وليكبر ولا يخبر بها
أحدًا - لم يخرجه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن
عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة
يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءا من النبوة » وقال أيضا ابن جرير حدثني محمد بن أبي حاتم اللؤب حدثنا عمار
ابن محمد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) - قال - في

الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المبد أو ترى له وهي في الآخرة الجنة » ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي حسين عن أبي صالح : « الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهي من البشريات هكذا رواه من هذه الطريق موقوفاً ، وقال أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له » وقال ابن جرير حدثني أحمد بن حمد الدولابي حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكسبية سمعت رسول الله ﷺ يقول « فبعت النبوة وبقيت للبشريات » وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وعجدة وعروة بن الزبير وعبيد بن أبي كثير وإبراهيم النخعي وعطاء بن أديب وغيرهم أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة . وقيل للراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والنفرة كقوله تعالى (إن الدين لله وأمرنا الله ثم استقموا) تنزل عليهم للملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون • نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزل من غفور رحيم) وفي حديث البراء رضي الله عنه أن المؤمنين إذا حضروا لولت جاءه ملائكة يضيء الوجوه يضيء الثياب فقالوا اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وربك ورب غرضيان فتخرج من فم كائليل القطرة من فم النساء ، وأما إبراهيم في الآخرة فكان قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) وقال تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات وللؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وقوله (لا تبدل لكلمات الله) أي هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقر ومثبت كائن لأهله (ذلك هو الفوز العظيم)

﴿ وَلَا يَزْنِ مَنْ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَزَّاهُ فِيهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • أَلَا إِنَّ فِيهِ مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَ فِي الْأَرْضِ وَمَنَ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فُرُكًا إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ مِمَّا لَا يَفْزَعُونَ • هُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ أَعْلَى لِيَسْكَتُوا فِيهِ وَتَهَابُوا مَبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ (ولا يزني) قول هؤلاء للشركين واستمن بالله عليهم وتوكل عليه فإن العزة لله جميعاً أي جميعها له ورسوله والمؤمنين (هو السميع العليم) أي السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم ، ثم أخبر تعالى أنه ملك السموات والأرض وأن الشركين يبدون الأصنام وهي لا تملك شيئاً لاضرراً ولا نفعاً ولا دليل لهم على عبادتها ، بل إنما يتبعون في ذلك ظنهم وخرصهم وكذبهم وإفكهم ، ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه ، أي يستريحون فيه من نصهم وكلامهم وحرارتهم (والتهاب مبعراً) أي مضيقاً لحياتهم ونصهم وأسفارهم ومصالحهم (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يسمعون هذه الحجج والآلة فيستبدون بها ويستدلون على عظمة خالقهم ومقدراهم ومسيرها

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلَهُ هُوَ النَّفْثُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ هُنَا لَمِنْ سُلْطٰنٍ يَهْدِي أَعْيُنُنَا عَلَى سُبُلَ الْبَلٰى لَنُفْلِتَنَ مِنَ اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِتُونَ • مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا نِعْمَ الْيَوْمَ نَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

يقول تعالى منكرًا على من ادعى أنه (ولما سبحانه هو النفث) أي تهندس عن ذلك هو النفث عن كل مساواة وكل شيء فقير إليه (لما في السموات وما في الأرض) أي كيف يكون له وما خلق وكل شيء مملوك له عبده (إن عندكم من سلطان بهذا) أي ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان (أقولون على الله ما لا تسون) إنكار ووعيد أي كيدونه به شديد كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إنفاً • تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً

أَن دَعَا لِرَحْمَنِ وَلَدًا ۖ وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لِرَحْمَنِ عَبْدٌ ۚ لَقَدْ أَهْلَكْنَا عَادَ وَثَمُودَ وَكُلَّ مِثْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدَا ۖ ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى الْكَافِرِينَ عَلَيْهِ الْقِتْرَتَيْنِ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ وَلَدًا بِأَهْلِهِمْ لَا يَخْلُحُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَاتَّهَمُوا إِيَّاهُ اسْتِزْجَارًا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَاتَّهَمُوا إِيَّاهُ بِسَبِّهِمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ ۚ قَالَ تَعَالَى هَئِنَّا (مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا) أَيْ مَتَاعٌ قَرِيبٌ (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) أَيْ اللَّوْجَ لِلْعَذَابِ (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) أَيْ بِسَبِّهِمْ كُفْرَهُمْ وَاتِّهَاتِهِمْ وَكَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ فَمَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْإِفْكَ وَالزُّوْرِ ۚ

﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تَبَا نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُومُوا إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مُعَايَا وَتَذَكِّرِي بِمَا نَبِّئْتُ اللَّهُ قَتَلَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْعَلُوا أَمْرَكُمْ وَشَرُّكُمْ كَأَمْ كُمْ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ حِمَّةٌ ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْتَظِرُونَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ فَكَذَّبُوهُ فَسَبَّيْنَاهُ وَمِن مَّعَةِ فِي الْعِلْمِ وَجَعَلْنَاهُمْ حَتِيفٌ وَأَفْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِمَا نَبَّيْنَاهُ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ۚ﴾

يقول تعالى لئله صلوات الله وسلامه عليه (وانزل عليهم) أي أخبرهم واقصص عليهم أي على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك (تبا نوح) أي خبره مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالرق أجمعين عن آخرهم ليلحد هؤلاء أن يسلم من الملائكة والسم ما أصاب أولئك (إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم) أي عظم عليكم (معاي) أي فيكم بين أظهركم (وتذكيري) أيكم (بآيات الله) أي بحججه وبراهينه (فلي الله توكلت) أي فاني لا أبالي ولا أكتب عنكم سواء عظم عليكم أولا (فاجعلوا أمركم وشركاءكم) أي فاجعلوا أمتهم وشركاءكم الذين تدعون من دون الله من صنوون (ثم لا يكن أمركم عليكم حمة) أي ولا يجعلوا أمركم عليكم ملتبسا ، بل انفصلوا حالكم معي فإن كنتم ترمون أنكم تحقون فاقضوا إلي ولا تنتظرون أي ولا تؤخروني ساعة واحدة أي مهما قدرتم فافعلوا فاني لا أبايكم ولا أخاف منكم لأنكم لستم على شيء أي قال هود لقومه (إني أشهد الله واشهدوا أني برئ مما تشركون من دونه فكيذكروني جميعا لا تنتظرون إني توكلت على الله ربي وربكم) الآية . وقوله (فان توليتم) أي كذبتم وأدبرتم عن الطاعة (فاسألكم من أجر) أي لم أطلب منكم على نصي إياكم شيئا (إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي وأنا ممثلا ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل والإسلام هو دين الأنبياء جميعا من أولهم إلى آخرهم ، وان تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن عباس سيلا وسنة فهذا نوح يقول (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى عن إبراهيم الخليل (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) ووصى به إبراهيم بنيه ويعقوب بآبائهم إن الله اصطفى لكم الدين فلا تتقوا إلا وأتم مسلمون) وقال يوسف (رب قد اتقيت من الملك وعلمتني ما تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقالت السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) يوقالت بلقيس (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان له رب العالمين) . وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) وقال تعالى (وإذ أوحيت إلى الخواريث أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنوا واشهد بأننا مسلمون) وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم (إن ملائكتي ونسكي ومحبي ومبأي لله رب العالمين لا يشركه) ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) أي من هذه الأمة ، ولهذا قال في الحديث الثابت عنه « نحن معشر الأنبياء أولاد علات وديننا واحد » أي وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعنا وذلك معنى قوله أولادى علات وهم الآخرة من أمهات شق الأب واحد ، وقوله تعالى (فكذبوه فتنبهنا ومن بعد) أي على دينه (في الفلك) وهي السفينة (وجعلناهم خلافت) أي في الأرض (وأفرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المتكبرين) أي يا محمد

كيف اعيينا للؤمنين واهلكتنا للكافرين

(ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَدْرِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغِي عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ)

يقول تعالى ثم بَشَّرْنَا من بَدْرِهِ رُسُلًا إلى قومهم فجاءهم بالبينات أي بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاءهم به (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) أي لما كانت الأمم تؤمن بما جاءتهم به رسلهم بسبب تكذيبهم لإياهم أول ما أُرسلوا إليهم كقوله تعالى (وَحَلَبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ) الآية وقوله (كَذَلِكَ نَطْغِي عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ) أي كاطمئناح الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم للتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بَدِمَ ويَحْتَم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا الضلالت الألب، والمراد أن الله تعالى أهلك الأمم للكذبة للرسول وأبغى من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام فبشَّر الله إليهم نوحا عليه السلام ولما يقول له للؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. وقال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وقاله تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَدْنِ نُوْحٍ) الآية، وفي هذا انذار عظيم لشركي العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بثلث الرسل ما ذكره الله تعالى من الضلالت والهلاك فلماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك ؟

(ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَدْرِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتِلْكَ آيَاتُنَا لِقَائِهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ • فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ • قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ • قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْحِقَ تَحْمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَادَةً تَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَّةَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ •)

يقول تعالى (ثُمَّ بَشَّرْنَا) من بعد تلك الرسل (موسى وهارون إلى فرعون ومثله) أي قومه (بآياتنا) أي حججنا وبراهيننا (فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) أي استكبروا عن اتباع الحق والالتحاق به وكانوا قوما مجرمين (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان كما قال تعالى (وَيَجْعَلُوهَا وَاسْتَفْتَاهَا فَعَسَى أَعْتَمِدُ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) الآية (قَالَ لَهُمْ) (موسى) منكرًا عليهم (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ •) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْحِقَ تَحْمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَادَةً) أي ثقتنا (عما وجدنا عليه آباءنا) أي الذين الذي كانوا عليه (وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَّةَ) أي السطة والرياسة (فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ) وكثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابه العزيز لأنها من أعجب القصص فإن فرعون حذر من موسى كل الحذر فصره القدر أن ربي هذا الذي يحذر منه على فراشه وما مدته بمنزلة الولد ثم عرج وعقد الله سببا أخرجه من بين أظهرهم ورزقه النبوة والأسالة والتكليم وبشَّر إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليجد مخرج إليه هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة السلطنة والسلطان، فجاهد برسالة الله تعالى وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام، فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحيلة، والنفس الحية الآية وقوى رأسه وتولى بركنه وادعى ماليس له ونجهم على الله وعنا وبني وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل والله تعالى يحفظ رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون ويحوطهما بنائيتهم ويحرسهما بيته التي لاتسام ولم تزل الحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئا بعد شيء : ومرة بعد مرة مما يبر العقول ويهش الأبواب مما لا يقوم له شيء ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله (وما نأتيهم

من آية إلا هي أكبر من أختها) وصمم فرعون وملؤه قبحهم الله على التكذيب بذلك كله والجحد والعناد والكبرية حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وأغرقتهم في صيحة واحدة أجمعين (تقطع دابر القوم الذين ظنوا والحد لله رب العالمين)

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ • فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ • فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ • وَيُحْيِي اللَّهُ الْخَنَازِيرَ وَيَكَلِّمُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْغَافِرُونَ)

ذكر القسبحانة قصة السحرة مع موسى عليه السلام في سورة الأعراف وقد تقدم الكلام عليها هنا وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء وذلك أن فرعون لعنه الله أراد أن يهرج على الناس ويمرض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق للبين ، يخراف السحرة وللشعدين ، فأنكس عليه النظام ولم يحصل له ذلك المرام ، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المخلد المزم (وَأَتَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ • قَالُوا أَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ • رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ) فظن فرعون أنه يستنصر بالسحر ، على رسول عالم الأسرار فتألب وخسر الجنة واستوجب النار (وقال فرعون أتتوني بكل ساحر عليم • فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) وإنما قال لهم ذلك لأنهم لا استحقوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعتاء الجزيل (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى • قال بل ألقوا) فأراد موسى أن تكون البداية منهم ليرى الناس ما صنعوا ثم يأتي الحق بصدق فيمنع بالظلم . ولهذا لا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (فأوحى في نفسه خيفة موسى فلما لا تخف إنك أنت الأعلى • وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا لأن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فتند ذلك قال موسى لما ألقوا (ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين • ويوحى الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن حمران بن الحارث حدثنا عبد الرحمن بن أبي العتاشي أخبرنا أبو جسر الرازي عن ليث وهو ابن أبي سلمة قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر إذن الله تعالى خرا في إناه فيه ماء ثم صب على رأس السحور الآية التي من سورة يونس (فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين • ويوحى الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) والآية الأخرى (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) إلى آخر أربع آيات وقوله (إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

(فَمَنْ آمَنَ يُؤْمِنُ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَكَلِيلٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَكِنُ الشَّرِّ فَرِحَ)

يخير تعالى أنه لم يؤمن موسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الثورية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملكه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر ، لأن فرعون لعنه الله كان جبارا عنيدا مسرفا في الفرد والتعوى وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منمنون شديدا . قال المولى عن ابن عباس (فما آمن موسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم) قال فان الثورية التي أدمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة جازة وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فما آمن موسى إلا ذرية من قومه) يقول بني إسرائيل وعن ابن عباس والضحاك وقادة الثورية القليل وقال مجاهد في قوله (إلا ذرية من قومه) قال هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آبائهم واختار ابن جرير قول مجاهد في الثورية أنها من بني إسرائيل

لا من قوم فرعون لمود الضمير على أقرب المذكورين ، وفي هذا نظر لأنه أراد بالبرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل فالمرءف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بحسب عليه السلام واستبشروا به وقد كانوا يرفون نته وصفته والبشارة به من كتبهم للتقدمة وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يجد عنه شيئا ، ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى و (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا على ريب أن يهلك عدوك ويستخلفك في الأرض فينظر كيف تعملون) وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل (على خوف من فرعون ومثلهم) أى وأشراف قومهم أن يفتنهم ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون فإنه كان من قوم موسى فنبى عليهم لكنه كان طائفا إلى فرعون متصلا به متلقا بعباله ومن قال إن الضمير في قوله ومثلهم عائد إلى فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحلف آل فرعون وإقامة للضاف إليه مقامه فقد أبعد وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة ، وما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن بقوله تعالى

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَآمَنُتُمْ بِاللّٰهِ فَاعْلَمِيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِيْنَ • فَقَالُواْ عَلَىٰ آلِهَةٍ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّقَوْمٍ الظَّالِمِيْنَ • وَتَجَنَّبَا رَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن موسى أنه قال لبني إسرائيل (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن كنتم مسلمين) أى فإن الله كاف من توكل عليه (أليس الله بكاف عبده) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى (فاعبدوا وتوكلوا عليه) (قل هو الرحمن أمانه وعليه توكلنا) (رب الشرق والفرج والبر والبر والبر) (قل هو فاتنهم وكيل) وأمر الله تعالى للمؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة (إياك نعبد وإياك نستعين) وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا (على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) أى لا تظهرهم بنا تسلطهم علينا فيظنوا أنهم إنما سلبوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل فيفتنوا بذلك هكذا روى عن أبي جابر وأبي الضمى ، وقال ابن أبي نجيع وغيره عن مجاهد لا تعذبنا بأيدي آل فرعون ولا بسذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا وقال عبد الرزاق أن ابن عباس عينا عن ابن أبي نجيع عن مجاهد (ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) لا تسلطهم علينا فيفتنوا بقوله (ونجينا برحمتك) أى خلصنا برحمة منك وإحسان (من القوم الكافرين) أى الذين كفروا الحق وستره ونحن قد آمننا بك وتوكلنا عليك .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ مَعْرَءً يَّوْمًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾

يذكر تعالى سبب أمجاد بني إسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك أن الله تعالى أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يتبوءا أى يتخذوا قومه ما بمصر يوتا ، واختلف القسرون في معنى قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبة) فقال الثوري وغيره عن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس (واجعلوا بيوتكم قبة) قال أمروا أن يتخذوها مساجد ، وقال الثوري أيضا عن ابن منصور عن إبراهيم (واجعلوا بيوتكم قبة) قال كانوا خائفين فأمروا أن يسلموا في بيوتهم وكذا قال مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبو زيد ابن أسلم وكان هذا والله أعلم لما اعتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وشيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استمعوا بالصبر والصلاة) وفي الحديث كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلب أخرجه أبو داود ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية (واجعلوا بيوتكم قبة واقموا الصلاة وبشروا المؤمنين) أى

بالثواب والنصر القريب ، وقال الدوق عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: بنو إسرائيل لموسى عليه السلام لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع القراءة فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم وأمروا أن يصلوا بيوتهم قبل القبلة ، وقال مجاهد (واصلوا بيوتكم قبله) لا تخاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة أمروا أن يصلوا بيوتهم مساجد مستقلة الكعبة يصلون فيها سرّاً وكذا قال قتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير (واصلوا بيوتكم قبله) أي يقابل بعضها بعضاً

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ هَكَذَا أَجَبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقْبَلُوا وَلَا تَقْبَلُوا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَهْتَمُّونَ ۚ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى مما دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملك لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظالمين وعتلوا وتكبرا وعتوا قال موسى (ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة) أي من أثاث الدنيا ومتاعها (وأموالاً) أي جزية كثيرة (في) هذه (الحياة الدنيا) ربنا ليسلوا عن سبيلك (بفتح الباء أي أعطيهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجاً منك لهم كقولهم تعالى (لنفتنهم فيه) وقرأ آخرون ليسلوا بضم الياء أي لفتنن بما أعطيهم من ثلث من خلقك ليظن من فتنتهم أنك إنما أعطيهم هذا لحك إياهم واعتناك بهم (ربنا اطمس على أموالهم) قال ابن عباس ومجاهد أي أهلكها ، وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت ، وقال قتادة بلنا أن زروصهم تحولت حجارة ، وقال محمد بن كعب القرظي جبل سكرهم حجارة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكر عن أبي معشر حدثني محمد بن قيس أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز حتى بلغ (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا) إلى قوله (ربنا اطمس على أموالهم) الآية فقال عمر يا أبا حمزة أي شيء اطمس ؟ قال : حلت أموالهم كلها حجارة ، فقال عمر بن عبد العزيز للامام الثاني بكيس فبماه بكيس فإذا فيه جمل من ويض قد حول حجارة وقوله (واشد على قلوبهم) قال ابن عباس أي اطمس عليها (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وهذه الدعوى كانت من موسى عليه السلام فضا في واديه على فرعون وملك الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يهمل منهم شيء كما دعانوح عليه السلام فقال (رب لا تنر على الأرض من السكّرين ذليلاً) • إنك إن تدرهم يصلوا عبادك ولا ولد إلا فاجر كقاراً • ولهذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم هذه الدعوة التي آمن عليها أخوه هرون فقال تعالى (قد أجبت دعوتكما) قال أبو العالية وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس دعا موسى وأمن هرون أي قد أجبتكما كما فيا سألتما من تميم آل فرعون ، وقد يفتح بهذه الآية من قول ابن تائمين المأموم على قراءة القاعة ينزل منزلة قراءتها لأن موسى دعا وهرون آمن ، وقال تعالى (قد أجبت دعوتكما فاستجب) الآية أي كما أجبت دعوتكما فاستجب على أمرى قال ابن جرير عن ابن عباس: فاستجباً فاستجاب لأمرى وهي الاستجابة قال ابن جرير يؤولون إن فرعون مكث بهذه الدعوة أربعين سنة ، وقال محمد بن كعب وعطى بن الحسين أربعين يوماً

﴿ وَجَوزْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَنِيًّا وَعَدَرُوهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَٰهٌ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ • وَالَّذِينَ وَقَدَّ عَصَيْتُ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ • فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَابَاءَ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا ۖ ﴾

عَائِدَتَنَا لَقَوْلُونَا

يذكر تعالى كيفية إغراقه فرعون وجنوده فان بنى إسرائيل لما خرجوا من مصر صعبه موسى عليه السلام وهم يابوا قبل سبائة ألف مقاتل سوى البحرية وقد كانوا استناروا من القبط حلياً كثيراً فخرجوا به معهم فاشتد حنق فرعون عليهم فأرسل في الدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه فركب وراهم في أبنية عظيمة وجيوش هائلة لا يريده الله تعالى بهم ولم يتخلف عنه أحد من دولة وسلطان في سائر مملكته فلحقهم وقت شروق الشمس (فلما رأى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون) وذلك أنهم لما اتهموا إلى ساحل البحر وفرعون وراهم بهم : لم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان وألح أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف الخلف مما نحن فيه ؟ فيقول إني أمرت أن أسلك ههنا (كلا إن معي ربي سيهدين) فشد مضائق الأمر أتسع فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بمصاه فاضربه فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار اتى حشر طريقاً لكل سبط واحد وأمر الله الرمح فنفشت أرضه (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) وتفرق لئلا بين الطرق كثرة الشبابيك ليرى كل قوم الآخرين فلا يظنوا أنهم هلكوا . وجاوزت بنو إسرائيل البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى وهو في جماعة ألف آدم سوى بقية الألوان ، فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيات ولات حين مناص ، نفذ القدر ، واستجيت الدعوة . وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل فر إلى جانب حصان فرعون فحجم اليها واتحم جبريل البحر فاتحم الحصان وراهم ولم يبق فرعون بملك من نفسه شيئا فتجدد لأمراته وقال لهم ليس بنوا إسرائيل بأحق بالبحر منا فاتحموا كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقهم لا يترك منهم أحداً إلا ألحقه بهم ، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخرج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم يبق منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترهمهم وتخضمهم وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات اللوت فقال وهو كذلك (أنت أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فأمن حيث لا ينفعه الإيمان (فلا رأوا بأسنا قالوا آتينا بالله وحده وكفرتنا بما كنا به مشركين) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال (آلآن وقد نسيت قبل) أي أهدأ الوقت تقول ، وقد نصبت الله قبل هذا فيما بينك وبينه (وكنتم من المفسدين) أي في الأرض الذين أشاؤا الناس (وجعلناهم أمم يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أسرار القلب التي أعلم الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا سلمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل - قال - قال لي جبريل لو رأيته وقد أخذت من حال (١) البحر فمستته في فيه عاقبة أن تاله الرحمة » ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهم من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي حديث حسن ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبريل لو رأيته وأنا أخذت من حال البحر فأودسه في فم فرعون عاقبة أن تدركه الرحمة » وقدروله أبو عيسى الترمذي أيضا وابن جرير أيضا من غير وجه عن شعبة به فذكر مثله ، وقال الترمذي حسن غريب صحيح ، ووقع في رواية عبد بن جرير عن محمد بن القتي عن غندر عن شعبة عن عطاء وعدي عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدها فكان الآخر لم يرفع فله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خازم الأحمر عن مهران بن عبد الله بن مولى السقي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فيجعل يأخذ الحبال بمناجيه فيضرب به وجهه فيرمسه ، وكذا روى ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبي خازم به

موقوفاً ، وقد روي عن حديث أبي هريرة أيضاً قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عتبة هو ابن أبي سعيد عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل يا محمد لرايتي وأنا أظنه وأدس من الحال (١) في فيه عافتان تذكره رحمة الله بفخره » يعني فرعون . كثير بن زاذان هذا قال ابن معين لا أعرفه ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم مجهول وبقي رجاله ثقات ، وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الضحاك بن قيس أنه خطب بهذا الناس فافقوا علم وقوله (فالיום تنجيك يدك) تكون لمن خلقك آية قال ابن عباس وغيره من السلف إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده مسواً بلا روح وعليه درعه المروفة على نحوه من الأرض وهو السكان للارتفاع ليتحققوا موته وهلاكه ولهذا قال تعالى (فالיום تنجيك) أي نرفك على نشر من الأرض (يدك) قال مجاهد بجسدك ، وقال الحسن بجسم لاروح فيه ، وقال عبد الله بن شداد وسواهم أي لم يتمزق ليتحققه ويرفقه ، وقال أبو صخر يدرك . وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم وقوله (تكون لمن خلقك آية) أي لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وأنه لا يقوم لنفسه شيء ولهذا قرأ بعضهم (تكون لمن خلقك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لما فون) أي لا يتظنون بها ولا يمتدحون بها ، وقد كان إهلاكهم يوم عشوراء كما قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي ﷺ للدينية واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال « ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ » فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون . فقال النبي ﷺ لأسماحة « أم أحق بموسى منهم تصومونه »

(وَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَيَا كَاوُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله (مَبْوَءَ صِدْقٍ) قيل هو بلاد مصر والشام ما إلى بيت المقدس ونواحيه فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الوسوية على بلاد مصر بكاملها كما قال الله تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وثبتت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمشون) وقال في الآية الأخرى (فأخرجناهم من جنت وعيون) وكنوز ومقام كريم . كذلك وأورثناها بني إسرائيل) وقال (كم تركوا من جنت وعيون) الآيات ولكن استمروا مع موسى عليه السلام طالين إلى بلاد بيت المقدس وهي بلاد الخليل عليه السلام فاستمر موسى بمن معه طالبا بيت المقدس وكان فيه قوم من المعاقبة فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم فصردهم الله تعالى في التيه أربعين سنة ومات فيه هارون ثم موسى عليهما السلام وخرجوا بعدها مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بيت المقدس واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم مختصر حيناً من الدهر ثم دانت إليهم ثم أخذها ملوك اليونان فكانت أحكامهم مدة طويلة وبث الله عيسى بن مريم عليه السلام في تلك اللدة فاستمات اليهود فيهم الله على معاداة عيسى عليه السلام بملوك اليونان وكانت أحكامهم ووشوا عندهم وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فيشؤا من قبض عليه فرقه الله إليه وشبه لهم بعض الحوارين بمشيئة الله وقدره فأخذوه فصلبوه واعتقدوا أنه هو (وما تلووه حينئذ بل رفسه الله إليه وكان الله عزيزاً حكماً) ثم بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وكان فيلسوفاً قبل ذلك فدخل في دين النصارى قيل توبة وقيل حيلة ليفسدهم فوضعت له الأمافقة منهم قوانين وشريعة بدعوا وأحدثوها فيهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والمياكل والمعابد والقلاليت وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير

بكالها بنبيهم عن سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل نينوى وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه ، وخرج رسولهم من بين أظهرهم فندحوا جأروا إلى الله واستأثروا بوقصر عوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به بنبيهم فندحها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا كآفاً تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) واختلف للتفسير هل كشف عنهم العذاب الأخرى مع الدينوي أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ على قولين (أحدهما) إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية (والثاني) فيها قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ففأنكروا ففأنهناهم إلى حين) فأطلق عليهم الإيمان . والإيمان مقيد من العذاب الأخرى وهذا هو الظاهر والله أعلم . وقال قتادة في تفسير هذه الآية لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم فنفق الله في قلوبهم التوبة ولبسوا للسوح وفرقوا بين كل بهيمة ولولها ثم هجروا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم ، قال قتادة وذكر أن قوم يونس بنينوى أرض اللؤلؤ وكذا روى عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف وكان ابن مسعود يقرؤها (نهلا كانت قرية آمنت) وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال لما نزل بهم العذاب جعل يدور على رؤوسهم كقطع الليل النظم فشا إلى رجل من علمائهم فقالوا علمنا دعاء ندعوا به لعل الله أن يكشف عنا العذاب فقالوا يا يحيى حين لا حي ، يا يحيى لوفى ، يا يحيى لا إله إلا أنت ، قال فكشف عنهم العذاب . وتقام القصة سياً مفصلاً في سورة الصافات إن شاء الله .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتَيْنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جِجَمًا فَأَنُتِ تَشْكُرُهُ النَّاسُ حَتَّى يَكُونُوا ثُؤَمَيْنِ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِجَعِلِ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَنْتَفِرُونَ ﴾

يقول تعالى (ولو شاء ربك يا محمد لأذن لأهل الأرض كلها في الإيمان بما جئهم به فآمنوا كلهم ولكن له حكمة فيها يغفله تعالى كقوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقال تعالى (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) ولهذا قال تعالى (أفأنت تكره الناس) أى تلزمهم وتلجهم (حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس ذلك عليك ولا إليك بل الله (يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تنهب خشك عليهم حسرات) (ليس عليك عهدهم ولكن أقبه يهدي من يشاء) (لك باخ خشك أن لا يكونوا مؤمنين) (إنك لا تهدي من أحببت) (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) (فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) إلى غير ذلك من الآيات . الله تعالى أن الله تعالى هو الفعال لما يريد . الهادي من يشاء الضال لمن يشاء لعله وحكمته وعده ولهذا قال تعالى (وما كان للنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس) وهو الخبال والفساد (على الذين لا يقولون) أى حجج الله وأدلتها ، وهو العادل في كل ذلك في هدايته من هدى وإضلال من ضل .

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * قُلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يرشد تعالى عباده إلى التفكير في آياته وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لقوى الألباب ، بما في السموات من كواكب نيرات ، ثواب وسيلرات ، والشمس والقمر والبال والنهار واختلافهما وإصلاح أحدهما

فيه ولا شك فمن احتدى به واتبعه قلنا يهود نفع ذلك الاتباع على نفسه ، ومن ضل عنه إنما يرجع وبال ذلك عليه (وما أنا عليكم بوكيل) أى وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين وإنما أنا نذير لكم ، والمطالبة على الله تعالى وقوله (واتبع ما يوحى إليك واسبر) أى تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك واسبر على مخالفة من خالفك من الناس (حتى يحكم الله) أى يفتح بينك وبينهم (وهو خير الحاكمين) أى خير القاضين بسده وحكمته .

(تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية)

قال الحافظ أبو يعلى حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن عكرمة قال : قال أبو بكر سألت رسول الله ﷺ ما عييك ؟ قال « شيتنى هود والواقعة ومع يسارون وإذا الشمس كورت » وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن شيان عن أبي إسحق عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو بكر يا رسول الله قد شئت قال « شيتنى هود والواقعة والمرسلات ومع يسارون وإذا الشمس كورت » وفي رواية « هود وأخواتها » وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا حجاج بن الحسن حدثنا سعيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيتنى هود وأخواتها : الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت » وفي رواية « هود وأخواتها » وقد روى من حديث ابن مسعود نحوه قال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق الراشعي حدثنا عمرو بن ثابت عن أبي إسحق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن أبابكر قال يا رسول الله ما عييك ؟ قال « هود والواقعة » . عمرو بن ثابت متروك وأبو إسحق لم يدرك ابن مسعود والله أعلم

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ الرَّكِيبَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ • أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ • وَبَشِيرٌ • وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِيَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ • إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف المبدأ في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وبالله التوفيق ، وأما قوله (أحكمت آياته ثم فضلت من لدن حكيم خير) أى هي محكمة في نظنها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى ، وهذا معنى ما روى عن مجاهد وقادة واختاره ابن جرير . وقوله (من لدن حكيم خير) أى من عند الله الحكيم في آتائه ، وأحكمه خير بمواق الأمور (ألا تعبدوا إلا الله) أى نزل هذا القرآن الحكم للتصلي لعبادة الله وحده لا شريك له كقولته تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (إني لكم نذير وبشير) أى إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه ، وبشير بالثواب إن أطعتموه كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صمد الصفا قدما بطون قريش الأخرى ثم الأخرى فاجتمعوا فقال « يا معشر قريش أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم ألستم بصدق ؟ » فقالوا ما جربنا عليك كذبا قال « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » وقوله (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتنعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) أى وآتوكم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فاستجابوا ، وأن تستمروا على ذلك يمتنعكم متاعا حسنا (أى في الدنيا) إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله (أى في الدار الآخرة قاله قتادة كقولته (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

فلحمينه حياة طيبة) الآية وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لسعد « واثق لن تنفق نفقة تبتنى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في إسرائيل » وقال ابن جرير حدثني الليث بن سعد عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله (ويؤت كل ذي فضل فضله) قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي كان يعملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول هلك من غلب أحاده على أعشاره ، وقوله (وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله فإن القلب يناله يوم القيامة لا محالة (إلى الله مرجعكم) أي معادكم يوم القيامة (وهو على كل شيء قدير) أي وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه وانتقامه من أعدائه ، وإعادة الخلق يوم القيامة ، وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام ترغيب .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ سُورُهُمْ لَيْسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَشْفُونَ لِيَأْبَهُمْ يَعْلَمُ مَا بِيَرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

قال ابن عباس كانوا يكرهون أن يستقبلوا السباء بفروجهم وحال وقاعهم فأنزل الله هذه الآية ، روى البخاري من طريق ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ ألا إنهم تشقون صدورهم ، الآية فقلت يا أبا العباس ما تشقون صدورهم ؟ قال الرجل كان يجامع امرأته فيستحي أو يتخلل فيستحي فقلت : ألا إنهم تشقون صدورهم . وفي لفظ آخر له قال ابن عباس أناس كانوا يستحيون أن يتخللوا فيفضوا إلى السباء وأن يجامعوا نسائهم فيفضوا إلى السباء فنزل ذلك ففهم ثم قال : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا حماد بن زيد قال قال ابن عباس . ألا إنهم تشقون صدورهم يستشفون منه ألا حين يستشفون ثيابهم . قال البخاري وقال غيره عن ابن عباس (يستشفون) يظنون ردوسهم ، وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية يمتن به الشك في الله وعمل السيئات وكذا روى عن مجاهد والحسن وغيرهم أي أنهم كانوا يشقون صدورهم إذا قالوا شيئا أو فعلوا فظنوا أنهم يستشفون من الله بذلك فأخبرهم الله تعالى أنهم حين يستشفون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل (يعلم ما يبرون) من القول (وما يعلمون) أنه علم بذات الصدور أي يعلم ما تكن صدورهم من النيات والصفات والسرائر ، وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته للشهيرة

فلا تكتمن الله مالي فأوبك * ليخفي ومها يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب قيصر * ليوم حساب أو يسجل فيقيم

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات والمعاد والجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة ، وقال عبد الله بن شداد : كان أحدم إذا مر برسول الله ﷺ فغشي عنده صدره وغشي رأسه فأنزل الله ذلك ، وعود الضمير إلى الله أولى لقوله (ألا حين يستشفون ثيابهم يعلم ما يبرون وما يعلمون) وقرأ ابن عباس ألا إنهم تشقون صدورهم يرفع الصدور على القاعية وهو قريب للمعنى

﴿ وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحجزها وبربها وأنه يعلم مستقرها ومستودعها أي يعلم أين تنتهي سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها . وقال طي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس (ويعلم مستقرها) أي حيث تأوى (ومستودعها) حيث تموت ، وعن مجاهد (مستقرها) في الرحم (ومستودعها) في الصلب كالتي في الأنعام ، وكذا روى عن ابن عباس والضحك وجماعة ، وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين هنا كما ذكره عند تلك الآية فاعلم ، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك كقوله

(ومانن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجاحية إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) وقوله (وعند مفاتيح القلوب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ أَنَسْكُمْ مَبُتُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى آتِيَةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِيهِ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن عمر عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « أقبلوا البشري يا بني آدم » قالوا قد بشرتنا فأعطينا ، قال « أقبِلُوا البشري يا أهل الجن » قالوا قد قبلنا . فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال « كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الوجود المفوظ ذكر كل شيء » قال : فأتاني أت قال يا عمران اغلث نالتك من عقابنا ، قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان يبدى ، وهذا الحديث خرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فيها قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال « كان الله ولم يكن شيء قبله - وفي رواية غيره - وفي رواية معه - وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا أبو اليان أخبرنا شعب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل أنفق أنفق عليك » وقال « يدالله ملائ لا يفيضها ثقة ، سبحانه الليل والنهار » وقال « أفرايت ما أنفق من خلق السموات والأرض فانه لم ينض ما في يمينه وكان عرشه على الماء ، ويده اليمين يخفض ويرفع »

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعل بن عطاء عن وكيع بن عدي عن محمد بن أبي رزيق وإسحاق بن عمار بن النعمان عن النعمان بن عمار قال « كان في عمام ما عتته هواه وما فوته هواه ، ثم خلق العرش بهذا » وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن عن يزيد بن هرون به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقال مجاهد (وكان عرشه على الماء) قبل أن يخلق شيئا ، وكذا قال وهب بن منبه وشمرة وقادة وابن جرير وغير واحد ، وقال قتادة في قوله (وكان عرشه على الماء) بنبتكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض ، وقال الربيع بن أنس (وكان عرشه على الماء) فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك للملائكة سبعين فيصبل نصفاً تحت العرش وهو البحر للجن ، وقال ابن عباس إن عاصي العرش عرشاً لا ارتفاعه ، وقال إسماعيل بن أبي خالد سمعت سعداً الطائي يقول : العرش ياقوتة جبراء ، وقال محمد بن إسحق في قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فكان كما وصف نفسه تعالى إذ ليس إلا الماء ، وعليه العرش وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، والعزة والسلطان ، وللك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرحمة والنعمة فقال لما يريد ؟ وقال الأعمش عن النعمان بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن قول الله (وكان عرشه على الماء) على أي شيء كان الماء ؟ قال على متن الرمح ، وقوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملاً) أي خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولم يخلق ذلك عبثاً كقولهم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أخلصيتكم أجمعاً خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون

فقال الله الملك الحي لا إله إلا هو رب العرش الكريم (وقال تعالى) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون الآية وقوله (يلبكم) أي ليعتبركم (أيكم أحسن عملا) ولم يقل أكثر عملا ، بل أحسن عملا ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ فمقصد العمل واحدا من هذين الشراطين حيط وبطل . وقوله (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) الآية يقول تعالى (ولئن أخبرت بالإجماع هؤلاء للشركين أن الله سيبعثهم ببدنهم كأبدانهم أنهم يظنون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وهم مع هذا يشكرون البعث والمعاد يوم القيامة الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (ما خلقكم ولا بشيئكم إلا كنفس واحدة) وقولهم (إن هذا إلا سحر مبين) أي يقولون كفرا وعنادا ما تصدقك على وقوع البعث ، وما يذكر ذلك إلا من سحرته فهو يتشبك على ما يقول ، وقوله (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) الآية . يقول تعالى (ولئن أخرنا العذاب والمؤاخلة عن هؤلاء للشركين إلى أجل معدود وأمد محصور وأعدناهم إلى مدة مفروية ليقولن متكذبا واستجبالا : ما يعسبه أي يؤخر هذا العذاب عنا فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك فلم يبق لهم محيص عنه ولا عيذ والأمة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة فيراد بها الأمد كقوله في هذه الآية (إلى أمة معدودة) وقوله في يوسف (وقال الذي يخافهما وادكر بعد أمة) وتستعمل في الإمام القندي به كقوله (إن إبراهيم كان أمة فانا فحيفا ولهمك من للشركين) وتستعمل في الله والدين كقوله أخبارا عن للشركين أنهم قالوا (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وتستعمل في الجاعة كقوله (ولما ورد مامدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وقوله (ولقد بينا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) وللراد من الأمة هنا الدين يبعث فهم الرسول مؤمنهم وكافهم كما في صحيح مسلم «والذي قضى بيده لا يسمع في أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى لا يؤمن في إلا دخل النار» وأما أمة الأبياع فهم المصدقون لرسول كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وفي الصحيح «فأقول أمة أمة» وتستعمل الأمة في التفرقة والطائفة كقوله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) الآية

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَدَّعْنَاهُ مِنَّا قَسْوًا ۖ وَقَلْنَ أَذَقْنَاهُ نَفْسًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ ۚ لَيَقُولُنَّ دَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۚ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

يخبر تعالى عن الانسان وما فيه من الصفات الحميمة لإمان رحم الله من عباده المؤمنين أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجود لماضي الحال كأنه لم ير خيرا ولم يرج بعد ذلك فرجا . وهكذا إن أصابته نعمة بعد قسوة (ليقولن ذهب السيئات عني) أي يقول ما ينالني بعد هذا ضيق ولا سوء (إنه لفرح فخور) أي فرح بما في يده بطل فخور على غيره ، قال الله تعالى (إلا الذين صبروا) أي على الشدائد والمكاره (وعملوا الصالحات) أي في الرخاء والفاقة (أولئك لهم مغفرة) أي بما يصيبهم من الضراء (وأجر كبير) بما أسلفوه في زمن الرخاء كما جاء في الحديث «والذي قضى بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطيائه» وفي الصحيحين «والذي قضى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فكركان خيرا له ، وإن أصابته ضراء فبركان خيرا له ، وليس ذلك لأحد غير المؤمن» ولهذا قال الله تعالى (والصبر إن الإنسان لفي خسر) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

وقال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا) الآيات

﴿ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ تِلْكَ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُّبِينٌ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْهُ قُلُوبُنَا لِنَعْرِشَ سُبُوهُ مُتَعَفِّينَ أَوْدَعُوا مِنْ أَسْطِغْنَمُ مَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ لِمَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْغَافِلِينَ • وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى مسلما لرسوله ﷺ عما كان يشتبه به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم في قوله (وقالوا ما هذا الرسول بأكل الطعام ويحيى في الأسوق؟ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) وأيضاً إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تبصرون إلا رجلا مسحوراً) فأمر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشد إلى أن لا يشق بذلك منهم صدق ولا يصدته ذلك ولا يبينه عن معانيهم إلى الله عز وجل آتاه الليل وأطرف النهار قال تعالى (وقد نمم أنك يشق صدرك بما يقولون) الآية، وقال ههنا (فلنك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا) أي قولهم ذلك فاعلم أنك نذير ولك أسوة باخوانك من الرسل قبلك فانهم كذبوا وأودوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل، ثم بين تعالى إعجاز القرآن وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولا يشرح سور مثله، ولا يسورة من مثله لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات. وذاته لا يشبه شيء. تعالى وتقدس وتنزه لا إله إلا هو ولا رب سواه ثم قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم) أي فان لم يأتوا بعمارة مدمعة قوم إليه فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله متضمن علمه وأمره ونهيه (وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون)

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْخَيْرَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْنِهِمْ أَهْلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْغِسُونَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قال الموفق عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يطمعون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون همياً يقول من حصل صالحا القاس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يسهل إلا القاس الدنيا يقول الله تعالى: أوفيه الذي القس في الدنيا من الثابة وحبط عمله الذي كان يعمل لا القاس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين: وهكذا روى عن جاهد والضحاك وغير واحد، وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت في اليهود والنصارى، وقال جاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء، وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيته وطلته جزاءه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يسلم بها جزاء وأما المؤمن فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وقد ورد في الحديث الرفوع نحو من هذا، وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا لجهنم سبيلاً لهم وما نمدحهم) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً • كلا ثم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوظاً • انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نزه منها وما له في الآخرة من نصيب)

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَبْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَزَقَهُ أُولَئِكَ يَوْمُئِذٍ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ أَخْلَقَ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

لَا يُؤْمِنُونَ

غير تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطر الله الناس على فطرته) الآية وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » الحديث . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً » وفي المسند والسنن « كل مولود يولد على هذه الفطرة حتى يرب عنه لسانه » الحديث ، فالؤمن باق على هذه الفطرة ، وقوله (ويتلوه شاهد منه) أي وجاءه شاهد من الله وهو ما أوحى إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة للكلمة العظيمة المحتمة بشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضحاك وإبراهيم النخعي والسدي وغير واحد في قوله تعالى (ويتلوه شاهد منه) إنه جبريل عليه السلام ، وعن علي رضي الله عنه والحسن وقادة هو محمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما قريب في المعنى لأن كلام جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى فجبريل إلى محمد ومحمد إلى الأمة ، وقيل هو علي وهو ضعيف لا يثبت له قائل والأول والثاني هو الحق ، وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجلق والتفاصيل تؤخذ من الشريعة والفطرة تصديقها وتؤمن بها ، ولهذا قال تعالى (أفئن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وهو القرآن بلغه جبريل إلى النبي ﷺ وبلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمته ، ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) أي ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة (إماماً ورحمة) أي أنزله الله تعالى إلى تلك الأمة إماماً لهم وقادة يقتدون بها ورحمة من الله بهم فمن آمن بها حق الإيمان فاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ، ولهذا قال تعالى (أولئك يؤمنون به) ثم قال تعالى متوعدة لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) أي ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن كما قال تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) . وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لا يسمع في أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » وقال أيوب السخيتي عن سعيد ابن جبير قال : كنت لا أسمع بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يسمع في أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار » فقلت أقول أين مصداقه في كتاب الله ؟ قال وقلنا سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقاً في القرآن حتى وجدت هذه الآية (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) قال من الملك كلها وقوله (فلا تكفر بفرية منه إنه الحق من ربك) الآية ، أي القرآن حق من الله لا مبرية ولا مبرية ولا شك فيه كما قال تعالى (ألم تنزل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) وقال تعالى (ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كقوله تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فرقة من المؤمنين)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُرْمَوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّذِينَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفْرٌ

كُفْرُونَ • أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُصْنَفُ لَهُمْ
الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَعْتَمِدُونَ • لَا جِرْمَ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿١﴾

يبين تعالى حال الملقين عليه وفيضيتهم في الدار الآخرة على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والأنبياء وسائر
البشر والجان كما قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام حدثنا قتادة عن صفوان بن عمرو قال : كنت أخذاً
بـيد ابن عمر إذ عرض له رجل قال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ، قال سمعته
يقول « إن الله عز وجل يدنو المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أنصرف ذنبك كذا ؟
أنصرف ذنبك كذا ؟ أنصرف ذنبك كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال طاني قدسترنا عليك في الدنيا
وإني أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار وللاتقون فيقول (الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
ألا لعنة الله على الظالمين) الآية أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قتادة به وقوله (الذين يصدون عن سبيل
الله ويغيثونها عوجاً) أي يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى اللوطة إلى الله عز وجل ويحبونهم الجبة
(ويغيثونها عوجاً) أي ويريدون أن يكون طريقهم عوجاً غير مستدلة (وهم بالآخرة هم كافرون) أي جاحدون بها مكذبون
بوقوعها وكونها (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء) أي بل كانوا تحت قهره
وغلبته وفي قبضته وسلطانه وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة (ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الأبصار) وفي الصحيحين « إن الله ليعلى للظالم حتى إذا أخذ له قبضته » ولهذا قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) الآية أي
يضاعف عليهم العذاب ، وذلك أن الله تعالى جبل لهم سمعاً وأبصاراً وأقتد له أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتدتهم
بل كانوا صما عن سماع الحق صما عن اتباعه كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار كقوله (وقالوا لو كنا نسمع أو
نقل ما كنا في أصحاب السعير) وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب) الآية ،
ولهذا يمدون على كل أمر تركوه وعلى كل نهى ارتكبوه ولهذا كان أصعب الأقوال أنهم مكفون بفروع الشرائع أمرها
ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة وقوله (أولئك الذين خسروا أنفسهم وصل عنهم ما كانوا يفترون) أي خسروا أنفسهم
لأنهم أدخلوا ناراً حامية فهم مذبذبون فيها لا يفترون عنهم من عذابها طرفه عبيد كما قال تعالى (كلما خبت زدناهم سعيراً)
(وصل عنهم) أي ذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من دون الله من الأنداد والأسماء فلم تجد عنهم شيئاً بل ضررتهم كل
الضرر كما قال تعالى (وإذا خسروا الناس كانوا هم أشد أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله
آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم شدا) وقال الخليل لقومه (إنما اتخذتم من دون الله
أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بصكم يبعض ويلعن بصكم يبعضاً ومأواكم النار وما لكم من
ناصرين) وقوله (إذ نبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) إلى غير ذلك من الآيات
الدالة على خسرها ودمارهم ولهذا قال (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) غير تعالى عن مكلمهم أنهم أخسر الناس
صفة في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا البركات عن المرجات ، واحتاضوا عن نعيم الجنان بحجم آك وعن شرب الرحيق
المختوم . بسوم وحسم وظل من محموم وعن المحور الميعن بطعام من غسيل وعن العصور العالية بالمأودة ، وعن قرب
الرحمن ، ورؤيته بنضب البيان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • مَثَلُ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كَلَامَ عُتَىٰ وَالْأَاسَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأنبياء حتى يذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإيمان بالطاعات وترك النكرات وبهذا ورثوا الجنات ، للشمعة على القرف العاليات ، والسرر للصوفات ، والقطوف الدانيات ، والقرفش للرخمات والحسان الحيرات ، والقواكب للتنوعات ، والأكسل للشهيات ، وللشارب للستلقات ، والنظر إلى خالق الأرض والسماوات ، وهم في ذلك خالدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون وينامون ولا يخطفون ولا يمسقون ولا يمشطون ، إنه هو الأرض مسك يرقون ، ثم ضرب تعالى مثل الكافرين وللؤمنين فقال (مثل القرخين) أى الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين بالسعادة فأولئك كالأعمى والأصم وهؤلاء كالبصير والسميع ، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة لا يهتدى إلى خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينفع به (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الآية ، وأما المؤمن فظن ذكى ليب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيقبح الخير ويترك الشر مبيع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يروج عليه باطل ، فهل يستوى هذا وهذا ؟ (أفلا تذكرون) أفلا تعتبرون فترقون بين هؤلاء وهؤلاء كما قال في الآية الأخرى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وكقوله (وما يستوى الأعمى والبصير والظلمات والألوان ولا الظل ولا الخور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) * إن أنت إلا نذير إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ يَكُفُّمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكَ وَمَا تَرَىٰكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبْذُوكَ بِالْأَرْضِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول يبعث الله إلى أهل الأرض من الشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه (إني لكم نذير مبين) أى ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أتم عبديتم غير الله ، ولهذا قال (إن لا تعبدوا إلا الله) وقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) أى إن استمررتم على ما كنتم عليه عذبكم الله عذاباً أليماً موجهاً شاقاً في الدار الآخرة (فقال هؤلاء الذين كفروا من قومه) وللأمة السادة والكبراء من الكافرين منهم (ما نراك إلا بشراً مثلاً) أى لست بملك ولكنت بشر فكيف أوحى إليك من دوننا ثم ما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا كالباعة والحالكة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء من هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ولا فكر ولا نظير لم يجرى مادعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا (وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) أى في أول باديء (وما نرى لكم علينا من فضل) يقولون ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق ولا رزق ولا حال لما دخنتم في دينكم هذا (بل نظنكم كاذبين) أى فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة إذ صرتم إليها ، هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وثقة علمهم وعقلهم فانه ليس بدار على الحق رذالة من أتبعه ، فان الحق في نفسه صحيح سواء أتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا قراء والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع غالباً أن ياتبع الحق ضعفاء الناس ، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفتهم كما قال تعالى (وكذلكما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ولما سأل هرقل ملك الروم أباً سفيان صخرين حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال : أشراف الناس أتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم . فقال هرقل هم أتباع الرسل ، وقولهم بادي الرأي ليس بمنفعة ولا عيب لأن الحق إذا وضع لا يبق للرأى ولا للفكر مجال بل لا بد من اتباع الحق والحال هذه لكل ذي زكاه وذكاه بل لا يفكرهنا إلا غي أوعى ، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

إنما جاءوا بأمر جلي واضح . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كوبة غير أني بكر فانه لم يعلم » أي ما تردد ولا تروى لأنه رأى أمرا جليا عظيما واضحا فبادر إليه وسارع وقوله: وما نرى لكم علينا من فضل م لا يرون ذلك لأنهم عمى عن الحق لا يسمعون ولا يصرون بل م في ربههم يترددون في ظلمات الجهل يعمهون وهم الأثما كون الكاذبون الأقولون الأرذلون وفي الآخرة هم الأخسرون

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَأَتْنِي رَحْمَةً مِنْ هَدِيهِ فَصَمِعْتُمْ عَلَيَّكُمْ أَنْتُمْ مَكْرُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرَاهُونَ ﴾

يقول تعالى غيبرا عما رده نوح على قومه في ذلك (أرايت إن كنت على بينة من ربى) أى على يقين وأمر جلى ونبوة صادقة وهى الرحمة العظيمة من الله به وبهم (فصميت عليكم) أى خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرقت قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها (أنتم مكروهًا) أى تصعب قبولها وأنتم لها كارهون .

﴿ وَيَقَوْمِ لَا تَأْتِكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ مُلَاقَاؤُ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَتَّبِعُونَ • وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول قومه لا أسألكم على نصبي لكم مالا: أجرة آخذها منكم إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل (وما أنا بطارد الذين آمنوا) كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاما ونقاسة منهم أن يجلسوا معهم كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا فأوزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والشى) الآية وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين) الآية

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَيْتَ الظَّالِمِينَ ﴾

يخبرهم أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له بإذن الله له فذلك ولا يسألكم على ذلك اجرا بل هو يدعو من قبه من شرف ووضع فمن استجاب له قد نجا وبخبرهم أنه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه وليس هو ملك من الملائكة بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ولا أقول عن هؤلاء الذين يخشونهم وتزدرونهم أنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم الله أعلم بما في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين بأمرنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسن ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظلالا فألا مالا عوله به

﴿ قَالُوا يَبْنَوحُ قَدْ جِئْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ • وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَعْصِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى غيبرا عن استجبال قوم نوح قحة الله وعذابه وسخطه ، والبلاء موكل بالنطق . (قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالتنا) أى حليصتنا فأكثر من ذلك ونحن لا نطيعك (فأتنا بما تعدنا) أى من النعمة والعذاب

ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به (إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين) أى
 إنما الذى يأتىكم ويسبغها لكم الله الذى لا يسجزه شيء (ولا ينفعكم نصيحى أن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد
 أن يؤذيكم) أى أى شيء يعجزى عليكم إبلاغى لكم وإنذارى إياكم ونصحى (إن كان الله يريد أن يؤذيكم) أى اغواءكم
 ودماركم (هو ربكم وإليه ترجعون) أى هو مالك أزمة الأمور للتصرف الحاكم العادل الذى لا يجوز له الخلق وله
 الأمر وهو البديء للعبد مالك الدنيا والآخرة

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي كَايِلٌ بِمَا يُعَذِّبُ الْمُجْرِمِينَ)

هذا كلام ممترض فى وسط هذه القصة مؤكدا لها . مقرر لما يقول تعالى لمحمد ﷺ أم يقول هؤلاء الكافرون
 الجاحدون انترى هذا واقعه من عندهم (قل إن افتريته فعلى إجرأى) أى قائم ذلك على (وأنا برأى عما تجرمون) أى
 ليس ذلك متمتلا ولا مفترى لأنى أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه .

(وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَأَضْمَعْ
 أَلْفَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطَبْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَقُونَ * وَلَصِّنْهُمْ ذَلِكَ وَكَلِّمَهُ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ
 قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَتَوَفَّاهُمْ مَقْعَهُمُ الْبَارِئِ
 عَذَابٌ يُعْزِرُهُ وَيُوَلِّهِ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُعِيمٌ)

عبر تعالى أنه أوحى إلى نوح لما استجلب قومه همه الله بهم وعذابه لهم فدعا عليهم نوح دعوه الى قال الله تعالى
 عبرنا عنه أنه قال (رب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا) (فدعا ربه أى مغلوب فاتصر) فند ذلك أوحى الله
 إليه (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فلا تحزن عليهم ولا يهتك أمرهم (واضع الفلك) بنى السفينة
 (بأعيننا) أى برأى منا (ووحينا) أى تلميحنا لك ما تصنع (ولا تخاطبى فى الذين ظلموا إنهم مخرقون) قال بعض
 السلف أمره الله تعالى أن يشرذ الخشب وقطعه ويبيسه فكان ذلك فى مائة سنة ونجوها فى مائة سنة أخرى وقيل فى
 أربعين سنة والله أعلم ، وذكر محمد بن إسحق عن التوراة أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل
 طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطل بها ظاهرها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤا أزورا يشق
 للباد ، وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع فى عرض خمسين وعن الحسن طولها سبائة ذراع وعرضها ثلثمائة وعنه
 مع ابن عباس طولها ألف ومائتا ذراع فى عرض سبائة وقيل طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع والله أعلم ، قالوا
 كلهم وكان ارضاعها فى الباء ثلاثين ذراعا ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفل للدواب والوحوش والوسطى
 للانس والعليا للطيور وكان بابها فى عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها ، وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير
 أنرا غريبا من حديث على بن زيد بن جعدان عن يوسف بن مهران عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال الخواصيون
 لميسى بن مريم لو بشت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب فأخذ كفا
 من ذلك التراب بكفه فقال أنشدون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال فضرب
 الكتيب بصاه قال ثم إن الله فلذا هو قائم بنفس التراب عن رأيت قد شاب قال له عيسى عليه السلام أهكذا
 هلكت ؟ قال لا . ولكنى مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فنم شبت ، قال حدثنا عن سفينة نوح ؟ قال
 كان طولها ألف ذراع ومائتا ذراع وعرضها سبائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبة فيها الدواب والوحوش وطبة
 فيها الإنس وطبة فيها الطير فلما كثر دواب الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن انجز ذنب القيل فمزمز

فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبل على الروث فلما وقع القار جوف السفينة قمرضا وجالما أوحى الله إليه أن اضرب
بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبل على القار ، فقال له عيسى عليه السلام كيف علم نوح
أن البلاد قد غرقت ؟ قال بث التراب بأية البحر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت .
قال ثم بث الحشمة فجات بورق زيتون بمخارها وطين برجلها فلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الحصرة التي
في عنقها ودعا لها أن تسكن في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت قال قلنا يا رسول الله ألا تنطق به إلى أهلينا فجلس
منا ومحدثنا ؟ قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال فقال له عد ياذن الله فادربا ، وقوله (وصنع الفلك وكلما مر
عليه ملا من قومه سخروا منه) أي يهزمون به ويكذبون بما يتوعدهم به من الترق (قال إن تسخروا منا فلا نسخركم)
الآية وعيد شديد وتهديد أكيد (من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه في الدنيا (ويحل عليه عذاب مستقيم) أي دائم مستمر أبدا .
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا امْكُتْ لَا يَرْجَوْنَ النَّجْدَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَنْ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

هذه موعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام إذا جاء أمر الله من الأمطار للتأية والمثان التي لا يقبل ولا يفر ،
بل هو كما قال تعالى (فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الأرض عيونا فالتقى لاء على أمر قد قدر • وحملناه
على ذات الألواح ودرس • نجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر) وأما قوله (وفار التنور) فمن ابن عباس التنور وجه
الأرض ، أي صارت الأرض عيونا تنور حتى فار للاء من التاتير التي هي مكان النار صارت تنور ماء وهذا قول
جمهور السلف وعلماء الحنف ، وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه التنور فلق الصبح وتوير النجر وهو ضياء
واشرافه والأول أظهر وقال معاهد الشعي كان هذا التنور بالسكوفة ، وعن ابن عباس عين بلند ، وعن قتادة عين
بالجزيرة يقال لها عين الوردة وهذه أقوال غريبة فحينئذ أمر الله نوحا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل
زوجين اثنين من صنف الحيوانات ذوات الأرواح ، قيل وغيرها من النباتات اثنين ذكرا وأني قيل كل من
أدخل من الطيور المرة وآثر من أدخل من الحيوانات الحمار فتملق إبليس بذنيه وجعل يريد أن ينض فينضه إبليس
وهو متملق بذنيه فجعل يقول له نوح عليه السلام : مالك وحك ادخل فينض ولا يقدر فقال : ادخل وإن كان إبليس
ملك فدخل في السفينة ، وذكر بعض السلف أنهم لم يستطيعوا أن يعملوا معهم الأسد حتى أقيت عليه الحمى .
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن
أبيه أن رسول الله ﷺ قال « لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف تطمئن الموائى ومما
الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا القارة فقالوا التوسقة محمد علينا طامنا
ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فطس فخرجت المرة منه فتنبأت القارة منها . وقوله (وأهلك إلا من سبق عليه القول)
أي وأهلك فيها أهلك وهم أهل بيته وقرايته إلا من سبق عليه القول منهم بمن يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذي
انزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله ، وقوله (ومن آمن) أي من قومك (وما آمن معه إلا
قليل) أي نزر يسير مع طول اللدة والقلم بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فمن ابن عباس كانوا ثمانين قسا
منهم نساقم ، وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين قسا . وقيل كانوا عشرة ، وقيل إنما كان نوح وبوه الثلاثة
سام وحام ويافث وكنائته الأربع نساء هؤلاء الثلاثة وامرأة يام ، وقيل بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة وهذا
فيه نظر ، بل الظاهر أنها هلكت لأنها كانت على دين قومها فأصابها ما أصابهم كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها
والله أعلم وأحكم :

﴿ وَقَالَ أَزْكِبُوا فِيهَا بَنِيَّ اللَّهُ يَجْعَلُهَا وَيُؤْتِيهَا رَبِّي لَتَفْعُلَّ رَجِيمٌ • وَهِيَ تَجْعُرُ يَوْمَئِذٍ مِّنْ مَّوْجٍ كَالْعِجَالِ

وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَقَرٍّ يَبْنِي أَرْكَبَ مَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ • قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَى جَبَلٍ يَصْعَقُ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُثْمَرِينَ

يقول تعالى لإخبار عن نوح عليه السلام أنه قال لابن نوح عليه السلام (أركب فيها بسم الله مجريها ومرساها) أي بسم الله يكون مجريها على وجه الماء ، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها ، وقرا أبو رجاء الطاطري (بسم الله مجريها ومرساها) وقال الله تعالى (فإذا استوتت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) وقل رب أنزلي منزلا مباركا وأنت خير المنزلين (ولمنا تستجب التسمية في ابتداء الأمور عند الركوب على السفينة وعلى الدابة كما قال تعالى (والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره) الآية ، وجاءت السنة بالحث على ذلك والتدب إليه كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله تعالى وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي حدثنا محمد بن أبي بكر القدي وحديثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا عبد الحميد بن الحسن الحلبي عن نيشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « أمان أمي من الفرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا بسم الله الملك (وما قدروا الله حق قدره) سلاية (بسم الله مجريها ومرساها أن رب لنفور رحم) » وقوله (إن رب لنفور رحم) مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين فذكر أنه غفور رحم كقوله (إن ربك لرحيم الغاب) • وإنه لنفور رحم (وقال (وإنك لنومضتن على ظلمهم وإن ربك لشديد الغاب) إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين رحمته وانتقامه وقوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال) أي السفينة سائرة بهم على وجه الماء الذي قد طبق جميع الأرض حتى طفت على ردوس الجبال وأرضع عليها خمسة عشر ذراعا وقيل ثمانين ميلا ، وهذه السفينة جارية على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى (إنا لا ملهي للماء حملناكم في الجارية • لنجعلها لكم تذكرا وتبها آذن وإية) وقال تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر • تجري بعيننا جزاء لمن كان كفر • ولقد تركناها آية فهل من مدكر) وقوله (ونادى نوح ابنه) الآية ، هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرا دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يفرق مثل ما يفرق الكافرون (قال ساءوى إلى جبل يصمى من الماء) وقيل إنه اتخذ له مراكبا من زجاج وهذا من الأسرار الخفية والله أعلم بصحته ، والذي نص عليه القرآن أنه قال (سأوحى إلى جبل يصمى من الماء) اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى ردوس الجبال ، وأنه لو تعلق في رأس جبل لتجاه ذلك من الفرق ، فقال له أبوه نوح عليه السلام (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أي ليس شيء يصم اليوم من أمر الله . وقيل إن عاصبا بمعنى معصوم كما يقال طامع وكاس بمعنى مطعوم ومكسو (وحال بينهما الموج فكان من الفرقين)

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَالَكِ وَيَسْمَاةُ أَقْلِي وَيَغِيضُ الْمَاءَ وَيُفِي الْأَرْضُ وَأُتَوْتِ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ

بُذِلَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

غير تعالى أنه لا أفرق أهل الأرض كلها إلا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تبلغ ماها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تخلع عن اللط (يغيب الماء) أي شرع في التقيص (وقضى الأمر) أي فرغ من أهل الأرض فاطبة عن كفر بالله لم يبق منهم ديار (واستوت) السفينة بمن فيها (على الجودي) قال مجاهد وهو جبل بالجزيرة تقع تحت الجبال يؤمن من الفرق وتطاول وتواضع هو لله جز وجل فلم يفرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها ، قال قتادة . قد أبى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها وأهل هذه الأمة وكل من سفينة قد كانت بعدها فهلك وصارت رمادا

وقال الضحاك : الجودي جبل بالموصل وقال بعضهم : هو الطور ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن ثوبان بن سالم قال رأيت زدر بن حيش يسلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على مينك فسمته إنك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني أن سفينة نوح أرسدت ههنا . وقال علي بن أحمد عن حكيمه عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وإنهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما وإن الله وجه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح القرباب ليأتيه فبحر الأرض فنصب فوقه على الجوف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون فططخت رجلها بالطين فصرف نوح عليه السلام أن للاء قد نصب فهبط إلى أسفل الجودي فأبنتى قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها اللسان العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يبرهمهم . وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين للشرق وللغرب قبل أن تستقر على الجودي ، وقال قتادة وغيره ركبوا في فاطر شهر رجب فصاروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في يوم طاشوراء من المحرم ، وقد ورد نحو هذا في حديث سرفوع روماء بن جرير وأتهم صاموا يومهم ذلك والله أعلم .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال : مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال « ما هذا الصوم ؟ » قالوا هذا اليوم الذي نحيى الله به موسى وبني إسرائيل من القرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم » فصام وقال لأصحابه « من كان أسع منكم سائما فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غداء أهله فليتم بقية يومه » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعض شاهد في الصحيح ، وقوله (وقيل يبدأ قوم الظالمين) أي هلاكوا وخساروا ولم يبدوا من رحمة الله فانهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية ، وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير والحرير أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يعقوب بن موسى الرضمي عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النبي ﷺ قال « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي » قال رسول الله ﷺ « كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما بين وغرس مائة سنة الشجر فقطعت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال سوف تملون فلما فرغ ونبع للاء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ للاء رقبها رفعت يديها ففرقا ، فلما رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد ابن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا

﴿ وَكَادَ نُوحٌ رَوْيَةً فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَعْدُكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْقَاسِمِينَ ﴾ قَالَ يَتَّبِعُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ حَمَلٌ فَقَدْ صَلَحَ فَلَا تَسْتَنْتِلِي تَالَيْسَ فَكَفَّ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْبَاقِيْنَ ﴾ قَالَ رَبُّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ تَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

هذا سؤال استلام وكلف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق (قال رب إننا بنين من أهلي) أي وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين (قال يا نوح إنه ليس من أهلك) أي الذين وعدت إنجاءهم لأنني إنا وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) فكان هذا

الولد عن سبق عليه القول بالترق لكفره وعاقبته أباه نبي الله نوحا عليه السلام ، وقد نص غير واحد من الأئمة على تحطئه من ذهب في خسر هذا إلى أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زينة ، وبحكي القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج واحتج بعضهم بقوله (إنه عمل غير صالح) وقوله (فخطأها) فمن قاله الحسن البصري احتج بهاتين الآيتين ويضهم قول ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن أو أراد أنه نسب إليه مجازا لكونه كان ربيعا عنده فله أعلم . وقال ابن عباس وغير واحد من السلف ما زنت امرأة نبي قط قال: وقوله (إنه ليس من أهلك) أي الذين وعدتك نجاتهم ، وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا يحيد عنه فإن الله سبحانه أغبر من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولها غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بقت الصديق زوج النبي ﷺ فإنكر على المؤمنين الذين تسكلموا بهذا وأشاعوه ولهذا قال تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبهوا شرا لكم بل هو خير لكم) لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (إلى قوله) إذ تلقونه بالنسك وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال : هو ابنه غير أنه خالقه في العمل والنية قال عكرمة في بعض الحروف إنه عمل عملا غير صالح ، والحياة تكون على غير باب ، وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بذلك فقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد بن سلة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (إنه عمل غير صالح) ومجته يقول (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) ولا يابى (إنه هو الغفور الرحيم) وقال أحمد أيضا حدثنا وكيع حدثنا هرون النحوي عن ثابت الباني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأها (إنه عمل غير صالح) أعاده أحمد أيضا في مسنده ، أم سلمة تسمى أم المؤمنين والظاهر والله أعلم أنها أسماء بنت يزيد فاتها تكن بذلك أيضا . وقال عبد الرزاق أيضا أنا الثوري عن ابن عيينة عن موسى ابن أبي مائسة عن سليمان بن قبة قال سمعت ابن عباس سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله (فخطأها) قال أما إنه لم يكن بالزنا ولكن كانت هذه نكير الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الأنبياء ثم قرأ (إنه عمل غير صالح) قال ابن عيينة وأخبرني حماد الهذلي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح إن الله لا يكذب . قال تعالى (ونادى نوح ابنه) قال وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قط . وكذا روى عن مجاهد أيضا وعكرمة والضحاك ويسمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر بن جرير وهو الصواب الذي لا عك فيه

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّاكَ وَأَمَرَ سَمْعُودُ ثُمَّ يَمْسُحُهُمْ مِّنَا عَذَابُهُ الْأَلِيمُ ﴾

غير تعالى مما قيل لنوح عليه السلام حين أرسى السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة كما قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وكذلك في الذناب واللعن كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة وقال محمد بن إسحق لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل رجلا على وجه الأرض فسكن للآه وانسدت ينابيع الأرض القمر الأكبر وأبواب السماء يقول الله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الآية فبل الماء بقصى ويشش وبدير وكان استواء الفلك على الجودي فبا زعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر الناصر رأى رؤوس الجبال فقامضى بعد ذلك أربعين يوما حتى نوح كوة الفلك التي ركب فيها ثم أرسل القرباب لينظر له ما صنع للآه فلم يرجع إليه فأرسل الحماة فرجعت إليه لمجد لرجلها موضعا فيسط يده للحماة فأخذها فأدخلها ثم مضى سبعة أيام ثم أرسلها لتنتظر له فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون فلم نوح أن للآه قد قل عن وجه الأرض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها

فلم ترجع فلم يوح أن الأرض قد برزت فلما كملت السنة فها بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحماة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه (قبل ما نوح اهبط بسلام منا) الآية

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تُمْسِكُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ هذه القصة وأشياها (من أنباء الغيب) يعني من أخبار التيوب السالفة نوحها إليك على وجهها كأنك شاهدتها نوحها إليك أي نملك بها وحيا منا إليك (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك أنك تعلمتها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك فانا سنصبرك ونحوطك بمنابنا ونجمل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الآية وقال تعالى (ولقد سبق كتبت لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون) الآية وقال تعالى (فاصبر إن العاقبة للمتقين)

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخْلَصُ هُوَذَا قَالَ يُقَوْمُوا أُخِذُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفَقَّرُونَ • يَقَوْمِ لَا أَنَا لَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَتَّقُونَ • وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَكَّلُوا بِجَهَنَّمَ ﴾

يقول تعالى (و) لقد أرسلنا (إلى عاد أخاها هودا) أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فها هم من الأولاد ان الذين اقتروا واختلطوا لما أحياه الآلهة وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجره على هذا النصح والبلاغ من الله إنما ينشئ ثوابه من الله الذي فطره أفلا يتقون من يدعوكم إلى ما يسلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجره ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما يستقبلون ، ومن أصف جهنم الصفه بسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال (يرسل السماء عليكم مدرارا) وفي الحديث « من زعم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب »

﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ • إِن نَقُولُ إِلَّا إِسْمَارُكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسْمِهِ قَالُوا إِنَّا أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ إِلَهُهُمْ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ • مِنْ دُونِهِ فَكَيْدِي فِي جَيْمِي ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ • إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ آلِهَتِي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي دَرَيْتُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم (ما جئتنا ببينة) أي بحجة وبرهان على ما تدعيه (وما نحن بتاركي آلِهَتِنَا عن قولك) أي بغير قولك أتركهم تركهم (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين (إن قول إلا اعتراك بعض آلِهَتِنَا بسوء) يقولون ما نظن إلا أن بعض الآلهة أسابك بمنزلة وخيل في عقلك بسبب نيوك عن عبادتها وعيك لها (قالوا إن أشهد أن الله وأشهدوا أني برى ما تشركون من دونه) يقول إلى برى من جميع الأنداد والأسماء (فكيدوني جيما) أي أتم وآلمكم إن كان حقا (ثم لا تنظرون) أي طرقة عين وقوله (إن توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتهم) أي

تحت قهره وسلطانه وهو الحاكم العادل الذي لا يجوز في حكمه فانه على صراط مستقيم قال الوليد بن مسلم عن صفوان ابن عمرو عن ابي يعقوب عبد السلاكي انه قال في قوله تعالى (ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) قال فيأخذ بنواصي عبادته فيلقن المؤمن حتى يكون له اعشق من الواك لولده ويقول (ما غرك بربك الكريم) وقد تضمن هذا الكلام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جادهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأسماء التي لاتنتفع ولا تضر بل هي جاد لا تسمع ولا تبصر ولا توالى ولا تنادى وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء الا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله الا هو ولا رب سواه

(فَإِنْ تَوَلَّوْا أَهْلَكْنَا بِلَأْسَتِكُمْ إِلَى الْيَمِّ وَكَانَ وَعْدُكُمْ مُتَعَذِّرًا ۚ وَلَا تُفِرُّونَ ۚ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ الْغَالِبُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَ رَحْمَةٍ مِنَّا وَتَجَنَّبَهُمْ مِّنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ۚ وَكَانَ تَعَالَىٰ جَدُّهُمْ لَا يَبْعُدُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ مَا يَفْقَهُ لَاحِدَ جِدِّهِ ۚ وَلَئِن يَدْعُوهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ فَقُلُوْا أَلَا نَعْلَمُ قَوْمَ هُودَ)

يقول لهم هود فإن تولوا اهلكا جميعكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له فقد قامت عليكم الحجة بلاغيا إذاكم رسالة التي بعثني بها (ويستخلفون قومًا غيركم) يعبدونه وحده لا يشركون به ولا يأتون بك فانكم لا تضرهون بكفركم بل يعود وبال ذلك عليكم (إن ربي على كل شيء حفيظ) أي شاهد وحافظ لأقوال عبادته وأفعالهم ويحجزهم عليها إن خير فخير وإلا شرًا فشر (ولما جاء أمرنا) وهو الرمح القم فاهلكهم الله عن آخرهم وحبى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه (وذلك عاد جسدوا بآيات ربهم) كفروا بها وعصوا رسل الله فهلك أن من كفر بربي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيعان به فعاد كفروا بيهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل (واتبوا أمر كل جبار عنيد) تركوا اتباع رسولهم الرشيد ، واتبوا أمر كل جبار عنيد ، فلهذا اتبعوا في هلك الدنيا لعنة من الله ومن عباده للمؤمنين كما ذكرنا وابتدأ عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد (ألا إن عادًا كفروا ربهم) الآية قال السدي ما بعث نبي بعد عاد إلا لنوا على لسانه

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمَ ۚ أُعِيدُوا إِلَهُ مَا كُنتُمْ مِّنْ آلِهِ ۚ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)

يقول تعالى (و) لقد أرسلنا (إلى ثمود) وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والدينه وكانوا بعد عاد فبنت الشمسهم (أخاهم صالحًا) فأمرهم بعبادة الله وحده ولهذا قال (هو أنشأكم من الأرض) أي ابتدأ خلقكم منها خلق منها أبائكم آدم (واستعمركم فيها) أي جعلكم همها تمررونها وتستغلونها (فاستغفروا) لسانه ذنوبكم (ثم توبوا إليه) فيها تستغفرونه (إن ربي قريب مجيب) كما قال تعالى (وإننا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الآية

(قَالُوا بَصُلِحْ قَدْ كُنْتَ فِيمَا تَرْجُو قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۚ قَالَ يَتَقَوْمِ ۚ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمن يَبْصُرُ مِنِ اللَّهِ إِنَّ هَيْبَتَهُ ۚ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْيِيرٍ)

يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح عليه السلام وبين قومه وما كان عليه قومه من الجبل والنادى في قولهم (كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت (أنبأنا أن نبداً جيداً لآلنا) وما كان عليه أسلافنا (وإنا لنرى لك عما تدعوننا إليه مرئى) أى شك كثير (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى فإنا أرسلنا به الإسك على بينة وبرهان) (وأنانى منه رحمة لمن ينصرى من الله إن عصيته) وتركتم دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده ، فلو تركته لما تفتنوني ولما زدوني (غير تحمير) أى خسارة .

(وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ؕ أَيْةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا بِسُوءِ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ؕ فَذَرُوهَا فَقَالَ تَتَّبِعُوا فِي دَارِكُمْ ؕ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذَابٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ؕ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الرَّزِيزُ ؕ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيَيْنَ ؕ كَأَن لَّمْ يَنْفُتُوا فِيهَا ؕ أَلَا إِنَّ سُوءًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بَدَأُ الْإِنْسَانَ)

تقدم الكلام على هذه القصة مستوفى في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا والله التوفيق .

(وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلِمًا قَالَ سَلِمٌ فَلَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِسَجِلٍ حَنِيدٌ ؕ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُفْعِلْ إِلَيْهِ سَكْرَتُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ؕ وَأَمْرُهُمْ قَاتِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَتَبَرَّنَهَا يَسْتَفْخِرُونَ مِنْ وَرَاهِ اسْتَحْقَ يَقُوبٌ ؕ قَالَتْ يَوْنِيْلَتَى ؕ أَلَيْدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَطْلٌ شَيْئًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ؕ قَالُوا أَتَمْنَحِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً ؕ اللَّهُ وَرَكْعَتُهُ عَلَيْكُمْ ؕ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)

يقول تعالى (ولما جاءت رسلنا) وهم للآلئكة إبراهيم بالبشرى قيل تبشروه بسحق وقيل بهلاك قوم لوط وهبط للآلئكة قوله تعالى (ولما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى بمجادلتنا في قوم لوط) (قالوا سلاماً قال سلام) أى عليكم قال علماء البيان : هذا أحسن مما حيوه به لأن الرض يدل على الثبوت والدوام (فلما لبث أن جاءه بسجل حنيد) أى ذهب سرى ما تأمم بالضيافة وهو عجل فى البقر: حنيد: مشوى على الرضف وهى المجازة المحمداً ههنا معنى ما روى عن ابن عباس وقادة وغير واحد كما قال فى الآية الأخرى (فراخ إلى أهله فجاء بسجل مبین قربه إليهم قال أنا لكون) وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة وقوله (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه سكرم) سكرم (وأوجس منهم خيفة) وذلك أن الآلئكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه ولهذا رأى حالهم مرضين عما جاءهم به فارغين عنه بالكلى فند ذلك سكرم) (وأوجس منهم خفة) قال السدى لا بئس الله للآلئكة قوم لوط أقبلت شتى فى صور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتخفيوه ، فلما رآهم أجلبهم (فراخ إلى أهله فجاء بسجل مبین) قد بعهم ثم شواء فى الرضف وأتامهم به تقدم معهم وقالت سارة تخفهم ففلك حين يقول ... وامرأته قاتمة وهو جالس فى قراءة ابن مسعود (فلما قرأه لهم قال أنا لكون ؟) قالوا يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاماً إلا بشئ ، قال فلما لهذا أمنا ، قالوا وما نمنا ؟ قال قد كروا اسم الله على أوله وحمدوه على آخره فنظر جبريل إلى ميكايل فقال حق لهذا أن يتخذ ربه خليلاً (فلما رأى أيديهم لاصل إليه سكرم) يقول فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم وقالت هى تخفهم ضحكك وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء تخفهم بأضئنا كرامتهم وهم لا يأكلون

أنه قد جاء أمر ربك (الآية) ، أي أنه قد خذ فيهم القضاء وحث عليهم الكلمة بالهلاك وسأول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ۖ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَسْتَمَكُونَ الْكِسْفَ قَالَ يَأْتِيهِمْ هَؤُلَاءِ بِبَنَاتٍ مِمَّنْ أَطَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِي فِي ضَعْفِي ۚ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۚ قَالُوا قَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَتْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾

خبر تعالى عن قديم رساله من اللاتكة بعد ما أعلوا إبراهيم بهلاكهم وفارقوه وأخبروه بهلاك الله قوم لوط هذه الليلة فانطلقوا من عندهم فأتوا لوطا عليه السلام وهو على ما قيل في أرض له وقيل في منزله ووردوا عليه وهم في أجل سورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة فساد شأنهم وضاعت نفسه بسبهم وخشى إن يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوءه (وقال هذا يوم عصيب) قال ابن عباس وغير واحد شديد بلاؤه وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك . وذكر قتادة أنهم أتوه وهو في أرض له فنصفوه فاستجاب لهم فانطلق أمامهم وقال لهم في أثناء الطريق كالعرض لهم بأن ينصرفوا عنه أنه والله يا هؤلاء ما أعل على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء . ثم مضى قليلا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات ، قال قتادة وقد كانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم بينهم بذلك ، وقال السدي خرج اللاتكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فبلغوا نهر سدوم نصف النهار وتلقوا بنت لوط تستقي فقالوا يا جارية هل من منزل ؟ فقالت مكانكم حتى أتاكم وقررت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت يا أباها أدرك فتيانا على باب للدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك وكان قومه نهود أن يضيف رجلا فقالوا خل عنا فلضيف الرجل فجاءهم فلم يلبسهم أحد إلا أهل بيته فخرجت امرأته فأخبرت قومها فجاءوا يهرعون إليه وقوله (يهرعون إليه) أي يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك وقوله (ومن قبل كانوا يصلون السينات) أي لم يزل هذان من سببهم حتى أخذوا وهم على ذلك الحال وقوله (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) يرشدهم إلى نسايتهم فان النبي للامة بمنزلة الوالدة فأرشدهم إلى ما هو أشع لهم في الدنيا والآخرة كما قال لهم في الآية الأخرى (أتأتون الله كران من المالين وتلدون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وقوله في الآية الأخرى (قالوا أولم تنهك عن المالين) أي ألم تنهك من ضيافة الرجال (قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) لمرتكب إنهم لن يسكرتهم بمعون) وقال في هذه الآية الكريمة (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قال مجاهد لم يكن بناته ولكن كن من أمته وكل بني أوائمه وكذا روى عن قتادة وغير واحد وقال ابن جريج : أمرهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحا . وقال سعيد بن جبير : نسايتهم هن بناته وهو أب لهم وشالقي بعض القراءات (التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وكذا روى عن الربيع بن أنس وقاتة والسدي ومحمد بن إسحق وغيرهم وقوله (فاتقوا الله ولا تخزون في شئ) أي اقبلوا ما أمركم به من الاعتصام على نسايتكم (أليس منكم رجلا رشيد) أي فيه خير قبل ما أمركم به وترككم ما أنهتكم عنه (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) أي إنك لتعلم أن نساءنا لا أرب لنا فبين ولا نشتهين (وإنك لتعلم ما نريد) أي ليس لنا غرض إلا في ذلك كور وأنت تعلم ذلك فأى حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ قال السدي (وإنك لتعلم ما نريد) إذا نريد الرجال

﴿قَالَ تَوَدُّ أَنْ يَكُنْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۚ قَالُوا يُلَوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِطَرْفِ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبي لوط عليه السلام إن لوطا توعدهم بقوله (لو أنلى بكم قوة) الآية أي لكنت نكلت بكم

وفلت بكم الأناعيل بنفسى وعشيرة ، ولم ناورد في الحديث من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « رحمة الله على لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد - حتى الله عز وجل - فما بثت الله بدمه من نبي إلا في ثروة من قومه » فند ذلك أخبرته للملائكة أنهم رسل الله إليه وأنهم لا وصول لهم إليه (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وأمره أن يسرى بأهله من آخر الليل وأن يتبع أدبارهم أى يكون ساقطاً لأهله (ولا يلتفت منكم أحد) أى إذا سمعت ما نزل بهم ولا تهولنكم تلك الأصوات للزعجة ولكن استمعوا ذاهبين (إلا امرأتك) قال الأكثرون هو استثناء من الثبوت وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره (إلا امرأتك) وكذلك قرأها ابن مسعود ، ونصب هؤلاء امرأتك لأنه من مثبت فوجب نصبه عندهم ، وقال آخرون من القراء والنحاة هو استثناء من قوله (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) فجوزوا الرفع والنصب . وذكر هؤلاء أنها خرجت معهم وأنها لما سمعت الوجبة التفت وقالت : واقوما فبأهنا حجر من السماء قتلها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيراً له لأنه قال لهم أهلكوم الساعة فقالوا (إن موعدكم الصبح أليس الصبح قريب) هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه وهم لا يقبلون منه بل يتبعونه ويتهدونه فند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بخنجره فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق كما قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيق قطننا أعينهم فنوقوا عذابى ونذر) الآية وقال معمر عن قتادة عن حذيفة بن اليمان قال كان إبراهيم عليه السلام يأبى قوم لوط فيقول أنها كم الله أن تعرضوا لقوته فلم يطيعوه حتى إذا بلغ الكتاب أجله انتهت للملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له فدعاهم إلى الضيافة فقالوا إنا ضيوفك الليلة وكان الله قد عهد إلى جبريل ألا يمدحهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر فثنى معهم ساعة ثم التفت إليهم فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شراً منهم أين أذهب بكم إلى قوى وهم أشتر خلق الله ؟ فالتفت جبريل إلى للملائكة فقال احفظوها هذه واحدة ثم مضى معهم ساعة فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شراً منهم إن قوى أشتر خلق الله فالتفت جبريل إلى للملائكة فقال احفظوا هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم فقال إن قوى أشتر خلق الله ؟ أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شر منهم . فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهبت عجوزة عجوز سوء فصعدت فلوحث بثوبها فأتاها النساق يهرعون سراعاً قالوا ما عندك ؟ قالت ضيف لوط قوما ما رأيت قط أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب ريحاً منهم فهرعوا يسارعون إلى الباب فجالهم لوط على الباب فدأضوه طويلاً وهو داخل وهم خارج يناشدهم الله ويقول (هؤلاء باني من أطهر لكم) فقام للملك نازلاً بالباب - يقول فشمه - واستأذن جبريل في مقبضهم فأذن الله له فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ففتر جناحه وجبريل جناحان - وعليه وشاح من درمنظوم وهو يراقب الثنايا أجل الجبين ورأسه جبك جبك مثل اللرجان وهو الكؤلوك كأنه تلج ورجله إلى الحفرة فقال يا لوط (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) امضى يا لوط عن الباب ودعى وإياهم ، فتنهى لوط عن الباب فخرج إليهم ففتر جناحه فضرب به وجوههم ضربة شدة أعينهم فصاروا عمياً لا يرفون الطريق ، ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال (فأسر بأهلك بقطع من الليل) وروى عن محمد بن كعب وقتادة والسدى نحو هذا

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِّنْ سِجِّينَ مُنْصَوِّدَةً * مُسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾

يقول تعالى (فلما جاء أمرنا) وكان ذلك عند طلوع الشمس (جعلنا عاليها سافلها) وهى سدوم (سافلها) كقولها (فنشأها ما غشى) أى أمطرنا عليها حجارة من سجيل وهى بالقارسية حجارة من طين قاله ابن عباس وغيره وقال يسنم أى

من سنك وهو الحجر وكل وهو الثابت وقد قال في الآية الأخرى حجارة من طين أي مستحجرة قوية شديدة ، وقال بعضهم مشوية ، وقال البخاري سجيل : الشديد الكبير ، سجيل وسجين اللام والثوب أختان ، وقال عم بن مقلب وروحه يبرون اليش صاحبة • ضربا ترواست به الأبطال سينا

وقوله (منضود) قال بعضهم منضودة في الساء أي عمدة لذلك وقال آخرون (منضود) أي تبع بعضها بعضا في نزولها عليهم وقوله (مسومة) أي مطعة غتومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه وقال قتادة وعكرمة (مسومة) مطوقة بها نفع من حرة وذكروا أنها نزلت على أهل البلد وعلى للفرقين في القرى مما حولها فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليهم بين الناس فدمره فقتلهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد ، وقال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من مراحهم ودورهم حمله بمواشيهم وأمتهم ورفسهم حتى جمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها ، وكان حملهم في خوافي جناحه الأيمن قالوا قلنا قلنا كان أول من سقط منها رفاتنا ، وقال قتادة بلننا أن جبريل أخذ بسرة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمع أهل السماء ضواشي كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع عذاذ القوم صرخا قال وذكرنا أنهم كانوا أربع قرى في كل قرية مائة ألف وفي رواية ثلاث قرى الكبرى منها سدوم ، قال وبلننا أن إبراهيم عليه السلام كان يشرف على سدوم ويقول سدوم يوم هالك وفي رواية عن قتادة وغيره بلننا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نظر جناحه فانتصف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها فضمها في جناحه فطواها وطواها في جوف جناحه ثم صعد بها إلى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب وكانوا أربعة آلاف ألف ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة ودمدم بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعها حجارة من سجيل ، وقال محمد بن كعب القرظي كانت قرى قوم لوط خمس قرى سدوم وهي النظمي وصفه وصعود وخمرة ودوحا احتملها جبريل بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون ناعية كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله بالحجارة يقول الله تعالى (جلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) فأهلكها الله وما حولها من اللؤسكات ، وقال السدي لما أصبح قوم لوط نزله جبريل فالتفت الأرض من سبع أرضين فحملها حتى بلغها حتى مع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ثم قلبها فقتلهم فذلك قوله (وللؤسكة أهوى) ومن لم يمت حتى سقط للأرض أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة ومن كان منهم شاذا في الأرض يتجه في القرى فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله فذلك قوله عز وجل (وأمطرنا عليهم) أي في القرى حجارة من سجيل هكذا قال السدي وقوله (وما هم من الظالين يبيد) أي وما هذه النعمة بمن تشبه بهم في ظلمهم يبيد عنه ، وقد ورد في الحديث الروي في السان عن ابن عباس مرفوعا «من وجدتموه يعمل حمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والقول به» ذهب الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أن اللاط يقتل سواء كان حصنا أو غير حصن مما بهما الحديث ، وذهب الإمام أبو حنيفة أنه يلقي من شاطئ ويتبع بالحجارة كائن الله قوم لوط والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتْلُومُوا مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ فَيْرُهُ وَلَا تَقْضُوا إِلَيْكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَرَأَيْكُمْ يَخْتَارُونَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾

يقول تعالى ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيحة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من معان . بلادا تعرف بهم يقال لها مدين فأرسل الله إليهم شيئا وكان من أشرفهم نسا ، ولهذا قال (أخاهم شيئا) يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن التطفيف في الكيال واليزان (إني أراكم غيري) أي في معيشتكم ووزنكم

وإني أخاف أن تسلبوا ما أتم فيه باتهاكم عمارم الله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) أى في الدار الآخرة

(وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ •

يَقِيتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ

بيناهم أولاً عن خص الكيل واليزان إذا أعطوا الناس ، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقيسط آخذين ومعلمين ونهاهم عن التو في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق ، وقوله (قية الله خير لكم) قال ابن عباس: رزق الله خير لكم وقال الحسن رزق الله خير لكم من يحكم الناس ، وقال الربيع بن أنس ومعية الله خير لكم ، وقال مجاهد طاعة الله وقال قتادة حفظكم من الله خير لكم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الملاك في العذاب واليقية في الرحمة ، وقال أبو جعفر بن جرير (قية الله خير لكم) أي ما فضل لكم من الربيع بمدفوء الكيل واليزان خير لكم من أخذ أموال الناس قال وقد روى هذا عن ابن عباس قلت وشبهه قوله تعالى (قل لا يستوي الخيـث والطيب ولو أنجيـك كثرة الخيـث) الآية وقوله (إنما أنا عليكم محظوظ) أي بربيب ولا حظيظ أي انصـلوا ذلك لله عز وجل لا تشـملوا ليرا كم الناس بل لله عز وجل

﴿قَالُوا يَسْبِيبُ أَصْلَوتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ

أَطْلِمُ الرَّشِيدُ

يقولون له **يَسْئَلُ التَّكْوِيْنُ** الله (أصلك) **قَالَ** **الْعَمْسُ** أي قراءتك (تأمرك أن تترك ما يبدأ بأثاؤنا) أي الأوثان والأصنام (أو أن فعل في أمواتنا منشاء) فتركك التطفيل عن قولاك وهي أمواتنا تفعل فيها ما تريد ، قال الحسن في قوله (أصلك تأمرك أن تترك ما يبدأ بأثاؤنا) أي والله إن صلاته لتأمرهم أن يتروكوا ما كان يبدأ بأثاؤهم ، وقال الكوري في قوله (أو أن فعل في أمواتنا منشاء) **يَتَوَنَّى** الزكاة (إنك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس **وَيَمِينُ** ابن مهران **وَابْنُ جَرِيْدٍ** وابن جرير يقولون ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء بقبحهم الله لهم عن رحمة وقدره

﴿قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ

مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠٠﴾

يقول لهم هل أريد أن أقوم إن كنت (على بينة من ربى) أعطى بسيرة فيما ادعوا إليه (ورزق منه رزقا حسنا) قيل أراد النبوة وقيل أراد الرزق الحلال وعلم الأمرين ، وقال الثوري (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أى لأنهم لم يروا الله وأخالف أتباع السر فافقه خفية عنكم كما قال قتادة في قوله (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقولون أكن أنما هم عن أمر وأرتكبه (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) أى فيما أمركم بأنهم كما إذا أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي (وما توفيق) أى إصابة الحق فى أريده (إلا بالله عليه توكلت فى جميع أمورى (وإليه أنيب) أى أرجع إليه

فجاءه قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو قرة سويد بن جبير الباهلي عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن أخاه مالكا قال بإمعانو إن عمدا أخذ جيراني فانطلق إليه فإنه قد كلمك وعرفك فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني فقد كانوا أسلوا فأعرض عنه فقام مغضبا فقال : أما والله لئن فعلت إن الناس يزعمون أنك لتأمرنا بالأمر وتخالف إلى غيره وجعلت أجره وهو يشكم فقال رسول الله « ماتولى ؟ » فقال إني والله لئن فعلت ذلك إن الناس يزعمون أنك لتأمر بالأمر وتخالف إلى غيره . قال فقال « وأود قالوه لأى قائلمهم^(١) ولئن فعلت ماذا إلا على وما

(١) وفي نسخة الأثر : أو قائلمهم بفتح القاء عليهم .

عليهم من ذلك من شيء أرسلوا له جيرانه » وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : أخذ النبي ﷺ ناسا من قومي في تهمة فحبسهم فجاء رجل من قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغضب فقال يا محمد علام تحبس جيرانى ؟ فصمت رسول الله ﷺ قال : إن ناسا يقولون إنك تهى عن الشيء وتستخى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما تقول » قال فجلت أعرشى بينهما كلاما مخافة أن يسمعا فيدعوا على قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبدا فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فهمها فقال « قد ألوها أو قاتلها منهم والله لو فعلت لكان على وما كان عليهم خلا عن جيرانه » ومن هذا القليل الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الأناضلى قال سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سمعت الحديث عنى تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فانا أولاكم به ، وإذا سمعت الحديث عنى تنكروا قلوبكم وتفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فانا أبداكم منه » إسناده صحيح . وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك » ومعناه والله أعلم مهما بنفسك عنى من خير فانا أولاكم به . ومهما يكن من مكروه فانا أبداكم منه (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال قتادة عن عروة عن الحسن العفرى عن يحيى بن الزبارة عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت تهى عن الواسطة ؟ قال نعم ، قالت فله بعض نساءك ، قال ما حفظت وصية العبد الصالح إذا (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال عمار بن أبى شعبة حدثنا جرير عن أبى سليمان الضبي قال كانت تحبنا كحب عمر بن عبد العزيز فيها الأمر والنهى فيكتب فى آخرها وما كانت من ذلك إلا كما قال العبد الصالح (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

(وَيَقُولُ لَا يَحِرُّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ شَيْءٌ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ • وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)

يقول لهم (وما قوم لا يحرك منكم شقائي) أى لا تخفكم عدواني وبضى على الأصرار على ما أتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من القصة والعذاب وقال قتادة (وما قوم لا يحرك منكم شقائي) يقول لا يحرككم فراقى ، وقال السدى عدواني ، على أن تعادوا فى الضلال والكفر فيصيبكم من المذاب ما أصابهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابن عوف الحمصى حدثنا أبو الوليد عبد القدوس بن الحجاج حدثنا ابن أبى عيينة حدثنى عبد الملك بن أبى سليمان عن ابن أبى ليلي الكندي قال : كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بهمان ابن عوفان إذ أشرف علينا من داره فقال (يا قوم لا يحرك منكم شقائي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) يا قوم لا تخفونى إنكم إن تقتلونى كنتم هكذا وشك بين أصابعه ، وقوله (وما قوم لوط منكم ببعيد) قيل للراد فى الزمان ، قال قتادة بيني وإنما هلكوا بين أيديكم بالأمسى ، وقيل فى السكان وعمل الأمران (واستغفروا ربكم) من سالف الذنوب (ثم توبوا إليه) فبا تسبقونه من الأعمال السيئة وقوله (إن ربى رحيم ودود) لمن تاب (قَالُوا يَسْمُعُ مَا نَقْنَعُهُ كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُ إِنَّا نَذَرْنَا لِرَبِّكَ فِينَا ضَمِيمًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَعْنَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَرِيزٌ • قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ أَهْرَأَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَرَأَاهُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

يقولون (يا شبيب ما نقنع) ما نهم (كثيرا) من قولك (وإنا لراك فينا ضمينا) قال سعيد بن جبير والثورى وكان ضرير البصرى ، وقال الثورى كان له خطيب الأنبياء ، قال السدى (وإنا لراك فينا ضمينا) قال أنت واحد ، وقال أبو روق ينون ذليلا لأن عشيرتك ليسوا على دينك (ولولا رهطك لرجعنا) أى قومك لولا معزتهم علينا

لرجنك (قيل بالحجارة وقيل لسبائك) وما أنت علينا بعزيز) أى ليس عندنا لك معزة (قال يا قوم أرهطوا أعز عليكم من الله) يقول أتركوا لأجل قوى ولا تتركوا إعظاما لجناح الرب تبارك وتعالى أن تتألوا نبيه بمساة وقد أخذتم جانب الله (وراءكم ظهورا) أى نذمونه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه (إن ربى بما تعملون محيط) أى هو يعلم جميع أعمالكم وسجركم

(وَيَقَوْمُ اٰمَلُوْا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ اِنِّيْ عَلِيْلٌ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَّارْتَقِبُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ • وَلَمَّا جَاءَ اٰمُرُنَا نَحْنُا شُعَبِيْنَ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَاَخَذَتِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوْا فِيْ دِيْرِهِمْ خٰثِيَيْنَ • كَاَنَّهُمْ لَمْ يَغْنَوْا فِيْهَا اَلَا بُدْءًا لِّلَّذِيْنَ كَاَنَ يَسْتَكْبَرُوْنَ)

لما يش نبى الله شعيب من استجابتم له قال يا قوم (اعملوا على مكاتكم) أى طرفتكم وهذا تهديد شديد (إلى عامل) على طريقى (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) أى مني ومنكم (وارتقبوا) أى انتظروا (إلى معكم رقيب • ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثين) وقوله جاثين أى هامدين لاحتراك بهم . وذكر هنا أنه أنهم صيحة ، وفي الأعراف درجة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسب نفس الأعراف لما قالوا (نخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) ناسب أن يذكر هناك الدرجة فرجعت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهنا لما أساءوا الأدب في مقابلته على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبتهم وأخذتهم ، وفي الشعراء لما قالوا (فاستقل علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) قال فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وهذا من الأسرار الحقيقة وفي الحمد واللغة كثيرا دائما ، وقوله كأن لم ينشوا فيها) أى يمشوا في دارهم قبل ذلك (إلا بعدا لمدن كما يستعد نوح) وكانوا جيرانهم قريبا منهم في الدار وشيئا بهم في السكر وقطع الطريق وكانوا عربا مثلهم

(وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيٰتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ • اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَتِلْكَ اٰتٰيُهُمْ اَمْرٌ فِرْعَوْنُ وَمَا اٰمُرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ • يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُوْرَدُ • وَاَتَّبِعُوا فِيْ هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ اِلٰهَهُمُ الْغُرُفُوْدُ)

يقول تعالى خبرا عن إرسال موسى بآياته ودلالاته الباهرة إلى فرعون ملك القبط وملكه (فاتبعوا أمر فرعون) أى منهجه ومسلكه وطريقته في التي (وما أمر فرعون برشد) أى ليس فيه رشد ولاهدى . وإنما هو جهل وشغل وكفر وعناد ، وكما أنهم ابتعدوا في الدنيا وكان مقدمهم ورئيسهم كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم فأوردهم إليها وشربوا من حياض ردها ؟ وه في ذلك الحظ الأوفر ، من العذاب الأكبر ، كما قال تعالى (فمضى فرعون الرسل فأخذناه أخفا وبلا) وقال تعالى (فكذب وعصى • ثم أدبر يسمى • فحشر فنادى • فقال أنا ربكم الأعلى • فأخذ الله نكال الآخرة والأولى • إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، وبئس الورد للورود) وكذلك شأن للتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم القيامة كما قال تعالى (لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقال تعالى إخبارا عن الكفرة أنهم يقولون في النار (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأفسدونا السبيل ربنا آتتهم ضغائن من العذاب) الآية وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار » وقوله

(وأتبعوا في هذه لعة ويوم القيامة) الآية أي أتبعناهم زيادة على عذاب النار لعة في الدنيا (ويوم القيامة بشئ الرغد الرفود) قال مجاهد : زيدوا لعة يوم القيامة تلك لعتان ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (بشئ الرغد الرفود) قال لعة الدنيا والآخرة وكذا قال الضحاك وقادة وهو كقوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وأتبعناهم في هذه الدنيا ويوم القيامة هم من القبورين (وقال تعالى (النار يمشون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ أَنْتَاهُمْ يَنْصُرُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَافِرُونَ) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلُهَاهُمْ أَلِيٌّ يَذْهَبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَنْجِيصًا

لما ذكر تعالى خبر الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال (ذلك من أنباء القرى) أي أخبارهم (قصة عليك منها قائم) أي عامر (وحصيد) أي هالك (وما ظلمناهم) أي إذ أهلكناهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم (فما أغنت عنهم آلهم) أوتانهم التي يبدونها ويدعونها (من دون الله من شيء) ما نفهمهم ولا أهدوهم بأهلهم (وما زادهم غير تنجيب) قال مجاهد وقادة وغيرهما أي غير تخسير وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إما كان بأنهم تلك الآلة فلما خسروا في الدنيا والآخرة

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ)

يقول تعالى وكذا أهلكنا أولئك القرون الظالمة للكذبة لرسلنا كذلك فعل بأبياهم (إن أخذه ألم شديد) وفي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إن الله ليحلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة الآية

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَلَفَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) وَمَا تَوْخَرُوهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ يَوْمَ يَأْتُ تَكَلُّمٌ تَشْأَمُ إِلَّا يَذَنُّهُ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ

يقول تعالى إن في إهلاكنا الكافرين وإحيائنا المؤمنين (الآية) أي عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وقال تعالى (فأوحى إليهم لهم لنلكن الظالمين) الآية وقوله (ذلك يوم مجمع له الناس) أي أولهم وآخرهم كقوله (وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً) (وذلك يوم مشهود) أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وعشر الخلاق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والذباب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة إن تلك حسنة يضاعفها ، وقوله (وما تؤخره إلا لأجل معدود) أي ما تؤخر إقامة القيامة إلا لأنه قد سبق لك الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا أقطعت وتكامل وجود أولئك القدر خروجهم قامت الساعة ولهذا قال (وما تؤخره إلا لأجل معدود) أي لمدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا ينقص منها (يوم يأت تكلّم تشأم) أي يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله كقوله (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وقال (وخشعت الأسوات للرحمن) الآية . وفي الصحيحين في حديث الشفاعة **«ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»** وقوله (فمنهم شقي وسعيد) أي فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد كما قال (فريق في الجنة وفريق في السعير) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده ثنا موسى بن حسان ثنا عبد الملك بن عمرو ثنا سليمان أبو سفيان ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر قال : **«لا نزلت (فمنهم شقي وسعيد) سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله : علام نعمل ؟ على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه ، فقال «على شيء»**

قد فرغ منه يا عمر وجزت به الأقلام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » ثم بين تعالى حال الأنقياء وحال السعداء فقال
(قَالُوا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ • خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ عَلِيمٌ تَذَكِّرُ)

يقول تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) قال ابن عباس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق ، لما هم فيه من العذاب عابداً باليمن ذلك (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) قال الإمام أبو جعفر بن جرير : من مادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أيلاً قالت هنا دائم دوام السموات والأرض ، وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما مر أبناء سمر وما لألأت الصبر بأذنانهم يمتون بذلك كله أبداً فخطابهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) قلت : ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض الجنس لأنه لا بد في عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ولهذا قال الحسن البصري قوله (ما دامت السموات والأرض) قال يقول سماه غير هذه السماء وأرض غير هذه لما دامت تلك السماء وتلك الأرض . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن حسين عن الحكم بن عباد عن ابن عباس قوله (ما دامت السموات والأرض) قال لكل جنة سماه وأرض ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماه . وقوله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) كقوله (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما عاهد الله إن ربك حكم علم) وقد اختلف القسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاهما الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد السلي ، وغيره من علماء التفسير ، وقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه واختار هو ما قلناه عن خالد بن معدان والضحاك وقناة وابن سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضاً أن الاستثناء عائد على الصائمين أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعته الشافعين ، من الملائكة والنبين والمؤمنين ، حتى يشفونهم في أصحاب الكبار ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرجهم لم يعمل خيراً قط وقال يوماً من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة للسفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا يحيد له عنها ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة . وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة ، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحق بن راهويه وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة سدي بن عجلان الباهلي ولكن سندته ضعيف والله أعلم . وقال قتادة : الله أعلم بشيء ، وقال السدي هي منسوخة بقوله (خالدين فيها أبداً)

(وَأَمَّا الَّذِينَ سَمِدُوا فَوَيْلٌ لِلْجَنَِّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ)
 يقول تعالى (وأما الذين سمدوا) وهم أتباع الرسل (في الجنة) أي قضاواهم الجنة (خالدين فيها) أي ما كثر فيها أبداً (ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) معنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيها هم فيه من التمتع ليس أمراً واجباً بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله التمتع عليهم دائماً ولهذا يلهمون التسييع والتحديد كما يلهمون النفس . وقال الضحاك والحسن البصري هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها وعقب ذلك بقوله (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع قاله مجاهد وابن عباس وأبو المالح وغير واحد ثلاثتهم متوهم بعد ذكره للشبهة أن ثم انقطع أو ليس أوشى بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بينهنا لأن عذاب أهل النار دائماً مردود إلى مشيئته وأنه يبدله وحكمته عذبهم ولهذا قال (إن ربك فعال لما يريد) كما قال (لا يسئل عما يعمل وهم يسئلون) وهنا طيب القلوب ومثبت القصد بقوله

(عطاء غير مجذوذ) وقد جاء في الصحيحين «يؤتى بالنار في صورة كبش أملح فذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » وفي الصحيح أيضا «يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تستموا أبدا وإن لكم أن تعصوا فلا تبأسوا أبدا»

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعِدُ هَؤُلَاءُ مَا يَبْعِدُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعِدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَنُوفِّيهِمْ نَعِيدُهُمْ قَبْرِ مَقْفُوسٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنُوا مِنْكُمْ مَرِيبٌ * وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِكُهُمْ رَبُّكَ أَفْعَلُهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَسْعُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى (فلا تك في مرية مما يبعد هؤلاء) للشركون انه باطل وجهل وضلال فانهم إنما يبعدون ما يبعد آبائهم من قبل أي ليس لهم مستند فيهم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات وسيجزئهم الله على ذلك ثم الجزء فيعذبهم عذاباً لا يعبده أحداً وإن كان لهم حسنات فقد وُفِّقَ لهم في الدنيا قبل الآخرة . قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس (وإنما لو قوم نصيبهم غير مقفوس) قالوا وعدوا من خير أوشر . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لو قومهم من العذاب نصيبهم غير مقفوس ثم ذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب فاختفت الناس فيه فن مؤمن به ومن كافر به فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك بأعمد أسوء فلا يفتنك تكذيبهم لك ولا يحدثك ذلك (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) قال ابن جرير لولا ما تقدم من تأجيل العذاب إلى أجل معلوم لقضى الله بينهم وعجل أن يكون للراد بالكلمة أنه لا يذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فانه قد قال في الآية الأخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) فاسبر على ما قولون) ثم أخبر تعالى أنه سيجع الأولين والآخرين من الأمم ويعجزهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر فقال (وإن كلالا ليوفيهن ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير) أي علم بأعمالهم جميعها جليلها وقبحها مشرفها وكثيرها وفي هذه الآية قرأت كثيرة يرجع معناها إلى هذا الذي ذكرناه كافي قوله تعالى (وإن كل لما جميع لدينا محضرون)

وقوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) قال طبري أبي طلحة عن ابن عباس لا تمتنعوا وقال المولى عن ابن عباس هو الركون إلى الشرك وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال ابن جرير عن ابن عباس ولا تميلوا إلى الذين ظلموا وهذا القول حسن أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنتكم قد رضيت بأعمالهم (تمسك النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) أي ليس لكم من دونه من ولى يفتدكم ولا ناصر يخلصكم من عذابه

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَزْكُكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَتَمَّا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالقيام بالدوام على الاستقامة وذلك من أكبر المون على النصر على الأعداء ومخالفة الأعداء ونهى عن الطغيان وهو البنى فانه مصرعة حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يفتل عن شيء ولا يخفى عليه شيء

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزَكَاةً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ أَحْسَنَ مُذْهِبِ الْغَيِّبَاتِ ذِكْرُى لَذِكْرِى لَذِكْرِى * وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال طبري أبي طلحة عن ابن عباس (وأقم الصلاة طرفي النهار) قال بنى الصبح والقرب وكذا قال الحسن وعبد الرحمن

ابن زيد بن أسلم ، وقال الحسن في رواية قتادة والخصك وغيرهم هي الصبح والمصر وقال مجاهد هي الصبح في أول النهار والظهر والمصر مرة أخرى (وزلقاً من الليل) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم يعني صلاة العشاء وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عنه (وزلقاً من الليل) يعني للرب والعشاء قال رسول الله ﷺ « ما زلقاً من الليل للرب والعشاء » وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقاتة والضحاك إنها صلاة للرب والعشاء ، وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس لسهولة الإسراع فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان . صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة ثم نسخ في حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضاً في قول والله أعلم .

وقوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السابقة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول الله حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعتني منه وإذا حدثني عنه أحد استحققتة فإذا حلفتني صدقته ، وحدثنني أبو بكر وسعد أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من مسلم يذهبنا قيتوساً ويصلي ركعتين لا يغفر له » وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توشاً لم كوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : هكذا رأيت رسول الله يتوشاً وقال « من توشاً وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » وروى الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فبجاءه المؤمن ففصا عثمان بجاء في إناؤه أنه سيكون فيه قدر مد فتوشاً ثم قال رأيت رسول الله ﷺ يتوشاً وضوئى هذا ثم قال « من توشاً وضوئى هذا ثم قام ففصل صلاة الظهر غفر له ما بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى الصبر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ثم صلى للرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة للرب ثم لمسه بيته يتبرغ ليلته ثم إن قام فتوشاً وصلى الصبح غفر له ما بينه وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات » وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت لوان ياب أحدكم نهراً غمراً فيفسل في كل يوم خمس مرات هل يبقى من درته عيشة ؟ » قالوا لا يا رسول الله قال « كذلك الصلوات الخمس يجمع الله بين الذنوب والحطايا » وقال مسلم في صحيحه حدثنا أبو النضر وهو ابن سعيد قال حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن إسحق مولى زائدة حدثته عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجنبت الكبائر » وقال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عباس عن ضمضم بن زرقة عن شريح بن مبيد أن أبا هريرة كان يحدث أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله ﷺ كان يقول « إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطية » وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبي عن ضمضم بن زرقة عن شريح بن مبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « جعلت الصلوات كفارات لما بينهن » فلان الله قال (إن الحسنات يذهبن السيئات)

وقال البخاري حدثنا قتبية بن سعيد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلاً أسأب من امرأة قيلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأزل الله (وأتم الصلاة طرق التهار وزلقاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) فقال الرجل يا رسول الله إلى هذا ؟ قال « لجيع أمق كلمهم » هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير عن مسدد عن يزيد بن زريع بنحوه ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مله . ورواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لقطة من طرق عن سلك بن حرب أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدث عن عقلمة والأسود عن ابن مسعود قال جابر بن عبد الله ﷺ قال يا رسول الله أنشدني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجلبها قبلها وزميتها ولم أقبل غير ذلك فافعل بي ما شئت فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً فذهب الرجل . فقال عمر لقد استر الله عليه لو ستر لي نفسه ، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره

ثم قال « ردوه على » فردوه عليه قراً عليه (أتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فقال معاذ وفي رواية عمر يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة ؟ قال « بل للناس كافة » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا إبان بن إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الحمداي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أركانكم وإن الله يسطي الله نيامن يحب ومن لا يحب ولا يسطي الله الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه وإلى نسي يده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جواره بوائقه » قال قلنا وما بوائقه يا بني الله ؟ قال « غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراما فينق من فيلارك منه فيه ولا تصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يحبو السوء بالسوء ولكن يحبو السوء بالحق إن الحديث لا يحبو الحديث » وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال كان فلان بن معتبر جلامن الأنصار فقال يا رسول الله دخلت على امرأة فقلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا آني لم أوافقها لم يدر رسول الله ما يجيء حتى نزلت هذه الآية (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فندما رسول الله ﷺ قراها عليه وعن ابن عباس أنه عمرو بن غزية الأنصاري التمار وقال مقاتل هو أبو ثعلب عامر بن قيس الأنصاري وذكر الخطيب البغدادي أنه أبو اليسر كعب بن عمرو . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس وعفان قال حدثنا حماد بن أبي سلمة عن علي بن زيد قال عفان أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رجلا أتى عمر فقال إن امرأتك أتتني فباعتني فدخلت الدوخل فأصبت منها مائة دينار الجماع ، فقال ويحك لعلها منسية في سبيل الله ؟ قال أجل ، قال فأتت أبا بكر فسه . قال فأتته فسه . قال فقال لعلها منسية في سبيل الله ؟ فقال مثل قول عمر ثم أتى النبي ﷺ فقال له مثل ذلك قال « فلعلمانية في سبيل الله » ونزل القرآن (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) إلى آخر الآية ، فقال يا رسول الله خاصة أم للناس عامة ؟ ففرض يني عمر صدره يدمو قال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله ﷺ « صدق عمر » وروى الإمام أبو جعفر بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال أتني امرأة تتابع مني بدوم ثم أتتني في البيت ثم أتتني من هذا فدخلت فهاوت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسأته فقال اتق الله واستر على شمسك ولا تخبرن أحدا فم أصبر حتى أتيت أبا بكر فسأته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا قال فلم أصبر حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أخلفت رجلا غزاي في سبيل الله في أهله بمثل هذا » حتى ظننت أني من أهل النار حتى نمت أني أسلمت ساعتئذ فاطرق رسول الله ﷺ ساعة فنزل جبريل فقال أبو اليسر فحجت قراً على رسول الله (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فقال إنسان يا رسول الله له خاصة أم للناس عامة ؟ قال « للناس عامة » وقال الحافظ أبو الحسن الفارقي حدثنا الحسين بن سهل المحاملي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعدا عند النبي ﷺ فجاء رجل فقال يا رسول ما تقول في رجل أصاب من امرأة لأهل لعلهم بدمع شيئا يسيرا لعلهم من امرأته إلا قد أصابها غير أنه لم يجامعها ؟ فقال له النبي ﷺ « توأما وضوا حسنا ثم قم فصل » فأذن الله عز وجل أنه آية يني قوله (وأتم الصلاة طرفي النهار) فقال معاذ أي له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة » ورواها ابن جرير من طرق عن عبد الملك بن عمير به . وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جندب أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله ﷺ فاستأذنه لحاجة فأذن له فنهب يطلها فلم يجدها فأقبل الرجل ربدان يشر النبي ﷺ بالمر فوجد المرأة جالسة غدر فرفع في صدرها وجلس بين رجلها فصار ذكر ممثل الجدة فقام فادما حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بما صنع فقال له « استخفر ربك وصل أربع ركعات » قال وتلا عليه (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية . وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن أحمد بن سيويه حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن أبي يزيد سليم بن عامر أنه مع أبا أمامة يقول إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أتم في حد الله - مرة أو اثنتين - فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال « أين هذا

الرجل القاتل أثم في حشد الله ؟ قال أنا ذا . قال آمنت الوضوء وصليت معنا . آذا ؟ قال نعم . قال « فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد » وأئزل الله على رسول الله (وأتم الصلاة طرق النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أن ناطل بن يزيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ منها غصنا بإسبا فيهز حتى تحات ورقة ثم قال أبا عثمان ألا تأتينا أكل هذا قلت ولم نضطه قال هكذا فعل رسول الله ﷺ فقال: إن السلم إذا توشأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطايها كما يشحات هذا الورق. وقال (وأتم الصلاة طرق النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال له يا معاذ « أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتق الله حيثما كنتم وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » وقال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن هجر بن عطية عن أشياخه عن أبي ذر قال قلت لرسول الله أوصني ، قال « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها » قال قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال « هي أفضل الحسنات » وقال الحافظ أبو يلى للوصلى حدثنا هذيل بن إبراهيم الجاني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهر من ولد سعد بن أبي وقاص عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « ما قال عبدا لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طلست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » عثمان بن عبد الرحمن يقال له الواقسي فيه ضعف . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا بشر بن آدم وزيد بن أخرم قالا حدثنا الصالح بن مخلد حدثنا مستور بن عباد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا دابة فقال رسول الله ﷺ « تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال بلى . قال « فان هذا يأتي على ذلك » فردد به من هذا الوجه مستور

﴿ قُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعَثَ يَنْهَوْنَ مِنَ الْقَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْبَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُظْلِمَ الْقُرْآنَ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿

يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير يهتدون عما كان يقع بينهم من الشرور وللنكرات والقساد في الأرض ، وقوله (الا قليلا) أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين أجهام الله عند حلول غضبه وغباءه هتته ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريعة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى (ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وفي الحديث « ان الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله عقاب » ولهذا قال تعالى (فلو لا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنبينا منهم) وقوله (واتباع الذين ظلموا ما اتترفوا فيه) أي استمروا على ما هم عليه من المعاصي وللنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك حتى فيجاء السذاب (وكانوا مجرمين) ثم أخبر تعالى أنهم يهلك قرية إلا وهي ظلمة لنفسها ولم تأت برخصة لمصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقال (وما ربك بظالم للعبيد)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ ﴿

غير تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو كفر كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من

في الأرض كلهم جميعا) وقوله (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) أى ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات ملهم وطلمهم ومذاهبهم وأرائهم ، قال عكرمة مختلفين في الهدى وقال الحسن البصري مختلفين في الرزق يسخر بعضهم بعضا ، والشهور الصحيح الأول . وقوله (إلا من رحم ربك) أى إلا للرؤوس من أمم الرسل الذين تسكروا بما أمروا به من الدين ، أخبرتهم بمرسل الله إليهم ولم يزل ذلك ما بهم حتى كان النبي وخاتم الرسل والأنبياء عليهم السلام وصدقوه ووازره قزاز بسعادة الدنيا والآخرة لأنهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث للروى في المسند والسنن من طرق يشد بعضها بعضا « ان اليهود افرقت على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى افرقت على ثنتين وسبعين فرقة وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة » قالوا ومن هم يا رسول الله ؟ قال « وما أنا عليه وأصحابي » رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة ، وقال عطاء (ولا يزالون مختلفين) يعنى اليهود والنصارى والمجوس (إلا من رحم ربك) يعنى الخنيفة وقال قتادة أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدايتهم وأهل مصيبتهم أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدايتهم ، وقوله (ولذلك خلقهم) قال الحسن البصري في رواية عنه ولا تختلف خلقهم ، وقال مكي بن أبى طلحة عن ابن عباس : خلقهم فريقين كقولهم (فمنهم شقي وسعيد) وقيل للرحمة خلقهم قال ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن ابن أبى نعيم عن طائوس أن رجلا اختصا إليه فأكثر قال طائوس اختلفنا وأكثرتما فقال أحد الرجلين لذلك خلقنا فقال طائوس : كذبت فقال ليس الله يقول (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال لم يخلقهم ليختلفوا ولكن للجماعة والرحمة كما قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للشداب ، وكذا قال مجاهد والضحاك ورجع معنى هذا القول إلى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقيل بل المراد بالرحمة والاختلاف خلقهم كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال الناس مختلفون على أديان شتى (إلا من رحم ربك) فمن رحم ربك غير مختلف قليل لذلك خلقهم قال خلق هؤلاء الجنة وخلق هؤلاء النار وخلق هؤلاء لئلا يذوقوا وكذا قال عطاء بن أبى رباح والأعمش ، وقال ابن وهب سألت مالكا عن قوله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال فريق في الجنة وفريق في السعير ، وقد اختار هذا القول ابن جرير وأبو عبيد القراء وعن مالك في رويناه عن ابن عباس (ولذلك خلقهم) قال للرحمة ، وقال قوم للاختلاف وقوله (وتمت كلمة ربك لأملأن جوهن من الجنة والناس أجمعين) يخبر تعالى أنه قد سبق في فضائه وقدره له التام وحكمته النافذة أن من خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وأنه لا بد أن يملأ جوهن من هذين الثقلين الجن والإنس وله الحجة البالغة والحكمة التامة . وفي الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالى لا يدخلني إلا ضغائن الناس وسقطهم وقالت النار أوثرت بالتكبرين والتعجبين فقال الله عز وجل للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عدائي أنتهم بك بمن أشاء ولكل واحدة منكم ما لها فأما الجنة فلا يزال فيها فضل حتى يشهد الله لها خلقا يسكن فضل الجنة وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب المرة قدمه فتقول قط قطوعر ترك .

﴿ وَكَلَّا قُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ أَرْسُلْنَا مَا نُلَيْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى وكل أخبار قصصا عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أهمهم وكيف جرى لهم من الهلجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حربه للؤمنين وخذل أعداءه الكافرين . كل هذا مما ثبت به فؤادك أى قلبك بما محمد ليكون لك بمن مضى من إخوانك من الرسل أسوة ، وقوله (وجاءك في هذه الحق) أى هذه السورة قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف ، وعن الحسن في رواية عنه وقاتله في هذه الدنيا والصحيح في هذه السورة الشتملة على قصص الأنبياء وكيف آجماهم الله وللمؤمنين بهم وأهلك الكافرين جاءك فيها

قصص حق ونبا صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكرى يتذكر بها المؤمنون ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَجْمَلُوا عَلَىٰ كِبَارِكُمْ إِنَّا نَعْلَمُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾
يقول تعالى أمرا رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد (اجملوا على مكاتبكم) أى على طريقكم ومنهكم (إننا نعلمون) أى على طريقنا ومنهنا (وانتظروا إننا منتظرون) أى (فستعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) وقد أنجز الله لرسوله وعده ونصره وأيده وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عز وجل حكيم
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبْدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

غير تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض وأنه إليه المرجع ولكل ، وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب ، فله الخلق والأمر ، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه . فإنه كاف من توكل عليه وأتاب إليه ، وقوله (وما ربك بفاعل عما تعملون) أى ليس يخفى عليه ما عليه مذكوبك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزىهم على ذلك أتم الجزاء فى الدنيا والآخرة وينصرك وحزبك عليهم فى الدارين ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن جعفر ابن سليمان عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود

﴿تم تفسير سورة هود﴾

﴿تفسير سورة يوسف عليه السلام هو مكية﴾

روى التلميذ وغيره من طريق سلام بن سليم ويقال سليم الدائى وهو متروك عن هارون بن كثير وقد نص على جهالة أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « علموا أرفاكم سورة يوسف فإنه أياما مسلم تلاها أو علمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات اللوت وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلماً » وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلية ، وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعا من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير به ومن طريق شاذان عن محمد بن عبد الواحد النضرى عن علي بن زيد بن جدعان ، وعن عطاء بن أبي يمين عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ذكر نحوه وهو متكرر من سائر طرق ، وروى البيهقى فى الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ﷺ يتلو هذه السورة أسلموا لموافقها ما عندهم وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ قَعَمٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ التَّقْصِيصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة وقوله (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن للبين أى الواضح الجلى الذى يفصح عن الأشياء البهمة ويفسرهما وبينها (إننا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وذلك لأن لغة العرب أوضح للآيات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للبيان التى تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف للأنبياء ، وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض ، وأبدى إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فأكمل من كل الوجوه ، ولهذا قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) بسبب إجماعنا إليك هذا القرآن ، وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية

مارواه ابن جرير حديثي نصيرين عبد الرحمن الأودى حدثنا حكيم الرازي عن أيوب عن عمرو هو ابن قيس اللاتني عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا ؟ فنزلت (نحن قصص عليك أحسن القصص) ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسل . وقال أيضا حدثنا محمد بن سعيد القطن حدثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصغار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال قتله عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله (لعلكم تتقون) ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل (الله زلنا أحسن الحديث) الآية وذكر الحديث ، ورواه الحاكم من حديث إسحق بن راهويه عن عمرو بن محمد القرشي للقرشي به ، وروى ابن جرير بسنده عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا : يا رسول الله حدثنا فأنزل الله (الله زلنا أحسن الحديث) ثم تلاه ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يمتنون القصص - فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) نحن قصص عليك أحسن القصص) الآية فأرادوا الحديث فنظم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فنظم على أحسن القصص . وبما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة للشملة على مدح القرآن ، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب مارواه الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان أنا هشام أنبأنا جهم عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب قراءه على النبي ﷺ قال قضب وقال «أمشوا كونوا فبا يا ابن الخطاب ؟» والى قضي يده قد جئتكم بها يضاء نية ، لاسألوم عن شيء فيخبركم بحق فتكذبونه أو ياطل فتصدقونه ، والى قضي يده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يقضي » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني مرت بأحد من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال فغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت قلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد رسولا ، قال فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال «والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وركبتموني لضللت ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين » وقال الحافظ أبو بصير اللوصلي حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن زياد عن خالد بن عرفة قال كنت جالسا عند عمر إذ أتى رجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر : أنت فلان بن فلان البدي ؟ قال نعم ، قال وأنت النازل بالسوس ؟ قال نعم ، فضربه بقناة معه ، قال فقال الرجل مالي إلى أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر اجلس فجلس فقرأ عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) «أكر» تلك آيات الكتاب المبين » إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » نحن قصص عليك أحسن القصص - إلى قوله (لمن التأملين) فقرأ عليه ثلاثا وضربه ثلاثا قال له الرجل مالي إلى أمير المؤمنين ؟ فقال أنت الذي نسخت كتاب دانيال ، قال مرقى بأمرك أنبه ، قال انطلق فاعبه بالحلم والصوف الأبيض ثم لا تهرأ ولا تفرقه أحدا من الناس قلن بلقي عنك أنك قرأت أو أقرأته أحدا من الناس لأتهنك عقوبة ثم قال اجلس فجلس بين يديه ، فقال انطلقت أنا فاستخست كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في آدم فقال لي رسول الله ﷺ «ما هذا في يدك يا عمر ؟» قال قلت يا رسول الله كتاب نسخته لزداد به علما إلى علنا فضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجته ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأصناف أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح ، فبادوا حتى أحقدوا بنبر رسول الله ﷺ قال «يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمها ، واخصر لي اختصارا ، وقد أتيتمكم بها يضاء نية فلا تهوكروا ولا يفرنكم التهوكون » قال عمر قمقت قلت رضيت بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبك رسولا . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرا من حديث عبد الرحمن بن إسحق به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن إسحق هو أبو شيبة الواسطي وقد

ضعفوه وشبهه . قال البخاري لأصبح حديثه ، قلت وقد روى له شاهد من وجد آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأسعيلي أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن الملاء الزبيدي حدثني عمرو بن الحارث حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي حدثنا سلم بن عامر أن جبير بن شبر حدثهم أن رجلين كانا بمصر في خلافة عمر رضي الله عنه فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص وكانا قد كتبنا من اليهود صلاصة فأخذناهما معهما يستخيان فيها أمير المؤمنين يقولون : إن رضينا لنا أمير المؤمنين أزدنا فيها رغبة . وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالوا إنا بأرض أهل الكتاب وإنا نسمع منهم كلاما نقشع منه جلودنا فنأخذ منه أو نتركه ؟ فقال لهما كتبنا منه شيئا قالوا : لا ، قال سأحدثكما : انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولاً أعجبني فقلت : هل أنت مكشي بما تقول ، قال نعم فأبيت بأديم فأخذ يملئ على حتى كتبت في الأكرع فلما رجعت قلت ياني الله وأخبرته قال « اتني به » فانطلقت أرغب عن الثوب رجاء أن أكون جشت رسول الله بعض ما يحب ، فلما أتيت به قال « اجلس اقرأ على » فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فاذا هو يتلون فتحت من الفرق لما استطعت أن أجيزته حرفاً ، فلما رأى الذي بي رفته ثم جعل يثبته رسماً رسماً فيمحوه بريقه وهو يقول « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وهوكوا » حتى حذا آخره حرفاً حرفاً ، قال عمر رضي الله عنه فلو علمت أنكما كتبنا منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة ، قالوا والله ما نكتب منه شيئا أبداً فخرجا بصلاصتهما ففصر لهما فلم يألوا أن يسبقا ودفعنا فكان آخر العهد منها ، وهكذا روى الثوري عن جابر بن زيد الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الأنصاري عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروى أبو داود في الراسيل من حديث أبي قلابة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأُمِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمَيْنِ رَأَيْتُهُمْ لِي سَبْعِينَ ﴾

يقول تعالى إذا ذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه ، وأبوه هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم » انقرد بإخراجه البخاري فرواه عن عبد الله بن محمد عن عبد الصمد به ، وقال البخاري أينما حدثنا محمد أنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عند الله أقوام » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فأكرم الناس يوسف بن الله ابن الله ابن الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فمن معادن العرب نسألك ؟ » قالوا نعم قال « فنزاركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » ثم قال تابه أبو أسامة عن عبيد الله . وقال ابن عباس رؤيا الأنبياء وحى ، وقد تكلم القسرون على تفسير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روى هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبوه على العرش وهو سريره وإخوته بين يديه (وخرجوا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) وقد جاء في حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبا قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني علي بن سعيد الكندي حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال : أتى النبي ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أساجدة له ما أسأوها ؟ قال فسكت النبي ﷺ ساعة فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بأسماها قال فبعث رسول الله ﷺ إليه فقال « هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسماها ؟ » فقال نعم قال « جريان ، والطارق والنبال ، وذوالكفكف (١) ، وقابس ، ووثاب ، ومحمدان ، والفايق ، والصبح ، والضريح وذوالفرغ (٢) ، والضايا والنور (٣) » فقال اليهودي : إني وأهلها لأسأوها . ورواه البيهقي في الله لا تل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير . وقد روى

(١) في النسخة الأثرية : ذوالكفكف . (٢) وثيا : والفرغ . (٣) الضياء والنور ، زيادة في النسخة المكية .

هذا الحديث الحافظان أبو بلى اللوصلى وأبو بكر البزار فى مسندهما ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ، أما أبو بلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لما رآها يوسف قصها على أبيه يعقوب فقال له أبوه هذا أمر مشئت بحججه الله من بعد ، فقال - والشمس أبوه والقمر أمه » خرد به الحكم بن ظهير القزائرى وقد ضمه الأئمة وتركه الأكثرون وقال الجوزجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث الروى عن جابر أن يهودى سأل النبي ﷺ عن الكواكب التى رآها يوسف ما أراها وأنه أجابه ثم قال خرد به الحكم بن ظهير ، وقد ضمه الأربعة

﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
يقول تعالى خبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التى تميزها خضوع إخوته له وتبظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يغرور له ساجدين إجلالا واحتراما وإكراما فخى يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيجسونه على ذلك فيفنون له التوائل حسداً منهم له ، ولهذا قال له (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) أى يختالوا لك حيلة يردونك فيها ، ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ قال « إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليقل عن يساره ثلاثا وليستد بالله من شرها ولا يحدث بها أحداً فاتها لن تضره » . وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة (١) القشبرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ « الرؤيا على رجل طائر ما لم تقبر » ، فإذا عبرت وقتت ومن هذا يؤخذ الأمر بسكبان الصلصة حتى توجد وتظهر كما ورد فى حديث « استعنوا على قضاء الخواص بكتابتها فان كل ذى نعمة محسود »

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِيقُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَكَأَيْ نِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكَ ﴾
على 'أبيوك من قبل إبراهيم وإسماعيل' إن ربك عليم حكيم

يقول تعالى خبراً عن قول يعقوب لولده يوسف إنه كما اختارك ربك وأراه هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك (كذلك يجتبيك ربك) أى يختارك ومصطفيك لنبوته (ويملك من تأويل الأحاديث) قال مجاهد وغير واحد بنى تيمير الرؤيا (ويم نعمة عليك) أى بارسالك والإيحاء إليك ، ولهذا قال (كما أتمها على أبيك من قبل إبراهيم) وهو الخليل (وإسماعيل) ولده وهو النبي فى قول وليس بالجميع (إن ربك عليهم حكيم) أى هو أعلم حيث يصل رسالته كما قال فى الآية الأخرى

﴿ قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ • إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوهُ أَرْضًا يَحْمِلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَنِيهِ قَوْمًا صَالِحِينَ • قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • ﴾

يقول تعالى لقد كان فى قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات للسائلين أى عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك للتخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه (إذا قالوا ليوסף وأخوه أحب إلى أيننا منا) أى حلفوا فيها بظنون والله ليوסף وأخوه ، يعنون بنيامين وكان شقيقه لأمه (أحب إلى أيننا منا ونحن عصبة) أى جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة (إن أبانا لى ضلال مبين) يعنون فى تقديمهما علينا ، ومحبة إلهما أكثر منا واعلم أنه لم يعم دليل على نبوة أخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ، ومن الناس من زعم أنهم أوحى

إليه بعد ذلك وفي هذا نظر ، وبحسب مدعى ذلك إلى دليل ، ولم يذكر سوى قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللمبج شعوب ، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ولم يتم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم) يقولون هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم أعدموه من وجه أبيكم ليخلو لكم وحدكم إما بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تسترجمونه وتخلوا أنتم بأبيكم (وتكونوا من يده قوماً صالحين) فأضرموا التوبة قبل الذنب (قال قائل منهم) قال قتادة وعمر بن إسحق : وكان أكبرهم واسمه رويل وقال السدي الذي قال ذلك يهوذا وقال عبيد الله هو يهوذا الصفا (لا تقتلوا يوسف) أي لا تصلوا في عداوته ويضه إلى قتله ، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصرهم الله عنه بمقالة رويل فيه وإشارته عليهم بأن يقوه في غيبة الحب وهو أسفله . قال قتادة وهي بئر بيت المقدس . يلتقطه بعض السيادة أي المارة من المسافرين فتسترجموا منه بهذا ولا حاجة إلى قتله (إن كنتم فاعلين) أي إن كنتم عازمين على ما تقولون . قال محمد بن إسحق بن سار : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع التي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليقرقوا بينه وبين أبيه وحببه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانته من الله ممن أحبه طفلاً صغيراً وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه يفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيماً رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا يَا أَبَاكَ لَا تَأْمَنْ عَلَى يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِيقُونَ • أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَ ﴾

لما تواترأوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير رويل جادوا بأبهم يعقوب عليه السلام فقالوا ما بالك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون (وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له (أرسله معنا) أي أبنته معنا (غدا نرتع وتلعب) وقرأ بعضهم بالياء (يرتع ويلعب) قال ابن عباس يسعى وينشط وكذا قال قتادة والضاحك والسدي وغيرهم (وإنا له لنافظون) يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من أجليك

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ • قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَلَّصِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء (إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي يشق على مفارقتة مدة زهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمال النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنت غافلون) يقول وأخشى أن تشغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فم هذه الكلمة وجعلوا عندهم فياصوله وقالوا مجيبين له عنها في الساعة الراهنة (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة إنا إذا لما نكون عاجزون

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَآتَيْنَاهُ الْأَنْجُسَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

يقول تعالى فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك (وأجمعوا أن يحاولوا في غيابة الجب) هذاه
تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهر أنه لم يكره ما هو بوسط
وشرحا لصدوره وإدخاله للسور عليه فقال إن يقرب عليه السلام لا يشتمهم شمه إليه وقيله ودعا له. فذكر السدى وغيره
أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم
ونحوه والقول من ضرب ونحوه ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه بطونه مجبل ودلوه فيه فكان إذا جأ
إلى واحد منهم لطمه وشتمه وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف للساق فمطط للواء فصره
فصعد إلى سفرة تكون في وسطه جال لها الراغوقة قمام فوقها وقوله (وأوحينا إليه لتنتبهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)
يقول تعالى ذاكرا لطفه ورحمته وعادته وازاله اليسر في حال السر إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الشق تطيبا
قلبه وتثبيتا له لا تحزن عما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا وينصرك الله عليهم وسيلك ويرفع درجتك
وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع وقوله (وهم لا يشعرون) قال مجاهد وقتادة (وهم لا يشعرون) بإعانة الله إليه وقال ابن
عباس ستنبهم بصنيعهم هذا في حرك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن جرير حدثني الحارث بن عبد العزيز بن
سدة بن عباد الأمدى عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف عليهم فصرهم وهم لم يسمعون ولا يسمعون ولا يسمعون
فوضعه على يده ثم قرءه فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجاهل أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدعى دوسك وأنكم انطلقتم به
فألقيتموه في غيابة الجب قال ثم قرءه فطن قال فأتيت أباكم فقلت إن الذي أكله وجئت على قميصه بدم كذب قال فقال بضمهم
لبن لأن هذا الجاهل ليخبره بخبركم قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما نزل الآية نزلت إلا فيهم لتنتبهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون
**﴿وَجَاءَهُمْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَنْكُورٌ • قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكْهَلْهُ
الذُّبُّ وَمَا أُنْتِ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ • وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَعْيُنَكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْْ جَبِيلَ وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**

يقول تعالى مخبرا عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعدما أقوه في غيابة الجب أنهم رجوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يكونون
ويظهرون الأسف والجزع على يوسف ويتخمون لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيها زعموا (إنا ذهبنا نستبق) أي
نترامى (وتركنا يوسف عند متعنا) أي ثيابنا وأمتعتنا (فاكله الذب) وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه
وقوله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) تطف عظيم في تهرير ما يحاولونه يقولون ونحن لم نعلم أنك لا تصدقنا
والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تهيننا في ذلك لأنك خشت أن يأكله الذب فأكله الذب فأنت
معدور في تكذيبك لنا لتراية ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا (وجاءوا على قميصه بدم كذب) أي كذبوا
مفتري وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما عاثوا عليه من اللينة وهو أنهم عمدوا إلى سخله فذا ذكره مجاهد
والسدى وغير واحد قد جرحوا ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميص الذي أكله فيه الذب وقد أصابه
من دمه ولكنهم نسوا أن يخرجوه فلها لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يقول بل قال لهم معرضا عن كلامهم إلى
ما وقع في بطنه من لبسهم عليه (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أي فأسأركم صبرا جميلا على هذا الأمر
الذي اتفقتم عليه حتى يخرج الله بونه ولفظه (والله السميع على ما تصفون) أي على ما تذكرون من الكذب والاحمال
وقال الثوري عن مالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وجاءوا على قميصه بدم كذب) قال لو أكله الصبح لخرق
القميص وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد وقال مجاهد الصبر الجميل الذي لا جزع فيه وروى هشام عن
عبد الرحمن بن يحيى عن جابر بن أبي حيلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فصبر جميل) فقال صبر
لا شكوى فيه، وهذا مرسل. وقال عبد الرزاق قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال ثلاث من الصبر: أن لا تحدث

بوجك ولا بصيتك ، ولا تركى شمسك ، وذكر البخارى هنا حديث عائشة في الافك حتى ذكر قولها والله لا أجدلى
ولكم مثلاً إلا قال أبو يوسف (تصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ غَيْرٍ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

يقول تعالى غيرا عما جرى ليوسف عليه السلام في الجلب حين أقيم إخوته وتركوه في ذلك الجلب وحيداً فريداً فكثرت
عليه السلام في البر ثلاثة أيام فبأله أبو بكر بن عياش ، وقال محمد بن إسحق لما أقيم إخوته في البر جلسوا حول البر يومهم ذلك
ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فترلوا قريباً من تلك البر وأرسلوا واردهم وهو الذي يتطلب لهم
لواء فلما نجا ذلك البر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال (يا بشرى هذا
غلام) وقرأ بعض القراء يا بشرى فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه ممهلاً له أنه أصاب
غلاماً وهذا القول من السدي غريب لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس والله أعلم
وإنما معنى القراءة على هذا التصحيح إلى القراءة الأخرى ويكون قد أضاف البشري إلى نفسه وحذف ياء الإضافة
وهو يريد بها كما تقول الرب يا نفس اسبري يا غلام أقبل بحذف حرف الإضافة ، ويجوز الكسر حيث دل الرفع وهذا
منه ، وتفسرها القراءة الأخرى يا بشرى والله أعلم ، وقوله (وأسرؤه بضاعة) أي وأسرؤه الوردون من بقية السيارة
وقالوا اشتريناه وبضاعتنا من أصحاب لواء خافوا أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره قاله مجاهد والسدي وابن جرير هذا
قول ، وقال الموفى عن ابن عباس قوله (وأسرؤه بضاعة) يعني إخوة يوسف أسروا بضائته وكنتموا أن يكون أخاهم
وكنتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيهقي ذكره لإخوته لو ارد القوم فنادى أصحابه (يا بشرى هذا غلام)
يباع فباعه إخوته وقوله (والله عليم بما يعملون) أي عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشترؤه وهو قادر على تغيير
ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر سابق فترك ذلك لبعض ما قدره وقضاه (ألا له الخلق والأمر ببارك الله رب العالمين)
وفي هذا تريض لرسوله محمد ﷺ وإعلام له بأن عالم بأذى قومك لك وأنا قادر على الإنكار عليهم ولكن
سألم لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته . وقوله (وشروه)
بشمن غنيس دراهم معدودة) يقول تعالى : وباعه إخوته بشمن قليل . قاله مجاهد وعكرمة ، والبش : هو النفس كما قال
تعالى (فلا تخاف غنياً ولا رهقاً) أي اعتاض عنه إخوته بشمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أي ليس
لهم رغبة فيه بل لو أسألوهم بلا شيء لأجابوا . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إن الضمير في قوله (وشروه) عائد
على إخوة يوسف ، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والأول أقوى لأن قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) إنما
أراد إخوته لا أولئك السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسرؤه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فخرج من
هذا أن الضمير في (وشروه) إنما هو لإخوته وقيل للراد بقوله (بنس) الحرام ، وقيل الظلم وهذا وإن كان كذلك لكن
ليس هو المراد هنا لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد لأن منته حرام على كل حال وعلى كل أحد لأنه ني ابن نبي ابن خليل
الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم وإنما للراد هنا بالبش الناقص أو الزوف أو كلامه أي إنهم
إخوته وقد باعوه ومع هذا ناقص الأمان ولهذا قال (دراهم معدودة) فمن ابن مسعود رضى الله عنه باعوه بشمن درهما
وكذا قال ابن عباس ونوف البكالي والسدي وقاتة وعطية الموفى وزادوا قسموها درهمين درهمين ، وقال مجاهد اثنتان
وعشرون درهماً ، وقال محمد بن إسحق وعكرمة أربعون درهماً وقال الضحاك في قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) وذلك
أنهم لم يسلوا نبيوته ومنزلته عند الله عز وجل ، وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوتوهوا منه لا يأتى
حتى وقوه بمصر فقال : من يتأتى وليشتر ؟ فاشتراه الملك وكان مسلماً

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

يخبر تعالى بألطافه يوسف عليه السلام أنه قضى له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله ونوسم فيه الخير والصلاح فقال لأمرأته (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) وكان الذي اشتراه من مصر عزيزاً وهو الوزير بها . حدثنا الوقي عن ابن عباس وكان اسمه قطير ، وقال محمد بن إسحق اسمه اظفير بن روجيب وهو العزيز . وكان على خزائن مصر وكان للملك يوشع الزيان بن الوليد رجل من المالقي قال واسم امرأته راعيل بنت رعايل ، وقال غيره اسمها زليخا ، وقال محمد بن إسحق أيضاً عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس كان الذي باعه بمصر مالك بن زهر بن قريش بن عتقا بن مديان بن إبراهيم لله أعلم وقال أبو إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أقرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لأمرأته (أكرمي مثواه) ولزارة التي قالت لأبيها (يا أبت استأجره) الآية وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . يقول تعالى كما أخذنا يوسف من إخوته (كذلك مكنا يوسف في الأرض) يعني بلاد مصر (ولنصه من تأويل الأحاديث) قال مجاهد والسدي هو تميم الرزيا (والله غالب على أمره) أي إذا أراد شيئاً فلا بد ولا يمانع ولا يخالف بل هو الغالب لما سواه ، قال سعيد بن جبير في قوله (والله غالب على أمره) أي فاعل لما يشاء ، وقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول لا يدرون حكمته في خلقه وتلقفه وفعله لما يريد ، وقوله (وللاطلاع) أي يوسف عليه السلام (أشده) أي استكمل عقله ونم خلقه (آتيناه حكماً وعِلماً) يعني النبوة أنه حياه بها بين أولئك الأقوام (وكذلك نجزي المحسنين) أي أنه كان حسناً في عمله عالماً بطاعة الله تعالى ، وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقادة ثلاث وثلاثون سنة وعن ابن عباس بنع ثلاثون سنة ، وقال الضحاك عشرون ، وقال الحسن أربعون سنة ، وقال عكرمة خمس وعشرون سنة ، وقال السدي ثلاثون سنة ، وقال سعيد بن جبير ثمان عشرة سنة ، وقال الإمام مالك وروية بن زيد بن أسلم والصفي الأشد الحلم وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ قَوْمِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وكرامه فرأوده عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبه حباً شديداً لجلاله وحسنه وجهه فحملها ذلك على أن تجعل له موطئاً على الأبواب ودعته إلى نفسها (وقالت هيت لك) فاستمتع من ذلك أشد الاستمتاع (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) وكانوا يظنون الرب على السيد والكبير أي إن بملك ربي أحسن مثواي أي منزلي وأحسن إليّ فلا أتأبه بالفاحشة في أهله (إنه لا يفلح الظالمون) قال ذلك مجاهد والسدي ومحمد بن إسحق وغيرهم ، وقد اختلف القراء في قوله (هيت لك) فقرأه كثيرون بفتح الهمزة إسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناه أنها تدعوه إلى نفسها ، وقال على بن أبي طلحة والوقفي عن ابن عباس هيت لك تقول هلك وكذا قال زهر بن جش وعكرمة والحسن وقادة ، قال عمرو بن عبيد عن الحسن وهي كلمة السريانية أي عليك ، وقال السدي هيت لك أي هلك وهي بالقبليّة ، وقال مجاهد : هي لغة عربية تدعوه بها ، وقال البخاري وقال عكرمة هيت لك أي هلك بالخورانية . هكذا ذكره معلّقاً وقد

أسند الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الضر بن علي الجزري عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (هيت لك) قال هيت لك قال : هي بالحوارانية ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وكان الكسائي يحكي هذه القراءة يعني هيت لك ويقول هي لمة لأهل حوران وقت إلى أهل الحجاز ومنها تمال ، وقال أبو عبيد سأل شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لفتحهم يعرفها واستشهد الإمام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعل بن أبي طالب رضى الله عنه .

أبلغ أمير المؤمنين * بن أذى العراق إذا أتينا إن العراق وأهلها * عنق إليك فبيت هيت يقول قتال واقرب ، وقرأ ذلك آخرون هت لك بكسر الهاء والمعز وض التاء بمعنى تهيأت لك من قول القائل هت بالأمر أهى هت ، وعن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو وائل وعكرمة وقاتدة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك . قال ابن جرير وكان أبو عمرو والكسائي يشكران هذه القراءة ، وقرأ عبد الله بن إسحق هيت بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة ، وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هيت بفتح الهاء وض التاء وأنشد قول الشاعر : ليس قومي بالأبهدين إذا ما * قال دلع من الصيرة هيت

قال عبد الرزاق أن أبا الثور عن الأعمش عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود قد سمع القراء ممعتهم يتقارون بين فاقدوا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف وإنا ما كقول أحدكم هلم وتمال . ثم قرأ عبد الله هيت لك فقال يابا عبد الرحمن إن ناسا يقرءونها هيت قال عبد الله أن أقرأها كما علمت أحب إلى ، وقال ابن جرير حدثني ابن وكيع حدثنا ابن عينة عن منصور عن أبي وائل قال : قال عبد الله : هيت لك قتاله مسروق إن ناسا يقرءونها هيت لك قتاله دعوى فإني أقرأ كما أقرئت أحب إلى وقال أيضا حدثني الثوري حدثنا آدم بن أبي إسحاق حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال : هيت لك نصب الهاء والتاء ولا تهمز ، وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء وإسكان الياء وض التاء ، قال أبو عبيد معمر بن النخعي هيت لا تهمز ولا تجمع ولا تؤنث بل مخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكما وهيت لكن وهيت لمن

﴿ وَلَقَدْ مَحَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَكَا بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَيَصْرِفْ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْأَخْلَاصِينَ ﴾

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وطائفة من السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره والله أعلم ، وقيل للراد بهم بها خطرات حديث النفس حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق ثم أورد البغوي هنا حديث عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى : إذا هم عبيدي بحسنة فاكْتُبوها له حسنة فإن عملها فاكْتُبوها له بشر أمثالها ، وإن هم بيئته فلم يعملها فاكْتُبوها حسنة فاعلموا تركها من جرأتي فإن عملها فاكْتُبوها بمثلها » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها ، وقيل هم بضرها ، وقيل تمنأها زوجة وقيل هم بها لولا أن رأى برهان ربه أى فلم يهم بها ، وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره ، وأما البرهان الذى رآه فيه أقوال أيضا فنحن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير وعبد بن سيرين والحسن وقاتدة وأبي صالح والضحاك وعبد بن إسحق وغيرهم رأى سورة آية يعقوب عاضا على أصبعه بضمه وقيل عنه في رواية ضرب في صدر يوسف . وقال الصوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعنى سيده وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم إنما هو خيال قطيع سيده حين دنا من الباب

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت (لا تقربوا الزنا لأنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وكذا رواه أبو معشر اللدني عن محمد بن كعب . وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال سمعت القرظي يقول في البرهان

الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله (إن عليكم لحافظين) الآية وقوله (وما تكون من شأن) الآية وقوله (أفئن هو قائم على كل نفس بما كسبت) قال تافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرطبي وزاد آية رابعة (ولا تمربوا الزنا) وقال الأوزاعي رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهه عن ذلك . قال ابن جرير والصواب أن يقال إنه رأى آية من آيات الله تزيجه عما كان يحرم به ، وجاز أن يكون سورة يثوب وجزاء أن يكون صورة الملك وجزاء أن يكون مراكبه مكتوباً من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أي كما أرى أنه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك فيه السوء والفحشاء في جميع أموره (إنه من عبادنا المخلصين) أي من المحبين الطهرين المختارين للسلطين الأخيار صلوات الله وشامله عليه

﴿وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَكَذَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدْتُ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهِيَ مِنَ الْكَذَّابِينَ • وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهِيَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَلَمَّا رَا قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ • يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾

يخرج تعالى عن عالمها حين خرجا يستبقان إلى الباب يوسف هارب والراة تطلبه ليرجع إلى البيت ، فليجته في أثناء ذلك فأمسكت قميصه من ورائه فتدأ فظنما يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في إثره فالتفتا سيدها وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متنتصة وقاذبة يوسف بداهما (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) أي فاحشة (إلا أن يسجن) أي يجبس (أو عذاب أليم) أي يضرب ضرباً شديداً موجعا . فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمت به من الحيانة ، و(قال) بارأ صادقاً (هي راودتني عن نفسي) وذكر أنها ابتغته تجذبه إليها حتى قبضت قميصه (وشهد شاهد من أهلها) إن كان قميصه قد من قبل) أي من قدامه (فصدقت) أي في قولها إنه راودها على نفسها لأنه يكون لها دعاءها وأبنت عليه فدفعته في صدره فقدمت قميصه فصيح ما قالت (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبت له أمسكت قميصه من ورائه لترده إليها فقدمت قميصه من ورائه ، وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير ، على قولين لعماد السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا سائر ابن عمار عن معمر عن ابن عباس (وشهد شاهد من أهلها) قال ذو الحليفة وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقائدة والسدي ومحمد بن إسحق وغيرهم إنه كان رجلاً ، وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها ، وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن أبي عمير أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (وشهد شاهد من أهلها) قال كان صبياً يهودي كذا روى عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن ومحمد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبياً في النار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تكلم أربعة وهم سفار» فذكر فهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال « تكلم أربعة وهم سفار ابن ماضعة بنت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم » وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن

إنسها وهذا قول غريب وقوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) أى لا تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فاقذفته ورمته به (قال إنه من كيدكن) أى إن هذا الهت والالطع الذى لطخت عرض هذا الشاب به من حيلة كيدكن (إن كيدكن عظيم) ثم قال أمرا ليوسف عليه السلام بكنان ما وقع (يوسف أعرض عن هذا) أى اضرب عن هذا صفحا أى فلا تذكره لأحد (واستغفرى لذنوبك) يقول لأمراه وقد كان لين الرخصة سهلا أو أنه عذرها لأنهارأت ما لا صبر لها عنه فقال لها استغفرى لذنوبك أى الذى وقع منك من إراة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو يرى منه (إنك كنت من الخاطئين)

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْبَلَدِ امْرَأَةٌ تَلْزِزُ رُءُودَ قَوْمٍ عَنْ قَنَاصِهِمْ فَيَذَنُوهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَبِّرًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتِ فَلَيْسَ الَّذِي كُنْتُمُتَّيْنِ فِيهِ وَقَدْ رُءِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْمِمَ ۖ وَلَئِنْ لَّمْ يُفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَ أَعْيُنُنَا وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اسْتَجِبْ لِىَ مَا يَدْعُونِى إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّ كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾

غير تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز عام في المدينة وهى مصر حتى تحدث به الناس (وقال نسوة في المدينة) مثل نساء الكبراء والأمرء يسكنن على امرأة العزيز وبين ذلك عليا (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أى تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها (قد شغفها حبا) أى قد وصله إلى شفاف قلبها وهو غلامه قال الضحاك عن ابن عباس: الشغف الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب (إننا لراها في ضلال مبين) أى في ضلالتها هذا من حبا فتاها ومارودتها إياه عن نفسه (فلما سمعت بمكرهن) قال بعضهم قولهن ذهب الحب بها وقال محمد بن إسحق بل بلهن حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فنشد ذلك (أرسلت إليهن) أى دعتهن إلى منزلها لتضيئن (وأعدت لهن متكبا) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد والحسن والسدى وغيرهم هو المجلس المد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أخرج ونحوه ولمسنا قال تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكيانا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيا لهن على رؤيته (وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر (فلما خرج) أى أعظمته أى أعظم من شأنه وأجلن قدره وجلن قطعن أيديهن وحشا برؤيته وهن يظنن أنهم يقطعن الأبرج بالسكاكين والمراد أنهم حزنن أيديهن بهالة غير واحدة وعن مجاهد وقادة قطعن أيديهن حتى ألقينها فله أعلم . وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن اثرجا وآتت كل واحد منهن سكيانا هل لكن في النظر إلى يوسف ؟ قلن نعم فبشت إليه تأمره أن اخرج إليهن فلما رأته جلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرته مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحزنن في أيديهن فلما أحسسن بالألم جلن يولون وقالت أنتن من نظرة واحدة فقلن هذا فكيف آلام أنا ؟ (قلن حاش لله ما هذا بشر) إن هذا إلا ملك كريم (ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم جد هذا الذى رأينا ، لأنهن لم يرين فى البشر شيئا ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يوسف عليه السلام في الباء الثالثة قال « فاذا هو قد أعطى شطر الحسن » وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحق عن أبي إسحق عن أنس عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحق

أيضا عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه خافة أن تخشع به ورواه الحسن البصري مرسلا عن النبي ﷺ أنه قال « أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين » أو قال « أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث » وقال مفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرجسي قال : قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن . والنصف الآخر بين سائر الخلق ، وقال الإمام أبو القاسم السبيل مئة أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فإن الله خلق آدم بيده على أكل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته (حاش لله) قال مجاهد وغير واحد معاذ الله (ماهذا بشرا) وقرأ بعضهم ماهذا بشري أى بعثتى بشرا (إن هذا إلا ملك كريم) قالت فذلكن الذى لثمنى فيه (تقول هذا متذرة اليه بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكاله (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى فاستمع قال بعضهم لما راين جماله الظاهر أخرتهن بصفاته الحسنة التى تخفى عنهن وهى الصفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعدن (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فعند ذلك استماد يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) أى من الفاحشة (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أى إن وكنتى إلى نفسى فليسلى منها قدرة ولا أملاك لها ضرا ولا قضا إلا بحولته وقوته أنت للسمان وعليك التكلان فلا تكلنى إلى نفسى (أصابهن) وأكن من الجاهلين فاستجاب لهن (آية) ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات الكمال لأنه مع شباب وجماله وكاله تدعوه سيده وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويتنعم من ذلك وغتار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه

ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وعاب نساء في عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لا تعلم شاله ما أفقت بينه . ورجل دنت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُوءٌ حَتَّى حِينَ ﴾

يقول تعالى ثم ظهر لهم من الصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين أى إلى مدة وذلك بعد ما عرفوا براهته وظهرت الآيات وهى الأدلة على صدقه وعفته وزاهاته وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه للشاع الحديث إيهاما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك . ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر اللدة امتنع من الخروج حتى تشبه براهته مما نسب إليه من الخيانة . فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي المرض صلات الله عليه وسلامه . وذكر السدى أنهم إنما سجنوه للتأنيص ما كان منها في حقه ويرأ عرضه فيفضحها

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُبْغِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الْعُرَى مِنْهُ نَاشِئًا يَتَوَلَّيْهِ إِنَّا نَرْجُو مِنْكَ مِنَ الْمَحْسِنِينَ ﴾

قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخ خبازه . قال محمد بن إسحق كان اسم الذى على الشراب نبوا والآخ رحلت . قال السدى كان سبب حبس الملك لإيهاما أنه توم أنهمما تمالأ على منه في طعامه وشرا به وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجلود والأمانة وسدق الحديث وحسن السمعت وكثرة العبادة صلات الله عليه وسلامه . ومعرفة التمييز والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم . ولما دخل هذان الفتان إلى السجن تمالأ به وأجابهما جدا شديدا وقالاه : والله لقد أحبينك جدا زائدا . قال بارك الله فيكما إنه ما أحبني أحد إلا دخل على من عهته

شهر ، أحبني عني فدخل على الضرير حبها ، وأحبني أبي فأوديت بسببه ، وأحبني امرأة العزيز فكن ذلك ، فقالوا والله ما نستطيع إلا ذلك ، ثم إنهما رأيا مناما قرأا الساق أنه يصير خيرا يعني عبدا وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود (إني أراي أعصر عبدا ، وزواه ابن أبي تخم عن أحمد بن سنان عن يزيد بن هرون عن شريك عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود أنه قرأها أعصر عبدا . وقال الضحاك في قوله (إني أراي أعصر خيرا) يعني عبدا ، قال وأهل عمان يسمون الصب خيرا ، وقال عكرمة : قال له إني رأيت في أيري النائم أني فرست حيلة من عب فثبت فخرج فيها عاقيد فبصرتهن ثم سقيتهن للثلك فقال : تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمرنا . وقال الآخر وهو الحجاز (إني أراي أحمل فوق رأسي خيزا تاكل الطير منه نيشا بتأويله) الآية والشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أيهما رأيا مناما وطبعا تبيره . وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن حميد قال حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود قال : ما رأى صاحبنا يوسف شيئا إنما كانا نحالا ليحربا عليه

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَ تَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذِكْرُكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ انبَعَثُوا إِلَىٰ آيَاتِهِمْ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ مِمَّا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

خبرهما يؤمن عليه السلام أيهما مهما رأيا في منامهما من حلم فانه عارف بنفسيره وخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا يأتيكما بتأويله) قال مجاهد قول (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في يومكما (الأنباء) بتأويله قبل أن يأتيكما) وكذا قال السدي وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا محمد بن يزيد شيخه حدثنا رashed بن الحسن بن ثوبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما أدرى لعل يوسف عليه السلام كان يضاف وهو كذلك لأن أجد في كتاب الله حين قال للرجلين (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا يأتيكما بتأويله) قال إذا جاء الطعام حلوا أو مرا أعتاف عند ذلك . ثم قال ابن عباس إنما علم فلم وهذا أمر غريب ثم قال وهذا إنما هو من تعليم الله إياي لأنني اجنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في العباد (وابتعت ملة آتاني إبراهيم وإسحق ويعقوب) الآية يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه ويصله مالم يكن يعلم ويجهله إماما يفتدى به في الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) هذا التوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له (من فضل الله علينا) أي أوحاه اليأ وأمرنا به (وعلى الناس) إذ جعلنا دعاه لهم إلى ذلك (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل اليهم بل (بدلوا نعمة الله بكفرا وأحوا قلوبهم دار البوار) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يجعل الجدا أبا ويقول والله لمن شاء لاعتنه عند الحجر ما ذكره الله جددا ولا جنة قال الله تعالى يعني إخبارا عن يوسف (وابتعت ملة آتاني إبراهيم وإسحق ويعقوب)

﴿ يَصْحَحِي الشَّيْخَ عَزَابَابَ مُتَفَرِّحُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ مِمَّنْ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على القتين بالمخاطبة والدعاء لها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ماسواه من الأوثان التي يعبدونها قوما فقال (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) أي الذي ذل كل شيء لمرجله وأعظمه سلطانه ، ثم بين لها أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جعل منهم وتسمية من تلقاها أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال (ما أنزل الله بها من سلطان) أي حجة ولا برهان ، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف وللشيئة ولللك كله قد وقد أمر عبادة قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) أي هذا الذي أدعوك إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه (ولكن أكثر الناس لا يفهمون) أي فلهذا كان أكثرهم مشركين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقد قال ابن جرير إنما عدل بهم يوسف عن تغيير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأجاب أن يشغلها بشيء ذلك لئلا يساودوه فيها فسادوه فأعاد عليهم للوعظة ، وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أولا بتبشيرها ولكن جعل سؤالهما على وجه التمنيع والاحترام وصلة إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى في سجنهما من قبول الخير والاقبال عليه والإنصاف إليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تغيير رؤيائهما من غير تكرار سؤال فقال .

﴿ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَنْسِي رَبَّهُ خَيْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطُّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَبُؤْسُ الْأُمْرِ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

يقول لها (يا صاحبي السجن أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَنْسِي رَبَّهُ خَيْرًا) وهو الذي رأى أنه يصبر خيرا ولكنه لم يسهل لئلا يهزن ذاك ولهذا أبهمه في قوله (وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطُّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) وهو في نفس الأمر الذي رأى أنه يحمل نوق رأسه خيرا ثم أعلمهم أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لاحالة لأن الرؤيا على رجل طائر مالم تغير فلذا عبرت وقت ، وقال الثوري عن عمارة بن القعقاع عن إبراهيم بن عبد الله قال : لما قال ما قال وأخبرهما قال ما رأينا شيئا فقال (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) ورواه محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسر مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وحاصله أن من تحمل ياطل وفسره فانه يارم بتأويله والله تعالى أعلم ، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال «الرؤيا على رجل طائر مالم تغير فلذا عبرت وقت» وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا «الرؤيا لأول عابر»

﴿ وَقَالَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساق ناج قال له يوسف خفي عن الآخر والله أعلم — لئلا يشعروا أنه الصواب — قال له (اذكرني عند ربك) يقول اذكر قصتي عند ربك وهو لللك ففسى ذلك الموصي أن يذكر مولاة الملك بذلك وكان من جملة مكابد الشيطان لئلا يطلع على الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكره بي) عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحق وغير واحد وقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير هنا حديثا قال : حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن زيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال النبي ﷺ «ولو لم يقل — يعني يوسف — الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتنى الفرج من عند غير الله» وهذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن زيد هو الجوزي أضعف منه أبضا ، وقد روى عن الحسن وقادة مرسلا عن كل منهما وهذه الرسائل ههنا لا تحبل من قبل المرسلا من حيث هو في غير هذا اللون والله أعلم ، وأما البضع فقال مجاهد وقادة : هو ما بين الثلاث إلى التسع ، وقال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاد سبعا

و يوسف في السجن سبعا وعذب بختصر سبعا ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (قلبت في السجن بضع سنين) قال ثننا عشرة سنة ، وقال الضحاك أربعة عشرة سنة

﴿ وَقَالَ الذِّكْرُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَهْرَاتٍ يَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَآخَرٌ يَأْسِتُ بِأَيُّهَا الْمَلَأْتُ قُوْنِي فِي رُؤُوسِ إِنْ كُنْتُمْ لِإِذْعَابِنَا تَعْمُرُونَ ۚ قَالُوا أَهَئُنْتَ أَخْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَمِ بِمُتْلِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون ۚ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَهْرَاتٍ يَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَآخَرٌ يَأْسِتُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۚ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُتُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۚ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ۚ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۚ ﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر عما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معزراً مكرمًا ، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فالتفت وتوجسب من أمرها وما يكون نصيرها فجمع الكهنة والحلقة وكبار دولته وأمرأه فقص عليهم ما رأى وأسلمهم عن تأويلها فخر يسرفوا ذلك واعتدروا إليه بأنها (أضغاث أحلام) أى أخطأ اسلام اقتضته رؤياك هذه (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أى لو كانت رؤيا صحيحة من أخطأ لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو نصيرها فنقد ذلك تذكر الذى نجا من ذنك التفتين الذين كانوا فى السجن مع يوسف وكانت الشيطان قد أنسا ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فنقد ذلك تذكر بد أمة أى مدة وقرأ بعضهم بعدامه أى بعد نسيان فقال لهم أى الملك والذين جمعهم لذلك (أنا أنبئكم بتأويله) أى بتأويل هذا المنام (فآرسلون) أى فإبعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن ، ومعنى الكلام قبضوه فبأه فقال (يوسف أبها الصديق أفتنا) وذكر المنام الذى رآه الملك فنقد ذلك ذكر له يوسف عليه السلام نصيرها من غير تصنيف للفق فى نسيانه ما وصاه به ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك بل قال (تزرعون سبع سنين دأبا) أى يأتسكم الحصب والطر سبع سنين متوالات ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تشغل منها الثغرات والزرورع وهن السنبلات المحضر ثم أرشدكم إلى ما يتبدونه فى تلك السنين فقال (فا حصدتم ففروه فى سنبه إلا قليلا مما تأكلون) أى مهما استغلتم فى هذه السبع السنين الحصب فأخرجوه فى سنبه ليكون أبقي له وأبعد من إسراع القصاد إليه إلا القلدار الذى تأكلونه ولكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفوا فى السبع الشداد وهن السبع السنين الجل التى تعقب هذه السبع التوالات وهن البقرات العجاف اللاتى تأكل السنان لأن سنى الجلبد يؤكل فيها ما جموعه فى سنى الحصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهم لا يبنين شيئا وما ينزروه فلا يرجون منه إلى شئ ولهذا قال (يا كلن ما قدمت لمن إلا قليلا ما تحسنون) ثم بشرهم بعد الجلبد العام للتوالى بأنه يقمهم بعد ذلك عام فيه يثا الناس أى يأتهم الثيث وهو الطر وتل البلاد ويسر الناس ما كانوا يصرون على عاداتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه قال حتى بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضا .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَمِّهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ الَّتِي قَطَنَ

أَيُّدِيَّيْنِ إِنْ رَبِّي يَكْفِيهِنَّ عَلِيمٌ • قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رُودَتْ بِكَ يُوْسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ
سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْمُرْزِقِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ • ذَلِكَ لَيْلِمَ
أَنَّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ • وَمَا أَمْرِي غَيْرِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعا إليه بغير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقظه لعرف فضل يوسف عليه
السلام وعظمه وحسن اطلاعه على رؤيته وحسن أخلاقه على من يئله من رعاياء فقال (اتوني به) أي أخرجه من
السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة مرضه
فما نسب إليه من جبهة امرأة المرزوقان هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال (ارجع إلى ربك)
الآية وقدرت السنة بمحمد على ذلك والتفتيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه . ففي السند
والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (نحن أحق
بالشك من إبراهيم إنا قال (رب أرني كيف نجني اللقي) - الآية و يرحم الله لوطا قد كان يأوى إلى ركن عديد ، ولوليت في
السجن ما لبث يوسف لأجبت الله داعي) وفي لفظ لأحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن عيسى حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن
أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكدن عليهن علم) فقال رسول الله ﷺ
(لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما أتيت العذر) وقال عبد الرزاق أخيرا ابن عينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال :
قال رسول الله ﷺ (قد عصبت من يوسف وصبره وكرمه والله يفره حين سئل عن البترات السباب والسنان ولو
كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشرطوا أن يخرجوني ، وقد عصبت من يوسف وصبره وكرمه والله يفره حين أتاه الرسول ولو
كنت مكانه لبادرهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر) هذا حديث مرسل وقوله تعالى (قل ما خطيكن إذ راودتن
يوسف عن نفسه) إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة المرزوقان فقال خطيكن لمن كنن وهو
يريد امرأة وزيره وهو المرزوق قال الملك للنسوة اللاتي قطعن أيديهن (ما خطيكن) أي شأكن وغيركن (إذ
راودتن يوسف عن نفسه) يعني يوم الضيافة (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) أي قالت النسوة جوابا للملك
حاش لله أن يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء فند ذلك (قالت امرأة المرزوق الآن حصص الحق) قال
ابن عباس ومجاهد وغير واحد يقول الآن تبين الحق وظهر ويرز (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أي
في قوله (هي راودتني عن نفسي) (ذلك ليلم أني لم أخننه بالغييب) يقول إنما اعترف بهذا على نفسي ليلم زوجي أني أخننه
بالغييب في نفسي الأمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلماذا اعترف ليلم أني بريء (وأن
الله لا يهدي كيد الخائنين • وما أبرئ نفسي) يقول للمرأة ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتفتن ولهذا راودته
لأن (النفس لأمارة بالسوء - إلا ما رحمني) أي إلا من عصمه الله تعالى (إن ربي غفور رحيم) وهذا القول هو الأشهر
والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه اللاوردي في تفسيره وانتدب لتفسيره الإمام أبو العباس بن
تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول (ذلك ليلم أني أخننه) في
زوجته (بالغييب) الآيتين أي إنما رددت الرسول ليلم للملك براءة وليلم المرزوق (أني لم أخننه) في زوجته (بالغييب) وأن الله
لا يهدي كيد الخائنين) الآية وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواء . قال ابن جرير
حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن عمارك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما جمع الملك
النسوة فأسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) قالت امرأة المرزوق
الآن حصص الحق) الآية قال يوسف (ذلك ليلم أني لم أخننه بالغييب) فقال له جبريل عليه السلام :
ولا يوم هممت بما هممت به ؟ قال (وما أبرئ نفسي) الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبر وعكرمة

وإن أي المذبل والضحك والحسن وقادة والسدى والقول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتَبِزِي بِرِي اسْتَغْلِيهِ لِنَفْسِي فَمَا كَلِمَةُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۖ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

يقول تعالى إخباراً عن الملك حين تحقق برامة يوسف عليه السلام وزاخرة عرشه بما نسب إليه قال (انتبزي به أستغله لنفسى) أى أجلسه من خاصى وأهل مشورتي (فلما كلمه) أى خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكما قال له الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى إنك عندنا قد بقيت ذاكماكة وأمانة فقال يوسف عليه السلام (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) مدح نفسه وبحوز الرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة ، وذكراؤه (حفيظ) أى خازن أمين (عليم) ذو علم وبصيرة بما يتولاه . وقال شيعة بن نامة : حفيظ لما استودعني علم بسن الجديب وما إن أبى حاتم وسأل العمل لمعه بقدرته عليه ولما فيه من الصالح للناس وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض وهي الأهرام التي يجمع فيها الفلات لما يستقبلونه من السفن التي أخبرهم بشأنها فيصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۖ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أى أرض مصر (يتبأوا منها حيث يشاء) قال السدى وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم فيصرف فيها كيف يشاء ، وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحس والإسار (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نصيب أجر المحسنين) أى وما أضمتنا صبر يوسف على أذى إخوته وصره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلماذا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد (ولا نصيب أجر المحسنين) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والتفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ۖ وإن له عندنا لزلي وحسن مكاب) والترض أن يوسف عليه السلام ولاء ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راوده وأسلم للملك على يدي يوسف عليه السلام . قاله مجاهد

وقال محمد بن إسحق لما قال يوسف للملك (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكرها وعمل اطفيرو وعزل اطفيرو عما كان عليه ، يقول الله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبأوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نصيب أجر المحسنين) قال فذكر لي والله أعلم أن اطفيرو هلك في تلك البالي وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفيرو راعيل وأنهما حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيرا بما كنت تريدني ؟ قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تخلمني فاني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك وديوان وكان صاحبها لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيتك على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عندراء فأصابها فولدت له رجلين افراسيم بن يوسف وميشا بن يوسف وولاه لافراييم نون واليهوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام ، وقال الفضيل بن عياض وقتت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت : الحمد لله الذي جعل اليبس ملوكا بطاعته ، وللوك عبيدا بمحبيته .

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَمَرَقَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۖ وَلَمَّا جَعَلَهُمْ عِجَارًا قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ ۝ ﴾

لَكُمْ مِنْ أَيْمِكُمْ أَتَارُونَ أَمْ أَوْفَى السَّكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمَنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَرَدُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَمَقْبُولُونَ * وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَصْعَقُوهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَهْلَكُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ يَعْرِفُونَ

ذكر السدي ومحمد بن إسحق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين المحببة ثم تلتها السبع السنين المحبدة وعم القحط بلاد مصر بكلفها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده ، وحجبت احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فصل من ذلك مبلغ عظيم وهديا متددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والعمالات ، يتارون لأنفسهم ويعالمهم فكان لا يطي الرجل أكثر من حمل بئر في السنة ، وكان عليه السلام لا يبيع نفسه ولا يأكل كل هووليك وجنودها إلا لأكلة واحدة في وسط النهار حتى يشكوا الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر . وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال ، وفي الثانية بالتعاقب وفي الثالثة بكذا . وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بأفسهم وأولادهم بعد ما ملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعظمهم ورد عليهم أموالهم كلها ، الله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكتب ، والترض أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لم في ذلك فانه يلزمهم أن عزيز مصر يعطى الناس الطعام يشته فأخذوا معهم بضاعة يتخاضون بها طعاما وركبوا عشرة فخر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده إليه بعد يوسف ، فلما دخلوا على يوسف وهو جالس في أجهته ورياسته وسيدته عرفهم حين نظر إليهم وهم منكرون أي لا يعرفونه لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وابعده للسيرة ولم يدروا أين يلعبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ماصار إليه ، فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم . فقد كره السدي وغيره أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالنكر عليهم ما أقدمكم بلادي ؟ فقالوا أيها العزيز إنا قد قمنا للميرة ، قال فلعلمكم حيون ؟ قالوا معاذ الله ، قال فمن أين أتتم ؟ قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله ، قال وله أولاد غيركم ؟ قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أسفرتنا هلك في البرية وكان أحبنا إلى أبيه وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليقس به عنه ، فأمر بلزالمهم ولا كرامهم (ولما جهزهم بهمازم) أي أوفى لهم كيلهم وحملهم أحملهم قال اتوني بأخيكم هذا الذي كرمنا أعلم صدقكم فيما ذكرتم (الأترون أم أوفى السكيل وأنا خير المنزلين ؟) يرغبهم في الرجوع إليه ، ثم رهبهم فقال (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) الآية . أي إن لم تقدموا بهم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة (ولا تخربون) قالوا سرادود عنه أباه وإنا لفاعلون أي سنحرص على محبة إليك بكل يمكن ولا نبقى مجهودا نعلم صدقا فيما قلناه ، وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرا وهذا لحرسه على رجوعهم (وقال لفتاته) أي غلاتها (اجعلوا بضاعتهم) أي التي قدموها ليجتاروا عوضا عنها (فدحالمهم) أي في أمثمتهم من حيث لا يشعرون (لما هم يرجعون) بها ، قيل خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها ، وقيل تضم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضا عن الطعام ، وقيل أراد أن يردم إذا وجدوها في متاعهم تخرجوا ونورا لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْمِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَ * قَالَ هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَقْصِرْ خَفِظُوا وَمَوْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى عنهم إتهم رجوا إلى أبيهم (قالوا أيانا معنا الكيل) يستون بعد هلك الرة إن لم ترسل معنا آخانا

بنيامين لانكسل فأرسله معنالكسل وإنا له لحافظون ، قرأ بعضهم بالإمام يكتل هو (وإنا له لحافظون) أى تخلف عليه فانه يرجع اليك وهذا كما قالوا له في يوسف (أرسله معنا غذا يرتج ويلب وإنا له لحافظون) ولهذا قال لهم (هل أنتم عليه إلا كما أنتم على أخيه من قبل) أى هل أنتم صانعون به إلا كما كنتم بأخيه من قبل ، تقيونه عني وتحولون بيني وبينه ؟ (فانه خير حافظا) وقرأ بعضهم حفظا (وهو أرحم الراحمين) أى هو أرحم الراحمين في وسيرهم كبرى وضيق ووجدى بولدى وأرجو من الله أن يرده على ويجمع قسلي به إنه أرحم الراحمين .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَتَهُمْ وَجَدُوا بِصُعْمَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنِيَّ مَا نَبِيٌّ هَٰذَا بَصُمْتَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِيرُ أَهْلُنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَادُوا كَيْلَ بَيْعِ ذَلِكَ كَيْلَ بَيْعِهِ ۖ قَالَ لَنْ أُرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَنَأْتِيَنَّكَ بِهِ إِلَّا أَن يَحْطَا بِكُمْ فَلَمَّا بَايَعُوهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا قُولُوكُمْ وَكِيلٌ ۝﴾

يقول تعالى . ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بصاعتهم ردت إليهم وهي التي كان أمر يوسف فتبانه بوضعا في رحلهم فلما وجدوها في متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبى) أى ماذا نريد (هذه بصاعتنا ردت إلينا) كما قال قتادة . ما نبى وراء هذا إن بصاعتنا ردت إلينا وقد أوفينا الكيل (ونير أهلنا) أى إذا أرسلت أخانا معنا نأتى بالبرية إلى أهلنا (ونحفظ أخانا وزداد كيل ببيع) وذلك أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حبل ببيع ، وقال مجاهد حمل ببيع ، وقديسى فى بعض اللغات بيرا ، وكذا قال (ذلك كيل يسير) هذا من تمام الكلام وتحسينه أى إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيه ما يبدل هذا (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى تحلفون باليهود والوثاق (لتأتني به إلا أن يحاط بك) إلا أن تلبوا كلكم ولا تدهرون على تخليعه (فبايأته موثقه) أكنده عليهم فقال (الله على ما قولكم وكيل) قال ابن إسحق وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدا من بينهم لأجل البرية التي لاغى لهم فيها فيبته معهم .

﴿ وَقَالَ يُبَنِّي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ اتَّخَضْتُمْ إِلَّا إِلَهًا عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آيُومُ ۖ مَا كَانَ بَيْنَ فِتْنَتِهِمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي فُسْطَاتِهِمْ يَغُفُّهَا فُلَانٌ ۚ لَّذُو الْعِلْمِ لَنَا حَقُّنَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾

يقول تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام أنه أمر بني له لا يجزئهم مع أخيه بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فانه كما قال ابن عباس وعبد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد انه خشي عليهم السنين وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وحيمة حسنة ومنظر وبهاء فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بيوثهم فإن السنين حتى تستزل الناس عن فرسه وروى ابن أبى حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله (وادخلوا من أبواب متفرقة) قال علم أنه سيقى إخوته في بعض تلك الأبواب وقوله (وما أغنى عنكم من الله من شيء) أى إن هذا الاحتراز لا يرد قدراته وقضاه فان الله إذا أراد شيئا لا مخالف ولا مانع (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكمل التوكلون) ولما دخلوا من حيث أمرهم أيوم ما كان بيني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في فُسْطَاتِهِمْ يَغُفُّهَا فُلَانٌ (فلو علموا ما علموا) قال قتادة والثوري ليو حمل بعله ، وقال ابن جرير ليو علم لتبيننا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ؕ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)

يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم النقة والإطعام والإحسان واختل بأخيه فأطعمه على شأته وما جرى له وعرفه أنه أخوه ، وقال له لا تبئس أي لا تأسف على ما صنعوا بي وأمره بكتان ذلك عنهم وأن لا يطلعهم على ما أظلمه عليه من أنه أخوه ، ونوماً معه أنه سيحتال على أن يقيه عنده معزراً مكرماً معظلاً

(فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَعَ السَّقَاةَ ۖ رَجُلٌ رَّحِلٌ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ ۖ قَالُوا وَاقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ۖ قَالُوا تَقْدَرُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلَيْنَ جَاءَهُ بِرَحْلِ بَيْرٍ وَأَنَا بِرِزْمٍ)

لما جهزهم وحمل لهم أيسرهم طمأن أمر بعض قتيانه أن يسع السقاة وهي إماء من فصة في قول الأكثرين ، وقيل من ذهب قاله ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعم إذ ذاك قاله ابن عباس وسجادة وقادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد ، وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال : كان من فصة يشربون فيه وكان مثل الكوكبة ، وكان لباس منه في الجاهلية ، فوضعا في متاع بنيامين من حيث لا يشعرا حدثت ندى مناد بينهم (أيها العير إنكم لساقرقون) فالتفتوا إلى النادى وقالوا (ماذا تفقدون) قالوا تقدر صواع الملك (أي صاحبه الذى يكيل به) ولئن جاء به رحل بئر (وهذا من باب المجازة) وأناه زعيم (وهذا من باب الضمان والكفالة

(قَالُوا تَأَنَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُم لِنَفْسٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ) • قَالُوا فَكَيْفَ جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ • قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ • فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِثَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِثَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

لما اتهمهم أولئك القتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد الأرض وما كننا بارقين) أي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة أنا (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كننا بارقين) أي ليست سجاياتنا تخفى هذه الصفة فقال لهم القتيان (فما جزاؤه) أي السارق إن كان فيكم (إن كنتم كاذبين) أي أى شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه ؟ (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذالك نجزي الظالمين) وهكذا كانت شرسة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى السروق منه ، وهذا هو الذى أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وِثَاءِ أَخِيهِ أى فتنها قبله تورية (ثم استخرجها من وِثَاءِ أَخِيهِ) فأخذهم منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإقرارهم لما بما يمتدونه ولهذا قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف) وهذا من الكيد المحبوب الراد الذى يحبه الله وبرأه لما فيه من الحكمة والصلة للطاوية . وقوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قبض الله له أن التزم به إخوته بما التزموه وهو كان يسلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال (نرفع درجات من نشاء) كما قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الآية (وفوق كل ذي علم علم عليم) قال الحسن البصري ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى إلى الله عز وجل ، وكذا روى عبد الرزاق عن سفیان الثوري عن عبد الأعلى التلميذ عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث هجيب فتمتعب رجل فقال : الحمد لله فوق كل ذي علم عليم ، فقال ابن عباس بش ما قلت ، الله العليم فوق كل عالم ، وكذا روى مالك عن عكرمة

عن ابن عباس (وفوق كل ذي علم عليم) قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال عكرمة وقال قتادة: وفوق كل ذي علم عليم. حتى انتهى العلم إلى الله ، منه بدى ، وتعلمت العلماء واليه يعود ، وفي قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ قَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَحَاهُ يُوَفِّي فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُؤْذِنَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

وقال إخوة يوسف لما رأوا السواد قد أخرج من متاع بنيامين (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يتصلون إلى العزيز من التشبه به ويدكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يسنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبير عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنبا لجدته أمه فكسره ، وقال محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال كان أول ما دخل على يوسف من البلاد فيها يلتمن أن عمته أبة إسحق وكانت أكبر وله إسحق وكانت عندها منطقة إسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من اختيارها بمن ولها كان له سلعا لا يتازع فيه يصنع فيه ما يشاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حشنته سمته وكان لها به وله فلم تحب أحدا حبا إلاه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات تأتت إليه نفس يعقوب عليه السلام فأناها فقال يا أختي سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر على أن يقيب عنى ساعة قالت فوالله ما أنا بباركته ثم قالت: فدعني عندي أليما أنظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلي عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب محمدت إلى منطقة إسحق خزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحق عليه السلام فانظروا من أخذها ومن أسأها ؟ فالتفت ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله إنه لي سلم أسنع فيه ما شئت فأناها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأسكتها لما قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقوله (فأسرهما يوسف في نفسه) يعني الكلمة التي فيها وهي قوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أي تدكرون قال هذا في نفسه ولم يبد له ولم وهذا من باب الاضمار قبل الذكر وهو كثير كقول الشاعر :

جزى بنوه أبا التيلان عن كبر • وحسن فعل كما يجزى سنار

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة في مثورها وأخبارها وأعمالها. قال المولى عن ابن عباس (فأسرهما يوسف في نفسه) قال أسر في نفسه (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ • قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَمِّعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا نَظَلُّونَ ﴾

لما تعين أخذ بنيامين وحرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم شرعوا يرتقون له ويحفظونه عليهم (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) يعنون وهو يحبه حبا شديدا ويشلى به عن ولده الذي قدّمه (فخذ أحدا مكانه) أي بدله يكون عندك عوضا عنه (إنا نراك من المحسنين) أي العادلين التصفين القابلين للخير (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي كما قلتم واعتزتم (إنا إنا لنظالمون) أي إن أخذنا بريئا بغيره (١).

﴿ فَلَمَّا اسْتَمْتَلُوا مِنْهُمْ خَلَّصُوا يَحْيَى قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ أَلَمْ نَقُلْ إِنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ قَوْلُنْ قَبْلُ

(١) للناسب أن يقال : بذنب أو جنان .

مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنُ بَرِّحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَوْ يَمُوتَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْمُتَحَكِّمِينَ * أَرْجُوا
إِلَى أَيْكُمُ هَؤُلَاءِ يَأْتِيَانَا إِنَّ لِنَبِّكَ سَرَقًا وَنَا شَيْدًا إِلَّا عِمَّا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِنَقْبِضَ حَبِطِينَ * وَنَسْتَلِرَ الْقَرْيَةَ
الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْغِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَمَكِيدُونَ ﴿١٠﴾

غير تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما يسوا من تخلص أخيه بنيامين الذي قد الزموا لأخيه برده إليه وعاهدوه
على ذلك فامتنع عليهم ذلك (خلصوا) أي اخرجوا عن الناس (نجيا) يتناجون فيما بينهم (قال كيريم) وهو روييل وقيل
يهودا وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عند ما هموا بقتله قال لهم (ألم نطو أن أبأكم قد أخذ عليكم موثقا من الله)
لثدنه إليه فقد رأيتم كيف تمدر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه (فلن أبرح الأرض) أي لن أفرق
هذه البلدة (حق يأتين لي أبي) في الرجوع إليه راضيا عني (أوجهكم الله لي) قيل بالسيف، وقيل بأن يمكنني من أخذ
أخي (وهو خير الحاكين) ثم أمرهم أن يغيروا ألبام بصورة ما وقع حتى يكون عندها لم عنه ويتصلوا إليه ويرثوا
عما وقع فقومهم وقوله (وما كنا لنبقي حافظين) قال قتادة وعكرمة: ما علمنا أن ابنك سرق. وقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم: ما علمنا في التيب أنه سرق له شيئا، إنا سألنا ماجزاء السارق؟ (وسألنا القرية التي كنا فيها) قيل للراد مصر
قوله قتادة وقيل غيرها (والغير التي أقبلنا فيها) أي التي راقبناها عن سدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا (وإنا لصادقون)
فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذه بسرقة

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّيْتُمْ لَكُمْ أَخْصَامًا قَدْ نَجَّيْتُمْ آلَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِهِمْ نَجِيمًا إِنَّهُ هُوَ الْبَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى
عَنَّهُمْ وَقَالَ يَبْتَاسِ عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفَقَّوْا نَدَّ كُرْ يُوسُفَ حَتَّى
تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قيس يوسف بدم كذب (بل سولت لكم أخكم أمرا فصبر جميل) قال محمد
ابن إسحق لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرى انهم فظن أنها كلفتم يوسف قال (بل سولت لكم أخكم أمرا
فصبر جميل) وقال بعض الناس لما كان منيهم هذا مرياً على قلمهم الأول سحب حكم الأول عليه وسبق قوله (بل سولت لكم
أخكم أمرا فصبر جميل) ثم فرجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخوه بنيامين وروييل إلى أقام بدير مصر
ينتظر أمرا له فيه إيمان يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه، وإما أن يأخذ أخامخية، ولهذا قال (عسى الله أن يأتيني
بهم جميعا إنه هو العزيز) أي العزيز العالي (الحكيم) في أماله وقضائه وقدره (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف) أي
أمرض عن فيه وقال منذ كرا حزون يوسف القديم الأول (يا أسفا على يوسف) جده حزون الابن الحزن الدفين، قال عبد
الرزاق أنا التوري عن سفيان الصغرى عن سعيد بن جبير أنه قال لم يسط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، الأسعمون
إلى قول يعقوب عليه السلام (يا أسفا على يوسف وأيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) أي ساكت لا يشكو أمره إلى
عالم. قاله قتادة وغيره، وقال السخاك فهو كظيم كشيء حزين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا حماد بن سلمة عن طي بن زيد عن الحسن عن الأحف بن قيس أن النبي ﷺ
قال « إن داود عليه السلام قال: يارب إن بني إسرائيل يسألونك إبراهيم وإسحق ويعقوب فاجلسي لهم رابعا
فأوحى الله تعالى إليه أن يا داود إن إبراهيم أتني في النار بسبي فصر وتلك بلية لم تلك وإن إسحق بئله مهجة دمه
بسبي فصر وتلك بلية لم تلك، وإن يعقوب أخذت منه حبيه فأيضت عيناه من الحزن فصر وتلك بلية لم تلك » وهذا

مرسل وفيه نكارة فإن الصحيح أن إساعيل هو المسيح ، ولكن على بن زيد بن جعدان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم ، وأقرب ما في هذا أن الأخنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني إسرائيل ككذب ووهب ونحوهما والله أعلم فإن بني إسرائيل يقولون أن يعقوب كتب إلى يوسف لا احتبس أخاه بسبب السرقة تطلف له فرد ابنه ويدكره أنهم أهل بيت مصابون بالبله فأبراهيم ابتلى بالنار وإسحق بالديع ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم ، فمئذ ذلك رقى له بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه (تالله فتعذّر ذكر يوسف) أي لا تخارق تذكر يوسف (حتى تكون حراً) أي ضعيف القوة (أو تكون من المالكين) يقولون إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الملاك والتلف (قال إنما أشكو بني وحزني إلى الله) أي أجابهم عما قالوا بقوله (إنما أشكو بني وحزني) أي همي وما أنا فيه (إلى الله) وحده (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أرجو منه كل خير ، وعن ابن عباس (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها ، وقال العوفي عنه في الآية أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنى سوف أسجد له . وقال ابن أبي ساتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي عبيدة عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كان يعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ قال أما الذي أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالخزن على بنيامين ، فأخاه جبريل عليه السلام فقال يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تكونوا إلى غيري ؟ فقال يعقوب إنما أشكو بني وحزني إلى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكو » وهذا حديث غريب في نكارة :

(يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَمَسَّسُوْا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيْهِ وَلَا تَأْيِسُوْا مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِلَّا الْاَقْوَمَ الْكَافِرُوْنَ • فَكَادَخُوا عَلَيْهِ قَالُوْا يَا اَيُّهَا التَّرِيْزُ مَسْنَا وَاهْلَكْنَا الشَّرَّ وَجِئْنَا بِبَصِيصَةٍ مُّزَجَّةٍ فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَ)

يقول تعالى خبرنا عن يعقوب عليه السلام إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحنس يكون في الخير والتجنس يكون في الشر ، ونهضهم وجرهم وأمرهم أن لا يأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من أفعالهم يرومونه ويفسدون فانه لا يقطع الرجاء ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وقوله (فكادخوا عليه) تقدير الكلام : فلهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف (قالوا يا أيها التريز مسنا وأهلكنا الشر) يعني من الجلب والطمع وقطع الطعام (وجئنا بضاعة مزجة) أي ومنا عن الطعام الذي غتار به وهو من قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الردي لا ينفق مثل خلق القرارة والجلب والشر ، وفردوا بضاعة البرام الرديئة التي لا يجوز إلا بقتان وكذا قال قتادة والسدي وقال سعيد بن جبير هي البرام القسول. وقال أبو صالح : هو الصنوبر وجة الخضراء وقال الضحاك كاسدة لا تنفق وقال أبو صالح جاموا بحب البطم الأخضر والصنوبر ، وأصل الإجزاء الضعف لضعف الشيء كقول حاتم طي :

ليك على ملطان ضيف مدافع • وأرملة تزجي مع الليل أملا

وقال عيسى بن ثعلبة . الواهب اللطاة المهجان وعبداه • عودا تزجي خلقها أطفالها

وقوله أخبارنا عنهم (فأوف لنا الكيل) أي أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود فأوفركنا بتصدق علينا وقال ابن جريج وتصدق علينا برد أخينا إلينا وقال سعيد بن جبير والسدي (وتصدق علينا) يقولون تصدق علينا قبض هذه البضاعة الزجاة ويجوز فيها وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ قال ألم تسمع قوله (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا) إن الله يجزي

للتصدقين) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْحَارِثِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ابْنُ مَرْوَانَ عَنْ عُبَّانَ بْنِ الْأَسْوَدِ سَمِعْتُ مُجَاهِدًا وَسَمِعْتُ هَلْ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ : اللَّهُمَّ تَصَدَّقْ عَلَيَّ . قَالَ نَعَمْ إِنَّهَا الصَّدَقَةُ لِمَنْ يَتَنَبَّأُ التَّوْبَةَ

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَصَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ • قَالُوا أَوَلَمْ نَكْ لَا تُمْ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاسِينَ • قَالُوا تَاللَّهِ قَدْ كُنَّا نَرَى اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَفُطَيْطِينَ • قَالَ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ • وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول تعالى خبرنا عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام ومهموم الجلب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن فقد ولده مع ما هو فيه من اللذات والتصرف والسعة فند ذلك أخذته رقة ورافة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته وبدرة البكاء فتعرف إليهم فيقال إنه رفع الحاج عن جبهة وكان فيها شامة وقال (هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) يعني كيف عرفوا بينه وبين أخيه (إذ أنتم جاهلون) أي إنما حكمكم على هذا الجبل بقدر هذا الذي ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرا (ثم إن ربك للدين عملا السوء بجباله) الآية والظاهر والله أعلم أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه لأن الله تعالى في ذلك كما أنه إنما أخفى عنهم نفسه في الرتين الأولين بأمر الله تعالى له في ذلك والله أعلم ولكن لما شاق الحال واعتد الأمر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى (فإن مع السر يسرا وإن مع السر يسرا) فند ذلك قالوا (أنتك لآنت يوسف ؟) وقرا أي بن كعب (أنتك لآنت يوسف) وقرا ابن عيسى (أنت يوسف) والقراءة المشهورة هي الأولى لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تصجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من ستين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكرم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام (أنتك لآنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) . وقوله (قد من الله علينا) أي بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد اللدة (إنه من يتقى ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين • قالوا تالله قد أكرمك الله علينا) الآية يقولون معترفين به بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضا على قول من لم يحصلهم أنبياء وأقروا به بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه (قال لا تشرى عليكم اليوم) يقول أي لا تأتبع عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيدهم عليكم ذنبكم في حتى بعد اليوم ثم زادهم السماء لهم بالمنفرة فقال (ينفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) قال السدي اعتذروا إلى يوسف فقال (لا تشرى عليكم اليوم) يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقال ابن إسحق والثوري (لا تشرى عليكم) أي لا تأتبع عليكم اليوم عندي فبا ضمنت (ينفر الله لكم) أي يستر الله عليكم بما فعلتم (وهو أرحم الراحمين)

﴿ أَذْهَبُوا قِيَمِي هَذَا فَأَقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمِينَ • وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تَنْتَدُونَ • قَالُوا تالله إنك لقي ضللتك القديم ﴾

يقول انذهبوا بهذا القيس (فأقوه على وجه أبي يأت بصيرا) وكان قد عسى من كثرة البكاء (وأتوني بأهلكم أجمعين) أي بجميع بني يثوب (ولما فصلت العير) أي خرجت من مصر (قال أبوهم) يعني يغضب عليه السلام لمن بقي عندهم بينه (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفتنون) فتنبوني إلى القند والكبر . قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول : ولما فصلت العير قال للأخيرة العير حاجت ريح فبادت يغوب برح قيس يوسف فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفتنون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سفيان الثوري

وشعبة وغيرها عن أبي سنان به ، وقال الحسن وابن جريج كان بينهما ثمانون فرسخا وكان بينه وبينهم مئذنة فقاموا سنة وقوله (لولا أن تخذون) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفون ، وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقوله (إنك لفي ضلالة القديم) قال ابن عباس لفي خطئك القديم ، وقال قتادة أي من حب يوسف لانتسابه ولا تسلا فقلوا لوالدهم كلفة عظيمة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوا لوالدهم ولا لبي الله ﷻ وكذا قال السدي وغيره .

﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
﴿ قَالُوا يَا بَنِيَّ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ قال سوف استغفر لكم ربِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿

قال ابن عباس والضحاك (البشير) البريد ، وقال مجاهد والسدي كان يهودا بن يعقوب قال السدي إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو مملوغي بدم كذب فاجب أن يسأل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبيته عند ذلك (ألم أقول لكم إنني أعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم أن الله سريده إلى وقتلكم (إنني لأجدر بكم يوسف ولأن تخذون) فبعد ذلك قالوا لا يهيمهم مرتين له (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) قال سوف استغفر لكم ربِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أي من تاب إليه تاب عليه قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحق يذكر عن عمار بن دينار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي للسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوني فأجبت وأمرني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال إن يعقوب أخر بنيته إلى السحر بقوله (سوف استغفر لكم ربِّي) وقد ورد في الحديث أن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني التي حدثنا سلمان بن عبد الرحمن أبو أيوب السخفي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ (سوف استغفر لكم ربِّي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول آخر يعقوب لبنيته وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفته ونظروا والله أعلم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُسُفَ وَأَوَّى إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا بَصْرَ ابْنِ شَاءَ اللَّهُ هَامِينَ وَدَرَعَ أَبُوهُ عَلَى التَّرْشِي وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي خَيْرًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكَ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

جبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدموه بلاد مصر لما كان يوسف قد هدم لإخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقيهم وأمر الملك أمراه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي في الله يعقوب عليه السلام وقال إن الملك خرج أيضا لتلقيه وهو الأمية وقد أشكل قوله (أوى إليه أبوه وقال ادخلوا مصر) على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من القدم وللآخر معنى الكلام (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) وأوى إليه أبوه ورفضها على المرسى ورد ابن جرير هذا أو اجاد في ذلك ثم اختار ما سلكه عن السدي أن يوسف أوى إليه أبوه لما تلقاهم ثم لا وصلوا باب البلد قال (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) وفي هذا نظر أيضا لأن الإيواء إنما يكون في المنزل كقوله (أوى إليه أخاه) وفي الحديث (من أوى عدنا) وما للأنح أن يكون لهم بعد ما دخلوا عليه وآواه إليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمين أي مما كنتم فيه من الجهد والخطب وقال والله أعلم إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين الجديدة بركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعاها رسول الله ﷺ على أهل مكة حين قال « اللهم اغنى عنهم سبع كسب

يوسف ؟ ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا له وأرسلوا أسيافين في ذلك فقتلهم فرغ عية بهم ذلك بركة عاتله الله السلام وقوله (أَوَى إِلَيْهِ أَيْوَهُ) قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما كان أباه وخالته وكانت أمه قد ماتت قديما ، وقال محمد بن إسحق وابن جرير كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يمت دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نضمره هو التصور الذي يدل عليه السياق وقوله (ورفع أبوه على العرش) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السرير أي أجلسهما معه على سريرهم (وخروا له سجدا) أي سجدوا له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد مشرور جلا (وقال يا أبت هذاتأويل رؤاى من قبل) أي التي كان قصها على أبيه من قبل (إن رأيت أحدهم كوكبا) الآية وقد كان هذاتأول في شرأفهم إذ أسلخوا على الكبير يسجدونه ولم يزل هذا جائزا من من أدنى إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الأمة وجعل السجود غصبا بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره ، وفي الحديث أن معاذا قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد رسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا معاذ ؟ » فقال إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال « لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لنعظم حقها عليا » وفي حديث آخر : أن سلمان لقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحى الذى لا يموت » والبرص أن هذا كان جائزا في شريعتهم ولهذا خروا له سجدا ففتنهم قال يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤاى من قبل قد جعلها ربى حقا) أى هذا ما آل إليه الأمر فلان التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر كما قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) أي يوم القيامة بأنهم ما وعدوا به من خير وشئ وقوله (قد جعلها ربى حقا) أي صحيحة صدقا يذكركم الله عليه (وقد أحسن لى بإذناخرجنى من السجن وجاء بكم من لبدا) أي البادية قال ابن جرير وغيره كانوا أهل بادية وماشية ، وقال كانوا يسكنون بالبرية من أرض فلسطين من خورالشم ، قال وبمضى يقول كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حمصى وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل ، (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف بالمشاء) أى إذا أراد أمرا فيضله أسبابا وقدره ويسره (إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكم) فى أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختار ويريد ، قال أبو عثمان التهذى عن سلمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة قال عبدالله بن شداد وإليه انتهى أقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا همر بن على حدثنا عبد الوهاب الثقفى حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ طارق يوسف يعقوب إلى أن انقضى ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه وما على وجه الأرض عبد أحب إلى الله من يعقوب ، وقال هشام عن يونس عن الحسن ثلاث وعمانون سنة ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة فلبث عنده ثمانين سنة وعاش بعدها ثلاثا وعشرين سنة فلبث بالعزرون ومات سنة وقال قتادة كان يعقوب خمس وثلاثون سنة وقال محمد بن إسحق : ذكروا أنه أعلم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة ، قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب علم على السلام بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله إليه . وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة (١) وستون إنسانا وخرجوا منها وهم ستاة ألف وسبعون ألفا ، وقال أبو إسحق عن مسروق دخلوا وهم ثمانية وثلاثون بين رجل وامرأة طافه أعلم . وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وعمانون إنسانا صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم واتمام وخرجوا منها وهم ستاة ألف ونيف .

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به عز وجل لما تمت نعمة الله عليه بإيجاعه بأبويه وإخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما آتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من التبيين وللرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جلجل برقع أسبغ عليه اللوت ويقول « اللهم في الرقيق الأمل » ثلاثاً ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام والحق بالصالحين إذا جاء أجله وأخفى عمره ، لا أنه سأل ذلك منجزاً كما يقول الداعي لغيره أماتك الله على الإسلام ، ويقول الداعي اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سالماً فيماتهم كما قال قتادة قوله (توفي مسلماً وألحقني بالصالحين) لما جمع الله فيه وأمر عنه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكوها ونضارتها اشتاق إلى الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول ماتني بني قتل اللوت قبل يوسف عليه السلام ، وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أنه أول بني دعابك وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحاً أول من قال (رب اغفر لي ولوالدي ولن دخل بيني وموئلا) ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك وهو ظاهر سياق قول قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتعين أحدكم اللوت لضر نزل به ، وأخرجاه فان كان ولا بد متنيا اللوت لقليل اللهم أحيي ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفي إذا كانت الوفاة خيرا لي » وأخرجاه في الصحيحين ، وعندهما « لا يتعين أحدكم اللوت لضر نزل به إما محسنا فيزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعجب ، ولكن لقليل اللهم أحيي ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفي إذا كانت الوفاة خيرا لي » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو القعيرة حدثنا معاذ بن ربيعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا وزقنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال يا ليتني مت ، فقال النبي ﷺ « يا سعد أعندي تمنى اللوت ؟ » فردد ذلك ثلاث مرات ثم قال « يا سعد إن كنت خلقت لجنة فطال من عمرك وحسن من عمرك فبوخريك » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس هو مسلم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

أنه قال « لا يتعين أحدكم اللوت لضر نزل به ولا يمنع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق به ، فإنه إذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمله إلا خيرا » فخر به أحمد ، وهذا فيما إذا كان الضريح خاصا به ، وأما إذا كان قننة في الدين فيجوز سؤال اللوت كما قال الله تعالى إخبارا عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهدم بالقتل (قلوا ربنا أفرغ علينا سيرا وتوفنا مسلمين) وقالت مريم لما أجابها المخاض وهو الطلق إلى جنين النحلة (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) لما علمت من أن الناس يتفوقونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت وقد قالوا (يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فبذل الله لها من ذلك الحلال فرجا وخرجا وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومسجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه . وفي حديث معاذ بن رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة النمام والدعاء الذي فيه « وإذا أردت بقوم قننة فاقضي إليك غير مفتون »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة أنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن حاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن ليد مرفوعا أن النبي ﷺ قال « اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره اللوت واللوت خير للمؤمن من الفتن ، ويكره قننة المال وقننة المال أقل للحساب » فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال اللوت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال : اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئمتوني . وقال البخاري رحمه الله لما وقت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ما جرى قال : اللهم توفي إليك وفي الحديث « إن الرجل ليمر بالفتن - أي في زمان السجال - فيقول يا ليتني مكانك » لما يرى من الفتن والازلال

والبلابل والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون . قال أبو جعفر بن جرير: وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا يوسف ما فعلوا استغفر لهم أيوم غلب عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح اللري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال إن الله تعالى لما جمع ليعقوب همه بينه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألسنم قد علمنم ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا بلى ، قال فيترك عفوها عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبا ناسا أتنا أيتناك لأمر لم نأتك لأمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنامثله قط حتى حركوه والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية قال ما لكم يا بني ؟ قالوا ألسنم قد علمت ما كان منا إليك وما كان منا إلى أيتنا يوسف ، قال بلى ، قالوا أو لسنم قد غفرنا لنا ؟ قالوا بلى ، قالوا فان عفوكم لا ينش عنا شيئا إن كان الله لم يغف عنا ، قال فما تريدون يا بني ؟ قالوا نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من الله بأنه قد عفا عنا فترتأعينا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا مرة عين في الدنيا لنا أبدا ، قال فقام الشيخ فاستقبل القبة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفها أذلة خاشعين ، قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فمهم عشرين سنة ، قال صالح اللري يخيفهم قال حتى إذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام فقال إن الله تعالى قد بعث إليك أجيلا بأنه قد أجاب دعوتك في وفاء وأن الله تعالى قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد موافقتهم من بعدك على البوة . هذا الأمر موقوف عن أنس . ويزيد الرقاشي وصالح اللري ضيفان جدا ، وذكر السدي أن يعقوب عليه السلام لما حضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحق ، فلما مات صبره وأرسله إلى الشام فدفن عندهما عليهم السلام .

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ • وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ عَرَّضْتِ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

يقول تعالى الحمد لله لما قص عليه نبأ إخوة يوسف وكيف رقه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من السوء والمهلك والاعدام هذا وأمثاله يا محمد من أخبار التوب السابقة (نوحه إليك) وتعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك (وما كنت لديهم) حاضرا عنهم ولا مشاهدا لهم (إذ أجمعوا أمرهم) أي على إقامته في الحب (وهم يكررون) به ، ولكننا أعلمناك به وجا إليك وإنزالا عليك كقوله (وما كنت لديهم إذ يقولون أقلامهم) الآية وقال تعالى (وما كنت بجانب التري إذ قضينا إلى موسى الأمر) الآية إلى قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) الآية ، وقال (وما كنت ثاوبا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) الآية وقال (ما كان من علم باللا الأعلى إذ خصمون) إن يوحى إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى إنه رسوله وإنه قد أطلعه على أنباء ما فسق بمناجيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) كقوله (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات وقوله (وما تسألهم عليه من أجر) أي ما تسألهم على هذا النصح والهدى إلى الخير والرعد من أجر أي من جالة ولا أجره بل ضمه ابتداء وجه الله ونصحا لحلقه (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة .

(وَكَانَ مِنْ عَائِيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُجُونِ عَلَيْنَا وَهُمْ عَنْهَا مُمْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ • أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

خبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات . والجبال مسخرات ، وكم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات . وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطيات ، وقدر شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحیوان ونبات ، وثمرات متشابهة وختلاف في الطعوم والروائح والألوان والصفات فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات ، للنفرد بالودام والبقاء والسمدية للأسماء والصفات ، وغير ذلك

وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون به . وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي وقادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وفي الصحيحين : أن المشركين كانوا يقولون في تلييتهم : لييك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا لييك لا شريك لك قال رسول الله ﷺ « قد قد » أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا ، وقال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وهذا هو الشرك الأعظم بعد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وقال الحسن البصري في قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ذلك النافق يعمل إذا عمل رياء الناس وهو مشرك بسببه ذلك يعني قوله تعالى (إن النفاقين بخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وتم شرك آخر خفي لا يشعر به ظاهرا فاعله كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال : دخله حديثه على مريض فرأى في عضده سيرا قطعته — أو اتزعه — ثم قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وفي الحديث « من حلف بنير الله فقد أشرك » رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر ، وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرقي والتقامم والتولة شرك » وفي لفظ لها « الطيرة شرك وما لنا إلا ولكن الله ينهبه بالثوكل » ورواه الإمام أحمد بأيسر من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فاتى إلى الباب فتحنن وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت وإته جاء ذات يوم فتحنن وعندي عجوز ترقين من الحمة فأدخلتها تحت السرير ، قالت فدخل فجلس إلى جاني فرأى في عنقي خيطا فقال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت خيطا رقي فيه فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقي والتقامم والتولة شرك » قالت : قلت له لم تحول هذا وقد كانت عيني تهذب فسكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقها فكان إذا رقاها سكنت ، فقال إنما ذاك من الشيطان كان ينهبها ييده فلذا رقاها كف عنها إنما كان يكفك أن تقول كما قال النبي ﷺ « أذهب البأس ، رب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عكيم وهو مريض فعوم قيل له لو تعلقت شيئا ، فقال أعلق شيئا وقد قال رسول الله ﷺ « من تعلق شيئا وكل إليه » ورواه النسائي عن أبي هريرة . وفي مسند الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « من علق تيممة فقد أشرك » وفي رواية « من تعلق تيممة فلاثم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وعن الملا عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رواه مسلم . وعن أبي سعيد بن أبي قحافة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادى مناد من كان أشرك في عمل عملة فيطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الإمام أحمد . وقال أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد يعني ابن الماد عن عمرو بن عمرو بن لبيد أن رسول الله ﷺ

دبرهان هو وكل من اتبعه يدمو إلى مادنا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقل وشرعى ؛ وقوله (وسبحان الله) أى واتزاله وأجبه وأعظمه وأقدس من أن يكون له شريك أو نظير أو عدل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير تبارك وتقدس وتزهى وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَنْظُرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾

خبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لإيمان النساء وهذا قول جمهور العلماء كادل عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحى تشرع. وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات واحتجوا بأن لللائكة بشرت سارة يلسق ومن وراء إسحق يسقوب وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية وبأن لللك جاء إلى مريم فقصرها بيسى عليه السلام وبقوله تعالى (إذ قالت لللائكة يا عيسى إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) يا مريم اتقي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) وهذا القدر حاصل لمن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا يملك فيه ويحق الكلام معه في أن هذا هل يكنى في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا ؛ الذى عليه أهل السنة والجماعة وهو الذى قاله الشيخ أبو الحسن على بن إسحاق الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صديقات كما قال تعالى خبراً عن أثر فيهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام) فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدقية فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والاعظام فهي صديقة بنس القرآن . وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) الآية أى ليسوا من أهل الباء كقلم وهذا القول من ابن عباس يشتد بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من الرسلين إلا إهم ليا كلون الطعام ويعشون في الأسواق) الآية وقوله تعالى (وما جعلناكم جسداً ليا كلون الطعام وما كانوا خالدين) ثم صدقهم الوعد فأعينهم ومن نشاء وأهلكنا للسرفين) وقوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) الآية وقوله (من أهل القرى) المراد بالقرى المدن لأنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طباعاً وأخلاقاً وهذا هو للمهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعاً وألطف من أهل بواديهم وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى (الأعراب أشد كفراً وثقافاً) الآية وقال قتادة في قوله (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحل من أهل الصحود ، وفي الحديث الآخر أن رجلاً من الأعراب أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فلم يزل عليه ويزيده حتى رضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد هممت أن لا أذهب به إلا من قرشى أو أنصارى أو حتى أو دوسى »

وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمشى عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال قال الأعمشى هو عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « للؤمن الذى غلط الناس وصبر على أذامهم خير من الذى يغالطهم ولا يصبر على أذامهم » وقوله (أفلم ينظروا في الأرض) يعنى هؤلاء الكافرين لك يا محمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى من الأمم للكدية للرسول كيف دمر الله عليهم والكافرين مثالها كقوله (أفلم ينظروا في الأرض فتكون لهم قلوب يشعلون بها) الآية فإذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى (ولدار الآخرة خير للذين آمنوا) أى وكأجبنا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهى خير لهم من الدنيا بكثير كقوله (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار) وأضاف الله إلى الآخرة فقال (ولدار الآخرة)

كما يقال صلاة الأولى ومسجد الجامع وعام أول وبارحة الأولى ويوم الخميس . قال الشاعر :
 أمدح قمعا وتذم عبسا * الله أمك من هجين * ولو أقوت عليك ديار عبس *
 عرفت أهل عرفان الفين (حتى إذا استيقن الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشأه ولا يرُدُّ بأسنا عن
 القوم المجرمين)

يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوال
 الأوقات إليه كقوله تعالى (وززلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) الآية وفي قوله (كذبوا)
 قراءتان إحداهما بالتشديد قد كذبوا ، وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها تهرؤها ، قال البخاري حدثنا عبد العزيز
 ابن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له وهو سألها
 عن قول الله تعالى (حتى إذا استأيسر الرسل) قال قلت أم كذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة كذبوا قلت فقد استيقنوا أن قومهم
 كذبهم فما هو بالظن ؟ قالت أجل لمرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لها (وظنوا أنهم قد كذبوا) ؟ قالت معاذ الله ما تكن الرسل
 تظن ذلك برها (قلت فهاذه الآية ؟ قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربههم وصدقهم فقال عليهم البلاء واستأخروهم
 النصر (حتى إذا استأيسر الرسل) عن كذبهم من قومهم وظنن الرسل أن أتباعهم قد كذبهم جاءهم نصر الله عند ذلك
 حدثنا أبو الهيثم أنبأنا شعبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقلت لها لم لها قد كذبوا عتقة ؟ قالت معاذ الله . انتهى ما ذكره ،
 وقال ابن جرير أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن عباس قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة
 ثم قال لي ابن عباس كانوا يضربونهم (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن
 جرير وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدا ﷺ من شيء
 إلا قد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل بالبلاء الرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبهم . قال ابن أبي
 مليكة في حديث عروة كانت عائشة تهرؤها (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أنا يونس
 ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : جاء إنسان إلى القاسم بن محمد فقال إن
 محمد بن كعب القرظي قرأ هذه الآية (حتى إذا استأيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فقال القاسم أخبره عن أبي
 سميت عائشة زوج النبي ﷺ قوله (حتى إذا استأيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) تقول كذبتم أتباعهم . إسناده
 صحيح أيضا . والقراءة الثانية بالتخفيف ، واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم ، وعن ابن مسعود رواه
 سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ (حتى إذا استأيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة
 قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما يخالف لما رواه آخرون عنهما . أما ابن عباس
 فروى الأعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله (حتى إذا استأيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال لما أيسر
 الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبهم جاءهم النصر على ذلك (فنجي من نشأه) وكذا
 روى عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية بن أبي طلحة والوقوف عن ابن عباس بثله
 وقال ابن جرير حدثني التي حدثنا عازم أبو الهيثم حدثنا حماد بن زيد حدثنا شبيب حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزي
 قال : سألت فقي من قريش سعيد بن جبير قال أخبرنا أبا عبد الله كيف هذا الحرف قال إذا أبيت عليه تمت أن لا أقرأه
 السورة (حتى إذا استأيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال نعم حتى إذا استأيسر الرسل من قومهم أن يصدقهم
 وظن الرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ، فقال الضحاك بن مزاحم ما رأيت كالיום قط رجلا يدعي إلى علم فيلسوكا لورحلت
 إلى اليمن في هذه كان قليلا ، ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر أن مسل بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك
 فأجاب بهذا الجواب قام إلى سعيد فاعتقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عنى وهكذا روى من غير وجه عن سعيد بن
 جبير أنه فسرها كذلك وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف حتى إن مجاهدا قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا)

فتح القائل . رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله (وطلنوا أنهم قد كذبوا) إلى أتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيد إلى الكافرين منهم أى وطلن الكفار أن الرسل قد كذبوا حقيقة فيما وعدوا به من النصر ، وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن عيسى (١) بن زياد الضبي عن عيسى بن حمزة (٢) قال سمعت عبدالله بن مسعود يقول في هذه الآية (حق إذا استيقن الرسل) من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وطلن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتخفيف . فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكسبة وردة وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى لقد كان في خبر الرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين (عبرة لأولى الألباب وهي القول (ما كان حديثاً يُفترى) أى وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، أى يكذب ويختلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى من الكتب للنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير وحكم عليها بالنسخ أو التفرير (وتفصيل كل شيء) من تحليل وتحريم ومحرم ومكروه وغير ذلك من الأمور بالطلاعات والواجبات والمستحبات والتهى عن المحرمات وما شاكلها من اللكروهاات والإخبار عن الأمور الجلية وعن الصيوب للستجة الجملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن عائلة المخلوقات فلهذا كان (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) تهتدى به قلوبهم من التى إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويتشئون به الرحمة من رب البادية في هذه الحياة الدنيا ويوم للماد ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يغفر بالرجع للبيضة وجوههم الناضرة ، ويرجع للسودة وجوههم بالصفقة الحاسرة . آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام وهه الحمد ولله وبه والستعان

(تفسير سورة الرعد وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ الْمَرَّةَ تِلْكَ ءَاتَتْ الْكِتَابَ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

أما الكلام على الحروف القطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة وقدما أن كل سورة ابتدأت بهذه الحروف فحقها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ولهذا قال (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقناة وفيه نظر بل هو يبدئهم عطف على ذلك عطف صفات فقال (والذى أنزل إليك) أى يا محمد (من ربك الحق) خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله (والذى أنزل إليك من ربك) هذا هو الصحيح للطابق لتفسير مجاهد وقناة واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدما ، واستشهد بقول الشاعر : إلى الملك القرم وابن المهام • وليث الكيفية في الزحمة وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كقولهم (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أى مع هذا البيان والجلاد والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من التفاق ، والناد والنفاق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِتَرْتِيبٍ عَمَدٍ تَرْوَاهُنَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلٌّ مِنْ بَحْرِ الْمَاءِ

(١) في نسخة ابن جرير جش (٢) في نسخة السكة جماعة في نسخة ابن جرير حذف القائل والصواب الذي في الطبري أنه عزله بالزاي المسجدة .

لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُذِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِمَنْ يَشَاءُ رَبُّكُمْ تُوَفَّقُونَ

غير تعالى عن كل قدرته وعظم سلطانه أنه الذي يذنه وأمره رفع السموات بغير حمد بل يذنه وأمره وتسخيرها من الأرض بعدا لاتتال ولا يدرك مداها ، فالسما الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وأرجائها مرضعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينا وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ومكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسما الدنيا وما حوت وبينهما من بعد للسيرة خمسمائة عام ومكها خمسمائة عام وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية . وفي الحديث « مالمسوات السبع وما بينهن في الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المهد كتلك الحلقة في تلك القلعة » وفي رواية « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » وجاء عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد ما بين قطره مسيرة خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء . وقوله (بغير حمدترونها) روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقادة وغير واحد أنهم قالوا لها بعد ولكن لاترى ، وقال إياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا بعد وكذا روى عن قتادة وهذا هو الاتفاق بالساق ، والظاهر من قوله تعالى (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) ضل هذا يكون قوله (ترونها) تأكيداً لنفي ذلك أي مرفوعة بغير حمد كما ترونها وهذا هو الأصل في القدرة ، وفي شعر أمية ابن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ، وروى يزيد بن عمرو بن قنبل رضى الله عنه

وأنت الذي من فضل من روحه • بشت إلى موسى رسولا مناديا • قتلته فاذهب وهرون فادعوا
إلى الله فرعون الذي كان ظافيا • وقولا له هل أنت سويت هذه • بلا وتد حتى اسفلت كما هيا
وقولا له آأنت رفعت هذه • بلا حمد أو فوق ذلك بانيا • وقولا له هل أنت سويت وسطها
منيرا إذا ما جئت الليل هاديا • وقولا له من يرسل الشمس غدوة • فيصبح باسم من الأرض ضاحيا
وقولا له من أثبت الحب في الثرى • فيصبح منه الشب يهتز رايا
وخرج منه جبه في رموسه • ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تدم تفسيره في سورة الأعراف وأنه يمر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، تعالى الله علوا كبيرا . وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) قيل المراد أنهما يجريان إلى اخطأعما قيام الساعة كقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وقيل المراد إلى مستقرها وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر فانهما سائر الكواكب إذا وصلوا هناك يكونون أبعد ما يكون عن العرش لأنه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة قية ما يلي العالم من هذا الوجه وليس محيط كسائر الأفلاك لأن له قوام وحلة يحملونه ، ولا يتصور هذا في الفلك للتدوير وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة والله الحمد والمنة . وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السائرة السبعة التي هي أشرف وأعظم من الثوابت فإذا كان قد سخر هذه فلا بد أن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى كما به قوله تعالى (لتسجدوا للشمس والقمر والشمس والقمر لهما) الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) مع أنه قد صرح بذلك بقوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) ، وقوله (يفصل الآيات لمسلم بقاء ربكم توفقون) أي بوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو وأنه يبدأ الخلق إذا شاء كما بدأه .

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . وفي الأرض قطع متجاورات وجئت من أعين

وَذَرَعَ وَنَخِيلَ صَيَوَانَ وَقَعِيرَ صَيَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَفُضِّلَ بَعْضُهُا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَسْكَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوي شرع في ذكر قدرته وحكمته وأحكامه للعالم السفلي فقال (وهو الذي عمد الأرض) أي جعلها متعمة متممة في الطول والعرض وأرسلها بجبال راسيات شاعات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقى ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح (من كل زوجين اثنين) أي من كل شكل صنفان (ينضئ الليل النهار) أي جبل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فإذا ذهب هذا غشي هذا وإذا انقضى هذا جاء الآخر فيصرف أيضا في الزمان كما تصرف في المكان والسكان (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في آلاء الله وحكمته ودلالته . وقوله (وفي الأرض قطع متجاورات) أي أراض مجاور بعضها بعضا مع أن هذه طيبة خبت ما ينفع الناس وهذه سيئة ملحة لا تلبث شيئا . هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ، ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان باقع الأرض فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه صخرية وهذه سهلة وهذه مرملة وهذه سميكة وهذه رقيقة والكلمة متجاورات فهذه بصنعتها وهذه بصفتها الأخرى فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقوله (وجنات من أعناب وزرع ونخل) يحتمل أن تكون عاطفة على جنات فيكون (وزرع ونخل) مرفوعين . ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب فيكون مجرورا ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأمة . وقوله (صنوان وغير صنوان) الصنوان هو الأصول المجتمعة في ثمت واحد كالزمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ومنه مسمى عم الرجل صنو أبيه كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لمرء « أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » وقال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحق عن البراء رضي الله عنه : الصنوان هي التخلات في أصل واحد وغير الصنوان للتفرقات . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد . وقوله (تسقى بماء واحد) وقضيل بعضها على بعض في الأكسل) قال الأصمعي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (وقضيل بعضها على بعض في الأكسل) قال « البقل والفارسي والحلو والحامض » رواه الترمذي وقال حسن غريب أي هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذا في غاية الخلوة وهذا في غاية الجوضنة وفا في غاية الرارة وفا غصن وهذا علب وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها كلها تنمذ من طبيعة واحدة وهو لئلا مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضب ، ففي ذلك آيات لمن كان واعيا ، وهذا من أعظم الدلالات على التماثل المختار الذي بقدرته فأتت بين الأشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى (إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون)

﴿ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَهَذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ أَنَا لَقِيَ خَلْقَ جَدِيدٍ أَوْ لَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأُوْلَئِكَ الْأُخْلَلُ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ (وإن تعجب) من تكذيب هؤلاء الشركين بالعالم مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء ومع ما يستفرون به من أنه ابتداء خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيجد العالم خلقا جديدا وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به فالعجب من قولهم (أنما كنا ترابا إنما لقي خلق جديد) وقد علم كل عالم وعالم أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالإعادة عليه أسهل كآيات تعالى (أولم يروا أن الله الذي

خلق السموات والأرض ولم يبي تخلفن بقادر على أن يحيي الموتى إلى إنه على كل شيء قدير) ثم نعت للكافرين بهذا فقال (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم) أي يسبحون بها في النار (وأولئك أصحاب النار فيها خالدون) أي ما يكونون فيها أبدا لا يموتون عنها ولا يزولون .

(وَيَسْتَجِيبُكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِقَائِهِ عَلَى ظَنِّهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ)

يقول تعالى (ويستجيبونك) أي هؤلاء الكاذبون (بالسيئة قبل الحسنة) أي بالعقوبة كما أخبر عنهم في قوله (وقالوا يا أيها الذي أنزل عليه الذكر إنك لنجنون ، لو ما تأتينا باللائمة إلا إن كنت من الصادقين ، ما نزل لللائمة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقال تعالى (ويستجيبونك بالعذاب) الآيتين وقال تعالى (سأل سائل عذاب واقع) (ويستجيب بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويطوفون أنها الحق) (وقالوا ربنا جعل لنا فطنا) الآية أي عقابنا وحسابنا كما قال خبرنا عنهم (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فكأنوا من عند تكذيبهم وعنادهم وكفروهم يطلبون أن يأتيهم عذاب الله قال الله تعالى (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أي قد أوتينا نعمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم عمرة وعقلة لمن انتظ بهم ، ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لما جلبهم بالعقوبة كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال تعالى في هذه الآية السكرية (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي إنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليمتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى (فإن كذبوك قتل ربكم خوفاً ورحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقال (إن ربك لسريع العقاب وإنه لنفور رحيم) وقال (نهى عباده أني أنفقوا الرجم) وأن عذابي هو العذاب الأليم) إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) الآية قال رسول الله ﷺ «لولا عفو الله وتجاوزة ما كنا أحدا الميث ولولا وعيده وعقابه لا تنك كل أحد» وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الرمادي^(١) أنه رأى رب المزة في النوم ورسول الله ﷺ واقفين بيديه يشفع في رجل من أمته فقال له ألم يكلمك أني أنزلت عليك في سورة الرعد (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ثم انتهت

(وَقِيلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِّنْ وَرَاءِ إِنَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعنادا لولا يأتيها آية من ربه كما أرسل الأولون كما احتسوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن يزع عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً قال تعالى (وما نمنا أن نرسل بالآيات إلا أن نكذب بها الأولون) الآية قال الله تعالى (إنما أنت منذر) أي إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها ، و (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (ولكل قوم هاد) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي ولكل قوم داع ، وقال الموفى عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم وكذا قال محمد وسعيد بن جبير والشناك وغير واحد وعن مجاهد (ولكل قوم هاد) أي نبي كقوله (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد وقال أبو صالح وعبيد بن رافع (ولكل قوم هاد) أي قائد وقال أبو العالية : الهادي القائد والقائد الإمام والإمام الممل وعن عكرمة وأبي الشعي (ولكل قوم هاد) قالوا هو محمد ﷺ وقال مالك (ولكل قوم هاد) يدعوهم إلى الله عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الحارثي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت (إنا أنزلنا من قبلنا كتابنا بالحق) قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « أنا المنزل ولكل قوم هاد » وأومأ بيده إلى منكب على فقال « أنت الهادي يا علي بك يهتدى للبهتود من بدى » وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا للطلب بن زياد عن السدي عن عبد خير عن علي (ولكل قوم هاد) قال الهادي رجل من بني هاشم قال الجنيدي هو علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك .

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدُّوا وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعِقْدَارٍ * عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)

يجر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل ناث الحيوانات كما قال تعالى (ويعلم ما في الأرحام) أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح . أو شق أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كقوله تعالى (هو أعلم بك إذ أنشأكم من الأرض وإذ أتم أجنه) الآية وقال تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) أي خلقكم طورا من بعد طور كما قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلاة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا لقطة مضغة فخلقنا لقطة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن خلق آدمكم يصعب في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وعمره وعمله وشق أو سعيد » وفي الحديث الآخر « يقول للآلئ أي رب أذكر أم أنثى ؟ أي رب أشق أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيقول الله ويكتب الملك » وقوله (وما تغيص الأرحام وما تزداد) قال البخاري حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « مفاتيح القيب خمس لا يعلم إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيص الأرحام إلا الله . ولا يعلم متى يأتي للطر أحد إلا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله » وقال الموفى عن ابن عباس (وما تغيص الأرحام) يعني السقط (وما تزداد) يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى وفاته تماما وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومن تحمل تسعة أشهر ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص فنلك القيبس والزيادة التي ذكر الله تعالى وكل ذلك بعلمه تعالى . وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وما تغيص الأرحام وما تزداد) قال ما قصت من تسعة وما زاد عليها ، وقال الضحاك وضعت أي وقد حملت في بطنها ستين ولدت وقد نبتت نبتى وقال ابن جريج عن جبلة بنت سعد عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من ستين قدرا ما يتحرك ظل مغزل ، وقال مجاهد (وما تغيص الأرحام وما تزداد) قال ما ترى من الدم في حملها وما تزداد على تسعة أشهر وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك وقال مجاهد أيضا إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض وقاله عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد وقال مجاهد أيضا (وما تغيص الأرحام) إراقة الدم حتى يغش الولد (وما تزداد) إن لم تهرق الدم ثم الولد . وعظم ، وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يجزن ولا يتم وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيشة فمن ثم لا تحيض الحامل ، فلذا وقع إلى الأرض استهلا واستهلا استنكاره لمكانه فلذا قطعت سرته حول الله رزقه إلى ثدي أمه حتى لا يجزن ولا يطلب ولا يصير طفلا يتناول الشيء بكفه فإكله فلذا هو بلغ قال هولوت أو القتل آتى إلى بالرزق ؟ فيقول مكحول يا ويحك ، غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى إذا اشتدت وعقلت قلت هو الوت أو القتل آتى إلى بالرزق ، ثم قرأ مكحول (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) الآية وقال

قادة (وكل شيء عنده بمقدار) أى بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجلهم وجعل لذلك أجلا معلوما . وفي الحديث الصحيح أن إحدى بنات النبي ﷺ بشت إليه أن ابناً لها في اللوت وأنها تحب أن يحضره فيبث إليها يقول « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فروها فلتصبر ولتحتسب » الحديث ثمانية ، وقوله (عالم التيب والشهادة) أى يعلم كل شيء عما يشاهده العباد وما ينبغي عنهم ولا يخفى عليه منه شيء (الكبير) الذى هو أكبر من كل شيء (التمام) أى على كل شيء (قد أحاط بكل شيء علما) وقهر كل شيء فخصته له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها .

(سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَبَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه وأنه سواء منهم من أسر قوله أو جبر به فإنه يسمه لا يخفى عليه شيء كقوله (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وقال (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وقالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذى وسع همه الأسوات ، والله لقد جاءت المجادلة تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى على بعض كلامها فأئزله الله (قد سمع الله قول الذى تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله) والله يسمع تحاوركما إن الله سميع عليم) وقوله (ومن هو مستخف بالليل) أى مخفى في قصر بيته في ظلام الليل (وسارب بالنهار) أى ظاهر ماشى في بياض النهار وضياؤه فإن كلامها في علم الله على السواء كقوله تعالى (ألا حين يستثشرون بينهم) الآية وقوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يهرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أسفر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) . وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أى لعبد ملائكة يتابعون عليه حرس بالليل وجرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فأتان عن المؤمنين واليهال يكتبان الأعمال صاحب المؤمنين يكتب الحسنات وصاحب المشرك يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من مقدمه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافضان وكتابتان كاجاء في الصحيح « يتابعون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركتهم وهم يسلون » وفي الحديث الآخر « إن معكم من لا يخافكم إلا عند الحلال وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم » وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) والمعقبات من الله هي الملائكة ، وقال عكرمة عن ابن عباس (يحفظونه من أمر الله) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فلذا جاء قدر الله خلوا عنه ، وقال مجاهد مامن عبد إلا له ملائكة يحفظونه في نومه ومقتلته من الجن والإنس والمحوام فأنها شيء يأتيه يريدته إلا قال له : للآلئ وراك إلا شيء أذن الله فيه فيصيه .

وقال الثوري عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال ذلك ملائكة من ملوك الدنيا لحرس من دونه حرس ، وقال السوفي عن ابن عباس (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) يعنى ولى السلطان يكون عليه الحرس ، وقال عكرمة في تفسيرها هؤلاء الأمراء اللواكب من بين يديه ومن خلفه ، وقال الضحاك في الآية هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك ، والظاهر والله أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس للملائكة لعبد يشبه حرس هؤلاء الملوكهم وأمرائهم ، وقد روى الإمام أبو جعفر

ابن جرير ربهنا حديثاً غريباً جداً فقال حدثني إسماعيل بن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة المدوني قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن البدر كم منه من ملك ؟ فقال « ملك على بينك على حسناتك وهو أمير على الدنيا على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرة ، وإذا عملت سيئة قال الله لي الشيطان الذي على اليمين أكتبها ؟ قال لا ، لأنه يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثاً قال أكتبها أرحاماً الله منه فيسب القرين ، ما أقل مراقبته فله وأقل استجابه منا ، يقول الله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى (له مقببات من بين يديه ومن خلفه) - الآية - وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفصك ، وإذا تجبرت على الله قصصك ، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحبة في فيك وملكان على عينيك فهو لاء عشرة أملاك على كل آدمي ، يزولون ثلاثاً الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار عشرون ملكاً على كل آدمي ، وإليس بالنهار وولده بالليل . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا وإياك يا رسول الله ، قال « وإياي ولكن الله أعاني عليه فلا يأمرني إلا بخير » انشرد بأخراجه مسلم وقوله (يحفظونه من أمر الله) قيل المراد حفظهم له من أمر الله رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة (يحفظونه من أمر الله) قال وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر الله ، وقال كعب الأبحار : لو نجى لابن آدم كل سهل وكل حزن لراى كل شيء من ذلك شيئاً يقينه لولا أن الله وكل بكم ملائكة يديون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا تخططتم . وقال أبو أمامة ما من آدمي إلا ومعه ملك يندود عنه حتى يسلمه للذي قدره ، وقال أبو جهم : جاء رجل من مراد إلى علي رضي الله عنه وهو يصل فقال احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك فقال إن مع كل رجل ملكين يحفظانه بما لم يقدّر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه . إن الأجل جنة حسنة ، وقال بعضهم (يحفظونه من أمر الله) بأمر الله كما جاء في الحديث أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت رقباً نسترق بها هل ترد من قدر الله شيئاً ، قال « هي من قدر الله » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حص بن غياث عن أشعث عن جهم عن إبراهيم قال أوصى الله إلى بني من أنبياء بني إسرائيل أن قل قومكم أنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتمولون منها إلى مصبة الله إلا حول الله منهم ما يجيئون إلى ما يكرهون ثم قال إن تصديق ذلك في كتاب الله (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقد ورد هذا في حديث مرفوع قال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرفي حدثنا الحسن بن علي حدثنا الهيثم بن الأصم السلمي حدثنا أبو حنيفة الجاني الأنصاري عن حمير بن عبد الملك قال : خطبنا على بن أبي طالب على منبر الكوفة قال : كنت إذا أمسكت عن رسول الله ﷺ ابتدأت وإذ أسأله عن الخبر أنبأت وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال « قال الرب وعز وجل والى وارتطاعى فوق عرشى ما من قرية ولا أهل بيت كانوا علي ما كرهت من مصيبتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابى إلى ما يحبون من رحمتي » وهذا غريب وفي إسناده من لأعرفه

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ • وَيَسْبَحُ الرَّفْعُ حَيْدَهُ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِجَالِ ﴾

غير تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلال السحاب ، وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي الجعد يسأله عن البرق قال: البرق: الماء . وقوله (خوفاً وطمعا) قال قتادة خوفاً للمسافر يخاف

أذاه ومشقته وطعما للمقم يرجو بركته ومنفته ويطمع في رزق الله (ويشبه السحاب الثقال) أي وخلفتها منشأة جديدة وهي لشكره ما بها هبة قريبة إلى الأرض، قال مجاهد : السحاب الثقال الذي فيه لواء قال (وسبح الرعد بحمده) كقوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال كنت جالسا إلى جنب حيد بن عبد الرحمن في المسجد فر شيخ من بني غفار فأرسل إليه حيد فلما أقبل قال يا ابن أخي وسع فيا بيني وبينك فإنه قد صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه حتى جلس فيا بيني وبينه فقال له حيد ما الحديث الذي حدثني عن رسول الله ﷺ فقال له الشيخ سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يشبه السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك » والراء والله أعلم أن نطقا الرعد وضحكها البرق ، وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال يبعث الله القيث فلا أحسن منه مضحكا ولا أنس منه منطقا فضحكه البرق ومنطقه الرعد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ، ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، وجه ثور ، وجه نسر ، وجه أسد فلذا مصع بذنه فذاك البرق ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال « اللهم لا تقتلنا بضيق ولا تهلكنا ببذابك » وعافنا قيل ذلك ، ورواه الترمذي والبخاري في كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسمه ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا سمع الرعد قال « سبحان من يسبح الرعد بحمده » وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له . وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والأسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون كذلك ، وقال الأوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد سبحان الله ومحمد لم تصبه ساعة ، وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده وللأسفة من خيفته . ويقول إن هذا لو عيد شديد لأهل الأرض رواه مالك في موطنه والبخاري في كتاب الأدب وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن معمر بن نهار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني لأستقيمهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولا أصمتهم صوت الرعد » وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذا كرا » وقوله تعالى (ورسد الصواعق فيصيب بها من يشاء) أي يرسلها قهمة ينقم بها ممن يشاء ولهذا تكررت في آخر القرآن كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا عمار عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تكسر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صمق فكم يكتم القعدة فيقولون سقى فلان وفلان وفلان » ، وقد روى في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الواسطي حدثنا إسحق حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعة العرب فقال « اذهب فأدعه لي » قال فذهب إليه فقال بدعوك رسول الله ﷺ ، فقال له من رسول الله ، وما الله ، أمن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا رسول الله قد خبرتك أنه أعنى من ذلك قال لي كذا وكذا ، فقال لي « ارجع إليه الثانية » فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعنى من ذلك . فقال « ارجع إليه فادعه » فرجع إليه الثالثة قال فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة جبال را سقرعدت فوقت منها ساعة فنهبت بجمع رأسه فأرسل الله عز وجل (ورسد الصواعق) الآية ، ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبيدة بن عبد الله عن زيد

ابن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر نحوه وقال : حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا أبان بن يزيد حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن سحار البدي أنه بلغه أن النبي ﷺ بعث إلى جبار يدعوهم فقال أرايتكم أذهب هو ؟ أم قضا هو ؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال فيينا هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت فأرسل عليه ساعة فذهبت بحفف رأسه وزلت هذه الآية وقال أبو بكر بن عباس عن ليث بن أبي سلمة عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو ؟ من نحاس هو ، أم من لؤلؤ أو يا قوت ، قال فجاءت ساعة فأخذته وأزل الله (ويرسل الصواعق) الآية

وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأرسل الله ساعة فأهلكته وأزل الله (ويرسل الصواعق) الآية وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة لما قدم على رسول الله ﷺ المدينة فسأله أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله أما والله لأملاهما عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له رسول الله ﷺ « بأتى الله عليك ذلك وأبناء قيلة » يعني الأنصار ، ثم إنهما هما فالتك برسول الله ﷺ فبصل أحدهما مخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من وراءه فخام الله تعالى منهما وعصمه ، فخرج من المدينة فالتقا في أحياء العرب بمحمان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام فأرسل الله على أريد ساعة فيها ساعة فأحرقته ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فبصل يقول يا آل طمرغدة كندة البكر وموتى في بيت سلوية ، حتى ماتا لهنما الله ، وأزل الله في مثل ذلك (ويرسل الصواعق) فيصيب بها من يشاؤهم يجادلون في الله وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أريد يريته

أخشى على أريد الخوف ولا • أروهب نوء الهلك والأمد

فبصى الرعد والصواعق بال • فاراس يوم الكريمة النجد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا سمعة بن سعيد الطمار حدثنا إبراهيم بن النضر الحزامي حدثني عبد العزيز ابن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أريد بن قيس ابن حز بن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فأتيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ، فقال رسول الله ﷺ « لك ما للسلبيين وعليك ما عليهم » قال عامر بن الطفيل أنجعل لي الأمر إن أسلمت من بسلك ، قال رسول الله ﷺ « ليس ذلك لك ولا قومك ولكن لك أعة الحيل » قال أنا الآن في أعة خيل نجد أجعل لي الوبر ولك اللدر قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « لا » فلما قفلا من عنده قال عامر : أما والله لأملاهما عليك خيلا ورجالا فقال له رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « بمنك الله » فلما خرج أريد وعامر قال عامر يا أريد أنا أخفل عنك محمدا بالحدث فاضربه بالسيف فان الناس إذا قلت محمدا لم يزيدوا على أن يضربوا باليد ويكروهوا الحرب فتطمع المدينة ، قال أريد افل ، فأقبلا راجعين إليه فقال عامر يا محمد قم معي أكملك قتام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه وسل أريد السيف فلما وضع يده على السيف بيست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبسط أريد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فرأى أريد وما يصنع فاضرب عنهما فلما خرج عامر وأريد من عند رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرقة - حرقة راقم - رزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ ولبيد بن حضير فقالا لشخصا ياعدوى الله لنكنا الله فقال عامر من هذا يا سعد قال هذا أسيد بن حضير الكاتب فخرجنا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أريد ساعة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالحرير أرسل الله حرقة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فبصل بمن حرقة في حلقه ويقول غدة كندة الجبل في بيت سلوية يرغب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعا فأقر الله فيهما (الله يعلم ما تحمل كل شيء - إلى قوله - وما لهم من دونه من وال) قال للقبات من أمر الله يحفظون محمدا ﷺ ، ثم

ذكر أريد وماتله فقال (ويرسل الصواعق) الآية وقوله (وهم يجادلون في الله) أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو (وهو شديد المحال) قال ابن جرير: شديدة محالته في عقوبة من طغى عليه وعتا وعادى في كفره ، وهذه الآية شبيهة بقوله (ومكرنا ومكرنا مكرنا) وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عقوبة مكرهم أنامد نام وقومهم أجمعين) وعن علي رضي الله عنه (وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ ، وقال مجاهد: شديد القوة .

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَتِيبٌ غَفِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَبِيبٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (له دعوة الحق) قال التوحيد رواه ابن جرير ، وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن النكسر (له دعوة الحق) لإله إلا الله (والذين يدعون من دونه) الآية أي ومثل الذين يبدون آلهة غير الله (ككتيب غفيرة إلى الماء ليلبغ فاه) قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول غلاء من طرف البشر يده وهو لا يباله أبدأ يده فكيف يلبغ فاه ؟ وقال مجاهد (ككتيب غفيرة) يدعو للماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبدا . وقيل للراد كقباض يده على الماء فانه لا يحكم منه على شيء كما قال الشاعر :

فأني ولما كم وشوقا إليكم * كقباض ماء لم تنقع أمانه

فأصبحت عما كان بيني وبينها * من الود مثل القباض للماء باليد

وقال الآخر

ومعنى هذا السلام أن الذي يسطر يده إلى الماء إما قابضا وإما متناولا له من يدها أنه لا ينفع للماء الذي يصل إلى فيه الذي جعله حلا للشرب فكذلك هؤلاء الشركون الذين يبدون مع الله إلهة غيره لا يهتمون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)

﴿ وَهُوَ يُسْجِدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمٌ إِنَّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي تهر كل شيء ودان له كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين (وظلالهم بالندو) أي البكر (والآصال) وهو جميع أصيل وهو آخر النهار كقوله تعالى (أولم يردوا إلى مآخض الله من شيء يغيثو غلاله) الآية

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

يقرر تعالى أنه إله لا إله إلا هو لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء بعبودتهم وأولئك الألوهة لا تملك لأنفسها بطريق الأولى فما ولا ضرا أي لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوى من عبد هذه الألوهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ؟ ولهذا قال (قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم) أي أجعل هؤلاء الشركون مع الله آلهة تتأخر الرب وتغاث في الخلق فخلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره أي ليس الأمر كذلك فانه لا يشابه شيء ولا يماثله ولاند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) وإنما عبد هؤلاء الشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبد له كما كانوا يقولون في تليتهم : ليك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما

ملك وكما أخبر تعالى عنهم في قوله (مانعهم إلا ليعربونا إلى الله زلفى) فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (وكم من ملك في السموات) الآية وقال (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) لقد أحصاهم وعدهم عداً. وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) فإذا كان الجميع عبيداً فلم يجد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزعجهم عن ذلك وتتهمهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم وخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لأعمالهم (ولا يظلم ربك أحداً)

﴿ أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَايَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على ثلاثين مضيروين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفناؤه فقال تعالى (أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ) أى مطراً (فسالت أودية بغيرها) أى أخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيراً من الماء وهذا صغير وسع بقدره وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فيها ما يسع علماً كثيراً ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يشيق عنها (فاحتمل السيل زبداً رايًا) أى فجاهاً وجه الماء الذى سال في هذه الأودية زبد على هذا مثل وقوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع) الآية هذا هو الثلث الثانى وهو ما يسبك في النار من ذهب ابتغاء حلية أى ليحصل حلية أو ناعماً أو حديداً فيحصل متاعاً فانه يملوه زيد منه كما يملو ذلك زبد منه (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى إذا اجتمعا لا يثبت الباطل ولادولاه له كأن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال (فأما الزبد فيذهب جفاءً) أى لا يتبقى به بل يتفرق ويتحرق ويذهب في جاني الوادى وينطق بالبحر وتتصفه الريح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه يتبقى به ولهذا قال (وأما ما ينفع الناس في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) كقوله تعالى (وللك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقال بعض السلف كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فزأنتهم بكيت على نفس لأن الله تعالى يقول (وما يعقلها إلا العالمون) قال بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الآية هذا مثل ضرب به الله احتملت منه القلوب على قدر عقولها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله (فأما الزبد) وهو الشك (فيذهب جفاءً) وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وهو اليقين وكما يحمل الحق في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك، وقال الموفى عن ابن عباس قوله (أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رايًا) يقول احتمل السيل ما في الوادى من عود ودمنة (ومما يوقدون عليه في النار) فهو الذهب والفضة والحلية والناعمة والنحاس والحديد والنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شرب من الماء فأثبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جاءا من عند الله فمن عمل بالحق كان له ونقى كابق ما ينفع الناس في الأرض وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكينة ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه وتخرج جوده فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيخرج الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روى في تفسيره عن مجاهد والحسن البصرى وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف، وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين نارياً ومائياً ومهاولاً (مثلهم كمثل الذين استوفد نارا فلما أضاءت ما حوله) الآية ثم قال (أو كصيب من

الساء فيه ظلمات ورعد وبرق (الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة التور . (أهدمها) قوله (والذين كفروا أعلمهم كسراب) الآية والسراب إنما يكون في شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين فيقال لليهود يوم القيامة لما تريدون؟ فيقولون أي ربنا عطشنا فاستقنا فيقال ألا تردون ؟ فيردون النار فاذهاي كسراب يحطم بعضها بشئ ثم قال تعالى في ذلك الآخر (أو كظلمات في بحر لجي) الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن مثل ما بشئ الله به من الهدى والعمى كمثل كلب غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبل الماء فأثبتت الكلب والعشب الكبير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فغنى الله بها الناس فصرفوا ورعوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلبا فنكس مثل من قسه في دين الله وقسمه الله بما بشئ وضع به فلم يعلم » ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » فهذا مثل ما ورد في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عامر بن منبه قال حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « مثل ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أشاء ما حوله جعل الفرائش وهذه الدواب التي يقمن في النار تضئ فيها وجعل يحيزهن ويضلهن فيقتحمن فيها — قال — فذلك مثل ومثلكم أنا أخذ بحيزكم عن النار فلم عن النار فظلموني فقتلتموني فيها » وأخرجه في الصحيحين أيضا فهذا مثل ناري

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّمَّا مَتَّعَهُمْ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

يخرج تعالى عن مآكل السموات والأغنياء فقال (للذين استجابوا لربهم) أي أطاعوا الله ورسوله واتخذوا الأوامره وصدقوا أخباره للامنية والآية عليهم (الحسن) وهو الجزاء الحسن كقوله تعالى غيراً عن ذي القرنين أنه قال (أمان من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيضدبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسن وسقوله لمن أمرنا يسراً) وقال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقوله (والذين لم يستجيبوا له) أي لم يطيعوا الحق ولو أن لهم ما في الأرض جميعا) أي في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثلهم لا فتدوا ولكن لا يقبل منهم لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا (أولئك لهم سوء الحساب) أي في الدار الآخرة . أي يناقشون على التقير والظلم والجلبيل والحقير ومن نوقس الحساب عذب ، ولهذا قال (ومأواهم جهنم وبئس المهاد)

﴿ أَمَّن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَدَّكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

يقول تعالى لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي (أنزل إليك) يا محمد (من ربك) هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق به بشئ لا يضاد شئ منه شيئا آخر فأخباره كلها حق وأوامره ونواهيه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الأخبار ، وعدلا في الطلب فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يبتدى إلى خير ولا يفهم ولو فهمه ما شاهد الله ولا صدقه ولا تبعه كقوله تعالى (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال في هذه الآية الكريمة (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أي أنه لما كلفنا الاستواء وقوله (أعايتكم أولو الأبواب) أي إنما يتنظ ويستر ويقبل أولو القول السليمة الصحيحة جلتا الله منهم

﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْيَمِينُ ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشْيُ الدَّارِ • جَنَّتْ عَدْنُ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَاللَّاتِكَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ • سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١﴾

يقول تعالى عبراً عن انصف هذه الصفات الحميدة بأن لهم عشي الدار وهي العاقبة والصرة في الدنيا والآخرة (الذين يوفون بهد الله ولا ينقضون الميثاق) وليسوا كالنفاقين الذين إذا عاهد أحدكم غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كنذب ، وإذا اتهم خان) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل (من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمهاجرين وبئله المعروف) ويحشون ربه (أي فيما يأتون وما يندرون من الأعمال يراقبون الله في ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتدنية) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم (أي عن المحارم وللآثم قطعوا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه) وأقاموا الصلاة) بحسبها ومواقبتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي للرعي (وأقاموا بما رزقناهم) أي على الدين يجب عليهم الاتحاق لهم من زوجات وقربات وأجانب من قراء ومهاجرين ومسلمين (سرا وعلانية) أي في السر والجهر لم يمتنع من ذلك حال من الأحوال آتاه الليل وأطراف النهار (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدقون القبيح بالحسن ، فلذا أكرم أحد قلوبهم بالجبل صبرا واحتمالا وصفوا وعفوا كقولهم تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وما يقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) ولهذا قال عبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين هؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عشي الدار ثم قرر ذلك بقوله (جنات عدن) والعدن الإقامة أي جنات إقامة يخلدون فيها ، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حجرة لا يدخله إلا النبي أو صديق أو شهيد ، وقال الضحاك قوله (جنات عدن) مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بيد الجنات حولها رواها ابن جرير ، وقوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء من هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لشرع أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيس للأعلى عن درجته كما قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم) الآية وقوله (وللآلئكة يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) أي تدخل عليهم للآلئكة من ههنا ومن ههنا لثبته بدخول الجنة فتد دخولهم إليها فتد عليهم للآلئكة مسلمين مهتئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والائتمام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام ، وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثنا معروف ابن سويد الحارثي عن أبي عشة للمافري عن عبد الله بن عمرو بن الماص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « أول من يدخل الجنة من خلق الله القراء المهاجرون الذين تسبهم الثغور وتقي بهم للكفرة وموت أحدكم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : اتوم فجيوم فتقول للآلئكة : نحن سكان ميثاك وخيرتك من خلقك أتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول إنهم كانوا عباداً يبدون لا يهركون في شيا وتسبهم الثغور وتقي بهم الكفرة وموت أحدكم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء — قال — فتأبهم للآلئكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم فنعمة عشي الدار) » ورواه أبو القاسم الطبراني عن أحمد بن زهير عن أحمد بن محمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عشة مع عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « أول ثلة يدخلون الجنة قراء المهاجرين الذين تقي بهم الكفرة وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت رجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول ابن عبادي

الذين قاتلوا في سبيل وأوذوا في سبيل وجاهدوا في سبيل ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتى لللائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح بحمديك الليل والنهار ونشيدك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيل وأوذوا في سبيل فتدخل عليهم لللائكة من كل باب : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقال عبد الله بن المبارك عن ثبابة بن الوليد حدثنا أربطة بن النضر سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلسنت إلى أبي أمامة فقال : إن المؤمن ليكون منكنا على أركبته إذا دخل الجنة وعنده سلطان من خدم وعند طرف الساطين باب محبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا فيقول آخرهم للمؤمن انذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه انذنوا له حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواء ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن عمار عن أربطة بن النضر عن أبي الحجاج يوسف الإلهاني قال سمعت أبا أمامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان

﴿ وَالَّذِينَ يَقْتُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

هذا حال الأتقياء وصفاتهم وذكر ما لهم في الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون كما أنهم اتفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فأولئك كانوا يوفون بعهدهم الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، هؤلاء (يقتضون عهد الله من بدهم ميثاقه) وقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) كاتبت في الحديث « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفي رواية « وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولهذا قال (أولئك لهم العنة) وهي الإبعاد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي سوء العاقبة والمآل (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال أبو العالية في قوله تعالى (والذين يقتضون عهد الله) الآية قال هي ست خصال في المنافقين إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اتمنوا خانوا وقضوا عهد الله من بدهم ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال : إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اتمنوا خانوا

﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتطع على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدرجوا لهم وإمهلا كما قال (يحبسون أمتنا منهم به من مال وبنين نساير لهم في الحريات بل لا يشعرون) ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) كما قال (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظنون قليلا) وقال (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ورجي بن سعيد قالا : حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخى بن فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يحمل أحدكم أصبعه هذه في اليم فليظن بمرجع » وأشار بالسبابة رواء مسلم في صحيحه . وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت والأسك الصغير الأذنين فقال « والله الدنيا أهون على الله

من هذا على أنه حين القوة .

﴿ وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا أَرْثُ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّي قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ بَذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُ ۙ ﴾

يُخبر تعالى عن قبل الشركين (لولا) أي هلا (أُنزل عليه آية من ربه) كقولهم (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة وأن الله قادر على إجابة مسألوها ، وفي الحديث أنه ألوحى إلى رسوله لا سألوه أن يحول لهم الصفا ذهباً وأن يجري لهم ينبوعاً وأن يزج الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين ؛ إن مفتت يأمحمد أعطيتهم ذلك فإن كفروا أعذبهم عذاباً لا أعذب أحداً من العالمين وإن ثبثت فتحت عليهم باب التوبة والارحمة قال (بل فتتح لهم باب التوبة والرحمة) ولهذا قال رسوله (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليمن أناب) أي هو الضلل والهادى سواء بثت الرسول بآية على وفق ما اقتضوا أو لم يجرهم إلى سؤالهم فان الهداية والاضلال ليس منوطاً بذلك ولا عمنه كما قال (وما تنقي الآيات والسنن عن قوم لا يؤمنون) وقال (إن الذين خفت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا المنذاب الأليم) وقال (ولو أننا نزلنا إليهم اللطائف وكلهم للوفى وخسرنا عليهم كل شيء، قليلاً ما كانوا يؤمنوا) إلا أن يشاء الله ولكن أكرمهم بيهلون) ولهذا قال (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي ويهدي إليه من أناب إلى الله ورجع إليه واستان به وتضرع لديه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي تطلب وتركن إلى جانب الله وتكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيراً ولهذا قال (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي هو حقيق بذلك وقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: فرح ورقة بين . وقال عكرمة ثم ملهم ، وقال الضحاك غبطة لهم ، وقال إبراهيم النخعي خير لهم ، وقال قتادة هي كلمة عرية يقول الرجل طوبى لك أي أصبت خيراً وقال في رواية طوبى لهم حسن لهم (وحسن مآب) أي مرجع وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (طوبى لهم) قاله أرض الجنة بالحديشة ، وقال سعيد بن مسجع: طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا روى السدي عن عكرمة طوبى لهم هي الجنة به قال مجاهد وقال الموفى عن ابن عباس لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) وذلك حين أعصته .

وقال ابن جرير حدثنا ابن محمد حدثنا يعقوب بن يعقوب عن شهر بن حوشب قال طوى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أفضاها من وراء سور الجنة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي بصير بن أبي إسحق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها ، وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى فرسها بيده من حبة لؤلؤة وأمرها أن تمتد فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ، وأخرجت من أصلها يتابع أنهار الجنة من عسل وخمر وماه ولبن ، وقد قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أباً السرح حدثه عن أبي أيوب عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً « طوى شجرة في الجنة مسيرة ثياب أهل الجنة يخرج من أكلها » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لؤي حدثنا دراج أبو السرح أن أبا أيوب حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال يلاسلون الله : طوى لما رآك وآمن بك ، قال « طوى لما رآني وآمن بي ، وطوى ثم طوى ثم طوى لمن آمن بي ولم يرني » قال له رجل وما طوى ، قال « شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل الجنة يخرج من أكلها » وروى البخاري ومسلم جميعاً عن إسحق بن راهويج عن مغيرة الغزوي عن وهيب عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » قال فحدثت به الثمان بن أبي عايش الزرقي فقال حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد للضر السريم مائة عام »

ما يقطعها » وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن زريع عن سعيد بن قاذم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (وظل عموذ) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وقال الإمام أحمد حدثنا شعيب بن خالد عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي حمزة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرأوا إن شئتم وظل عموذ » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ لأحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعيب سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة سنة - هي شجرة الخلد » وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ ذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل النصف منها الراكب مائة سنة - أو قل - يستظل في النصف منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » روى الترمذي وقال إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوى فتنزع له أكلها فيأخذ من أي ذلك شاء ، وإن شاء أبيض وإن شاء أحمر ، وإن شاء أسفر ، وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر بن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : طوى شجرة في الجنة يقول الله لها فتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ورجلها ، وعن الإبل بأزمها ، وما شاء من الكسوة ، وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه عن أنس أخيراً مجيباً ، قال وهب رحمه الله إن في الجنة شجرة يقال لها طوى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رباط وورقها برود وقضبها عنبر ويطاؤها ياقوت وبراقها كقزوين وطلعها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والنسل وهي مجلس لأهل الجنة فينعم في مجلسهم إذ أنهم ملائكة من ربهم يقدون بها مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالصباح حسنا ووبرها كغزير الرهزي من لبنه عليها رجال ألواحها من ياقوت ودقوفها من ذهب وثيابها من سندس وإسبرق فينتحنونها يقولون إن ربنا أرسلنا إليك لتزوروه وتسلوا عليه قال فيركبونها فهي أسرع من الطائر وأوطأ من النمراس نجبا من غير مهنة يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن الأخرى ولا يرك راحلة الأخرى ، بل الأخرى ، حتى إن الشجرة لتنتهي عن طريقهم ثلاثا تفرق بين الرجل وأخيه ، قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه فإذا رآوه قالوا اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول تعالى عند ذلك : أنا السلام ومنى السلام وعليكم حق رحمتي وحقي ، مرحبا بصادي الذين خشوني وبنيت وأطاعوا أمري . قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا في السجود قدامك . قال فيقول الله إنها ليست بدار نصيب ولا عبادة ولكها دار ملك ونعيم . وإن قد رفعت عنك نصيب العبادة فسأوني ما شئتم فإن لكل رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى إن أقصرهم أمانة ليقول ربنا تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضابقوا فيها رب فأتى مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقها إلى أن انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك أمنيته وقد سألت دون منزلتك . هذا لك مني لأنه ليس في عطائي نكد ولا قصريد ، قال ثم يقول اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانتهم ولم يخطر لم على بال قال فيعرضون عليهم حتى يقتص بهم أمانتهم التي في أنفسهم فيكون فيها يمرضون عليهم براذين مقررة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة في كل قبة منها جاريان من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون إلا وهو فيها ولا ربح ولا طبخ إلا قد عبق بهما ينقد ضوء وجوههما غلظ التبة حتى يظن من يراها أنها دون القبة يرى عنهما من فوق موقفهما كالسالك الأبيض في ياقوتة حمراء يريان . له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الجبارة أو أفضل ، ويرى هو لها مثل ذلك ويدخل إليها فيحييهان ويقلان ويطلقان به ويقولان له والله ما نلتنا

أن الله خلق مثلك ثم أمر الله تعالى الملائكة فيسبرون بهم صفا في الجنة حتى يتقى كل رجل منهم إلى منزله التي أعدته . وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا إلى موهوب ربكم البقي وهب لكم فلذا هو قباب في الرقيق الأعلى وعرف مبنية من الدر والرجان أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت وفرشها من سندس وإستبرق ، ومنابرها من نور غور من أبوابها وعراسها نور مثل شعاع الشمس عندهم الكوكب الذي في النهار الضياء ، وإذا بقصور شائعة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها ، فلو أنه مسخر إذا لا تبع الأبيصار ، فساكن من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالبقري الأحمر وما كان فيها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر ، وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر مبنية بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء قوائمها وأركانها من الجوهر وشررها قباب من لؤلؤ ، ويروجها غرف من اللرجان ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قربت لهم براديين من ياقوت أبيض منقوش فيها الروح نجتها الولدان المخلدون يد كل وليد منهم حكمة يرزقون من تلك البراديين وجلبها وأعتابها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروجها سرر موضوعة مفروشة بالسندس والإستبرق فانطلقت بهم تلك البراديين ترفدهم بطن رياض الجنة ، فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا للملائكة قودا على منابر من نور ينتظرونهم ليزروهم وصافحهم ويهتفونهم كرامة ربهم ، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتناوا ، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان جنتان ذواتا أفتان وجنتان مدمعتان ، وفيهما عينان فضائخان ، وفيهما من كل فاكهة وزوجان ، وحور مقصورات في الحيام ، فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرأهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم وربنا ، قال هل رضيتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فأرض عنا ، قال رضائي عنكم حاتم داري ونظرتي إلى وجهي وصافحتكم ملائكتي فنيئا هنيئا لكم (عطاء غير مجلد) ليس فيه تفتيس ولا قصريد فند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار القامة من فضله لا يمنا فيها نصيب ولا يمنا فيها ثوب . إن ربنا لتفوق شكور وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعض شواهد ، ففي الصحيحين أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة : بمن يفتني حتى إذا انتهت به الأمانى يقول الله تعالى : بمن من كلما وعن من كذا يذكره ثم يقول ذلك لك وعشرة أمثاله .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما هص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر الحديث بطوله ، وقال خالد بن سمعان : إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لها شروخ كلها ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط للرأه يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيعث ابن أربعين سنة .
رواه ابن أبي حاتم

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَقِيتُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ الَّذِي أُوحِيتَ إِلَيْكَ وَمُمْ يَكْفُرُونَ)

بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)

يقول تعالى وكأ أرسلناك يا محمد في هذه الأمة (لتأو عليهم الذي أوحينا إليك) أي تبلغهم رسالة الله إليهم كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله وقد كذب الرسل من قبلك فلك بهم أسوء ، وكأ أوقعتنا بأسنا وهمتنا بأولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من الرسلين قال الله تعالى (تالله لقد أرسلناك إلى أمم من قبلك) الآية ، وقال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبوا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لسكلمات الله) وقد جاء من نبأ الرسلين (أي كيف نصرناهم وجعلنا المآبية لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة ،

وقوله (وم يكفرون بالرحمن) أى هذه الأمة التى يشكك فهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به لأنهم كانوا يأخون من وصف الله بالرحمن الرحيم ، ولهذا أتوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا ماندرى ما الرحمن الرحيم ، قاله قتادة والحديث فى صحيح البخارى ، وقد قال الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » (قل هو ربي لا إله إلا هو) أى هذا الذى تكفرون به أنا مؤمن به معترف ، مقره بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو (عليه توكلت) أى فى جميع أموري (وإليه متاب) أى إليه أرجع وأنيب لانه لا يستحق ذلك أحد سواه .

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ لَبِئْسَ الْأَمْرُ جَعَلْنَا الْقُلُوبَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَسْمَعُونَ لَهَا فَيَنْسَوْنَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ لَوِ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ)

يقول قتال مادحا للقرآن الذى أنزله على محمد ﷺ ومفضلا له على سائر الكتب للترتيب فيه (ولو أن قرآنًا سبى به الجبال) أى لو كان فى الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به للوقى فى قبورها لكان هذا القرآن هو لتصف بذلك دون غيره أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الاجاز الذى لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأثروا بشفه ولا بسورة من مثله ومع هذا نفوذ للقرآن كقرون به جاحدون له (بل لله الأمر جميعا) أى مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضل الله فلا هادى له ، ومن يهد الله فلا هادى له من مضل ، وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لأنه مشتق من الجمع ، قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته أن تسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يديه » ثم أخرجه البخارى ، وللراد بالقرآن هو الزبور وقوله (أفلم يأس الذين آمنوا) أى من إيمان جميع الخلق وطمعوا أو يتبينوا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فانه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أجمع فى العقول والنفس من هذا القرآن الذى لو أنزله الله على جبل لرآه خاشعا متصدعا من خشية الله ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « مامن نبى إلا وقد أوفى ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » معناه أن معجزة كل نبى اهرضت بعونه وهذا القرآن حجة باقية على الأباد لا تنتفى عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالمزد من ترك من جيل قسمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا متجاب ابن الحارث أن أنبا بن بشر بن حمارة حدثنا عمر بن حسان عن عطية الوفى قال قلت له (ولو أن قرآنك سبى به الجبال) الآية أقالوا الحمد صلى الله عليه وسلم لو سبى لنا جبال مكة حتى تتسع فتعثر فيها أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع قومه بالرحم أو أحييت لنا اللوى كما كان عيسى يحيى اللوى قومه فأثزل الله هذه الآية ، قال قلت هل ترون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبى ﷺ ؟ قال نعم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن ابن عباس والشعبي وقاتة والثورى وغير واحد فى سبب نزول هذه الآية والله أعلم ، وقال قتادة لو فصل هذا القرآن غير قرآنك لفصل قرآنك ، وقوله (بل لله الأمر جميعا) قال ابن عباس أى لا يصنع من ذلك إلا ماشاء ولم يكن ليعقل رواء ابن إسحق بسنده عنه وقاله ابن جرير أيضا وقال غير واحد من السلف فى قوله (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقرأ آخرون أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا وقال أبو العالية قد يشك الذين آمنوا أن يهدوا ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، وقوله (ولا يزال الذين كفروا) أى كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعتا وتحل فرسان

دارم) أى بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيب في الدنيا أو تصيب من حولهم ليستظروا ويتبرأوا كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال (أفلا يرون أنما تأتي الأرض تنقصهم أطرافها فيهم الغالبون) قال قتادة عن الحسن (أو تحل قريباً من دارم) أى القارة وهذا هو الظاهر من السياق ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا السعدي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم ما عاصموا قارة) قال سريه (أو تحل قريباً من دارم) قال محمد صلى الله عليه وسلم (حتى يأتي وعد الله) قال ففتح مكة وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في رواية ، وقال الوقي عن ابن عباس (تصيبهم بما صنعوا قارة) قال عذاب من السماء ينزل عليهم (أو تحل قريباً من دارم) معنى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقاله إياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس (قارة) أى نكبة وكلهم قال (حتى يأتي وعد الله) معنى فتح مكة وقال الحسن البصري يوم القيامة ، وقوله (إن الله لا يخلف اليماد) أى لا ينقض وعده لرسله بالصرة لم ولأبائهم في الدنيا والآخرة (فلا تخسبن الله يخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام)

(وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)

يقول تعالى مسلماً لرسوله ﷺ في تكذيب من كذب من قومه (ولقد استهزىء برسول من قبلك) أى فلك فيهم أسوة (فأملت للذين كفروا) أى أنظرتهم وأجلتهم (ثم أخذتهم) أخفة راية فكيف بملك ما منستهم وعاقبتهم وأملت لهم كما قال تعالى (وكان من قرية أميت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) وفي الصحيحين (إن الله ليل للظالمين إذا أخذهم بغتته) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذهم عسدي)

(أَفَسَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ مَن مَّوْعُومٌ أَمْ تُبْتِغُونَ بِمَا لَا يَلَمُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَقُولُونَ بِالَّذِينَ نَزَّلْنَا قُرْآنًا عَلَى النَّبِيِّ لَا يُلَاقِيهِ إِلَّا الْمُرْسَلُونَ)

يقول تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى حفيظ عليهم رقيب على كل نفس منفسه يعلم ما يعمل العبادون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية (وما تكون في شأن وما تتلون منه من قرآن ولا تملكون من عمل إلا كناعليكم شهوداً إذا يفيضون فيه) وقال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال (سواء منكم من أسرار القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالهار) وقال (يعلم السر وأخفى) وقال (وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) أفن هو كذلك كالأنعام التي يبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تفعل ولا تعلم شيئاً لأنفسها ولا لعابديها ولا تكشف سر عنها ولا عن عابديها وحذف هذا الجواب إكثاف بدلالة السياق عليه وهو قوله (وجعلوا لله شركاء) أى عبدوها معه من أئمان وأنداد وأوثان (قل صوم) أى أعلنوا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا قائمهم لا حقيقة لهم ولهذا قال (أم تبتغون بما لا يعلم في الأرض) أى لا وجود له لأنه لو كان لما وجود في الأرض لعلها لأنه لا يخفى عليه خافية (أم يظن من القول) قال مجاهد بظن من القول ، وقال الضحاك وقتادة يباطل من القول أى إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وميتوها آلهة (إن هى إلا أسماء سميتموها أئمة وآباءكم ما أزل الله بها من سلطان) إن يتعبدوا للظن وما هو بالآلهة ولقد جاءهم من ربهم الهدى (بل الذين كفروا كرم) قال مجاهد قولهم أى ما هم عليه من الضلال والدعوة إلى آتاء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى (وقضنا لهم قرناً فزينا لهم) الآية (وصدوا عن السبيل) من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم فيه وأنه حق دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ، ومن قرأها بالضم أى بجازين لهم من صفة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال (ومن يضل الله فلا من هاد) كما قال (ومن يرد الله فتته فقلن علك من الله شيئاً) وقال (إن نحصر على هدهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ هَلْ جَزَاءُ الْيَغْيَةِ إِلَّا جَزَاءُهَا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار فقال بعد إخباره عن حال للشركين وما هم عليه من الكفر والشرك (لهم عذاب في الحياة الدنيا) أي بأيدي المؤمنين قتل وأسرا (ولعذاب الآخرة) أي للدخول مع هذا الخزي في الدنيا (أشق) أي من هذا بكثير كما قال رسول الله ﷺ «للمتلاعنين» إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء وذلك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا ووثاق لا يتصور كثافته وشده كما قال تعالى (فيومئذ لا يذنب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) وقال تعالى (وأعدنا لمن كذب بالساعسعي) «إذ إنهم من مكان بعيد سمعوا لها تقيظا وزفيرا» وإذا ألقوا منها من مكان شيقا مقرنين دعوا هنالك ثوراً «لاندعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً» قل أذلك خير أم جنة الابد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً) ولهذا قرن هذا بقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفتها ونسبها (تجرى من تحتها الأنهار) أي سارحة في أرجائها وجوانبها وحيث شاء أهلها فيجرونها فنجراً أي يصرفونها كيف شاءوا وأن شاءوا كقولهم (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من تحمّل للتشريق وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومنفرة) الآية وقوله (أكلها دائم وظلها) أي فيها الفواكه والطعام والشارب لا انقطاع ولا فناء، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت فقال (إني رأيت الجنة وأرأيت الجنة فتناولت منها عقوداً ولو أخذته لأكلتها من غير أن يفتنني) وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عجيل عن جابر قال: «بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما رأيناك كنت تصنع فقال «إني عرضت على الجنة وما فيها من الثمرة والنصرة فتناولت منها قطناً من عنب لا يبيح به فعل يبيح بينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر شاهد البضه، وعن عتبة بن عبد السلمي أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الجنة فقال فيها عنب؟ قال «نعم» قال فاعظم المنقود؟ قال «مسيرة شهر للفراب الأبع ولا يقر» رواه الإمام أحمد وقال الطبراني حدثنا معاذ بن النعمان حدثنا علي بن الدبني حدثنا ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ «إن الرجل إذا نزع غمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «يا كل أهل الجنة وشربون ولا يمتشطون ولا يمتطون ولا يبولون طمأنينة يشاء كرمي للسك ويملحون التسبيح والتعديس كما يملحون النسي» ورواه مسلم، ورواه الإمام أحمد والنسائي من حديث الأعمش عن تمام بن عتبة سمعت زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم: تزعم أن أهل الجنة يأكلون وشربون؟ قال «نعم» والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم يملط قوتاً من رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة» قال إن الذي يأكل وشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال «تكون حاجة أحدهم رشحا فيض من جلودهم كرمي للسك فيضرب بطنه» رواه الإمام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الأخرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنك لتنتظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً» وجاء في بعض الأحاديث أنه إذا فرغ منه عاد طائراً كما كان يذبح الله تعالى وقد قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وقال (ودانية عليهم ظلالا واذلالت قلوبهم تذليلاً) وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلس كما قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظللا ظلالا)
وقد تقدم في التصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد
للضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها » ثم قرأ (وظل ممدود) وكثيرا ما قرأ الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار
ليرغب في الجنة ويحذر من النار ، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده (تلك عني الدين اخوا وعني الكافرين
النار) كما قال تعالى (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال بلال بن سعد خطيب
دمشق في بعض خطبه : عباد الله ، هل جاءكم خبر يخبركم أن شيئا من عبادتكم تحبب منكم أو أن شيئا من خطاياكم غفرت
لكم ؟ (فحسبتم أنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون) والله لوعجل لكم الثواب في الدنيا لاستغلتكم كلكم ما اقترض
عليكم ، أو ترجعون في طاعة الله لتسجل دنياكم ولا تنافسون في الجنة (أكلها داهم) رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ يُرْمُونَ بِنَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْآحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَتْ
أَنْ أُعْبِدَ اللَّهُ وَلَا أُشْرَكَ بِهِ إِلَهِي أَدْعُوا إِلَىٰ مَنَابٍ • وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا فَهَرِيًّا وَلَقَدْ أَنْبَأْتُمْ هَؤُلَاءِ
بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

يقول تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) وهم قائلون بمقتضاه (يفرحون بما أنزل إليك) أي من القرآن لما في كتبهم
من الشواهد على صدقه والبشارة به كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلوه حق تلاوته) الآية وقال تعالى (قل
آمنوا به أولا تؤمنوا - إلى قوله - إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد
ﷺ لحقا وصدقا لمفعولا لا محالة وكأنتا فسبحانه ما صدق وعده فله الحمد وحده (ويخرون للأذقان ليكون
وزيدهم خشوعاً) وقوله (ومن الأحزاب من ينكسر بعضه) أي ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك
وقال مجاهد (ومن الأحزاب) أي اليهود والنصارى (من ينكسر بعضه) أي بعض ما جاءه من الحق وكذا
قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية (قل إنما
أمرت أن أعبدا الله ولا أشرك به) أي إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبل (إليه أدمو) أي إلى
سبيله أدموا الناس (وإليه مأب) أي مرجى ومصيرى . وقوله (وكذلك أنزلناه حكاكاً عربياً) أي وكما أرسلنا قبلك
للمسلمين وأنزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا
الكتاب للبين الواضح الجلي الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله (ولئن
أنبت أهوامهم) أي أكرههم (بعد ما جاءك من العلم) أي من الله سبحانه (مالك من الله من ولى ولا ولى) وهذا وعيد
لأهل السلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ما صلوا إليه من سلوك السنة النبوية والمحبة المهدية على من جاء بها
أفضل الصلاة والسلام .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ رَسُولٌ أَنْ يَأْتِيَ بِثَبَاتٍ إِلَّا يَذُنَ اللَّهُ
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ • يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَرِثَةً أَمْ الْكِتَابُ ﴾

يقول تعالى (وكما أرسلناك بأحمد رسولا جريا كذلك قد بعثنا للرسلين قبلك جريا يأكلون الطعام وعشرون
في الأسواق ويأتون الزوجات ويولد لهم وجننا لهم أزواجا وذرية) وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم (قل
إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أما أنا فأصوم وأفطر
وأقوم وأنام وأكل اللحم وأزوج النساء فن رغب عن سقن فليس منى » وقال الإمام أحمد حدثنا زيد أنبأنا الجليج

ابن أرمطة عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله ﷺ « أربع من سنن من للرسلين . التمتع والنكاح والسواك والحناء » وقد رواه أبو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حصن بن غيلان عن الحجاج عن مكحول عن أبي الشمال عن أبي أيوب قد كره ثم قال وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال وقوله « وما كان رسول أن يأتي بآية إلا يلذن الله » أي لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (لكل أجل كتاب) أي لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار (ألم تعلم أن الله يعلم ما في الساء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) وكان الضحاك ابن مزاحم يقول في قوله (لكل أجل كتاب) أي لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين فلهاذا (يعموا الله ما يشاء) منها (ويثبت) يعني حق نسختها كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وقوله (يعموا الله ما يشاء ويثبت) اختلف المفسرون في ذلك فقال الثوري وكيع وهشيم عن ابن أبي ليلى عن النبال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : يدر أمر السنة فيعموا الله ما يشاء إلا الشفاء والسعادة والحياة واللوت ، وفي رواية (يعموا الله ما يشاء ويثبت) قال كل شيء إلا اللوت والحياة والشفاء والسعادة فانها قد فرغ منها ، وقال مجاهد (يعموا الله ما يشاء ويثبت) إلا الحياة واللوت والشفاء والسعادة فانها لا يتغيران ، وقال منصور سألت مجاهداً قلت رأيت دعاء أحدا يقول : اللهم إن كان اسمي في السعادة فأثبتني فيها وإن كان في الأشفاء فأعهني عنهم واجعلني في السعادة فقال حسن ثم قبيته بعد ذلك جرداً أو أكثر فسألته عن ذلك فقال (إنما أنزلناه في ليلة مباركة) الآيتين قال يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، فأما كتاب السعادة والشفاء فهو ثابت لا غير ، وقال الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة إنه كان كثيراً يدعو بهذا الدعاء : اللهم إن كنت كتبتني أشفاء فأعهني واكتبني سعادة وإن كنت كتبتني سعادة فأثبتني سعادة فأناك تحمو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن أبي حنيفة عمة^(١) عن أبي عثمان التهذي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويسكن : اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنباً فأعهني فأنك تحمو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فأعهني سعادة ومفرقة وقال حماد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضاً ورواه شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عليم عن ابن مسعود بثله ، وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا حجاج حدثنا خفاف^(٢) عن أبي حمزة عن إبراهيم أن كعباً قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين لو لا آية في كتاب الله لأنياك بما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال وما هي قال قول الله تعالى (يعموا الله ما يشاء) الآية ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليعمر الرزق بالذهب صبيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به ، وثبت في الصحيح أن صلاة الرحمة تزيد في العمر ، وفي حديث آخر « إن الدعاء والقضاء ليلتان بين السماء والأرض » وقال ابن جرير حدثني محمد بن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال إن لله لوحاً محطوطاً مسيرة خمسمائة عام من درة يضاء لها دفتان من ياقوت — والدفتان لوحان — لله كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحمو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . وقال الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « ينسخ الذكر في ثلاث ساعات يمين من الليل ، في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحده غيره فيمحو ما يشاء ويثبت » وذكرنا الحديث رواه ابن جرير وقال الكشي يحمو الله ما يشاء ويثبت قال يحمو من الرزق وزيدية ، ويعمو من الأجل وزيدية ، فقيل له من حديثك بهذا ؟ فقال أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رباب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سئل بعد ذلك

(١) كلمة عمة غير موجودة في نسخة ابن جرير . (٢) وثنيها : حماد .

عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الحسب طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أ كـت وشريت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق وثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب ، وقال عكرمة عن ابن عباس : الكتاب كتابان فكتاب يحو الله منه ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (يحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب) يقول هو الرجل يعمل الزمان بطلاعة الله ثم يعود لمصيبة الله فيموت على ضلالة فهو الذي يحو ؛ والذي يثبت الرجل يعمل بمصيبة الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت ، وروى عن سعيد بن جبير أنها بمعنى (يغفر لمن يشاء ويطلب من يشاء والله على كل شيء قدير) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يحو الله ما يشاء ويثبت) يقول يدل ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله (وعنده أم الكتاب) جملة ذلك عنده أم الكتاب الناسخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب ، وقال قتادة في قوله (يحو الله ما يشاء ويثبت) كقولهم (ما نسخ من آية أو ناسخ) الآية ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله (يحو الله ما يشاء ويثبت) قال قالت كفار قريش لما نزلت (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) ما نرى محمداً يملك شيئاً وقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه الآية خوفاً ووعيداً لهم إنا إن شئنا أحداثاه من أمرنا ما شئنا ونحدث في كل رمضان فيسحو ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يسطهم وما يقسم لهم ، وقال الحسن البصري (يحو الله ما يشاء ويثبت) قال من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجري إلى أجله ، وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله (وعنده أم الكتاب) قال الحلال والحرام ، وقال قتادة أي جملة الكتاب وأمله ، وقال الضحاك (وعنده أم الكتاب) قال كتاب عند رب العالمين ، وقال سديد بن داود حدثني معتمر عن أبيه عن يسار عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ثم قال لعله كن كتاباً فكان كتاباً ، وقال ابن جريج عن ابن عباس (وعنده أم الكتاب) قال الذكر .

﴿ وَإِن مَّا تَرَيْنَا بَعْضَ الَّذِي نَدْعُهُمْ أَوْ نَتَّقِيكَ فَيَأْتِنَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَنَحْنُ الْحِسَابُ ﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿

يقول تعالى لرسوله (وإما ترينا) أي محمد بعض الذي تدعون أعداءك من الجزى والنسك في الدنيا (أو تتوفيك) أي قبل ذلك (فأما عليك البلاغ) أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد ضلت ما أمرت به (وعلينا الحساب) أي حسابهم وجزاءهم كقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر) لست عليهم بمسيطر . إلا من تولى وكفر . فيعذبه الله . فإذاب الأكبر . إن إلينا إيلاهم . ثم إن علينا حسابهم) وقوله (أو لم يروا أننا تأتي الأرض نقصها من أطرافها) قال ابن عباس أو لم يروا أننا نتعطل لحمد على الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض ، وقال في رواية أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة تنقصها من أطرافها قال خرابها ، وقال الحسن والضحاك هو ظهور للسيل على الشركين ، وقال العوفي عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها وقال مجاهد نقصان الأتس والغمرات وخراب الأرض ، وقال الشعبي لو كانت الأرض تنقص لشاق عليك حشك ولكن تنقص الأتس والغمرات وكذا قال عكرمة لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن هو اللوت . وقال ابن عباس في رواية خرابها يموت علمها بقتلها وأهل الحبر منها ، وكذا قال مجاهد أيضاً : هو موت الطاء ، وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم المصري الواعظ سكن أسبهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري بهشقي أنشدنا أبو بكر الأجرى بمكة قال أنشدنا أحمد بن نزال لنفسه .

الأرض تحيا إذا ما عاش عليها • متى يموت عالم منها يموت طرف
كل الأرض تحيا إذا ماتت حل بها • وإن أدي عاقباً كفافها التلغ
والقول الأول أولى وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية كقوله (ولقد أهلكنا ما حولك من القرى)

الآية وهذا اختيار ابن جرير .

﴿وَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

يقول تعالى (وقد مكر الله من قبلهم) برسلهم وأرادوا إخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين كقولهم (وإذا مكر بك الدين كنزوك وليتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) وقوله تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أناسهم تام وقومهم أجمعين . فذلك يومهم خالوة بما ظفروا (الآيتين) وقوله (يعلم ما تكسب كل نفس) أي أنه تعالى عالم بجميع السر والرائد والظاهر وسيجزي كل عامل بمسئله (وسيعلم الكفار) والقراءة الأخرى الكفار (لمن عصى الله) أي لمن تكون العاقبة والعاقبة لهم أو لا يبلغ الرسل ، كلا ، بل هي لا يبلغ الرسل في الدنيا والآخرة والله الحمد والمنة

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ﴾

يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون (لست مرسلا) أي ما أرسلك الله (قل كنني بالله شهيدا بيني وبينكم) أي حسي الله هو الشاهد على وعليكم ، شاهد على فيما بلغت عنهم من الرسل وشاهد عليكم بها للكتبون فيما تقر ونعم من البتة ، وقوله (ومن عنده علم الكتاب) قيل نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ للدينة ، والأظهر في هذا ما قاله الموفى عن ابن عباس قال هم من اليهود والنصارى ، وقال قتادة منهم ابن سلام وسلمان وتيم الداري ، وقال مجاهد في رواية عنه هو الله تعالى وكان سعيد بن جبير يشكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول هي مكبة وكان يقرؤها (ومن عنده علم الكتاب) ويقول من عند الله ، وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روى ابن جرير من حديث هارون الأعور عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها (ومن عنده علم الكتاب) ثم قال لأصله من حديث الزهري عند الثقات ، قلت وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هارون بن موسى شاهد عن سلمان ابن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا كنك ولا شيت والله أعلم . والصحيح في هذا أن (ومن عنده) اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون منه محمد صلى الله عليه وسلم ونفته في كتبهم للتقدمة من بشارات الأنبياء به كما قال تعالى (ورحمهم وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتقون الرسول الذي أمضى الله على عباده المؤمنين في التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بن إسرائيل) الآية وأمثال ذلك بما فيه الإخبار عن علماء بن إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم للثقة . وقد ورد في حديث الأحبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا عديان بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عبد الله بن سلام أنه قال لأحبار اليهود إنى أردت أن أحدث بمحمد أينا إبراهيم وإسماعيل هذا فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله ﷺ بنى والناس حوله فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال « أنت عبد الله بن سلام ؟ » قال قلت نعم ؟ قال « إني » قال فدنوت منه قال « أشهدك بالله يا عبد الله ابن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ » قلت لا أنت ربنا ، قال فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال له (قل هو الله أحد الله الصمد) إلى آخرها ، قرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكم إسلامه ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنا فوق نخلة لى أجنبها فألقيت حصى قالت أمي : لله أنت لو كان موسى بن عمران ما كان

لك أن تلقى خشك من رأس النخلة قلت والله لانا أسر بقدم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جدا آخر تخيير سورة الرد لله الحمد والله

(تفسير سورة إبراهيم عليه السلام وهي مكة)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الرَّحْمَنُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَذِينَ لِّلْكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْكُفُوفَةَ الَّذِينَ عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

قد قدم الكلام على الحروف القطعة في أوائل السور (كتاب أنزلناه إليك) أي هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) أي إنا بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس عما هم فيه من الضلال والتي إلى الهدى والرشاد كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم المطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) الآية . وقال تعالى (هو الذي ينزل على عبد آيات بيّنات ليخرجهم من الظلمات إلى النور) الآية وقوله (بإذن ربهم) أي هو الهادي لمن قدر له الهداية على يد رسوله البعوث من أمره يهديهم (إلى صراط العزيز) أي العزيز الذي لا يمانع ولا يبالغ بل هو القاهر لكل مساواة (الحميد) أي الحمود في جميع أفعاله وأفعاله وشرعه وأمره ونهيه الصادق في خبره وقوله (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الانبعاث صفة للجلالة كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض) الآية وقوله (وويل للكافرن من عذاب شديد) أي وويل لهم يوم القيامة إذ خافوا كوا كوا محمد وكذبوا ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يمشقونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم (ويصدون عن سبيل الله) وهي اتباع الرسل (ويبنونها عوجا) أي ويجنون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة مائلة وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خالفها في اتباعهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجي لهم والحالة هذه صلاح

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ فَيُضِلُّهُمُ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ السَّابِقُ)

(الْحَكِيمُ)

هذا من لطفه تعالى بخلق أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغتهم لينهوا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم كما روى الإمام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لم يبعث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه » وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي بعد البيان وإقامة الحجج عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدي من يشاء إلى الحق (وهو العزيز) الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (الحكيم) في أفعاله فضل من يستحق الاضلال ويهدي من هو أهل لذلك ، وقد كانت هذه سفته في خلقه أنه ما شاء نيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم فاختص كل نبى بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أعطيت حسماً لمبعوثي أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت النعام ولم أخل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصية وبشت إلى الناس عامة »
وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم مدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا قال مجاهد : هي التسع الآيات (أن أخرج قومك) أي أمرناه قائلين له (أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أي ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان (وذكّرهم بأيم الله) أي بأيديه ونعمه عليهم في إخراجهم إياهم من أسر فروع وقهره وظلمه وغشمه وإنجائهم إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم السماء وإزالة الظلمة عنهم إلن والبلوى إلى غير ذلك من النعم قال ذلك مجاهد وقادة وغير واحد ، وقد ورد فيه الحديث للرفوع الذي رواه عبدة بن الإمام أحمد بن حنبل في مسند أبيه حيث قال حدثني يحيى بن عبد الله مولى بني هاشم حدثنا محمد بن أبيان الجعفي عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وذكّرهم بأيم الله) قال نعم الله ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبيان به ورواه عبدة ابنه أيضاً موقوفاً وهو أشبه ، وقوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي إن فيها صنفاً بأوليئنا بني إسرائيل حين أهدناهم من يد فروع ونجيناهم عما كانوا فيه من العذاب للبهين لبرة لكل صبار أي في الشراء شكور أي في السراء كافال قتادة نعم العبد عبد الله ابن سير وإذا أعطى شكر ، وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن أمر المؤمن كله يجب لا يقضيه الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له »

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ • وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ • وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفِيٍّ حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى خبراً عن موسى حين ذكّر قومه بأيم الله عندهم ونعمه عليهم إذا نجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والأذى ، حيث كانوا يدعون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويذبحون أبناءهم ويتركون إناهم فأخبرهم الله أن ذلك ومنه نعمة عظيمة ولهذا قال (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها . وفيها كان يصنع بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل (بلاء) أي اختبار عظيم ومختل أن يكون الرأء هذا وهذا والله أعلم بقوله تعالى (وبلوئاهم بالحسنات والسيئات لهمم يرجعون) وقوله (وإذ تأذّن ربكم) أي أذنكم وأعلمكم بوعده لكم ، ومختل أن يكون للنبي : وإذ أقسم ربكم وإلى بزمته وجلاله وكبرياته بقوله تعالى (وإذ تأذن ربك ليعن عليهم إلى يوم القيامة) وقوله (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها (ولئن كفرتم) أي كفرتم النعم وسرتعوها وجعدتها (إن عذابي لشديد) وذلك ببلها عنهم وعقابهم إياهم على كفرها وقد جاء في الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه » وفي السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سائل

فأعطاه ثمرة فتسخطها ولم يقبلها ثممر به آخر فأعطاه إياها فقبلها وقال ثمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر له أربيعين درهما أو كذا قال : قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا حمارة الصيدلاني عن ثابت عن أنس قال أتاني النبي ﷺ سائل فأمر له بثمرة فلم يأخذها أو وحش بها - قال - وأتاه آخر فأمر له بثمرة فقال سبحانه الله ثمرة من رسول الله ﷺ فقال للجارية « ذهبي إلى أم سلمة فأعطيه الأربيعين درهما التي عندها » فخرده الإمام أحمد وحمارة بن زاذان وشه ابن حبان وأحمد وتيقوب بن سيفان ، وقال ابن معين : صالح وقال أبو زرعة لأبأس به وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يخرج به ليس بالمتين ، وقال البخاري ربما يضطرب في حديثه وعن أحمد أيضا أنه قال روى أحاديث منكرة ، وقال أبو داود ليس بذلك وضعفه الدارقطني وقال ابن عدى لأبأس به ممن يكتب حديثه

وقوله تعالى (وقال موسى إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لتنتي حديد) أي هو غني عن شكر عباده وهو الحميد الممدود وإن كفره من كفره كقوله (إن تكفروا فإن الله غني عنكم) الآية وقوله (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حديد) وفي صحيح مسلم (١) عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كان نقص المحيط إذا دخل البحر » فسبحانه وتعالى النبي الحميد

﴿ اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَاُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُوْدُ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَّذُوْا اَيْدِيَهُمْ فِيْ اَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوْا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَا اُرْسِنْتُمْ بِهِ وَاِنَّا لَفِيْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَا اِلَيْهِ مُّرِيبٍ ﴾

قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكيره بإيام أيام الله بانتقامه من الأمم للكذب بالرسول ، وفيما قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة فإنه قد قيل إن قصة عاد ونوح ليست في التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصصه عليهم لاشك أن تكون هاتان القصتان في التوراة والله أعلم وبالجملة فالله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم للكذب بالرسول بما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالحق والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات ، وقال ابن إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال في قوله (لا يعلمهم إلا الله) كذب النسابون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان وقوله (فردوا أيديهم في أفواههم) اختلف المفسرون في معناه قيل معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرهم بالسكوت عنهم لما دعواهم إلى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم ، وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد وعبد بن كعب وقاعة : معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأنهم قال ابن جرير وتوجه أن في هذا معنى الباء قال وقد جمع من العرب أدخلك الله الجنة يعني في الجنة ، وقال الشاعر :

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه • ولكنني عن سنبل لست أرغب

يريد أرغبها قلت ويريد قول مجاهد تفسير ذلك تمام الكلام (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لنفي شك مما دعوتنا إليه مرية) فكان هذا والله أعلم بتفسيره (فردوا أيديهم في أفواههم) وقال سيفان التوري وإسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله (فردوا أيديهم في أفواههم) قال عضوا عليها غيظا وقال شعبة عن أبي إسحق عن أبي هيرة بن مريم عن عبد الله أنه قال ذلك أيضا ، وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتوجه ابن جرير عنه أنه قوله تعالى عن المنافقين (وإنا خلوا أعضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وقال الموفى عن ابن عباس لما سموا كلام الله عجبوا ورجوا

بأيديهم إلى أفواههم وقالوا إنا كفرتا بما أرسلكم به الآية يقولون لا نصديقكم فما جئتم به فان عندنا فيه شكاً قويا

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ شَكَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَظْهَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّوا عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا قَالُوا لَنْ يَسْلُطُوا عَلَيْكُمْ شَيْئًا قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ أَنْ يَضِلَّهِمْ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّقِيَ كُلَّ الْبَشَرِ عَلَى اللَّهِ وَعَدْنا سُلْطَانًا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا وَدَّعْتُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

خبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلكم من المجادلة وذلك أنكم لما واجهتم بالكف في جامهم به من عبادة
أفئوسه لا شريك له قالت الرسل (أي الله شك) وهذا يحتمل شيئين (أحدهما) أفي وجوده شك فإن القطر مشاهد بوجوه
وعجوبة على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في القطر السلية ولكن قد يمرض لبعضكم شك واضطرار فتحتاج
إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ولهذا قالتم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والأرض)
الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فإن شواهد الحوادث والخلق والتسخير ظاهر علمها فلا بد لها من صانع
وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلههم ومليكهم، والى الثاني في قوله شك (أي الله شك) أي إلى إلهيته وتضرعه بوجوب
العبادة له شك وهو الخالق لجميع الوجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له فإن غالب الأمم كانت مفرقة
بالصانع ولكن تبعد مع غيرهم من الوسائط التي يظنون أنها تبعدهم عن الله تعالى ، وقالت لهم رسلكم (يدعوكم لغير
لكم من ذنوبكم) أي في العباد الآخرة (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي في الدنيا كما قال تعالى (وأن استغفروا ربكم
توبوا إليه يمتكح متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) الآية فقاتلهم الأمم حاجين في مقام الرسالة
بعد تضيير تسليمهم للقيام الأول وحاصل ما قالوه (أنهم إن لا يشرعنا) أي كيف تبسبكم بمجرد قولكم ولما نر منكم
معجزة (فأقوا بنا سلطان مبین) أي خارق فترحه عليكم (قالت لهم رسلكم إن نحن إلا بشر مثلكم) أي صحيح الباشر
مثلكم في البشرية (ولكن الله بين من يشاء من عباده) أي بالرسالة والتبوة (وما كنا لنا أن نأبىكم بسلطان) على وفق
ما سأتم (إلا يذن الله) أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لأن ذلك (على الله فيستولك للؤمنون) أي في جميع أمورهم قالت الرسل
(وما لنا أن لا نتوكل على الله) أي وما نحن من التوكل عليه وقد هدانا لأحوم الطرق وأوضحها وأبينها (ولنصبر على
ما كذبتمونا) أي من الكلام السيء والأفهام السيئة (وعلى الله فالتوكل التوكلون) .

[illegible]

يُخبر تعالى عما وعدت به الأمم الكافرة وسلمهم من الأخراج من أرضهم والتي من بين أظهرهم كما قال قوم عبيدة وإن آمن به (لنخرجنك يا عبيد والذين آمنوا معك من قريتنا) الآية. وكما قال قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريتهم) الآية وقال تعالى إخباراً عن مشركي خزرج (وإن كادوا يستفروك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك

إلا قليلا) وقال تعالى (وإذ يكره بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
 الماكرين) وكان من منه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا
 مقاتلون في سبيله تعالى ولم يزل يريه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها وأرغم أنوف
 أعدائهم منهم من سائر أهل الأرض حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان في مشارق
 الأرض ومغاربها في أيسر زمان وهكذا قال تعالى (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم
 كما قال) (ولقد سبقنا لمعادنا للرسولين) عليهم السلام التصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن
 أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) الآية (وقال موسى لقومه استمعوا بالله
 واسمعوا لئن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
 مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ونعت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون
 وقومه وما كانوا يشربون) وقوله (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) أي وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم
 القيامة وخشي من وعيدي وهو تخوفي وعذابي كما قال تعالى (فأما من ظنى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى)
 وقال (ولمن حاف مقام ربه جنتان) وقوله (ولاستغفوا) أي استغفرت الرسل ربي على قومها قاله ابن عباس ومجاهد
 وقادة، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استغفرت الأمم على أنفسها كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
 علينا حجارة من السماء أو ائتنا بذباب ألهم) ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا كما أنهم استغفروا على أنفسهم يوم
 بدر واستغفرت رسول الله ﷺ واستغفر، وقال الله تعالى للشركين (إن تستغفروا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو
 خير لكم) الآية والله أعلم (وخاب كل جبار عنيد) أي تعجبر في شقه عنيد معاند للحق كقوله تعالى (ألقيا في جهنم كل كفار
 عنيد، منع للغير معتد مريب، الذي جبل مع الله إلها آخر فأهياه في العذاب الشديد) وفي الحديث (انه يؤتى بهنهم
 يوم القيامة فتنادي الخلائق فتقول إني وكلت بكل جبار عنيد) الحديث. خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الإنهال
 إلى ربه المميز المنتد، وقوله (من وراءه جهنم) وراءه ههنا معنى أمام كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل
 سفينة غصبا) وكان ابن عباس يقرؤها، وكان أمامهم ملك أي من وراء الجبار العنيد جهنم أي هي له بالمرصاد يسكنها
 عنيدا يوم اللاد ويمرض عليها غدوا وغشيا إلى يوم التناد (ويسق من ماء صديد) أي في النار يحس له شراب إلا من
 حميم وضاق فهذا حار في غاية الحرارة وهذا بارد في غاية البرد والتناقض كما قال (هذا فيلذوقوه حميم وضاق وآخر من
 شكله أزواج) وقال مجاهد وعكرمة: الصديد من التسح والسم، وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفي رواية
 عنه الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط التسح والسم، وفي حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد
 ابن السكن قالت قلت يا رسول الله ما طينة الجبال قال «صديد أهل النار» وفي رواية «عصارة أهل النار» وقال
 الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أنبا نا عبد الله أما صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بشر عن أبي أمامة رضي الله
 عنه عن النبي ﷺ في قوله (ويسق من ماء صديد يتجرعه) قال «يقرب إليه فيتكرهه فلذا أدنى منه شوى
 وجهه ووقت فروق رأسه فلذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميا ققطع
 أمعاءهم) ويقول (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الآية، وهكذا رواه ابن جرير من حديث
 عبد الله بن المبارك به ورواه هو وابن أبي حاتم من حديث جبة بن الوليد عن صفوان بن عمرو به، وقوله (يتجرعه)
 أي يتضمسه ويكرهه أي يشربه قهرا وقسرا لا يرضه في له حتى يضربه الملك بمطراق من حديد كما قال تعالى
 (ولهم مقامع من حديد) (ولا يكاد يسمعون) أي يزدرد له سوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطيع
 (ويأنيه اللوت من كل مكان) أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال حمرون ميمون بن مهران من كل عظم وعصب
 وعرق، وقال عكرمة حتى من أطراف شعره، وقال إبراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من
 أطراف شعره وقال ابن جرير (ويأنيه اللوت من كل مكان) أي من أمامه وخلفه وفي رواية وغن بينه وجهه ومن فوقه

ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وبأية الموت من كل مكان) قال أنواع العذاب الذى يذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) ومعنى كلام ابن عباس رضى الله عنه أنه مامن نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ولهذا قال تعالى (وبأية الموت من كل مكان وما هو بميت) وقوله (ومن ورائه عذاب غليظ) أى وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أى مؤلم صعب شديد أعظم من الذى قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم • طلعها كأنه رؤوس الشياطين • فإيهم لا تكون منها فإن شرب منها ليطون • ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم • ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم وتارة في شرب حميم وتارة يردون إلى جحيم عذاباً بالله من ذلك وهكذا قال تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كلهم ينلى في البطون كحل الحميم ، خذوه فاعتادوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم ، ذق إنك أنت العززالكريم ، إن هذا ما كنتم به تتمرون) وقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في صوم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم) وقال تعالى (هذا وإن للطاغين لشرماب ، جهنم يصلونها فبئس للهاد ، هذا فليذوقوه حميم وغصاق وآخر من شكله أزواج) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله بما لا يحصى إلا الله عزوجل جزاء وفاقا (وما ربك بظلام للعبيد)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ بِمَا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾

هذا مثل خربه الله تعالى لأفعال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فأنها رت وعضموها أحوج ما كانوا إليها ، فقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) أى مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يعبدوا شيئا ولا ألجوا حاسلا إلا كما يحصل من الرماذ إذا اشتدت به الريح العاصفة (في يوم عاصف) أى ذى ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدرُوا على شيء من أعمالهم التى كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرُونَ على جمع هذا الرماذ في هذا اليوم كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقوله تعالى (مثل ما يتفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله . ولكن أنفسهم يظلمون) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باللغو والأذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين) وقوله في هذه الآية (ذلك هو الضلال البعيد) أى سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى قدروا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه (ذلك هو الضلال البعيد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودَ هِزْبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ • وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

يقول تعالى غيراً عن قدرته على مصاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التى هى أكبر من خلق الناس أفليس الذى قدر على خلق هذه السموات في ارضاعها والتساعيا وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفة والآيات الباهرات وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبرارى وصحارى وقفار وبحارو أشجار وتبات وحواين على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها (أولم يروا أن الله الذى خلق

السماوات والأرض ولم يمس خلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بل إن الله على كل شيء قدير (أولم ير الإنسان
أما خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين • وضرب لنا مثلا ونسئ خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ • قل يحييها
الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم • الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم توقدون • أوليس
الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول
له كن فيكون • فسبحان الذي يديه مملوكت كل شيء وإليه ترجعون) وقوله (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد •
وما ذلك على الله بعزيز) أي يطمع ولا تمنع بل هو سهل عليه إذا خاتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير ستمكم
كما قال (يا أيها الناس أتموا الصلوات إلى الله والله هو الغني الحليم • إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله
بعزيز) وقال (وإن تولوا يبدل قومًا غيركم • ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن
دينه فنفذ به الله قومهم ومحبوه) وقال (إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرًا)

﴿وَبَرِّوْا لِلَّهِ جِهَتَا فَقَالَ الصُّفُوفُ الَّذِينَ اسْتَشْكَبُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَالُوا أَنْتُمْ مُفْرُونَ عَنَّْا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَأْنٍ قَالُوا لَا وَهَدَيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُم سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُهَا أَمْ صَوْرَتَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ﴾

يقول تعالى (ويرزوا) أي برزت الحقائق كلها برها وظهرها لله الواحد القهار أي اجتمعوا لهم براز من الأرض وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا (فقال الضماد) وهم الإبلع قلدتهم وسادتهم وكبرائهم (الذين استكبروا) عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم (إنا كنا لكم تبعا) أي معها أمرهمونا اتبعنا وعلنا (فهل أنتم مفنون عنا من عذاب الله من شيء) أي فهل تدفون عنا عينا من عذاب الله كما كنتم تدفوننا وتدعوننا (فتالت القاعدة لهم (لوهدنا الله لهدينا كم) ولكن حق علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم قدر الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محص) أي ليس لنا خلاص ما نحن فيه إن صبرنا عليه وأجزعنا منه . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فأما أدرك أهل الجنة الجنة يبيسكهم وتضرعهم إلى الله عز وجل مالوا نيك وتضرعوا إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر فضربو صبرا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فصد ذلك قالوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) الآية ، قلت والظاهر أن هذه للراجحة في النار بعد دخولهم إليهم كما قال تعالى (وإذا يتحاجون في النار فيقول الضماد للذين استكبروا إنا كنا لكم تباعون أنتم مفنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا إنا نكل فيها إن الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (قال ادخلوا في أم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لبنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أحرارهم لأولادهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا نضفا من النار ؛ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقالت أولادهم لأحرارهم لما كان لهم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وقال تعالى (ربنا إنا أضلنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعيف من العذاب والنهم لما كننا كبريا) وأما تخاصمهم في الحشر فقال تعالى (ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استغفروا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استغفروا أنتم صعدناكم عن الهدى بعد إذا جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استغفروا للذين استكبروا إله مكرالبل والنهار إذا تماررونا أن نكفر بالله ونعجل له اندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ

سُلْطَنُ الْإِنِّ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنُي بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۝

يُخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين البركات ، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً يلزمهم حزننا إلى حزنهم وغيبنا إلى غيبهم وحسرة إلى حسرتهم فقال (إن الله وعدكم وعد الحق) أى على السنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعداً حقاً وخبراً صدقاً وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال الله تعالى (يصدم) وبنعيم وما يصدم الشيطان إلا غروراً) ثم قال (وما كان لي عليكم من سلطان) أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به (إلا أن دعوتكم فاستجبني) بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة السليحة على صدق ما جاءوك به فنافقتهم فصرتم إلى ما أنتم فيه (فلا تلوُمُونِي) اليوم (ولوموا أنفسكم) فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج وابتغيتوني بمجرد دعوتكم إلى الباطل (ما أنا بمُصْرِخِكُمْ) أى بنافصكم ومنفذكم ومخلصكم ما أنتم فيه (وما أنتم بمُصْرِخِي) أى بنافصي بافصائي ما أناني من العذاب والهلاك (إن كُفِرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال قتادة أى بسبب ما أشركتموني من قبل ، وقال ابن جرير يقول إنى جعلت أن أكون شريكاً لله عز وجل وهذا الذى قاله هو الراجح كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ۝ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال (لا سيكترون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا) وقوله (إن الظالمين) أى في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطية تكون من إبليس بعد دخوله النار كما قدمنا ولكن قد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وهذا لفظه وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد : حدثني دخين الجعري عن عتبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ؟ إذا جمع الله الأولين والآخرين قضى بينهم ففرغ من القضاء قال للمؤمنون قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم وذكر نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول عيسى أدلكم على النبي الأُمِّي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم إليه فيثور من مجلسي من أطيب ريح فيها أهدق حقاً في ربي فيشفعني ويحملني نورا من شعر رأسى إلى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون هذا قد وجد للمؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس هو الذى أضلنا ، فيأتون إبليس فيقولون قد وجد للمؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه من أثنى ريح فيها أهدق ثم يستلم نحيبهم (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبني فلا تلوُمُونِي ولوموا أنفسكم) ۝ وهذا سياق ابن أبي حاتم ورواه المبارك بن رشد بن سعد بن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن دخين عن عتبة بن مرفوعا ، وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله لما قال أهل النار (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محبي) قال لهم إبليس (إن الله وعدكم وعد الحق) الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فتودوا (لقت الله أكبر من متكم) أنفسكم إذ دعوتهم إلى الإيمان فكفروا) وقال عامر الشعبي يقوم خطيبان يوم القيامة يردون الناس يقول الله تعالى لميسى بن مريم (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟) إلى قوله (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قالوا يقوم إبليس لعنه الله فيقول (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبني) الآية . ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما ساروا إليه من الخزي والهلاك ، وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا (خالدين فيها) ما كئيب أبدا لا يحولون ولا يزولون (بإذن ربهم تحييتهم فيها سلام) كما قال تعالى (حق إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم)

وقال تعالى (وللأسفة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) وقال تعالى (ويقون فيها نعمة وسلاما) وقال تعالى (دعواهم فيلبس جاك اللهم ونعيمهم فيها سلام وأمر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَمَارٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ • تُوَفَّى أَكْمَلُهَا كُلُّ جُيْنٍ يَإْذَنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)

قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (مثلا كلمة طيبة) شهادة أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهو المؤمن (أصلها ثابت) يقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن (وفرعها في السماء) يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال هي النخلة وشعبة من معاوية بن قررة عن أنس هي النخلة ، ومجاهد بن سمية عن شعيب بن الحباج عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بضع بسر قرا (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة ، وروى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقادة وغيرهم ، وقال البخاري حدثنا عبيد بن إسحاق عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أخبروني عن شجرة نسي - أو كثر جل السلم لا يشمت ورقها صيفا ولا شتاء وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهتا أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ «هي النخلة» فلما قلنا قلت لعمر يا أبا عبد الله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة . قال ما منكم أن تتكلم ؛ قلت لم أركم تتكلمون فكرهتا أن أتكلم أو أقول شيئا ، قال عمر : لأن تكون قلبي أحب إلي من كذا وكذا ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صحب ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدا قال كنا عند رسول الله ﷺ فأتى بجمار فقال «من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل السلم» فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت فإذا أنا أسمر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هي النخلة» أخرجه . وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه «إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن» قال فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله ﷺ «هي النخلة» أخرجه أيضا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبان يعني ابن زيد الطمار حدثنا قتادة أن رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، فقال «أرأيت لو عمدت إلى متاع الدنيا فركب بضعه على بضع أ كان يبلغ السماء ، أفلا أخبرك بمثل أصلها في الأرض وفرعها في السماء ؟» قال ما هو يا رسول الله ؟ قال «تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة فذلك أصله في الأرض وفرعها في السماء» وعن ابن عباس (كشجرة طيبة) قال هي شجرة في الجنة وقوله (تؤتي أكلها كل حين) قيل غدوة وعشيا وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل سنة أشهر وقيل كل سنة أشهر وقيل كل سنة أشهر وقيل كل سنة ، والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار وكذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين (يأذن ربها) أي كلاما حسنا كثيرا طيبا مباركا (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هذا مثل كافر الكافر لأصله ولا نبات مشبه بشجرة الخنظل ويقال لها الشريان رواه شعبة عن معاوية بن أبي قررة عن أنس بن مالك : أنها شجرة الخنظل ، وقال أبو بكر البزار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبو يزيد سعيد بن الزبير حدثنا شعبة عن معاوية بن

قرة عن أنس أحبه رصفه قال (مثلا كلة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة (ومثل كلة خبيثة كشجرة خبيثة) قال هي الثريدان ثم رواه عن محمد بن الحسن عن غندر عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحباب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ومثل كلة خبيثة كشجرة خبيثة) هي الخنظلة (فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى في مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بستانا عليه بئر فقال (مثلا كلة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) فقال « هي النخلة » (ومثل كلة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لم تبق) قال هي الخنظل (قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع. وقوله (اجتثت) أي استؤصلت (من فوق الأرض ما لم تبق) أي لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكفر حمل ولا يقبل منه شيء

﴿يَبْتَغِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « للسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن الثعالبي عن عمرو بن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فأتينا إلى القبر ولما يبعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن طي رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينصت به في الأرض فرفع رأسه فقال « استمضوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثاً ثم قال « إن العبد للمؤمن إذا كان في الهطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء يضيء الوجوه كان وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحطوط من حطوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نقة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من اللائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسماء التي كانوا يسمونها بها في الدنيا حتى يتنزهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشبهه من كل سماء ، مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يتنزهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبيدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتبادروا في جسد فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول رب الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول دين الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما عليك؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبيدي فأمرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقتضوا له باباً إلى الجنة - قال - فيأتيه من روحها وطيبها ويضع له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي كنت بمرتك هذا يومك الذي كنت تعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملي الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في الهطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم السوح فيجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي

إلى سخط من الله وغضب الله فتفرق في جسده فينزعه كما ينزع السفود من الصوف للابل يأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يصلوها في تلك اللوح فيخرج منها كأن ربح جيفة وجبت على وجه الأرض فيسعدون بها فلا يبرون بها على ملأ من اللانكة إلا قالوا ماهذا الروح الحية؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى يتبى بها إلى السماء الدنيا ليستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الحياط) فيقول الله كتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا - ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خسر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتأد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك؟ فيقول هماهه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول هماهه لا أدري فيقولان له ماهذا الرجل الذي يث فيكم؟ فيقول هماهه لا أدري فينادى من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار واقتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها ومجمها وضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل فيبيع الوجه فيبيع الثياب منق الرغ فيقول أشر بالله يسؤلك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الوجه بعينه بالشر فيقول أنا عمك الحديث فيقول رب لا تخم الساعة ورواه أبو داود من حديث الأعمش والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن عمرو به ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن الليث بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فذكر نحوه وفيه « فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يصرح بروحه من قبلهم » وفي آخره « ثم يقبض له أمهى أصم أبكم وفي يده مرزبة لو ضرب بها جبل لكان ترابا بضربة فيصير ترابا ثم يميد الله عز وجل كما كان قبضه بضربة أخرى فيصبح صيحة يسمها كل شيء إلا الثقلين » قال البراء ثم فتح له باب إلى النار ومعه من فرش النار ، وقال سفيان الثوري عن أبيه عن خثمة عن البراء في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال عذاب القبر . وقال للسعدي عن عبد الله بن محارق عن أبيه عن عبد الله قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له ما ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فيثبته الله فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيان بن عبد الرحمن عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة » قال النبي صلى الله عليه وسلم « فإيهما جيما » قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا وعلا عليه خضرا إلى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن قتاتى القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذه الأمة بتلى في قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الاتهار فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله فيقول له الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أبدلك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فإيهما كليهما ، فيقول للمؤمن دعوى أشر أهلى فيقال له إسكن ، وأما المنافق فيقيد إذا تولى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس ، فيقال له لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار » قال جابر فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يبعث كل عبد في القبر على ما مات ، للمؤمن على إيمانه وللنفاق على نفاقه » إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو حاتم حدثنا عبد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري قال :

شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن هذه الأمة تبثلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقده فقال ما تقول في هذا الرجل ؟ قال كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له بابا إلى النار فيقول كان هذا من ذلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت فهذا من ذلك فيفتح له بابا إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له اسكن ووضعه له في قبره ، وإن كان كافرا أو منافقا يقول له ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا نلت ولا اهديت ثم يفتح له بابا إلى الجنة فيقول له هذا من ذلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا فيفتح له بابا إلى النار ثم يغمقه بالعمامة المطراق فيصبح صبيحة يسميها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين ، فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله ﷺ (ثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت) وهذا أيضا إسناد لا بأس به فإن عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقرنوا ولكن ضعه بعضهم وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الميت تحضره للأنسكة فلذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ووب غير عضبان . قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يصرح بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقولون مرحبا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ووب غير عضبان . قال - فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي فسيمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يصرح بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي فسيمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول . ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب بنحوه ؟ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملاك من مصداقها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر السك . قال - ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وطي جسدك كنت تعمريته فينطلق به إلى ربه عز وجل فيقول انطلقوا به إلى آخر الأجل . وإن الكافر إذا خرجت روحه - قال حماد - وذكر من تنها وذكر مقنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل - قال أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنه هكذا .

وقال (١) ابن جبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الحمداي حدثنا زيد بن أرم حدثنا معاوية بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن إذا قبض أتمه ملائكة الرحمة بحرية يضاء فيقولون اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليناوله بعضهم بضعا يشمونه حتى يأبوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض ولا يأتون ماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأبوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاه من أهل الثائب بناتهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان في غم فيقول قد مات أما أنكم تقولون ذهب به إلى أمه المأوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي إلى غضب الله فتخرج كأن ن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض »

وقد روى أيضا من طريق همام بن يحيى عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه قال « فيسأل ما قبل فلان ، ما قبل فلان ، ما قبل فلانة ، قال وأما الكافر فإذا قبضت نفسه ذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحنا من هذه فيبلغ بها الأرض السفلى » قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن السيب عن عبد الله ابن عمرو قال : أرواح المؤمنين تجتمع بالجباين ، وأرواح الكفار تجتمع بيهوت مبعثة بمحضرموت ثم يضيئ عليه

(١) من هنا إلى قوله الآتي : وقال الماخط أبو عيسى الترمذي غير موجود في النسخة للكبيرة .

قبره . وقال الحافظ أبو عيسى الترمذى رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن الفضل عن عبد الرحمن عن سعيد ابن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قبر الميت أو قال أحكم أمه مكان السودان أزرغان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين وينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع إلى أهل فأخبرهم فيقولان نعم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعث الله من مضجعه ذلك ، وإن كان مناقاً قال صمت الناس يقولون قفلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال فيقال للأرض التثني عليه فتلتزم عليه حتى تختلف أشلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعث الله من مضجعه ذلك » ثم قال الترمذى هذا حديث حزين غريب . وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) » قال « ذلك إذا قيل له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله : ودينى الإسلام ونبى محمد جاءنا بالبينات من عند الله فكأنت به وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه تمت » وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا زبداً ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده إن لى الجنة ليعلم خلق نالكم حين تولون عنه مدبرين ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة واللروف والإحسان إلى الناس عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبل مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول انك ما قبل مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبل مدخل فيؤتى من عند رجله فيقول فعل الخيرات ما قبل مدخل فيقال له اجلس فيجلس فقدمت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نساك فيقول دعنى حتى أصلى فيقال له انك تستعمل فأخبرنا عما نساك فيقول وعم نساكنى ؟ فيقال أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تحول فيه وماذا تصد به عليه ؟ فيقول أعهد فقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حيث وعلى ذلك صمت وعليه تمت إن شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويخبره باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى ما أعد الله لك فيها فزداد غبطة وسروراً ثم يجعل نسمة في النسم الطيب وهى طير خضر يعلق بشجر الجنة ويصاد الجسد إلى ما يدى من التراب » وذلك قول الله (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ورواه ابن حبان من طريق الثمري بن سليمان عن محمد ابن عمر وذكر جواب الكافر وعذابه . وقال البراء حدثنا سعيد بن بحر القراطيسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال « إن المؤمن ينزل بالموت ويباين ما بين فيود لو خرجت ينى نفسه والله يحب لقاءه وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأبى أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال تركت فلانا في الأرض أعجبهم ذلك وإذا قال إن فلانا قد مات قالوا ما جرى به إلنا ، وإن المؤمن يجلس في قبره فيستل من ربك فيقول ربى الله ، ويستل من نبيك فيقول محمد نبي فيقال ماذا دينك ؟ قال دى الإسلام فيفتح له باب في قبره فيقول أو قال انظر إلى مجلسك ثم يرى القبر فسكناً كانت ترتقه وإذا كان عدو الله نزل به للموت وعين ما بين فانه لا يحب روحه أبداً والله يفض لقاءه فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له من ربك ؟ فيقول لا أدري فيقال لا أدري فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تستعمل كل دابة إلا الثقلين ثم يقال له كم كان ينام للتبوس ؟ قلت لأبي هريرة ما للتبوس ؟ قال الذى تنهش الأبواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لانظر رواء إلا الوليد بن مسلم (١) . وقال الأمام أحمد رحمه الله حدثنا حنين بن القتي حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة للجاشون عن محمد بن النكسر قال : كانت أسماء ينى بنت الصديق رضى الله عنها تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً حف به عمله الصلاة والصيام قال فيأبىه لذلك من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده قال فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل ينى النبي صلى الله عليه وسلم

قال من ؟ قال محمد ، قال أشهد أنه رسول الله ، قال وما يدريك أدر كنته ، قال أشهد أنه رسول الله قال : يقول على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبث ، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرد فأجلسه فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أرى رجلاً ؟ قال محمد ؟ قال يقول والله ما أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً قتلته ، قال له الملك على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبث ، قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته حجرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله صاه لا تسمع صوته تترحمه . وقال الموفى عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته للملائكة فسأوا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ثم صاوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقال له من رسولك ؟ فيقول محمد ﷺ فيقال له ماشاهداتك ؟ فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فيوسع له في قبره مد بصره ، وأما الكافر فنزل عليه للملائكة فيسألون أيديهم ، والبسط هو الضرب (يضربون وجوههم وأدبارهم) عند الموت ، فإذا أدخل قبره أهد قيل له من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئاً وأساء الله ذكر ذلك ، وإذا قيل من الرسول الذي تبث إليك ؟ لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئاً (كذلك يصل الله الظالمين) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري في قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) الآية ، قال إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول الله ، فيقال له من نبيك ؟ فيقول محمد بن عبد الله ، فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك من النار لو زغت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك من الجنة إذا ثبت ، وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ من نبيك فيقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له لا أدرى ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك إذا ثبت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذا زغت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) قال لا إله إلا الله (وفي الآخرة) السلسلة في القبر ، وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالحجر والسمل الصالح (وفي الآخرة) في القبر ، وكذا روى عن غير واحد من السلف ، وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول حدثنا أي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي نديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن السيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال « إني رأيت البارحة عجا ، رأيت رجلاً من أمي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاهده برة بواله يفرده عنه ، ورأيت رجلاً من أمي قد بسط عليه عذاب القبر فجاهده وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته الشياطين فجاهده ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاهده صلواته فاستنقذه من أيديهم ، ورأيت رجلاً من أمي يلمث عطشا كما ورد حوضاً منعته فجاهده صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلاً من أمي والنبيون قود حلقاً حلقاً كل دنا لحقة طردوه فجاهده اغشاه من الجنابة فأخذ يده فأقصده إلى جنبي ، ورأيت رجلاً من أمي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متعبر فيها فجاهده حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلاً من أمي يكلم المؤمن في فلا يكلمونه فجاهده صلاة الرحم فقالت يا مضر المؤمنين : كلوه فكلوه ، ورأيت رجلاً من أمي يلقى وهج النار وشرورها يده عن وجهه فجاهده صدقته فصارت له سبباً على وجهه وظلاً على رأسه ، ورأيت رجلاً من أمي قد أخذته الزانية من كل مكان فجاهده أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلاً من أمي جالياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاهده حسن خلقه فأخذ يده فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلاً من أمي قد هوت صحيفته من قبل شاة فجاهده خوفه من الله فأخذ صحيفته فبصلها في بينه ، ورأيت رجلاً من أمي قد خضميراه فجاهده أفراده فقلوا ميرانه ، ورأيت رجلاً من أمي قائماً على شفير جهنم فجاهده وجهه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمي هوى في

النار فجاهته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على الصراط يريد كما
ترعد السفة فجاهد حسن ظنه بالله فسكن . عدته ومضى ، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط زحف أحياناً وجبو أحياناً
فجاهته صلاته على فأخذت يده فأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلاً من أمّتي انتهى إلى باب الجنة فطلعت الأبواب
دونه فجاهته شهادة أن لا إله إلا الله فتفتحت له الأبواب وأدخلته الجنة . قال القرطبي بعد إيراد هذا الحديث من هذا
الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أهوال خاصة تنجي من أهوال خاصة أوردته هكذا في كتابه التذكرة . وقد روى
الحافظ أبو يعلى اللؤي في هذا حديثاً غريباً مطولاً قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم التكري حدثنا أحمد
ابن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الحيطي وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم ، وسلام بن أبي
مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن عيم الداربي عن النبي ﷺ
قال : يقول الله عز وجل ملك اللوت انطلق إلى ولي فأنتي به فاني قد ضربته بالسراة والقراء فوجدته حيث
أحب ، انتقي به فلا ربحه . فينطلق إليه ملك اللوت ومعه خمسمائة من اللاتكة معهم أكفان وحطون من الجنة ومعهم
ضباب الرمان أصل الرمان واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منارح سوديخ صاحبه ومعهم الحرير الأبيض
فيه للسلك الأذفر فيجلس ملك اللوت عند رأسه وتحف به اللاتكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه
ويسبط ذلك الحرير الأبيض والسلك الأذفر تحت ذقنه وفتح له باب إلى الجنة فان نفسه لتلعل عند ذلك بطرف الجنة
تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بشارها كما يسلل الصبي أهله إذا بكى قال وإن أزواجها لينتشن عند ذلك ابتهاجا
قال وتبرز الروح قال البرساني يريد أن تخرج من السبيل إلى ما تبغ قال ويقول ملك اللوت اخرجي يا أيتها الروح
الطيبة إلى صدر حضود وطلع منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال وملك اللوت أشد به لظفا من الوالدة يولفها
يعرف أن ذلك الروح حبيب له فهو يلتصق بلفظه تحبها فيه رضاء لرب عنه فقل روحه كائس الشرة من السمين
قال : وقال الله عز وجل (الذين تولوا من اللاتكة طيبين) وقال (فأما إن كان من اللقرين فروح وريحان وجنة نعيم)
قال روح من جهة اللوت وريحان يتلقى به وجنة نعيم فتابه قال فإذا قبض ملك اللوت روحه قالت الروح للجسد
جزاك الله عني خيرا فقد كنت سرما في إلى طاعة الله بطيئا في من معصية الله قد نجيت وأحييت قال ويقول الجسد
للروح مثل ذلك قال وبكى عليه فباع الأرض التي كان يطبع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله وينزل منه
رزقه أر بين ليلة قال فإذا قبض ملك اللوت روحه أقامت الحماة من اللاتكة عند جسده فلا تخليه بنو آدم لشق إلا
قلبه للاتكة قبلهم وغسلته وكفت بأكفان قبل أكفان بني آدم وحطو قبل حطو بني آدم ويقوم من باب بيته إلى
قبر صفان من اللاتكة يستقبلونه بالاستغفار فيصبح عند ذلك إبليس صيحة تصعد منها عظام جسده قال ويقول
لجنوده الولد لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون إن هذا كان عبدا مصوما قال فإذا صعد ملك اللوت بروحه
يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من اللاتكة كل يأتيه بشارته من ربه سوى بشارته صاحبه قال فإذا انتهى ملك اللوت
بروحه إلى العرش خر الروح ساجدا قال يقول الله عز وجل ملك اللوت : انطلق بروح عبيد فضله في صدر حضود
وطلع منضود وظل ممدود وماء مسكوب . قال فإذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام
فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه وجاءه الصبر فكان
ناحية القبر قال فيصت الله عز وجل عنقا من العذاب قالوا فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة ورايك والله مازال
دائبا محرم كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه
من هند رأسه فيقول القرآن والله كره مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجليه فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك
فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتصق هل يجد إليه مصافا إلا وجد ولي الله قد أخذ جنته قال فيتمتع العذاب عند
ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الأعمال أما إنه لم ينعني أن أبشر أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم
فان عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذا أجزأتم عنه فأنا له ذخرك عند الصراط والميزان قال ويصت الله ملكين أجازهما

كالبقر الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كالهب يطآن في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد زعت منهما الرأفة والرحمة يقال لها منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ريمة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فيجلس فيستوي جالسا قال وتجمع أكفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ قال قالوا يا رسول الله ومن يطبق السلام عند ذلك وأنت نصف من للملكين ما نصف ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ (يثبث الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * ووصل الله الظالمين ووصل الله ما يشاء) قال فيقول رب الله وحده لا شريك له ودينى الإسلام الذى دانت به للملائكة ونبي محمد خاتم النبيين قال فيقولان له صدقت قال فيدفنان القبر فيوسمان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا ومن عند رأسه أربعين ذراعا ومن عند رجليه أربعين ذراعا قال فيوسمان له مائتي ذراع : قال البرسان فأحسبه وأربعين ذراعا تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له : ولى الله هذا منزلك إذا طمت الله فقال رسول الله ﷺ « والذى نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تترد أبدا » ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحت فإذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان ، ولى الله نبوت آخر ما حليك قال : فقال رسول الله ﷺ - إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تترد أبدا قال : قالت عائشة يفتح له بسطة وسجود باب إلى الجنة يأتيه ربهما ويردها حتى يبيت الله عز وجل

والإسناد المتقدم إلى النبي ﷺ قال : ويقول الله تعالى ملك اللوت انطلق إلى عدوى فأنتى به فإن قد بسطت له رزقى . وسرت له نعمتى ، فأبى إلا مصيبي فأنتى به لأنتم منه ، قال فينطق بإليه ملك اللوت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط له اثنتا عشرة عينا ومعه سفود من التار كثير الشوك ومعه خبثاة من الللائكة معهم نحاس وجر من حجر جهنم ومعهم سياط من نار لئلا يزين السياط وهى نار أبيض قال فيضرب به ملك اللوت بذلك السفود ضربة يضرب كل أصل شوكه من ذلك السفود في أصل كل شجرة وعرق وظفر ، قال ثم يابو له عيدا يقال فينزع روحه من أنفاره قديمة قال فيلقها في عقيه ، قال فيسكر عدو الله عن ذلك سكرة فيفره ملك اللوت عنه ، قال وتضرب للملائكة وجهه وديره بتلك السياط قال فيشده لللك اللوت شدة فينزع روحه من عقيه فيلقها في ركبته ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيفره ملك اللوت عنه قال فتضرب للملائكة وجهه وديره بتلك السياط قال ثم يتره ملك اللوت ترة فينزع روحه من ركبته فيلقها في حقويه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيفره ملك اللوت عنه قال فتضرب للملائكة وجهه وديره بتلك السياط قال كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه قال ثم تبسط للملائكة ذلك النحاس وجر جهنم تحت ذقنه قال ويقول ملك اللوت اخرجي أيتها الأرواح العينة إلى موم وحميم وظل من محموم لا بارد ولا كريم - قال فإذا قبض ملك اللوت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله عنى شرا قد كنت سرما نى إلى مصيبة الله بطيئنا عن طاعة الله فقد هلكت وأهلك - قال - ويقول الجسد للأرواح مثل ذلك وتلذه بقاع الأرض التى كان يسمى الله عليها وتطلق جنود إبليس إليه فيشربونهم بأنهم قد أوردوا عبدا من ولده آدم النار قال فإذا وضع في قبره شقيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه حتى تدخل الجنى في اليسرى واليسرى فى الجنى قال ويبيت الله إليه ألقى دما كأعناق الإبل يأخذن بأذنيه وإيهابى قدسيه فيقرنه حتى يلتصق في وسطه قال ويبيت الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كالهب يطآن في أشعارهما بين منكي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد زعت منهما الرأفة والرحمة يقال لها منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ريمة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس فيستوي جالسا وتضع أكفانه في حقويه ، قال فيقولان له من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطار شرورها في قبره ثم يودان ، قال فيقولان انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان : عدو الله هذا منزلك لو طمت الله . قال رسول الله ﷺ « والذى نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا تترد أبدا » قال - ويقولان له انظر تحتك فينظر تحت فإذا باب مفتوح إلى النار فيقولان : عدو الله هذا

منزلك إذ عصيت الله قال رسول صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا تترد أبداً » قال : وقالت عائشة وفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها ومومها حتى يبعثه الله إليها . هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب وزيد الرقاشي رواه عن أنس له غرائب ومكررات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة وإياه أعلم ، ولهذا قال أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن جبير عن هاني مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقب عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت » فإنه الآن يسئل « خردية أبو داود ، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت وللآفة بأسطو أيديهم) الآية حديثاً مطولاً جداً من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً وفيه غرائب أيضاً

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۚ وَجَعَلُوا اللَّهُ أَعْدَادًا لِلْبِغْيَةِ ۗ لَنْ نَسِيْلَهُمْ قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنْ تُصِرُّوْا إِلَى النَّارِ ﴾

قال البخاري قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) ألم تعلم كقولهم (ألم تر كيف) (ألم تر إلى الذين خرجوا) البوار الملاك بار بيور بوراً (قوما بورا) هالكين . حدثنا طي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء سمع ابن عباس (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) قال لم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جيلة ابن أبيهم والذين اتبعوه من العرب فلققوا بالروم والشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول وإن كان المعنى يتم لجميع الكفار فإن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردّها وكفرها دخل النار ، وقد روى عن طي نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا خبة عن القاسم بن أبي رزة عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً عن (الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) وأحلوا قومهم دار البوار) قال لم كفار قريش يوم بدر ، حدثنا للنضر بن شاذان حدثنا يلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن أبي الطفيل قال جاء رجل إلى طي فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال مناقق قريش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن قتيب قال قرأت على معقل عن ابن أبي حسين قال : قام طي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ألا أحد يسألني عن القرآن فوافقه لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني وإن كان من وراء البحار لأنيته ، فقام عبد الله بن الكواء قتال من الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال مشركو قريش أنهم نعمت الله الإيمان فبدلوا نعمت الله كُفْرًا وأحلوا قومهم دار البوار .

وقال السدي (١) في قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) الآية ذكر مسلم للمستوفى عن طي أنه قال لم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو لثيرة ، فأما بنو لثيرة ، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهي جهنم وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحارث أبو منصور عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو ابن مرة قال سمعت علياً قرأ هذه الآية (وأحلوا قومهم دار البوار) قال لم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو لثيرة ، فأما بنو لثيرة فأهلكتهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فتعوا إلى حين ورواه أبو إسحق عن عمرو بن مرة عن طي نحو ، وروى من غير وجه عنه . وقال سفيان الثوري عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) قال لم الأفجران من قريش بنو لثيرة وبنو أمية ، فأما بنو لثيرة فكنتهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فتعوا إلى حين . وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرًا) وأحلوا قومهم دار البوار) قال لم الأفجران

(١) في النسفة للسكية : ذكر قول السدي هنا بعد قول ابن أبي حاتم الآن .

من قريش أخوال وأعمامك . فأما أخوالى فاستألمهم اليوم بدر ، وأما أعمامك فألمى ألقمهم إلى حين . وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقاعة وابن زيد هم كفار قريش الذين أتوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر قوله (وجعلوا له أنداداً ليضلوا عن سبيله) أى جعلوا له شركاء عبودهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ، ثم قال تعالى مهذباً لهم ومتوعداً لهم على لسان نبيه ﷺ (قل يحموا زين مصيركم إلى النار) أى مهذباً قدرتم عليه في الدنيا فأفعلوا فيها ما يمكن من شئ . (فإن مصيركم إلى النار) أى مرجعكم وموئلكم إليها كأهل تعالى : (تنتم قلائم نظيرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (متاع في الدنيا ثم إلى النار جهنم ثم ينضمهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿قُلْ لِمَا دُعِيَ الَّذِينَ ءَاتَوْا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُقِفُوا بِمَا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنفَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾

يقول تعالى أمرنا عباده بطاعته والقيام بحته والإحسان إلى خلقه بأن يشيخوا الصلاة وهي عبادته وحده لا شريك له وأن ينشقوا نمازهم لله بأداء الزكوات والنفقة على القربات والإحسان إلى الأجانب ، والرازدقاني هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها ، وأمر تعالى بالأخلاق عارضة في الرأى الخفية والعلائية وهي الجهر ، وليأدروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا يصح فيه ولا خلال) أى ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه كما قال تعالى (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) وقوله (ولا خلال) قال ابن جرير يقول ليس هناك محالة خليف فيصح عن استوجب التقوية عن الشائب مخالفته ، بل هناك العدل والقسط، والحلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فانا أخاه عالة وخلالا ومنه قول امرئ القيس :

صرفت الهوى عنهم من خشية الردى • ولست بمقل الخلال ولا قالى

وقال قتادة إن الله دعى أن الدنيا يوم لا يحصى ولا يحصى فيها الدنيا فينظر الرجل من خلال وعلام صباح ، فان كان لله فليدوم ، وإن كان لغير الله فسقط عنه ، قلت والى من هذا أن لا يخرج تعالى أنه لا ينفع أحد بايع ولا فدية ، ولو اتدنى بملء الأرض ذهباً لوجوده ولا تنفع صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لم يكن الله تعالى قال الله تعالى (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منه عدل ولا تنفعها شفاعة ولا يم نصرون) قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يسع فيه ولاخة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي الْبَحْرِ بَاسِرُهُ يَأْتِيكُمْ الْكَلْبُ الْأَشْمَلُ • وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الدِّينَارَ وَالنَّهَارَ • وَكَانَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظاً والأرض فراشاً (وأزل من السماء ما فخرج به أزواجاً من نبات شتى) ما بين غار وزرع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والنافع ، وسخر التلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لخلقها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك ، وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تنقي الأرض من قطن إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع (وسخر لكم الشمس والقمر بدارين) أي يسيران لا يختارن ليلا ولا نهاراً (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله العليّ) فالشمس والقمر يتماقيان ، والليل والنهار يتعارضان ، فثارة يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصّر (يولج

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عند ما ولي عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بناءه تأكيداً وريغة إلى الله عز وجل ولهذا قال (عند بيتك المحرم) وقوله (ربنا ليقيموا الصلاة) قال ابن جرير هو متعلق بقوله (المحرم) أي إنما جعلته محرماً ليمكن أهله من إقامة الصلاة عنده (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال (من الناس) فاختص به للسلطان، وقوله (وارزقهم من الثمرات) أي ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها، وقد استجاب الله ذلك كما قال (أولم عكن لهم حرماً آتانا بجي إلى غمرات كل شيء رزقاً من لدنا) وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تهي إليها غمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * اتَّخَذُ اللَّهُ الَّذِينَ هَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِتْمَاعًا لِابْنِ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَرَبِّي ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى خبيراً عن إبراهيم خليله أنه قال (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلم) أي أنت تعلم قصدى في دعائى وما أردت بدعائى لأهل هذا البلد، وإنما هو قصد إلى رضاك والإخلاص لك فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء ثم حسد ربه عز وجل على ما ورثه من الولد بعد الكبر فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء) أي إنه يستجيب لمن دعاه، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد ثم قال (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي محافظاً عليها مقبلاً لحودها (ومن ذريتي) أي واجعلهم كذلك مقيمين لها (ربنا وتقبل دعاء) أي فيما سألتك فيه كله (ربنا اغفر لي ولوالدي) قرأ بعضهم ولوالدي بالإنفراد وكان هذا قبل أن يتبين له عداوته لله عز وجل (والمؤمنين) أي كلهم (يوم يقوم الحساب) أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلاً مَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُطَهِّينَ مَنَئِينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْمَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

يقول تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يمايقهم على صنعم بل هو يمسى ذلك عليهم ويصد عليهم عدلاً (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أي من شدة الأحوال يوم القيامة، ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال (مطهين) أي مسرعين كما قال تعالى (مطهين إلى الداع) الآية وقال تعالى (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له - إلى قوله - وعنت الوجوه للحى القيوم) وقال تعالى (يوم يخرجون من الأجداث سراغاً) الآية وقوله (مقنن رؤسهم) (قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد رافعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم) أي أبصارهم ظاهرة خاصة مدبجون النظر لا يطفون لحظة لسكرة ما هم فيه من الهول والفكرة والحافة لما يحل بهم عياداً بالله العظيم من ذلك، ولهذا قال (وأفئدتهم هواء) أي قلوبهم

خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع والخوف ولهذا قال قتادة وجماعة إن أُنكته أُنكته خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف . وقال بعضهم هي خراب لا تقي شيئا لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ، ثم قال تعالى لرسوله ﷺ .

﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِيبُ دَعْوَتِكَ وَنَجِيعُ الرَّسُلِ أَوَّلَ تَكُونُوا أَقْسَمُ مَنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ • وَتَسْكُنُ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ • وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

يقول تعالى يخبرنا عن قبل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتنجي الرسل) كقولهم (حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعوني) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلمظوا أموالكم) الآية وقال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم) الآية وقال (ولو ترى إذ يقولوا على النار قلنا لا يأتينا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال تعالى (وهم يصطرون فيها) الآية قال تعالى ردا عليهم في قولهم هذا (أولئك كانوا أقسمت من قبل ما لكم من زوال) أي أولئك كانوا يحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا مبدل ولا جزاء فلو قوا هذا بذلك قال مجاهد وغيره (ما لكم من زوال) أي ما لكم من اشتغال من الدنيا إلى الآخرة كقولهم (وانقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمت الله من عيوت) الآية (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) أي قد رأيتم وبصركم ما أسلفنا بالأمس للكدبة قلبكم ومع هذا لم يكن لكم فهم معتبر ولم يكن فيها أو قنصا لكم من دجر (حكمة بالغة فالتقى النذر) وقد روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب (١) أن علياً رضي الله عنه قال في هذه الآية (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) قال أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه تسعين صغيرين فرباهما حتى استغظا واستغظا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوثد إلى تابوت وجوزعهما وقد هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ما ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب . قال فصب الصبا فصبها فهبط جميعا قال فهو قوله عز وجل (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) قال أبو إسحاق وكذلك هي في قراءة عبد الله (وإن كان مكرم) قلت وكذا روى عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرآ (وإن كان) كما قرأ على وكذا رواه سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب (٢) عن علي فذكر نحوه وكذا روى عن عكرمة أن سياق هذه القصة لثروذ ملك كنعان أنه رام أسباب السباء بهذه الحيلة والسر كما رام ذلك بسده فرعون ملك القبط بيناه الصريح فجزا وضفا وهما أقل وأحق وأضمر وأدحر، وذكر مجاهد هذه القصة عن مختصر وأنه لما اتطاع بصره عن الأرض وأهلها نودي أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ثم مع الصوت فوقه فصب الرماح فصوبت النور فزعت الجبال من هبتها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك فذلك قوله (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) وتقول ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها (لتزول منه الجبال) ففتح اللام الأولى وضم الثانية ، وروى الووفي عن ابن عباس في قوله (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) يقول ما كان مكرم لتزول منه الجبال ، وكذا قال الحسن البصري وجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها (وإنما عاد وبال عليهم قلت وشبه هذا قول الله تعالى (ولا تمس في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) والقول الثاني في تخصيصهما واما علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) يقول شركهم

(١) كذا في الأبيرية ، وفي الحكاية ابن دابل (٢) كذا فيها أيضا . وفي للسكية ابن أبيان وهو السواب فيها كما في حريب التهذيب .

كقوله (تسكاد السموات فيظطرن منه) الآية وهكذا قال الضحاك وقناة

(فَلَا تَحْصِيَنَ اللَّهُ خَلْقَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ • يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)

يقول تعالى مقررًا لوعده ومؤكداً (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسوله) أي من نصرته في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد ، ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يثأب وذو انتقام ممن كفر به وجعله (قويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وهي هذه على غير الصفة المألوفة للمروفة كما جاء في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفرها كغرة النقي ليس فيها عمل لأحد » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قالت قلت أين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال « على الصراط » رواه مسلم منفرداً به دون البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن أبي هند به ، وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أحمد أيضاً عن عفان عن وهيب عن داود عن الشعبي عنها ولم يذكر مسروقاً ، وقال قتادة عن حسان بن بلال المزني عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قالت قلت يارسول الله فأين الناس يومئذ ؟ قال « قد سألتني عن شيء مأسأني عنه أحد من أمي ، فإني أن الناس على جسر ، وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبي حمزة عن مجاهد عن ابن عباس حدثني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فأين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال « هم على متن جهنم » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا ابن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قال : قالت عائشة يارسول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فأين الناس يومئذ ؟ قال « إن هذا شيء مأسأني عنه أحد قاله على الصراط يا عائشة » ورواه أحمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به ، وقال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثني الحسن بن علي الخوافي حدثني أبو ثوبة الريح بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن عتيق أخاه أنه سمع أبا سلام حدثني أبو أسباط الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأه جبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرم منها فقال لم تدفعني ؟ قلت ألا تحول يارسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سباه به أهله فقال رسول الله ﷺ « إن اسمي محمد الذي سباني به أهلي » فقال اليهودي جئت أسألك ، فقال رسول الله ﷺ « أينفك شئاً إن حدثتك » قال أسمع بأذني فحدثك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدد معه فقال « سأل » فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم في الظلمة دون الأسير » قال فمن أول الناس إجابة ؟ قال « قراء المهاجرين » قال اليهودي فأخفهم حين يدخلون الجنة قال « زبابة كبد النون » قال فاعنأؤم في أمها ؟ قال « ينحرم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » قال فاشربهم عليه ؟ قال « من عيين فيها تسمى سلسيلا » قال صدقت قال وجئت أسألك عن شيء لابلده أحد من أهل الأرض إلا بني أورشليم أو رجلان قال « أينفك إن حدثتك » قال أسمع بأذني . قال جئت أسألك عن الولد ، قال « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فلامن الرجل من المرأة أذكرا باذن الله تعالى وإذا لامن المرأة من الرجل أذكرا باذن الله » قال اليهودي لقد صدقت وإنك لشيء ثم انصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد سألتني هذا عن الذي سألني عنه ومأني علم شيء منه حتى أتاني الله به » قال أبو جعفر بن جرير الطبري حدثنا ابن عوف حدثنا أبو القزعة حدثنا ابن أبي مريم حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري أن جبراً من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فإن الخلق عند ذلك ؟ قال « وأنياف الله فلن يصجزم مالهيه » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، وقال شعبة أخبرنا أبو إسحق سمعت عمرو بن ميمون ، وربما قال : قال عبد الله وربما لم يقل فقلت له عن عبد الله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال الأرض كالتفنة البيضاء تهيء لميسك فيها ولم يعمل عليها خطية ينهدم البصر ويسمهم الباعى حفاة عراة كاخفقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق ، وروى من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه ، وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود ، وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به أورد ذلك كله ابن جرير ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا سهل بن حماد أبو غياث حدثنا جرير بن أيوب عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن النبي عليه السلام في قول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال « أرض بيضاء لميسك عليها دم ، ولم يعمل عليها خطية » ثم قال لا نعلم رضى إلا جرير بن أيوب وليس بالقوى ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفي عن أبي بصير عن زيد قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فقال « هل تدرون لما أرسلت إليهم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « فإني أرسلت إليهم أسألكم عن قول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة ، فلما جاءوا أسألكم فقالوا تكون بيضاء مثل النقي ، وهكذا روى عن علي وابن عباس وأنس بن مالك وجهاد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة ، وعن علي رضي الله عنه أنه قال تصير الأرض فضة والسماوات ذهباً ، وقال الربيع عن أبي المالية عن أبي بن كعب قال : تصير السماوات جنا ، وقال أبو مشر عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن أبي قيس في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال خيرة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الحمداي عن سعيد بن جبير في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال تبدل الأرض خيرة يضافاً كل المؤمن من تحت قدميه ، وقال الأعمش عن خثيم قال : قال عبد الله بن مسعود : الأرض يوم القيامة كلها نار والجحش وراهما ترى كواهما وأكوابها ويلجم الناس العرق ويبلغ منهم العرق ولم يلقوا الحساب ، وقال الأعمش أيضاً عن الليث بن عمر عن قيس بن السكن قال : قال عبد الله الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من وراهما ترى أكوابها وكواهما والى نفس عبد الله يده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى يترشح في الأرض قمه ثم يرفع حتى يبلغ آفه وماسه الحساب قالوا لم ذلك يا أبا عبد الرحمن ، قال بما يرى الناس ويقولون . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن كعب في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) قال تصير السماوات جنا ويصير مكان البحر ناراً وتبدل الأرض غيرها ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود « لا يركب البحر إلا غاز أوحاج أو مضمر فان تحت البحر ناراً - أو تحت النار بحر - » وفي حديث الصور المشهور للروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيسقطها ويعدّها مدالديم الكاظمي لا ترى فيها عرجاً ولا أماً ثم يجزأ الله الخلق جزرة فلأمام في هذه الليلة » وقوله (ورزوا لله) أي خرجت الخلائق جميعاً من قبورهم لله (الواحد القهار) أي الذي قهر كل شيء وغلبه ودانته الرقاب وخضعت له الأناب

(وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَنْشَىٰ وُجُوهُهُمْ الْأَارَ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

يقول تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) وتبرز الخلائق لبيانها ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجزموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أي يضمهم إلى بعض قدس بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال (وإذا النفوس زوجت) وقاله (وإذا أقوامها مكانا شقيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقال (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) والأصفاد هي القيود قال ابن عباس

وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور في اللغة ، قال عمرو بن كلثوم
فأبوا بالثياب والسبايا • وأبنا بالملوك ممفدينا

وقوله (سرايلهم من قطران) أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهو الذي تنها به الإبل أي تعلق قال قتادة وهو أنسق
شئ بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبي النجم
كان قطراناً إذا تلاها • ترمى به الرمح إلى جرها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس للذباب وربما قرأها (سرايلهم من قطران) أي من نحاس حار قد انتهى
حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقوله (وتنشى وجوههم النار) كقوله (تلفح
وجوههم النار وهم فيها كالخون) وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحق أن أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير
عن زيد عن أبي سالم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « أربع من أمق من أمر الجاهلية لا يتركونهن :
التنثر بالأحساب والطمع في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والناحة إذا لم تقب قبل موتها قام يوم القيامة
وعليها سرايل من قطران ودرع من جرب » اقرء بإخراجه مسلم . وفي حديث القاسم عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ رضى « الناحية إذا ماتت توقفت في طريق بين الجنة والنار وسرايلها من قطران وتنشى وجوها النار »
وقوله (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أي يوم القيامة (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) الآية (إن الله سريع
الحساب) (يحتمل أن يكون كقوله تعالى) اقترب الناس حاسبهم وهم في غفلة معرضون (ويحتمل أنه في حال محاسبته
لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الحلق بالنسبة إلى قدرته كالأولاد منهم كقوله
تعالى (ما خلقكم ولا بشئ الا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) إحصاء ويحتمل أن يكون
للنيان مرادين والله أعلم .

(هَذَا يَكْلَفُ النَّاسَ وَيُنْذِرُوا بِهِ وَيَسْتَلْهُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) أي هو بلاغ لجميع الحلق من انس وجن كما
قال في أول السورة (الر • كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أي ليستظفوا
به (وليعلموا أنما هو إله واحد) أي يستدلوا بما فيه من الصحيح والدلائل على أنه لا إله إلا هو (وليذكر أولو الأبواب)
أي ذؤو المقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

(تفسير سورة الحجر وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ • رَبِّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ • دَرَجَاتٌ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَعْمِلُونَ فِيهِمُ الْأَنْلُ فَسَوْفَ يَكُونُونَ)

قد تقدم الكلام على الحروف القطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم
أنهم يريدون على ما كانوا فيه من الكفر وشتمون لو كانوا في الدنيا مسلمين ، ونقل السدي في تفسيره بسنده
للمشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تخوا أن لو كانوا
مسلمين وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً ، وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله
تعالى (ولو ترى إذ أقوالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان
الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزهري عن عبد الله في قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال هذا في
الجهنميين إذ رآهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثني للثي حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة

انبعدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا قال فيضبط الله لهم بفضل رحمة فخرجهم فذلك حين يقول (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد بن إبراهيم وعن خفيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للوحدين ما أغنى عنكم إيمانكم ؟ فإذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، قال فعند ذلك قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا روى عن الضحاك وقادة وأبي العالية وغيرهم ، وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن إسحق الجعفي وابن عاتق يحيى بن موسى (١) حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأغر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معناني النار ؟ فيضبط الله لهم فخرجهم فيقيمهم في نهر الحياة فيريدون من حرهم كما يريد الأتمة من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنمين » ، فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ثم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، ثم قال الطبراني فترد به الجعفي (الحديث الثاني) قال الطبراني أيضا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء علي بن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع الأعمري عن سعيد بن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا اجتمع أهل النار في النار وصمم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى ، قالوا فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا . فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا - قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ال تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) وربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستماعة . (الحديث الثالث) قال الطبراني أيضا حدثنا موسى بن هارون حدثنا إسحق ابن راهويه قال قلت لأبي أسامة أحدكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثني صالح بن أبي شريف قال سألت أبا سعيد الخدري قلت له هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ؟ قال نعم سمعت يقول « يخرج الله تاسمان المؤمنين من النار بعد ما تأخذ نعمته منهم » وقال « لا تأخذهم الله النار مع المشركين قال لهم للمشركين تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ، فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيضع لهم للامثلة والتبيين وشفع المؤمنين حتى يخرجوا بإذن الله ، فإذا رأى للمشركين ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فندركوا الشفاعة فنخرج معهم » قال فذلك قول الله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فيسمون في الجنة الجهنمين من أجل سوادى وجوههم فيقولون يارب أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيقتلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم » فأقر به أبو أسامة وقال نعم (الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسي حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثني إيمان بن يزيد عن محمد بن جبير عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « منهم من تأخذ النار إلى ركبته ، ومنهم من تأخذهم إلى حيزنهم ومنهم من تأخذ النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفتي ، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمن بالله وكتبه

ورسله فتحن وأتم اليوم في النار سواء ، فغضب الله لهم غضبا لم يقضه شيء فها مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله (دعا يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين) وقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) تهديد شديد لم ووعد أ كيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) ولهذا قال (ويلهم الأمل) أي من التوبة والآنانية (سوف يملون) أي عاقبة أمرهم

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

خبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميعاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الاقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والاحاد الذي يستحقون به الهلاك

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنٰحْفَظُونُ﴾

خبر تعالى عن كفرهم وعنادهم في قولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) أي الذي تدعى ذلك (إنك لمجنون) أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا (لوما) أي هلا (تأتينا بالملكة) أي يهودن لك بصصة ماجت به كما قال فرعون (فلولا أتني عليه أسورة من ذهب أوجاء معه للملكة مقترنين) ، (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملكة أونرى زينا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا) يوم يرون للملكة لا يصرى يومئذ للجرمين وحقولون حجرا عجورا) وكذا قال في هذه الآية (ما نزل للملكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقال مجاهد في قوله (ما نزل للملكة إلا بالحق) بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكركر وهو القرآن وهو الحافظ له من التخير والتبديل ، ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى (له لحافظون) على النبي ﷺ كقوله (وإنه يصمك من الناس) والشي الأول أولى وهو ظاهر السياق

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾

يقول تعالى مسلينا لرسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزؤا به ، ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب الجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى ، قال أنس والحسن البصري (كذلك نسلكه في قلوب الجرمين) يعني الشرك وقوله (قد خلت سنن الأولين) أي قد علم ما فعل تعالى من كذب رسله من الهلاك والفساد وكيف أنجى الله الأنبياء وآتباعهم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ * قَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾

خبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فصاروا يصدقون فيه لاسدقوا بذلك بل قالوا (إنما سكرت أبصارنا) قال مجاهد وابن كثير والضحاك: سدت أبصارنا ، وقال قتادة عن ابن عباس: أخذت أبصارنا ، وقال العوفي عن ابن عباس : شبه علينا وإنما سحرنا ، وقال السكبي : عميت أبصارنا وقال ابن زيد : سكرت أبصارنا. السكران الذي لا يعقل .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظَرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ

السَّمْعَ قَاتِبَتِهِ شَهَابٌ مُبِينٌ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا فِيهَا رَوَابِي وَأَبْنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزُونٌ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ لَكُمْ لَهْ يُرْزَقِينَ *

يذكر تعالى خلقه السماء وارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيها يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقادة البروج ههنا هي الكواكب (قلت) وهذا كقوله تبارك وتعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) الآية. ومنهم من قال البروج هي منازل الشمس والقمر، وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسها من مرادة الشياطين فلا يسمعون إلى اللاأأعلى فمن غرد وتهدم منهم لا سراق السمع جاءه شهاب مبين فألقفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الله هو دونه فأخذها الآخر ويأتى بها إلى وليه كما جاء مصرحا به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا طي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضما لقوله كأنه سلسلة طح سفوان» قال طي وقال غيره سفوان ينغدم ذلك فإذا زرع من قلوبهم قالا وماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو الولي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق الآخر، ووصف سفيان يده وفرج بين أصابعه يد النبي فصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب السمع قبل أن يرى بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرى بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنهب إلى الأرض فتلقى طي فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يغربنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المنتاسبة ، وقال ابن عباس (من كل شيء موزون) أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عتيبة والحسن بن محمد وأبو صالح وقادة ومنهم من يقول مقدر بقدر . وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر ، وقال ابن زيد ما يزنه أهل الأسواق . وقوله ، (وجعلنا لكم فيها معايش) يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعايش وهي جمع معيشة وقوله (ومن لستم له برازقين) قال مجاهد هو الدواب والأنعام ، وقال ابن جرير هم الصيد والامام والدواب والأنعام ، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب الكسب ووجوه الأسباب وصنوف المعاش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها والصيد والامام التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم ، فلهم هم النعمة ، والرزق على الله تعالى .

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ فَاَنْزِلَ لَنَا مِنْ أَسْمَاءِ مَاءٍ فَاَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْأَشْيَاءَ ذَرِيَّةً * وَنَحْنُ أَقْسَمُ لَكُمْ * وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ بِخَشْرِكُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف (وما نزلناه إلا بقدر معلوم) كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة . قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله مامن عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) الآية رواه ابن جرير ، وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشام أخبرنا إسحاق بن سالم عن الحكم بن عتيبة في قوله (وما نزلناه إلا بقدر معلوم) قال مامن

بأكثر مطرًا من عام ولا أقل ولكنه يحطر قوم وعمر آخرون بما كان في البحر ، قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من اللاتسكة أكثر من عدد ولة إيليس وولد آدم يحسون كل قطرة حيث تقع وما تبث ، وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير حدثنا حبان بن أغلب بن نغم حدثني أبي عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزائن الله الكلام فإذا أراد شيئًا قال له كن فكان » ثم قال لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوي وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح أي تلقح السحاب فتندثر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصفة الجمع ليكون منها الاتساع بخلاف الريح المقح فإنه أفردها ووصفها بالقمم وهو عدم الاتساع لأنه لا يكون إلا بين شيئين فصاعدا ، وقال الأعمش عن المهال ابن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ترسل الريح فتتحلل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كأنها اللقحة وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وقائدة ، وقال الضحاك يبعث الله على السحاب تلقحه فيمئلي ماء ، وقال عبيد بن حمير اللبي يبعث الله للبرية فتقم الأرض قسا ثم يبعث الله للبرية فتبثر السحاب ثم يبعث الله للؤلؤة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا (وأرسلنا الرياح لواقح) وقد روى ابن جرير من حديث عيسى بن ميمون عن أبي الهزم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الريح الجنوب من الجنة وهي التي ذكر الله في كتابه وفيها نافع للناس » وهذا إسناد ضيف ، وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الجدي في مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جندبة اللبي أنهم مع عبد الرحمن ابن غزاق يحدث عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق في الجنة ريحاً بعد الريح سبع سنين وإن من دونها باباً مغلقة وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب ولو فتح لأدركت ما بين السماء والأرض من شيء وهي عند الله الأذيب وهي فيكم الجنوب » وقوله (فأتيناكموه) أي أنزلناه لكم عندي يمكنكم أن تصبروا منه لو نشاء جعلناه أجاباً كما به على ذلك في الآية الأخرى في سورة الواقعة وهو قوله تعالى (أفأنتم للماء الذي تنصبون • أأنتم أنزلتموه من الزن أم نحن المنزلون ؟ • لو نشاء جعلناه أجاباً فلو لا تشكرون) وفي قوله (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) وقوله (وما أنتم له بخازنين) قال سفيان الثوري يمانعين ويحتمل أن المراد وما أنتم له محافطين بل نحن نزلناه ونحفظه عليكم ونعصمه معنا ونناصب في الأرض ولوشاء تعالى لأغاره وذهب به ولكن من رحمته أنزله وجهه عنده وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليقبى لهم في طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وغارهم وقوله (وإننا لنحن نحي ونغي) إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، ثم أخبر تعالى عن عام علم بهم أولهم وآخرهم فقال (ولقد علمنا المستقيمين منكم) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما : المستقيمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرون من هوى ومن سيأتى إلى يوم القيامة ، وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقائدة ومحمد بن كعب والشعب وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المثنى بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء فأنزل الله (ولقد علمنا المستقيمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وقد ورد فيه حديث غريب جدا فقال ابن جرير حدثني محمد بن موسى الجرشى حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت تصلى خلف النبي ﷺ امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلاً قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يميني لئلا يروها وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأنزل الله (ولقد علمنا المستقيمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وكذا رواه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكى عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن ، وهذا الحديث

فيه نكارة شديدة وقدرناه عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو النكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله (ولقد علنا للسقدمين منك) في الصفوف في الصلاة (والستأخرين) فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء ققط ليس فيه لابن عباس ذكر ، وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية توح بن قيس وإقاعة أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي ميسرة عن أبيه أنه سمع عون بن عبد الله يذكر محمد بن كعب في قوله (ولقد علنا للسقدمين منك ولقد علنا الستأخرين) وأنهما في صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا (ولقد علنا السقدمين منك) لبيت والقول (والستأخرين) من يخلق بعد (وإن ربك هو بمشروم إنه حكيم عليم) فقال عون بن عبد الله وقتل الله وجزاك خيراً

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَبْنَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ)

قال ابن عباس ومجاهد وقادة : للراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الإنسان من مارج من نار) وعن مجاهد أيضاً (الصلصال) اللتان وتفسير الآية بالآية أولى وقوله (من حمأ مسنون) أي الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون الأملس كما قال الشاعر :

ثم خاصرتها إلى القبة الحنف * مرأى تنشى في مرمم مسنون

أي أملس مقبل ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك ابن الحما المسنون هو التمن وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب ، وقوله (والجان خلقناه من قبل) أي من قبل الإنسان (من نار السموم) قال ابن عباس هي السموم التي تقتل ، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحروق بالنهار ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال دخلت على عمر الأعمى أعوده فقال ألا أحدئك حديثاً سمعت من عبد الله بن مسعود يقول هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الإنسان ثم قرأ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وعن ابن عباس أن الجان خلق من لب النار وفرواية من أحسن النار ، وعن عمرو بن دينار من نار الشمس ، وقد ورد في الصحيح « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »^(١) والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب منصفه وطهارة عتقه

(وَإِذْ قَالَتْ رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُدُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ إِنِّي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِخَلْقٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)

يذكر تعالى توبه به ذكر آدم في ملائكته قبل خلقه وتسميته إياه بأمر الملائكة بالسجود له وذكر خلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً واختاراً بإبائهم ولهذا قال (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) كقوله (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت على) الآية . وقدرى ابن جرير ههنا أنما غريباً عجيباً من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال (إني خالق بشر من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من رُوحِي فقعوا له ساجدين) قالوا لا نعم ، فأرسل عليهم ناراً فأحرقهم ، ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نعم فأرسل عليهم ناراً فأحرقهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال (إني خالق بشر من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له) فأرسل عليهم ناراً فأحرقهم ثم خلق ملائكة فقال (إني خالق بشر من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له) قالوا آمناً ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا منه بعد ، والظاهر أنه إسرائيل والله أعلم

(قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنْ عَلَيْنَا الْآلَمَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(١) رواه مسلم وأحمد عن عائشة .

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٠٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿١٠١﴾

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أن يمش على أعقاب آدم ولا يخاف من اللزعة التي كان فيها من الللا الأعلى وأنه رجى أن يرجع وأنه قد أبغى الله لا يزال متصلة به لا حقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة . وعن سعيد بن جبير أنه قال : لما لعن الله إبليس قبرت صورته عن صورة اللالكه ورن رنة فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها رواه ابن أبي حاتم ، وأنه لما تحقق الضب الذي لا مرد له سأل من علم حسده لأدم وخرته النظرة إلى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه أحب إلى ذلك استدراجاً له وإمهالاً فلما تحقق النظرة قبحه الله

[illegible]

يقول تعالى خبراً عن إبليس وعمره وعته أنه قال للرب (يا أغويثي) قال بعضهم أقسم بغاؤه الله له (قلت) ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني (لأذين لم) أي لقدرة آدم عليه السلام (في الأرض) أي أحب إليهم للعاصي وأرغبهم فيها وأزهم إليها وأزعجهم إليها عاجاً (ولأغوينهم أجمعين) أي كأغويتني وقدرت على ذلك (إلا عبادك منهم المخلصين) كقولهم (أرأيكم هذا الذي كرمتم على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأستكنن ذريته إلا قليلاً) (قال) الله تعالى له متنبهاً ومتوعداً (هذا صراطى مستقيم) أي مرجع كلكم إلى فأجازيك بأعمالك إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله تعالى (إن ربك بالمرصاد) وقيل طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى وإليه تنتهى قالة مجاهد والحسن وقتاده كقولهم (وعلى الله قصد السبيل) وقرأ قيس بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا صراط على مستقيم) كقوله (وإنه في أم الكتاب لدينالى حكيم) أى رفيع وللشهور القراءة الأولى . وقوله (إن عادى ليس لك عليهم سلطان) أى الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم (إلا من أتيتك من العاوين) استثناء منقطع . وقد ورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال : كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قرآن فإذا أراد النبي أن يستقبى ربه عن شيء خرج إلى مسجده فعلى ما كتب الله له ثم سأله ما بداله ، فبينما هي في مسجده إذ جاء عدو الله — يعنى إبليس — حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأى شيء تنجو منى فقال النبي بل أخبرني بأى شيء تطلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما فقال عدو الله أرأيت الذى تمود منه فهو هو قال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات ، فقال عدو الله أخبرني بأى شيء تنجو منى فقال النبي بل أخبرني بأى شيء تطلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي إن الله تعالى يقول (إن عادى ليس لك عليهم سلطان إلا من أتيتك من العاوين) قال عدو الله قد سمعت هذا قيل أن تولد قال النبي ويقول الله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه يسمع علم) وإلى والله ما أحسنت بك قط إلا استصنفت بالله منك ، قال عدو الله صدقت بهذا تنجو منى فقال النبي أخبرني بأى شيء تطلب ابن آدم ، قال آخذه عند الغضب والهوى . وقوله (وإن جهنم لوعدى أجمعين) أى جهنم موعد جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا يحيد لهم عنه أجارتنا أفعلمها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في درك بقدر عمله ، قال إسماعيل بن علي وشعبة كلاهما عن أبي هارون التميمي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت لي بن أبى طالب وهو مخبط قال : إن أبواب جهنم هكذا — قال أبو هارون — أطباق بعضها

فوق بعض ، وقال إسرائيل عن أبي إسحق عن هيرة بن أبي مرزم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمنزله الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها ، وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب وأهل جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم المعبر ثم سقر ثم الجسم ثم الهاوية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه ، وكذا روى عن الأعمش نحوه أيضاً ، وقال قتادة (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) هي والله منازل بأعمالهم رواه ابن جرير ، وقال جوير عن الضحاك (لها مئة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي - أو قال على أمة محمد - » ثم قال لا تعرفه إلا من حديث مالك بن مغول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الحلال حدثنا زيد بن عيسى بن جندب بن بشر عن قتادة عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب . عن النبي ﷺ في قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال « إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كفيه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزه ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) » .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • أَدْخُلُوهُمْ بِسَلَامٍ ؕ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ • لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْصَ وَمُتَاعٍ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ • نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنَّ هَذَا صِيَ الْمَذَابِ الْأُولَى ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنها في جنات وعيون وقوله (ادخلوها بسلام) أي سالين من الآفات مسلم عليكم (آمين) أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولانقاء ، وقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) روى القاسم عن أبي أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشجاء والضغائن حتى إذا توافوا وتهاولوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ (ونزعنا ما في صدورهم من غل) هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف ، وقد روى سعيد في تضعيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري . وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو التوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « يجلس المؤمنون من النار فيجسسون على قطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وتهاولوا أدخلهم في دخول الجنة » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا زيد بن هارون أخبرنا هشام بن محمد هو ابن سيرين قال سألت أبا عبد الله رضي الله عنه وعنده ابن طلحة فعبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال إني لا أراك إنما جئتي لهذا ؟ قال أجل قال إني لأراه لو كان عندك ابن لثمان لحبستك قال أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى طلحة قال : دخل عمران بن طلحة على رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجبل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى طلحة قال : دخل عمران بن طلحة على رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجبل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر

مقابلين) قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعلم من ذلك تحتلهم بالأسى وتكونون إخوانا ، فقال على رضى الله عنه قوما أبعد أرض وأسحقها فمن إننا لم أكن أنا وطلحة ، وذكر أبو معاوية الحديث بطوله وروى وكيع عن أنس بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربيعة بن خراش عن علي بن حمزة قال في هذا رجل من همدان فقال الله أعلم من ذلك يا أيها الذين آمنوا ، قال فصاح به على صيحة فظننت أن القصر تهدمه لما ثم قال إننا لم نكن نحن فمن ؟ وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الأعور ذلك قام إليه على رضى الله عنه فصر به بشيء كان في يدهمى رأسه وقال فمن هم يا أعور إننا لم نكن نحن ؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على على رضى الله عنه فحجبه طوليا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاد فتجفونهم فقال على : فيك التراب إلى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين) وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن جهم ، وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن أبي موسى مع الحسن البصري يقول . قال على فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين) وقال كثير النوا : دخلت على أبي جعفر محمد بن على فقلت ولي وليكم ، وسلمي سلمك ، وعدوى عدوك ، وحربى حربكم . أنا أسالك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال (قد ضلك إذا وما أنا من المهتدين) تولمها كثيرا أدركك فهو في رقبتي هذه ، ثم تلا هذه الآية (إخوانا على سرور متقابلين) قال أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم أجمعين ، وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله (إخوانا على سرور متقابلين) قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، وقوله (متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض وفيه حديث مرفوع

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن جهم حدثنا يحيى بن معين عن إبراهيم القومسي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى قال . خرج علينا رسول الله ﷺ فتلانها الآية (إخوانا على سرور متقابلين) في الله ينظر بعضهم إلى بعض ، وقوله (لا يمسهم فيها نصب) يعني للشفقة والأذى كما جاء في الصحيحين « إن الله أمرني أن أبصر بديعة بيت في الجنة من نصب لا نصب فيه ولا نصب » وقوله (وما هم منها بمخرجين) كما جاء في الحديث « يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تعرضوا أبدا ، وإن لكم أن تميتوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تنهروا أبدا ، وإن لكم أن تقيموا فلا تظنوا أبدا » وقال الله تعالى (خالدين فيها لا يخرجون عنها حولا)

وقوله (نبي عبادي) أي أنا الفطور الرحيم وأن عبادي هو العذاب الأليم) أي أخيرا في عهد عبادي أي ذورحة وذو عذاب أليم ، وقد فهم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقام الرجاء والخوف ، وذكر في سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال مر رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه يضحكون فقال « اذكروا الجنة واذكروا النار » فنزلت (نبي عبادي) أي أنا الفطور الرحيم « وأن عبادي هو العذاب الأليم » رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل ، وقال ابن جرير حدثني التي حدثنا إسحق أخبرنا ابن المسيك أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه فقال « ألا أراكم تضحكون » ثم أدير حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقري فقال « إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله يقول لم تخط عبادي (نبي عبادي) أي أنا الفطور الرحيم « وأن عبادي هو العذاب الأليم » وقال سعيد عن قتادة في قوله (نبي عبادي) أي أنا الفطور الرحيم قال بلننا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تودع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه »

(وَتَبَيَّنْهُمْ عَنْ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا فَمَنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا

نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْهٖ ۖ قَالَ ابَشِّرْهُنَّ بِمَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْكِبَرِ ۚ فَبِمَ تَنبَشِّرُونَ ۚ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ۚ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِعِينَ ۚ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِن رَّبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى وغيرهم يا محمد عن قصة (ضيف إبراهيم) والضيف يطلق على الواحد والجمع كآزور والسفر، وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجاؤون (أى خائفون ، وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه إليهم من الضيافة وهو المجل السمين الحنيد (قالوا لا توجل) أى لا تخف (وبشروه بسلام علم) أى إسحق عليه السلام كما تقدم في سورة هود ثم (قال) متعباً من كبره وكبر زوجته ومتحقفاً للوعد (ابشرون على أن سئى الكبر فم يشرون) فاجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القاطنين) وعراً بعضهم القاطنين فاجابهم بأنه ليس يقطع ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۚ ۖ وَإِلَّا هَالِكٌ لَّوِطٌ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ۚ إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَا عَلَيْهِآ إِن كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ ۚ﴾

يقول تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروح وجاءته البشيرة انه شرخ يسألهم عما جاءوا له فقالوا (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يبنون قوم لوط وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فاتها من المالكين ، ولهذا قالوا (إلا أمرًا تقدرنا عليهآ لمن الغابرين) أى الباقين للهلكين

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ آلُ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّتَكَبِّرُونَ ۚ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۚ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١١﴾

غير تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في سورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال (إنكم قوم متكبرون ۚ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يبنون بسذاجهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحاوله بإساحتهم (وأتيناك بالحق) كقوله تعالى (ما نزل الملائكة إلا بالحق) وقوله (وإنا لصادقون) تأكيد لحبرهم إليه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ ۖ أَدْبُرُهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۚ وَتَضَيَّنَّا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۚ﴾

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام عسى وراءه لم يكون أحفظ لهم ، وهكذا كان رسول الله ﷺ عسى في النزول إما يكون ساقية بزجي الضيف ويحمل للقطع وقوله (ولا يلتفت منكم أحد) أى إذا سمعت الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فاحبل بهم من العذاب والنكال (وامضوا حيث تؤمرون) كأنه كان معهم من يهديهم السبيل (وقضينا إليه ذلك الأمر) أى قضينا إليه في هذا (أن) دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (أى وقت الصبح كقوله في الآية الأخرى (إن موعدهم الصبح ليس الصبح بقريب)

﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَسْخِرُونَ ۚ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَلَا تُخْرَجُوا ۚ ۖ﴾

﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَهَكَ مِنَ الْمَلِكِ ۖ قَالَ هُوَ الَّذِي بَنَىٰ إِبْرَاهِيمَ لِنِيَ سَكْرَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لِمَ عَلِمْتُ بِمَا لَا تَعْلَمُ ۖ قَالَ رَبِّ هَؤُلَاءِ

خبيثون فلا تفزعون ﴾ وانقوا الله ولا تخزون ﴿ وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله قال في سورة هود وأما هنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذلك على قومهم ومحتاجتهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولاسيا إذا لم يدل على خلافه فقالوا له عبيد (أولئك عن السالين) أي أو ما نهيك أن تضيف أحدا ؟ فأرشدهم إلى نياتهم وما خلق لهم ربهم من الفروج الباحة . وقد تقدم لإيضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته . هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصيبهم من العذاب المستقر . ولهذا قال تعالى الحمد . ﴿ لعمرك إنهم لنفي سكرتهم يعمهون ﴾ أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تحريف عظيم ومقام رفيع وجاء عريض . قال عمرو بن مالك التكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ قسماً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره . قال الله تعالى ﴿ لعمرك إنهم لنفي سكرتهم يعمهون ﴾ يقول وحياك وعمرك وبقائك في الدنيا (إنهم لنفي سكرتهم يعمهون) رواه ابن جرير وقال قتادة (في سكرتهم) أي في غلاتهم (يعمهون) أي يلبسون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لعمرك) لبيشك (إنهم لنفي سكرتهم يعمهون) قال يترددون

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ مُرْسِقِينَ ۖ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ ۚ وَإِنهَا لَبِسِيلٌ مُّقيم ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية ، وقوله ﴿ إن في ذلك آيات للمؤمنين ﴾ أي إن آثار هذه النعم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك ونومهم بين يصره وبصرته كآيات لعاهد في قوله ﴿ للمؤمنين ﴾ قال التفسيرين ، وعن ابن عباس والضحاك للتأويلين وقال قتادة المعتبرين ، وقال مالك عن بعض أهل المدينة (للمؤمنين) للتأملين . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﴾ ثم قرأ النبي ﷺ ﴿ إن في ذلك آيات للمؤمنين ﴾ رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس اللاتري عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال ابن جرير أيضاً حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا القرات بن السائب حدثنا ميمون ابن مهران عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله ﴾ وقال ابن جرير حدثني أبو شريح الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا اللؤلؤ بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ويتوفيق الله ﴾ . وقال أيضاً حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا سعيد ابن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر الزرق عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ ﴿ إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ﴾ ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن الزرق قال وكان هبة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ﴾ وقوله ﴿ وإنها لبسيل مقيم ﴾ أي وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب السوري وللنوى والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مهج مسالك مستعرة إلى اليوم كقولها ﴿ وإنكم لتحرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ وإن يونس ابن الرسلان ﴿ وقال مجاهد والضحاك ﴾ وإنها لبسيل

(مقيم) قال معلم ، وقال قتادة بطريق واضح ، وقال قتادة أيضا يصف من الأرض واحد ، وقال السدي بكتاب سين يعني كقوله (وكل شيء أحصيناه في إمامين) ولكن ليس للمنى على ما قاله هنا والله أعلم ، وقوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) أى إن الذى صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وأنجائنا لوطا وأهله له دالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله

(وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أَظْلَمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِلَابِامُ مِثِينَ)

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب ، قال الضحاك وقاتة وغيرهما الأيكة الشجر للثلف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعم الطريق وتقصم المكيال وللبزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالى (وإنهما لبإماميين) أى طريق ميين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم (وما قوم لوط منك بعيد)

(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُفْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا لِامْرِئِينَ * فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْحِجِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

أصحاب الحجر هم قوم الذين كذبوا صالحا نبياهم عليه السلام ومن كذب رسول فقد كذب جميع الرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب للرسلين ، وذكر تعالى أنه أنامهم من الآيات ما يذهب لهم صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التى أخرجهما الله لهم بداء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح فى بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعفروها قال لهم (نعتوا في دياركم ثلاثة أيام ذك وعد غير مكذوب) وقال تعالى (وأما عود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى) وذكر تعالى أنهم (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) أى من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشرا وبطرا وعينا كاهلوا لمشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذى مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك ففتح رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه (لا تسئلوا بيوت القوم للمذنبين إلا أن تكونوا بأكين فإن لم تبكوا فتبا كوا خشية أن يسبيكم ما أصابهم) وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أى وقت الصباح من اليوم الرابع (فلما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى ما كانوا يستغلونه من زروعهم ونعائمهم التى ضنوا بماثما عن الناقة حتى عفروها ثلاثا فغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الأموال ولا فنيهم لما جاء أمر ربك

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الْفُجُورَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَتْلَقُ الْعَلِيمُ)

يقول تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) أى بالعدل (ليجزى الدين أنسادوا بما عملوا) الآية ، وقال تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * تعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) ثم أخبر نبيه قيام الساعة وأنها كائنة لاحالة ثم أمره بالصفح الجليل عن الشركين في أخاه له وتكذيبهم ما جاءهم به كقوله (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) وقال مجاهد وقاتة وغيرهما كان هذا قبل القتال ، وهو كما قال ، فإن هذه مكة والقتال إنما نزع ببذل الهجرة ، وقوله (إن ربك هو الخلاق العليم) تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة فانه الخلاق الذى لا يميزه خلق شيء العليم بما تمزق من الأجساد وتخرق في سائر أقطار الأرض كقوله (أوليس الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسمعان الذى يبدى ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ التَّائِيَةِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزيتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تقبطهم بما هم فيه ولا تذهب همك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك وعافيتهم دينك (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ألق لم جانبك كقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقد اختلف في السبع الثلاثي ما هي، فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم هي السبع الطول بمنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والإنعام والأعراف ويونس، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير، وقال سعيد بن جبير القرائن والحدود والقصاص والأحكام، وقال ابن عباس بين الأمثال والحجج والمبر وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي عمير قال: قال سفيان: قال الثوري قال: قال عمران والنساء والمائدة والإنعام والأعراف، وأما قال وبراءة سورة واحدة، قال ابن عباس ولم يطمئن أحد إلا التي صلى الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن ثنتين، رواه هشيم عن الحجاج عن الوليد بن البزار عن سعيد بن جبير عنه، وقال الأعمش عن مسلم البطي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتي النبي ﷺ سبعا، ن. الثاني الطول وأوتي موسى عليه السلام ستا، فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع، وقال مجاهد هي السبع الطوال ويقال هي القرآن العظيم وقال خفيف عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالى (سبعا من الثاني) قال أعطيتك سبعة أجزاء مر، وانه، وبشر، وأندر واضرب الأمثال، وأبعد الله وأنبك بشأ القرآن. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم (والقول الثاني) أنها الفاتحة وهي سبع آيات وروى ذلك عن علي وعمر وابن مسعود وابن عباس، قال ابن عباس والبسمة هي الآية السابعة وقد حكم الله بها وبه قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن عبيد بن حمير وابن أبي مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصري ومجاهد، وقال قتادة ذكر لنا أنهم فاتها الكتاب وأنهم يثني في كل ركعة مكتوبة أو تطوع، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك وقد قدمناها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير وفي الحمد، وقد أورد البخاري رحمه الله ههنا حديثين أحدهما قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن الخديج قال مر في النبي ﷺ وأنا أصلي فدعاني فلم آتته حتى صليت فأتيته فقال « ما منك أن تأتيني ؟ » فقلت كنت أصلي فقال « ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد » فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت قال « (الحمد لله رب العالمين) هي السبع للثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » (الثاني) قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا القري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع الثاني والقرآن العظيم » فهذا نص في أن الفاتحة السبع للثاني والقرآن العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكلمة بذلك أيضاً قال تعالى (الله) زلزالاً حسن الحديث كتاباً متشابها مثاني) فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضاً كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن السجدة التي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده والآية نزلت في مسجد بقاء فلا تافى ظان ذكر الذكر ولا يفتي ذكر ما عده إذا اشتراك في تلك الصفة والله أعلم وقوله (لا تمدن عينيكم إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) أي استغن بما آتانا فمن القرآن العظيم عما هم فيه من اللذات والزهرة الفانية ، ومن ههنا ذهب ابن عينة إلى تفسير الحديث الصحيح « ليس منامن لم يتغن بالقرآن » إلى أنه يستغنى به عما عده وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : خاف النبي صلى الله عليه وسلم عبدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : خاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف ولم يكن عند النبي ﷺ شيء يصلحه فأرسل إلى رجل من اليهود « يقول لك محمد رسول الله أسلفني

دقيقاً إلى هلال رجب قال لا ، إلا برهن فأثبت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أما والله إنى لأؤمن من فى السماء وأمين من فى الأرض ولئن أسلفنى أو باعنى لأؤدين إليه » فلما خرجت من عنده زالت هذه الآية (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) إلى آخر الآية كأنه يزيه عن الدنيا قال العوفى عن ابن عباس (لا تمدن عينيك) قال نهي الرجل أن يتعنى ما لصاحبه . وقال مجاهد (إلى متعنا به أزواجاً منهم) هم الأغنياء

﴿ وَقُلْ إِنِّ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عَرْضِينَ ﴾ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ أَجْمِينَ ﴾ ﴿ عَمَّا كَانُوا يَمْسُكُونَ ﴾

يا أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس (إنى أنا النذير للبين) البين النذارة نذير للناس من عذاب ألم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم للكذب لرسولها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله (المقسمين) أى التحالفين أى تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخباراً عن قوم صالح أنهم (قالوا تهامسوا بالله لنيئته وأهله) الآية أى قتلهم ليلال قال مجاهد تهامسوا ومخالقوا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايئس الله من يوت) (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) الآية (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) (فكأنهم كانوا لا يكدبون بشئ من الله) أى لا أقسموا عليه فقسموا مقسمين : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للمقسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنيئته وأهله . وفى الصحيحين عن أبى موسى عن النبي ﷺ قال « إيمانى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إنى رأيت الجيئى بينى وإنى أنا النذير الريان فالنجاه النجاه ، فأطاعه طائفة من قومه فأولجوا وانطلقوا على مهلبم فنجوا ، وكذب طائفة منهم فأصبحوا بكاهم فصحبهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق » وقوله (الذين جعلوا القرآن عرضين) أى جزؤا كتبهم للترال عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو جهر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (جعلوا القرآن عرضين) قال هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس (جعلوا القرآن عرضين) قال هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال (كما أنزلنا على المقسمين) قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى ، قال ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (جعلوا القرآن عرضين) قال السحر ، وقال عكرمة الضم السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها الماضية وقال مجاهد عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا أكاهة وقالوا أساطير الأولين ، وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقال كاهن فذلك الضنين وكذا روى عن الضحاك وغيره ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن الغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فهم وقد حضر اللوسم فقال لهم يا معشر قريش إن فقد حضر هذا اللوسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيهم واحدا ولا تختلفوا فيكتب بضمك بصاً ويرد قولكم بضه بضنا فقالوا وأنت يا أبا عبيد تمس قتل وأمن لنا رأياً هول به قال بل أتم قولوا لأسمع قالوا شول كاهن ، قال ما هو بكاهن قالوا نتقول مجنون ، قال ما هو بمجنون قالوا نقول ساعر ، قال ما هو بشاعر قالوا نتقول ساحر ، قال ما هو بساحر قالوا فإذا شول ، قال والله إن لقوله لحلاوة لما أتم جائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر ، فنزعوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم (الذين جعلوا القرآن عرضين) أسنفاً (فوردك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون) أولئك النفر الذين قالوا لرسول الله ، وقال عطية العوفى عن ابن عمر فى قوله (لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن لاله إلا الله وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن ليث هو ابن أبى سالم عن مجاهد فى قوله تعالى (لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال

عن لا إله إلا الله وقد روى الترمذى وأبو يعلى اللؤلؤى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي ﷺ (فوريك لنسألكم أجمعين) قال عن لا إله إلا الله ، ورواه ابن إدريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفاً ، وقال ابن جرير حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن حكيم قال ورواه الترمذى وغيره من حديث أنس مرفوعاً وقال عبد الله هو ابن مسعود والحق لا إله غيره ما منكم من أحد إلا يستأخلك الله به يوم القيامة كما يحلو أحدكم بالقر ليلة البدر يقول : ابن آدم ماذا غرك مني؟ ابن آدم ماذا حملت فما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبته للرسلين؟ وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالقة قوله (فوريك لنسألكم أجمعين مما كانوا يعملون) قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة مما كانوا يعملون وعما ذا أجابوا المرسلين؟ وقال ابن عينة عن عمك وعن مالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المرء يستل يوم القيامة عن جميع سمعه حتى كمل عليه ، وعن فئات الطينة بأسمه ، فلا ألتينك يوم القيامة واحد غيرك أسعد بما أتاك الله منك » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فوريك لنسألكم أجمعين مما كانوا يعملون) ثم قال (فيومئذ يسل عن ذنبه إنس ولا جان) قال لا يسألكم هل علمت كذا؟ لأنه أعلم بذاك منهم ولكن يقول علم كذا وكذا؟

(فأصنع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) إنا كفيناك المستهزين * الَّذِينَ يَمْشُونَ مَعَ اللَّهِ هَلْهُنَا آخَرُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

يقول تعالى آمراً رسول الله ﷺ بإبلاغ ما بعث به وبإفادته والصدق به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله (فأصنع بما تؤمر) أي أمسه ، وفي رواية (افعل ما تؤمر) وقال مجاهد هو الجهر بالآراء في الصلاة وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفاً حتى نزلت (فأصنع بما تؤمر) فخرج هو وأصحابه وقوله (وأعرض عن المشركين) إنا كفيناك المستهزين (أي بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذي يريدون أن يصدوك عن آيات الله (ودوا لو تدهن فيدهنون) ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم كقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل لما بلغت رسالته والله يصمك من الناس) وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحق بن إدريس حدثنا عون بن كهس عن يزيد ابن درهم عن أنس قال سمعت أنساً يقول في هذه الآية (إنا كفيناك المستهزين الذين يمشون مع الله هلهن آخرة) قال مر رسول الله ﷺ فغزوه بعضهم فجاء جبريل أحبه قال فغزوه فوقع في أجسادهم كهنة الطغاة فأتوا ، وقال محمد بن إسحق كان عطاء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن الخطاب أبو زمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يلقه من أذاه واستهزائه فقال « اللهم أعم بصره وأسكله ولده » ومن بني زهرة الأسود بن عبد يثوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بني غزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن غزوم ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الظلال ابن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى (فأصنع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) إنا كفيناك المستهزين — إلى قوله — فسوف يعلمون قال ابن إسحق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن غدير من الغدير أن رسول الله ﷺ وهو بطوف بالبيت قدام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن عبد يثوث فأشار إلى

بلك فاستقى بطنه ثلث منه ، ومزبه الوليد بن الليرة فأشار إلى أن جرح بأفعل كب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يمر بإزاره فذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش لبلاله فتعلق سهم من يده بإزاره فخنس رجله فذلك الخدش وليس شيء فالتفت به فقتله ومزبه العاصم بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شجرة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومزبه الحارث بن الطلائعة فأشار إلى رأسه فامتخط فيها فقتله ، قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن الليرة وهو الذي جمعهم وهكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعكرمة نحو سباق محمد بن إسحق به عن يزيد عن عروة بن رواحة قال كان سيداً يقول الحارث بن غبطة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصداً هو الحارث بن قيس وأمه غبطة وكذا روى عن مجاهد ومقسم وثقادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبي كانوا سبعة والشعور الأول وقوله (الذين يخاصون مع الله إنما آخر نسوف يعلمون) تهديد شديد ووعد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر وقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أي وإنا نعلم يا محمد أنك يحصل لك من أدام لك شقيق صدروا تهاض فلا يجدنك ذلك ولا يشينك عن إبلاذك رسالة الله وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم فاشغل بذكر الله وتحميدته وتسيبته وعبادته التي هي الصلاة . ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا ماعوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعم بن عمار أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لا تميز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ورواه أبو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى ، وقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخاري قال سالم اللوث وسالم هذا هو سالم بن عبد الله بن عمر قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال للوث وهكذا قال مجاهد والحسن وثقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من الصالحين) ولم نك نطعم للمسكين * وكنا نحوض مع الخافئين * وكنا نكذب يوم الدين * حتى أننا اليقين) وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهداني عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أن الله أكرمه : » فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن ؟ فقال « أما هو فقد جاءه اليقين وإنى لأرجو له الخير » ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً فيصلي بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فقل جنب » ويستدل بها على نهيها عن نكاح من ذهب من اللاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فحق وصل أحدم إلى المعرفة سقط عنه التكليف وعدم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الحيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هنا اللوث كما تدناه لله الحمد ولله والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل وهو المسئول أن يوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فانه جواد كريم . آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين .

(تفسير سورة النحل وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ مَجِئُهُ مَبْعُوثٌ وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودونها مبعيا بصيغة اللام على التحق والوقوع لا عالة كقولهم (اقترب الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) وقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقوله (فلا تستعجلوه) أى قرب مبادع (ولا تستعجلوه بالذناب ولولا أجل مسمى لجاءهم الذناب وليأتينهم بفتة وهم لا يشعرون) يستعجلونك بالذناب وإن جهنم لحيطعة الكافرين) وقد ذهب النحاة في تفسير هذه الآية إلى قول عيب قال في قوله (أنى أمر الله) أى فرائضه وحدوده وقدره ابن جرير قال : لا تعلم أحداً استعجل بالرائى وبالشرائع قبل وجودها بخلاف الذناب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعاداً وتكديها ، قلت كما قال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد)

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبد الله مولى التيرة بن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حبيزة عن عتبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فلما زال ترضع في السماء ثم ينادى مناد فيها : يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم على بعض : هل سمعتم ، فثمهم من يقول نعم ومنهم من يشك ، ثم ينادى الثانية يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ، فيقولون نعم ، ثم ينادى الثالثة يا أيها الناس أى أمر الله فلا تستعجلوه » قال رسول الله ﷺ « فوالذى نفسى بيده إن الرجلين ليشران الثوب فيأطويانه أبداً ، وإن الرجل ليمد حوضه فيأبسط فيه عتياً أبداً ، وإن الرجل ليلعب ناقته فيأشربه أبداً » قال ويشغل الناس » ثم إنه تعالى زه نفسه عن شركهم بغيره وعبادتهم معه مساواة من الأوثان والأنداد ، تعالى وتقدس علواً كبيراً ، وهؤلاء هم الكلدون بالساعة قال (سبحانه وتعالى عما يشركون)

(يُزَكِّى الَّذِينَ آمَنُوا بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) يقول تعالى (يزكى لللائكة بالروح) أى الوحي كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) وقوله (طمئن بشاء من عباده) وهم الأنبياء كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال (الله يطفى من اللائكة رسلاً ومن الناس) وقال (يلقى الروح من أمره طمئن بشاء من عباده لينذر يوم التلاق) يومهم يبرزون لا يغنى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار) وقوله (أن أنذروا) أى لينذروا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أى فاتقوا عقوبتى لمن خالف أمرى وعبد غيرى (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَتْلُو تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ)

يُخبر تعالى عن خلقه العالم العلوى وهو السموات والعالم السفلى وهو الأرض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للبعث بل (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق) ثم زه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالحق وحده لا يشركه ، فلماذا يستحق أن يعبد وحده لا يشركه ، ثم نه به على خلق جنس الإنسان من نطفة أى مهينة ضعيفة ، فلما استقل ودرج إذا هو كخادم ربّه تعالى ويكذبه ومحارب رسله وهو إنما خلق ليكون عبداً لا شاداً كقوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك تقيداً) ويعبدون من دون الله ليعظمهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً) وقوله (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصم مبين • وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رمم • قل يحيىها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن جرير بن جحاش قال سقى رسول الله ﷺ فى كفه ثم قال (يقول الله تعالى ابن آدم : أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوتك فعدلتك مشيت بين يرديك وللأرض منك وقد فجعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت أصدق ، وأنى وأوان الصدقة ؟)

(وَالْأَنْتُمْ خَلَقْتُمُوهَا كَمْ فِيهَا دِفْعَةٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَاكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ

تَسْرَحُونَ • وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَبُّوهُ رَحِيمٌ ﴿١﴾
 يَتَنَزَّلُ عَلَى عِبَادِهِ مَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالنَّمِرُ كَافَصِلُهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَزْوَاجٍ ،
 وَمَا جَمَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الصَّالِحِ وَالنَّافِعِ مِنْ أَسْوَاقِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَعْصَارِهَا يَلْبَسُونَ وَيَتَرَشَّوْنَ وَمِنْ أَلْبَانِهَا يَشْرَبُونَ
 وَيَأْكُلُونَ مِنْ أَوْلَادِهَا وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَالِ وَهُوَ الْزَيْنَةُ وَلِهَذَا قَالَ (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْجَحُونَ) وَهُوَ وَفَتْ جَرُوعِهَا
 عَشِيًّا مِنَ الرَّعْيِ فَانْهَاتُكَونَ أَمْدَهُ خَوَاصِرَ وَأَعْظَمُهُ ضُرُوعًا وَأَعْلَاهُ أَسْنَفَةٌ (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أَيُّ غَدُودَةٍ حِينَ تَبْشُوهَا
 إِلَى الرَّعْيِ (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) وَهِيَ الْأَحْمَالُ الثَّقِيلَةُ الَّتِي تَسْجُرُونَ عَنْ ثَقْلِهَا وَحَمْلُهَا (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ
 الْأَنْفُسُ) وَفِي ذَلِكَ فِي الْحِجِّ وَالْمَرَةِ وَالزَّوْجِ وَالتَّجَارَةِ وَمَا جَرَى جَرَى ذَلِكَ تَسْتَمْلِكُونَهَا فِي أَنْوَاعِ الِاسْتِمْلَاقِ مِنْ رُكُوبِ
 وَتَحْمِيلِ كَقَوْلِهِ (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْيُكُمْ مَا فِي بَطْنِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
 تَحْمِلُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ تَرْكَبُونَهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
 فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمِلُونَ) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ، (وَلِهَذَا قَالَ هُنَا بَدَأَ تَعْدَادَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ (إِنَّ
 رَبَّكُمْ لَرَّوُفٌ رَحِيمٌ) أَعْرَبَكُمْ الَّذِي يَفِيضُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَنْعَامَ وَسَخَّرَهَا لَكُمْ كَقَوْلِهِ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا مِثْلَهُمْ يَدِينَا
 أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ • وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) وَقَالَ (وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ •
 لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ ثُمَّ تَذْكُرُوا نَصْرَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَهْوَلُوا صَيْحَانِ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ •
 وَإِنَّا لَإِلَهِدُنَا لَمَشْغُوبُونَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (لَكُمْ فِيهَا دَفْدٌ) أَيُّ ثِيَابٍ (وَمَنَافِعُ) مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ ، وَقَالَ
 عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ سَالِكٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : دَفْدٌ وَمَنَافِعُ نَسْلُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَقَالَ جَاهِدٌ لَكُمْ فِهَادِفُ
 أَيُّ لِبَاسٍ يَنْسُجُ وَمَنَافِعُ مَرْكَبٍ وَلِحْمُ وَلَدٍ ، وَقَالَ ثَابِتٌ : دَفْدٌ وَمَنَافِعُ يَقُولُ لَكُمْ فِيهَا لِبَاسٌ وَمَنَعَةٌ وَبَلْعَةٌ وَكَذَا قَالَ ضَمِيرٌ
 وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَسَرِّينَ بِالْقَاطِ مَقَارِيءَ

﴿ وَتَأْكُلُ مِنْ أَسْنَانِهِ وَالْجَحِيمُ لَا يَأْكُلُ مِنْهَا وَلَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْأَنْعَامُ وَالْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالنَّمِرُ كَافَصِلُهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَزْوَاجٍ ، وَمَا جَمَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الصَّالِحِ وَالنَّافِعِ مِنْ أَسْوَاقِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَعْصَارِهَا يَلْبَسُونَ وَيَتَرَشَّوْنَ وَمِنْ أَلْبَانِهَا يَشْرَبُونَ وَيَأْكُلُونَ مِنْ أَوْلَادِهَا وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَالِ وَهُوَ الْزَيْنَةُ وَلِهَذَا قَالَ (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْجَحُونَ) وَهُوَ وَفَتْ جَرُوعِهَا عَشِيًّا مِنَ الرَّعْيِ فَانْهَاتُكَونَ أَمْدَهُ خَوَاصِرَ وَأَعْظَمُهُ ضُرُوعًا وَأَعْلَاهُ أَسْنَفَةٌ (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أَيُّ غَدُودَةٍ حِينَ تَبْشُوهَا إِلَى الرَّعْيِ (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) وَهِيَ الْأَحْمَالُ الثَّقِيلَةُ الَّتِي تَسْجُرُونَ عَنْ ثَقْلِهَا وَحَمْلُهَا (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسُ) وَفِي ذَلِكَ فِي الْحِجِّ وَالْمَرَةِ وَالزَّوْجِ وَالتَّجَارَةِ وَمَا جَرَى جَرَى ذَلِكَ تَسْتَمْلِكُونَهَا فِي أَنْوَاعِ الِاسْتِمْلَاقِ مِنْ رُكُوبِ وَتَحْمِيلِ كَقَوْلِهِ (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْيُكُمْ مَا فِي بَطْنِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمِلُونَ) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ، (وَلِهَذَا قَالَ هُنَا بَدَأَ تَعْدَادَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُفٌ رَحِيمٌ) أَعْرَبَكُمْ الَّذِي يَفِيضُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَنْعَامَ وَسَخَّرَهَا لَكُمْ كَقَوْلِهِ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا مِثْلَهُمْ يَدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ • وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) وَقَالَ (وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ • لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ ثُمَّ تَذْكُرُوا نَصْرَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَهْوَلُوا صَيْحَانِ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ • وَإِنَّا لَإِلَهِدُنَا لَمَشْغُوبُونَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (لَكُمْ فِيهَا دَفْدٌ) أَيُّ ثِيَابٍ (وَمَنَافِعُ) مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ سَالِكٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : دَفْدٌ وَمَنَافِعُ نَسْلُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَقَالَ جَاهِدٌ لَكُمْ فِهَادِفُ أَيُّ لِبَاسٍ يَنْسُجُ وَمَنَافِعُ مَرْكَبٍ وَلِحْمُ وَلَدٍ ، وَقَالَ ثَابِتٌ : دَفْدٌ وَمَنَافِعُ يَقُولُ لَكُمْ فِيهَا لِبَاسٌ وَمَنَعَةٌ وَبَلْعَةٌ وَكَذَا قَالَ ضَمِيرٌ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَسَرِّينَ بِالْقَاطِ مَقَارِيءَ

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يتن به عليهم وهو الحيل واليغال والحير التي جعلها للركوب والزينة
 بها وذلك أكبر المقاصد منها ، ولما فصلها من الأنعام وأفردها بالذكر استعمل من استعمل من العلماء بمن ذهب إلى تحريم
 لحوم الحيل بذلك على ما ذهب إليه فيها كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه تعالى قرنها باليغال والحير
 وهي حرام كما ثبتت به السنة النبوية وذهب إليه أكثر العلماء ، وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير حديث يعقوب حدثنا
 ابن علية أنبأنا هشام المستوثقي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس أنه كان يكره لحوم الحيل
 واليغال والحير وكان يقول قال الله تعالى (وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْدٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فنهى للأكل (والحيل
 واليغال والحير لتركبوها) فنهى للركوب ، وكذا روى عن طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس مثله وقال مثل ذلك
 الحكم بن عتيبة أيضا رضى الله عنه ، واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا قتيبة
 ابن الوليد حدثنا ثور بن زيد عن صالح بن يحيى بن القدام بن معديكر عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال :
 نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحيل واليغال والحير . وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث صالح
 ابن يحيى بن القدام وفيه كلام ، ورواه أحمد أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدله منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك
 حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سالم عن صالح بن يحيى بن القدام عن جده اللقمان بن معديكر قال غزونا مع خالد
 ابن الوليد الصائفة قدما أصحابنا إلى الأحم فمألوني رمكة فدفعنا إليهم فجلوها وقلعت مكانكم حتى آخى خالد فأشأه فأتيته
 فسأله فقال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة خير فأسرع الناس في حظائر يهود فأمرني أن أنادي الصلاة جامعة
 ولا يدخل الجنة إلا المسلم ثم قال « أيها الناس : إنكم قد أسرعت في حظائر يهود ، ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بفتحها

وحرام عليكم لحوم الجر الأهلية وخيلها وبغالها وكل ذي ناب من السباع وكل ذي علب من الطير « والرمكة هي الحجره ، وقوله حبوها أى أوثقوها في الخيل ليذهبوها ، والحظائر البساتين القريبة من العمران وكأن هذا الضيق وقع بعد إعطائهم العهد ومعايشتهم على الشطر والله أعلم . فلو صح هذا الحديث لكان نصاً في تحريم لحوم الخيل ولكن لا يقدوم ما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الجر الأهلية وأذن في لحوم الخيل . ورواه الإمام أحمد وأبو داود بإسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال : ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولمنهنا عن الخيل وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : تخمرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بكناه ونحن بالمدينة . فهذه أدل وأقوى وأثبت ، وإلى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذلها الله لإسماعيل بن إبراهيم عليها السلام ، وذكروها بن منبه في إسرأيلياته أن الله خلق الخيل من ريع الجنوب والله أعلم . فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال ، وقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته فكان يركبها مع أنه قد نهى عن انزاع الجر على الخيل لثلاث قطع الفسل . قال الإمام أحمد حدثني محمد بن عبيد حدثنا عمر من آل حذيفة عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال : قلت يا رسول الله ألا حملك حمار على فرس فتنتج لك بغلا فتركها قال « إنما يغفل ذلك الدين لا يملون »

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَيْكُمْ أَبْغِيكُمْ ﴾

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه السبل الحسية به على الطرق النعوية الدينية ، وكثيراً ما يقع القرآن البصير من الأمور الحسية إلى الأمور للنعوية الدينية كقوله تعالى (وتزودوا فإن خير الثراء التقوى) وقال تعالى (يا أيها آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سواكم ويرى شوا لباس التقوى ذلك خير) ولما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها التي يركبونها يملكون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أحمالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأفار الشاقة ، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فيبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه فقال (وعلى الله قصد السبيل) كقوله (وأن هذا صراطي مستقيم فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (قال هذا صراطي مستقيم) قال مجاهد في قوله (وعلى الله قصد السبيل) قال طريق الحق على الله ، وقال السدي (وعلى الله قصد السبيل) الإسلام وقال الموفى عن ابن عباس في قوله (وعلى الله قصد السبيل) يقول وعلى الله البيان أى يبين الهدى والضلالة . وكذا روى جابر بن أبي طلحة عنه وكذا قال قتادة والضحاك وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقت تلك إلى فليس يصل إليها إلا طريق الحق وهو الطريق التي شرعها ورضها ، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالى (ومنها جائر) أى حائذ بمائل زائغ عن الحق . قال ابن عباس وغيره هي الطرق المختلفة والآراء والأهواء للفرقة كالهدية والنصرانية والمجوسية ، وقرأ ابن مسعود (ومنكم جائر) ثم أخبر تعالى أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيته فقال (ولو شاء لهداكم أجمعين) كما قال تعالى (ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ يُبَيِّنُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَأَزْيَاتُهُمْ وَالْأَنْخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿

لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في أنزال المطر من السماء وهو العلو منها لهم فيه بركة ومنافع لهم ولأنعامهم فقال (لكم منه شراب) أى جعله عبداً زلالاً يسوغ لكم شراؤه ولم يجعله

ملحاً أجاباً (ومنه شجر فيه تسمون) أى وأخرج لكم منه شجراً ترعون فيه أنعامكم . كما قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد في قوله فيه تسمون أى ترعون ومنه الإبل السائمة ، والسوم : الرعى ، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ نهى عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله (يثبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أى يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطوعها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) أى دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنتبنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ إله مع الله ؟ بل هم قوم يدعون) ثم قال تعالى

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَتَبَارَكَ اسْمُكَ يَا أَزْوَاجَ الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴾

فيه تعالى عبادته على آيات الظلم ومنته الجسم في تسخيره الليل والنهار يتماقبان والشمس والقمر يدوران ، والنجوم الثوابت والسيارات في أرجاء السموات نورا وضياء ليهتدى بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه الذى جعله الله تعالى فيه يسير حركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها ، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتهديره وتسييره كقوله (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يضى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) ولهذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أى للدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه . وقوله (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه) لانه تعالى على معالم السماء نيه على ما خلق في الأرض من الأمور المعينة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والمعادن على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والحواص (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أى آلاء الله ونعمه فيشكرونها

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلًّا مِنْهُ لَنَأْكُلَ مِنْهُ وَنَسْتَفْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَةً تَلْبَسُونَ مِنْهُ ثَوْبًا وَتَرَى الْفُلَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ • وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْمِدَّ يَكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَكُمْ تَهْتَدُونَ • وَعَلَّمَتْ بِالْبَحْرِ مُمْ يَهْتَدُونَ • أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ • وَإِنْ تَسْأَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عن تسخيره البحر للتلطط الأمواج ، ويمتنع على عبادته بتدليلهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده لحما حيا وميتا في الحل والإحرام وما يخلق فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة وتسييره للعباد استرجاعهم من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحل السفن التي تخمره أى تشقه وقيل تخمر الرياح وكلاما صحيح وقيل تخمر بخروجها وهو صدرها السنب - الذى أرشد الباد إلى مضيقها وهداهم إلى ذلك إرثا عن أبيهم نوح عليه السلام فإنه أول من ركب السفن وله كان علم صنعتها ثم أخذها الناس عنه قريبا من قرن وجيلا بعد جيل يسرون من مطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم لجلب ما هناك إلى ما هنا وما هنا إلى ما هناك ولهذا قال تعالى (وليتنبؤوا من فضله ولعلكم تشكرون) أى نعمه وإحسانه ، وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاني في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال كلم الله البحر الفري وكلم البحر الشرق فقال البحر الفري إني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال أغرقهم ، فقال

بأسك في نواحيك واسلمهم على يدي وحرمت الحلية والصيد ، وكل هذا البحر الشرق فقال : إني حامل فيك عبدا من عبادي
فما أنت صانع بهم ؟ فقال : أسلمهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فأجابته الحلية والصيد ، ثم قال البزار لا نعلم من رواه
عن سهل غير عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو وهو مشكور الحديث ، وقدر واسهل عن الثعالب بن أبي عياش عن عبد الله بن
عمرو موقوفاً ، ثم ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الراسي الشاحات والجبال الراسيات ثم قال لا تبدي أي
تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنا لهم عيش بسبب ذلك ولهذا قال (والجبال أرساهما) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر
عن قتادة سمعت الحسن يقول : لا خلقت الأرض كانت تبدي فقالوا ما هذه بمجرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت
الجبال فلم تدر لللائكة مم خلقت الجبال ، وقال سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد أن الله لا خلق الأرض جعلت
تمور فقالت لللائكة : ماهذه بمجرة على ظهرها أحدا فأصعقت صبيحا وفيها رواسيا ، وقال ابن جرير حدثني الثني
حدثني حجاج بن منهل حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه
قال لما خلق الله الأرض ففتت وقالت أي رب تجعل على بني آدم يعملون الخطايا ويعملون على الخبث ؟ قال فأرسل
الله فيها من الجبال ماترون وملا ترون فكان إقرارها كاللحم يترجرج . وقوله (وآباراً وسبلاً) أي جعل فيها أنهاراً
تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للبلاد ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري والقفار
ومغترق الجبال والأكام فيصل إلى البلد الذي سفر لأهله وهي سائرة في الأرض بينة ورسرة وجنوا وشمالاً وشرقاً
وغرباً ما بين صغار وكبار وأودية تجري حيناً وتقطع في وقت وما بين نبع وجمع وقوى السير وبطئه بحسب ما أراد
وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ، وكذلك جعل فيها سبلاً أي طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتى
إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكاً كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاً سبلاً) الآية وقوله (وعلامات)
أي دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك يستدل بها للمسافرون برا وبحراً إذا ضلوا الطرق . وقوله (وبالنجم
هم يهتدون) أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك في قوله (وعلامات والنجم هم يهتدون) يقول النجوم وهي
الجبال ، ثم نبه تعالى على عظمتها وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان التي لا تخلق شيئاً بل هم مخلوقون
ولهذا قال (ألئن خلقكم لا خلق ؟ أفلا تدكرون :) ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم فقال (وإن عدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الله لتغفور رحيم) أي يتجاوز عنكم ، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لمعجزتم عن القيام بذلك ولو
أمركم به لضيقتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير ، وقال
ابن جرير يقول إن الله لتغفور لأنكم منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إفا تبتم وأنتم إلى طاعته وإتباع مرضاته رحيم
بكم لا يذبكم بعد الأمانة والثوبة

(وَأَلَّهُ يَتْلُمَ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْفِلُونَ • وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ • أَمْ نُوتُ
غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا يَشْعُرُونَ أَمْ يَأْنِ يَيْتَعُونُ)

غير تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزى كل عامل بمسئله يوم القيامة إن خيراً فخير وإن
شراً فشر . ثم أخبر أن الأنعام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً كما قال الخليل (أتعبدون ما تنحتون ؟
والله خلقكم وما تعلمون) وقوله (أموات غير أحياء) أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تتقل (وما
يشعرون أيان يشعرون) أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجي عند هذه شع أو نواب أو جزاء ؟ إنما يرجي
ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء

(أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْوَاحِدَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُّسْكِرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ • لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا يُنْفِلُونَ • إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأخبر أن الكافرين تنكروا قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك (أجهل الآلة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجيب) وقال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وقوله (وهم مستكبرون) أى عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيد كماله (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ولهذا قاله (لا جرم) أى حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء (إنه لا يحب المستكبرين)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِغِيرُ الْأَوَّلِينَ • لِيَعْلَمُوا أَذْرَأَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِمْنٌ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُصَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴾

يقول تعالى وإذا قيل ل هؤلاء للكافرين (ماذا أنزل ربكم قالوا) معرضين عن الجواب (اسطغير الأولين) أى لم ينزل شيئا إنما هذا الذى يتلى علينا أساطير الأولين أى مأخوذ من كتب للتقدمين كما قال تعالى (وقالوا أساطير الأولين) أكتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا) أى يفترون على الرسول ويقولون أقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلا فلا يستطيعون سبيلا) وذلك أن كل من خرج عن الحق فيها قال أخطأ ، وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن وعجنون ثم استقر أمرهم إلى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيدسمى بالوليد بن المغيرة الخزرجي لا (فكر وقدر ، قتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يتقل ويحكي ففزعوا عن قوله ورأيه فيحسم الله ، قال الله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أى إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أى يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم فبهم أوثق بهم كما جاء في الحديث « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من أتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من أتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » وقال تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) وهكذا روى الموفى عن ابن عباس في الآية (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أنها كقولهم (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقال مجاهد يحملون أثقالهم ذنوبهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف عنهم أطاعهم من العذاب شيئا

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَمَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ • ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْأُسْوَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

قال الموفى عن ابن عباس في قوله (قد مكر الذين من قبلهم) قال هو الغزو الذي بنى الصرح ؛ قال ابن أبي حاتم وردى عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الأرض الغزو فبث الله عليه بوسة فدخلت في منخره فسكت أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرسم الناس به من جمع يديه ففرض بهما رأسه ، وكان جبارا أربعمائة سنة فبث الله أربعمائة سنة كملسكه ثم أماته وهو الذي بنى الصرح إلى السماء الذى قال الله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال آخرون بل هو مختصر وذكروا من السكر الذى حكاه الله ههنا كما قال في سورة إبراهيم (وإن كان مكركم لتزلون منه الجبال) وقال آخرون هذا من اللثل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح عليه السلام (ومكروا مكرا كبيرا) أى احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة

وأما لهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) الآية وقوله (فأبى الله بنيانهم من القواعد) أى اجتنه من أسسه وأبطال علمهم كقوله تعالى (كلا ، أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) وقوله (فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا) وقصيف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) وقال الله هنا (فأبى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم) أى يظهر فضائهم وما كانت تحت ضائهم فيجعله علانية كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) أى تظهر وتشتبه كما في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند امته بقدر غدرته فيقال هذه غدره فلان بن فلان » وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من السكر والخمر واللعن على رموس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مفرطاً لهم وموالياً (أين شركائ الذين كنتم تشاقون فيهم) يخاربون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم هنا ؟ (هل ينصرونكم أو يفتنونكم) (فإله من قوة ولا ناصر) فإذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة وسكنوا عن الاعتذار حين لا فرار (قال الذين أوتوا العلم) وهم السادة في الدنيا والآخرة والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حيثن (إن الحزى اليوم والسوء على الكافرين) أى الفضيحة والذئاب يحيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به مالا يشوره ومالا ينصه

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ أَلَسْئِلُكُمْ ظُلُمَاتِهِمُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ أَنْ يَقُولُوا لَئِنْ كُنَّا مِنْ سِوَةِ اللَّهِ لَآتَيْنَهُنَّ الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَكَيْبَرُوا رُءُوسَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَلْمِزُكَ الْفَاسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين أنفسهم عند احتضارهم وحيى لللائكة اليهم لقبض أرواحهم الحية (فأقوا السلم) أى أظهروا السمع والطاعة والابتياد فالتلين (ما كننا نعلم من سوء) كما يقولون يومئذ (والله ربنا ما كنا مشركين) (يوم يمشي الله جميعاً فيجفلون له كما يجفلون لكم) قال الله مكذبا لهم في قلوبهم ذلك (بل إن الله عليم بما كنتم تعملون) فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبس ثوبى للتكبرين) أى بش القيل والقلم والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله وأتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم يماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها ومومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم (لا يلقى عليهم فيموتوا ولا يحفف عنهم من عذابها) كما قال الله تعالى (النار يرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَئِنْ لَأُخْرَى خَيْرٌ وَلَكِنْ دَارُ الْمُتَّقِينَ • جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

هذا خبر عن السعداء خلاف ما أخبر به عن الأشقياء فإن أولئك قبل لهم (ماذا أنزل ربكم) قالوا مرضين عن الجواب لم ينزل شيئاً إنما هذا أساطير الأولين ، وهؤلاء قالوا خيراً أى أنزل خيراً أى رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به ، ثم أخبر عما وعده الله عباده فيما أنزله على رسوله فقال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) الآية كقوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الدنيا والآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير أى من الحياة الدنيا والجزاء فيها أثم من الجزاء في الدنيا كقوله (وقال الذين أوتوا العلم ولم يك من الله خير) الآية . وقال تعالى (وما عند الله خير لابرار) وقال تعالى (والآخرة خير وأبقى) وقال رسوله ﷺ (ولاخرة خيركم من الأولى) ثم وصف الدار الآخرة فقال (ولهم دار النعيم) وقوله

(جنات عدن) بدلمن دار للثنتين أي لم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها (يخبر من تحتها الأنهار) أي بين أشجارها وقصورها (لهم فيها ما يشاءون) كقوله تعالى (وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون) وفي الحديث «إن السحابة لقر بالملأ من أهل الجنة وهم جالس على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى إن منهم لمن يقول أمطرينا كواب أثراً ما يكون ذلك» (كذلك يخبر الله للثنتين) أي كذلك يخبر الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله، ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاستقار أنهم يطيرون أي يحلصون من الشرك والهدس وكل سوء وأن اللائكة تسلم عليهم وينشرهم بالجنة كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • إلا من غفور رحيم) وقدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وصل الله على الأنبياء وعلى آله الصلوة المستحقة)

﴿عَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَتَأْتِيهِمْ أَلْفُ لَكِنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظُنُّونَ • فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا حَمَلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

يقول تعالى مهدياً للشركين على عادتهم في الباطل واختارهم بالدنيا هل ينظر هؤلاء إلا للملائكة أن تأتيهم قبض أرواحهم قاله قتادة (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وما ياتونه من الأحوال وقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي هكذا عاد في شركهم أسلافهم ونظر أئهم وأشباههم من الشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فياهم فيمن العذاب والنكال (وما ظلمهم الله) لأنه تعالى أعذر إليهم وأقام حجة عليهم بإرسال رسله وإزال كبره (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يخالفوا الرسل والتكذيب بعبادته، فلهمنا أصابهم عقوبة الله على ذلك (وحاق بهم) أي حاط بهم من العذاب الألم (ما كانوا به يستهزئون) أي يسخرون من الرسل إذا توعدوهم يقاب الله فلهمنا يقال لهم يوم القيامة (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَفْرَسُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْكَبِيرُ • وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ قِيَمْتُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَلَةُ فَايَرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ • إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُمْسِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

خبر تعالى عن اختار الشركين بعام فيه من الإشراف واختارهم محتجين بالقدر بقولهم (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من البحائر والسوائب والزوائج وغير ذلك ما كانوا ابتدعوه واخترعوه من لقاء أنفسهم بالمرئيل بسلطانا، ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كرهاً لما فعلنا لأنكره علينا بالحقبة ولما مكنتنا منه قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم (فهل على الرسل إلا البليغ الكبير) أي ليس الأمر كالأمرهمون أنه لم ينكره عليهم قبل قد أنكره عليهم أشد الانكار ونهاكم عنه أكد التي ويث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولاً وكلهم يدعوون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه (أن عابدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فمرزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعث الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم محمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشرق والمغرب، وكلهم كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واستل

من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجلمنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (ولقد بشنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكيف يسوغ لأحد من الشركين بعد هذا أن يقول (لوشاء الله ما عبادنا من دونه من شيء) فشيئته تعالى الشرعية عنهم متفية لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرأ فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل فلماذا قال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي أسألو عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف (دمر الله عليهم) والمكافرين أمثالها) فقال (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم إذا كان الله قد أراد إضلالهم كقوله تعالى (ومن يرد الله فتهته فلن محله من الله شيئا) وقال نوح لقومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وقال في هذه الآية الكريمة (إن تحرص على هدام فإن الله لا يهدي من يضل) كقَالَ الله (من يضل الله فلا هادي له ويردم في طغيانهم يسمهون) وقال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقوله (فإن الله) أي عاقبه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلماذا قال (لا يهدي من يضل) أي من أضله ، فمن ذا الذي يهديه من بعد الله ؟ أي لا أحد (وللمن من ناصرين) أي يفتقدونهم عذابه ووثاقه (ألا له الحلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْسُتُ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنْ مَّوْتٍ بَلَىٰ وَعَدُوهَا عَلَىٰ حَقِّهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
يَبْسُتُ لَهُمْ الَّذِي يَحْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ • إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّهْوَلَهُ لَهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا

يقول تعالى خبرا عن الشركين أنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أي اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه لا يثبت الله من يموت أي استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل في إخبارهم لم بذلك وحلفوا على تحييه فقال تعالى مكذبا لهم ورادا عليهم (بل) أي لم يمكن ذلك (وعدا عليه حقا) أي لا بد منه (ولكن أكثر الناس لا يلون) أي فلهجهم خالفون الرسل ويقعون في الكفر ، ثم ذكر تعالى حكمته في للماد وقيام الأجساد يوم التناد فقال (ليبن لهم) أي للناس (الذي يخلفون فيه) أي من كل شيء (ويميز الذين أساءوا بما عملوا ويميز الذين أحسنوا بالحق) (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) أي في أيمانهم وأقسامهم لا يثبت الله من يموت ولهمنا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا ويقول لهم الزبانية (هذه النار التي كنتم بها تكذبون • أفسر هذا أم أتم لا تبصرون • اسألوها فاسبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أي عاجزون ما كنتم تعملون) ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء وأنه لا يسجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإنما أمره إذا أراد عيثا أن يقول له كن فيكون وللماد من ذلك إذا أراد كونه فلانها يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلع بالسر) وقال (ما خلقكم ولا بشك إلا كنفس واحدة) وقال في هذه الآية الكريمة (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّهْوَلَهُ لَكِن يَكُونُ) أي أن تأمر به مرة واحدة فلانها كانوا كاذبا قال الشاعر
إذا ما أراد الله أمرا فلانها • يقول له كن قوله فيكون

أي أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فلانها تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله تعالى: ختن ابن آدم ولم يكن يبتغيه ذلك وكذب ابن آدم ولم يكن يبتغيه ذلك فأما تكذيبه إياي فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يثبت الله من يموت)

قال قلت (ي) وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (أما شتمه إياي فقال (إن الله ثالث ثلاثة) وقلت (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد). هكذا ذكره موقوفوه وهو في الصحيحين مرفوعا بلفظ آخر ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا لِنَبِيِّهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ فَمَنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتداء مرضاته الدين فارقوا الدار والإخوان والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ويغفل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة لينمكثوا من عبادة ربهم ومن أشرفهم عثمان بن عفان ومع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب بن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقة رضى الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال (لنبؤنهم في الدنيا حسنة) قال ابن عباس والنعمى وقناة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله عاصد ولا منافاة بين القولين فلأنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فوضعه الله خيراً منها في الدنيا فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فأنهم مكثوا في البلاد وحكمهم على رقب البعاد وصاروا أمراء حكماء وكل منهم لثقتين إماماً وآخر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال (ولأجر الآخرة أكبر) أى مما أعطيتهم في الدنيا (لو كانوا يملكون) أى لو كان للتخلفون عن الهجرة معهم يملكون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ولهذا قال هشام عن العوام ممن حدثه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول خذ بارك الله فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية (لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يملكون) ثم وصفهم تعالى فقال (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) أى صبروا على الأذى من قومهم متوكلين على الله الذى أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْتَبُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ إِلَّا رَجُلًا يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِنَا وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قال الضحاك عن ابن عباس لما ثبت الله محمدًا عليه السلام رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا أنه أعظم من أن يكون رسوله جبراً فأزل الله عليه السلام (أكان الناس عجياً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنشر الناس) الآية وقال (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألو أهل الذکر إن كنتم لظالمون) يعني أهل الكتب للناحية أبشراً كانت الرسل إليهم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم وإن كانوا جبراً فلا تنكروا أن يكون محمد عليه السلام رسولاً قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى) ليسوا من أهل السماء كما قلتم وكذا روى عن مجاهد عن ابن عباس أن الراد بأهل الذکر أهل الكتاب وقوله مجاهد والأعمش وقول عبد الرحمن بن زيد الذکر القرآن واستشهد بقوله (إنما نحن تراب أهل الذکر وإنما له لحاظون) صحيح لكن ليس هو الراد هنا لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه وكذا قول أبي جعفر الباقر نحن أهل الذکر ومراده أن هذه الأمة أهل الذکر صحيح فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة . وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابن علي الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم بمن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل ^(١) النزل الذي أعطاه

(١) هكذا في جميع النسخ والوجه قول كلام .

الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين ، والفرس أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل للضعفين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا بشرًا كما هو بشر كآل تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ؟) وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال تعالى (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) وقال (قل ما كنت بدعاً من الرسل) وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) ثم أورد الله تعالى من ذلك في كون الرسل كانوا بشرًا إلى سؤال أصحاب الكتب القديمة عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياءهم بشرًا أم ملائكة ، ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم (بالنبات) أي بالحجيج واللائل (والزبر) وهي الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم ، والزبر جمع زيور فحول العرب زبرت الكتاب إذا كتبه . وقال تعالى (وكل شيء قلوته في الزبر) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ثم قال تعالى (وأرسلنا إليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) أي من ربهم لعلك بمعنى ما أنزل الله عليك وحركك عليه واتباعك له ولعلنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفضل لهم ما أجل وتبين لهم ما أسكل (ولعلهم يشكرون) أي ينظرون لأنفسهم فيفتنون فيفوزون بالنجاة في المدين

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ تَسَكَّرُوا سَيْئَاتِهِمْ أَنْ يُخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ • أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَتَافَهُمْ مَعْجِزِينَ • أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّهُمْ لَزَمَّوهُ رَحِيمٌ ﴾

خبر تعالى عن حله وإنظاره العصاة الذين يملكون السيئات ويدعون إليها ويمكرون بالناس في دعائهم بإمام وحلمهم عليها مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي من حيث لا يلبسون محبة إليهم كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تهور • أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير) وقوله (أو يأخذهم في تخليهم) أي في تخليهم في الملبس واشتغالهم بها في أسفار ونحوها من الأشغال المللية ، قال قتادة والسدي تخليهم أي أسفارهم ، وقال مجاهد والضحاك وقاتدة (في تخليهم) في الليل والنهار كقوله (أقام من أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون • أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلبسون) وقوله (فافهم معجزين) أي لا يميزون الله على أي حال كانوا عليه وقوله (أو يأخذهم على تخوف) أي أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فإنه يكون أبلغ وأشد فأن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال المؤلف عن ابن عباس (أو يأخذهم على تخوف) يقول إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك وكذا روى عن مجاهد والضحاك وقاتدة وغيرهم ثم قال تعالى (فإن ربكم لرؤوف رحيم) أي حيث لم يسألكم بالقوبة كما ثبت في الصحيحين « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يعملون له ولما وهو يرزقهم ويساقبهم » وفيما « إن الله ليليل الظالم حتى إذا أخذهم لم يغفله » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم لم يدع عذراً) وقال تعالى (وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها ثم ألغيت)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظُلُمَةً عَنِ الْيَمِينِ وَالْأَسْمَاءِ كُلِّ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذُخْرُونَ • وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكِرُونَ • يَتَخَفَتُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَقْلُقُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

خبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جماداتها وحجراتها ومكافؤها من الإنس والجن والملائكة فأخبر أن كل ماله ظل ينفي ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة

وعشياً فانه ساجد بظله لله تعالى . قال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم ، وقوله (وهم داخرون) أي صاغرون وقال مجاهد أيضاً سجد كل شيء فيؤد . وذكر الحبال قال سجدوها فيؤد وقال أبو غالب الشيباني أمواج البحر صلاته وتزلم من منزلة من يقل إذ أسند السجود إليهم فقال (وله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) كما قال (وله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالندى والآمال) وقوله (وللائكة وهم لا يستكبرون) أي تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) أي يسجدون خاضعين وجليلين من الرب يتجل جلاله (يفعلون ما يؤمرون) أي متابعين على طاعته تعالى وامثال أوامره ، وترك زواجه

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّبِعُوا إِلَهِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُي وَاعْبُدُونِي فَارْهَبُون • وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَقْبِرْهُ اللَّهُ تَتَّقُونَ • وَمَا يَكُم مِّن تَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ • ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرْتَدُّونَ يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمُوتُوا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا ينبت العبادة إلا له وحده لا شريك له فانه مالك كل شيء وخالقهم وربه (وله الدين واصباً) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة وغير واحد أي دائماً وعن ابن عباس أيضاً أي واجباً ، وقال مجاهد أي خالصه أي له العبادة وحده من في السموات والأرض كقوله (أفتردين الله ينيون • وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون) هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر وأما على قول مجاهد فانه يكون من باب الطلب أي اربحوا أن تتركوا أي عيشاً وأخلصوا إلى الطاعة كقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) ثم أخبر أنه مالك النفع والضرب وأن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم ، وإحسانه إليهم (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) أي لملككم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورات تلجأون إليه وتسألونه وتلجئون في الرغبة إليه مستغيثين به كقوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً) وقال ههنا (ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم يرمي يرمي يرمي • ليكفروا بما آتاهم) قبل اللام ههنا لام الماقية وقيل لام التلليل بمعنى قيسنا لهم ذلك ليكفروا أي يستروا ويحسدوا نعم الله عليهم وأنه السدي إليهم التمس ، الكاشف عنهم النعم ثم توعدهم قتلاً (فتمتوا) أي اعملوا ما شئتم وفتنوا بما أتم فيه قليلاً (فسوف تعلمون) أي طاعة ذلك

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُنْكَرُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ • الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَتَلُ السُّوءِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن قبائح الشركين الذين عبدوا مع الله غيره . من الأصنام والأوثان والأنداد بغير علم وجعلوا للأوثان نصيباً مما رزقهم الله فقالوا (هذا لله بزمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) أي جعلوا لأنفسهم نصيباً مع الله وفضلوها على جانبه فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألهم عن ذلك الذي اقترؤه واتفكوه وليقابلهم عليه وليجازيهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال (ناله لتسئلن عما

كنتم تفترون) ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جلاوا اللاتكة الذين هم عباد الرحمن إنانا وجلاوها بذات الله فبيدوها معه فأخطأوا خطأ كبيرا في كل مقام من هذه القلمات الثلاث فنبسوا إليه تعالى أنه ولدوا ولا وله له ثم أعطوه أخس القسطين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم كما قال (ألكم الذكر وله الأنثى) تلك إذا قسمة ضئيلة وقوله ههنا (ويجسلون لله البنات سبحانه) أي عن قولهم وإفكهم (ألا إنهم من إفكهم ليقولن ولد الله وهن لكذبون) أسطق البنات على البنين؟ ما لك كيف تحكمون) وقوله (ولم ما يشتهون) أي يختارون لأنفسهم الذكر والكور ويأفون لأنفسهم من البنات التي نسبوا إلى الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، فانه (إذا جر أحدكم بالأثني ظل وجهه مسودا) أي كشيأ من المم (وهو كظم) ساكت من هدقته وهو فيمن الحزن (يتوارى من القوم) أي يكره أن يراه الناس (من سوء ما جر به أمسكه على هون أم يدسه في التراب) أي إن أبناها أبناها مهانة لا يورثها ولا يمتنى بها وفضل أولاده الذكر عليها (أم يدسه في التراب) أي يدسها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية، ألن يكرهونه هذه الكرامة ويأفون لأنفسهم عنه فيصونه؟ (ألا ساء ما يحكمون) أي بش ما قالوا وبش ما قسوا وبش ما نسبوا إليه كقوله تعالى (وإذا جر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظم) وقوله ههنا (لقد ين يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أي النفس إنما ينسب إليهم (وله مثل الأعلى) أي الكمال للطلق من كل وجه وهو منسوب إليه (وهو العزيز الحكيم)

﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا يَنَاءُ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْمَعُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحَقْنَ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾

يخبر تعالى عن حلمه بخلقهم وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا مترك على ظهر الأرض من دابة أي لأهلك جميع دواب الارض فيما لإهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يعلم ويستر ومنتظر إلى أجل مسمى أي لا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحدا، قال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي الاوص أنه قال كاد الجبل أن يندب بدين بني آدم وقرأ الآية (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) وكذا روى الامش عن أبي إسحق عن أبي حبيدة قال: قال عبد الله كاد الجبل أن يهلك في جحره بخطية بني آدم وقال ابن جرير حدثني محمد بن الحسن حدثنا إسماعيل ابن حكيم الخزازي حدثنا محمد بن جابر الحنفى عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلفة قال مع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال فالتفت إليه فقال بلى والله حتى إن الجارية تقوت في وكرها بظلم الظالم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين أن أبنا الوليد بن عبد الله حدثنا عبيد الله بن شرحبيل حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربيع عن أبي البرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «إن الله لا يؤخر شيئا إذا جاء أجله وإنما زيادة العمر بالدرم الصالحه يرضها الله العبد فيدعون له من بعده فيلقه دعاءهم في قبره فذلك زيادة العمر». وقوله (ويجسلون لله ما يكرهون) أي من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيدهم يؤمنون أن يكون عند أحدكم شريك له في ماله وقوله (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا وإن كانوا ثم معاد فيه أيضا لهم الحسنى وإخبار عن قيل من قال منهم كقوله (ولئن أذقتا الإنسان مينا رحمة ثم زعناها منه إنه ليئوس كفور) ولئن أذقتاه نماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور) وكقوله (ولئن أذقتاه رحمة منام بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعنا إلى ربنا لنلقى المسمى فلتنبئن الذين كفروا بما غموا ولتذيقهم من عذاب غليظ) وقوله (أفرأيت الذي كثر آياتنا وقال لا أولين مالا ولولا) وقال إخبارا عن أحد الجليلين أنه (دخل جنته وهو ظالم لنفسه قائما ظن أن تبيد هذه أبدا) وما

أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلي رد لأجدن خيرا منها مقبلا) فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتعنى الباطل بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحق أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين تقصوها ليجدوها مكتوب عليه كم وعاط ، فمن ذلك : تعلمون السيئات وتحزنون الحسنات ؟ أجل كما يجنى من الشوك العنب . وقال مجاهد وقادة (وصف ألتهم الكذب أن لم الحسنى) أى الضمان وقال ابن جرير (أن لم الحسنى) أى يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو السواب وقه الحمد ، ولهذا قال تعالى رادا عليهم فى عنتهم ذلك (لاجرم) أى قتلا بد منه (أن لم النار) أى يوم القيامة (وأنهم مفرطون) قال مجاهد وسعيد بن جبير وقادة وغيرهم منسبون فيها مضجون وهذا كقوله تعالى (فالיום نناسم كما نسوا لقاء يومهم هذا) وعن قتادة أيضا مفرطون أى مجبورون إلى النار من القسط وهو السابق إلى الورد ولا منافاة لأنهم يجعلهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها أى يخلدون

﴿ تَأْتِيهِمْ لَقَاتُهُم بِالنَّارِ لَقَاءٍ يَوْمَ يُسْمَوْنَ أَنَّهُمْ يُسْمَوْنَ الْكَافِرُونَ ﴾
وَمَا أَتَيْنَا عَلَى الْكِتَابِ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُمْ فِي أَعْيُنِنَا ۚ وَاللَّهُ أَتَزَلُّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنزَلَهُ بِهِ الْقُرْآنَ مِنَ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ لِيَكُونَ لَكُمُ الْوَحْيَ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد في إخوانك من الرسلين أسوة فلا يهينك تكذيب قومك لك ، وأما للركون الذين كذبوا الرسل فإياهم حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فاضوا . (فهو ولهم اليوم) أى هم تحت العقوبة والشكال والشيطان ولهم ولا يملك لهم خلاصا ولا صريح لهم ولهم عذاب أليم . ثم قال تعالى رسوله إنه إنا أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذى يخلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس فى كل ما يتنازعون فيه (وهدى) أى للقلوب (ورحمة) أى لمن تمسك به (لقوم يؤمنون) وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب للجنة بكفرها كذلك هي الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء (إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون) أى يظنون الكلام ومنه

﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْفُسِ لَمِيزَةٌ تُنْفِكُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۚ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى (وإن لكم) أى الناس (فى الأنعام) وهى الإبل والبقر والغنم (لميزة) أى لآية ودلالة على حكمة خالقتها وقدرته ورحمته ولطفه (تنفككم مما فى بطونه) أفرد هنا عودا على معنى النعم أو الضمير طائد على الحيوان فإن الأنعام حيوانات أى تنفككم مما فى بطن هذا الحيوان ، وفى الآية الأخرى مما فى بطونه ويحوز هذا وهذا كما فى قوله تعالى (كلأ إنها تذكرة فمن شاء ذكره) (وفى قوله تعالى) (وإلى مرسله إليهم بهدية فناظرة بهم يرجع للرسلون) • فلما جاء سليمان) أى اللال ، وقوله (من بين فرث ودم لبنأ خالصأ) أى يتخلص الدم يياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم فى بطن الحيوان فيفسرى كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء فى معدته فيصرف منه دم إلى العروق ولين إلى الضرع ويول إلى اللثة وروت إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يجازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به ، وقوله لبنأ خالصأ سائغا للشاربين) أى لا يفس به أحد ، ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جله شرابا للناس سائغا شى يذكر ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب وما كانوا يصنعون من النبيذ السكر قبل تحريمه ، ولهذا آمن به عليهم قتال (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا) دل على إباحته شرعا قبل تحريمه ودل على النسوة بين السكر للتخذ من النخل والتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والثافى وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة التخذة من الحنطة والشعير والذرة والعلل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط

ذلك كما قال ابن عباس في قوله (سكرا وزرقا حسنا) السكر ما حرم من ثمرتها والزرق الحسن ما أحل من ثمرتها وفي رواية السكر حرامه والزرق الحسن حلاله يعني مايس منها من ثمر وزبيب وما عمل منها من طلاء وهو الذي يس وخل وبنيد حلال يشرب قبل أن يشتد كما وردت السنة بذلك (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) ناسب ذكر العقل هنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأثربة للسكره صيانة لقلوبها قال الله تعالى (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنشمهم وما يلعبون)

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَرْتُشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَإِنَّكِ سَيَّلِي سُبُلَ رَبِّكَ ذَٰلِكَ خَرُجٌ مِّنْ بَطُونِهَا فَكَتَلَتْ لَوْلَا فِئَةُ شِمَالِهَا النَّاسُ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[illegible]

اندفعت الفضلات الفاسدة للفترة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام يركه إشارته ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يجبه الحلواء والمسلى ، هذا لفظ البخارى . وفي صحيح البخارى من حديث سالم الأندلسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشفاء فى ثلاثة : فى شربة عجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار وأنهى أمتى عن الكى » وقال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن التليل عن حاصم بن عمر ابن قتادة سمعت جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن كان فى شيء من أدويكم أو يكون فى شيء من أدويكم خير : ففى شربة عجم ، أو شربة عسل ، أو لشفة بنار توافق الماء وما أحب أن أكتوى » ورواه مسلم من حديث حاصم بن عمر بن قتادة عن جابر ، وقال الإمام أحمد حدثنا طى بن إسحق أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أبى أيوب ، حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبى الخير عن عتبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث إن كان فى شيء شفاء : فشرطة عجم ، أو شربة عسل ، أو كية صبيب الماء وأنا أكره الكى ولا أحبه » ورواه الطبرانى عن هرون بن سلول للصرى عن أبى عبد الرحمن للقرى عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه « إن كان فى شيء شفاء : فشرطة عجم » وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى فى سننه حدثنا طى بن مسلمة هو التتلي ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا سفيان عن أبى إسحق ، عن أبى الأوصس عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالشفاء من السمل والقرآن » وهذا إسناد جيد ثم روي أخرجه ابن ماجه مرفوعاً وقدرناه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان هو الثوري بموقوفاً وله شبه . وروينا عن أمير المؤمنين طى بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله فى صفحة ويلصقها بماء الباء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب خس منها فليشتر به عسلاً فليشربه كذلك فانه شفاء : أى من وجوه قال الله تعالى (وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقال (وأنزله من السماء ماء مباركا) وقال (فإن ظن ابنكم أن شئاً منه فسا فأكفوه هنيئاً مرئياً) وقال فى السمل (فيمضاه للناس) وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا محمود بن خداس حدثنا سعيد بن زكريا القرشى حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمى عن عبد الحميد بن سالم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من لعق السمل ثلاث غدوات فى كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » الزبير بن سعيد مروي ، وقال ابن ماجه أيضاً حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح القرابى حدثنا حمرون بكر الكسكى ، حدثنا إبراهيم ابن أبى عتبة سمعت أبى بن أم حرام وكان قد صلى التبتين يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « عليكم بالناء والسنوات فإن بهما شفاء من كل داء إلا السلام » قيل يا رسول الله وما السلام ؟ قال « الموت » قال عمرو قال ابن أبى عتبة السنوات الشبت وقال آخرون بل هو السمل الذى فى ذقاق السنن وهو قول الشاعر :

هم السنن بالسنوات لا ليس فهم • وهم يمتحن الجار أن يقردا

كذا رواه ابن ماجه ، وقوله لا ليس فهم أى لا خلط وقوله يمتحن الجار أن يقردا أى يخطبه ويظلم وقوله (إن فى ذلك لآية لقوم يفكرون) أى إن فى الهام الله لهذه الدواب الضعيفة الحلقة إلى السلوك فى هذه الهامة والاجتهاد من سائر التجارب جمها للسمع والنسل وهو من أطيب الأشياء لآية لقوم يفكرون فى عظيمة خالقها ومقدرها ومسخرها ويمسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَدُّ إِلَى أَرْضِ الْمَوْتِ لِكَيْلَا يُعْلِمَ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئَانِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عن تصرفه فى عباده وأنه هو الذى أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومهم من يتركه حق يدركه الهرم وهو الضعف فى الحلقة كما قال الله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة) الآية وقدروى

عن علي رضي الله عنه أنه أرسله العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والحرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال لكلا يلزم بعد علم شيئاً أي بعد ما كان عالماً أصبح لا يدري شيئاً من الفقه والحرف ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور عن شبيب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل والمهرم وأرذله العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والميت » وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة

سمعت تكاليف الحياة ومن يفتي * ثمانين عاماً لا أبالك يسأم
وأيت للنايا خبط عشواء من تسب * تته ومن تخلى برسر فهم

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ قَهُمُ فِيهِ سَوَاءً أَفَبَسَمِعَ اللَّهُ جَهْدُونَ﴾

يدين تعالى للشركيين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء وهم يترفون أنها عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم في حجهم : ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فقال تعالى منكراً عليهم ألم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيد له في الإلهية والتعظيم كما قال في الآية الأخرى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخفيتكم أنفسكم) الآية قال الموفق عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا يشركوا عبيدهم في أموالهم ونسأهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله (أفبسم الله يحدون) وقال في الرواية الأخرى عنه فكيف ترضون لي مالا ترضون لأنفسكم ، وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة ، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه بما هو له في زوجته وفي فراشه فتصلون بالله خلقه وعباده ؟ فإن لم ترض لنفسك هذا فأنه أحق أن يزورك ، وقوله (أفبسم الله يحدون) أي أنهم جعلوا لله محاذراً من الحرث والأنعام نصيباً فيجدوا نعمته وأشركوا معه غيره ، وعن الحسن البصري قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري : واقع برزقك من الدنيا فإن الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلائ يبتلي به كلاً فيبتلي من بسط له كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي اقترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه ابن أبي حاتم

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ مَوَدَّةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْمَرْغِقَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والولادة والرحمة ، ولكن من رحمة خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً وجعل الإناث أزواجاً للذكور ، ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البين والمفدة وهم أولاد البين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد قاله شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وبين وخفدة : وهم الولد وولد الولد . وقال سفيان حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال : بنوك حيث ينفدوك ويرفدوك ويسونك ويضمونك : قال جميل . خذ الولائد حولن وأسلمت . بأ كفنن أزمة الأجلال
وقال مجاهد بنين وخفدة : ابنه وخادمه . وقال في رواية . الخفدة الأنصار والأعوان والخدم ، وقال طائوس وغير واحد : الخفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم ابن إبان عن عكرمة أنه قال : الخفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك ، قال الضحاك : إنما كانت العرب تخدمها

بنوها وقال المولى عن ابن عباس قوله (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال فلان حفدة لنا أى يعمل لنا قال وزعم رجال أن الحفدة أشتان الرجل ، وهذا الأخير الذى ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو النخعي وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي ورواه عكرمة عن ابن عباس وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس م الأصهار قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة فى معنى الحفدة وهو الخدمة التى منه قوله فى القنوت : وإليك نسعى ونحفد ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والحكم والأصهار فالتسمية جامعة بهذا كله ولهذا قال (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) قلت فمن جعل (وحفدة) متعلقا بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد الأولاد وأولاد الأولاد والأولاد والأصهار لأنهم أزواج البنات أو أولاد الزوجة وكذا قال الشعبي والضحاك فإنيهم يكونون غالباً تحت كنف الرجل وفى حجره وفى خدمته وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث فضرة بن أكتهم « والولد عبد لك » رواه أبو داود . وأما من جعل الحفدة الخدم فعنده أنه معطوف على قوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) أى جعل لكم الأزواج والأولاد خمسا وقوله (وورثكم من الطيبات) أى من الطعام والمشرب ثم قال تعالى منكرنا من أشرك فى عبادة الله غيره (أقبالا بطل يؤمنون) وهم الأنداد والأنسام (وبسمه الله هم يكفرون) أى يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره . وفى الحديث الصحيح « إن الله يقول للعبد يوم القيامة محتنا عليه أأما أزواجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأندك ترأس وتربع ؟ »

﴿ وَيَسْأَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَغِيثُونَ ۚ فَلَا تَضْرِبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى إخبارا من الشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو لهم الفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا أى لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لأنفسهم أى ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى (فلا تضربوا له الأمثال) أى لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أى أنه يعلم ويضد أنه لا إله إلا هو وأنتم تجهلونكم تفكرون به غيره

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قال المولى عن ابن عباس . هذا مثل ضربه الله للكافر واللؤيم وكذا قال جماعة واختاره ابن جرير للعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء مثل الكافر والرزق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو اللؤيم وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : هو مثل مضروب اللون والحق تعالى فهل يستوى هذا وهذا ؟ ولا كان الفرق بينهما ظاهرا واضحا بينا لا يجهل إلا كل شيء قال الله تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُؤْمِرُ بِهِ لَا يَقَاتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

قال مجاهد وهذا أيضا المراد به اللؤيم والحق تعالى ينى أن اللؤيم أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا جنى ولا يقدر على شيء بالكيفية فلا مقال ولا فاعل وهو مع هذا كل أى عيال وكلفة على مولاه (أينما يؤمروه) أى يشه (لا يقات

الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ • وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ • الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ)

بغير تعالى عن شأن للسكرين يوم معادهم في النار الآخرة وأنه يثب من كل أمة شهيدا وهو نبيا يشهد عليها بما أجابته فيها بلغها عن الله تعالى (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي في الاعتذار لأنهم يملون بطلانه وكذبه كقوله (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون) فلماذا قال (ولا هم يستعتبون • وإذا رأى الذين ظلموا) أي الذين أشركوا (المذاب فلا يخفف عنهم) أي لا يفر عنهم ساعة واحدة (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخر عنهم بل يأخذهم سرعا من اللوقف بلا حساب فانه إذا جرى بهم عن هاد يسعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فيشرف عنق منها على الخلاق ويزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته فتقول إلى وكلت بكل جبار عند الذي جعل مع الله إلها آخر وبكدا وبكدا وتذكر أصنافا من الناس كما جاء في الحديث ، ثم تنطوي عليهم وتلتطمح من اللوقف كما يلتط الطائر الحب قال الله تعالى (إذا رأى منهم من مكان بعيد سمعوا لها تقيظا وزفيرا ، وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) وقال تعالى (ورأى المهيمون النار فظنوا أنهم أبصروا ولم يجدوا عنها مصرفا) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون • بل تأتهم بنفة فتبتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) ، ثم أخبر تعالى عن تبري آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها فقال (وإذا رأى الذين أشركوا شركاههم) أي الذين كانوا يبدونهم في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونه) فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) أي قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمراكم بعبادتنا كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون • وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (وأنحدوا من دون الله آلهة ليكونوا له عزا • ألا يسفرون بعبادتهم ويكفونهم عليهم ضدا) وقال الخليل عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكفر بشركي يعض) الآية وقال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم) الآية ، والآيات في هذا كثيرة .

وقوله (وألقوا إلى الله يومئذ السليم) قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أي استسلموا لله جميع فلا أحد إلا سامع مطيع . وكقوله (أجمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما أصعبهم وما أبصرهم يومئذ وقال (ولو ترى إذ المهيمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وصمنا) الآية وقال (وعت الوجوه إلى القيوم) أي خضعت وذلت واستكانت وأتابت واستسلمت ، وقوله (وألقوا إلى الله يومئذ السليم وصل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب واضمحط ما كانوا يبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير . ثم قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا) الآية أي عذابا على كفرهم وعذابا على سدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى (وهم يئنون عنه ويأتون عنه) أي يئنون الناس عن اتباعه ويئنون هم منه أيضا (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله في قول الله (زدناهم عذابا فوق المذاب) قال زيدوا عقابا أنابها كالنخل الطوال وحدثنا سريج بن يونس حدثنا إبراهيم بن سليمان حدثنا الأعمش عن الحسن عن ابن عباس في الآية أنه قال (زدناهم عذابا فوق المذاب) قال هي خمسة أنهار تحت العرش يذبون بيضها في الليل ويعضها في النهار

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابِ تَيْنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَعَدَىٰ ذَرْعَهُ وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى غابلاً عبده ورسوله محمداً ﷺ (ويوم نيث في كل أمة عبداً علم من أممهم وجثنا بك شهيدا على هؤلاء) يعني أممك ، أي اذكر ذلك اليوم وهو له وما منحك الله فيه من الترف العظيم والقام الرفيع ، وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر سورة النساء فلما وصل إلى قوله (فكيف إذا جثنا من كل أمة بشهيد وجثنا بك على هؤلاء شهيدا) فقال له رسول الله ﷺ « حسبك » فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فإذا عيناه تلرزتان وقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال بجاهد كل حلال وكل حرام ، وقول ابن مسعود أعم وأنمل فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومآلهم (وهدي أي للقبول) ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال الأوزاعي (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) أي بالنسبة ، ووجه اقتران قوله (ونزلنا عليك الكتاب) مع قوله (وجثنا بك شهيدا على هؤلاء) أن المراد والله أعلم إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة (فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين) (فوبرك لنساءتهم أجمعين هما كانوا يسألون) (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) وقال تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه وميعدك يوم القيامة وسألتك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال وهو متجه حسن

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

غير تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو التسطو للوازن فويندب إلى الإحسان كقوله تعالى (وإن عاقبتهم فاعاقبوا مثل ما عاقبتم به ولكن سبرتم هو خير للصابرين) وقوله (وجزا سبعة عشر مثلهما فن عفوا وأصلح فأجره من الله) وقال (والجروح قصاص فمن صدق به فهو كفارة له) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والتدب إلى الفضل ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : (إن الله يأمر بالعدل) قال شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلافة من كل عامل لله عملاً ، والإحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والقضاء والمذكر أن تكون علانيته أحسن من سريره ، وقوله (وإيتاء ذى القربى) أي يأمر بصلة الأرحام كما قال (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبريراً) وقوله (وينهى عن الفحشاء والمنكر) فالتواحيش المحرمات والمكرات مظهر منها من فاعلها ، ولهذا قال في الموضع الآخر (قل إنما حرمني الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وأما البغى فهو العدوان على الناس ، وقد جاء في الحديث « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغى وقطية الرحم » وقوله (يعظكم) أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهى عنه من الشر (لعلكم تذكرون) وقال الشعبي عن بشر بن نهيك سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة التحل (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية رواه ابن جرير ، وقال سعيد بن قتادة قوله (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتمايزونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه . وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها [قلت] ولهذا جاء في الحديث « إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها » وقال الحافظ أبو يعل في كتاب معرفة الصحابة حدثنا أبو بكر محمد بن التميمي حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم حدثنا الحسن بن داود السكندري حدثنا عمر بن علي بن عبد الملك بن عمر عن أبيه قال : بلغ أكرم من صفي يخرج النبي ﷺ فاراد أن يأتيه فأتى قومه أن يدعوهم وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخلف إليه قال فليأتهم من يلقاه عنى ويبلغ عنه فاتدبر رجلاً

فأتى النبي ﷺ فقالا نحن رسل أكرم بن صبي وهو يسألك من أنت وما أنت ؟ فقال النبي ﷺ « أما من أنا فأنما محمد بن عبد الله وأما ما أنا فأنما عبد الله ورسوله » قال ثم تلا عليهم هذه الآية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية) قالوا ردد علينا هذا القول فردد عليهم حتى حفظوه فأتيا أكرم فقالا أي أن يرفع نسباً فأتعن نسب فوجدنا ما أكرم النسب وسطاً في مضر - أي شرفاً - وقد روى إلينا بكلمات قد مضاهاهما حميد أكرم قال: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها فكونوا في هذا الأمر رهوساً ولا تكونوا فيه أذئاباً وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس قال بينا رسول الله ﷺ بفناء بينه جالس أنمر به عثمان ابن مظعون فكشّر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجلس ؟ » فقال بلى قال فجلس رسول الله ﷺ مستقبه فيبنا هو محمداً إذ شخّس رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إليه وسمي بصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ ينض بصره حتى وضعه على عينه في الأرض فتعرف رسول الله ﷺ عن جلسيه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينض رأسه كأنه يستغفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستغفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى تورى إلى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال يا محمد فيما كنت أجالسك ما أريتك فتملك كفضلك الضدة فقال « وما أريتني فلت ؟ » قال أريتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعت حيث وضعت على بينك فتعرفت إليه وتركتني فأخذت تنض رأسك كأنك تستغفقه شيئاً يقال لك قال « وفطنت لذلك ؟ » فقال عثمان نعم قال رسول الله ﷺ « أتاني رسول الله ﷻ أتاً وأنت جالس » قال رسول الله ﷻ « نعم » قال فما قال لك قال « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ ، إسناده جيد متصل حسن قديين فيه السماع للتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً ، حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هرم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسا إذ شخّس بصره فقال « أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا اللوح من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) » الآية وهذا إسناده بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَدَ تَوَكُّدَهَا وَقَدْ جَمَعْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَكْفُلُ مَا تَكْفُلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَاؤُهُمْ مِنْ بَدَ قُوَّةٍ أَنْكَشُوا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ حِيَّ أَرْضِي مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُغُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

هنا بما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والالتزام بالمحافظة على الأيمان للو كدولهنا قال (ولا تفضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تمارض بين هذا وبين قوله (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) الآية وبين قوله تعالى (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلتم) وأحفظوا أيمانكم) أي لا تحركوها بكفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال « إني والله إن شاء الله لا أحلف على بين فاري غيرها خيراً منها إلا أبيت الذي هو خير وتحللها » وفي رواية - وكفرت عن يميني - لا تمارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة هنا وهي قوله (ولا تفضوا الأيمان بعد توكيدها) لأن هذه الأيمان للرادها بالاخلاق في اليهود والوثائق لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله (ولا تفضوا الأيمان بعد توكيدها) يعني الحلف أي حلف الجاهلية . ويؤيده ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا ابن عبيد وأبو أسامة عن زكريا هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « لا حلف في الإسلام وأما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن أبي شيبة . ومعناه

أن الإسلام لا يحتاج منه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه وأما ماورد في الصحيحين عن عاصم الأحول عن أنس رضي الله عنه أنه قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دورته . فعنه أنه أتى بينهم فكانوا يتوارثون به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن حمارة الأسدي حدثنا عبد الله بن موسى أخبرنا أبو ليلى عن بريدة في قوله (وأوفوا بعهدي إذا عاهدتم) قال نزلت في عيعة التي صلى الله عليه وسلم على الإسلام فقال (وأوفوا بعهدي إذا عاهدتم) هذه البيعة التي يابستم على الإسلام (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) لا يحل لكم قتال محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي يابستم على الإسلام وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سحر ابن جويرية عن نافع قال لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بن الخطاب وأهل بيته وأهلهم ثم شهدتم قال : أما بعد فانا قد باعنا هذا الرجل على عيعة الله ورسوله وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الفاجر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان ، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الاشرار بالله - أن يابيع رجل رجلا على عيعة الله ورسوله ثم ينكث بيعته ، فلا يلحق أحد منكم بداء ولا يسرف أحد منكم في هذا الأمر فيكون فصل بيني وبينه » المرفوع منه في الصحيحين ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عاصم عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شرط لأخيه شرطا لا يريد أن يفي به فهو كالكلب جاره إلى غير منعة » وقوله (إن الله يعلم ما تفكرون) تهديد ووعد لمن قضى الأيمان بعد توكيدها وقوله (ولا تكونوا كآلتي هضت غزها من بعد قوة أنكاثا) قال عبد الله بن كثير والسدي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا هضته بعد إيراها وقال مجاهد وقائدة وابن زيد هذا مثل لمن هض عهده بعد توكيده ، وهذا القول أرجح وأظهر سواء كان بمكة امرأة تقضي غزها أم لا . وقوله (أنكاثا) يحتمل أن يكون اسم مصدر ، هضت غزها أنكاثا أي أقاضا ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان أي لا تكونوا أنكاثا جمع نكث من ناكث ولهذا قال بعده (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) أي خديعة ومكر (أن تكون أمة هي أرى أمة) أي تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمشوا إليكم فإذا أنكثكم التدر بهم غدرتم فهي الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهى عن التدر والحالة هذه فلأن ينهى عنه مع التمسك والقدرة بطريق الأولى . وقد قلنا وفي الحديث في سورة الأنفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمدا فصار معاوية إليهم في آخر الأجل حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أخبر عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عبسة الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان بينه وبين قوم أجل فلا يعلن عقدة حتى يقضي أمدها » فرجع معاوية رضي الله عنه بالجيش قال ابن عباس (أن تكون أمة هي أرى من أمة) أي أكثر وقال مجاهد كانوا يخالقون الخلفاء فيجدون أكثر منهم وأعر فينقضون حلف هؤلاء ويخالقون أولئك الذين هم أكثر وأعر فتوا عن ذلك وقال الضحاك وقائدة وابن زيد نحوه وقوله (إنما يلو ك الله به) قال سعيد بن جبير يعني بالكثرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير أي بأمره لما كمل بالوفا بالهد (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيجازي كل عامل بمسلمه من خير وشر

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَفْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْنُنَنَّ هَآ كُمْ تَمَلُّونَ هَآ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَآ بَيْنَكُمْ فَتَرَوْا قَدَمَ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَهُ إِنَّمَا جَعَدْتُكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَفْءَدُ وَعِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَتَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

يقول الله تعالى (ولو شاء الله لجلسكم) أي الناس (أمة واحدة) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) أي لو قضي بينكم ولما جمل اختلافاً ولا تباض ولا هجاء (ولو شاء ربك لجلس الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهكذا قال ههنا (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على القليل والثيرم والقطمير ، ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ومكرًا للآلئزل قدم بعد ثبوتها مثل لمن كان على الاستقامة فعاد عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الأيمان الخائفة للشفعة على الصد عن سبيل الله لأن الكافر إذا رأى أن المؤمنين قد عاهدته ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فأنصد بسببه عن الدخول في الإسلام ولهذا قال (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم) ثم قال تعالى (ولا تستروا بهد الله ثمناً قليلاً) أي لا تمتصوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة ولو حيزت لابن آدم الدنيا جملها لكان ما عند الله هو خير له ، أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال (إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفع) أي يفرغ وينقضى فإنه إلى أجل مندود محصور مقدر مثناه (وما عند الله باق) أي وثوابه لكم في الجنة باق لا يقطع ولا نفاذ له فإنه دائم لا يمحول ولا يزول (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قسم من الرب تعالى مؤكد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها

(مَنْ حَمَلَ صَلَاحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُجْزِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

هذا وعد من الله تعالى لمن حمل صلحاً وهو العمل للتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإن هذا العمل للأمر به مشروع من عند الله بأن يحبه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها بالقتاعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها هي السعادة ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لأحدحية إلا في الجنة ، وقال الضحاك في الرزق الحلال والعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضاً هي العمل بالطاعة والانضراح بها ، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كاجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أيوب حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقسمه الله بما آتاه » ورواه مسلم من حديث عبد الله بن يزيد القرشي . وروى الترمذي والنسائي من حديث أبي هاشم عن أبي علي الجهمي عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قد أفلح من هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به » وقال الترمذي هذا حديث صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد عن عبيد بن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . وأما الكافر فيظلم بمحنته في الدنيا حتى إذا أنشئ إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً » انفراد أخرجه مسلم

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ • إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)

هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من

الشيطان الرجيم وهذا أمر نذير ليس بواجب حكى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الاستماعة مبسوطة في أول التفسير لله الحمد ولله . والمعنى في الاستماعة عند ابتداء القراءة للابليس على القاري قراءته وحفظ عليه ونعمه من التدبر والتفكر ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستماعة إنما تكون قبل التلاوة ، وحكى عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة واحتجوا بهذه الآية ، ونقل النووي في شرح المذهب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضاً ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي ، والصحيح الأول لما تقدم من الأحاديث الواردة على تقديمها على التلاوة والله أعلم . وقوله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال الثوري ليس له عليهم سلطان أن يوصيهم في ذنب لا يتوبون منه ، وقال آخرون معناه لا حجة له عليهم ، وقال آخرون كقولهم (الإعبادك منهم المخلصين) ، (إنما سلطانه على الذين يتولونه) قال مجاهد يطعونه ، وقال آخرون أخذوه ولياً من دون الله (وم يمشركون) أي أشركوه في عبادة الله ، ويمتثل أن تكون الباء سببية أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى ، وقال آخرون معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد

﴿ وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّرُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُتَفَرِّجٌ لِّأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قُلْ زَكَّاهُ رُوحَ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة بآتهم وإفغانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا الرسول الله ﷺ (إنما أنت مفتر) أي كذاب وإغما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وقال مجاهد (بدلنا آية مكان آية) أي ورفعتها وأثبتنا غيرها ، وقال قتادة هو كقولهم تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) الآية فقال تعالى عجيباً لهم (قل زله روح القدس) أي جبريل (من ربك بالحق) أي بالصدق والعدل (ليثبت الله بن آمنوا) فيصدقوا بما أنزل أولاً وثانياً وتثبت له قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) أي وجهه هادياً وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله

﴿ وَلَقَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
يقول تعالى عبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهتان محمدًا إنما يسلط هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر وبشرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان يأمراً يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما رد جواب الخطاب فيها لا بد منه فلماذا قال الله تعالى راداً عليهم في افتراءهم ذلك (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي القرآن أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه الثامنة الشاملة التي هي أكل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل . قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله ﷺ فيها بلخي كثيراً ما يجلس عند الروة إلى سبعة غلام نصرائي يقال له جبر عبد لبعض بني الحضري فأنزل الله (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكذا قال عبد الله بن كثير ، وعن عكرمة وقتادة كان اسمه يعيش . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بككة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان للمشركين يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال الضحاك بن مزاحم هو سلمان الفارسي وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة ،

وقال عبيد الله بن مسلم كان لهما غلامان روميان يقرأن كتابهما بلغهما بلساتهما فكان النبي ﷺ يرهما فيقوم فيسمع منهما فقال للمشركون يتعلم منهما فأنزله هذه الآية ، وقال الزهري عن سعيد بن السب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الإسلام وافتري هذه القالة فيجده الله

﴿ إِن الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نُنَزِّلُ اللَّهُ بِهِدْيِهِمْ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نُنَزِّلُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

غير تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتفاضل عما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسوله في الدنيا ولهم عذاب أليم موع في الآخرة ، ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بفتر ولا كذاب لأنه إنما يقرئ الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرار الخلق (الذين لا يؤمنون بآيات الله) من الصخرة وللحدين اللعروفيين بالكذب عند الناس ، والرسول محمد ﷺ كان أصدق الناس وأبرم وأكملهم علماً وعملاً وإيماناً وإيقاناً ، معروفاً بالصدق في قومه لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ، ولهذا كما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك اللسائل التي سألتها من صفة رسول الله ﷺ كان قبا قال له : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، فقال هرقل : فما كان يلدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَكَانَ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمُ عَذَابٌ مِّنْ أَثَرِهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا اخْتِيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمُ وَأَبْصَرَتْهُمُ وَأُولَئِكَ هُمُ الدَّاعُونَ إِلَى الْجَحِيمِ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

أخبر تعالى ممن كفر به بعد الإيمان وبأبصر صدره بالكفر وأطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدوهم عنه وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الحق فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئاً ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا يفتقون بها ولا أغنت عنهم شيئاً فهم فاقولون عما يراد بهم (لا جرم) أي لا بد ولا يجب أن من هذه صفة (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة - وأما قوله (إلا من أكره) وقالبه مطمئن بالإيمان) فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين لبلغه مكرها لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يراي ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله . وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذب المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فواقهم على ذلك مكرها وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ فأنزله هذه الآية . وهكذا قال الشعبي وقادة وأبو مالك . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعدوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئناً بالإيمان قال النبي ﷺ « إن عادوا فسد » ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم غير فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قال يا رسول الله ما تركت حتى سبتك وذكر آلهم خير قال « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطعناً بالإيمان فقال « إن عادوا قعد » وفي ذلك أنزل الله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ولهذا اتفق العلماء على أن السكر على السكر يجوز له أن يوالى إبقاء لهجة ويجوز له أن يأكل ما كان يلال رضى الله عنه بأى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل حتى إنهم ليضو السورة الطيعة على صدره فى شدة الحمر وأمرته بالشرك بالله فى أى عليهم وهو يقول : أحد أحد . ويقول : والله لو أعلم كلمة هى أعظم لكسبها لقتلها رضى الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصارى لما قال له مسيلة الكذاب : أشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أصح . فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً رضى الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول الله ﷺ قال « لا تصدوا بعباد الله » وكنت قاتلهم يقول رسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك علياً فقال ويح أم ابن عباس : رواه البخارى -

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوى عن أبى بردة قال : قدم على أبى موسى معاذ بن جبل باليمن فلذا رجل عنده قال ما هذا ؟ قال رجل كان يهودياً فأسلم ثم هودى نحن نريده على الإسلام منذ قال أحسبه شهريز قال والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فضربت عنقه فقال قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال ومن بدل دينه فاقتلوه . وهذه القصة فى الصحيحين بلفظ آخر . والأفضل والأولى أن يثبت السلم على دينه ولو أفضى إلى قتله كما ذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة عبد الله بن حذافة السهمى أحد الصحابة أنه أسره الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له تصروا أنا أشرك فى ملكى وأزوجك ابنتى ، فقال له لو أعطيتى جميع ممتلكك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفتين فاعلت فقال إنما أقتلك فقال أنت ، وذلك ، قال فأمر به فغلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يمرض عليه دين النصرانية فأبى ثم أمر به فأقزل ، ثم أمر بقدر وفى رواية بقرعة من نحاس فأجبت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فلذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرغ فى البكرة للقى فيها فسكى فطعم فيه ودعاه فقال إني إما بكيت لأن نفسى إغماهى نفس واحدة تلقى فى هذه القدر الساعة فى الله فأجبت أن يكون لى بسد كل شجرة فى جسدى نفس تعذب بهذا العذاب فى الله . وفى بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل إليه فغمر ولم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل ؟ فقال أما إنه قد حل لى ولكن لم أكن لأشمتك لى ، فقال له الملك قبل رأسى وأنا أطلقك فقال وتطلق معى جميع أسارى للمسلمين قال نعم قبل رأسه فأطلقوه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبداً أقام قبل رأسه رضى الله عنه

﴿ قُمْ إِنَّ رَبَّكَ لَذِيْنَ هَاجَرُوا مِنْ بَدَا مَاتُوا ثُمَّ جَدُّوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَدَا لَنَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَدِّلُ عَنْ نَفْسِيْهَا وَتَوَقَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا حَمَلَتْ وَتَحْمِلُ لَا يَظْلُمُوْنَ ﴾ .

هؤلاء صنف آخر كانوا مستغنيين بمكة مهانين فى قومهم فواقفهم على الفتنة ثم إنهم أكنهم الخلاس بالمهجرة فتركوا بلادهم وأهلهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا فى سلك المؤمنين واجهادوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر تعالى أنه من يبدأ أى تلك القصة وهى الإجابة إلى الفتنة تنفور لهم رحمهم يومهم معادهم (يوم تأتى كل نفس تجادل) أى تخاف (عن نفسها) ليس أحد يحتاج عنها لأب ولا لآلئ ولا أخ ولا زوجة (وتوفى كل نفس ما عملت) أى من خير وشر (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب الخير ولا يزداد على ثواب الشر ولا يظلمون شيئا

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا

اللهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ • وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْمَذَابُ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ ﴿١٠﴾

هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخلف الناس من حولها ومن دخلها كان آمناً يخاف كما قال تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى منك يتخلف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء مرفقاً من لنا) وهكذا قالهنا (يأتها رزقها رغداً) أي حنيئاً سهلاً (من كل مكان فكفرت بأنهم الله) أي وجدت الآلاء عليها وأعظمها بشة محمد ﷺ إليهم كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبش الرحار) ولهذا بدلهم الله بحالهم الأولين خلفهما فقال (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجي إليهم ثمرات كل شيء ويأتها رزقها رغداً من كل مكان وذلك أنهم استصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلا خلافته فدعا عليهم يسبع كسيع يوسف فأصابته سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا الطلح وهو وبر البعر غلط بدمه إذا نحروه وقوله (والخوف) وذلك أنهم بدلوا بأنهم خواف من رسول الله ﷺ وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه وجعل كل مالم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله ﷺ وذلك بسبب صميمهم وبضمهم وتكذيبهم الرسول ﷺ الذي بشة الله فيهم منهم وأمن به عليهم في قوله (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) الآية . وقوله تعالى (فاذاقوا الله يا أولى الألباب • الدين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً) الآية وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيهم ويسلكهم الكتاب والحكمة سائى قوله) ولا تكفرون) وكما أنما انعكس على الكافرين حالهم فخانوا بدلاً من وجاعوا بدار الغد فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم آمناً ورزقهم بعد العية وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأتعمهم وهذا الذي قلناه من أن هذا للثل ضرب لأهل مكة قاله الموفى عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وقائدة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحكامه مالك عن الزهري رحمهم الله وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن زيد حدثنا عبدالرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحارث الحضري حدثه أنه مع مشرح بن هاعان يقول سمعت سليم بن عير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي ﷺ وعثمان رضى الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل ؟ حتى رأته راكبين فأرسلت إليهما تسألهما قتالا قتل . فقالت حفصة والذى نفسى بيده إنها القرية - من المدينة - التي قال الله تعالى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله) قال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن النيرة عن حدثه أنه كان يقول إنها المدينة

﴿ فَكُلُوا بِمَارَزَقِكُمْ اللَّهُ حَلَّالٌ طَيِّبٌ وَاشْكُرُوا لِنِعْمَتِ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَكُمْ لِيَأْتِيَ تَبْذِيرًا • إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْمُتَبِعَةَ وَاللَّحْمَ الْخَنِزِيرَ وَمَا أَمِلَ لِتَغْيِرِ اللَّهُ بِهِ قُلُوبَ أَشْطَرِ عَوَرٍ بَاطِلٌ وَلَا هَادٍ قُلُوبَ غَوَّارٍ رَحِيمٌ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ • مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنه النعم التفضل به ابتداء الذي يستحق العبادته وحده لا شريك له ثم ذكر تعالى ما حرّمه عليهم بما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم من اللينة والدم ولحم الخنزير (وما أهل لغير الله به) أي ذبح على غير اسم الله ومع هذا (فمن اضطر إليه) أي احتاج من غير بني ولا عدوان (فإن الله غفور رحيم) . وقد فهم الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن إعادته وقد الحمد ، ثم نهى

تعالى عن سلوك سبيل للشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه واسطلموا عليه من الأساء بأرائهم من البهية والسابقة والوصية والحلم وغير ذلك مما كان شرما لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال (ولا تقولوا لا تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعى أو حلال شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشبهه ، وما في قوله (لا تصف) مصدرية أى ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ، ثم توعده على ذلك فقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، أما فى الدنيا فتعاقب قليل وأما فى الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال (تنتهم قليلا ثم تضطرمم إلى عذاب غليظ) وقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم ندقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَنَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَفْسَهْمُ يَظُنُّونَ • ثُمَّ إِنْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُغْفِرَ رَحِيمًا)

لما ذكر تعالى أنه إنما حرم علينا البيت والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإنما أرحس فيه عند الضرورة - وفى ذلك تومئة لهذه الأمة التى يريد الله بها اليسرى ولا يريد بها اليسرى - ذكر سبحانه وتعالى ما كان حراما على اليهود فى شريعتهم قبل أن ينسخها وما كانوا فيه من الآصار والضيق والأغلال والحرج فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) أى فى سورة الأعراف قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها - إلى قوله - لصادقون) ولهذا قال ههنا (وما ظننهم) أى بما ضيقنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظنون) أى فاستغفوا ذلك كقولهم (بظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وصعد من سبيل الله كثيرا) ثم أخبر تعالى تسكرا وإماتنا فى حق الصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه فقال (ثم إن ربك للذين هملوا السوء جهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أى أقبلوا عما كانوا فىمن الماضى وأقبلوا على فعل الطاعات (إن ربك من بعدها) أى تلك القصة والذلة (لنغفر رحيم)

(إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا فَهُوَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْبَشَرِ كَيْنَ • شَاكِرًا لَأَنْعَمَ أَنْجَبَهُ وَهَدَّاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَكَاتَبْنَاهُ فِي الْغَيْثِ حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَكِنَ الصَّالِحِينَ • ثُمَّ أَوْجَيْنَا لَكَ أَنْ أَنْبِئَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

يحمد تعالى عبده ورسوله وخليفه إبراهيم إمام الخلفاء والدة الأنبياء ويرحمه من الشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال (إن إبراهيم كان أمة قاتلا فهو حنيفا) فأما الأمة فهو الإمام الذى يقتدى به ، والقائت: هو الخلق الطيب ، والحنيف للتحرف فصدأ عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال (ولهيك من الشركين) قال سنيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبى السبيد أن سأل عبدا لله بن مسعود عن الأمة القائت فقال الأمة معلم الخير والقائت الطيب لله ورسوله ، وعن مالك قال: قال ابن عمر: الأمة الذى يعلم الناس دينهم ، وقال الأعمش عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيد بن أتيه أن عبد الله قال من نساء إذا لم نساءك؟ فكان ابن مسعود رقه فقال أخبرني عن الأمة ، فقال الذى يعلم الناس الخير ، وقال الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود إن معاذ كان أمة قاتلا فهو حنيفا ، فقلت فى نفسى غلط أبو عبد الرحمن وقال إنما قال الله (إن إبراهيم كان أمة) فقال تدرى ما الأمة وما القائت؟ قالت الله أعلم فقال الأمة الذى يعلم الخير ، والقائت للطبع لله ورسوله ، وكذلك كان معاذ ، وقدرى من غير وجه عن ابن

مسمود، أخرجه ابن جرير ، وقال مجاهد أمة أي متوحده والقائت للطبع وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار وقال قتادة كان إمام هدى والقائت للطبع لله ، وقوله (شاكرًا لأنعمه) أي قائمًا بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى (وإبراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به وقوله (اجتبه) أي اختاره واصطفاه كقوله (وقد آتينا إبراهيم رشفه من قبل وكنّا به علين) ثم قال (وهداه إلى صراط مستقيم) وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضى ، وقوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي حسنة له خبر الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وقال مجاهد في قوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي لسان صدق ، وقوله (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا) أي ومن كاله وعظمت وصحة توحيده ، وطريقه أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من الشركين) كقوله في الأنعام (قل إني هدى ربي إلى صراط مستقيم * دينًا قديمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من الشركين) ثم قال تعالى منكرًا على اليهود ﴿ إِنَّا جَعَلُ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

لا شك أن الله تعالى شرع في كل ملة يومًا من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذي أكل الله فيه الخليفة واجتمعت فيه نعمت النعمة على عباده ، ويقال إن الله تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى ففعلوا عنه واختاروا السبت لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذي كل خلقها يوم الجمعة فأكرمهم تعالى به في شريعة التوراة وصاحم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه مع أمره بإمام بتابعة محمد ﷺ إذا بشه وأخذ مواعيقهم وعهودهم على ذلك ولهذا قال تعالى (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال مجاهد اتبعوه وتمسكوا الجمعة ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى بن مريم فيقال إنه حوّلهم إلى يوم الأحد وقال إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل يحافظ على السبت حتى رفع وإن النصراني بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقًا عن الصخرة والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ينسأهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فاناس ثلانيه تبع اليهود فهدوا النصراني بعددهم » لفظ البخاري . وعن أبي هريرة وحديثه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أدخل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والقضى بينهم قبل الخلق » رواه مسلم

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْعَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

يقول تعالى أمرًا رسول الله ﷺ أن يدعو المخلق إلى الله بالحكمة . قاله ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة واللوعظة الحسنة أي بما فيه من الزواج والوقائع الناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى ، وقوله (وجدلهم بالتي هي أحسن) أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحنن خطاب كقوله تعالى (ولا تجادلوه أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) إلا الذين ظلموا منهم (الآية ، فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بشما إلى فرعون في قوله (قدولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقوله (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الآية أي قد علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حشرات فانه ليس عليك هدام إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب

(إنك لا تهدي من أحببت) ، (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) .

﴿وَأَن عَاقِبْتُمْ فَاقْبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن سَأَلْتُمُوهُ فَخَبَرُ الْقَابِرِينَ • وَأَسْأَلُ رَبِّي عَنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ • إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

يأمر تعالى بالعدل في القصاص والانتقام في استيفاء الحق كما قال عبد الرزاق عن الثوري عن خالد بن سري عن أنس قال في قوله تعالى (فاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إن أخذ منكم رجل شيئاً فخذوا مثله وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد كانوا قد أمروا بالصفح عن الشركين فأسلم رجال فوؤمنا فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لاتصرتنا من هؤلاء الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به قتال رسول الله ﷺ (وإن أظهرني الله عليهم لأمثلن ثلاثين رجلاً منهم) فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لمثلن بهم مثله لم يثلمنا أحد من العرب بأحد قط فأبزل الله (وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إلى آخر السورة ، وهذا مرسل وفيه رجل منهم لم يسم ، وقد روى هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو بن عامر حدثنا صالح اللري عن ساجان التيمي عن أبي حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر إلى منظره إلى منظر أوجع القلب منه أو قال قلبه فنظر إليه وقد مثل به فقال «رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصولاً لرحم فصولاً للغيث والله لو لا حزن من يمدك عليك لسرى أن أتركك حتى يحترك الله من بطون السباع» أو كذا نحوها - أما والله ذلك لأمثلن بسبعين كمثلك » فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ (وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إلى آخر الآية ، فكفر رسول الله ﷺ بيني وبينه وأمسك عن ذلك ، وهذا إسناد فيه ضعف لأن صالحاً هو ابن بشر اللري ضيف عند الأئمة ، وقال البخاري هو منكر الحديث وقال الشعي وابن جريج نزلت في قول للمسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم لثملن بهم فأبزل الله فيهم ذلك ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا هدية بن عبد الوهاب للروزي حدثنا الفضل بن موسى حدثنا عيسى بن حبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلاً ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله ﷺ لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لثملن بهم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قريش بعد اليوم ، فنادى مناد : إن رسول الله ﷺ قد آمن الأسود الأبيض إلا فلانا وفلانا - ناساً ممام - فأبزل الله تبارك وتعالى (وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إلى آخر السورة فقال رسول الله ﷺ «نصبر ولا نقاب» وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن فانها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل كما في قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلاً) ثم قال (من عفا وأصلح فأجره على الله) الآية وقال الجرحي (صاحب) ثم قال (لمن تصدق به فهو كفارة له) وقال في هذه الآية (وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم قال (ولئن سببتهم لم حو خير الصابرين) وقوله تعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله) تأكيده للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة الله وإيادته ، وخوله وقوته ، ثم قال تعالى (ولا تحزن عليهم) أي على من خالفك فإن الله قدر ذلك (ولا تترك في ضيق) أي غم (فما يكرهون) أي مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإصالة الشر إليك فإن الله كافيك وناصرك ونؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم ، وقوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي معهم بتأييده وتصروهم موته وهديه وسعيه وهذه مية خاصة كقوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معك فثبتوا الذين آمنوا) وقوله لموسى وهرون (لأعطينا إني مكملاً سمع وأرى) وقوله النبي ﷺ للصدوق وها في النار «لا تحزن إن الله معنا» وأما الآية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله

تمالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وكتبوه تمالى (ألم تر أن الله يسلط ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابِعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وكما قال تمالى (وماتكون فى شأن وما تحلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً) الآية ومعنى (الذين اتقوا) أى تركوا المحرمات (والذين هم محسنون) أى فعلوا الطاعات ، فهؤلاء الله يحفظهم ويكفؤهم وينصرهم ويؤيدهم وينظرهم على أعدائهم وعائلتهم ، وقال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثناء محمد بن يشار ثنا أبو أحمد الزير ثنا مسعر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضى الله عن الله من الذين اتقوا والذين هم محسنون . آخر تفسير سورة النحل والله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

بسم الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى من تفسير الإمام الحافظ ابن كثير

تولى الجزء الثالث إن شاء الله

وأوله تفسير سورة الإسراء والحمد لله

أولاً وآخرأ

فهرست الجزء الثاني ، من تفسير ابن كثير

صفحة	صفحة
٧٣ صفات الناقين	٢ «تفسير سورة المائدة»
٧٥ تقوى الله سبب لثبوت الرزق	٣ صيغة كتاب النبي ﷺ لعمر بن حزم
٧٧ عصمة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من الناس	٥ حين يته إلى نجران
٨٠ الحث على التوبة والاستغفار	٥ الاجماع على قتل للشرك إن لم يكن له أمان ولو لجأ إلى البيت الحرام أو بيت للنسب
٨٢ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكبائر	٦ فضل الصبر على الأذى
٨٩ حكم كفارة الجبن	٧ تفسير قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة الخ)
٩١ تحريم الخمر والبسر والأنساب والأزلام	٨ للذهاب في حكم ما أمسك كلب الصيد
٩٢ ذكر الأحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر	١٠ الكلام على النطيحة
٩٧ تحريم قتل الصيد في الحرم	١١ الكلام على ما قتل على النصب والاستقسام بالأزلام
١٠٠ ذكر أقوال السلف في هذا المقام	١٣ الكلام على قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) الخ
١٠١ إباحة صيد البحر وتحريم صيد البر للمعمر	١٦ الأمر بقتل الكلاب
١٠٤ النهي عن كثرة السؤال لغير سبب	١٧ ذكر الآثار فيما أمسك كلب الصيد
١١٠ الاشارة على الوصية	١٩ الكلام على قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الخ
١١٤ خروج العلم إلى الله عز وجل	٢١ تفسير آية الوضوء والتيمم
١١٤ تذكير الله سيدنا عيسى بنصه عليه	٢٦ ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه
١١٥ نزول المائدة	٤١ قصة قاتل وهابيل
١١٦ ذكر أخبار عن السلف في نزول المائدة	٤٦ تحريم قتل النفس
١١٨ ما أهدى الله لصادقين	٥٤ حد السارق
١٢٢ «تفسير بنورة الأنعام»	٥٧ وجوب الرجوع إلى مكتتاب الله عند الاختلاف
١٢٦ النافع الضار هو الله وحده	٦١ وجوب القصاص
١٢٨ الحث على العمل للأخرة	٦٤ ثم من لم يحكم بما أنزل الله
١٣٦ لا يعلم النيب إلا الله	٦٥ الحث على السابقة إلى الخير
١٣٧ بيان أن لكل آدمي حطة من اللائحة	٦٩ صفات المؤمنين
١٤٤ الأمر بإقامة الصلاة	
١٤٥ التنبيه في الصور	
١٤٩ تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الشرك وأهله	

صفحة

- ١٥٢ تفسير قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم) الخ
 ١٥٤ الأتياء من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام
 ١٥٦ المحافظة على الصلوات من صفات المؤمنين
 ١٥٨ الاعتناء بالنجوم
 ١٦٣ الأمر بالتمسك بالقرآن والعمل به
 ١٦٨ إباحة أكل مما ذكر اسم الله عليه
 ١٦٨ النهي عن أكل مما لا يذكر اسم الله عليه
 ١٧٤ إرتياح الصدر واخراجه للإسلام
 دليل على الهداية
 ١٧٥ دار السلام لأهل الإسلام
 ١٧٨ الله غنى عن العالمين
 ١٨١ الأمر بإتناء الزكاة والنهي عن الاسراف
 ١٨٧ الكلام على قوله تعالى (قل تناولوا أكل ما حرم ربكم عليكم) الخ
 ١٩٦ مضاعفة الحسنات
 ١٩٧ الأمر بالإخلاص لله
 ٢٠٠ « تفسير سورة الأعراف »
 ٢٠١ فلاح من همل ميزاته وضران من خف ميزاته
 ٢٠٢ أمر اللائكة بالسجود لآدم
 ٢٠٢ امتناع إبليس من السجود لآدم
 ٢٠٣ طرد إبليس من الجنة
 ٢٠٤ تواعد إبليس لبي آدم بالأغواء
 ٢٠٥ وسوسة إبليس لآدم عليه السلام
 ٢٠٨ تحذير بني آدم من كيد الشيطان
 ٢٠٩ الأمر بالتزين بأحسن الثياب للصلاة
 ٢١١ تحريم الفواحش الظاهرة
 ٢١٤ ما أعد الله للمعتدين
 ٢١٦ قصة أصحاب الأعراف
 ٢٢١ الأمر بالدعاء والتضرع إلى الله
 ٢٢٢ مثل للمؤمن والكافر

صفحة

- ٢٢٣ دعاء نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده وتكذيبهم له وإغراقهم
 ٢٢٤ قصة عاد: قوم هود عليه السلام
 ٢٢٧ قصة ثمود: قوم صالح عليه السلام
 ٢٣٠ قصة قوم لوط عليه السلام
 ٢٣١ قصة قوم شعيب عليه السلام
 ٢٣٥ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون
 ٢٥٠ صفات للتقين
 ٢٥٤ رسالة النبي محمد ﷺ حمت جميع الناس
 ٢٥٦ قصة أصحاب السبت
 ٢٦١ أخذ العهد على ذرية آدم بالتوحيد
 ٢٦٤ قصة بلعم بن باعوراء
 ٢٦٨ صفات للمناقضين
 ٢٦٨ الدعاء بأسماء الله
 ٢٧٠ الحث على النظر في ملكوت السموات والأرض
 ٢٧٠ علم الساعة عند الله وحده
 ٢٧٣ لا يعلم القيب إلا الله
 ٢٧٧ الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 عن الجاهلين
 ٢٨٠ الأمر بالانصات عند تلاوة القرآن
 ٢٨١ الأمر بذكر الله والتضرع إليه في السر
 ٢٨٢ « تفسير سورة الأناجيل »
 ٢٨٥ صفات للمؤمنين
 ٢٩٣ النهي عن التولي يوم الزحف
 ٢٩٧ الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول
 ٣٠٨ الله يقبل التوبة حتى من الكافر ويغفر له ما مضى من ذنبه
 ٣١٦ أمر المؤمنين بالثبات وبذكر الله عند قتال الكفار
 ٣١٧ تروى إبليس من الكافرين رأى لللائكة
 ٣١٩ تصديق الكفار عند الاحتضار

صفحة	صفحة
٣٥٠ وعيد مانع الزكاة	٣٢٠ للمامى سبب ثروال النعم
٣٥٣ عدد شهور العلم	٣٢٠ شر الدواب عند الله الكفار
٣٥٧ الحث على الجهاد في سبيل الله	٣٢١ الأمر بأعداد القوة لمحاربة الكفار
٣٥٧ وعيد من تاباً عن الجهاد في سبيل الله	٣٢٢ تأليف قلوب المؤمنين
٣٥٨ نصر الإله لرسوله ﷺ	٣٢٤ حث المؤمنين على قتال الكفار
٣٥٩ الحث على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال	٣٢٥ إباحة التنازع لرسول الله والمجاهدين
٣٦٠ صفة للتائقين	٣٢٨ للهاجرون والانتصار بعضهم أولياء بعض
٣٦٤ بيان الاصناف الذين تعرف إليهم الزكاة	٣٣٠ ما أعد الله للمهاجرين والانتصار
٣٦٨ صفات للتائقين	٣٣١ « تيسر سورة التوبة »
٣٦٩ صفات للمؤمنين	٣٣٢ تبرؤ الإله عز وجل ورسوله من الشركين
٣٦٩ ما أعد الله للمؤمنين وللؤمنات	٣٣٥ الأمر بقتال للشركين في جميع الساعات
٣٧٠ الأمر بمهاد الكفار والتائقين	الأشهر الحرم
٣٧٣ عقوبة من قض الصد	٣٣٧ عبة الله للتقين
٣٧٨ النهي عن الصلاة على من مات من الكفار	٣٤٠ شهادة الإله عز وجل ان يسر الساجد
٣٨٠ ما أعد الله للمؤمنين والمجاهدين في سبيله	الإيمان
٣٨٣ ما أعد الله للمهاجرين والانتصار والتأبين	٣٤١ ما أعد الله للمهاجرين والمجاهدين في سبيله
لهم بإحسان إلى يوم الدين	٣٤٢ النهي عن اتخاذ الآباء والأبناء والإخوان
٣٨٥ الأمر بإخراج زكاة الأموال والحث	والازواج أولياء إن استحيوا الكفر على
على التوبة	الإيمان
٣٨٧ مسجد الضرار	٣٤٣ نصر الله عز وجل المؤمنين وتعذيب
٣٩١ تفسير قول الله تعالى (إن الله اشترى من	الكافرين
للمؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم	٣٤٦ تحريم دخول للشرك للمجد الحرام
الجنة) الآية	٣٤٦ الأمر بقتال اليهود والنصارى حتى يسطوا
٣٩٢ صفات للمؤمنين	الجزية عن يدهم صاغرون
٣٩٦ الحث على الصدق	٣٤٨ تنزه الإله عز وجل عن شرك اليهود والنصارى
٤٠٠ الحث على التفقه في الدين	٣٤٩ إتمام الله عز وجل ثور الإسلام ولو كره
٤٠٣ تفسير قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من	الكافرون
أنفسكم) الآيتين	٣٤٩ تفسير ما جاء في قول الله عز وجل (هو
٤٠٥ « تفسير سورة يونس »	الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
٤٠٦ الأمر بإيادة الله وحده دون سواه	ليظهره على الدين كله) الآية
٤٠٦ الإيمان بالثبث	٣٥٠ أكل الأحبار والرهبان أموال الناس
٤٠٧ تفسير قوله تعالى : (هو الذي جعل الشمس	بالباطل وصدمع عن سبيل الله
ضياء والقمر نوراً وقدره منازل) الآية	

صفحة	صفحة
٤٠٨	دعاء المؤمنين في الجنة
٤١٣	تفسير قوله تعالى (والله يدعو إلى دار
	السلام) الآية
٤١٤	تفسير قوله تعالى : (الذين أحسنوا الحسن
	وزيادة) الآية
٤١٧	هجز البشر عن الإيمان بسورة من القرآن
٤٢٢	للمؤمن اتقى ولي الله
٤٢٨	تفسير قول الله عز وجل (وقال موسى
	يا قوم إن كنتم آثمتم بالله) الآية
٤٢٩	إغراق فرعون وجنوده في البحر
٤٣٢	توبة الله عز وجل على قوم يونس
٥٣٥	« تفسير سورة هود »
٤٣٥	الحث على الاستغفار والتوبة
٤٣٦	تكفل الله تعالى لجميع خلقه بالرزق
٤٤٢	أمر سيدنا نوح لقومه بعبادة الله
٤٤٤	أمره عليه السلام بصنع السفينة
٤٤٥	حمه عليه السلام فيها من كل زوجين اثنين
٤٤٥	جرحها وإرسالها باسم الله
٤٤٦	نداء سيدنا نوح ابنه
٤٤٦	إرساء السفينة على البر
٤٤٧	نداء نوح عليه السلام ربه
٤٤٨	تفسير قوله عز وجل (يا نوح اهبط
	بسلام) الآية
٤٤٩	الأمر بالصبر ووعد للتقين بالقلاح
٤٤٩	أمر سيدنا هود عليه السلام لقومه بعبادة الله
٤٤٩	الحث على الاستغفار والتوبة
٥٥٠	أمر سيدنا صالح لقومه بعبادة الله
٥٥١	قصة الناقة
٥٥١	قصة سيدنا إبراهيم مع الملائكة
٥٥٢	عبادة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط
٥٥٣	قصة قوم لوط
٥٥٥	قصة مدین : قوم شعيب
٤٦٠	أحوال السعداء والأغنياء
٤٦١	الأمر بالاستقامة وعدم الركون إلى الظالمين
٤٦٢	الحسنات يذهب السيئات
٤٦٦	« تفسير سورة يوسف عليه السلام »
٤٦٨	رؤيا يوسف عليه السلام
٤٦٩	تأمر إخوة يوسف على قتله
٤٧٠	مرادتهم لأبيهم على أخذه
٤٧٢	التقاط السيارة ليوسف من الحب
٤٧٣	قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز
٤٧٦	دخول يوسف عليه السلام السجن
٤٨٠	رؤيا سلك مصر وتأويل يوسف لها
٤٨٢	تولية يوسف عليه السلام على خزائن الأرض
٤٨٣	جمعه إخوة يوسف إلى مصر لليرة
٤٨٤	أخذ يعقوب عليه السلام لليثاق على بني
٤٨٩	عفو يوسف عليه السلام عن إخوته
٤٩٠	اجتماع يوسف بأبيه وإخوته
٤٩١	تناؤه عليه السلام على ربه عز وجل
٤٩٨	« تفسير سورة الرعد »
٤٩٨	دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى
٥٠٩	صفات للمؤمنين
٥١١	وعيد من قضي الصد والكد في الأرض
٥١٢	للمؤمن بطلان قلبه لذكر الله
٥١٧	صفة الجنة
٥١٩	الكلام على الحق والإيمان
٥٢١	إنكار الكفار رسالة النبي ﷺ
٥٢٢	« تفسير سورة إبراهيم عليه السلام »
٥٢٣	فضيل الرسول صلى الله عليه وسلم على سائر
	المرسل صفات
٥٢٧	مثل أعمال الكفار
٥٣١	الكلام على قوله تعالى : (ثبت الله الدين
	آمنوا بالقول الثابت) الآية
٥٤٠	دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٥٨١	شهادة الرسل على أنهم يوم القيامة	٥٤٥	« تفسير سورة الحجر »
٥٨٢	تفسير قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية	٥٥٠	أصل خلق الإنسان
٥٨٣	الحث على الوفاء بالعهد	٥٥٤	تبشير الملائكة إبراهيم عليه السلام بالولد
٥٨٤	الحض على الصدقة	٥٥٥	إهلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام
٥٨٥	سعادة المؤمنين في الدنيا والآخرة	٥٦٠	« تفسير سورة النحل »
٥٨٩	الأمر بالأكل من الرزق الحلال الطيب	٥٦٤	تعدد منافع البحر
٥٩٠	ثناء الله على سيدنا إبراهيم عليه السلام	٥٧٤	تعدد منافع الأنعام
٥٩١	الأمر بالدعوة إلى الله بالحسنى	٥٧٥	الحام لله النحل بأغذاء السيوت
٥٩٢	فضيلة الصبر والحض عليه	٥٧٥	منافع النحل
٥٩٢	فضيلة التقوى والإحسان	٥٧٧	تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق
		٥٧٧	نعمة الأزواج والبنين

تم النشر

